المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
قسم الدعوة والاحتساب

أحوال المدعو في ضوء الكتاب والسنة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة والاحتساب

إعداد

محمد بن عبد الرحمن العمر

إشراف معالي الأستاذ الدكتور

عبد الله بن محمد المطلق

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

١٤٢٧ - ١٤٢٨هـ

بسم اللّه الرحمن الرحيم

المقدمــة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشداً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين.

+يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾"[1].

+يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾"[2].

+يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾"[3].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[4].

حين كلَّف الله تعالى عباده بالدعوة إلى دينه، والأخْذِ بأيدي الناس إلى ما فيه صلاحهم مما احتواه الإسلام من خيري الدنيا والآخرة، رتَّب على ذلك –لمن قام به– الأجر العظيم، والثواب الجزيل، وإنما كانت هذه المكافأة بهذا القدر لما انطوى عليه هذا الواجب من جهد ومشقة، ولما تَطلَّبه من معرفة بما

---

(١) سورة النساء الآية ١.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠، ٧١.

(٤) هذه خطبة الحاجة التي كان يعلمها النبي ﷺ لأصحابه. انظر: صحيح مسلم –كتاب الجمعة – باب تخفيف الصلاة والخطبة – رقم الحديث (٨٦٧). ومسند الإمام أحمد – باقي مسند المكثرين – مسند عبدالله بن مسعود ﷺ – رقم الحديث (٣٥٣٦). وسنن أبي داود –كتاب النكاح – باب في خطبة النكاح – رقم الحديث (١٨٠٩). وسنن الترمذي –كتاب النكاح – باب ما جاء في خطبة النكاح – رقم الحديث (١٠٢٣). وسنن النسائي –كتاب الجمعة – باب كيفية الخطبة – رقم الحديث (١٣٨٧). وسنن ابن ماجه –كتاب النكاح – باب خطبة النكاح – رقم الحديث (١٨٨٢). وسنن الدارمي –كتاب المقدمة – باب في كراهية أخذ الرأي – رقم الحديث (٢٠٨).

يُدعى إليه، وحذقٍ في إيصال ذلك للمدعوين، وتأديته على الوجه المطلوب، الذي يدعو المتلقي إلى تلقيه والصدور عنه.

إن ما اكتنف هذا الواجب من صعوبة، وما شابه من جهد ومشقة يعود في حقيقة الأمر إلى عدم استقراره عند حد معين أو على صورة واحدة في أي زمان ومكان بل يغلب عليه التغير مما يؤدي بالتالي إلى مزيد من ا لجهد في الاتصال بالناس والسعي إلى إصلاحهم.

وعا لم اليوم هو أمم شتى، لها مشارب اعتقادية كثيرة، وتوجهات فكرية عديدة، وأنماط للحياة غريبة، انطوت على الكفر، والشرك، والوثنية، والإلحاد، وبقدر ما يدرك الداعية هذه الناحية بقدر ما يوفق في إيصال فكرته للمدعو في أجلى صوره، وأوضح سياق، فلابد للداعية من أن يعرف بالضبط مع من سيتحدث، ومن هم الذين يتحدث إليهم؟ وهل هناك من يستمع إلى حديثه؟ وهناك تساؤل آخر وهو: لماذا سنتحدث مع المدعو عن هذه الموضوعات بالذات؟ وهل هي تخدم – بشكل مباشر أو غير مباشر – فئات عدة من المدعوين أو فئة بعينها..؟ إن الإجابة على هذا التساؤل تكمن في الفكرة، التي ينطوي عليها المضمون الذي يتوجه به الداعية إلى المدعو، وهذا ضروري لكي يقدمه للمدعو في أحسن صورة.

وحين لا يتحقق للداعية شيء من ذلك – كأن يكون حديثه لا يمس أحداً، ولا يهم فئة معينة، أو ينشأ على غير معرفة بمن يتحدث إليه.. إلخ – فعليه أن يُدرك أن جهده ضائع، وأن الفكرة التي يسعى بها للمدعو ضائعة هي الأخرى.

ولذلك ينبغي الاعتناء بالضوابط المنهجية، التي تقوم عليها عملية المراعاة لأحوال المدعوين، والنظر إليهم من عدة اعتبارات تقوم على النظرة الصحيحة للإنسان، الذي تنطوي شخصيته على جملة من السمات، والخصائص العضوية، والنفسية، والعقلية، وذلك أن ثمة أمورًا يستوي فيها سائر المدعوين، وهي التي تتصل بالجوانب العضوية والنفسية.

وتتضح هذه المسألة إذا علمنا بأن المدعوين – على الرغم من اختلافهم في معتقداتهم، وتوجهاتهم وانتماءاتهم – يشتركون في جملة الخصائص والصفات البشرية، التي تصدر عنها المواقف الفكرية والعقدية والسلوكية لهم.

ومع كثرة ما كُتبَ عن الدعوة الإسلامية؛ فإن طرق عرض وتبليغ دعوة الإسلام، لم تدرس إلى الآن دراسة شاملة مفصلة؛ تُجَلِّي الطرق والوسائل العديدة التي استنها رسول الله ﷺ لعرض وتبليغ الدعوة، والتزم بها مِنْ بعده الخلفاء الراشدون، ومن جاء بعدهم من خلفاء الإسلام؛ وَتُوَضِّح تَنَوُّع وتشعب هذه الطرق لعرض وبلاغ الدعوة، سواء إن كان بلاغاً فرديًا، أو بلاغاً جماعيًا(1)، والتي في مجملها تستند إلى الكتاب والسنة، والسيرة المسندة لأئمة العلم والدعوة.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الرسالة العلمية، والتي جاء مخططها لعرض أحوال المدعو في ضوء الكتاب والسنة في النقاط التالية:

التعريف بمفردات البحث .

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.

الدراسات السابقة.

المشكلة البحثية، وتساؤلات الدراسة.

منهج الدراسة.

تقسيم الدراسة.

شكر وتقدير.

---

(1) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد (مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٤هـ) ص ٧.

أولاً . التعريف بمفردات البحث:

أحوال المدعو:

أعني بأحوال المدعو هنا ما عليه حال الإنسان من خير، أو شر، مما هو ذو تأثير على أمر الدعوة، سواء ما يتعلق بالداعي، أو الموضوع، أو الوسيلة والأسلوب، ويفهم من معناها التحول وعدم الاستقرار[١]، وتمثل هذه الأحوال في مجملها ما يقوم عليه واقع المدعو في شتى جوانبه المتعلقة بطبيعته، وحاجته للدعوة، وموقفه منها، وهي جوانب لابد أن تسترعي نظر الداعية وسمعه .. وتستدعي الالتفات منه والإصغاء[٢] .. لما تتطلبه من مراعاة انطلاقاً من الإشفاق على المدعو والحرص عليه[٣] حرصاً يتجاوز مجرد تمني الخير له إلى البصيرة الملازمة لهذا الحرص، إذ هي علمٌ على المصطفى ﷺ، ولازمة من لوازم الدعاة من بعده، قال الله تعالى: +قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ"[٤].

ثانياً . أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إن الدعوة إلى الله ﷻ من أَجلِّ الطاعات وألْزم الفرائض، وهي مهمة الرسل عليهم السلام، إذ أفرغوا فيها وسعهم، فهذا نوح عليه السلام الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يقول لربه جلَّ في علاه كما ذكره الله

---

(١) انظر لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة حول.

(٢) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، مادة رعا.

(٣) والداعية في ذلك متأسٍ بسيد الدعاة ﷺ، قال الله تعالى + لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾" [سورة التوبة، آية ١٢٨].

وكان أن وضح ذلك رسول الله ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه « مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها، جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن، ويغلبنه فيقتحمن فيها، فذلك مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار: هلم عن النار، هلم عن النار فتغلبوني فتقتحمون فيها »... حديث صحيح، رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي (رقم ٦٤٨٣) ومسلم، كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته (رقم ٢٢٨٤).

(٤) سورة يوسف، آية ١٠٨.

ﮋ +إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا"[1]، +ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾"[2]، وكان الاضطلاع بهذه الدعوة حظية رفيعة وكسبًا ثمينًا، ناله العلماء ميراثاً من مشكاة النبوة « .. **وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر** .. »[3]، وجلي أن ذلك يقتضي مراعاة ما قامت عليه طبيعة الإنسان ونزعته، نشداناً لمداخل التأثير فيه، فالإنسان ليس عقلاً فحسب، بل إنه روح ومادة وعقل، قال الله تعالى: +إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾"[4] .

إن من سمات الكمال في المنهج الدعوي كونه قادراً على استيعاب سائر الأمور، التي من سمتها التغير، وعدم الاستقرار، كما أنه قادر على احتواء كل المتغيرات التي تعتري ما يباشره الإنسان من تفكير، وقول، وعمل: إن كان على مستوى الفرد، أو على مستوى الجماعة، وهو بذلك يتعامل مباشرة مع سائر أحواله، إذ فيه لكل ثابت وطارئ ـ من أمور الدعوة ـ إفاضة رحبة لتناولها ومعالجتها.

والمتأمل في مجال الدعوة إلى الله يجده من أبرز، وأظهر المجالات، التي تتأثر بأحوال المدعو – بلا تغير في أصولها – وتؤثر فيه لإصلاحه، والمتأمل في واقع الدعوة يلحظ بعض الإشكالات التي تنتاب الممارسين لها، والمتعاملين معها، حيث طفقت شرائح عديدة – في أكثر المجتمعات – في مباشرة الدعوة بمعزل عن التفاعل مع المدعو، وأحواله وعدم دراستها على ضوء الهدي الدعوي الصحيح، واختيار الموائم لها، ونحن إذا تأملنا في العنصر الرئيس (المدعو) الذي قامت العملية الدعوية من أجله، وجدنا أن له أحوالاً خاصة يتأثر بها، وهذه الأحوال تتطلب ما يناسبها من إجراء دعوي نجد ضوابطه ـ حتماً ـ مبينة في القرآن العظيم وهدي الرسول ﷺ.

---

(١) سورة نوح آية ٥.

(٢) سورة نوح الآيتان ٨، ٩.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ٤٨/٥. (رقم ٢٦٨٢) وأبو داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (رقم ٣٦٤١) وابن ماجه، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (رقم ٢٢٣) والدارمي، المقدمة، باب في فضل العلم والعلماء (رقم ٣٦٢).

(٤) سورة ص، الآيتان ٧١، ٧٢.

إن ظروف المدعو منذ زمن الرسول ﷺ وحتى يومنا هذا هي في تغير مستمر مما يقتضي تعديلاً في طريقة التناول وأسلوب التعامل تبعاً لتغير الأحوال والظروف واختلافها، فالقضية إذاً هي معرفة أن أحوال المدعو تتغير باطّراد، وهذا التغير يتطلب من الداعية تغييراً في منهج الطرح وزاوية التناول، وها نحن نرى كثيراً من السلبيات والآثار العكسية ناتجة عن عدم ترسم ذلك، والانتباه له، فكل دعوة تبغي التغيير والإصلاح – لاتحترم خاصية الإسلام في مراعاته لأحوال المدعوين – هي حركة محكوم عليها بالفشل، مهما جندت من إمكانات وطاقات، فعدم الاهتمام بحركة الحياة وأحوالها لدى المسلمين كان من أسباب تخلفهم، وخلو الجو لأعدائهم للنيل منهم، لأن معرفة ذلك على حقيقته من سبل التعامل مع المدعوين وفق منهج صحيح، يراعي أحوالهم سعياً لإصلاحها وتعديلها، وبتحقيق ذلك نال سلف هذه الأمة احترام الصغير والكبير.

وإذا كانت مراعاة أحوال المدعو في الدعوة إلى الله أمراً يستمر عبر العصور بحكم الحاجة إليه، فإننا في هذا العصر أشد حاجة إليه من أي عصر آخر في ظل صحوة المسلمين، وفورة شبابهم في مضمار العودة للالتزام، حيث بات ذلك يشكل واقعاً معقداً، يجب أن يكون منطلقاً لتربية الجيل المسلم، ومساعدته على حل مشكلاته، مع عدم التحليق به في عوالم مثالية، حتى لا يكون منبتاً عن واقعه بصورة لم نرها في الهدي الدعوي للرسول ﷺ، حيث كان عليه الصلاة والسلام أبعد مايكون عما يتعارض مع ماجبل عليه المسلم، باعتباره إنساناً له قدرات محدودة، وأحوال خاصة لا يستطيع تجاوزها فيما يوكل إليه من مهام ووظائف، وهذا ماسميناه بأحوال المدعو.

ولقد كانت وقفة الرسول ﷺ واضحة ـ في ذلك ـ إزاء الثلاثة الذين قرروا إلزام أنفسهم بما لم يأت به الدين: من إحياء الليل كله بالصلاة، ومواصلة الصوم، وعدم الزواج، حيث خاطب أمته إثر ذلك مبيناً أنه في صلته مع ربه على غير ماعزم عليه أولئك النفر من الصحابة رضوان الله عليهم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر؟! قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله

ﷺ فقال: «**إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١).

إن في ذلك مراعاة واضحة لما تسمح به أحوال أولئك، تبدت في حرص الرسول ﷺ على إظهار شرائع الدين وتعاليمه، كما يجب أن يقوم بها المسلمون، وفق القدرة والاستطاعة، فعن أبي هريرة عبدالرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مانهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم** »(٢).

إن عدم مراعاة أحوال المدعو ـ أثناء القيام بالدعوة ـ سبب أكيد للخلافات المريرة، التي لا تزال الأمة تعاني منها، وإن الحاجة لتلمس الهدي الدعوي للإسلام في التعامل مع أحوال المدعوين، يقوم في مجمله على معرفة هذه الأحوال، والانتباه لها، وبات ذلك أمراً لازماً، لتوارد دواعيه وأسبابه، وفي مقدمة ذلك:

١. الحاجة إلى إظهار أهمية أحوال المدعو، وإبرازها، ومعرفة أبعادها من خلال الكتاب والسنة، وذلك مطلب يقتضيه حرص الداعية على المدعو، وبصيرته بأحواله، بل إن(فقه المسلم لواقعه من لوازم لا إله إلا الله...) (٣)، ففي ذلك السبيل للتعايش مع هذا الواقع، لمعرفة كيفية التأثير فيه وتصحيحه.

٢. تحديد المنهج الصحيح للتعامل مع الثوابت، والمتغيرات، باعتبارها المحور الذي تدور عليه مناشط الدعوة أثناء مراعاتها لأحوال المدعو، واضعين في الاعتبار أن ضمن ذلك قضايا لا تخضع للمتغيرات، فهي من الثوابت، وقضايا أخرى يسري عليها ذلك، ولكن بنسب متفاوتة، حيث الثبات في جوهرها، والتغيير في شكلها.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (رقم ٥٠٦٣) ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه... (رقم ١٤٠١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (رقم ٧٢٨٨) ومسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر (رقم ١٣٣٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (مكتبة الأوس، المدينة المنورة، الطبعة بدون) (٥٤٢/٧).

٣. اتساع رقعة الدعوة، وتعدد ميادينها، وتشعب مجالاتها، وتقارب فئات العالم المختلفة، وشدة التفاعل بين ثقافاتها وبيئاتها.

٤. كثرة، وتفاقم السلبيات المترتبة على عدم الانتباه لأحوال المدعوين، ومراعاتها أثناء التعامل معهم ودعوتهم .

٥. إن المستقبل لهذا الدين، وسيكتنف ذلك أحوال متغيرة. تنتاب الناس في كل شؤونهم. لابد أن الإسلام قد احتواها بتعاليمه، وعلى الدعاة مراعاة ذلك.

٦. على الرغم من ذلك فإن طرق ذلك الموضوع المهم شحيح لم أجده -حسب علمي- مفرداً أو مضمناً في رسالة علمية، أو كتاب مطبوع، عدا بعض الإشارات في ثنايا بعض الكتب أو الدوريات .

٧ . إن الدعوة إلى الله عملية ذات طرفين: أحد طرفيها الداعي، والطرف الآخر المدعو. ولا يصح تجاهل أحد الطرفين في غمرة الاهتمام بالجانب الآخر، وكثيراً مايتم التركيز على الداعي إلى الله في غفلة عن حال المدعو، فلا يتم للداعي مايريد .

ومن ثم تقدمت بتلك الدراسة، والله الموفق.

ثالثاً – الدراسات السابقة:

أسفر مسح الباحث للعديد من الدراسات السابقة القريبة من موضوع هذه الدراسة عن قلتها، سواء من حيث الكم، أو من حيث عمق المعالجة، وسبر الفكرة[1]، ويمكن عرض هذه الدراسات وبيان أوجه الاستفادة منها وفق مايلي:

أولاً . الكتابات التي تناولت ذلك ضمن حديثها عن خصائص الدين الإسلامي، وذهبت تبين مظاهر مراعاة الإسلام لواقع الناس وأحوالهم بشواهد، تدل على أن الإسلام دين واقعي، لم يغفل ما يقوم عليه واقع الحياة، وأحوال الناس من معطيات، تكفل مصلحة الإنسان، وراحته في الدنيا والآخرة، وهي

---

(١) مما قام به الباحث من جهد في هذا الصدد مايلي:

أ . الرجوع إلى الرسائل والبحوث العلمية المقدمة إلى أقسام الدعوة في كل من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، والمدينة المنورة، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

ب . الرجوع إلى موجودات المؤسسات العلمية المعنية بالبحث العلمي من الرسائل العلمية والأبحاث والكتب ذات الصلة بموضوع البحث أو القريبة من بعض جزيئاته حيث تم تتبع ذلك لدى: المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومكتبة جامعة الملك سعود، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ج . الرجوع إلى عدد من المكتبات الخاصة والمكتبات التجارية ودور النشر الكبيرة.

د . الرجوع إلى بعض المجلات والدوريات المتخصصة للوقوف على بعض الدراسات والأبحاث المنشورة فيها، حيث تم الاطلاع على:

. الأعداد الصادرة من مجلة (هذه سبيلي) التي أصدرها قسم الدعوة بكلية الدعوة والإعلام (المعهد العالي للدعوة الإسلامية سابقاً) بجامعة الإمام محمدبن سعود الإسلامية.

. قرابة عشرين عدداً من مجلة (الأزهر) بمصر.

. قرابة عشرين عدداً من مجلة (الأمة) بقطر.

. قرابة خمسة عشر عدداً من (المجلة العربية) بالسعودية.

. قرابة عشرة أعداد من مجلة (المنهل) بالسعودية.

. قرابة عشرة أعداد من مجلة (دعوة الحق) بالمغرب.

. قرابة خمسة وعشرين عدداً من مجلة (الفيصل) بالسعودية.

. قرابة عشرة أعداد من مجلة (الوعي الإسلامي) الإماراتية.

. بعض الأعداد من حولية (كلية الدعوة الإسلامية) بمصر، ومجلة (رسالة الإسلام) بمصر، ومجلة (المجتمع) الكويتية، ومجلة (الدعوة) السعودية، ومجلة (الدعوة) المصرية، ومجلة (نهج الإسلام).

كتابات كثيرة في ثناياها فصل، أو مبحث ضمن كتاب يتحدث عن ذلك، أو في بعض الدوريات ضمن مبحث أو مقال[1].

ثانياً . الكتابات التي تناولت مراعاة أحوال المدعو – باعتبارها مزية يحملها دعاة الإسلام أثناء قيامهم بالدعوة إلى الله تعالى – قد عدت ذلك مطلباً لازماً، لاستمرار النشاط الدعوي ونجاحه في التأثير على المدعوين، وإقناعهم، ويمكن تناول ذلك على النحو التالي:

---

(١) تم تناول ذلك في كثير من الكتابات تحت مصطلح شاع استخدامه في الدراسات المعاصرة، وهو مصطلح (الواقعية)، ولم يجد الباحث فيما بذله في تقصي المراجع ذات الصلة بهذا الموضوع (واقعية الدين الإسلامي) دراسة مستقلة... ضمن رسالة علمية أو كتاب، وما جاء من ذلك مما عثر عليه الباحث فهو في كتاب ضمن فصل أو مبحث، أو في دورية ضمن مقال على النحو التالي:

أولاً: الكتب

. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، (الاتحاد الإسلامي العالمي، الكويت، ١٣٩٨هـ).

. مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة، عابد توفيق الهاشمي، (دار الفرقان، عمان، ١٤٠٢هـ).

. الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، (دار المعرفة، الدار البيضاء، ١٣٩٧هـ).

. الإسلام والبيئة، عبدالواحد إسماعيل القاضي، (دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٩١م).

. الإسلام وبناء المجتمع الفاضل، د. يوسف عبد الهادي الشال، (بدون، مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٧٢م).

. الدين والمجتمع، د. أحمد الشرباصي، (المطبعة العربية، القاهرة، ١٩٧٠ م).

. الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوي، (دار العربية، بيروت، ، ط٢).

. أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، (جمعية الأماني، بغداد، ١٣٩٦هـ).

ثانياً: الدوريات

. (الشريعة الإسلامية مثالية وواقعية معاً) مقال منشور بمجلة العربي، علي الخفيف، الكويت، العدد ١٠٣، ١٣٨٧هـ، ص٦٢.

. (الإسلام بين المثالية والواقعية) مقال بمجلة رسالة الإسلام، محمد البهي، مصر، العدد ٢، ١٣٧٤هـ، ص ١٧٠.

. (الواقعية في الفكر الإسلامي)، مقال بمجلة دعوة الحق، المغرب، أحمد الكتاني، العدد ٢٧٤، ١٩٨٩م، ص١٨.

. (بين المثالية والواقعية)، مقال بمجلة المسلمون، د. محمد نظام الدين، العدد ٢، ١٣٧٤هـ،ص ٣٦.

. (المثالية الواقعية في الفكرة الدينية) مقال بمجلة الأزهر، محمد فتحي عثمان ،العدد ١٠، ١٣٧٣هـ،ص١١٤٠.

. (الفقه الإسلامي بين المثالية والواقعية) مقال بمجلة الإزهر، د. محمد مصطفى شلبي ،العدد ٦، ١٣٩٨هـ ص١٢١٢.

. (الخلقية والواقعية من خصائص الفقه الإسلامي)مجلة نهج الإسلام، د. محمد إبراهيم سلقيني ،العدد١٤٠٨هـ،ص٥٠.

. (دور الفكر الواقعي في النهضة الإسلامية) مجلة الدعوة الإسلامية، عبد المجيد النجار العدد ٢، ١٣٩٥هـ، ص٥٠.

أ . ماورد من ذلك في مباحث ضمن بعض الدراسات العلمية تحت عناوين مختلفة ... وأسفر البحث عن وجود ذلك ضمن رسالتين علميتين:

١ . (منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله) [١]، اشتملت على أربعة أبواب، جاء الباب الأول بعنوان (خصائص منهج ابن تيمية في الدعوة)، وضمن الفصلين الرابع والخامس منه جاءت بعض الإشارات إلى بعض جزئيات هذه الدراسة، ففي الفصل الرابع بعنوان: الموضوعية في منهج ابن تيمية .. جاء المبحث الثالث منه تحت عنوان: النظرة الواقعية للإنسان .. وتعرض فيه إلى تكوين الإنسان، وحاجته إلى الترويح، والجمال، والاستجمام، وبين الفروق الفردية بين الأفراد، وما يترتب على ذلك من تحديد منهج الدعوة واختيار بعض الأساليب المناسبة للمدعوين، وفي المبحثين الرابع والخامس من هذا الفصل أشار الباحث إلى اعتبار ظرف الزمان والمكان، وتقدير المصلحة والحاجة والضرورة .

أما الفصل الخامس من نفس الباب فجاء بعنوان: معرفة ابن تيمية لثقافة عصره... وانتظم مبحثين أشار في الأول إلى إلمام ابن تيمية بعلوم، ومعارف عصره، وفي الثاني إلى معرفته بالواقع الاجتماعي، والاقتصادي لمجتمعه ... وبهذا تكون المادة العلمية المتعلقة ببعض جزئيات مراعاة واقع المدعو في هذه الرسالة في الفصلين الرابع والخامس ضمن المباحث الخمسة في الفصل الرابع، وفي بعض فقرات مبحثي الفصل الخامس، وكلا الفصلين في الباب الأول من هذه الرسالة، وجاء الحديث فيها عن هذه الجوانب دائراً على اعتبارها من سمات منهج ابن تيمية في الدعوة.. دون التفصيل فيها باعتبارها من لوازم العمل الدعوي، وبيان أصولها وضوابطها بشكل يفاد منه في هذه الدراسة، باستثناء ما رصده الباحث من شواهد في حياة ابن تيمية . رحمه الله . يفاد منها في تلمس منهج هذا العلم من أعلام الدعوة على بعض الجوانب التي ستطرح ضمن هذه الرسالة بإذن الله .

٢ . (الوسطية في الإسلام، مفهومها وضوابطها وتطبيقاتها)[٢]، جاءت في بابين: في الأول منهما تناول الباحث مفهوم الوسطية وضوابطها ومظاهرها ومميزاتها، وناقش هذه الأمور في ثلاثة فصول، أورد

---

(١) دراسة مقدمة من عبدالله بن رشيد الحوشاني، لنيل درجة الدكتوراة في قسم الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٤١٣ هـ، مطبوعة.

(٢) دراسة مقدمة من فريد محمد هادي يوسف، لنيل درجة الماجستير في قسم الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة

الباحث الواقعية في معرض بيانه لمميزات الوسطية في الفصل الثالث منها، حيث ذكر ثماني مزايا للوسطية، كانت الواقعية الأخيرة منها في إشارات . في ثمان صفحات . تدور حول أن الوسطية الإسلامية تتعامل مع كل شيء وفق طبيعته، وحقيقته المتكاملة، بما في ذلك الإنسان الذي تتعامل معه، وفق طبيعته وفطرته التي فطر عليها.. مبيناً أن الوسطية تعي ذلك، وتدرك متطلباته في السعي للارتقاء بالإنسان، وتحسين واقعه.

ب . ما ورد من ذلك في الكم العلمي، سواء في الكتب، أو الدوريات، وحاز الباحث في هذا الصدد على ما يلي:

١ . كتاب (فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً)(١)، وقد تضمن عشرة فصول، كان الثاني منها بعنوان: أثر المكان والزمان على الدعوة... واشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثرهما من الناحية الاجتماعية .

المبحث الثاني: أثر الزمان والمكان من حيث الموقع والمناخ .

المبحث الثالث: تمييز الأعراف، وأثرها في التغيير الاجتماعي. والفصل الثالث بعنوان: تنوع البيئة وأثرها في الدعوة ... وتناول في الفصول الباقية من الرابع إلى العاشر بعض ميادين الدعوة باعتبارها من الأماكن التي تؤثر في الدعوة، وتحدد أسلوبها مثل: المسجد، والسجن، والأندية الثقافية والرياضية والجيش.. الخ، وبهذا فالكتاب يتناول المكان الذي يمكن أن تنتشر فيه الدعوة إلى الله، وكيف يستطيع الداعية أن يعالج دعوته في كل نوع من أنواع الأمكنة، وكيف يسير بها في كل زمان يحتوي هذا المكان، إضافة إلى تناوله أثر البيئة، والزمان على المدعوين، وبيان أثر تنوع ثقافات الناس، ومايطرأ عليهم من صوارف الدهر.

٢ . كتاب الإحكام بين مراحل العمل في دعوة النبي ﷺ (٢) تناول المؤلف بعض جوانب هذه الدراسة في الفصل الثاني تحت عنوان: معرفة الواقع والتعامل معه .. في ست عشرة صفحة احتوت ثلاثة مباحث:

١٤١٠، ١٤١١هـ، غير منشورة.

(١) فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً، د. محمد زين الهادي العرماني، (دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٩هـ).

(٢) الإحكام بين مراحل العمل الدعوي في دعوة النبي ﷺ، د. يوسف محيي الدين أبو هلالة، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١١هـ).

الأول: مراعاة ظرف الزمان .. أشار فيه إلى أهمية المبادرة وكسب الوقت، وعدم التواني في أداء العمل الدعوي .

الثاني: مراعاة ظرف المكان .. بين فيه أن ذلك يتيح للدعوة الظرف الملائم للانطلاق، وعدم مراعاته قد يؤدي إلى إيجاد ظرف غير مناسب يحد من مجالاتها، مركزاً على عدم ربط الداعية نشاطه بمكان معين، طالما أن ظرفه يحول دون الأداء المطلوب.

الثالث: مراعاة أحوال الناس .. أشار فيه إلى أن التعرف على المجتمع في عاداته، وتقاليده جزء من وظيفة الداعية، لكي يبني على ذلك جهده في الدعوة.

٣ . مقال بعنوان: الالتزام بالواقعية في العمل الإسلامي[١]... انطلق كاتبه من كون الواقعية من أهم خصائص الإسلام: عقيدةً وفكراً وشريعةً، وطفق يبين ضمن إشارات عامة –تقتضيها طبيعة المقال الصحفي– بعض معالم الواقعية في الإسلام، وما تقتضيه من مراعاة للواقع أثناء العمل الدعوي.

ثالثاً: الكتابات التي عرضت لشيء من أحوال المدعو، ولكنها عرضت لذلك ضمن سياقها لموضوعات دعوية أخرى، وبمسح ما طالته يد الباحث من ذلك، تبين أن جلَّ ما أوردته منحصر في بعض التقسيمات لأصناف المدعوين دون تفصيل لأحوال هذه الأصناف[٢].

. وبتأمل ما سبق نجد أوجه الاستفادة من هذه الدراسات، والكم العلمي سوف يعين الباحث –بعد عون الله– في تناول بعض قضايا بحثه، على هذا النحو:

١. الوقوف على بعض أحوال المدعو، التي أخذت نصيباً من عناية المتخصصين في الدعوة والمهتمين بها.

---

(١) الالتزام بالواقعية في العمل الإسلامي، مقال منشور بمجلة الأمة القطرية، محمد الصالح عزيز، العدد (٥٩)، ص٥٤، ٥٥.

(٢) اقتصرت هذه الكتابات على ذكر أصناف للمدعوين مثل أصناف المسلمين والكافرين والمنافقين، إضافة إلى بعض التقسيمات القائمة على الطبقة الاجتماعية والمستوى الاقتصادي... انظر ذلك . على سبيل المثال . في:

. معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، عبد الوهاب بن لطف الديلمي، (دار المجتمع، جدة، ١٤٠٦ هـ) ص٦٤١.

. المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ هـ) ص ١٧٢.

. أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، (جمعية الأماني، بغداد، ١٣٩٦ هـ) ص ٣٦٦.

٢ . تحديد مفهوم مراعاة الدين الإسلامي لأحوال المدعو .

٣ . الوقوف على كثير من معالم ذلك في العقيدة والشريعة والأخلاق .

٤. على الرغم من ضلوع معرفة أحوال المدعو في صلب عمل الداعية وجهده، وتنوع وغنى مصادره وكونه بين يدي تراث علمي عظيم، إلا أن تناوله في دراسة علمية مستقلة، أو إيفاءه حقه من الجهد العلمي – وفق المناهج البحثية الملائمة ضمن الدراسات التي تناولته –لم يكن بالقدر الكافي، الذي يجمع شتاته، ويلم أطرافه، وينسق قضاياه تحديداً لملامحه، وبياناً لأصوله وضوابطه.

وعليه فإن الإضافات العلمية لهذه الرسالة، وملامح الجدة فيها ماثلة –بإذن الله– في تحديد أحوال المدعو المختلفة المتعلقة بطبيعته، وحاجاته، ومواقفه المؤثرة في الدعوة، وبيان المنهج الدعوي الذي يتعامل به الدعاة مع هذه الأحوال، مراعاة لها، سعياً لإنقاذ المدعو وإسعاده، وتحديد الضوابط الملازمة لتلك المراعاة، لتبقى في مسارها الصحيح على ضوء ماجاء في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وذلك وفق فهم الصحابة – رضوان الله عليهم — والتابعين، وتابعيهم من السلف الصالح، ومن سار على هديهم من كبار الدعاة في حقب التاريخ المختلفة.

رابعاً: المشكلة البحثية وتساؤلات الدراسة:

إن بوادر مشكلة البحث هنا تلوح في تحديد، ومعرفة أحوال المدعو المؤثرة في العمل الدعوي، باعتباره الطرف الذي قام جهد الدعاة من أجله، والانتباه لهذه الأحوال أثناء هذا الجهد: إيفاءً بحاجاتها، ومتطلباتها، انطلاقاً من أصول الدعوة وضوابطها.

لقد كان إيفاء ذلك حقه منوالاً للدين الإسلامي. ووضع له الضوابط التي تضمن الانتباه لمصالح الناس، وشؤونهم انطلاقاً من معرفة أحوالهم، بيد أن كثيراً من أخطاء الدعاة، وإخفاقاتهم استشرفها الناس، وألفوها في كثير من حقب التاريخ، ومازالت تترى حتى عصرنا الحاضر، وبات الجهد الدعوي وما ينفق عليه من وقت ومال غير مجد في أحيان كثيرة، بل إن هذا الجهد يصير في بعض مواقفه سبباً لنفرة المدعو، وزيادة مقدار الخلاف معه.

إن التعامل مع الإنسان دون فهم لفطرته، وما جبل عليه، ودون مراعاة لأحواله، أو حمله على مايعجز دونه كفيل بإهدار جهد الدعاة، وليس أصحاب دعوة الحق بمعزل عن ذلك إذا هم لم يعرفوا

أحوال المدعوين، وينتبهوا لها،وحيث إن معرفة ذلك، واعتباره – أثناء العمل الدعوي – مطلباً لازماً، يقوم عليه الجهد المثمر للداعية .. فإنه يمكن القول بأن مشكلة هذه الدراسة تكمن في: (معرفة أحوال المدعو المؤثرة في الجهد الدعوي، والمتعلقة بمعتقده، وذاته، ومجتمعه، وتحديد الضوابط الملازمة لهذا الجهد أثناء مراعاته لهذه الأحوال، وتلمس النتائج المترتبة على ذلك).

وتتضح في الإجابة على التساؤلات الآتية:

ما المراد بأحوال المدعو التي ينبغي أن تُراعى أثناء الدعوة إلى الله تعالى ؟

ماأهمية البصيرة بأحوال المدعو، ومامدى الحاجة إلى معرفتها ؟

ما الصلة بين معرفة أحوال المدعو ومراعاتها، وميزة الجمع بين المرونة والثبات في الشريعة الإسلامية ؟

ماأهمية المدعو في أركان الدعوة، وما صلته بها ؟

مامكانة المدعو باعتبار ذاته ؟

مامكانة المدعو باعتباره المخاطب بالدعوة ؟

ما أصناف المدعو باعتبار معتقده ؟

ما أصناف المدعو باعتبار ذاته ؟

ما أصناف المدعو باعتبار مجتمعه ؟

ماضوابط مراعاة أحوال المدعو المتعلقة بالموضوع ؟

ماضوابط مراعاة أحوال المدعو المتعلقة بالمنهج ؟

ما فوائد مراعاة أحوال المدعو ؟

ما مضار التقصير في مراعاة أحوال المدعو ؟

خامساً: منهج الدراسة:

انطلاقاً من كون هذا البحث يسعى إلى تحديد أحوال المدعوين المؤثرة في الدعوة إلى الله تعالى: كالتعرف على حاجاتهم، وبيان مكانها في خريطة واقعهم، وتفاوتها فيما بين أصنافهم، وتحديد العوامل المؤثرة في تكوين هذه الأحوال، وبالتالي معرفة المنهج الصحيح الذي يراعي هذه الأحوال أثناء الدعوة إلى

الله تعالى، وتحديد الجهد الدعوي الملائم ... ، انطلاقاً من ذلك فإن هذا البحث يُعد من البحوث الوصفية، التي تستهدف تصوير، وتحديد سمات، وصفات وخصائص ظاهرة معينة، أو موقف معين: تحديداً كيفيًّا، وبهدف الحصول على معلومات كافية ودقيقة عنها، تمهيداً للتأمل فيها، للخروج بالنتائج المتوخاة لخدمة أهداف هذه الدراسة[١]، وفي سبيل ذلك فقد عمد الباحث – بتوفيق الله تعالى- إلى المناهج التالية:

١ . المنهج الاستقرائي .. وهو من المناهج الأساسية في البحوث الوصفية .. وتعتمد الطريقة الاستقرائية على تجميع البيانات، والحقائق الجارية عن موقف معين ..[٢]، وسيمثُل ذلك في هذه الدراسة أثناء التعامل مع المصادر الأصلية لمراعاة أحوال المدعو: وهي القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وفق فهم الصحابة، وتابعيهم رضوان الله عليهم.

٢ . المنهج التاريخي أو الاستردادي.. واستخدام الباحث لهذا المنهج ليس لغرض التأريخ، وإنما لجمع البيانات والمعلومات.. وتحديد المبادئ والقواعد عن طريق البحث في أحداث التاريخ الماضية.. ونحن برجوعنا إلى التاريخ.. نحاول تحديد الظروف التي أحاطت بجماعة.. أو ظاهرة لمعرفة طبيعتها وما تخضع له..[٣]، مما يتعلق بموضوع هذا البحث تمهيداً لترتيب هذه المعلومات، وإعادة تصنيفها، سعياً لاستنباط ما يتعلق بهذا الموضوع من حقائق ودلالات، وهذا يمثل منهجاً آخر تحتاجه هذه الدراسة، وهو:

---

(١) أفاد الباحث في ذلك من:

. أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر، (وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٤م)، ص٣٠.

. مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، د. صلاح مصطفى الفوال، (مكتبة غريب، القاهرة، بدون) ص ٣٥ وما بعدها.

. أصول البحث الاجتماعي، د. عبدالباسط محمد حسن، (مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٥هـ)، ص١٩٨ ومابعدها.

(٢) انظر البحث العلمي، صياغة جديدة، د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، (دار الشروق، جدة، ١٤١٢هـ) ص٦٤، وانظر أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر، مرجع سابق، ص٢٩٩.

(٣) أصول البحث الاجتماعي، د. عبدالباسط محمد حسن،مرجع سابق، ص٢٦٨ ومابعدها، وانظر البحث العلمي مفهومه، أدواته، أساليبه، د. ذوقان عبيدات وزميليه (دار الفكر للنشر، عمان، ١٩٨٨م) ص١٨٣.

٣ . المنهج الاستنباطي ... ويتم من خلاله التأمل فيما توافر للباحث من نصوص، وشواهد، تتصل بموضوع بحثه، ويقوم ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي ... بهدف استخراج مبادئ معينة مدعمة بالأدلة الواضحة(١).

وفي هذا السياق - ولتحديد المناهج المستخدمة - نوضح المراد من بعض المصطلحات الواردة في تقسيم الدراسة:

مصطلح (السلف الصالح): المُراد بهم أصحاب القرون الأولى المفضلة، الذين أخبر عنهم الرسول ﷺ فيما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»(٢) . وفي تحديد من يشمله ذلك من أمة محمد ﷺ أكثر من قول، إلاّ أن تعيينهم بالصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين هو الأظهر، لدى أكثر أهل العلم(٣)، وفي ذلك موافقة لمنهج هذه الدراسة في التثبت من صحة ما تصدر عنه حين تقريرها، لما تعرض له من قضايا ومسائل.

مصطلح (المنهج): يُراد به الطريق الواضح البين(٤)، وهو كذلك حين يرد ذكره في هذه الدراسة، حيث يُعبر به عن طريقة الدعوة وأسلوبها.

نتائج مراعاة أحوال المدعو في الدعوة إلى الله تعالى: تلمس لفوائد تطبيق ضوابط مراعاة هذه الأحوال، أو مضار التقصير في مراعاتها، ولأن الصحة، والخطأ سمة في هذه النتائج باعتبارها مظاهر لجهد بشري أثناء القيام بالدعوة في حضور، أو غياب ضوابط المراعاة، فإن تحديد هذه النتائج سيكون -بعون الله- من خلال التأمل في الممارسات الدعوية في العصور المختلفة بعد عصر النبي ﷺ، باعتبار أن البحث تضمن في أبوابه الثلاثة الأولى الدراسة التأصيلية من الكتاب والسنة، وفي هذا الباب دراسة للممارسات

---

(١) المرشد في كتابة الأبحاث، د. حلمي فودة و د. عبدالرحمن صالح، (دار الشروق، جدة ، ١٤١١هـ) ص٤٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد (رقم ٢٦٥٢) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رضي الله عنهم.. (رقم ٢٥٣٣).

(٣) انظر بسط ذلك في فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ) ٢٥٩/٥-٢٦١.

(٤) انظر المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، مادة (نهج).

الصائبة، والخاطئة بعد عصر انقطاع الوحي، ومحاولة الاستفادة من الصواب، والخطأ فيها، ثم تأكيد هذه النتائج بما تم إثباته من ضوابط مراعاة أحوال المدعو.

سادساً: تقسيم الدراسة:

(أحوال المدعو في ضوء الكتاب والسنة)

مقدمة منهجية:

التعريف بمفردات البحث .

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره .
- الدراسات السابقة .
- المشكلة البحثية، وتساؤلات الدراسة .
- منهج الدراسة .
- تقسيم الدراسة .
- مدخل للدراسة:

. المرونة والثبات في الشريعة الإسلامية .

. أركان الدعوة، وأهمية المدعو فيها .

الباب الأول

مكانة المدعو في ضوء الكتاب والسنة

. الفصل الأول: مكانة المدعو باعتبار ذاته .

. الفصل الثاني: مكانة المدعو باعتباره المخاطب بالدعوة .

الباب الثاني

أصناف المدعو في الكتاب والسنة

. الفصل الأول: المدعو باعتبار معتقده.

. الفصل الثاني: المدعو باعتبار ذاته .

. الفصل الثالث: المدعو باعتبار مجتمعه .

الباب الثالث:

ضوابط مراعاة أحوال المدعو في ضوء الكتاب والسنة

. الفصل الأول: الضوابط المتعلقة بالموضوع .

. الفصل الثاني: الضوابط المتعلقة بالمنهج .

الباب الرابع:

نتائج مراعاة أحوال المدعو في الدعوة إلى الله تعالى

. الفصل الأول: فوائد مراعاة أحوال المدعو .

. الفصل الثاني: مضار التقصير في مراعاة أحوال المدعو .

الخاتمة .

الفهارس .

سابعاً: شكر وتقدير:

وقبل الفراغ من هذا التقديم أشكر الله ﷻ على نعمه الكثيرة، ومنها: نعمة تيسير إنهاء هذا البحث، وأئذنوا لي أن أتقدم بشكري الجزيل لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة بقسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام بالرياض، حيث أتاحت لي فرصة بحث ودراسة هذا الموضوع المهم في جنباتها، وأسوق الشكر لمن تعاقب على عمادة الكلية ووكلائها للبحث العلمي والدراسات العليا ورئاسة قسم الدعوة والاحتساب، فقد أحاطني كل أولئك بالرعاية والعناية التي يسرت لي عملي في هذه الرسالة.

وأخص بجزيل الشكر، ووافر العرفان، المشرف على الرسالة، معالي الشيخ الأستاذ الدكتور عبدالله بن محمد المطلق، عضو هيئة كبار العلماء، والأستاذ بالمعهد العالي للقضاء، ورئيس قسم الفقه وقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام سابقاً، الذي غمرني بفضله، ووسعني بحسن خلقه وسعة حلمه، وفتح لي قلبه ومكتبه وداره العامرة، وأغدق عليّ من وقته، وعلمه، وأحاطني باهتمامه، ورعايته، طيلة فترة البحث، على الرغم من كثرة مشاغله، فجزاه الله عني خير الجزاء، وزاده من فضله، ومتّعه بالصحة والعافية على حسن طاعة، واستمرار نفع للمسلمين.

كما أسوق الشكر وافراً لأستاذي الكريمين الأستاذ الدكتور حسين مجد خطاب والأستاذ الدكتور حمد بن ناصر العمار الأستاذين بقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام، الذي تفضلا بالانضمام للجنة

مناقشة هذه الرسالة، ومنحاها من الوقت ماتطلبته لقرائتها تمهيداً لمناقشتهما، كما أن الباحث أستفاد كثيراً منهما في فترة إعداده لخطتها العلمية ثم في فترات العمل بها إلى إنهائها.

وأزجي الشكر خالصاً إلى والديّ الفاضلين اللذين كانا سبباً –بعد توفيق الله جل وعلا– في تهيئة ماأعانني على إنهاء دراستي، ومعهما في ذلك زوجتي المخلصة وأولادي البررة، وإخوتي النجباء.

كما أشكر كل من مد يد العون لي، ووجهني وأعانني بأي شكل من أشكال العون والمساعدة خلال فترة إعداد هذه الرسالة، سائلاً الله عز وجل أن يجزيهم عني خير الجزاء، وأن يجزل لهم الأجر والمثوبة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أسدى إليَّ نصحاً وتوجيهاً، وبذل لي من وقته وفكره، حيث حظيت بذلك من أساتذتي، وزملائي الكرام، فقدموا لي جميع التسهيلات الممكنة منذ بداية البحث إلى نهايته.

فجزى الله الجميع عني خير الجزاء، وجعل ماقدموه في موازين حسناتهم يوم القيامة، إنه ولي ذلك، والقادر عليه، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد ﷺ وعلى آله، وصحبه، ومن والاه.

مدخل للدراسـة

أولاً: المرونة والثبات في الشريعة الإسلامية

ثانياً: أركان الدعوة وأهمية المدعو فيها

أولاً: المرونة والثبات في الشريعة الإسلامية

- تمهيد.
- المبحث الأول: المراد بالمرونة والثبات في الشريعة الإسلامية.
- المبحث الثاني: مظاهر المرونة والثبات في الشريعة الإسلامية.
- المبحث الثالث: مظاهر المرونة والثبات في الدعوة إلى الله تعالى.

تمهيـد:

لن يكون تركيز على الحديث عن الثبات والمرونة -في هذا المدخل- كونهما من المزايا العامة للإسلام، والخصائص الفريدة التي امتاز بها عما سواه[1]، وإنما سننحى به إلى ما عُقِدت هذه الدراسة لأجله، وهو بيان كيف أن تلك المرونة وهذا الثبات، هما الركيزتان اللتان اتَّكأ عليهما الهدي الدعوي الرزين، في تلمس أحوال المدعوين، وتشخيصها على وجه دقيق، ومن ثم مقابلتها بما تستحقه من المراعاة، أثناء التعامل مع أصحابها.

فالعلاقة جلية -بين الهدي الدعوي للإسلام، وما يقوم عليه من احتفاء بأحوال المدعو ومراعاتها، وبين ما امتاز به الإسلام من مرونة وثبات- بصورة لافتة، تستدعي الحديث عنها وبيان السمات العامة لها.

والمتأمل في أحوال المدعوين لا يجد صعوبة في تمييز التباين بينها، واختلافها فيما بينهم، وعدم ثباتها لدى المدعو نفسه، وتأثرها وتأثيرها بما يحيط به، وعدم ملازمتها لمدعو بعينه، فهي تظهر لديه في حين، وتغيب في حين آخر، هذا التعدد في أحوال المدعو، وعدم ثباتها، اقتضى نظيره من طرق الاتصال بالمدعوين، وكيفيات مخاطبتهم، ولا شك أن ذلك من أظهر ضروب المرونة والثبات في شريعة الإسلام.

فالهدي الدعوي للإسلام اكتسب مزية المراعاة الراشدة لأحوال المدعوين، من هذه المزية الكبرى التي اتسمت بها شريعة الإسلام، في مراعاتها لكل ضروب النشاط الإنساني وهي المرونة والثبات.

وهذا يستدعي أن ننظر إليها في ضوء ما حوته الشريعة الإسلامية من قواعد وأصول تتصل بها.

المبحث الأول

المراد بالمرونة والثبات في الشريعة الإسلامية

---

(١) جاء الحديث عن الثبات والمرونة باعتبارهما من مزايا الإسلام وخصائصه في كثير من الكتب منها: الإسلام مقاصده وخصائصه، د. محمد عقلة. ومصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه، عبدالوهاب خلاف. وعوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي. والتطور والثبات في الشريعة الإسلامية، محمد قطب. وخصائص الشريعة الإسلامية، د. عمر الأشقر. والإسلام بين المثالية والواقع، د. محمد البهي. والخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي. والثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، د. عابد بن محمد السفياني .

المطلب الأول

التعريف اللغوي للمرونة والثبات في الشريعة الإسلامية

المرونة في اللغة:

مَرَنَ يَمْرُن مَرَانَةً ومُرُوْنَةً ومُرُوناً، لان في صلابة، ومَرَّنْتُهُ أَلَنْتُهُ وصَلَّبْتُهُ، ومَرَنَ الشيء مُرُوناً إذا استمر وهو لين في صلابة، ومَرُنَت يد فلان على العمل أي صلبت، واستمرت، والمِرَانَةُ اللين، والتَّمْرِيْن التليين، ورمح مَارِنٌ صلب لين، والمُرَان بالضم الرماح الصلبة اللدنة[1]، ومَرَنَ على الشيء مُرُوناً، ومَرانَةً تَعَوَّدَهُ، واستمر عليه[2].

الثبات في اللغة:

ثَبَتَ الشيء يَثْبِتُ ثَباتاً وثُبوتاً فهو ثابِتٌ وثَبيتٌ وثَبْتٌ، ويقال ثَبَتَ فلان في المكان، فهو ثَابِتٌ إذا أقام به، ورجل ثَبْتُ الغدر إذا كان ثَابِتاً في قتال، أو كلام، وتَثَبَّتَ في الأمر والرأي واسْتَثْبَتَ تأنى فيه ولم يعجل، واسْتَثْبَتَ في أمره إذا شاور وفحص عنه، ورجل ثَبْتٌ أي ثَابِتُ القلب، ورجل ثَبْتُ المقام لا يبرح، والثَّبْتُ والثَّبِيْتُ الفارس الشجاع، والثَّبِيْتُ الثَّابِتُ العقل[3]، ومنه قولهم: قولٌ ثَابِتٌ[4]، وثَابَتَه وأَثْبَتَه عرفه حق المعرفة، وقوله تعالى: +لِيُثْبِتُوكَ" [5] أي: ليَجْرَحوكَ جِراحةً لا تقوم معها، أو ليَحْبِسوكَ، والأَثْبَاتُ الثِّقاتُ، واسْتَثْبَتَ تأنى[6]، ورجل ثَبْت بسكون الباء أي ثَابِت القلب، وتقول لا أحكم بكذا إلا بثَبْتٍ بفتح الباء أي بحجة[7]، وثَبَتَ الشيء يَثْبِتُ ثُبوتاً دام واستقر فهو ثَابِت، وثَبَتَ الأمر صح، والاسم الثَّبَات، وثبت في الحرب فهو ثَبِيْتٌ[8].

الشريعة في اللغة:

الشرعة والشريعة في كلام العرب مشرعة الماء، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس،

---

(١) انظر لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة (مرن). ١٣/٤٠٣، ٤٠٤.

(٢) انظر القاموس المحيط، الفيروز آبادي، باب النون فصل الميم، مادة (مرن)، وانظر مختار الصحاح، الإمام الرازي، مادة (مرن).

(٣) انظر لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة (ثبت).

(٤) انظر الصحاح، الجوهري، مادة (ثبت).

(٥) ضمن قول الله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ﴾ سورة الأنفال، الآية ٣٠.

(٦) انظر القاموس المحيط، الفيروز آبادي، كتاب الباء باب الثاء، مادة (مكن).

(٧) انظر مختار الصحاح، الإمام الرازي، مادة (ثبت).

(٨) انظر المصباح المنير،، مادة (ثبت).

فيشربون منها، ويستقون، والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عِدّاً لا انقطاع له، ويكون ظاهراً مَعِيْناً، الشريعة في الاصطلاح هي: الشريعة والشرعة ما سن الله من الدين وأمر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر، ومنه قوله تعالى: +ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ**"(١)، وقوله تعالى: +**لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ**"(٢)، قيل الشرعة والمنهاج جميعاً الطريق، والطريق هاهنا الدين، وقال ابن عباس: شرعةً ومنهاجاً: سبيلاً وسنة، وقال الفراء في قوله تعالى: +**ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ**" **على دين وملة ومنهاج، وشَرَع فلان إذا أظهر الحق وقمع الباطل، قال الأزهري: معنى شرع بيَّن وأوضح(٣)، والشريعة ما شرع الله تعالى لعباده من الدين(٤)، وسميت بذلك بذلك لوضوحها وظهورها وجمعها شرائع، وشرع الله لنا كذا يشرعه أظهره، وأوضحه(٥)، والشرع نهج الطريق الواضح(٦)، وشرع نهج وأوضح وبين المسالك، وقد شرع لهم شرعاً أي سنّ(٧).**

---

(١) سورة الجاثية، الآية ١٨.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٨.

(٣) انظر لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة (شرع).

(٤) انظر القاموس المحيط، الفيروز آبادي، باب العين فصل الشين، وانظر مختار الصحاح، الإمام الرازي، مادة (شرع).

(٥) انظر المصباح المنير،، مادة (شرع).

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبدالرؤوف المناوي (دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٠هـ) ٤٢٨/٢.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي أبو عبد الله، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني (دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ) ١٠/١٦. وتفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء(دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣هـ) ٤٢٨/٢.

المطلب الثاني

المفهوم الاصطلاحي للمرونة والثبات في الشريعة الإسلامية

من المعاني اللغوية لمادة (مرن) وبعض مشتقاتها، يمكن تلمس أهم سمات المرونة: فهي لا تعني الضعف والسلبية، كما أنها تقوم على الإلمام بالشيء وإتقانه، إذ هي أبعد ما تكون عن الجهل، وقلة الخبرة، وتقتضي الاستمرار على ذلك، والتطور فيه، مع التزامها بمبدأ راسخ، وأصل ثابت، وهي ضمن هذا المفهوم في صورة مُثْلى من الإيجابية.

كما تجتمع المعاني اللغوية للثبات، على دلالات حول إدراك الشيء، وفهمه بصورة راسخة، والاستقرار على ذلك، وملازمته، والحرص عليه، وعدم التخلي عنه، وفي ذلك إشارة إلى قوة الحفاظ على المبدأ، ومدى الالتزام به، وفي الحديث: «..اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد...»[١]، **قال ابن القيم: " والقول الثابت هو القول الحق والصدق، وهو ضد الباطل الكذب، فالقول نوعان: ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له، وأثبت القول كلمة التوحيد ولوازمها**[٢].

والمعنى الاصطلاحي للشريعة جاء بأكثر من استعمال[٣]**، فقد أُطلق على التوحيد**[٤]**، ومن شواهد ذلك ما جاء في قول الله تعالى: +**﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ"[٥].

كما أُطلق على الفروع، وهي ما سوى التوحيد من سائر أحكام الدين، ومن ذلك ما جاء في قول الله تعالى: +لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"[٦]**، فقد ذكر ابن كثير ما يشير إلى ذلك من كون الرسالات السماوية قد اتفقت في توحيد الله تعالى، وكان لكل منها**

---

(١) أخرجه النسائي في سننه، في كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، (٥٤/٣ رقم ١٣٠٢)، والترمذي كتاب الدعوات، باب منه رقم (٣٤٠٧) وضعفة الألباني في ضعيف الجامع رقم (١١٩٠).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، (دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م) ١٧٧/١.

(٣) انظر الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، د. عابد بن محمد السفياني (مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ) ص٥٠-٥٦.

(٤) عمد إلى استخدام هذا المعنى للفظ الشريعة الإمام أبو بكر الآجري، فقد سمى كتابه المشهور في العقيدة (الشريعة).

(٥) سورة الشورى، الآية ١٣.

(٦) سورة المائدة، الآية ٤٨.

ما يخصها من أحكام الدين، وحدوده، وفرائضه، وهي التي طالها التغيير، والنسخ بخلاف التوحيد فهو ثابت لم يتغير(١)**، ويدل على ذلك قول الرسول ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ:** « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أخوة لعلات(٢) أمهاتهم شتى ودينهم واحد »(٣)، **يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله، كما قال تعالى:** +وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ"(٤)**، وقال تعالى:** +وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ..." (٥)**، وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً ثم يحل في الشريعة الأخرى وبالعكس، وخفيفاً فيزاد في الشدة في هذه دون هذه**(٦).

وتطلق الشريعة ويُرَاد بها التوحيد وسائر الأحكام، مثال ذلك، ما ورد في قوله تعالى: +ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ"(٧)**، قال الإمام القرطبي: "ولا خلاف أن الله تعالى لم يغاير بين الشرائع في التوحيد، والمكارم، والمصالح، وإنما خالف بينهما في الفروع حسبما علمه سبحانه"**(٨)**. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والشريعة إنما هي كتاب الله، وسنة رسوله، وما كان عليه عليه سلف الأمة في العقائد، والأحوال، والعبادات، والأعمال، والسياسات، والأحكام، والولايات، والعطيات"**(٩)**، وهذا المراد للشريعة هو الموائم لاستخدامها في تلك الدراسة، فهو حين يرد فيها فدلالاته فدلالاته على ما حواه القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة مما يتصل بالعقيدة والعبادة والأخلاق.**

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن (المرونة والثبات في الشريعة الإسلامية) تعني: **خاصية امتاز بها**

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ابن كثير، مرجع سابق، ٦٧/٢.

(٢) أي أبوهم واحد وأمهاتهم شتى. قال ابن الأثير في النهاية: أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة، انظر النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير محمد بن محمد الجزري، تحقيق طاهر الزاوي (المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ) ٢٩١/٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: +واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها"، (رقم ٣٤٤٣)، ص٦٦٣ ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام (رقم ٢٣٦٥)، (١٨٣٧/٢).

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٢٥.

(٥) سورة النحل، الآية ٣٦.

(٦) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٦٧/٢.

(٧) سورة الجاثية، الآية ١٨.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، مرجع سابق، ١٦٤/١٦.

(٩) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠١هـ) ٣٠٨/١٩.

الإسلام، تمثلت فيما وضعه الله تعالى لعباده من نظام، احتوى كل ما تدور عليه حوائجهم، ومتطلباتهم، بصورة تكرس مبادئ الإسلام، وتعزز مفاهيمه الأصيلة في النفوس، وتدعوها للاستقرار على ذلك، والالتزام به، وتتيح في الوقت نفسه تكيفاً يوائم كل حال من أحوال العباد في سعي بنَّاء ومثمرٍ، لتحقيق جميع مقاصد الإسلام فيهم.

المبحث الثاني

مظاهر المرونة والثبات في الشريعة الإسلامية

تمهيد:

من أهم سمات ديننا الإسلامي يسر وسهولة تعاليمه، وتنظيماته، وأحكامه، وهذا منطو على مزية المرونة والثبات، التي فاق بها ما سواه، لشفافيته وتنظيمه لحياة الناس، في جميع جوانبها، يقول الله تعالى: +يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ" [١]**، فكان من مقتضيات هذه المرونة، أن اتصفت أحكام الإسلام باليسر، والسهولة، وانتفى منها العسر، والإجهاد، وذلك لكي يناسب جهد الإنسان، وقدرته العقلية، والنفسية، والجسدية، وتخدم مصالحه، وتحقق النفع له، يقول تعالى:** +لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ"[٢]**، وفي هذا السياق يقول ابن القيم: "إن العوارض النفسية لها تأثير في القول إهداراً، واعتباراً، إعمالاً وإلغاءً"[٣]، وشريعة الإسلام زاخرة بما يثبت ذلك، ويؤيده، كإعفاء المكلَّف من الحكم الذي يشق عليه أداؤه؛ إلى أهون منه، كصيام المسافر، والمريض، والمرأة الحائض، في رمضان، يعفون منه ليؤدوه في وقت آخر، فجاء "رفع الحرج عن الأعمى فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر، وعن الأعرج فيما يشترط في التكليف به من المشي، وما يتعذر من الأفعال مع وجود العرج، وعن المريض فيما يؤثر المرض بإسقاطه: كالصوم وشروط الصلاة وأركانها والجهاد ونحو ذلك"[٤].**

ويُفاد من ذلك أن الإعفاء قد يكون –أيضاً– نهائيًّا، إذا اقترنت حالة المكلَّف بالحكم بسبب شرعي، يحول دون مباشرته إياه، كإسقاط الصلاة عن الحائض، والنفساء، والتجاوز حين الخطأ والنسيان، والإكراه، فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ »[٥].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٢) سورة النور: الآية ٦١.

(٣) إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عفيفي (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ) ص٥٥.

(٤) الجامع لإحكام القرآن، الإمام القرطبي، مرجع سابق ٣١٣/١٢، ٣١٤.

(٥) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، (رقم ٢٠٤٣)، ٦٥٩/١ والطبراني في معجمه الكبير (٩٧/٢ رقم ١٤٣٠) وفي (١٣٣/١١ . ١٣٤ رقم ١١٢٧٤) والحاكم في المستدرك (١٩٨/٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٧٣١) وإرواء الغليل (رقم ٨٢).

المطلب الأول

ركائز المرونة والثبات في الشريعة الإسلامية

أولاً: ثبات دين الإسلام، ودوامه، وتكفل الله تعالى بحفظه

لاشك بأن ثبات المبدأ قائم على جملة من الخصائص التي تُكَوِّن في مجموعها مفهوم هذا الثبات، حيث قوة تعاليمه، وإحكامها، ودقتها، وضبطها، ومواءمتها التامة لما وضعت له، وتكفل الله ﷻ بحفظه ودوامه، وعدم تمكين أعدائه من النيل منه، والقدح فيه قال الله تعالى: +إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ"[1]، إنا نحن نزلنا الذكر . القرآن . وإنا له لحافظون. وهو رد لإنكارهم، واستهزائهم في قولهم: يا أيها الذي نزله محفوظاً من الشياطين، وهو حافظه في كل وقت من الزيادة، والنقصان والتحريف، والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة، فإنه لم يتول حفظها، وإنما استحفظها الربانيون والأحبار، فاختلفوا فيما بينهم بغياً؛ فوقع التحريف ولم يكل الله جلَّ وعلا القرآن إلى غيره حفظه، وقد جعل قوله: +وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ" دليلاً على أنه منزل من عنده ، إذ لو كان من قول البشر لتطرق عليه الزيادة، والنقصان، كما يتطرق على كل كلام سواه[2].

ومن صور الحفظ لهذا الدين أن "كثيراً من هذه المشاهد المبنية على قبور الأنبياء، والصالحين من الصحابة، والقرابة وغيرهم كذب، وكثير منها مختلف فيه، لا يتوثق فيه بنقل ينقل في ذلك مما يوجد بالشام، والعراق، وخراسان وغير ذلك، والسبب في خفائها وكثرة الخلاف فيها أن الله حفظ الدين الذي بعث به رسوله ﷺ بقوله: +إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ" واتخاذ هذه معابد ليس من الدين، فلهذا لم يحفظ هذه المقامات، والمشاهد بل مبني أمرهم على الجهل، والضلال" [3]، وفي ذلك " رد لإنكارهم، واستهزائهم، ولذلك أكده من وجوه، وقرره بقوله: +وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ" أي من التحريف، والزيادة، والنقص، بأن جعلناه معجزاً مبايناً لكلام البشر، بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان، أو نفي تطرق الخلل إليه في الدوام، بضمان الحفظ له كما نفى أن يطعن فيه "[4].

وارتياح الفطر السليمة له وركونها إليه لما تراه فيه من سمات الإقناع، فلا يزال القبول به

---

(١) سورة الحجر، الآية ٩.

(٢) تفسير النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات (دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة بدون) ٢/٢٣٨.

(٣) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، تحقيق د. محمد السيد الجليند (مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٤هـ)٢/٢٠٣.

(٤) تفسير البيضاوي، تحقيق: عبد القادر عرفات حسونة (دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ) ٣/٣٦٢، ٣٦٣.

مطرداً في كل زمان، ومكان، فكان إخبار الله تعالى بذلك: +وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ" فهو محفوظ "في قلوب أوليائنا فهي خزائن أسرارنا"[1]، ولا غيبة لشمسه عن مكان على هذه الأرض، فعن تميم الداري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ[2]، إِلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلامَ، وَذُلا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ» **وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية[3]، كما أن من صور حفظ هذا الدين أن سخَّر الله فئام من خلقه في الدعوة إليه، والذود عنه، فعن جابر بن سمرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:** «لن يبرح هَذَا الدين قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عصابة من المسلمين حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[4]، **وفيما رواه معاوية ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:** «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»[5].

ثانياً: الالتزام بأصول الدين والتمسك بها

إن ثبات الدين، وحفظه من الله تعالى، يقتضي من الخلق ثباتاً عليه، وتمسكاً به، والتزاماً بأصوله في كل معطيات الحياة، ومتغيراتها، ومن المعين للخلق على ذلك اكتمال هذا الدين ورسوخه، وشموله، فلا يكون أحد بعد هذا الإتمام في عوز لتنظيم، أو في حيرة من جراء غياب تشريع، قال الله تعالى: +ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى"[6]، أي "أكملت لكم وضعه، فلا أفرض عليكم من بعد ما لم أفرضه عليكم إلى اليوم، ولا أضع عنكم بعد اليوم ما قد فرضته

---

(١) روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي البغدادي (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ) ٥٤/١٤.

(٢) المدر أهل القرى والأمصار، والوبر أهل البادية.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٠٣) وابن منده في الإيمان (رقم ١٠٨٥) والبيهقي في السنن الكبرى (١٨١/٩) والبخاري في تاريخه (١٥٠/٢) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (رقم ٦١٥٥) والحاكم (٤٣٠/٤) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ×: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين»، (١٩٢٤/٢ رقم ١٩٢٢).

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، (رقم ٧١)، ص٣٩. ومسلم كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة رقم ١٠٣٧.

(٦) سورة المائدة، الآية ٣.

قبل اليوم، فلا تغليظ من الآن ولا تخفيف ولا نسخ ولا تبديل"(1)، وصار الأمر بما له من قوة داعياً إلى الركون إلى الله تعالى والثقة بما أمر به من الأخذ بالدين وتطبيقه في الحياة دون حيرة، أو تردد، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنه في قول الله تعالى: +ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ"(2)، "يئس أهل مكة أن ترجعوا إلى دينهم عبدة الأوثان أبداً، فلا تخشوهم في اتباع محمد ﷺ "(3)، والتمرد على الدين – بعد ذلك– ضرب من الجحود، والتكبر على الحق، وإيغال في الجهل في مسائل مهمة في حياة الإنسان ليس له عذر بجهلها، وقد " قال أبو الحسين النوري(4): من رأيته يدعي مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربنَّ منه"(5).

ثالثاً: التيسير وعدم التعسير

وحال الناس من حيث قدرتهم، وتطلعهم إلى ما يوائم تلك القدرة، ويحقق لهم الراحة والدعة، ويجنبهم ما فيه العنت، والضيق، تستدعي منهجاً رائداً يلبي تلك الحاجات، ويحقق هذا المقصد العظيم في تنظيم حياتهم، وترتيبها، فكان التيسير والبعد عن التعسير منهجاً امتاز به الإسلام، وفاق به ما سواه من الأديان، والأنظمة المختلفة، فالتيسير وعدم التعسير هو جوهر الإسلام. وصور التيسير والتسهيل نجدها ماثلة في كل ما جاء في مصادر الإسلام من تشريع احتوى كل حياة الخلق، فلم يخلُ تشريع من هذه السمة التي حققت فيهم مقاصد الإسلام في أرفع صورها، وبأقل درجات الإجهاد والعنت.

ويظهر ذلك جليًّا فيما يلي:

---

(1) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ) 1/64.

(2) سورة المائدة، الآية 3.

(3) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مرجع سابق، 1/64. وانظر تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 6/60. وانظر تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر (دار الفكر، بيروت، 1405هـ)، 6/78، 79.

(4) هو أبو الحسين أحمد بن محمد النوري البغدادي، لُقِّب بذلك لنور وجهه، كان مذكوراً بكثرة الاجتهاد وحسن العبادة، كنيته أبو الحسين، بغدادي المولد والمنشأ، كان الجنيد يعظم شأنه، وهو أعلم العراقيين بلطائف علم القوم، توفي في الثامن عشر من رجب سنة 562هـ. انظر تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة بدون) 5/130، وانظر نزهة الألباب في الألقاب، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (مكتبة الرشد، الرياض، 1989م) 2/312، وانظر تكملة الإكمال، أبو بكر محمد بن عبدالغني البغدادي (جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1410هـ) 1/555.

(5) الاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، 1403هـ) 1/251.

سهولة التشريع الذي وضعه الله تعالى لعباده، فكان منسجماً مع أحوالهم، متوافقاً مع قدراتهم وحاجاتهم، ولم يكن في تشريع الإسلام . سواء في العقائد أو العبادات أو المعاملات والأخلاق . أمراً يُلْحِق المشقة، والعنت بالناس، فعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: كان رسول اللَّه ﷺ إذا أَمَرَهُمْ أَمَرَهُمْ من الأعمالِ بِما يُطِيقُون . قالوا: إنَّا لسنا كهيئتك يا رسول اللَّه، إنَّ اللَّه قد غفر لك ما تقدَّم من ذنبِك وما تأخر . فيغضب حتى يُعْرَفَ الغضب في وجهه، ثم يقول: « إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أنا»[1]، وعنِ أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وبشروا ولا تنفروا»[2]، بل إن هذه السهولة وُضِع لها ما يُعين على استيفائها في كل أمور الناس، مما لم يُفرد منها بذكر خاص، أوحكم معين، فعن عائشة –رضي الله عنها– أنها قالت: ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تنتهك حُرْمَةُ الله، فينتقم لله بها[3].

واستيفاء الشواهد على ذلك يعني المرور على كل ما حوته الشريعة من تنظيم، وترتيب حياة الناس، فكل ما فيها يحمل سمة التيسير، وعدم التعسير، ولكننا نسوق نماذج على ذلك منها:

التهوين على المسلمين، حين يقع الواحد منهم تحت وطأة الوازع الديني تجاه مخالفات مُتَوَهَّمة، فيكابد همها، ويُشْفِق من آثارها، ونتائجها، فيأتي الانفراج حين بيان الحكم الصحيح بشأنها، والرسول ﷺ يغالب هذه النزعة المتوقدة لدى البعض ببيان أنه ﷺ مثيل لهم في حالهم، وأن لا ضير من جراء ما وقعوا فيه، فعن عطاء بن يسار أن رجلاً قبل امرأته وهو صائم، فوجد من ذلك وجداً شديداً، فأرسل امرأته تسأل له عن ذلك، فدخلت على أم سلمة زوج النبي ﷺ فذكرت ذلك لها، فأخبرتها أم سلمة أن رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم، فرجعت فأخبرت زوجها بذلك، فزاده ذلك شرًّا، وقال: لسنا مثل رسول الله ﷺ، الله يحل لرسول الله ﷺ ما شاء. ثم رجعت امرأته إلى أم سلمة فوجدت عندها رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «مَا لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ؟» فأخبرته أم سلمة فقال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَخْبَرْتِيهَا أَنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ» فقالت: قد أخبرتها، فذهبت إلى زوجها فأخبرته، فزاده ذلك شرًّا، وقال: لسنا مثل رسول الله ﷺ، الله يحل لرسوله ﷺ ما شاء. فغضب

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ أنا أعلمكم بالله، (رقم ٢٠) ص٢٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة (رقم ٦٩)، ص٣٩، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (١٣٥٩) (رقم ١٧٣٤).

(٣) أخرجه الإمام البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم (٣٥٦٠)، ص٦٨٢، ومسلم، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله (١٨١٣/٢) (رقم ٢٣٢٧).

رسول الله ﷺ وقال: «وَاللَّهِ إِنِّي لأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمُكُمْ بِحُدُودِهِ»[1].

ومن ذلك ما رواه سعيد بن المسيب، أنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ يضرب نحره وينتف شعره، ويقول: هلك الأبعد، فقال له رسول الله ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» **فقال: أصبت أهلي وأنا صائم في رمضان. فقال له رسول اللَّهِ ﷺ:** «هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُعْتِقَ رَقَبَةً؟» **فقال: لا فقال:** «هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُهْدِيَ بَدَنَةً؟» **قال: لا قال:** «فَاجْلِسْ» **فأُتِيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بعرقِ تمرٍ فقال:** «خُذْ هَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ» **فقال: ما أحد أحوج مني فقال:** «كُلْهُ وَصُمْ يَوْمًا مَكَانَ مَا أَصَبْتَ»[2]**، ومن اليقين أن من أسباب حصول الاطمئنان في قلوب الناس شعورهم بأنهم مشابهون –فيما يُلقى عليهم من الأوامر، والتكليفات– لإمامهم، وقدوتهم ﷺ، ذكر الإمام الجصاص في معرض حديثه عن قول الله تعالى:** +فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ"[3] **أحكاماً قد حوتها هذه الآية، منها "الإبانة عن علة الحكم في إباحة ذلك[4] للنبي ﷺ، وأن ذلك قد اقتضى إباحته للمؤمنين... وأن الأمة مساوية للنبي ﷺ في الحكم، إلا ما خصه الله تعالى به، لأنه أخبر أنه أحل ذلك للنبي ﷺ، ليكون المؤمنون مساوين له"**[5].

ومما يَبِيْنُ فيه سماحة الإسلام ومرونته ودعوته إلى الرفق والتيسير، ونفي العنف والتعسير، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[6]**، وقد خاطب الرسول ﷺ الناس في موقف من المواقف الصعبة، حين كان عليه السلام في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ينتظر، حتى إذا مالت الشمس قام فيهم، فقال:** «يَا أَيُّهَا النَّاسُ لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ...»[7]**، ولاشك أن ذلك من**

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، في كتاب الصيام، باب ما جاء في الرخصة في القبلة للصائم، (رقم ٦٥٨).

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الصيام، باب كفارة من أفطر في رمضان، (رقم ٦٧٤) والحديث أصله في الصحيحين أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان (رقم ١٩٣٦) (ص٣٦٧) ومسلم، كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم... (٧٨١/١ . ٧٨٢ رقم ١١١١).

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٣٧.

(٤) أي إباحة زواجه ﷺ من مطلقة مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه .

(٥) أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ) ٢٣١/٥.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، (رقم ٢٢٠)، ص٦٥– ٦٦.

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس (رقم ٢٩٦٦)،

التعامل الرفيع مع ضروب الحرج الذي ينتاب الإنسان، وكان رفعه عنه من دواعي استشراف نفسه، واستمالتها حين ترى التسهيل، والمرونة فيما أوجبه الله تعالى عليها، قال تعالى: +وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ"[1].

وهذه السمة العالية – في التهوين على المسلمين، وإعانتهم على مغالبة معاناتهم، وتوجيه الوازع الديني، والتورع في نفوسهم ليؤتي ثماره – منهج عام في كل ما ينتاب المسلم في حياة، ونراه ماثلاً في قواعد التشريع وأصوله، التي تستوعب كل هذه النوازل في حياة الناس، ولنتأمل ذلك فيما رواه أسامة بن شريك ﷺ قال: شهدت الأعراب يسألون النبي ﷺ أعلينا حرج في كذا؟ فقال لهم: «عِبَادَ اللَّهِ وَضَعَ اللَّهُ الْحَرَجَ إِلا مَنِ اقْتَرَضَ مِنْ عِرْضِ أَخِيهِ شَيْئًا، فَذَاكَ الَّذِي حَرِجَ» **فقالوا: يا رسول الله هل علينا جناح أن لا نتداوى؟ قال:** «تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلا وَضَعَ مَعَهُ شِفَاءً إِلا الْهَرَمَ»**...**[2]، **وكذا ما جاء عن أبي عروة قال: كنا ننتظر النبي ﷺ فخرج رجلاً يقطر رأسه من وضوء، أو غسل فصلى، فلما قضى الصلاة جعل الناس يسألونه: يا رسول الله أعلينا حرج في كذا؟ فقال رسول الله ﷺ:** «لا، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ دِينَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي يُسْرٍ» **ثلاثاً يقولها، وقال يزيد مرة جعل الناس يقولون: يا رسول الله ما نقول في كذا؟ ما نقول في كذا**[3].

وجماع ذلك فيما رواه أبو هريرة ﷺ قال: لما نزلت: +مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ"[4] **بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ** : «قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكها»[5].

ومن صور التيسير النهي عن المبالغة في إرهاق المسلم نفسه بما لم يُطالب به من العبادات والقُرُبَات، فيكون ذلك من تحميل النفس فوق طاقتها، وإرهاقها بما ليس لها قِبَلٌ به، وسبب في إملالها، وربما انصرافها عما هي فيه من الحرص والإقبال، وللإسلام ريادة في ترشيد الجهد،

ص٥٦٩. ومسلم ، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، (١٣٦٢/٢) (رقم ١٧٤٢).

(١) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، (١١٣٧/٢) (رقم ٣٤٣٦)، ٧/٢ وأبوداود الطيالسي (رقم ١٢٣٢). وانظر مسند الإمام أحمد، ٢٧٨/٤. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٩٧٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم ١٩٧٤٨.

(٤) سورة النساء، الآية ١٢٣.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، (١٩٩٣/٣ رقم ٢٥٧٤).

وتوجيهه في أحسن سبله المثمرة والناجعة، وقد ورد فيما روته عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سُئِل النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» **وقال:** «اكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ»[١]، **كما روت عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: كان لرسول الله ﷺ حصير، وكان يُحَجِّرُهُ من الليل، فيصلي فيه، فجعل الناس يصلون بصلاته، وَيَبْسُطُهُ بالنهار فثابوا ذات ليلة، فقال:** «يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ، وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَمِلُوا عَملاً أَثْبَتُوهُ»[٢].

وعن جابر بن عبد الله . رضي الله عنهما . عن النبي ﷺ أنه قال : «إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»[٣]، **"وإنما كان كذلك لأن المشدد لا يأمن من الملل بخلاف المقتصد، فإنه أمكن لاستمراره، وخير العمل ما داوم عليه صاحبه... ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد"[٤]، والمسلم حين يبادر نفسه بعمل على تلك الصورة يصيبها بالعطب، ويصيب عمله بالوهن، والتوقف، فكان تشبيه حاله تلك بحال المنبت، وهو "الذي عطب مركوبه من شدة السير، مأخوذ من البت، وهو القطع، أي صار منقطعاً لم يصل إلى مقصوده، وفقد مركوبه الذي كان يوصله لو رفق به[٥]، وقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – حين علم عليه الصلاة والسلام بأنه يقوم الليل، ويصوم النهار:** «إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتْ عَيْنُكَ وَنَفِهَتْ[٦] نَفْسُكَ، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ حَقًّا ولِأَهْلِكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ»[٧] [٨]، **وقد روي عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال:**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، (رقم ٦٤٦٥)، ص١٢٤٠. ومسلم بنحوه، كتاب صلاة المسافرين باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (رقم ٧٨٢، ٧٨٣)، ١/٥٤٠-٥٤١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله عز وجل أدومه (رقم ٤٣)، ص٣١ – ٣٢. ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نفس في صلاته... (رقم ٧٨٥)، ١/٥٤٢.

(٣) أخرج الجزء الأول منه أحمد (١٩٩/٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٢٤٦) بينما أخرجه كله البزار (رقم ٩٢) والبيهقي (١٨/٣ . ١٩) وضعفة الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٢٠٢٢).

(٤) انظر فتح الباري ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ١٠٥/٩.

(٥) انظر المرجع السابق، ٢٩٧/١١.

(٦) هجمت عينك: أي غارت ودخلت في موضعها، ونفهت نفسك: أي تعبت وكلت.

(٧) أخرجه البخاري أبواب التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، (رقم ١١٥٣). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوّت به حقاً، (رقم ١١٥٩) (١٨٧).

(٨) وحول هذا المعنى انظر -أيضاً- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق:

قال: "الاقتصاد في السُنَّةِ أحسن من الاجتهاد في البدعة"[1]، وقد كان من فقه الإمام البخاري باب ضمنه صحيحه بعنوان: ما يكره من التشديد في العبادة، وفيه ما أخرجه من رواية أنس بن مالك ﷺ قال: دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال : «مَا هَذَا الْحَبْلُ؟» **قالوا: هذا حبلٌ لزينب فإذا فترت تعلَّقت، فقال النبي ﷺ:** «لا، حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ»[2].

وكان للإسلام استقصاؤه الوافي في هذا الشأن، لينبئ عن خطورة تجاوز الحد، وليُشعر بضرورة الانضباط بما يكفل الاعتدال، ويعين على ترشيد الجهد، والوقت، وصرف المتاح منهما فيما يفيد ويُثمر، فعن أبي السليل قال حدثتني مُجِيبَة عجوز من باهلة عن أبيها، أو عن عمها أنه قال: أتيت رسول الله ﷺ لحاجة مرة فقال: «مَنْ أَنْتَ»؟ **قال: أَو ما تعرفني قال:** «وَمَنْ أَنْتَ»؟ **قال: أنا الباهليُّ الذي أتيتُكَ عام أوَّل قال:** «فَإِنَّكَ أَتَيتَنِي وَجِسْمُكَ وَلَوْنُكَ وَهَيْئَتُك حَسَنَةٌ، فَمَا بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى؟» **فقال: إني والله ما أفطرت بعدك إلا ليلاً قال:** «مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تُعَذِّبَ نَفْسَكَ؟! مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تُعَذِّبَ نَفْسَكَ؟! مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تُعَذِّبَ نَفْسَكَ ؟!" **ثلاثَ مَرَّاتٍ** " صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ رَمَضَانَ» **قلت: إني أجد قوة، وإني أحب أن تزيدني فقال:** «فَصُمْ يَوْمًا مِنَ الشَّهْرِ» **قلت: إني أجد قوة، وإني أحب أن تزيدني قال:** «فَيَوْمَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ» **قلت: إني أجد قوة، وإني أحب أن تزيدني قال:** «وَمَا تَبْغِي عَنْ شَهْرِ الصَّبْرِ وَيَوْمَيْنِ فِي الشَّهْرِ» **قَالَ: قلت إني أجد قوة، وإني أحب أن تزيدني قال:** «فَثَلاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ» **قال: وَأَلْحَمَ عند الثالثة فما كاد قلت: إني أجد قوة، وإني أحب أن تزيدني قال:** «فَمِنَ الْحُرُمِ وَأَفْطِرْ»[3].

في هذا الحديث دليل على أن من تكلف من العبادة ما يشق عليه حتى تأذى بذلك جسده فإنه غير مأمور بذلك، ولذلك قال النبي ﷺ له: «من أمرك أن تعذب نفسك؟!»، **وأعادها عليه ثلاث مرات، وهذا شبيه بما رواه أنس ﷺ قال: رأى النبي ﷺ رجلاً يُهَادَى بين رجلين، فقال:** «مَا

تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري (وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧) ١/١٩٥.

(١) موقوف، وروي عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً بزيادة ألفاظ، انظر سنن البيهقي الكبرى، ١٩/٣.

(٢) أخرجه الإمام البخاري ، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، (رقم ١١٥٠)، ص٢٢٧. ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصدها، باب أمر من نفس في صلاته أو استعجم عليه القرآن ... (١/٥٤١ . ٥٤٢ رقم ٧٨٤).

(٣) أخرجه أحمد (٥/٢٨) وأبو داود، كتاب الصوم، باب في صوم أشهر الحرم (رقم ٢٤٢٨)، وابن ماجة، كتاب الصيام، باب صيام أشهر الحرم (١/٥٥٤ رقم ١٧٤١) وعبد بن حميد في المنتخب (رقم ٤٠٠).

هَذَا؟!» **قالوا: نَذَرَ أن يمشي إلى بيت الله قال:** «إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ، مُرْهُ فَلْيَرْكَبْ»(١)، **وعن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ بعث إلى عثمان بن مظعون رضي الله عنه فجاءه فقال:** «يا عثمان أرغبت عن سنتي؟» **قال: لا والله يا رسول الله، ولكن سنتك أطلب. قال:** «فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقًّا، وإن لضيفك عليك حقًّا، وإن لنفسك عليك حقًّا، فصم وأفطر، وصل ونم»(٢)، **وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر، ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال:** «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٣)، **"وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة، فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة، وإعفاف النفس، وتكثير النسل"(٤)، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ أي الأديان أحب إلى الله؟ قال:** « الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»(٥)، **وعن عائشة – رضي الله عنها –قالت: قال رسول ﷺ:** «لَتَعْلَمُ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً، إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ»(٦)، **وعنها – رضي الله عنها – قالت: كان حبش يلعبون بحراب لهم، فكنت أنظر من بين أذني رسول الله ﷺ وعاتقه، حتى كنت أنا التي صددت، قالت: وقال رسول الله ﷺ:** « العبوا يا بني أرفدة(٧)، تعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة » **قالت**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب فيما لا يملك... (رقم ٦٧٠١) (ص١٢٧٨) ومسلم، كتاب النذر، باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة (١٢٦٣/٢ ـ ١٢٦٤ رقم ١٦٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب التطوع، باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة، (١٠١/٢رقم ١٣٦٩)، وأخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٢٥١٠٤). وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٩٤٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (رقم ٥٠٦٣)، ص١٠٠٥ ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه (١٠٢٠/٢ رقم ١٤٠١)،

(٤) انظر فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ١٠٥/٩.

(٥) أخرجه معلقاً البخاري بلفظ: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة» كتاب الإيمان، باب الدين يسر ص٣١ طبعة بيت الأفكار الدولية. وأخرجه الإمام أحمد بلفظه (٢٣٦/١).

(٦) أخرجه أحمد (١١٦/٦، ٢٣٣) و له شاهد عند أحمد (٢٦٦/٥) وآخر عند الخطيب في تاريخ بغداد (٢٠٩/٧) وشاهد آخر عند ابن سعد في الطبقات (١٩٢/١).

(٧) يا بني أَرْفِدة بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الفاء، وقد تفتح قيل هو لقب للحبشة، وقيل هو اسم جنس لهم، وقيل اسم جدهم

عائشة: فلم أحفظ من قولهم غير هذه الكلمة: أبو القاسم طيب، أبو القاسم طيب[1].

ومنهج الإسلام في ذلك -وهو منهج يتوخى التيسير والتسهيل- يتلمس دوماً ما يناسب حال الناس ويوائم قدراتهم، وذلك "أن الله تعالى خلق ابن آدم محتاجاً إلى ما يقوم به بدنه من مأكل، ومشرب، ومنكح، وملبس، وأباح له من ذلك كله ما هو طيب حلال، تقوى به النفس، ويصح به الجسد، ويتعاونان على طاعة الله ﷻ، وحرم من ذلك ما هو ضار خبيث، يوجب للنفس طغيانها وعماها، وقسوتها، وغفلتها، وأشرها، وبطرها،...وقد كان رجل في زمن التابعين يصوم، ويواصل حتى يعجز عن القيام، فكان يصلي الفرض جالساً، فأنكروا ذلك عليه، حتى قال عمرو بن ميمون: لو أدرك هذا أصحاب محمد ﷺ لرجموه. وكان ابن مسعود يقل الصيام ويقول: إنه يضعفني عن قراءة القرآن، وقراءة القرآن أحب إليَّ. وأحرم رجل من الكوفة فقدم مكة، وقد أصابه الجهد، فرآه عمر بن الخطاب وهو سيئ الهيئة، فأخذ عمر بيده، وجعل يدور به الحلق، ويقول للناس: انظروا إلى ما يصنع هذا بنفسه، وقد وسع الله عليه. فمن تكلف من التطوع ما يتضرر به في جسمه...، أو يمنع به حقًّا واجباً عليه... فإنه يُنهى عن ذلك... وقد كان النبي ﷺ ينهى عن التعسير، ويأمر بالتيسير ودينه الذي بعث به يسر، وكان يقول: «إن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره»[2]، **ورأى رجلاً يكثر الصلاة، فقال:** «إنكم أمة أريد بكم اليسر...»[3] [4]، **وحين بعث النبي ﷺ معاذاً وأبا موسى إلى اليمن قال:** «يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلا تَخْتَلِفَا»[5]، **ولا يزال ﷺ يؤكد عليه في أكثر من موضع، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:** «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ

الأكبر، وقيل المعنى يا بني الإماء. انظر فتح الباري، ابن حجر العسقلاني،مرجع سابق، ٤٤٤/٢.

(١) أخرجه الحميدي في مسنده (١٢٣/١ ـ ١٢٤ رقم ٢٥٤) وانظر: فتح الباري، ابن حجر (٤٤٤/٢). وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٢١٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (٤٧٩/٣) (٣٣٨/٤) (٣٢/٥) والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٣٤١) وأبو داود الطيالسي (رقم ١٢٩٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (٣٢/٥).

(٤) انظر لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين بن رجب الحنبلي (دار ابن حزم ومؤسسة الريان، بيروت، ١٤١٧هـ) ٢٧٩/١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، (رقم ٣٠٣٨) ومسلم كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (رقم ١٧٢٣)، ١٣٥٩/٢.

الدِّينَ أَحَدٌ إِلا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»(١).

واقتضى ذلك تحرياً لعدم الشطط فيه، وتدارك كل ما قد يقع منه، حين يدفع الناس إليه الحرص على الخير، والسعي إليه، وفي الحديث النبوي التالي ما يشير إلى الاحتراز من ذلك حين يتكلف الناس ما لم يُلزموا به، فيُلحقوا بأنفسهم عنتاً هم دون القدرة على ملازمته، والصبر عليه، فقد روت عائشة –رضي الله عنها–: أن رسول الله ﷺ صلى ذات ليلة في المسجد فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة، أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: «قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ»(٢)، **وهذه المحدودية في القدرة كانت الداعية دوماً إلى الإشفاق على الناس، ومراعاة ذلك لديهم حين تفرض عليهم فريضة ما، وقد قال الرسول ﷺ –فيما يرويه أبو هريرة ﷺ– :** «لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ»(٣)، **وكان للرسول ﷺ موقفه الصارم حين يحصل شيء من التجاوز في هذا الشأن، كالذي كان منه ﷺ مع معاذ ﷺ حين كان يصلي مع النبي ﷺ ثم يأتي فيؤم قومه، فصلى ليلة مع النبي ﷺ العشاء، ثم أتى قومه فأمهم، فافتتح بسورة البقرة، فانحرف رجل فسلم، ثم صلى وحده وانصرف. فقالوا له: أنافقت يا فلان؟ قال: لا والله، لآتين رسول الله ﷺ فلأخبرنه. فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّا أصحاب نواضح نعمل بالنهار، وإن معاذا صلى معك العشاء، ثم أتى فافتتح بسورة البقرة. فأقبل رسول الله ﷺ على معاذ فقال:** «يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ! اقْرَأْ بِكَذَا، وَاقْرَأْ بِكَذَا» **وقد جاء في هذه الرواية، وهي لجابر ﷺ أن الرسول ﷺ قال لمعاذ:** «اقْرَأْ: +وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا " +وَٱلضُّحَىٰ " +وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ " +سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى"(٤)، **والأمر هنا يرتبط بجانب على قدر عال من الأهمية والخطورة، من شأنه أن يُقوّض مكمن القدرة، والإنجاز لدى الإنسان، حين يتتابع عليه الإنهاك النفسي والجسدي، فيفت ذلك العضد منه ويوهنه.**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، (رقم ٣٩).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، أبواب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل، (رقم ١١٢٩) ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح (رقم ٧٦١)، ١/٥٢٤.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التمني، باب ما يجوز من اللو، (رقم ٧٢٤٠)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب السواك (رقم ٢٥٢)، ١/٢٢٠.

(٤) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول (رقم ٧٠٥) (ص١٤٩) ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء، (١/٣٣٩رقم ٤٦٥).

ومن الأعراض المَرَضِيَّة التي استقصاها منهج الإسلام محذراً منها، وناهياً عنها، وهي أعراض تُنْبِئ عن وجود الشطط في أداء العبادة، وتكليف النفس فوق طاقتها مما لم تُكلف به التنطع في الدين، "وقد ذم النبي ﷺ المتنطعين في الدين، وأخبر بهلكتهم، حيث يقول: «هَلَكَ المتَنَطِّعُوْنَ» **قالها ثلاثاً**[1]**، وعن مسعر قال أخرج إليَّ معن بن عبد الرحمن كتاباً، وحلف بالله أنه خط أبيه، فإذا فيه قال عبد الله: والله الذي لا إله غيره ما رأيت أحداً كان أشد على المتنطعين من رسول الله، ولا رأيت أحداً أشد خوفاً عليهم من أبي بكر، وإني لأظن عمر ﷺ كان أشد أهل الأرض خوفاً عليهم، وكان – عليه الصلاة والسلام – يبغض المتعمقين..."**[2]**، وروى أبو هريرة ﷺ في هذا المقام عن الرسول ﷺ قوله:** «لا تُوَاصِلُوا» **قالوا: إنك تواصل، قال :** «إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي» **فلم ينتهوا عن الوصال، قال: فواصل بهم النبي ﷺ يومين أو ليلتين ثم رأوا الهلال فقال النبي ﷺ :** «لَوْ تَأَخَّرَ الْهِلالُ لَزِدْتُكُمْ» **كالمنكل لهم**[3]**، وكان من سيرة عمر ابن الخطاب ﷺ أن "مرَّ يوماً فسقط عليه شيء من ميزاب ومعه صاحب له، فقال: يا صاحب الميزاب ماؤك طاهر أو نجس؟ فقال عمر ﷺ: يا صاحب الميزاب لا تخبرنا. ومضى، ذكره أحمد**[4]**، وقد سئل عمر بن الخطاب ﷺ عن الجبن فقال: "اذكر اسم الله وكل" وسئل ابن عمر عن الذي يصنعه المجوس منه، فقال: "ما وجدته في سوق المسلمين اشتريته ولم أسأل عنه"**[5]**، ولقد كان من طريقة التابعين البعد عن التكلف، والشدة، والأخذ باليسير من الأمر**[6]**، يقول الإمام الشعبي**[7]**: "إذا اختلف عليك أمران، فإن أيسرهما أقربهما إلى الحق"، لقوله تعالى: +**يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ"[8].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، ٣٠٥٥/٣ (رقم ٢٦٧٠).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية (دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ) ١/ ١٥٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في، الدين (رقم ٧٢٩٩) (١٣٩١) ومسلم، وكتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم (رقم ١١٠٣ ـ ٧٧٤/١).

(٤) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ١٥٤/١.

(٥) مصنف عبدالرزاق، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ) ٥٣٩/٤.

(٦) مختصر رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبدالله بن حميد، اختصار عبدالرحمن بن عبدالعزيز النشوان (دار عالم الكتب، الكتب، الرياض، ١٤١٦هـ) ص ٢٤.

(٧) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود (دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٨هـ) ٤٢٧/٣.

(٨) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

ومن صور التيسير على العباد: **رعاية الضرورات والأعذار والظروف القاهرة غير المعتادة**

فشريعة الإسلام راعت الضرورات، والحاجات، والأعذار التي تنزل بالناس، فقدرتها حق قدرها، وشرعت لها ما يناسبها ويحقق المصلحة، في صورة من التسهيل والتيسير، وذلك وفقاً لمنهجها الراسخ في رفع العنت، والمشقة عن الخلق، وتخليصاً لهم من الآصار والأغلال التي لحقتهم في بعض الشرائع السابقة، كما قال الله تعالى: +رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ"[1]، **وجاء الإخبار عن الرسول ﷺ في القرآن الكريم:** +يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ"[2]، **وقول الله تعالى:** +يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ" [3]، **وقول الله تعالى:** +يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا"[4]، **وقول الله تعالى:** +مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ"[5]، **فكان أن احتوى هذا التشريع ذلك بقاعدة بقاعدة إسلامية عظيمة، أجمع عليها علماء الإسلام وهي: "المشقة تجلب التيسير" واتسقت مع هذه القاعدة جملة الرخص التي ظهرت في صور من مراعاة الناس في أدائهم لفرائض الإسلام، وذلك في حال الحاجة، والسفر، والمرض، والنسيان، والخطأ، والجهل، والإكراه، وعموم البلوى، فكانت هذه الأمور وأشباهها أسباباً مرعية في شريعة الإسلام، حصل بها التخفيف والتيسير[6]، وقد وقد روى ابن عمر ﷺ قال: قال ﷺ** : «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته»[7]، **والرخص في شريعة الإسلام ميدان رحب يفيض تيسيراً وتسهيلاً، لا يكاد يخلو منه مجال من مجالات التشريع[8].**

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٤) سورة النساء، الآية ٢٨.

(٥) سورة المائدة، الآية ٦.

(٦) انظر مختصر رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، صالح بن عبد الله بن حميد، مرجع سابق، ص ٣٥.

(٧) أخرجه أحمد في مسنده، (١٠٨/٢) والبيهقي في سننه الكبرى (١٤٠/٣) والطبراني في الكبير (٣٢٣/١١ رقم ١١٨٨٠، ١١٨٨ ١١٨٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٨٨٥) وإرواء الغليل (رقم ٥٦٤).

(٨) للاستزادة حول ذلك انظر: خصائص الشريعة الإسلامية، د. عمر سليمان الأشقر (مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٦هـ) ص/٦٣ وما بعدها، وانظر: الإسلام وحاجة الإنسانية إليه، د. محمد يوسف موسى (مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٠هـ)، وانظر: الإسلام

وقد كان من مقتضيات هذه الرعاية لتلك الضرورات: أن كان لها ما يُنَظِّمُهَا في شريعة الإسلام، مما يعين على استشرافها، والتعامل معها بصورة فاعلة بنَّاءة، فكانت القاعدة الأصولية الراسخة المعروفة (الضرورات تبيح المحظورات)، وهذه الضرورات تبدو في أكثر من ضرب، وعلى هيئات عدة، فتشكل -في حياة الإنسان- مواقف صعبة، يثقل بسببها الإتيان ببعض واجبات الشريعة، وفرائضها[1]، ومن شواهد ذلك ما جاء في كتاب الله تعالى مما حرم على عباده من الأطعمة، حيث استثنى - جل وعلا - حال الاضطرار، التي قد يمر بها الإنسان كحاله في الفقر الشديد، أو انقطاعه الطويل عن مصادر الطعام، يقول تعالى:+ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"[2]**، فأباح الله لعباده ما حرَّمه عليهم من الأطعمة في حال الضرورة، طالما أنهم بعيدون عن البغي والاعتداء[3].**

ويضاف إلى ما سبق الإكراه، فهو من أظهر حالات الضرورة التي يتم -عندها- التجاوز عن الإنسان، فالمكره على أمر -لا يتمكن من الاحتيال للتخلص منه- لا يأثم عليه مهما كان، بما في ذلك الكفر الذي هو الأكبر من المخالفات بحق الله تعالى، وهذا جلي في جملة من نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، من ذلك قول الله تعالى:+ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ

مقاصده وخصائصه، د. محمد عقلة (مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان، ١٤١١هـ)، وانظر: مختصر رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبدالله بن حميد، اختصار عبدالرحمن بن عبدالعزيز النشوان، مرجع سابق.

(١) ولهذه القاعدة ما يتممها من القواعد المساندة، مثل: (ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها)، و (الحاجة تنزل منزلة الضرورة). انظر الأشباه والنظائر، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ) ص ٤٣-٤٦.

(٢) سورة البقرة، الآيتان ١٧٢، ١٧٣.

(٣) والإشارة لذلك واردة في مواضع أخرى من القرآن الكريم، منها ما جاء في سورة المائدة، فقد قال الله تعالى: +حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" الآية رقم ٣ من سورة المائدة، وهذه من صور المرونة التي يعالج بها الإسلام شكلاً من أشكال الضرورة التي قد تعرض له، وضبطها بأن لا يكون الإنسان متذرعاً بحال يدعيها من الضرورة ليباشر ما نهي عنه، فيكون بذلك متجانفاً لإثم، وإنما ينال مزية هذه المرونة تحت قهر الحاجة.

وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ"[1]، **وقول الرسول ﷺ**: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»[2]، **وكان للإكراه – بناء على ذلك – جملة من الضوابط، والتنظيمات، التي حددت مواطن التجاوز عن المكره حين وقوعه عليه[3]، ومما يقترن بذلك ويتصل به ما يعانيه بعض المسلمين من الضعف، والعجز، وقلة القدرة، والمنعة، وربما لاقوا –في ظروف كتلك– من أعدائهم ما يلجئهم إلى ما يخالف أصول دينهم، ومقتضيات هذه الأصول، كأن يركنوا مضطرين إلى غير المسلمين، ويتظاهروا بالولاء لهم اتقاءً لشرهم، وحفاظاً على أنفسهم، مع استقرار الإيمان في قلوبهم، واطمئنانهم به، قال الله تعالى**: +لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ"[4]، **ويَرِدُ في السياق نفسه ما رواه أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ، وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ قال**: «ما وراؤك»؟ **قال: شر يا رسول الله، ما تُرِكت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، قال**: «كيف تجد قلبك»؟ **قال: مطمئن بالإيمان، قال**: «إن عادوا فعد»[5].

والمتأمل في ذلك يجده ينطوي على مقصد عظيم، راعاه الإسلام، ومَثُل في تشريعه، وهو رفع الحرج عن الناس، وجلب الراحة، والتيسير لهم، ليؤول ذلك في مجمله إلى تطهيرهم، وتحسين مسلكهم، قال الله تعالى :+ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ"[6]، **قال أبوبكر الجصاص: "لما كان الحرج الضيق، ونفى الله عن نفسه إرادة الحرج بنا ساغ نفي الضيق وإثبات التوسعة في كل ما اختلف فيه من أحكام السمعيات، فيكون القائل بما يوجب الحرج والضيق محجوجاً بظاهر هذه الآية، وهو نظير قوله تعالى**:+ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ

---

(١) سورة النحل، الآيتان ١٠٥، ١٠٦.

(٢) تقدم تخريجه ص٢٨.

(٣) للاستزادة حول ذلك انظر الإكراه في الشريعة الإسلامية، د. فخري أبو صفية (مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ١٤٠٢هـ).

(٤) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

(٥) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، ٢٠٨/٨ . ٢٠٩ وقال الحاكم في المستدرك (٣٥٧/٢): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣١٢/١٢): وهو مرسل ورجاه ثقات أخرجه الطبري وقبله عبد الرزاق وعنه عبد بن حميد. ثم ذكر رواية البيهقي وغيرها من الروايات ثم قال: وهذه المراسيل تقوي بعضها ببعض.

(٦) سورة المائدة، الآية ٦.

﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾"[1] [2]، ومن معاني هذه الآية ساق ابن قدامة عن عمر بن عبد العزيز، ومجاهد، وقتادة -رحمهم الله تعالى- قولهم: "أفضل الأمرين أيسرهما"[3]، وهذا الإجراء في منهج الإسلام مع أهل التنطع، والشدة "يُظهر بجلاء لا خفاء فيه: أن رفع الحرج مقصد من مقاصد الشريعة، وأصل مقطوع به من أصولها"[4].

ورعاية الضرورات، والأعذار، والظروف الطارئة غير المعتادة تَمْثُل في شريعة الإسلام في صور عدة من التخفيف، وهي:

تخفيف إسقاط: كإسقاط الجمعة، والحج، والعمرة، والجهاد للأعذار المسقطة لذلك.

تخفيف تنقيص: كقصر الرباعية إلى ركعتين.

تخفيف إبدال: كإبدال الوضوء، والغسل بالتيمم، والقيام في الصلاة بالقعود، أو الاضطجاع، أو الإيماء، والصيام بالإطعام.

تخفيف تقديم: كجمع التقديم في الظهرين، والعشائين، وتقديم الزكاة على الحول، وزكاة الفطر في رمضان، والكفارة على الحنث.

تخفيف تأخير: كجمع التأخير، وتأخير رمضان للمريض، والمسافر، وتأخير الصلاة في حق مشتغل بإنقاذ غريق، ونحو ذلك من الأعذار.

تخفيف ترخيص: كصلاة المستجمر مع بقية أثر النجو الذي لا يزول إلا بالماء، والعفو عن بعض النجاسات لمشقة الاحتراز، وشرب الخمر للغصة.

تخفيف تغيير: كتغيير نظم صلاة الخوف[5].

ومن صور التيسير على العباد: **التخفيف في العبادات، إذ العبادات المفروضة سهلة في أدائها، خفيفة في متطلباتها، عظيمة في أجرها، فالصلاة لا تجب في اليوم والليلة إلا خمس مرات، تؤدى بكيفيات خفيفة، ميسرة، إضافة إلى التخفيف الخاص الذي يُراعى به أحوال بعض الفئات:**

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٥ .

(٢) أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، مرجع سابق، ٣٣/٤.

(٣) المغني، أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ) ٤٣/٣.

(٤) مختصر رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبدالله بن حميد، اختصار عبدالرحمن بن عبدالعزيز النشوان ، مرجع سابق، ص٢٤.

(٥) المرجع السابق ص٢٦ وما بعدها.

كالمرضى، والضعفاء، وذوي الحاجات، والزكاة واجب مالي تجب على الأغنياء من المسلمين، في حال تحقق شروطها، وهو واجب ينال نسبة ضئيلة من المال الذي تجب فيه، والصيام كان المقصود من فرضه تهذيب النفس، والوصول بها إلى مراقي التقوى، وليس العسر، والمشقة بالإمساك عن الطعام، والشراب، والشهوة، ولذا فقد قال الله تعالى بعد بيان شيء من أحكامه: +يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ" [1]**، أما الحج فلا يجب في عمر المكلَّف إلا مرة واحدة في حال توافر شروطه، قال الله تعالى:** +مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"[2]**، وجاء التخفيف، والتيسير في العبادات، والأحكام في كون الشارع لم يجعل المطلوب –من ذلك– ركناً، أو شرطاً، أو مطلوباً طلباً جازماً، كما جاء فيما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:** «لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاةٍ»[3]**، وكذلك ما رواه ابن عباس ﷺ قال: أعتم رسول الله ﷺ ليلة بالعشاء، حتى رقد الناس واستيقظوا، ورقدوا، واستيقظوا، فقام عمر بن الخطاب فقال: الصلاة قال: عطاء قال ابن عباس: فخرج نبي الله ﷺ كأني أنظر إليه الآن، يقطر رأسه ماء، واضعاً يده على رأسه، فقال:** « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يصلوها هكذا »[4]**، يعني العشاء نصف الليل**[5]**، وقد يكون جانب التيسير بأن تكون الطاعة متمشية مع الداعي النفسي، وجلب السرور للنفس، فيأتي المكلف بالمطلوب الشرعي منشرح الصدر، كما في العيدين والجمعة، وما يطلب فيها من تجمل، وطيب وتنظيف**[6].

هذه هي العبادات في الإسلام "سهلة ميسرة في الأحوال، والظروف المعتادة، أما في الحالات الطارئة، والظروف الاستثنائية فتأخذ هيئات، وأحكاماً تتناسب مع وضع المكلف في تلك الظروف والأحوال"[7].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٩٧.

(٣) تقدم تخريجه ص٣٨.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب النوم قبل العشاء لمن غلب، (رقم ٥٧١) (ص١٢٧) ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب وقت العشاء وتأخيرها (٤٤٤/١ رقم ٦٤٢).

(٥) انظر كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الهندي، تحقيق محمود الدمياطي (دار الكتب العلمية، العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ) رقم ١٩٤٦٦، ص١٦٢/٧.

(٦) انظر مختصر رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٣ وما بعدها.

(٧) المرجع السابق، ص ٢٧.

وهي وفق هذا المنهج منسجمة مع مبدأ الرفق، الذي ينطوي عليه تشريع الإسلام في كل ما أوجبه الشارع على العباد، من العبادات والمعاملات، فهو الأولى الذي دل عليه الكتاب والسنة، يجب الامتثال بشأنه لما فيهما، وعدم تجاوزهما لما يراه العبد في نفسه من اندفاع ونشاط، لم يفت على المشرع وجودهما في طباع بعض الناس، قال الله تعالى: +وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ"[1]**، على قول طائفة من المفسرين: أن الكثير من الأمر واقع في التكاليف الإسلامية، ومعنى لعنتم هو لحرجتم، ولدخلت عليكم المشقة، ودين الله لا حرج فيه:** +وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ" **بالتسهيل والتيسير:** +وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ" **الآية.**

وإنما بعث النبي ﷺ لأمته بالحنيفية السمحة، ووضع الأصر والأغلال التي كانت على غيرهم، فكان من وصف الله تعالى لنبيه ﷺ: +لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ"[2]**، فكان التكليف على العباد منسجماً مع ذلك، قال تعالى:** +يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ"[3]**، وقال سبحانه:** +يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا"[4]**، وسمى الله تعالى الأخذ بالتشديد على النفس اعتداءً، فقال تعالى:** +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ"[5]**، وفي سُنَّةِ الرسول ﷺ اهتمام بالغ بتأصيل ذلك، وتربية الناس عليه، ومن ذلك ما جاء بشأن الوصال في الصوم، فيما رواه أبو هريرة ﷺ عن الرسول ﷺ قوله:** «لا تُوَاصِلُوا» **قالوا: إنك تواصل، قال :** «إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي» **فلم ينتهوا عن الوصال، قال: فواصل بهم النبي ﷺ يومين، أو ليلتين، ثم رأوا الهلال، فقال النبي ﷺ :** «لَوْ تَأَخَّرَ الْهِلالُ لَزِدْتُكُمْ» **كالمنكل لهم[6]. كذا ترك النبي ﷺ القيام بالناس في رمضان، مخافة أن يُفْرَض عليهم، فيعجزوا عنه، فيقعوا في الإثم، والحرج، فكان ذلك رفقاً منه بهم، وقالت عائشة – رضي الله تعالى عنها –: "إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل، وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم"[7].. وهذا جلي**

---

(١) سورة الحجرات، الآية ٧.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٤) سورة النساء، الآية ٢٨.

(٥) سورة المائدة، الآية ٨٧.

(٦) تقدم تخريجه، ص٣٩.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، (رقم ٧١٨).

فيما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلا تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الأَيَّامِ، إِلا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ»(١) ،**قال المهلب: "وجهه خشية أن يُستمر عليه فيفرض"**(٢).

وفي المقام نفسه، يروي عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن الحولاء بنت تُوَيْت(٣)**... مرت بها، وعندها رسول الله ﷺ فقلت: هذه الحولاء بنت تويت زعموا أنها لا تنام، فقال رسول الله ﷺ:** «لا تَنَامُ اللَّيْلَ! خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لا يَسْأَمُ اللَّهُ حَتَّى تَسْأَمُوا»(٤)، **"فأعاد لفظ لا تنام منكراً عليها –والله أعلم– غير راض فعلها، لما خافه عليها من الكلل، والسآمة، أو تعطيل حق، أوكد"**(٥)**، ونحو من ذلك، ما رواه أنس ﷺ قال: "دخل رسول الله ﷺ المسجد –وحبل ممدود بين سارتين– فقال:** «ما هذا؟» **قالوا: حبل لزينب تصلي فإذا كسلت أو فترت أمسكت به، فقال:** «حلوه، ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر قعد» **وفي رواية:** «لا، حلوه»(٦)، **وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: بلغ النبي ﷺ أني أصوم أسرد وأصلي الليل، فإما أرسل إليَّ وإما لقيته: فقال:** «ألم أخبر أنك تصوم لا تفطر، وتصلي الليل؟ فلا تفعل. فإن لعينك حظاً، ولنفسك حظاً، ولأهلك حظاً، فصم وأفطر وصل ونم...» **الحديث**(٧)، **وفي رواية عن ابن سلمة قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – ، قال: كنت أصوم الدهر، وأقرأ القرآن كل ليلة، فإما ذكرت للنبي ﷺ وإما أرسل إليَّ فأتيته فقال:** «ألم أخبر أنك تصوم الدهر، وتقرأ القرآن كل ليلة؟» **فقلت: بلى يا رسول الله، ولم أر في ذلك إلا الخير، قال:** «فإن كان كذلك» **–أو قال** «كذلك– فحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام» **فقلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال:** «فإن لزوجك عليك حقاً، ولزوارك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً»، **قال:** «فصم صوم داود نبي الله،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب كراهة صيام يوم الجمعة منفرداً، (رقم ١١٤٤) (١٤٨).

(٢) الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ) ٢١٧/١.

(٣) هي الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى القرشية الأسدية، وكانت من المجتهدات في العبادة، انظر: الاستيعاب (رقم ٣٢٧٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن، (رقم ٧٨٥) .

(٥) الاعتصام، الشاطبي ، مرجع سابق ٢١٧/١.

(٦) تقدم تخريجه، ص٣٥.

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب حق الأهل في الصوم (رقم ١٩٧٧)، ص٣٧٥. ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم صوم الدهر لمن تضرر به أو فوّت به حقاً.. (٨١٢/١ رقم ١١٥٩) .

فإنه كان أعبد الناس»، **قال: فقلت: يا نبي الله وما صوم داود؟ قال:** «كان يصوم يوماً ويفطر يوماً»، **قال** «واقرأ القرآن في كل شهر»، **قال: فقلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال:** «فاقرأه في كل سبع، ولا تزد على ذلك. فإن لزوجك عليك حقاً، ولزوارك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً» **قال: فشددت فشدد الله عليَّ. قال: وقال لي النبي ﷺ:** «إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر» **قال: فصرت إلى الذي قال لي النبي ﷺ. فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ** (١). **وفي رواية قال:** «صم يوماً وأفطر يوماً، وذاك صيام داود وهو أعدل الصيام»، **قال، فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال رسول الله ﷺ:** «لا أفضل من ذلك»، **قال عبد الله بن عمرو: لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله ﷺ أحب إليَّ من أهلي ومالي"**(٢)**، وفيما رواه الترمذي عن جابر ﷺ قال: ذُكر رجل عند رسول الله ﷺ بعبادة واجتهاد، وذُكر عنده آخر برعةٍ**(٣)**. فقال النبي ﷺ** «لا يُعَدْل بالرِّعة»(٤)**: والمراد بالرعة: الورع والتقى يقال: ورع كعلم يرع رعة.**

وكذا ما رواه أنس ﷺ قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال الآخر: إني أصوم الدهر ولا أفطر. وقال الآخر: إني أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٥).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهي بجملتها تدل على الأخذ في التسهيل والتيسير، وإنما يتصور ذلك على الوجه الأول من عدم الالتزام، وإن تصور مع الالتزام فعلى جهة ما لا يشق الدوام

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لم تضرر به أو فوّت به حقاً ... (رقم ١١٥٩) (١٨٢).

(٢) الموضع السابق (رقم ١١٥٩) (١٨١).

(٣) الرِّعة: الاحتشام والكف عن سوء الأدب وعن ما لا ينبغي. انظر لسان العرب، مادة (رعن).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب رقم ٦٠ (رقم ٢٥١٩) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا هذا الوجه.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (رقم ٥٠٦٣) ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه ... (رقم ١٤٠١).

فيه حسبما نفسره الآن[١].

وكان من صور التسهيل في العبادة، عدم تحريم أمر ومنعه، إلا لحكمة يكمن فيها الخير والصلاح للعباد، علمها الناس أو خفيت عليهم، كإباحة الأكل في آنية أهل الكتاب، فقد سأل أبو ثعلبة الرسول ﷺ : "يا رسول الله إنا بأرض قوم أهل كتاب، أفنأكل في آنيتهم؟ قال: «إن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها، وإن لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها»[٢]**، والأمر بغسل الآنية ليس لتلوثها برطوباتهم، بل لطبخهم الخنزير، وشربهم الخمر فيها"[٣]، وقد "ثبت في الصحيحين أنه ﷺ توضأ من مزادة مشركة[٤]، وربط ثمامة بن أثال، وهو مشرك بسارية من سواري المسجد[٥]. وأكل من الشاة التي أهدتها له يهودية من خيبر[٦]. وأكل من الجبن المجلوب من بلاد النصارى، وأكل من خبز الشعير، والإهالة لما دعاه إلى ذلك يهودي،... وتحليل طعام أهل الكتاب، ونسائهم بآية المائدة، وهي آخر ما نزل، وإطعامه ﷺ وأصحابه للوفد من الكفار من دون غسل للآنية ولا أمر به، ولم ينقل توقي رطوبات الكفار عن السلف الصالح، ولو توقوها لشاع، قال ابن عبد السلام: ليس من التقشف أن يقول: أشتري من سمن المسلم لا من سمن الكافر، لأن الصحابة لم يلتفتوا إلى ذلك. [٧].**

ومن مظاهر التخفيف على العباد في عباداتهم، أن جملة التشريعات الشاملة التي اتسمت بثباتها، باستنادها على أصول الإسلام، وقواعده، ومرونتها بمواءمتها لطباع البشر وإمكاناتهم، أن جعلت الأرض مسجدا، وطهوراً.. ولاشك أن كل تشريع وتنظيم إسلامي لكل ما يتصل بحياة الناس

---

(١) الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي ، مرجع سابق، ٢٢٥/١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب صيد القوس (رقم ٥٤٧٨) ومسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب الصيد بالكلاب المعلمة (رقم ١٩٣٠).

(٣) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م) ٢٥/١.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء (رقم ٣٤٤) ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة ... (رقم ٦٨٢).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير أيضاً في المسجد (رقم ٤٦٢) ومسلم، كتاب الجهاد والسير، والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه (قم ١٧٦٤).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين (رقم ٢٦١٧) ومسلم، كتاب السلام، باب السلام (رقم ٢١٩٠).

(٧) نيل الأوطار، الشوكاني، مرجع سابق، ٢٦/١.

مشتمل على ما يؤكد قضية الثبات والمرونة.. " وكان من شأن هذه الرخصة التي اختص بها الله ﷻ محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وأمته؛ أن تجعل من تواجد المسلم . في أي أرض أو في أي بلد، سواء دان أهلها بالإسلام أو بغيره من الديانات السماوية، أو الوثنية، وسواء اعترفوا بدين الإسلام، أو لم يعترفوا به . ظهوراً لشعائر الإسلام، ودعايةً لدين الله، وإعلاناً لدعوة التوحيد، ولشهادة الإسلام... وكان من شأن هذه الرخصة أيضاً، التي رَخَّصها الله ﷻ لنبي الإسلام ﷺ ولأمته، أن تجعل من كل مكان صلى فيه مسلم من المسلمين، مكاناً لإقامة شعائر الإسلام، سواء كانت إقامة فردية، أم جماعية للصلاة، وسواء كانت إحدى الصلوات الخمس اليومية أم صلاة يوم الجمعة؛ فصلاة الجماعة في الإسلام يجوز إقامتها في الصحراء، أو في أي أرض فضاء."[1].

ومن صور التيسير على العباد: **إراحة الجسد، ومراعاة متطلباته من الراحة، وعدم الإضرار به بتحميله مالم يتهيأ له من الأعمال، ويرد في ذلك ما رواه عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً فقال: كل قال: فإني صائم قال: ما أنا بآكل حتى تأكل. قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم فنام ثم ذهب يقوم فقال: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن. فصليا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ :** «صَدَق سَلْمَان»[2]**، والباري جل شأنه حين خلق الإنسان، وضع له في فرائض الدين، وواجباته ما يوائم قدرته، فينال ثمار ذلك وحسناته، وإذا ذهب يزيد في العبادة ويشدد على نفسه في كيفيتها، ألحق عنتاً يطاله في جسده وفكره، والحق الذي للنفس يقتضي أن تأخذ "ما تحتاج إليه ضرورة البشرية مما أباحه الله للإنسان من الأكل والشرب والراحة، التي يقوم بها بدنه، ليكون أعون على عبادة ربه. ومن حقوق النفس قطعها عما سوى الله تعالى، لكن ذلك يختص بالتعلقات القلبية، قوله: ولأهلك عليك حقًّا. أي تنظر لهم فيما لا بد لهم منه من أمور الدنيا والآخرة، والمراد بالأهل: الزوجة، أو أعم من ذلك ممن تلزمه نفقته"[3]، وحين تعاهد سلمان أبا الدرداء –رضي الله عنهما– في مسلكه مع نفسه**

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص١١١٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء، (رقم ١٩٦٨).

(٣) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٣/٣٨، ٣٩.

وأهله، جاءه الإقرار والمصادقة من الرسول ﷺ، وفي ذلك "منقبة ظاهرة لسلمان"(1).

ومن صور التيسير على الناس **التماس الأعذار لهم، وتغليب حسن الظن في حقهم، وكان لذلك ركيزة أصولية قام عليها، وهي (درء الحدود بالشبهات**(2)**)، ثم أن الجريرة التي تجر حدًّا، أو تعزيراً –في حال ثبوتها– قام إمضاء الإسلام لحدها على تحقيق مقاصد عظيمة، تنطوي في حقيقتها على التيسير والرحمة، فالعقوبات، والحدود الشرعية، والزواجر في دين الإسلام "على خلاف ما يظنه البعض فيها من كونها منطوية على القسوة والغلظة بصورة تخالف ما يجب أن يكون عليه هذا الدين من اليسر والمرونة، تحقيقاً لمقصد الرحمة التي بُعث بها محمدا ﷺ، فالمتأمل في ذلك يجد أن هذه الحدود، والعقوبات مكمن للرحمة، ورفع الحرج، ودلالة على اليسر، والمرونة في تشريع الإسلام، يظهر ذلك فيما يلي:**

الرحمة بالمجتمع، فهي مصاحبة للعدل في نظام الإسلام، وبها نزل الدين على محمد ﷺ، ومن سبقه من الرسل عليهم السلام، قال الله تعالى: +وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ"(3)**، ففيها حصرت الغاية من بعثته ﷺ، ومعلوم بأنه ليس من الرحمة الرفق بالأشرار الذين يؤذون الناس ويرهبونهم، ويسلبونهم الأمن على أنفسهم، وأعراضهم، وأموالهم، إن الرفق بهؤلاء هو عين القسوة في مؤداه، وإن بدا في ظاهره الرحمة، فإن في باطنه العذاب الشاق للمجتمع.**

الرحمة بالمتهم، والجاني بدرء الحد عن المتهم، والستر عليه حسب الاستطاعة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله إني أصبت حدًّا فأقمه عليَّ، قال: ولم يسأله عنه، قال: وحضرت الصَّلاةُ، فصلَّى مع النبي ﷺ فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قام إليه الرجل فقال: يا رسول الله إني أصبت حدًّا فَأَقِمْ فِيَّ كتاب اللَّهِ قال: « أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا » **قال: نعم قال:** « فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ. **"أَو قال"** حَدَّكَ »(4).

باب التوبة، والكفارات، وهذا له علاقة وثيقة بما يقترفه المسلم من أخطاء مهما كانت، فهذا الخلل يولِّد عند المسلم ضيقاً، وشعوراً بالذنب والخطيئة، ولو استسلم المرء لها فإنها قد تدعو إلى

---

(1) المرجع السابق، ٣/٣٢.

(2) انظر حول ذلك: أثر الشبهات في درء الحدود، د. سعيد بن مسفر الوادعي، وانظر درء العقوبات بالشبهات دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون في المملكة وبعض الدول العربية، د. محمد المحيذيف.

(3) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب إذا أقر بالحد ولم يبين هل للإمام أن يستر عليه، (رقم ٦٨٢٣) ومسلم، كتاب التوبة، باب قوله تعالى: +الحسنات يذهبن السيئات" (رقم ٢٧٦٤).

الاستطالة في الانحراف، واليأس من رحمة الله، فيقع لذلك في الألم، والحرج النفسي، ومن ثم الإغراق في ارتكاب المنهيات، لذلك فإن الله ﷻ -رحمة بعباده- فتح لهم أبواب التوبة، وكفارات الذنوب، يجد فيها المسلم ملاذاً لترك حاله السيئ، وإبداله بآخر حسن، فيخلف ذلك له الراحة، والطمأنينة، قال الله تعالى: +وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا" [1] [2].

رابعاً: استقصاء المصالح، وتحقيق مقاصد الإسلام ومنافعه

ومن المقاصد المهمة التأليف فيما بين الناس، وجمع قلوبهم على الحق، وإزالة كل ما من شأنه إعاقة هذه الألفة، وإبعادها، ليؤول أمرهم إلى التكاتف والتعاون، ويتأتى ذلك حين يُنْزَل كل فرد في منزلته التي تناسب حاله، ومقامه، فيرضي ذلك فضوله، ويخلف لديه امتناناً لمن أكرمه.

وفي هذا المنحى يظهر تفاوت كل من الثبات والمرونة في المقدار الذي يناله الناس، وفق التباين في منازلهم وظروفهم ومواقعهم في مجتمعاتهم، ولم يكن ذلك مما يقوّض مبدأ المساواة في التعامل مع الناس، فكان من صور ذلك الاعتناء "إكرام الكبير من المسلمين، ومشروعية إكرام أهل الفضل في مجلس الإمام الأعظم، والقيام فيه لغيره من أصحابه"[3]، وما جاء في قول النبي ﷺ: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً وجبت له النار»[4] فقد أجاب عنه الطبري بأن هذا الخبر إنما فيه نهي من يقام له عن السرور بذلك، لا نهي من يقوم له إكراماً له، وأجاب عنه ابن قتيبة بأن معناه من أراد أن يقوم الرجال على رأسه كما يقام بين يدي ملوك الأعاجم، وليس المراد به نهي الرجل عن القيام لأخيه إذا سلم عليه[5]، وذكر الخطابي في هذا الشأن أن قيام المرؤوس للرئيس الفاضل، والإمام العادل، والمتعلم للعالم مستحب، وإنما يكره لمن كان بغير هذه الصفات[6]، وإلى ذلك أشار ابن القيم، فقد ذكر بأن "من تعظيم تعظيم الله تعظيم ذي الشيبة المسلم. قيل: فالرجل يقوم للرجل له الفضل والفقه؟ قال: أكره ذلك، ولا

---

(١) سورة النساء، الآية ١١٠.

(٢) انظر مختصر رفع الحرج في الشريعة الإسلامية مرجع سابق، ص٣١ وما بعدها.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ١١/٥١.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في قيام الرجل للرجل (رقم ٥٢٢٩) والترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل (رقم ٢٧٥٥) وقال: هذا حديث حسن. أحمد بن حنبل (٤/٩١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٩٥٧).

(٥) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ١١/٥١.

(٦) المرجع السابق، ١١/٥١.

بأس بأن يوسع له في مجلسه. قال: وقيام المرأة لزوجها حتى يجلس من فعل الجبابرة، وربما يكون الناس ينتظرونه فإذا طلع قاموا فليس هذا من فعل الإسلام وهو فيما ينهى عنه من التشبه بأهل الكتاب، والأعاجم"[١]. ونقل ابن حجر عنه -رحمهما الله- قريباً من ذلك، فقد ذكر ابن القيم بأن "القيام ينقسم إلى ثلاث مراتب: قيام على رأس الرجل وهو فعل الجبابرة، وقيام إليه عند قدومه، ولا بأس به، وقيام له عند رؤيته، وهو المتنازع فيه"[٢]، وهذا وغيره من أحكام خاصة بهذه المسائل[٣] يدور على تحقيق مقصد عظيم للإسلام، وهو احترام الإنسان، وعدم إهانته، والتجاوز بشأن حقوقه، إلا بوجه حق، ويُعد تتبع هذا المقصد بتلك الأحكام والتشريعات صورة لمرونة الإسلام، وقد كان "من المفاسد التي تترتب على استعمال القيام أن الشخص صار لا يتمكن فيه من التفصيل بين من يستحب إكرامه وبره: كأهل الدين والخير والعلم، أو يجوز: كالمستورين، وبين من لا يجوز: كالظالم المعلن بالظلم، أو يكره: كمن لا يتصف بالعدالة وله جاه فلولا اعتياد القيام ما احتاج أحد أن يقوم لمن يحرم إكرامه أو يكره، بل جر ذلك إلى ارتكاب النهي لما صار يترتب على الترك من الشر، وفي الجملة متى صار ترك القيام يُشعر بالاستهانة، أو يترتب عليه مفسدة امتنع"[٤].

ومن جهة أخرى -في المقام نفسه- اقتضى منهج الإسلام في المرونة، والثبات تعاملاً حكيماً مع فئات المعرضين، الذين تجاوزوا بإعراضهم، ومروقهم حدًّا استحقوا به النكال الشديد، فاستدعى حالهم -في ظل هذا المنهج- مداراة خاصة، وهذا ماثل في مسلك علي بن أبي طالب ﷺ مع الخارجين عليه، فقد "علم أنهم المارقون، ولأنه لو قتلهم قبل المحاربة له، لربما غضبت لهم قبائلهم، وتفرقوا على علي ﷺ، وقد كان حاله في حاجته إلى مداراة عسكره، واستئلافهم، كحال النبي في حاجته في أول الأمر إلى استئلاف المنافقين..."[٥].

ومن المقاصد التي تيسر استقصاؤها بما في شريعة الإسلام من مزية المرونة والثبات، ترشيد الجهد المبذول في التعليم والدعوة، وتوجيهه ليؤتي ثماره المُرادة، حيث يُعين ذلك على المراوحة

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد حامد الفقي (مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٦٩هـ) ١/١٣٥.

(٢) نقلاً عن فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ١١/٥٤، ولم يتيسر العثور عليه في المتاح من كتب ابن القيم رحمه الله.

(٣) للاستزادة حول ذلك، انظر فتح الباري، ابن حجر، المرجع السابق، ١١/٥٤.

(٤) المرجع السابق، ١١/٥٤.

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، (دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٧هـ) ٢/٣٤٩.
٢/٣٤٩.

بين طرق التعليم والدعوة، في مقدار ما يُطرح أو في نوعه، تمشياً مع اختلاف الناس، وتفاوتهم في الاهتمام، والتوجه، ومستوى التعليم، وحين يُلقى على المُخَاطب ما لا يتفق مع واحد من هذه الأمور لديه، كان ذلك مُفَوِّتاً لثمرة الجهد، قال كثير بن مرة: "لا تحدث الباطل الحكماء فيمقتوك، ولا تحدث الحكمة للسفهاء فيكذبوك، ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تضعه في غير أهله فتجهل، إن عليك في علمك حقًّا كما أن عليك في مالك حقًّا»[1]، وعن أبي فروة أن عيسى ابن مريم كان يقول: "لا تمنع العلم من أهله فتأثم، ولا تنشره عند غير أهله فتجهل، وكن طبيباً رفيقاً يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع"[2]، وعن أبي الأحوص عن عبد الله، قال: "لا تملوا الناس"[3]، وقال أيضاً: "إن للقلوب نشاطاً وإقبالاً، وإن لها تولية وإدباراً، فحدثوا الناس ما أقبلوا عليكم"[4]، وقال الحسن: "كان يُقال: حدث القوم ما أقبلوا عليك بوجوههم، فإذا التفتوا فاعلم أن لهم حاجات"[5].

وكان لتمام الشريعة، واستيعابها مزيتها، التي قامت بالجمع بين المرونة والثبات، فبان ذلك في كونها "مبنية على مراعاة مصالح الدنيا والآخرة، وإتمام مكارم الأخلاق الحسنة، أما بيان مصالح الآخرة فهو أن هذا الشرع يبين وجوهها، ولم يغفل شيئاً منها، بل فسرها وأوضحها غاية الوضوح، لئلا يُجهل شيء منها، فوعد بنعيمها، وتوعد بعذابها، بخلاف الشرائع المتقدمة، فإنها إنما كانت تتوعد على المخالفة بعقاب دنيوي، كما فعل بنو إسرائيل غير مرة، وتوعد بثواب دنيوي ولم يبين لهم شيئاً مما بين لنا على ما يقتضيه نسق التوراة، إذ ليس فيها ذكر جنة، ولا نار، إلا تنبيهات قليلة، وكذلك الإنجيل ليس فيه شيء من ذلك إلا ما ذكرناه"[6].

ومن الأوجه التي تم بها استقصاء المصالح، وتحقيق المقاصد، السعة التي وهبها الشارع للمفتي في أحكام التشريع، ليُعَالِج بها كل متغيرات الحياة، وطواريها، وهي سعة تساير أحوال الناس المتغيرة، بتغير الزمان والمكان، وهذا التغير في تلك الأمور التي عليها مدار نشاط الإنسان، وتقلبه في تلك الحياة، من شأنه أن يقتضي تغيراً في النظام الذي يحكمها، ويرتبها، حتى يوائم

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله، (رقم ٣٨٤).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله، (رقم ٣٨٥).

(٣) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب من كره أن يمل الناس، (رقم ٤٥٣).

(٤) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب من كره أن يمل الناس، (رقم ٤٥٤).

(٥) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب من كره أن يمل الناس، (رقم ٤٥٥).

(٦) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (دار التراث العربي، القاهرة، ١٣٩٨هـ) ص٤٤٢.

التبدل، والتجدد والتنوع، الذي يعتري هذه الحياة وما تنطوي عليه من ضروب النشاط الإنساني المختلفة، ويذكر ابن القيم -رحمه الله- في هذا المقام قولاً نفيساً حول "تغير الفتوى، واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة، والأحوال، والنيات، والعوائد، وبناء الشريعة على مصالح العباد في المعاش والمعاد... فإن الشريعة مبناها، وأساسها على الحكم، ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها..."[(١)].

بيد أنه يُشار في هذا المقام إلى طبيعة، ونوع تلك المواءمة، التي يتسم بها التشريع الإسلامي، فهي لا تعني تبدلاً، أو نسخاً، أو إلغاءً لأحكام الدين وتشريعاته، لكنها تعني أن هذا التشريع له من الشمول، والاستيعاب، والاستقصاء ما يُعالج به كل ما يطرأ في حياة الناس، وينزل في ساحتهم، ولذا فإن هذا التغير في الفتوى لا يعني أن حكماً قد تغير، وتشريعاً قد نُسخ، وإنما يعني انتقال المفتي إلى فتوى غير الأولى، لأنها التي يحتاجها للحال الجديدة التي عرضت له، والحكم الأول بقي منسحباً على الحال الأولى للمستفتي، ولا مجال لتعطيله والعدول عنه؛ لأن الحاجة لا تزال إليه قائمة، إذ المسألة باختصار، أن حالاً جديدة اعترت المستفتي، ولها في شريعة الإسلام ما يعالجها فبادر إليه المفتي، وأفضى بها إلى من استفتاه.

واستقراء نصوص الكتاب، والسنة يُبَيِّن أنه قد يكون للحالة الواحدة حكمان، يختلف أحدهما عن الآخر بسبب تغير الزمان، أو المكان، أو الظروف، وهذان الحكمان ثابتان بالأدلة من الكتاب أو السنة، فصار لكل حالة حكم يخصها، فلا وجه لتسمية ذلك بتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والظروف والحالات؛ لأن لكل حال فتوى تخصها بدليل شرعي فلم تتغير الفتوى في الحقيقة، وإنما جَدَّ حال فكان له في منهج الإسلام ما يُعين على تصوره وعلاجه، ومثال ذلك: إقامة الحد على مرتكبه في حال السلم والإقامة، وفي حال الحرب حين مواجهة العدو، فإن حكم إقامته في الحالة الأولى واجب، وذلك إذا بلغ السلطان، واكتملت شروط إقامته، أما في حال الحرب، وخوف فراره إلى الكفار، أو ردته، أو حصول فتنة، وخلاف بين المسلمين، فإن حكم

---

(١) وفي سياق تناول ابن القيم -رحمه الله- لهذا الموضوع ذكر في ثناياه جملة من الأمثلة التي تمضي فيها المراوحة بين الفتاوى حين تتغير الأحوال وتتبدل، فقد ذكر حالات الإنكار للمنكر، والنهي عن قطع الأيدي في الغزو، وسقوط الحد عن التائب، والأخذ بالقرائن وشواهد الأحوال، وسقوط حد السرقة أيام المجاعة، وبيان صدقة الفطر حسب قوت المخرجين لها، وطواف الحائض بالبيت، وغير ذلك. انظر إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ٣/٣-٥٨. وللاستزادة حول ذلك انظر أيضاً إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ١/٣٣٠-٣٣٤. وانظر تلخيص الحبير، في أحاديث الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق السيد عبدالله هاشم اليماني المدني (الناشر بدون، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ) ٤/١٨٧.

إقامته ممنوع شرعاً، بل يؤجل لما ثبت من فعله ﷺ، فقد أخرج الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ما ضرب رسول الله ﷺ في الخمر إلا أخيراً، ولقد غزا تبوك، فغشي حجرته من الليل سكران، فقال: ليقم إليه رجل، فيأخذ بيده حتى يرده إلى رحله"[1]، ولعل من شواهد ذلك الأدلة التي أخذت منها القاعدة الشرعية الفقهية المُتَّفَق عليها، وهي: أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ومثل هجر النبي ﷺ لبعض أصحابه الأتقياء من أجل كلمة قالها غيبة لأخيه المسلم، لأن الهجر يردعه، ولأنه ﷺ يثق بهذا المهجور، ورسوخه في الدين، فهو لا يخشى عليه من ردة، ولا من فتنة، وترك هجر رؤوس المنافقين، بل إنه استحل اغتياب أحدهم لما استأذن عليه قائلاً: «ائْذَنُوا لَهُ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ أَوِ ابْنُ الْعَشِيرَةِ» **فلمَّا دخل ألان له الكلام قالت عائشة: يا رسول اللَّه قلت، الذي قلت ثمَّ ألنت له الكلام قال:** «أَيْ عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»[2]**، ويُذكر عن أبي الدرداء: "إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ"[3]، ومثال آخر: أكل المضطر من الميتة بقدر ما يدفع عنه غائلة الجوع جائز، وعدم جواز ذلك في حال عدم الاضطرار لدلالة الآيات القرآنية على ذلك: +**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ ...**" [4]، أما القول في مثل هذه الحالات بأن الفتوى تغيرت بشأنها، فليس بصحيح فيما ظهر لي، لأن لكل حالة فتوى شرعية تخصها[5]، وحين نُعَبِر عن هذا الأمر بكلمة (تغير) فمن المُتَعَيِّن أن ننصرف بمعناها إلى الكثرة والتعدد، لا إلى التحول والانتقال، وهذا مُؤيد بقولٍ لعمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- : "تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من فجور"[6].**

ومن الشواهد على ظهور المرونة والثبات في تتبع أحكام الشريعة للمصالح، وتلمس

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ١٥/٧٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب، (رقم ٦٠٥٤) ومسلم، كتاب البر والصلة، باب مداراة من يتقي ... (رقم ٢٥٩١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس، ص١١٨٢، طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٤) سورة المائدة، الآية ٣.

(٥) ولكن في حال تمسك بعض العلماء بهذا التعبير وأنه جائز نقول: إنه يجب أن تكون الفتوى لكل حال مبنية على دليل صريح محكم من القرآن الكريم أو صحيح واضح من السنة. أما بمجرد الاجتهاد والرأي فلا لسببين: الأول: أن دين الإسلام كامل جاء فيه البيان لكل شيء، والثاني: لئلا يتلاعب أهل الأهواء والجهال بالدين فيحللون ما حرم الله أو العكس كما حصل ممن أباحوا السفور بل والتبرج والاختلاط في هذا الزمان بهذه الحجة الواهية: تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان.

(٦) انظر فتح الباري، ابن حجر، ١٥/٧٧، ٨٠، ٨٩، وانظر الروضة الندية شرح الدرر البهية، صديق حسن خان، تحقيق: علي حسن الحلبي (دار ابن عفان، القاهرة، ١٩٩٩م) ٢/٢٨٣، ٢٨٤.

المقاصد، ما أخرجه الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: كنا عند النبي ﷺ فجاء شاب فقال: يا رسول الله أُقَبِّلُ وأنا صائم؟ قال: « لا » **فجاء شيخ فقال: أُقَبِّلُ وأنا صائم؟ قال:** « نَعَم » **فنظر بعضنا إلى بعض، فقال رسول الله ﷺ:** «قَدْ عَلِمْتُ لِمَ نَظَرَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ، إِنَّ الشَّيْخَ يَمْلِكُ نَفْسَهُ»[١]، **وكذا ما رواه سلمة بن الأكوع، قال: قال النبي ﷺ:** «مَنْ ضَحَّى مِنْكُمْ فَلا يُصْبِحَنَّ بَعْدَ ثَالِثَةٍ وَبَقِيَ فِي بَيْتِهِ مِنْهُ شَيْءٌ» **فلمَّا كان العام المقبل قالوا: يا رسول اللَّه نفعل كما فعلنا عام الماضي قال:** «كُلُوا وَأَطْعِمُوا وَادَّخِرُوا فَإِنَّ ذَلِكَ الْعَامَ كَانَ بِالنَّاسِ جَهْدٌ فَأَرَدْتُ أَنْ تُعِينُوا فِيهَا»[٢]، **وفي شأن آخر، قال الرسول ﷺ :** «إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلاثٍ: زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا وَلْتَزِدْكُمْ زِيَارَتُهَا خَيْرًا، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الأَضَاحِيِّ بَعْدَ ثَلاثٍ، فَكُلُوا مِنْهَا مَا شِئْتُمْ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ الأَشْرِبَةِ فِي الأَوْعِيَةِ فَاشْرَبُوا فِي أَيِّ وِعَاءٍ شِئْتُمْ، وَلا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا»[٣].

ولقد ترسم الصحابة ذلك وساروا عليه، وأمضوا هذه الروح في شرع الإسلام، وعالجوا بها كل ما جَدَّ في أوساط الناس، ومن ذلك هديهم في تفاوت عقوبة شارب الخمر، بعد أن كان ذلك غير مُعَيَّن بحد مقدر في زمن الرسول ﷺ، فعن عقبة بن الحارث أن النبي ﷺ أُتِيَ بِنُعَيْمَانَ أَوْ بِابْنِ نُعَيْمَانَ[٤]وهو سكران فَشَقَّ عليه، وأمر من في البيت أن يَضْرِبُوه فضربوه بالجريد والنعال، وكنت فيمن ضربه[٥]، لكن الحال بعد ذلك –في زمن أبي بكر ومن بعده من الخلفاء ﷺ– استدعى التماس ما يناسب ما جَدَّ فيها، حين تجاوز الناس في معاقرتهم للخمر، وصار شاربوها في عهد أبي بكر ﷺ أكثر منهم في زمن الرسول ﷺ، فكان حد الشارب متراوحاً بين الأربعين والستين والثمانين والمائة جلدة، في زمن كل من أبي بكر، وعمر، وعلي ﷺ، وقد تم استيعاب هذه المسألة وغيرها[٦]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (٢/١٨٥/٢٢١) وبنحوه أخرجه أبو داود، كتاب الصوم، باب كراهيته للشاب (رقم ٢٣٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأضاحي، باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها، (رقم ٥٥٦٩) ومسلم، كتاب الأضاحي، باب بيان ما كان من النهي عنه أكل لحوم الأضاحي... (رقم ١٩٧٤).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه (رقم ٩٧٧)..

(٤) هو النعمان بن عمرو بن رفاعة بن سواد ويقال رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن الجار شهد بدراً، يُقَال له له نعيمان شهد العقبة الآخرة، وهو من السبعين فيها في قول ابن إسحاق، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ قال الواقدي: بقي نعيمان حتى توفي في خلافة معاوية، قال أبو عمر: أظنه صاحب أبي بكر وسويبط رضي الله عنهم وأظن أنه الذي جلد في الخمر أكثر من خمس مرار. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر (دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ) ٤/١٥٠٣. وانظر الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، أبو الفضل، تحقيق: علي محمد البجاوي (دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ) ٦، ٨٢.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب الضرب بالجريد والنعال، (رقم ٦٧٧٥).

وغيرها[1] بهذا المنهج الذي تتبع مقاصد الإسلام في تحقيق الخير، والنفع للناس[2].

ومما تم به استقصاء المصالح، وتحقيق مقاصد الدين شمول شريعة الإسلام وتمامها، **قال الله ﷻ: +ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ"[3]، أي "أكملت لكم وضعه فلا أفرض عليكم من بعد ما لم أفرضه عليكم إلى اليوم، ولا أضع عنكم بعد اليوم ما قد فرضته قبل اليوم، فلا تغليظ من الآن، ولا تخفيف، ولا نسخ، ولا تبديل.."[4]، ولعظم شمول أحكام شريعة الإسلام، ودقة استقصائها، كانت هذه الأحكام من الكثرة والتنوع، واتسام بالدقة، وحسن التنظيم، وسهولة التناول والتطبيق، ويسر التلقي والتعليم، لانسجامها وطبيعة الخلق، وسجية البشر، والتماسها دوماً مواطن النفع والمصلحة، ولقد كان من الجهد في رصد ذلك، ما عمد إليه ابن حبان –رحمه الله– من فرز لهذه الأحكام، وتصنيفٍ لأنواعها، فقد قال: "تدبرت خطاب الأوامر عن المصطفى ﷺ لاستكشاف ما طواه في جوامع كَلِمِهِ، فرأيتها تدور على مائة نوع، وعشرة أنواع، يجب على كل منتحل للسنن أن يعرف فصولها، وكل منسوب إلى العلم أن يقف على جوامعها، لئلا يضع السنن إلا في مواضعها، ولا يزيلها عن موضع القصد في سننها...[5]، وقد**

---

(١) مثل فتوى عمر ﷺ في المؤلفة قلوبهم، انظر كتاب الأموال، لأبي عبيد القاسم بن سَلام، تحقيق: محمد خليل هراس (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ) ص٥٣٨، ٥٣٩ . وكذا في عام المجاعة، ودرؤه القطع عمن سرق في هذا العام، فقد روى حصين بن جرير قال: "سمعت عمر يقول لا قطع في عذق ولا في عام سنة" انظر الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ) ٥١٦/٥. وانظر المصنف، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، مرجع سابق، ٢٤٢/١٠. وانظر إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ١٠/٣ ،١١. وعن هشام بن عروة قال: "جيء إلى مروان برجل سرق شاة فإذا إنسان مجهود مضرور فقال ما أرى هذا أخذها إلا من ضرورة فلم يقطعه" . وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ في ناقة نحرت، فقال له عمر: "هل لك في ناقتين بها، عشاريَّتين مُرِبعَتين (أي موطيتين) سمينتين. قال: بناقتك، فإنا لا نقطع في عام السنة" انظر المرجع السابق، ٢٤٢/١٠، ٢٤٣.

(٢) انظر تفصيلات ذلك في المصنف، ابن أبي شيبة، مرجع سابق، ٣٧٧/٧. والمصنف، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني مرجع سابق، ٣٧٧/٧-٣٧٩، ٣٨٢، ٢٣١/٩، والاعتصام، الشاطبي، مرجع سابق، ١١٨/٢، والسنن الكبرى، أبوعبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (دار الكتب العلمية، بدون، ١٤١١هـ) ٣٢١/٨، وصحيح البخاري، باب الضرب بالجريد والنعال، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مرجع سابق، ١٥/ ٦٤، ٦٧، ٧٣، ٧٤، ٧٧.

(٣) سورة المائدة، الآية ٣.

(٤) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مرجع سابق، ٦٤/١.

(٥) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ) ١٠٥/١ وما بعدها.

وقد تتبعت النواهي عن المصطفى ﷺ، وتدبرت جوامعَ فصولها، وأنواع ورودها، لأن مجراها في تشعب الفصول مجرى الأوامر في الأصول، فرأيتها تدور على مائة نوع وعشرة أنواع ...[1]، وقد تفقدت الإباحات التي أبيح ارتكابها، ليحيط العلم بكيفية أنواعها، وجوامع تفصيلها بأحوالها، ويسهل وعيها على المتعلمين ولا يصعب حفظها على المقتبسين، فرأيتها تدور على خمسين نوعاً..."[2].

ومجريات الحياة، وأحوال الناس مهما اختلفت كان لها في شريعة الإسلام ما يوائمها، ولذا لم يكن بوسع الإنسان أن يُبادر إلى غير ما في الشريعة، حين يَصْعُب حاله، وتتعقد أوضاعه، فكل ما زاد الأمر في سوئه وصعوبته، زادت قدرة الشريعة على التعامل معه واستيعابه، فعلى سبيل المثال حين تدعو الفتن في بعض مواقفها إلى التنحي والعزلة، جعلت الشريعة "كل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معنى الجبال، والشعاب مثل الاعتكاف في المساجد، ولزوم السواحل للرباط، والذكر، ولزوم البيوت فراراً عن شرور الناس، وإنما جاءت الأحاديث بذكر الشعاب والجبال، واتباع الغنم والله أعلم، لأن ذلك هو الأغلب في المواضع التي يعتزل فيها، فكل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معناه"[3].

وكثرة أحكام شريعة الإسلام، وتعدد مسائلها، مظهر لهذا الشمول، ودليل عليه، وهي كثرة سايرت الشريعة بها كثرة أحوال الناس، وتعدد أحوالهم، حيث نال ذلك كله منها أحكاماً خاصة، انطوت تحت تنظيم عظيم، وقواعد محكمة عُني بتصنيفها، وترتيبها، فكانت في متناول اليد، ليس فيها عسر، ولا استعصاء، ولا تعارض، وكل جزء فيها منتظم مع غيره من أجزائها، وكل ما بدا من أحكامها موهماً للتعارض مع غيره نجد له في ثناياها مسالك للجمع والترجيح بصورة تحقق التعاضد والتكامل، لا التضاد، والتنافر[4].

---

(١) المرجع السابق، ١/١١٩ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ١/١٤٠-١٤٣.

(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ١٠/٣٦٢.

(٤) استوعب علم الأصول صور ذلك، وأحكمه فما غاب عنه شيء تطلب الترجيح إلا وقد حازه، فقد جاء الترجيح بين المعارضين ضمن اعتبارات، مثل: الإسناد، والمتن، والمدلول، والترجيح بين الأقيسة، والترجيح بين الحدود السمعية، وانطوت هذه الاعتبارات على نحو مائة وستين نوعاً للترجيح بين المعارضين. انظر إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٩هـ) ٢/٢٦٣-٢٨٢.

أما ما يرد الحديث بشأنه دوماً حول الاختلاف الدائر بين المنتسبين للمذاهب الفقهية، فليس من هذا القبيل، إذ هو مرتبط بجهد البشر،

ومما يُعِين على استقصاء المصالح، وتحقيق المقاصد: الحرص على الاعتدال والتوسط في مباشرة الأمور، حتى لا تضيع مصالح العباد، ومقاصد الشريعة بين الإفراط والتفريط، فعن أبي هريرة ﷺ قال: لما نزلت +مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ"[1]، بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكها»[2]، **وفي شأن آخر، قال أبو هريرة ﷺ: "أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما"[3]، وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قلت: يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ قال:** «اختمه في شهر» **قلت: إني أطيق أفضل من ذلك قال:** «اختمه في عشرين» **قلت: إني أطيق أفضل من ذلك قال:** «اختمه في خمسة عشر» **قلت: إني أطيق أفضل من ذلك قال:** «اختمه في عشر» **قلت: إني أطيق أفضل من ذلك قال:** «اختمه في خمس» **قلت: إني أطيق أفضل من ذلك قال: فما رخص لي.[4]، وعن جابر بن سمرة قال: "كنت**

وإليه يُنْسب ذلك، ويستأنس في هذا المقام بما صدر عن الدورة العاشرة للمجمع الفقهي بمكة المكرمة المنعقدة في صفر ١٤٠٨هـ برئاسة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز –رحمه الله- وتوقيع ١٢ عالماً، حول اختلاف المذاهب الفقهية في بعض المسائل، فقد جاء عن هذه الدورة أن لذلك "أسباباً علمية اقتضته، ولله سبحانه في ذلك حكمة بالغة، ومنها الرحمة بعباده، وتوسيع مجال استنباط الأحكام من النصوص، ثم هو بعد ذلك نعمة وثروة فقهية تشريعية، تجعل الأمة الإسلامية في سعة من أمر دينها وشريعتها، فلا تنحصر في تطبيق شرعي واحد حصراً لا مناص لها منه إلى غيره، بل إذا ضاق بالأمة مذهب أحد الأئمة الفقهاء في وقت ما أو في أمر ما، وجدت في المذاهب الأخرى سعة ورفقاً ويسراً، سواء أكان ذلك في شؤون العبادات، أم المعاملات، وشؤون الأسرة والقضاء والجنايات، على ضوء الأدلة الشرعية، فهذا النوع... من اختلاف المذاهب، وهو الاختلاف الفقهي، ليس نقيصة ولا تناقضاً دينياً، ولا يمكن أن لا يكون، فلا يوجد أمة فيها نظام تشريعي كامل بفقه واجتهاد ليس فيها هذا الاختلاف الفقهي الاجتهادي.

(١) سورة النساء، الآية ١٢٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، (رقم ٢٥٧٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض، (رقم ١٩٩٧). قال أبوعيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا، رواه الحسن بن أبي جعفر، وهو حديث ضعيف أيضا بإسناد له عن علي عن النبي ﷺ، والصحيح عن علي موقوف قوله، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٧٨٧).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب القراءات، باب ما جاء في أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، (رقم ٢٩٤٦). وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

أصلي مع النبي ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً"[1]، **وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال ﷺ**: «كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة»[2]، **وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ**: «أكره الغل، وأحب القيدَ. القيدُ ثبات في الدين»[3]، **وعن علي رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ**: «فيك مثل من عيسى، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس به»، ثم قال: «يهلك فيَّ رجلان: محب مفرط يقرظني بما ليس في، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني»[4]، **وعن عبد الله بن عمرو قال: ذُكِر لرسول الله ﷺ رجال يجتهدون في العبادة اجتهاداً شديداً فقال**: «تِلْكَ ضَرَاوَةُ الإِسْلامِ وَشِرَّتُهُ، وَلِكُلِّ ضَرَاوَةٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى اقْتِصَادٍ وَسُنَّةٍ فَلِأُمٍّ مَا هُوَ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى الْمَعَاصِي فَذَلِكَ الْهَالِكُ»[5]، **وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: رأى رسول الله ﷺ حبلاً ممدوداً بين ساريتين، فقال**: «لمن هذا؟» **قالوا: لحمنة بنت جحش، فإذا عجزت تعلقت به، فقال**: «لتصل ما طاقت، فإذا عجزت فلتقعد»[6]، **وعن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: كنا مع النبي ﷺ في غزوة غزاها وذلك في رمضان، فصام رجل من أصحاب النبي ﷺ فضعف ضعفاً شديداً، وكاد العطش أن يقتله، وجعلت ناقته تدخل تحت العضَاهِ**[7]، **فأُخْبِر به النبي ﷺ فقال**: «ائتوني به» **فأُتي به، فقال**: «ألست في سبيل الله ومع رسول الله ﷺ أفطر» **فأفطر**[8]، **وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال**: «من فقه الرجل رفقه في معيشته»[9]، معيشته»[9]، **وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة حدثته أن النبي ﷺ لم يكن يصوم من شهر من السنة أكثر من صيامه من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله، وكان يقول**: «خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله عز وجل لا يمل حتى تملوا، فإنه كان أحب الصلاة إليه ما داوم عليها وإن قل، وكان إذا

---

(١) أخرجه النسائي في سننه، في كتاب صلاة العيدين، باب القصد في الخطبة، (رقم ١٥٨٠).

(٢) أخرجه النسائي في سننه، في كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة، (رقم ٢٥٥٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، في كتاب تعبير الرؤيا، باب تعبير الرؤيا، (رقم ٣٩٢٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث (رقم ١٣٠٥).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث (رقم ٦٢٥٣).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث (رقم ١٢٤٤٩).

(٧) العِضَاهِ: شجر عظيم له شوك.

(٨) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث (رقم ١٤٠٠٣).

(٩) أخرجه أحمد (١٩٤/٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٧/٤): رواه أحمد وفيه أبو بكر بن أبي مريم وقد اختلط. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٥٣٠٨).

صلى صلاة يداوم عليها»[1]، **وعن عائشة قالت: ما لعن رسول الله ﷺ مسلماً من لعنة تذكر، ولا انتقم لنفسه شيئاً يُؤتى إليه، إلا أن تنتهك حرمات الله ﷻ، ولا ضرب بيده شيئاً قط، إلا أن يضرب بها في سبيل الله، ولا سئل شيئاً قط فمنعه إلا أن يسأل مأثماً، فإنه كان أبعد الناس منه، ولا خُيِّر بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما، وكان إذا كان حديث عهد بجبريل ؑ يدارسه كان أجود بالخير من الريح المرسلة**[2]، **وعن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال: القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة**[3]، **وعن عائشة: أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال:** «من هذه؟» **قالت فلانة تذكر من صلاتها قال:** «مه! عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه مادام عليه صاحبه»[4]، **وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال:** «إن الدين يسر، ولن يشاد يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[5]، **وعن وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:** +وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا" [6]، **قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ:** +وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ" **أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن** +وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا" **عن أصحابك فلا تسمعهم** +وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا" [7]، **وعن سعد بن أبي وقاص يقول: رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا! وعن سعيد بن المسيب أنه سمع سعد بن أبي وقاص يقول لقد: رد ذلك يعني النبي ﷺ على عثمان بن مظعون، ولو أجاز له التبتل لاختصينا**[8]. **وعن عائشة – رضي الله**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب صوم شعبان (رقم ١٩٧٠) ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم الدائم من قيام الليل وغيره (رقم ٧٨٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (رقم ٣٢٢٠) ومسلم، كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة (رقم ٢٣٠٨).

(٣) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، حديث (رقم ٢١٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب أحب العمل إلى الله ﷻ أدومه، (رقم ٤٣) ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب أمر من نفس في صلاته أو استعجم عليه القرآن (رقم ٧٨٥) (٢٢١).

(٥) تقدم تخريجه، ص٣٨.

(٦) سورة الإسراء، الآية ١١٠.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب تفسير القرآن، باب ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها، (رقم ٤٧٢٢) ومسلم، كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة في الصلاة والجهرية بين الجهر والإسرار (رقم ٤٤٦).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء، (رقم ٥٠٧٣، ٥٠٧٤) ومسلم، كتاب النكاح،

عنها – أن النبي ﷺ اشترى طعاماً من يهودي[١]. إلى أجل ورهنه درعاً من حديد"[٢]، والحديث دليل على جواز الرهن مع ما نطق به الكتاب العزيز، ودليل على جواز معاملة الكفار، وعدم اعتبار الفساد في معاملاتهم[٣]، "وفيه من الفقه جواز معاملة أهل الذمة... وفيه أيضاً دليل على جواز معاملة الكفار فيما لم يتحقق تحريم العين المتعامل فيها، وجواز رهن السلاح عند أهل الذمة، لا عند أهل الحرب...، قال العلماء: والحكمة في عدوله ﷺ عن معاملة مياسير الصحابة إلى معاملة اليهود: إما بيان الجواز، أو لأنهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعام فاضل عن حاجتهم، أو خشي أنهم لا يأخذون منه ثمناً أو عوضاً، فلم يرد التضييق عليهم"[٤].

والدلائل على أن شريعة الإسلام موسومة بالتوسط والاعتدال كثيرة جدًّا، فهي جلية بادية في كل شأن يباشره الإسلام تنظيماً وترتيباً، وفيما سبق من الشواهد نماذج على مثول هذه الوسطية في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات[٥].

خامساً: تلبية الحاجات المتباينة للناس نظراً لتنوعهم وتباين أحوالهم

ولشمول شريعة الإسلام صلة بمسألة المرونة والثبات، فهذا الشمول يقتضي التعامل مع سائر الفئات، ومختلف الأجناس، ولا يتأتى ذلك بنظام جامد، يعجز عن التكيف، ومسايرة حاجات الناس ومتطلباتهم، وهو في الوقت نفسه يتكئ على ثوابت راسخة تشده أن يميل أو ينحرف، ولعل من أبرز الدلائل على هذا الشمول والقدرة على الاستيعاب، خطاب الرسول ﷺ لسائر الناس بالدخول في الإسلام، ولن يُتاح ذلك بنظام خاص، أو شريعة محدودة، وقد دلت "مُكاتبة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين الأوائل لكبار ملوك العجم لتخييرهم بين الإسلام، أو الجزية، أو القتال، على

النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه .. (رقم ١٤٠٢).

(١) هو أبو الشحم كما بينه الشافعي والبيهقي من طريق جعفر بن محمد عن أبيه "أن النبي ﷺ رهن درعاً له عند أبي الشحم اليهودي، رجل من بني ظفر، في شعير" اه. وأبو الشحم بفتح المعجمة وسكون المهملة كنيته، وظفر بفتح الظاء، والفاء بطن من الأوس، وكان حليفاً لهم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب شراء النبي بالنسيئة، (رقم ٢٠٦٨) ومسلم، كتاب المساقاة، باب الرهن وجوازه في الحضر والسفر (رقم ١٦٠٣).

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين أبو الفتح ابن دقيق العيد (دار الكتب العلمية، بيروت) ١٤٤/١.

(٤) نيل الأوطار، الشوكاني، مرجع سابق، ٢٦١/٣.

(٥) للاستزادة حول ذلك، انظر وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم محمد باعبدالله (دار الراية، الرياض، ١٤١٥هـ) .

عالمية دعوة الإسلام، وعلى أن الإسلام دين ودولة[١]... وهو ما أكده القرآن في مواضع[٢]، وما أكدته الأحاديث النبوية الصحيحة المتفق على صحتها[٣]، وما أكدته أيضاً السيرة النبوية، وتاريخ الخلفاء الراشدين "[٤].

---

(١) انظر الخصائص الكبرى، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، باب اختصاصه بعموم الدعوة للناس كافة وبأنه وبأنه أكثر الأنبياء تابعاً، وبإرساله إلى الجن بالإجماع، والى الملائكة في قول، وبإتيانه الكتاب وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ) ٣/١٣٤-١٣٧، وانظر دلائل النبوة، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد محمود الحداد، فصل ما روي في عرض النبي ﷺ نفسه على قبائل العرب، (دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ) ص ٩٦-١١١، وانظر الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري أبو عبد الله، باب ما بعث به رسول الله ﷺ (دار صادر، بيروت، الطبعة بدون) ١/١٩٠، ١٩١.

(٢) منها قول الله تعالى: +إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ" سورة التكوير، الآية ٢٧. وقوله: +وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ" سورة القلم، الآية ٥٢. وقوله: +إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ" سورة ص، الآية ٨٧. وقوله: +تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا" سورة الفرقان، الآية ١. وقوله: +وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ" سورة يوسف، الآية ١٠٤. وقوله: +وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ" سورة الأنبياء، الآية ١٠٧. وقوله: +أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ" سورة الأنعام، الآية ٩٠. وقوله: +وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ" سورة الأنعام، الآية ٩٢. وقوله: +قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" سورة الأعراف، الآية ١٥٨. وقوله: +وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" سورة سبأ، الآية ٢٨. وقوله: +هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ" سورة إبراهيم، الآية ٥٢.

(٣) انظر الخصائص الكبرى، السيوطي، باب اختصاصه بعموم الدعوة للناس كافة، مرجع سابق، ٣/١٣٤-١٣٧، وانظر دلائل النبوة، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني،مرجع سابق، الفصل الأول في ذكر فضائله عليه السلام من كتاب الله، وما خصه به دون سائر الأنبياء، ثم ذكر تقدم نبوته عليه السلام، قبل تمام خلق آدم صلوات الله عليه وسلامه، ص ٨-١١، والفصل الخامس في ذكره ﷺ في الكتب المتقدمة والصحف السالفة المدونة عن الأنبياء والعلماء من الأمم الماضية؛ وذكره عند ملوك البلدان: اليمن وفارس والروم، وتوقعهم لإرساله وبعثه، ص ١٥-٤٦، وانظر أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: محمد المعتصم بالله، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧)الباب العاشر فيما سمع من معجزات أقواله ﷺ، ص ١٠٧، وانظر كتاب الأم، الإمام محمد بن إدريس الشافعي، كتاب الجزية، فصل في إظهار دين النبي ﷺ على الأديان، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٣هـ) ٤/٩٣، ٩٤.

(٤) تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، أحمد فؤاد، مرجع سابق، ص٤١٢.

والتنوع في الناس، والتعدد في أحوالهم، ليس دونه حد يقف عنده، فكانت شريعة الإسلام متسمة بذلك، ليس ثمة حد تقف دونه، فيبقى شيء مما يحتاجه الناس غير مُعالج بما فيها من تنظيم وترتيب، ومن المعلوم أنه "لم تكن أمة دخل فيها من أصناف الناس مثل هذه الأمة"(١)**، وقد قال أبي ابن كعب: "لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة"**(٢)**، فكانت حاجة الناس للإنقاذ من النار، والسعي بهم في طريق الرضا من الله تعالى، والفوز بالجنة المطلب الأول الذي يشترك البشر كلهم في حاجتهم إليه، وبه ارتبط التكليف بالدعوة إلى الله تعالى، ولأجله وصِفت هذه الأمة بالخيرية، قال الله ﷻ** : +كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" (٣)**، قال الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة ﷺ:** «كنتم خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلامِ»(٤)**، "وقوله: خير الناس للناس، أي خير بعض الناس لبعضهم أي أنفعهم لهم، وإنما كان ذلك لكونهم كانوا سبباً في إسلامهم...، قال عمر: لو شاء الله لقال أنتم خير أمة فكنا كلنا، ولكن قال: كنتم فهي خاصة لأصحاب محمد، ومن صنع مثل صنيعهم"**(٥)**، ومن حاجات الناس تأمينهم من الخوف، بالحفاظ على حياتهم وأموالهم، وقد جاء في سبب هذا الحديث "كان من قبلكم لا يأمن هذا في بلاد هذا، ولا هذا في بلاد هذا، فلما كنتم أنتم أمن فيكم الأحمر والأسود"**(٦) .

وهذا الحرص على سلامة الخلق ونجاتهم، جلي في خوف النبي ﷺ على قومه، فعن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك. قال: «وَتَفْعَلُونَ؟» **قالوا: نعم، قال: فدعا، فأتاه جبريل فقال:** «إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ وَيَقُولُ: إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ؟ قَالَ: بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ»(٧)**. ومن إشفاق النبي ﷺ على أمته، أمته، وخوفه عليها، ما رواه أنس ﷺ قال: كان النبي ﷺ يُكثر أن يقول:** «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» **قال: فقلنا: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال فقال:**

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٨/٢٢٥.

(٢) المرجع السابق، ٨/٢٢٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب كنتم خير أمة أخرجت للناس، (رقم ٤٥٥٧).

(٥) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٨/٢٢٥.

(٦) المرجع السابق، ٨/٢٢٥.

(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم ٢٠٥٨.

«نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله عَزَّ وَجَلَّ يقلبها»[١].

والرسول ﷺ –حين خاطب الناس بتلك الروح– جمع في دعوته بين الإنذار، والتبشير، قال الله تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا"[٢]**، وهي بشارة وإنذار للناس جميعاً، قال سبحانه:** +وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ"[٣]**، فدعوة فدعوة الرسول ﷺ أشمل وأوسع من دعوات الرسل السابقين –عليهم السلام– فهم يتوجهون برسالتهم لأمم بعينها، أما محمد ﷺ فتوجه بدعوته لسائر الأمم، والأجناس من العرب والروم والفرس.**

ومما تم به تحقيق المقاصد العامة للإسلام المحافظة على الأملاك والمقتنيات، فعن الأزرق بن قيس قال: كنا على شاطئ نهر بالأهواز قد نضب عنه الماء، فجاء أبو برزة الأسلمي[٤] على فرس فصلى، وخلى فرسه، فانطلقت الفرس فترك صلاته وتبعها، حتى أدركها فأخذها، ثم جاء فقضى صلاته، وفينا رجل له رأي فأقبل يقول: انظروا إلى هذا الشيخ ترك صلاته من أجل فرس، فأقبل فقال: ما عنفني أحد منذ فارقت رسول الله ﷺ، وقال: إن منزلي متراخ[٥] فلو صليت وتركته لم آت أهلي إلى الليل، وذكر أنه قد صحب النبي ﷺ فرأى من تيسيره[٦].

ومن صور تلبية الحاجات المتباينة للناس، ما يترتب على إحكام الصلة بينهم، إن على مستوى القرابات، أو غيرها، فبهذا الإحكام تثبت الحقوق، ويقف كل فرد دون ما ليس له فيه حق، من التجاوز على غيره، بأخذ حقوقه أو حرمانه منها، وقد قرن الله تعالى بعض هذه الحقوق بحقه سبحانه على عباده، فقال ﷻ: +أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ"[٧]**، وقال سبحانه:** +۞وَقَضَىٰ

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن (رقم ٢١٤٠) وقال: هذا حديث حسن. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٩٨٧).

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٤٥ .

(٣) سورة سبأ، الآية ٢٨ .

(٤) هو أبو برزة الأسلمي نضلة بن عبيد ، صحابي مشهور بكنيته، أسلم قبل الفتح، وغزا سبع غزوات ثم نزل البصرة وغزا خراسان ومات بها سنة خمس وستين على الصحيح انظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني تحقيق: محمد عوامة (دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦هـ) (رقم ٧٢٠١).

(٥) متراخ: بعيد.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف، (رقم ٦١٢٧).

(٧) سورة لقمان، الآية ١٤ .

رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ"[(١)]، **إلى قوله:** +وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ"[(٢)]، **وآكد هذه الحقوق، وأولاها حق الوالدين، ولهذا جاء في الحديث الصحيح، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله من أحق بحسن الصحبة؟ قال:** «أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك أدناك»[(٣)]، **وفي شأن غيرهم قال الله تعالى:** +وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا"[(٤)]، **" أي كلموهم طيباً، ولينوا لهم جانباً، ويدخل في ذلك كما قال الحسن البصري: الحلم والعفو والصفح، وكل خلق حسن رضيه الله، وعن أبي ذر ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال:** «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلق أخاك بوجه طلق»[(٥)]، **وقد أمر الله هذه الأمة بنظير ذلك، بقوله:** +۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا"[(٦)]، **فقامت هذه الأمة من ذلك بما لم تقم به أمة من الأمم قبلها، ولله الحمد والمنة**[(٧)].

ومن أهم ما يتصل بحاجات الناس، ومصالحهم طلبهم للرزق وسعيهم في سبيل المعيشة، قال الشافعي في هذا الشأن: "كانت قريش تنتاب الشام انتياباً كثيراً، مع معايشها منه، وتأتي العراق...، فلما دخلت في الإسلام، ذكرت للنبي ﷺ خوفها من انقطاع معايشها بالتجارة من الشام والعراق، إذا فارقت الكفر، ودخلت في الإسلام، مع خلاف ملك الشام والعراق لأهل الإسلام؛ فقال النبي ﷺ: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ...»[(٨)]، **فلم يكن بأرض العراق كسرى بعده ثبت له أمر بعده...، ولم يكن بأرض الشام قيصر بعده، وأجابهم على ما قالوا له، وكان كما قال لهم رسول الله ﷺ، وقطع الله الأكاسرة عن العراق وفارس، وقيصر ومن قام بالأمر بعده عن الشام**[(٩)]**، وهذا التطمين من الرسول ﷺ لهم قطع مصدر الخوف –لديهم على رزقهم– من أصله،**

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٢٣ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٢٦ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، (رقم ٢٥٤٨).

(٤) سورة البقرة، الآية ٨٣.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (رقم ٢٦٢٦).

(٦) سورة النساء، الآية ٣٦.

(٧) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٦٩/١.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ أحلت لكم الغنائم، (رقم ٣١٢٠) ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت ... (رقم ٢٩١٨).

(٩) الأم، الشافعي، كتاب الجزية، فصل في كتاب الجزية، فصل في إظهار دين النبي ﷺ على الأديان، مرجع سابق، ٩٣/٤، ٩٤

وعالج عليه السلام به ما ينتابهم من نزعة الإعراض المرتبطة بأهمية هذا المجال في حياتهم.

سادساً: استيعاب النوازل في حياة الناس[١].

ولعل اللافت هنا –في منهج الإسلام– عدم إجهاد نظام الحياة بالأحكام الافتراضية، التي ليس لها وجود حين وضع التشريع، ففيه إشغال للناس دون طائل يُذكر، ولذا فقد كان مسلك بعض الفقهاء المتأخرين في استقصاء ما ليس موجوداً في حياة الناس، ثم البحث في شريعة الإسلام عما يُعَالَج به، من التنطع في الدين، وهو معدود من الترف العلمي، الذي يخالف الترشيد الصحيح لجهود العلماء وأوقاتهم، وصرف ذلك في ما تدعو إليه حاجة الناس، وأوضاعهم الواقعة، وهذا جَلِي في آي القرآن الكريم، وفي سيرة المصطفى ﷺ، فقد قال الله تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ..."[٢]، **وقال الرسول ﷺ:** «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[٣]، **وإنما كان السؤال مُهلكاً "لأنه فضول وفيه إيذاء للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"[٤]، وفي حديث ثانٍ، قال الرسول ﷺ:** «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»[٥]، **وهذا لا ينافي الحث على سؤال أهل الذكر، في قول الله تعالى:** +فَسۡـَٔلُوٓاْ

و١٧١.

(١) المراد بالنوازل: الوقائع والمسائل المستجدة والحادثة المشهورة بلسان العصر باسم: النظريات، والظواهر. ويشيع برفق هذا المصطلح الأصيل جملة أخرى من المصطلحات الدخيلة، سيقت بنفس معناه أو قريباً منه، على الرغم من نشوئها في غير بيئة المسلمين، وتأثرها بغير هديهم، ومنها (نظرية الظروف الطارئة) وهو اصطلاح كنسي وفرنسي في القضاء الإداري، و(نظرية الظروف المتغيرة) في اصطلاح القانون الدولي، و (نظرية استحالة تنفيذ الالتزام تحت ضغط الظروف الاقتصادية التي نشأت بسبب الحرب) في القانون الإنكليزي، و (نظرية الحوادث المفاجئة) في القضاء الدستوري الأمريكي. انظر فقه النوازل، د. بكر بن عبدالله أبو زيد (مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٧هـ) ١/١٨٨. وانظر نظرية الظروف الطارئة، دراسة تاريخية ومقارنة للنظرية في الشريعة الإسلامية والشرائع الأوربية، د. عبدالسلام الترمانيني (دار الفكر، بيروت، ١٩٧١م).

(٢) سورة المائدة، الآية ١٠١ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، (رقم ٧٢٨٨). ومسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر (رقم ١٣٣٧).

(٤) شرح الكرماني على صحيح البخاري، شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرماني (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠١هـ) ٢٥/٣٨.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، (رقم ٧٢٨٩) ومسلم، كتاب الفضائل ، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ... (رقم ٢٣٥٨). ويرد في أكثر من مقام حث

أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ"[1]، **لأنه مُعَارض بقوله تعالى: ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ ...﴾ إذ "المأمور به هو ما تقرر حكمه من وجوبه، ونحوه، والنهي هو ما لم يتعبد الله به عباده ولم يتكلم بحكم فيه"**[2].

ومن اليقين أن شريعة الإسلام لم تغفل ما عَمَدَ البعض إلى افتراضه، وتلهفوا على سماع فُتْوَىً بشأنه، على الرغم من عدم وقوعه، ولم تغفل معالجة كل ما يطرأ في حياة الناس في كل زمان لاحق، ومكان ناءٍ، فقد استوعبت ذلك، وطوته ضمن نظام شامل مُحكم، مَكَّن أهل العلم والنظر من النظر إلى هذه المستجدات، والخروج بحكم الإسلام فيها، وترتيب شريعته لها، والعرض لذلك طويل فيه تفصيل[3]**، لكن الذي يعنينا منه في هذا المقام، بيان أنواع الدلالات التي تنطوي عليها نصوص الكتاب والسنة، ومدى الحاجة إلى معرفة ما تهدف إليه من مقاصد الشريعة**[4]**، حيث أُحْكِمَ بِكُلِ نوع منها مجال من مجالات الحياة ومتغيراتها، فجاءت بعض النصوص بصيغة قاطعة لا مجال للاجتهاد فيها، وأُعْملت في مسائل راسخة، لا يحتاج الناس إلى المراوحة في هيئاتها حين تحل النوازل بساحتهم، فهيئتها الثابتة هي الأنسب في كل زمان ومكان، وعلى أي حال، وهي "العبادات المتقرب بها إلى الله بالأصالة، وذلك الإيمان وتوابعه من قواعد الإسلام وسائر العبادات"**[5]**، وبعضها لا يتعين المراد منها، وهي مجملة تشير إلى مقاصد التشريع، وتدع للمجتهدين مجالاً للفهم والاستنباط، وتدعو إلى اعتبار هذه المقاصد حين إنزالها على واقع الناس ومعاشهم، وهي "العادات الجارية بين العباد التي في التزامها نشر المصالح بإطلاق، وفي مخالفتها نشر المفاسد بإطلاق، وهذا هو المشروع لمصالح العباد، ودرء المفاسد عنهم، وهو القسم الدنيوي المعقول المعنى"**[6]**، فكان أن تركت هذه النصوص للعباد فسحة يسيرون في رحابها بما**

الناس على ترك التقصي، طالما أن الرسول ﷺ لم يُبَادر بشيء مما سألوا عنه، ومنه ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُم الْحَجَّ فَحُجُّوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ ثُمَّ قَالَ ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ». أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، (رقم ١٣٣٧).

(١) سورة النحل، الآية ٤٣ .

(٢) انظر شرح الكرماني على صحيح البخاري، شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرماني، مرجع سابق، ٣٩/٢٥.

(٣) انظر محاسن الدين الإسلامي، عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي (المكتب التعاوني للدعوة بسلطانة، الرياض، ١٤٢٠هـ) ١٦، ٢٠.

(٤) انظر مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور (الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٨م) ص١٥-١٨.

(٥) الموافقات، في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي (دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ الطبعة)، ٢١٥/٢.

(٦) المرجع السابق، ٢١٥/٢. وانظر الإسلام مقاصده وخصائصه، د. محمد عقلة، مرجع سابق، ص ٩٧-٢٥٥.

يحقق المصالح لهم، ويدفع المفاسد عنهم، في كل ما يعرض لهم أو يجد في حياتهم، قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرَّم حرمات فلا تنتهكوها، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها»[1]، **وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ:** «ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً» **ثم تلا هذه الآية** +وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا"[2] [3]، **وحول ذلك، قال ابن عباس رضي الله عنهما:** "كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء، ويتركون أشياء تقذراً، فبعث الله تعالى نبيه، وأنزل كتابه، وأحل حلاله، وحرم حرامه، فما أحل فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو" **وتلا** +قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ..." **إلى آخر الآية**[4][5].

وهذه النصوص دلت على أن ترك التفاصيل في كثير من مسائل الحياة مقصد عظيم لشريعة الإسلام، بتحقيقه امتازت هذه الشريعة بسمة الاستمرار والصلاحية، فكانت مرنة بصورة استوعب معطيات الزمان والمكان، واستيعاب ذلك مكفول في ضوء هذه الشريعة الكاملة، فقد انطوت على مسالك مهتدية تسير وفق ضوابط الدين وأصوله، وهي ماثلة في: القياس[6]**، والاستحسان**[7]**،**

---

(١) أخرجه الدار قطني، كتاب الرضاع، (رقم ٣٤٥٠)، ٩١/٤. والبيهقي في سننه الكبرى (١٢/١٠) وقال: هذا موقوف.

(٢) سورة مريم، الآية ٦٤.

(٣) رواه البزار والطبراني في الكبير، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: إسناده حسن ورجاله موثقون، ١٧١/١، والحاكم في المستدرك، وقال صحيح الإسناد، ٤٠٦/٢.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٤٥.

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الأطعمة، باب ما لم يُذكر تحريمه، حديث (رقم ٣٣٠٦)، ٣٥٤/٣. ونقل عبدالرزاق لعبيد بن عمير: "إن الله أحل وحرم فما أحل فأحلوه، وما حرم فاجتنبوه، وترك من ذلك أشياء لم يحرمها ولم يحلها، فذلك عفو من الله..." انظر المصنف، للحافظ أبي بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني ٥٣٤/٤.

(٦) القياس: هو "إلحاق أمر لم يُنَص على حكمه بآخر قد نُص عليه، لعلة جامعة بينهما، ولم يوجد فارق معتبر بين الأمرين"، وللتوسع وللتوسع في موضوع القياس انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق ٦٧/٩. وأعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مرجع سابق، ١٣٠/١-٤٠١، و ١/٢-١٥٦.

(٧) الاستحسان "دليل ينقدح في نفس المجتهد وتقصر عنه عبارته" انظر الإبهاج في شرح المنهاج، علي بن عبدالكافي السبكي، تحقيق جماعة من العلماء (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ) ١٨٨/٣. وأورد الإمام الشوكاني بعضاً من تعريفات الاستحسان؛ فقال: "واختلف في حقيقته فقيل: هو دليل ينقدح في نفس المجتهد، ويعسر عليه التعبير عنه، وقيل: هو العدول عن قياس إلى قياس أقوى، وقيل: هو العدول عن حكم الدليل إلى العادة لمصلحة الناس، وقيل: تخصيص قياس بأقوى منه..." انظر إرشاد الفحول، محمد بن علي الشوكاني، مرجع سابق، ص٤٠١. ومن تعريفات الاستحسان " العمل بأقوى الدليلين " انظر أصول السرخسي، أبو بكر

والاستصلاح أو المصلحة المرسلة[1]، والعُرف[2]، قال أبو إسحاق الشاطبي: "إن استقراءنا

محمد بن أحمد السرخسي (دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٢هـ) ٢٠١/٢. والاستحسان بصورته تلك مسلك يُدفع به القياسات غير السليمة؛ التي تقوض المصلحة، وتخالف مقاصد الإسلام، فيعدل عنها إلى الاستحسان، فهو " لا يكون من اتباع الهوى وشهوة النفس في شيء " انظر المرجع السابق، ٢٠١/٢. وقد تقرر أن الاستحسان يقوم على أكثر من مستند؛ يُعد دليلاً عليه، فمما يقوم عليه الاستحسان: العُرْف كوقف المنقول مثل الكتب، والضرورة كالعفو عن رشاش البول، والتجاوز عن الغبن اليسير، وتحقيق المصلحة كتضمين الأجير المشترك إذا هلك المال في يده، ورفع الحرج كالغبن اليسير في المعاملات. انظر مصادر التشريع الإسلامي فيما لانص فيه، عبدالوهاب خلاف (دار القلم، الكويت،١٣٩٢هـ) ص ٦٧ وما بعدها، وانظر عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي (دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٦هـ) ص ١٥ وما بعدها.

(١) الاستصلاح في اصطلاح علماء الأصول: تشريع الحكم في واقعة لا نص فيها ولا إجماع بناء على مراعاة مصلحة مرسلة أي مطلقة بمعنى أنها مصلحة لم يرد عن الشارع دليل لاعتبارها أو إلغائها، وبه يساير التشريع تطورات الناس، وتحقيق مصالحهم وحاجاتهم...، لكنه يحتاج إلى مزيد الاحتياط في توخي المصلحة وشدة الحذر من غلبة الأهواء لأنها كثيراً ما تزين المفسدة فتظهرها على أنها مصلحة، انظر مصادر التشريع الإسلامي فيما لانص فيه، عبدالوهاب خلاف، مرجع سابق (دار القلم، الكويت،١٣٩٢هـ) ص ٨٥، ٨٦. وضبط ذلك بتوافر الشروط التالية: أن يثبت أنها مصلحة حقيقية لا وهمية، وأن تكون عامة ينال نفعها أكثر الناس، وأن لا تكون مُعارضة بنص أو إجماع، فإن كان الأمر بشأنها كذلك فهي في الغالب مصلحة وهمية لا حقيقية، انظر المرجع السابق، ص ٩٩، ١٠٠. وانظر ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، د. محمد سعيد رمضان البوطي (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ) ص ١١٥ وما بعدها. قال ابن دقيق العيد: "لست أنكر على من اعتبر أصل المصالح لكن الاسترسال فيه وتحقيقها محتاج إلى نظر سديد" إرشاد الفحول، محمد بن علي الشوكاني، مرجع سابق، ص ٤٠٥. والأمر بصورته تلك يُؤخذ على أنه "سياسة جزئية بحسب المصلحة تختلف باختلاف الأزمنة فظنها من ظنها شرائع عامة لازمة للأمة إلى يوم القيامة ولكل عذر وأجر ومن اجتهد في طاعة الله ورسوله فهو دائر بين الأجر والأجرين" الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية (مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة بدون) ص ٢٥.

(٢) المراد بالعرف في اللغة قائم على مادة (عَرَفَ) قال ابن فارس: العين والراء والفاء: أصلان يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلاً بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة. فالأول العُرْف: عُرْف الفرس، سمي بذلك، لتتابع العرف عليه، والثاني: المَعرِفة والعِرفان، تقول: عرف فلان فلاناً عِرفاناً ومعرِفة، وهذا أمر معروف. انظر معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مادة (عَرَفَ). والعُرْف "ضد النكر وهو: كل ما تعرفه النفس من الخير وتبسأ به وتطمئن إليه" لسان العرب، ابن منظور، مادة (عَرَفَ) ٢٤٠/٩. قال الزجاج عنه: "ما يستحسن من الأفعال..." المرجع السابق مادة (عَرَفَ). أما معنى العرف في الاصطلاح الشرعي فقد خلص د. أحمد المباركي –بعد مسحه لجملة من تعريفات المتقدمين والمتأخرين ومناقشتها– إلى القول بأنه: "ما اعتاده أكثر الناس، وساروا عليه في جميع البلدان أو في بعضها، سواءً أكان ذلك في جميع العصور، أم في عصر معين" العرف وأثره في الشريعة والقانون، د. أحمد بن علي سير المباركي (الناشر بدون، ١٤١٤هـ) ص ٣١ وما بعدها. ومنه القولي والعملي والعام والخاص، فالقولي كإطلاق لفظ (الولد) على الذكر دون الأنثى، في حين أنه يشملهما في اللغة، والعملي كدخول دور المرافق الحكومية،

الله، ولجزئيات شريعته يجعلنا نقتنع بمراعاة الله لمصالح العباد"(١)، وفي ضوء ذلك لا يسوغ إيراد كل ما يُوهم أن ثمة نقصاً في شريعة الإسلام، لم تأتِ عليه، كالذي يقول به بعض أهل التشكيك، من المنافقين، أو المعادين لدين الإسلام، الحاقدين عليه المغتاظين من تمامه، وإعجازه، وكان لشيخ الإسلام إفاضته حول ذلك(٢)، فقد ذكر "أن المسائل التي هي من أصول الدين التي تستحق أن تسمى أصول الدين، ...لا يجوز أن يُقَال: لم يُنْقل عن النبي ﷺ فيها كلام، بل هذا كلام متناقض في نفسه، إذ كونها من أصول الدين، يوجب أن تكون من أهم الدين، وأنها مما يُحْتَاج إليه... وذلك أن أصول الدين إما أن تكون مسائل يجب اعتقادها قولاً، أو قولاً وعملاً، كمسائل التوحيد، والصفات، والقدر، والنبوة، والمعاد، أو دلائل هذه المسائل.

أما القسم الأول: فكل ما يحتاج الناس إلى معرفته، واعتقاده، والتصديق به من هذه المسائل،

والمؤسسات الأهلية في أوقات الدوام بناء على الأذن العرفي، والعام كاليمين التي تقال: "والله لا أضع قدمي في دار فلان" مؤدى ذلك في العرف العام الدخول بأي صفة كانت، ماشياً أو راكباً، بخلاف لو وضع قدمه في الدار بلا دخول فلا يحنث، والخاص مثل ما جرى عليه أهل مدينة الرياض من أن المستأجر لمدة سنة، يدفع نصف الأجرة مقدماً، ويدفع النصف الثاني بعد مضي ستة أشهر. انظر المرجع السابق، ص ٦٨ وما بعدها.

(١) الموافقات، الشاطبي، مرجع سابق، ٦/٢. ويؤكد الإمام الشاطبي ذلك كل ما حانت مناسبته، ولا ينفك من ترداده في مواضع عديدة من كتابه (الموافقات)، فمن قوله –رحمه الله-: "القاعدة المقررة أن الشرائع إنما جيء بها لمصالح العباد، فالأمر والنهي والتخيير جميعاً راجعة إلى حظ المكلف ومصالحه، لأن الله غني عن الحظوظ منزه عن الأغراض" ١٤٨/١، ويقول: "إن المعلوم من الشريعة أنها شرعت لمصالح العباد فالتكليف كله إما لدرء مفسدة وإما لجلب مصلحة أو لهما معا فالداخل تحته مقتض لما وضعت له" ١٩٩/١. والأمر –بصورته تلك- مُطَّرِد لدى أئمة العلم والتحقيق، يقول ابن قيم الجوزية: "إن الشريعة مبناها، وأساسها على الحكم، ومصالح العباد في المعاش، والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أُدْخلت فيها بالتأويل" إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ١/٣، ويقول العز بن عبدالسلام: "الشريعة كلها مصالح، إما تدرأ مفسدة أو تجلب مصلحة، فإذا سمعت قول الله: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ..." فتأمل وصيته بعد ذلك، فلا تجد إلا خيراً يحثك عليه، أو شراً يزجرك عنه، أو جمعاً بين الحث والزجر" قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة بدون) ص ٩، ويقول ابن تيمية: "إن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها" منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (مؤسسة قرطبة، القاهرة، ١٤٠٦هـ)، ١٤٧/١.

(٢) في معرض إجابته على مسألة حول جواز الخوض فيما تكلم الناس فيه من مسائل في أصول الدين لم ينقل عن سيدنا محمد ﷺ فيها كلام أم لا؟ انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق ٢٩٣/٣، درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠١هـ) ٢٥/١.

فقد بينه الله ورسوله بياناً شافياً قاطعاً للعذر، إذ هذا من أعظم ما بلغه الرسول البلاغ المبين، وبينه للناس، ... وأما القسم الثاني: وهو دلائل هذه المسائل الأصولية، فإن الأمر ما عليه سلف الأمة وأئمتها -أهل العلم والإيمان- من أن الله ﷻ بَيَّن من الأدلة العقلية التي يُحْتَاج إليها في العلم بذلك ما لا يقدر أحد من هؤلاء قدره".

المطلب الثاني

المرونة والثبات في العقائد والعبادات والمعاملات

أو "المرونة والثبات في أوامر الشريعة الإسلامية ونواهيها"

تمهيد: **إن من أظهر الأمور التي تُبْدِي لنا مثول المرونة والثبات في شريعة الإسلام، ما تضمنته من عقيدة تُحْكِم صلة الإنسان بربه، وتزوده بالتصورات الصحيحة المُقنعة لما تنطوي عليه هذه الصلة من إيمان بأركان هذه العقيدة، وكذلك ما تضمنته من أوامر ونواهٍ، نَظَّمَت بها العبادات والمعاملات، ومن خلال ذلك سنعمد –بعون الله– إلى رصد أبرز سمات المرونة والثبات في عقائد الإسلام وعباداته.**

أولاً: الإيمان بالله تعالى وبدينه وبنبيه ﷺ والالتزام بما يقتضيه هذا الإيمان حسب القدرة والإمكان

إن الإيمان هو الأصل الذي ينبني على صحته صحة ما بُني عليه، وإذا كان لكل نظام مُرتكز تدور عليه فعالياته، ومنه تنطلق، فإن الإيمان بالله تعالى، وبدينه، وبنبيه ﷺ هي الركائز التي يدور عليها ما في شريعة الإسلام، وهي الأصول التي بغيابها تغيب الشريعة، ويسقط التنظيم مهما أجلبنا عليه بفكرنا، وجهدنا، فأمر الله تعالى عباده بمقتضيات هذا الإيمان، بأن "يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وبهذا أمر جميع خلقه، ولذلك خلقهم، كما قال تعالى: +وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ" [1]**، وقال تعالى:** +وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ" [2]**، وهذا هو أعلى الحقوق، وأعظمها، وهو حق الله تبارك وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له، ثم بعده حق المخلوقين..."**[3]**، وهذا الإيمان من شأنه أن يَشُدَّ صاحبه إلى أصل دينه، فيحفظه عليه من الزلل والخطأ، فينال مزية الثبات على الأصول، ومزية المرونة التي تتيحها هذه الأصول، فعن طلحة بن عبيد الله قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته، ولا يفقه ما يقول حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ:** «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» **فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال:** «لا، إلا أَنْ تَطَوَّعَ» **قال رسول الله ﷺ:** «وَصِيَامُ رَمَضَانَ» **قال: هل عليَّ غيره؟ قال:** «لا، إلا أَنْ تَطَوَّعَ» **قال وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال: هل عليَّ غيرها؟ قال:** «لا، إلا أَنْ تَطَوَّعَ» **قال فأدبر الرجل هو يقول: والله لا أزيد على**

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٥.

(٢) سورة النحل، الآية ٣٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١/١٦٩.

هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»[(١)].

ووصف الرسول ﷺ هذا الرجل بالفلاح، دلالة على أن التزامه بهذا القدر من الفرائض ارتبط بما في نفسه من الإيمان –صدق فيه– فدفعه إلى التزود من هذه العبادات، ولذا كان ارتكاب المعاصي مؤشراً على غياب هذا الإيمان، أو ضعفه، قال الله تعالى في الزانيين: +وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ"[(٢)]، "فلو كانا مؤمنين لما أمر بترك الرأفة بهما، وكيف يصف رسولَ الله ﷺ بالرأفة بالمؤمنين[(٣)] ويأمره أن لا يأخذه رأفة بالزانيين لولا أن الزانيين ليسا بمؤمنين..."[(٤)].

ثانياً: الثبات على التمسك بشريعة الإسلام والمرونة في كيفية أدائها

إن الأخذ بما في شريعة الإسلام، والالتزام به في الحياة على كل صعيد، لم يكن جامداً، تنعدم فيه الحركة، ويفتقر إلى القدرة على تلمس مصالح العباد، وتتبع مقاصد الإسلام فيهم، وهذا نجده يدور بين العزيمة[(٥)] والرخصة، قال الرسول ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ»[(٦)]، وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: "إن الله يحب أن تُؤتى رخصه كما يحب أن تُؤتى عزائمه"[(٧)]، وقال عطاء: "إذا تنازعك أمران فاحمل المسلمين على أيسرهما"[(١)]، وحين يأتي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، (رقم ٤٦). ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام (رقم ١١).

(٢) سورة النور، الآية ٢.

(٣) إشارة إلى قول الله تعالى: +لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ" سورة التوبة، الآية ١٢٨.

(٤) تعظيم قدر الصلاة، أبو عبدالله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٦هـ) ٥٥٣/٢. ودرءًا للخلاف في هذه المسألة فإن الذي يجمع أطرافه القول بأن مفارقة الإيمان العبدَ تكون حين تلبسه بتلك المعاصي، وفق ما جاء في قول الرسول ﷺ: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب النهبى بغير إذن صاحبه، (رقم ٢٤٧٥)، / . وقد قيل "بحمل هذا على الإيمان الكامل...، لأن العاصي يصير أنقص حالاً في الإيمان ممن لا يعصي، ويحتمل أن يكون المراد أن فاعل ذلك يئول أمره إلى ذهاب الإيمان" فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ١١١/٣، و ١٠٩/١٢، أو أن الإيمان "يُنْزَع منه..." المرجع السابق، ١٢١/٥، ١٢٠.

(٥) العزائم هي الفرائض التي أوجبها الله وأمرنا بها. انظر لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة (عزم).

(٦) تقدم تخريجه ص٤١.

(٧) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، ٣١٨/٥.

يأتي الأمر بالتكليف فإن الخطاب به لا تغيب عنه هذه الروح، التي تنشد التيسير دوماً، فهدف التكليف ومقصده هو المنشود منه، وليس شيء من ذلك يتوقف على التشديد، باعتباره من الحزم اللازم لإمضاء الأمور، وتتميمها، ولذا جاء التخفيف الذي رخص به الشارع، لارتباط هدف التكليف ومقصده به في بعض الحالات، ولذا كانت المشقة صارفة عن الرخصة إلى العزيمة، "ونظير تخلف العزيمة للمشقة تخلفها للخطأ والنسيان، والإكراه، وغيرها من الأعذار، التي يتوجه الخطاب مع وجودها مع أن التخلف غير مؤثم، ولا موقع في محظور"[٢]، قال الرسول ﷺ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» **فقالوا: يا نبي الله فمن لم يجد؟ قال:** «يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» **قالوا: فإن لم يجد؟ قال:** «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ» **قالوا: فإن لم يجد؟ قال:** «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»[٣].

وعن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ» **قال: قلت أي الرقاب أفضل؟ قال:** «أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا» **قال: قلت فإن لم أفعل، قال:** «تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ» **قال: قلت يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال:** «تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ»[٤]**، والتيسير في ذلك لا يقوض العزيمة – التي اقتضت من العبد وجوب التقرب إلى الله تعالى– بل يُمَكِّنه من السبق في هذا المضمار، مهما كان حاله، ومهما قصرت به تلك الحال عن أقرانه، فقد "أوجب الصدقة على كل مسلم، وجعلها خمس مراتب على البدل: الأولى الصدقة بماله، فإن لم يجد اكتسب المال فنفع وتصدق...، فإن لم يستطع فيعين المحتاج ببدنه، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يفعل فيكف عن الشر. فالأوليان تقع بمال: إما بموجود أو بمكسوب، والأخريان تقع ببدن: إما بيد أو بلسان"[٥]، ولذا فقد كان "الخطاب بالعزيمة من جهة حق الله تعالى، والخطاب بالرخصة من جهة حق العبد، فليسا بواردين**

---

(١) المرجع السابق، ٣١٨/٥.

(٢) الموافقات، الشاطبي ، مرجع سابق ، ٢٩٤/٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة فمن لم يجد فليعمل بالمعروف، (رقم ١٤٤٥) ومسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، (رقم ١٠٠٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، (رقم ٨٤).

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ٣٧٢/١٨، ٣٧٣. وانظر الاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ٣٢٩/١، ٣٣٠.

على المخاطب من جهة واحدة، بل من جهتين مختلفتين"(١).

ثالثاً: ترتب الإثم على ترك الالتزام بالشريعة، ودرء ذلك بالتوبة والكفارات

لقد كان الثواب والعقاب في شريعة الإسلام منهجاً حكيماً في تتبع الخير، والمنفعة، ودرء الشر والمفسدة لدى العباد، وكان مما زاد في إحكامه، وأَنْجَع من فعاليته، قيامه على فتح باب الرجاء، ومجاراته لما جُبلت عليه نفس الإنسان من الأمل في تحسين أوضاعه، وعلاج قصوره، ورتق قصوره وخلله، فكان باب التوبة في شريعة الإسلام، مُشْرعاً للعائدين النادمين، ومضفياً على النفوس الطمأنينة والأمان، حين يدلفوا منه إلى رحاب الله تعالى ورحمته، ولم يكن شيء من القصور والتجاوز يُقَارفه العبد بمنأى عن هذه الرحمة، قال ﷻ: +إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا"(٢)، **وقال سبحانه:** +أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ"(٣)، **ويقول سبحانه:** +وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ"(٤)، **ويقول الرسول ﷺ**: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»(٥).

بل إن مساحة التجاوز تتسع لتشمل من فاته العلم بالنهي عما وقع فيه، أو نسيه، أو أخطأ فيه، ليشعر الناس بهذه الرحابة في شريعة الإسلام، ويطمئنوا إلى أنهم حين باتوا في كنفها نالوا مزيتها وظفروا بالفوز والفلاح، قال الله تعالى :+ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ"(٦)، **وفيما رواه أبو ذر الغفاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ**: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ

---

(١) الموافقات، الشاطبي، مرجع سابق، ٢٩٤/٣.

(٢) سورة النساء، الآية ١٧.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٠٤.

(٤) سورة الشورى، الآية ٢٥.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة (رقم ٦٣٠٨،٦٣٠٩)، مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة التوبة والفرح بها، (رقم٢٧٤٤، ٢٧٤٧) واللفظ له.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»[1]، **وعن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله أرأيت الذين ماتوا، وهم يشربون الخمر، لما نزل تحريم الخمر، فنزلت +لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟" إلى آخر الآية[2][3]، والشواهد كثيرة جدًّا التي شَرَّعَت هذا الباب على مصراعيه، وسَمَّحَت أمره للناس، وتضمنت ما يدفعهم إلى الإنابة والتوبة، قال الله تعالى: +وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[4]، وتأمل –على سبيل المثال– في قصة توبة كعب ابن مالك، وصاحبيه . رضي الله عنهم . حين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، حتى آذن رسول الله ﷺ بتوبة الله تعالى عليهم[5].**

ومما يلحق بهذا الباب الكفارات التي يباشرها الواقع في المخالفة، فهي تيسير من الله تعالى لعباده، مَكَّنَهم بها من درء القصور، وجبر النقص، وتحصيل العفو والغفران، فيسلك الإنسان بنفسه في درب القرب من الله، والتخلص من آثامه، ورزاياه، ومكفرات الذنوب باب واسع، يَبِيْن للعبد – بمروره منه– مدى مرونة شريعة الإسلام، حين يقع في الذنوب، فينال ذلك بالتوبة، والاستغفار، واتباع السيئة بالحسنة، والصدقة، ومباشرة ضروب الطاعات لله تعالى بأنواعها، سواء أكانت من الفرائض، أو النوافل[6]، وكذلك الكَفَّارَات الخاصة، المُعَيَّنَة من قبل الشارع، حين الوقوع في بعض المنهيات، كالجماع في نهار رمضان للمقيم، أو حين الإخلال بواجب أو أكثر من واجبات بعض الفرائض، كتجاوز الميقات دون عقد النية لمن أراد العمرة أو الحج، ومباشرة شيء من محظورات الإحرام كالطيب، وقتل الصيد[7]، والظهار، والقتل[1]، وغير ذلك[2]، وكذلك ما يناله الإنسان من

---

(١) تقدم تخريجه ص٢٨.

(٢) سورة المائدة، الآية ٩٣.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة المائدة، (رقم ٣٠٥٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح. أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث (رقم ١٩٨٤)، وانظر شعب الإيمان، أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي ، مرجع سابق، ١٧/٥.

(٤) سورة النور، الآية ٣١.

(٥) انظر إلى القصة بطولها في صحيح البخاري، في كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، (رقم ٤٤١٨) ومسلم، كتاب التوبة، التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (رقم ٢٧٦٩) وتأمل أيضاً في حديث الرسول ﷺ الذي تضمن قصة الرجل من بني إسرائيل الذي قتل تسعة وتسعين رجلاً، وقد أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم ٣٢١١.

(٦) انظر مكفرات الذنوب، محمد يحيى بن محمد المختار الشنقيطي (دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٣هـ) ص ١٣ وما بعدها.

(٧) انظر فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٢١/٤، و ٥٩٤/١١.

الابتلاء في حياته مما يلحقه من العنت، والمشقة، والمرض، والمصائب، وما يقع عليه من العقوبات حين يقع فيما يُوجب عليه الحد[٣].

---

(١) انظر المبدع في شرح المقنع، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ) ٤٦/٨، و ٢٧/٩. وانظر الفروع، أبو عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: حازم القاضي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ) ٤٧/٦. وانظر المحرر في الفقه، عبدالسلام بن عبدالله بن تيمية الحراني (مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٤هـ) ١٥٢/٢. وانظر عمدة الفقه، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي (مكتبة الطرفين، الطائف، الطبعة بدون) ١٣٠/١، ١٤١.

(٢) انظر المغني، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، مرجع سابق، باب الكفارات ٥٠٦/١٣-٥٤٢.

(٣) انظر فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٦٨/١، و ٨٤/١٢.

المبحث الثالث

مظاهر المرونة والثبات في الدعوة إلى الله تعالى

تمهيد:

إن التلازم بين الثبات والمرونة –في منهج الإسلام– مما حقق له الكمال والسبق، إذ الأصول العامة تقتضي الملازمة لها، والثبات عليها، كما أن السعي للأحسن، والتطور فيه يقتضي الحركة والمبادرة، لكن هذه الحركة إن لم تكن محكومة بالأصول الثابتة أصابها الانفلات، واعتراها التخبط، ومن هنا اقتضت مصلحة الدعوة، وهي تساير المدعو، وتراعيه بمنهجها المرن ارتباطاً بأصول الدين وقواعده، لتبقى هذه المراعاة في مسارها الصحيح حتى تكون نفعاً للمدعو ومصلحة.

وفي حقيقة الأمر فإن ما اتسم به منهج الإسلام من شمول احتوى كل ما تقوم عليه حياة الإنسان في كل جوانبها، وأنشطته بكل ضروبها، سواء فيما يتعلق بصلته بربه، أو بالكون من حوله، أو بالإنسان، يُعَد الرافد الرئيس لمزية الثبات والمرونة، إذ إن ذلك لا يبدو في صورته التامة، وهو يفتقر إلى نظام يستوعب كل هذه الأمور في حياة الإنسان، فبه يتمكن من التمسك بالأصول مطمئناً إلى سلامتها، فيأوي بذلك إلى ركن شديد، لكنه ينطلق منها ليسيح في هذه الحياة، وبيده المنهج الملائم لكل ما يعرض له، ليعالج به كل شاردة أو واردة، وكل حال قائمة، أو نازلة طارئة.

إن منهج الثبات والمرونة لازم حتى يؤتي كل جهد ثماره، ولم يكن بوسع أحد أن يتجرد عنه، وهو يسعى للنجاح، ويبغيه؛ ولذا فهو قرين لكل الدعوات التي أرسل الله تعالى بها رسله، بل إنها اتفقت على جملة من الثوابت دارت عليها دعوات الرسل –عليهم السلام– ثم طفقت كل دعوة – في مرونة وسهولة– بمباشرة خصائص زمانها ومكانها.

ولذا فقد "وردت كلمة الإسلام على ألسنة الرسل جميعاً... وهي بمدلولها وغايتها عامة شاملة تتسع لماضي الناس، وحاضرهم، ومستقبلهم، كما اتسعت لنبوات الأنبياء جميعاً، ولم تتخذ صفة الانتساب لأحدهم دون الآخر، والإسلام في لغة القرآن ليس اسماً لدين خاص، إنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء، وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء"[1]، يقول نوح عليه السلام لقومه: +وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ"[2]، **ويوصي يعقوب عليه السلام بنيه:** +فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ"[3]،

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوي، مرجع سابق، ص ٧٤، ٧٥.

(٢) سورة يونس: الآية ٧٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٣٢.

ويجيبه أبناؤه: +قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ"[1]، **وموسى** ‍عليه السلام **يقول لقومه:** +يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ" [2]، **ويقول الحواريون لعيسى** عليه السلام: +وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ"[3]، **"وبالجملة نرى اسم الإسلام شعاراً عاماً يدور في القرآن على ألسنة الأنبياء، وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة المحمدية"**[4].

(**١**) سورة البقرة: الآية ١٣٣.

(**٢**) سورة يونس: الآية ٨٤.

(**٣**) سورة المائدة: الآية ١١١.

(**٤**) المرجع السابق، ص ٧٦.

المطلب الأول

ركائز المرونة والثبات في الدعوة إلى الله تعالى

أولاً: محدودية القدرة البشرية

وهذه المحدودية في قدرة الإنسان، تفرض حدًّا يُراعى حين خطاب المدعو بمضمون الإسلام، ودعوته إلى ما تضمنه من الفرائض، والأخذ بها والتزامها، "فقد يجب على هذا ابتداء ما لا يجب على هذا ابتداء، فَيُخَاطب الكافر عند بلوغه بالشهادتين، وذلك أول الواجبات الشرعية التي يُؤمر بها، وأما المسلم فيُخَاطب بالطهارة، إذا لم يكن متطهراً، وبالصلاة وغير ذلك من الواجبات الشرعية التي لم يفعلها،... وفي الجملة فينبغي أن يعلم أن ترتيب الواجبات في الشرع واحداً بعد واحد ليس هو أمراً يستوي فيه جميع الناس، بل هم متنوعون في ذلك، فكما أنه قد يجب على هذا ما لا يجب على هذا، فكذلك قد يُؤمر هذا ابتداء بما لا يؤمر به هذا، فكما أن الزكاة يؤمر بها بعض الناس دون بعض، وكلهم يؤمر بالصلاة، فهم مختلفون فيما يؤمرون به ابتداء من واجبات الصلاة، فمن كان يحسن الوضوء، وقراءة الفاتحة، ونحو ذلك من واجباتها أُمر بفعل ذلك، ومن لم يحسن ذلك أُمرَ بتعلمه ابتداء، ولا يكون أول ما يُؤمر به هذا من أمور الصلاة هو أول ما يؤمر به هذا، وهكذا الواجبات العقلية إذا قيل بالوجوب العقلي يتنوع الناس في ترتيبها، فهذا يؤمر بقضاء ما عليه من الديون، وهذا يؤمر برد ما عنده من الودائع، وهذا يؤمر بالعدل في حكمه، والصدق في شهادته، وأمثال ذلك، وكما أنهم متنوعون في ترتيب الوجوب فهم متنوعون في ترتيب الحصول علماً وعملاً"[1]، وهذا ماثل في مراعاة الرسول ﷺ لتلك القدرات، حين يأمر الناس بما افترضه الله تعالى عليهم، فعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: كان رسول اللَّه ﷺ إذا أَمَرَهُمْ أَمَرَهُمْ من الأعمالِ بما يُطِيقُون قالوا: إنَّا لسنا كهيئتك يا رسول اللَّه، إنَّ اللَّه قد غفر لك ما تقدَّم من ذنبِك وما تأخر. فيغضب حتى يُعْرَفَ الغضب في وجهه، ثم يقول: «إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا..»[2]**، وفي شأن آخر حين حث الرسول ﷺ الناس على الصدقة، لم يقصرها على بذل المال –وهو أمر يعجز عنه الكثير من الناس– بل دلهم ﷺ على مسالك أخرى تضمهم إلى المتصدقين، فقد قال ﷺ:** «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» **فقالوا: يا نبي الله فمن لم يجد؟ قال:** «يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» **قالوا: فإن لم يجد؟ قال:** «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ» **قالوا: فإن لم**

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، مرجع سابق، ٨/١٦، ١٧.

(٢) تقدم تخريجه ص٣٢.

يجد؟ قال: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»[١]، **وفي مقام آخر سُئل ﷺ عن أي العمل أفضل، قال:** «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ» **قلت: فأي الرقاب أفضل؟ قال:** «أَعْلاهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا» **قلت: فإن لم أفعل؟ قال:** «تُعِينُ صانعاً، أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ» **قال: فإن لم أفعل؟ قال:** «تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ، تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ»[٢]، **"ففي هذا الحديث أنه أوجب الصدقة على كل مسلم، وجعلها خمس مراتب على البدل: الأولى الصدقة بماله، فإن لم يجد اكتسب المال"[٣]، وبهذه الطريقة كانت شريعة الإسلام مثالية في ثباتها، ومثالية في مرونتها، حين انسجمت بذلك مع واقع الناس ومعاشهم، فامتدت مثاليتها تلك إلى أقصى ما يسمح به هذا الواقع.**

ومما انطوت عليه هذه الشريعة –في هذا الشأن– مسألة العلم التي افترضها الله تعالى على عباده، فكان من مقتضيات المرونة فيها مراعاة تباين الأفهام، وتفاوت المدارك لدى الناس، إذ "لا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرض على الكفاية، ... وأما ما يجب على أعيانهم، فهذا يتنوع بتنوع قدرهم، ومعرفتهم، وحاجتهم، وما أمر به أعيانهم، فلا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم، أو عن فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك، ويجب على من سمع النصوص، وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي، والمحدث، والمجادل ما لا يجب على من ليس كذلك، ... وقد تقرر في الشريعة أن الوجوب معلق باستطاعة العبد، كقوله: +فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ"[٤]، **وقوله ﷺ :** «...إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[٥]، **... فمن كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع القرآن، والإيمان مثلاً، أو لتعديه حدود الله بسلوك السبل التي نهى عنها، أو لاتباع هواه بغير هدى من الله، فهو الظالم لنفسه وهو من أهل الوعيد، بخلاف المجتهد في طاعة الله، ورسوله باطناً وظاهراً، الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله، فهذا مغفور له خطؤه، كما قال تعالى:** +ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ" **إلى قوله:** +لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا"[٦]، **وقد ثبت في صحيح مسلم**

---

(١) تقدم تخريجه ص٧٣.

(٢) تقدم تخريجه ص٧٣.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ١٨/٣٧٢.

(٤) سورة التغابن، الآية ١٦.

(٥) تقدم تخريجه ص٦٦.

(٦) سورة البقرة، الآيتان ٢٨٥، ٢٨٦.

أن الله قال: قد فعلت[(١)] [(٢)].

ثانياً: التماس مواطن التأثر، والاستجابة لدى المدعوين

إن الروح التي اكتنفت كل إجراءات الدعوة ومناشطها، وأَثَّرت في طرائقها، وأساليبها تدور على الإقناع بما يُطرح على المخاطبين، وعدم إكراههم عليه، قال الله تعالى: +لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ..."[(٣)]**، والإشارة لعدم الإكراه هنا تَلْفِت الأنظار إلى القوة التي تُعد من الوسائل الأساس في دعوة الإسلام، حيث يجب التأكيد على أنها لا تستقل بالتبليغ، وإنما هي من قبيل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولأنه كان من طبع البشر معاداة من يخالفهم، ولما جاء الدين كان له في الناس ذلك فعجل الله ﷺ فرض الجهاد، إذ لابد من إيصال دين الإسلام للناس، وتمكينهم من تمليه حتى لو لزم لذلك استخدام القوة، وعليه فلا علاقة بين التبليغ، والإكراه، والآية سابقة الذكر "استئناف بياني ناشئ عن الأمر بالقتال في سبيل الله في قوله: +وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ"**[(٤)]**، إذ يبدو للسامع أن القتال لأجل دخول العدو في الإسلام فبيَّن في هذه الآية أنه لا إكراه على الدخول في الإسلام...، وتعقيب آية الكرسي بهاته الآية بمناسبة أن ما اشتملت عليه الآية السابقة من دلائل الوحدانية، وعظمة الخالق، وتنزيهه عن شوائب ما كفرت به الأمم، من شأنه أن يسوق ذوي العقول إلى قبول هذا الدين الواضح العقيدة، المستقيم الشريعة، باختيارهم دون جبر ولا إكراه..."**[(٥)]**، ومن الوارد –المتفق عليه– في هذا الشأن: أن إيمان المكره**

---

(١) في الحديث الذي رواه ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية: +وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ" قال: دخل قُلُوبَهُمْ منها شيءٌ لم يدخل قُلُوبَهُمْ من شَيْءٍ، فقال النبي ﷺ: «قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا» قال: فألقى الله الإيمان في قُلُوبِهِمْ، فأنزل الله تعالى +لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ" قال: قد فعلت، +لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ" قال: قد فعلت، +وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا" قال: قد فعلت. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يُطاق، (رقم ١٢٥).

(٢) انظر الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، حققه وقدم له: حسنين محمد مخلوف، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ) ١٤١/١.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٤٤.

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور (دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م) ٢٥/٣.

لا يصح، وكفر المكره لا يصح، وهذا ينفي عن دعوة الإسلام فرضه بالقوة، وكان لذلك أثره المأخوذ من فقه الجهاد، فقد اقتصر القتال ضد من كانت له شوكة، وحمل السلاح للقتال، وجاء النهي صريحاً عن قتل الشيوخ، والنساء، والأطفال والأجير.. الخ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وُجِدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان[1].

وجاء التوجيه حول ذلك بيناً جليًّا، يحث القائمين على الدعوة -دوماً- على أن يتلمسوا مواطن التأثير، والاستجابة لدى المدعوين، وأن يهدفوا دوماً إلى دفع المخاطبين إلى محبة ما يدعونهم إليه، وكره ما ينهونهم عنه، دفعاً يزرع القناعة، وينبت الإيمان، وروح الدين الإسلامي التي تقوم على محبة الخير للناس، والإشفاق عليهم من الشقاء والخسران، دليل على ذلك، حيث الحرص على حيازة الناس في جانب الإسلام، وإبعادهم عن طرق الغي والضلال، وفي يوم خيبر قال الرسول ﷺ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ» **فقاموا يرجون لذلك أيهم يُعْطَى فغدوا، وكلهم يرجو أن يُعْطَى، فقال:** «أَيْنَ عَلِيٌّ؟» **فقيل: يشتكي من عينيه، فأمر فَدُعِيَ له فبصق في عينيه فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال:** «عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[2].

وحين كفل الإسلام حرية العقيدة للناس، لم يَنْسَق في دعوته إياهم إلى الإلزام بالقوة، وممارسة ما يُمكن أن يُسمى بالقهر الفكري، فقد انطوى ذلك على ما ذُكِر آنفاً من مرونة الإسلام في دعوته للناس، مرونة اقتضت تلمس مواطن التأثير فيهم، والابتعاد عن مظاهر التعنت، والإجبار أثناء مخاطبتهم بمضمون الإسلام، وَحِرْص النبي ﷺ ومن بعده الخلفاء الراشدين جلي في تطبيق هذا المبدأ العظيم، وهو حرية العقيدة تجاه أهل الذمة من أهل الكتاب وغيرهم، ومن ذلك ما جاء في شأن وسق الرومي، قال: " كنت مملوكاً لعمر بن الخطاب ﷺ، وكان يقول لي: أسْلِم، فإنك إن أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين، فإنه لا ينبغي لي أن أستعين على أمانتهم من ليس منهم. قال: فأبيتُ، فقال: لا إكراه في الدين، قال: فلما حضرته الوفاة أعتقني، وقال: اذهب حيث

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قتل النساء في الحرب، (رقم ٣٠١٥) ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب (رقم ١٧٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، (رقم ٢٩٤٢) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (رقم ٢٤٠٦).

شئت. قال أبو هلال الطائي: رأيت الذي أعتقه عمر، وكان نصرانيًّا "[1].

ولا شك في أن مما يسيء لمشاعر المدعو أن يُجْبَه بما يُصادم فكره، وينقض معتقده، إذ المراعاة لمشاعره -سعياً لكسبه- تقتضي أن يُحتفى بما في نفسه، ويُسعى لتخليصها منه بالروية والهدوء، فلا يشعر أنه قُسر على ما دُعي إليه، وإنما راح إليه طواعية، وأقبل عليه رغبة منه فيه، واقتناعاً به، ومثول ذلك في سير الدعاة من السلف الصالح دليل جلي على عنايتهم بتلمس ما يُعين على إقناع المخاطب، وتحقيق الاستجابة لديه، فقد أخرج أبو نعيم في الحلية "عن أبي نهيك وعبد اللّه بن حنظلة قال: كنا مع سلمان في جيش، فقرأ رجل سورة مريم قال: فسبها رجل وابنها، قال: فضربناه. حتى أدميناه قال: فأتى سلمان فاشتكى وقبل ذلك ما كان قد اشتكى إليه، قال: وكان الإنسان إذا ظلم اشتكى إلى سلمان، قال: فأتانا فقال: لم ضربتم هذا الرجل؟ قال: قلنا قرأنا سورة مريم فسب مريم وابنها، قال: ولم تسمعونهم ذاك؟! ألم تسمعوا قول الله عز وجل: +وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ "[2] بما لا يعلمون، ثم قال: يا معشر العرب ألم تكونوا شر الناس ديناً، وشر الناس داراً، وشر الناس عيشاً، فأعزكم الله وأعطاكم، أتريدون أن تأخذوا الناس بعزة الله..."[3]، والأثر المترتب على غياب الرعاية بمكامن التأثير في المدعو، يظهر في انصرافه عمَّا دُعِي له، فقد روي "أن جبلة بن الأيهم[4]، أتى عمر بن الخطاب وهو على

---

(١) انظر كتاب الأموال، أبو عُبَيْد القاسم بن سَلام، مرجع سابق، ص ٣٩ ،٤٠. وانظر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: د. زينب إبراهيم القاروط (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ) ص ٢١٠. وانظر تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد ، مرجع سابق، ص ٢٩٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠٨.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ) ٢٠٢/١،٢٠١.

(٤) هو جبلة بن الأيهم بن الحارث بن أبي شمرة، واسمه المنذر بن الحارث، ابن مارية ذات القرطين، ابن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، وكنيته جبلة أبو المنذر الغساني الجفني، وكان آخر ملوك غسان، وهم نصارى العرب أيام هرقل، كتب إليه الرسول ﷺ كتاباً مع شجاع بن وهب يدعوه إلى الإسلام فأسلم وكتب بإسلامه إلى رسول الله ﷺ وقال ابن عساكر: إنه لم يسلم وإلى ذلك ذهب الواحدي وسعيد ابن عبدالعزيز، وذكر الواقدي أنه شهد اليرموك مع الروم أيام عمر ﷺ ثم أسلم بعد ذلك، وأقام بالمدينة إلى زمن الحج، وخرج حاجاً مع عمر ﷺ وحصل أن وطئ إزاره رجل من فزارة فانحل، فرفع جبلة يده فلطمه فهشم أنفه، فاستعدى عليه عمر ﷺ فقال له: إمَّا أن ترضي الرجل وإما أن أقيده منك، فقال جبلة: فيصنع بي ماذا؟ قال: يهشم أنفك كما فعلت به. قال: كيف يا أمير المؤمنين وأنا ملك وهو سوقة. قال: الإسلام جمعك وإيَّاه. قال جبلة: قد ظننتُ يا أمير المؤمنين أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية. فقال: دع عنك هذا إن لم ترضه، وإلا أقدته منك. قال: إذن أتنصَّر. قال: إن تنصَّرت ضربت عنقك. فلما رأى جبلة منه ذلك. قال: أمهلني الليلة حتى أنظر، فأمهله، فلما كان الليل، تحمل هو وأصحابه بخيله ورجله إلى الشام على طريق الساحل، وذهب إلى هرقل

نصرانيته، فعرض عمر عليه الإسلام، وأداء الصدقة فأبى ذلك، وقال: أقيم على ديني، وأؤدي الصدقة؟!، فقال عمر: إن أقمت على دينك، فأد الجزية[1]، فأنف منها، فقال عمر: ما عندنا لك إلا واحدة من ثلاث: إما الإسلام، وإما أداء الجزية، وإما الذهاب إلى حيث شئت، فدخل بلاد الروم في ثلاثين ألفاً، فلما بلغ عمر ندم، وعاتبه عبادة بن الصامت – رضي الله عنهما – فقال: لو قبلت منه الصدقة ثم تألفته لأسلم"[2].

ومن مواطن المرونة والثبات في دعوة الإسلام، التي تُظْهِر حرص هذه الدعوة على إقناع المدعو، والتأثير فيه بتلمس دواعي ذلك في نفسه، إشعاره بالاحتفاء بموقفه، والاهتمام برأيه، وكفالة الحرية الدينية له بعد إبلاغه كلام الله، فلقد تقرر في دين الإسلام المساواة بين المسلمين، والذميين في بعض الأمور، فلهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، وكفل لهم الحرية الدينية، حيث يتمثل ذلك في جملة من مظاهر الإحسان في معاملتهم، قال الله تعالى: +لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ**"[3]، أشار سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز –رحمه الله– بشأن هذه الآية إلى أن فيها "الرخصة في الإحسان إلى الكفار،**

فتنصر هو ومن معه، فسر بذلك هرقل وتوهم أنه فتح من الفتوح، وأقطعه ما شاء وزوجه بنته، وقاسمه ملكه وجعله من سُمَّاره. انظر فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ) ص١٦٠–١٦١. وانظر معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ الطبعة) ٢/ ٨٢، ٣/ ٣١٣. وانظر كتاب الأموال، أبوعبيد، القاسم بن سلام، مرجع سابق ، ٧٢، ٧٤. وانظر الأم، الإمام الشافعي، مرجع سابق، ٤٢، ٩٤، ٩٥.

(١) ارتبطت مسألة التخيير بين الإسلام أو أداء الجزية بتنظيم إسلامي راشد يحقق مقاصد الدعوة الإسلامية في استجلاب المدعوين، وحثهم على استملاء ما عُرض عليهم من الحق استملاءً يقودهم إلى الأخذ به عن اقتناع، وكان للعلماء إفاضة رحبة حول ذلك بينت فقه الإسلام حول التعامل مع فئات غير المسلمين من نصارى العرب وغير العرب والوثنيين وغيرهم. انظر كتاب الأموال، أبو عُبَيْد القاسم بن سَلام، مرجع سابق، ص ٣١. وانظر كتاب الأم، الإمام محمد بن إدريس الشافعي، باب الأصل فيمن تؤخذ الجزية منه ومن لا تؤخذ، وباب من يلحق بأهل الكتاب، وباب تفريع من تؤخذ منه الجزية من أهل الأوثان، مرجع سابق، ١٧٢/٤–١٧٦.

(٢) لقد قام عمر بن الخطاب ﷺ بمحاولة –بعد ذلك– لتأليف جبلة بن الأيهم على الإسلام بعد ارتداده، حيث كلف أحد قادته إلى بلاد الروم وهو عمير بن سعد الأنصاري سنة ٢١هـ، أن يقصد بجيشه جبلة حيث هو من أرض الروم، ويدعوه من جديد إلى الإسلام، متألفاً لما بينهما من قرابة ورحم، إذ كان هذا القائد من أنصار رسول الله ﷺ، الذين تربطهم بجبلة الغساني والغساسنة روابط النسب والصهر والرحم، ولكن جبلة أصر على موقفه، وعلى المقام ببلاد الروم. انظر فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، مرجع سابق، ص١٤٢.

(٣) سورة الممتحنة، الآية ٨.

والصدقة عليهم إذا كانوا مسالمين بموجب عهد، أو أمان، أو ذمة"[١]، وفيها قاعدة أصيلة تقوم عليها المعاملة الحسنة في كل زمان، ومكان مع فئات الناس[٢]، نجدها ماثلة في سير من خلف رسول الله ﷺ من صحابته، فقد اهتم عمر بن الخطاب ﷺ بذلك، فكان أن أوصى بأهل الذمة، حيث قال: "أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم، ورزق عيالكم"[٣]، وقد وضعت شريعة الإسلام لدعاته حدوداً للتعامل مع غير المسلمين حين الاتصال بهم، والتعامل معهم، سواء أكانوا من أهل الذمة، أو من غيرهم[٤]، وكل هذه الحدود تدور على ما في هذه الشريعة من روح التسامح، وحسن المعاملة، انطلاقاً من الاحتفاء بالناس، والحفاظ على حقوقهم، فكان ذلك المنهج الدعوي المرن عامل جذب وترغيب، ارتقى بدرجات الإسلام لدى تلك الطوائف.

ومن صور هذا الإحسان في المعاملة عدم الإلزام بدين الإسلام، وإكراه الناس عليه، أو إجبارهم على ترك دينهم[٥]، قال الله تعالى: +لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ..."[٦]، وكان من مقتضيات ذلك أن كان لأهل الكتاب ممارسة شعائر دينهم فلا تُهدم كنائسهم، ولا يُكسر لهم

---

(١) نقد القومية العربية، ابن باز (رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٣هـ) ص ٣٦.

(٢) والعمل بهذا المقتضى باق، لكون حكم هذه الآية غير منسوخ. انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ٦٦/٢٨. وقال الإمام القرطبي: "قال أكثر أهل التأويل: هي محكمة واحتجوا بأن أسماء بنت أبي بكر سألت النبي ﷺ هل تصل أمها حين قدمت عليها مشركة قال: نعم" انظر الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي ، مرجع سابق ٥٩/١٨. وحديث أسماء –رضي الله عنها– سابق الذكر، أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها ولا زوج (رقم ٥٩٧٠) ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين.. (رقم ١٠٠٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب الوصاة بأهل ذمة رسول الله، (رقم ٣١٦٢)، وكان عمر ﷺ قد قال في وصيته عند موته: "أوصي الخليفة من بعدي بكذا وكذا، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ خيراً: أن يُقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم" كتاب الأموال، أبو عُبَيْد القاسم بن سَلام، مرجع سابق، ص١٣٩. وانظر كتاب الخراج، أبو يوسف (دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ) ص٣٧. وقد روى عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب ﷺ: "أنه أوصى حين طُعن فقال: أوصي الخليفة من بعدي بأهل الأمصار خيراً، فإنهم جباة المال وغيظ العدو ورِدْء المسلمين، وأن يُقسم بينهم فَيؤهم بالعدل، وأن لا يُحمَل من عندهم فضلٌ إلا بطيب أنفسهم" كتاب الخراج، يحيى بن آدم القرشي (دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ) ص٧١.

(٤) انظر كتاب الأموال، أبو عُبَيْد القاسم بن سَلام، مرجع سابق، باب ما يجوز لأهل الذمة أن يحدثوا في أرض العنوة، وفي أمصار المسلمين وما لا يجوز، ص ١٠٣-١١٧.

(٥) انظر زيادة في تفصيل لذلك ضمن المطلب الثاني من هذا المبحث تحت عنوان: عدم الإلزام بدين الإسلام وإكراه الناس عليه، ص ٩٢.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

صليب.

وأباح الإسلام زيارتهم، وعيادة مرضاهم، فقد عاد النبي ﷺ شاباً من اليهود، جاء ذلك فيما رواه أنس بن مالك ﷺ قال: "كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أَسْلِم» **فنظر إلى أبيه، وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول:** «الحمد لله الذي أنقذه من النار»[1].

وكان من أهم مواطن التأثير التي استقصاها المنهج المرن في شريعة الإسلام، معالجة الحاجات المادية للمدعوين، بصورة كفلت أحوالهم، وأقامت أوضاعهم، وهذه مزية نالها كل من تعامل الإسلام معه، فلم تُقْصر على المسلمين وتُحْجب عن غيرهم، ووجد أهل الذمة من ذلك ما لم يألفوه في بيئاتهم من الإحسان عليهم والصدقة على فقرائهم، ولقد كتب الرسول ﷺ لأهل أيلة:
«بسم الله الرحمن الرحيم، هذه أَمَنَةٌ من الله ومحمد النبي ﷺ رسول الله لِيُوحَنَّةَ بن رُوبة، وأَهْلِ أَيْلَةَ لِسُفُنِهم ولِسَيَّارَتِهم، ولبَحْرِهم، ولِبَرِّهم: ذِمَّةُ الله وذِمَّة محمد النبي ولمن كان معهم من كلِّ مَارٍّ من الناس، من أهل الشام واليمن وأهل البحر. فمن أحدث حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طَيِّبَةٌ لِمَنْ أخذه من الناس، ولا يحل أن يُمْنَعُوا ماء يَرِدُونَهُ، ولا طريقاً يردونها من بر أو بحر»[2]، **فكان إعطاء الأمان للمدعو من غير المسلمين بهذه الصورة من أبلغ صور المرونة التي تُخَلِّفُ في نفس المدعو ما يدعوه إلى الاقتناع، والتسليم، وهذا مسلك ناهج، فيمن خَلَف رسولَ الله ﷺ من صحابته، ترسموه، وساروا عليه في تعاملهم مع من عرضوا لهم من فئام الناس[3]، كما كان من صور ذلك، أن**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه وهل يُعرض على الصبي الإسلام، (رقم ١٣٥٦).

(٢) انظر فتوح البلدان، البلاذري، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

(٣) تم ذلك في مواقف عدة، منها: ما كتبه خالد بن الوليد ﷺ في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق، وكانوا من النصارى: "وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله" انظر الخراج، أبو يوسف، مرجع سابق، ص ٣٠٦. وفي موقف آخر رأى عمر بن الخطاب ﷺ شيخاً يهودياً يسأل الناس، فسأله في ذلك، فعرف أنها الشيخوخة والحاجة، فأخذه إلى خازن بيت مال المسلمين، وأمره أن يفرض له ولأمثاله من بيت المال ما يكفيهم ويصلح شأنهم، وقال في ذلك: ما أنصفناه إذ أخذنا منه الجزية شاباً، ثم نخذله عند الهرم. انظر الخراج، أبو يوسف، مرجع سابق، ص ٢٧٨، ٢٨٩. وقد جاء في عهد الرسول ﷺ لأهل نجران: "ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله ﷺ على أموالهم وملتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير". انظر الخراج، أبو يوسف، مرجع سابق، ص١٩١، ١٩٢. كما جاء في عهد عمر بن الخطاب ﷺ إلى أهل إيليا (بيت المقدس): "هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم

أُبِيْحَ تقديم الهدايا لهم، فعن عبدالله بن عمرو ﷺ أنه ذبح شاة فقال: "هل أهديتم منها لجارنا اليهودي –ثلاث مرات–، ثم قال: "سمعت النبي ﷺ يقول: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[(١)].

وتجاوز الأمر في ذلك الإحسان، والصدقة إلى مبادلتهم البيع والشراء، ونحو ذلك من المعاملات، فمن الثابت أن رسول الله ﷺ توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في دين له عليه، قالت عائشة –رضي الله عنها–: "توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير"[(٢)].

وقد أحل الإسلام طعامهم، والأكل من ذبائحهم، والتزوج بنسائهم قال تعال: +ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ"[(٣)].

وجعل لهم الحرية في الجدال والمناقشة، في حدود العقل، والمنطق مع التزام الأدب، والبعد عن الخشونة والعنف. قال تعالى: +۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ"[(٤)].

والأمر هنا واسع مرن استقصاه الإسلام بمنهجه المرن، في جميع ضروب الصلة مع غير

وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملَّتها؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضارّ أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود...". انظر تاريخ الطبري، أبو جعفر ابن جرير الطبري (دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة) ، ٣/٦٠٩. وكان من وصايا أبي يوسف إلى هارون الرشيد "وقد ينبغي، يا أمير المؤمنين أيدك الله، الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ والتقدم لهم حتى لا يُظلموا، ولا يُؤذوا، ولا يُكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ من أموالهم إلا بحق وجب عليهم". انظر الخراج، أبو يوسف، مرجع سابق، ص ١٢٤ ،١٢٥.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار (رقم ٦٠١٤، ٦٠١٥) ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه (رقم ٢٦٢٤، ٢٦٢٥).

(٢) سيأتي تخريجه ص١٢٦.

(٣) سورة المائدة، الآية ٥.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

المسلمين من أهل الذمة، فقد ترك لهم الإسلام جميع ما أباحه لهم دينهم من الطعام وغيره، فلم يمنعوا من أكل الخنزير، ولا شرب الخمر، ما دام ذلك جائزاً عندهم، وتُرك لهم الأمر في الزواج، والطلاق والنفقة، وغير ذلك مما حافظ على كرامتهم، وصان حقوقهم(1).

ومن أظهر صور مبدأ الثبات والمرونة في التعامل مع الناس تنظيم الطريقة التي يُخاطبون بها التماساً للتأثير فيهم واستجلابهم لما يُدعون إليه، وذلك بتعدد الخيارات المطروحة عليهم، وعدم الإلزام بالإسلام، أو بواحد منها، ومن شواهد ذلك ما رواه سعيد بن أبي راشد(2)**، من قصته حين قدم الشام، والتقى في إحدى كنائسها رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ**(3)**، وهذا هو الشأن دوماً مع فئات الناس، حتى الذين "يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن اتباعه، فهؤلاء يُدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق، والترهيب من الباطل، والوعظ أمر ونهي بترغيب وترهيب"**(4).

ويبدو ذلك جليًّا في موقف الرسول ﷺ مع التنوخي، رسول هرقل إليه ﷺ، فحين قدم إلى الرسول ﷺ عمد إلى التحري عن ثلاثة أمور، منها التأكد من وجود خاتم النبوة، فقال النبي ﷺ له: «إمض لما أُمرت به» **فتثبت التنوخي من وجود خاتم النبوة في ظهر النبي ﷺ** (5)**؛ ثم دعاه النبي ﷺ**

---

(1) انظر بحث بعنوان موقف الإسلام من غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، د. علي الصوَّاء، وانظر بحث بعنوان موقف الإسلام من غير المسلمين خارج المجتمع الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، ضمن سلسلة أبحاث تحت عنوان: معاملة غير المسلمين في الإسلام، مجموعة من العلماء، (المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمَّان، ١٩٨٩م) ١/١٧٥-٢٤٤، ٢٤٧-٣٤٢. وانظر كذلك الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين في عصور التاريخ الإسلامي وفي العصر الحديث، د. عبدالمنعم أحمد بركة (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤١٠هـ) ص ١٦٦ وما بعدها. وانظر دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان (مطابع الحميضي، الرياض، ١٤٢٠هـ).

(2) هو سعيد بن أبي راشد، صحابي روى عنه عبد الرحمن بن سابط حديثاً واحداً أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (يكون في أمتي خسف ومسخ وقذف)، وهو صدوق. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، مرجع سابق، ٢/ ٦١٤. وانظر الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، محمد بن أحمد الذهبي الدمشقي (دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ١٤١٣هـ) ١/٤٣٥.

(3) تدور هذه القصة حول الكيفية التي عُرض الإسلام بها عليهم، فلم يُلزموا بالإسلام، كما لم يُلزموا بواحد من الخيارات التي طُرحت عليهم، انظر القصة بطولها في مسند الإمام أحمد، حديث (رقم ١٦٠٩٧).

(4) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ١٩/ ١٦٤.

(5) انظر إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي تقي الدين،

إلى الدخول في الإسلام، قائلاً: «يا أخا تنوخ، هل لك في الإسلام، دين الحنيفية، ملة إبراهيم» **فقال: إني رسول قومٍ، وعلى دين قومٍ، لا أرجع عنه، حتى أرجع إليهم، فضحك رسول الله ﷺ، وقال:** +إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ"[1] [2]**، فكان تمكين الرسول ﷺ له من التأكد من وجود خاتم النبوة استجلاباً له، وتلمساً لمواضع التأثر لديه، ومراعاة لنزعة التوثق والاطمئنان، حتى يحصل الاقتناع منه، وعلى الرغم من تقديم ذلك له، وإعراضه عن الإسلام فقد تركه رسول الله ﷺ وضحك، ولعل ذلك من الإيغ١٥ال في مراعاته لِجَلْبِه والتأثير فيه.**

ثالثاً: ربط المدعو بالثوابت في دينه، وتبصيره بمواطن المرونة، وتمكينه منها

تمهيد:

إن المرونة التي امتاز بها منهج الإسلام، يجب أن يُدرك الناس مقاصدها، وعِلَّة إتاحتها، وأن يعمل أهل العلم، والدعوة على تبصير الناس بذلك، حتى ينالوا فوائدها، ويتمكنوا من مزاياها، ولا تكون سبباً في القصور، والتواني، وتعطيل الأحكام بناءً على فهم قاصر لمراد الشرع، ودلالة النصوص، كما يجب أن يدركوا أنها تنطلق من ثوابت الدين، وأصوله، فهذه الثوابت موطن لبث التيسير، وإشاعة الراحة والسهولة، وليست مكمن للشدة والصرامة، فهي ضابطة لكل أشكال المرونة، معينة على توجيهها إلى ما يراد منها، في تحقيق أهداف الإسلام، ومقاصد الشريعة، ولذلك كان نهج الإسلام –في تنظيم حياة الناس وترتيبها– كلاًّ متماسكاً، يرتبط بعضه ببعض، حيث فرعه مبني على أصله، ومُفَصَّله توضيح لمجمله، ومُقَيَّده ترتيب لمطلقه، ولن تُتَاح مرونة الشريعة إلا حين ترتبط بثوابتها، وتنطلق منها.

فالعمل على تحقيق ذلك ركيزة مهمة يقوم عليها هدي الإسلام في الدعوة إلى الله تعالى، وبها يجد المدعو ما يلائم حاله، ويُريح باله، إذ بذلك يتحقق ضرب من التوازن لم يكن ليتحقق بغير هذا النهج الإسلامي الرشيد في الربط بين مواطن الثبات، ومواطن المرونة، وهو نهج يُمَكِّن القائم عليه من الاهتداء لأحوال المدعو التي يُعْمِل فيها مزية المرونة، والثبات في شريعة الإسلام وفق تلك النظرة المحكمة.

تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ)، ص ٤٦٢، ٤٦٣. وانظر تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ) ٢٥٢/١.

(١) سورة القصص، الآية ٥٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٤٢/٣).

ولعل الصورة الرفيعة -لإعمال ذلك- تكمن في إلقاء الأمن في روع المخاطبين بثبات هذا الدين، وتكفل الله تعالى بنصره، وتأييد أهله، فعن جابر بن سمرة، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً» **فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال:** «كلهم من قريش»(١)**، ولقول الرسول ﷺ هنا أكثر من تأويل(٢)، تدور على بقاء الخلافة، واستمرارها، أو انقطاعها، وانقضائها، وفي ضوء ذلك يأتي الوهم حول مدى الحفظ لهذا الدين، ويُدْرَء ذلك بما ذكره ابن حجر، ضمن التأويلات التي ساقها حول دلالة هذا الحديث، إذ بَيَّن -رحمه الله- "أن المراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى يوم القيامة يعملون بالحق وإن لم تتوال أيامهم..."(٣)، وهذه الدلالة لها ما يؤيدها في نصوص أخرى، كالذي رواه أبو أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:** «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك» **قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال:** «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»(٤).

ولقد كان مما مر بالدعوة الإسلامية ما يكرس وهماً بعدم ظهورها، وانتصار أهلها، ويخلف إحباطاً ويأساً، إذ كانت من الهوان على الناس، وعدم الاعتبار بمن حملها ﷺ ما يزعزع الإيمان -لدى أهل الوهن- فيما أخبر به الله ﷻ ورسوله ﷺ من الغلبة لها ولأهلها، وكان موقف الرسول ﷺ إزاء ذلك مما ينفي الأثر السيئ له، ويزيد موقفه الثابت من طمأنينة من معه من المسلمين، فلقد أخبر عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- عن أكثر ما أصابت قريش من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته، قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحِجْر، فذكروا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، (رقم ٧٢٢٢، ٧٢٢٣) ومسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش (رقم ١٨٢١). وللحديث رواية أخرى في المسند، فعن جابر بن سمرة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ بعرفات، فقال: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيعاً ظاهراً على من ناوأه حتى يملك اثنا عشر كلهم...» قال: فلم أفهم ما بعد، قال: فقلت لأبي ما قال بعدما قال كلهم؟ قال: كلهم من قريش، أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١٩٩٦٤).

(٢) انظر فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٢١١/١٣. وانظر شرح النووي على صحيح مسلم، (دار إحياء التراث، بيروت، ١٣٩٢هـ) ٢٠١/١٢. وانظر عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ) ٢٤٥/١١-٢٤٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٢١٣/١٣.

(٤) أخرجه بنحوه البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (رقم ٧١) ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم (رقم ١٩٢٠) والترمذي، كتاب الفتن باب ما جاء في الأئمة المضلين (رقم ٢٢٢٩) والإمام أحمد في مسنده، حديث (رقم ٢١٢٨٦).

رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سَفَّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرَّق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا، قال: فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مَرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلما أن مرَّ بهم غمزوه ببعض ما يقول، قال: فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فقال: «تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح» **فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك، ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولاً، قال: فانصرف رسول الله ﷺ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك، إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به، يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم، ودينهم، قال: فيقول رسول الله ﷺ:** «نعم أنا الذي أقول ذلك» **قال: فلقد رأيت رجلاً منهم، أخذ بمجمع ردائه، قال: وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه، يقول وهو يبكي: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟! ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه قط**[1].

وبقدر هذا الثبات في إظهار الحق، إلا أن المنهج السديد وضع اليد على مواطن مرنة، يحصل بها درء السوء، والضر الذي قد يلحق الدعوة وأهلها، وهو تغاضي لا يحمل في طيَّاتِه أي معاني الضعف والوهن، ولكنها المصلحة التي تلمسها منهج الإسلام بمسلكه المرن، الذي يعفي الناس من مباشرة الحرج، وارتياد مواطن السوء والضرر، ذكر ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله تعالى: +وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا"[2]**، قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن، ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ" **أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، +**وَلَا تُخَافِتْ بِهَا" **عن أصحابك فلا تسمعهم +**وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا"[3].

وهذا المسلك سبيل ناجع للإعانة على السبق، والأخذ بأسباب النهوض، والارتقاء، وهو في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث (رقم ٦٧٣٩).

(٢) سورة الإسراء، الآية ١١٠.

(٣) تقدم تخريجه ص٦٠.

منهج الإسلام بادٍ في صور عدة، منها الحث على التماس مواطن ذلك بالدلالة عليها، والتشجيع عليها، ببيان ما فيها من الخير والمنفعة، ومن أظهر صور الثبات في ذلك إعادة الناس إلى ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه ﷺ ، قال عمر ﷺ: "لو شاء الله لقال أنتم خير أمة فكنا كلنا، ولكن قال: كنتم. فهي خاصة لأصحاب محمد، ومن صنع مثل صنيعهم"(١)، فليس الأمر محالاً، لكنه يحتاج إلى السعي إليه، والبذل في سبيله بالجهد، والوقت، وكانت الدلالة على من ينال هذه الخيرية، بمثابة المفتاح الذي يحرر ما انغلق لدى الناس- من مواطن الإنجاز، والتفوق، هذا هو سبيل الظهور، الذي ينفي الخوارق، والمعجزات، فلا تتعلق الأنفس بها، وتكل الأمر إليها، فتتوانى عن العمل في انتظارها، لكن حين دعت الحاجة إليها في بعض مراحل الدعوة كانت أسرع ما تكون من الله تعالى على يد نبيه ﷺ، وبعض الذين امتن سبحانه بها عليهم، فكانت من الكرامات التي أُجْرِيَت على أيديهم، لبيان ثبات هذا الدين، ورسوخه على كل أنواع الأدلة، والبراهين، والأقرب من الشواهد لهذا المقام، ما جاء في ثنايا قصة الإسراء والمعراج، مما رواه أبو هريرة ﷺ(٢)، وغيرها من معجزات الرسول ﷺ التي أيده الله تعالى بها، كما أيد بها من سبقه من الأنبياء عليهم السلام.

وإن من أظهر المواطن التي ربط الإسلامُ المدعوَ فيها بثوابت الدين، ومَكَّنَه -في الوقت نفسه- من يسره ومرونته، ما عمد إليه من مراعاة أحواله، والتيسير عليه في ضوء هذه الأحوال وتفهمها، وهذا باب واسع، والحديث فيه مفيد ماتع(٣)، ولقد كان للرسول ﷺ مواقف بدت فيها تلك المراعاة، على الرغم من توقف الناس دونها، وشدة تحفظهم عليها، ومن ذلك ما روته عائشة -رضي الله عنها - بشأن بناء الكعبة-، أن النبي ﷺ قال: «لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائه، لكنت أدخلت فيه من الحجر خمس أذرع، ولجعلت لها باباً

---

(١) فتح الباري ابن حجر، مرجع سابق، ٨/٢٢٥.

(٢) روى أبو هريرة ﷺ قال: قال: رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضربٌ جعدٌ كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه) فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة، قال قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه!! فالتفت إليه فبدأني بالسلام» أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، (رقم ١٧٢).

(٣) سيأتي الحديث -بمشيئة الله- عن أوجه هذه المراعاة لأحوال المدعوين، في الباب الثاني ضمن ثلاثة فصول، خُصِص كل منها لجانب من أحوال المدعو.

يدخل الناس منه وباباً يخرجون منه...»[١]، **وهو أمر انتبه له بعض من خلف الرسول ﷺ حين دعت الحاجة إلى بناء البيت مرة أخرى**[٢].

وتبدو دعوة الناس في ظل المرونة والثبات في جانب مهم، يحتوي العلاقة بين المسلمين وغيرهم، حيث انطوت في ظل هذه السمة على التعارف، والبر، والعدل، والإحسان، ونتيجة ذلك واضحة جلية، أبان الله تعالى لعباده عنها: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ"[٣]. **فكان من مظهر هذا التلازم بين الثبات والمرونة ما أعان على صيغة مُثلى للعلاقة بغير المسلمين، فلا ضير من البر بهم، والإحسان إليهم، ومعاملتهم بالعدل، والإنصاف، فأوصى الله عباده بذلك بقوله:** +لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ"[٤]. **فكان البر، والإحسان لغير المسلمين ممن لم يُلحقوا بالمسلمين العنت، والمشقة أمراً لم ينه الله تعالى عباده عنه، بل أوصاهم به لقيام روح الدعوة الإسلامية على هذا الجانب السامق من ضروب العلاقات الإنسانية الرحيمة بالناس.**

ولاشك أن هذه المسألة لا يمكن أن تُدار بمعزل عن عقيدة الولاء والبراء، بل إن عرضها في ظل هذه العقيدة يزيدها وضوحاً، وجلاءً، فالصلة بالكفار، إما أن تقوم على تحقيق مقاصد الإسلام فيهم، وفي المسلمين، من دعوتهم للنجاة، وحيازتهم إلى جانب الخير والسلامة، والاستفادة منهم فيما تدعو الحاجة في أوساط المسلمين إليه، وهي صلة تدور على إحقاق الحق، وتحقيق الخير، والمعاملة بالحسنى، وأداء الحقوق، ومراعاة العدالة دوماً والإحسان.

وإما أن تكون محالفة لغير المسلمين، ومناصرة لهم ضد المسلمين، ورضا بما هم فيه من زيغ وضلال، فهذا مخالف للعلاقة الرشيدة التي أحكمها دين الإسلام بين المسلمين وغيرهم، ففي ذلك تقويض للمنافع التي ينالها كلا الطرفين، وضرر بالغ ينال المسلمين، وتفويت لمصلحة راجحة تصيب غير المسلمين، قال الله تعالى: +لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، (رقم ١٣٣٣).

(٢) حصل ذلك حين احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام، وما عمد إليه ابن الزبير من استشارة الناس في نقضه ثم بنائه من جديد، أو إصلاح ما وهى منه. أخرج ذلك مسلم في صحيحه، في كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، حديث رقم (١٣٣٣).

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٤) سورة الممتحنة، الآية ٨.

ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ..." [1].

وهذا يوقفنا على عظمة هذه الدعوة التي أمعنت في بيان مفهوم هذه المسألة الشديدة في أهميتها، حين فَرَّقَت بين محبة الكافر –وهذا أمر منهي عنه–، وبين محبة الخير للكافر –وهذا أمر محمود– وتحقيقه من الواجبات التي يضطلع بها دعاة الإسلام[2]، والمرونة والثبات جليان في هذا المبدأ الذي جعل إظهار الضعف لغير المسلمين، ومودتهم أمراً مشيناً حذر من مباشرته، وجعل في الوقت نفسه الاتصال بهم لدعوتهم، أو لتحصيل حاجة المسلمين منهم أمراً متاحاً به يحصل الخير لكلا الطرفين.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

(٢) أ.د. عبدالله بن محمد المطلق، واجب المبتعث في الدعوة إلى الله تعالى، محاضرة أُلقيت ضمن برنامج المبتعثين الواحد والثمانين المنعقد خلال الفترة من ١٨ إلى ١٤١٨/١/٢٩هـ، بإشراف كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

المطلب الثاني

مظاهر المرونة، والثبات في الدعوة إلى الله تعالى

أولاً: عدم الإلزام بدين الإسلام، وإكراه الناس عليه

وهاهنا مبدأ أصيل قامت عليه عملية الاتصال بين دعاة الإسلام وغيرهم، حيث تدور على محور ثابت: مفاده أن لا إكراه في الدين، ولكنه إبلاغ لمضمون الحق، وبيان لرسالة الإسلام، فأقر الإسلام – بناءً على ذلك – حق غير المسلمين في حرية الاعتقاد، وممارسة عباداتهم، وشعائرهم الدينية، وقد جاء في عهده ﷺ لليهود في المدينة، وغيرهم ما يتيح لهم ذلك، ويعفيهم من الدخول في الإسلام تحت وطأة الإكراه والإلزام[1]، وكذا الشأن مع اليهود والنصارى من أهل اليمن، حيث يبقون على ما هم عليه، ولا يفتنون عن دينهم، وعليهم الجزية[2]، وفي عهده ﷺ لأهل نجران ما أبقى لهم على أموالهم وأنفسهم، وأرضهم، وملتهم، وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته[3]، وقد سار على هذا النهج الخلفاء الراشدون ﷺ، وعهودهم ناطقة بذلك[4]، فقد عرض عمر ﷺ على مملوكه الإسلام، فيأبى، فيقول عمر: "لا إكراه في الدين" ثم يعتقه[5].

---

(١) كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، مرجع سابق، ٢١٣.

(٢) المرجع السابق، ٣٥.

(٣) الخراج، أبو يوسف، مرجع سابق، ٧٢.

(٤) انظر موقف الإسلام من غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، د. علي الصوّاء، بحث ضمن مجموعة أبحاث: معاملة غير المسلمين في بلاد الإسلام ، مرجع سابق، ٢١٦/١.

(٥) العقيدة والشريعة في الإسلام، المستشرق اليهودي اجناس جولد تسهير، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين، نقلاً عن: الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين في عصور التاريخ الإسلامي وفي العصر الحديث، د. عبد المنعم أحمد بركة، مرجع سابق، ص٧٠. وقد أورد أبو عبيد في كتابه، نموذجاً ومثالاً لحرص النبي ﷺ ومن بعده الخلفاء الراشدين على تطبيق هذا المبدأ العظيم، وهو حرية العقيدة تجاه أهل الذمة من أهل الكتاب، فقد أخرج بسنده عن وسق الرومي، قال: "كنت مملوكاً لعمر بن الخطاب ﷺ، وكان يقول لي: أسْلِم، فإنك إن أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين، فإنه لا ينبغي لي أن أستعين على أمانتهم من ليس منهم. قال: فأبيتُ، فقال: لا إكراه في الدين، قال: فلما حضرته الوفاة أعتقني، وقال: اذهب حيث شئت. قال أبو هلال الطائي: رأيت الذي أعتقه عمر، وكان نصرانياً"، وقد علق أبو عبيد على هذا الخبر بقوله: (فأرى عمر أنه تأول هذه الآية في أهل الكتاب، وهو أشبه بالتأويل، والله أعلم) انظر كتاب الأموال، أبوعبيد القاسم بن سلام، مرجع سابق، خبر ٧٨، ص٣٥. وانظر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، مرجع سابق، ص٢٠٥.

وواضح من ذلك كيف صان الإسلام حقوق المخاطبين به، وحمى كرامتهم، حين جعل لهم الحرية في الجدال والمناقشة، ومن ثم الرفض أو القبول، في حدود ما يتطلبه ذلك من أدب الحوار وتعاطي المسائل بين المتحالفين، قال الله تعالى: +﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ"[(١)].

والمتأمل – على ضوء ذلك في فريضة الجهاد – يجدها أبعد ما تكون عن الإكراه والإلزام، على الرغم مما تنطوي عليه من ترهيب، وسفك للدماء، إذ شأنها في ذلك شأن بقية إجراءات الدعوة، ومناشطها حيث يسعى الدعاة بها إلى مخاطبة وجدان المدعو وعقله، حتى تحصل منه القناعة بما يتم عرضه عليه من مضمون الإسلام، وهي بتلك الصورة تندرج ضمن وسائل البلاغ، وتأدية مضمون الإسلام للناس، حين يحول بينه وبين المخاطبين حوائل تستدعي القوة لإزالتها، ومن هنا جاءت فرضية الجهاد، لكون واجب البلاغ لا يتم إلا به، وما يتم الواجب إلا به فهو واجب، وحين كان من طبع البشر معاداة من يخالفهم، فكان هذا هو الموقف من دين الإسلام في أوساط بعض الناس ، ولابد –حينئذٍ – من إيصال دين الإسلام للناس، وتمكينهم من تمليه حتى لو لزم لذلك استخدام القوة، وبذلك يزول الخلط الذي قد يحصل بين التبليغ والإكراه[(٢)].

ومن مقتضيات عدم الإكراه التي تجلت في هدي الإسلام الدعوي المرونة في مخاطبة المدعوين بتعدد الخيارات المطروحة عليهم، وعدم الإلزام بالإسلام، أو بواحد منها، فعن سعيد بن أبي راشد مولى لآل معاوية قال: قدمت الشام فقيل لي في هذه الكنيسة رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ، قال: فدخلنا الكنيسة فإذا أنا بشيخ كبير فقلت له: أنت رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ ؟ فقال: نعم، قال: قلت حدثني عن ذلك، قال: إنه لما غزا تبوك كتب إلى قيصر كتاباً، وبعث به مع رجل يقال له دحية بن خليفة، فلما قرأ كتابه وضعه معه على سريره، وبعث إلى بطارقته[(٣)] ورءوس أصحابه، فقال: إن هذا الرجل قد بعث إليكم رسولاً، وكتب إليكم كتاباً، يخيركم إحدى ثلاث: إما أن تتبعوه على دينه، أو تقروا له

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٢) ومما يثبت هذا الأصل العظيم في دعوة الإسلام، ما تنظيمه في هذا الشأن بعدد من القواعد الحكيمة، منها: إيمان المكره لا يصح وكفر المكره لا يصح، وهذا تطبيق عملي يؤكد عدم الإكراه على دين الإسلام، وينفي ما قد يُلحقه البعض بدعوة الإسلام من أنها فرضت الإسلام بالقوة.

(٣) البطارقة: رجال الكنيسة، ومفردها بطريق.

بخراج[1] يجري له عليكم، ويقركم على هيئتكم في بلادكم، أو أن تلقوا إليه بالحرب، قال: فنخروا[2] نخرة حتى خرج بعضهم من برانسهم[3]، وقالوا: لا نتبعه على دينه، وندع ديننا، ودين آبائنا، ولا نقر له بخراج يجري له علينا، ولكن نلقي إليه الحرب، فقال: قد كان ذاك، ولكني كرهت أن أفتات[4] دونكم بأمر... وقد عرض الرسول ﷺ على رسول قيصر إليه الإسلام، قائلاً: «يا أخا تنوخ هل لك في الإسلام؟» **لكنه لم يستجب، وقال: إني أقبلت من قبل قوم، وأنا فيهم على دين، ولست مستبدلاً بدينهم حتى أرجع إليهم، فضحك رسول الله ﷺ أو تبسم، وتلا هذه الآية:** +إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ"[5]، **ثم قال رسول الله ﷺ** : «إنك رسول قوم، وإن لك حقًّا، ولكن جئتنا ونحن مرملون[6]» **فقال عثمان بن عفان ﷺ: أنا أكسوه حلة صفورية، وقال رجل من الأنصار: عليَّ ضيافته[7].**

والإكراه فيه إساءة لمشاعر المدعو حين يُجْبَه بما يُصادم فكره، وينقض معتقده، وجلبه عنوة إلى ما يريده الداعية منه كفيل بزيادة تنفيره، وأبعد ما يكون عن دواعي الإقناع، وأسباب الرضى لديه، إذ كسبه إلى صف الحق يقتضي الاحتفاء بما في نفسه، وإشعاره بما له من اعتبار، وقيمة في نفس الداعية، كل ذلك يتم بالروية والهدوء، حتى لا يشعر بأنه قُسر على ما دُعي إليه، وإنما اتجه إليه طواعية، وأقبل عليه رغبة منه فيه، واقتناعاً به، وقد كان لعمر بن الخطاب ﷺ موقف يستشهد به على ذلك، فقد وفد إليه جبلة بن الأيهم[8]، وهو على نصرانيته "فعرض عمر عليه الإسلام وأداء وأداء الصدقة فأبى ذلك، وقال: أقيم على ديني وأؤدي الصدقة، فقال عمر: إن أقمت على دينك فأد الجزية. فأنف منها. فقال عمر: ما عندنا لك إلا واحدة من ثلاث: إما الإسلام وإما أدآء الجزية، وإما الذهاب إلى حيث شئت. فدخل بلاد الروم في ثلاثين ألفاً. فلما بلغ عمر ندم. وعاتبه عبادة بن الصامت فقال: لو قبلت منه الصدقة ثم تألفته لأسلم"[9].

---

(١) الخراج: ما يدفعه أهل الذمة للدولة الإسلامية.

(٢) النخير: صوت الأنف، والمراد الكلام بغضب ونفور.

(٣) البرنس: ثوب ملتصق به غطاء للرأس.

(٤) أفتات: أي أفتي وأحكم.

(٥) سورة القصص، الآية ٥٦.

(٦) مرملون: أي نفد زادهم.

(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث (رقم ١٦٠٩٧).

(٨) تقدمت ترجمته صـ٨٢.

(٩) انظر كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، مرجع سابق، باب أخذ الجزية من عرب أهل الكتاب، ص ٣٠، وانظر الأم،

ثانياً: مراعاة أحوال المدعوين

لا شك في أنه من أظهر صور المرونة، والثبات في دعوة الإسلام مراعاة أحوال المدعوين حين الاتصال بهم، بغية التأثير فيهم وإقناعهم، ومن اليقين بأن كل إجراء دعوي فاعل حقق هدفه في المخاطبين قد اتصف بهذه السمة، ولذا فإن كل ما وصل إلينا من هدي الرسول ﷺ في مخاطبته للناس يعد شاهداً على هذه المراعاة بكل أشكالها وصورها.

ويهمنا في هذا المقام بيان أن زاد المراعاة لأحوال المدعوين الذي يُعين الدعاة على إمضائها في صورتها الحسنة، هو ما انطوى عليه دين الإسلام في شريعته، وتنظيمه من مزايا المرونة والثبات. هذه الميزة التي تركت مساحة واسعة لحركة الداعية، ومكنته من إظهار ملكاته ومواهبه في خطابه للناس، ودعوتهم واضعاً نصب عينيه مقاصد الإسلام، ومرامي الشريعة، ولقد كان عدم الثبات في أحوال الناس، وكثرة التحول والتنوع فيها معالجاً بما اختصت به شريعة الإسلام من مزية المرونة، كما كان الإصرار على الحال السيئة، والعناد في وجه الحق مُعالجاً بما اختصت به هذه الشريعة من مزية الثبات، قال ابن القيم –رحمه الله– في شأن الحكم والعدل، وهما مما يقوم عليهما التعامل الحسن مع الناس حين دعوتهم: "... فإذا ظهرت إمارات الحق، وقامت أدلة العقل، وأسفر صبحه بأي طريق كان فثم شرع الله، ودينه، ورضاه، وأمره، والله تعالى لم يحصر طرق العدل، وأدلته، وإماراته في نوع واحد، ولم يبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه، وأدل، وأظهر، بل بين بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق، والعدل، وقيام الناس بالقسط، فأي طريق استخرج بها الحق، ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها، والطرق أسباب ووسائل لا تراد لذواتها، وإنما المراد غاياتها التي هي المقاصد، ولكن نبه بما شرعه من الطرق على أسبابها، وأمثالها ولن تجد طريقاً من الطرق المثبتة للحق إلا وهي شرعة، وسبيل للدلالة عليها"(١).

والحديث عن مظاهر مراعاة أحوال المدعوين وصورها واسع رحب، يأتي بعون الله تعالى في الباب الثاني من هذه الدراسة.

الإمام الشافعي، مرجع سابق، ٩٤/٤، ٩٥.

(١) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية ، مرجع سابق، ٣٧٣/٤.

ثانياً: أركان الدعوة وأهمية المدعو فيها

المبحث الأول: الداعية.

المبحث الثاني: مضمون الدعوة.

المبحث الثالث: الوسيلة والأسلوب.

المبحث الرابع: المدعـو.

تمهيد:

إن الداعية حين يباشر الدعوة إلى الله فيثمر عمله الأثر المراد، والنتيجة المطلوبة، ففي ذلك الدلالة على أن جهده قد توافر على أسباب النجاح التي يتطلبها كل ركن من أركان الدعوة، وهي الداعية، والمضمون الدعوي، والوسيلة والأسلوب، والمدعو، وفي هذا المقام نعرض لكل واحد من هذه الأركان لنعرف به، ونبين دوره في الأداء الدعوي، واعتماد العملية الدعوية عليه، كما نوضح الصلة بين كل ركن من الأركان الثلاثة الأولى والمدعو، باعتباره الموضوع الرئيس لهذه الدراسة، وتلمس المقام الذي يأخذه هذا الركن في العملية الدعوية، ومعرفة تأثره ببقية الأركان ومدى تأثرها به.

المبحث الأول: الداعية

إذا كانت الدعوة هي القيام بتبليغ دين الإسلام للناس ونشره بينهم، والسعي لإقناعهم به، وتحسينه لهم، فإن القائم بذلك، والمتولي أمره هو الداعية، فهو الذي عليه عبء المخاطبة في صورتها الصحيحة، ولذا فإن لفظ (الداعية) "اسم مبالغة من الداعي إلى الإسلام"(١)، الذي يجب أن يكون على قدر معين من التأهيل، ويحمل صفات تتعلق بذاته، ومهاراته، وقدراته، ويستشعر في الوقت نفسه مسؤوليته، وعظم الواجب الملقى عليه، وقد نص على هذا الواجب القرآن الكريم +وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ"(٢)، **فقوله تعالى: ولتكن منكم أمة، أي "منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر"(٣)، وفي السعي لأداء هذا الواجب كان الداعية متهيئاً لكل تبعة تلحقه بسببه، ومحتسباً ذلك عند ربه، وقد حدث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عن أكثر ما نالته قريش من الرسول ﷺ من جراء دعوته إياهم، وذلك حين اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم. فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض مايقول، فعُرِف ذلك في وجهه، ثم مضى، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرف ذلك في وجهه، ثم مضى، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فقال:** «تسمعون يامعشر قريش أما والذي نفس محمد بيده

---

(١) تاريخ الدعوة بين الأمس واليوم، آدم عبد الله الألوري (مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ) ص ١٨.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٠٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٥١٥/١.

لقد جئتكم بالذبح». **فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولاً. فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا. لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم، ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ:** «نعم أنا الذي أقول ذلك»، **فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه، وقام أبوبكر الصديق ﷺ دونه يقول وهو يبكي: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟! ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد مانالته قريش منه قط"[(١)]، كما جاء عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ شج في وجهه، وكسرت رباعيته، ورمي رمية على كتفه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وهو يمسحه، ويقول:** «كيف تفلح أمة فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله»[(٢)].

ومما يحتمله **مفهوم الداعية كونه يتوافر على جملة من الصفات، والمهارات، والقدرات، وحد أدنى من العلم فيما يُتحدث فيه من مسائل، وموضوعات، وكل ذلك نجده من لوازم التحدث إلى المدعو، ويشكل طرفاً أساسياً في تكوين العلاقة بين الداعية، والمدعو، حيث إن مهارات تكوين الداعية للعمل الدعوي، وتهيئته للاتصال بالمدعو الاتصال الفاعل إنما دعت إليها حاجة المدعو للدعوة، ولذا كانت فريضة الدعوة من أجلّ الفرائض في دين الإسلام، وكان الأمر بها على سبيل الفرض، وترتيب الجزاء الوافر على من قام بها وأداها، بل إنها الوظيفة الأسمى، والعمل الأزكى، الذي خص الله ﷻ به الأنبياء والرسل، وشَرُف بذلك -من بعدهم- ورثتهم من أئمة العلم، والدعوة، ونجد جلياً أهمية تهيئة الداعية فيما توافر للأنبياء والرسل مما يسره الله تعالى لهم، لينالوا به الحظوة لدى المدعو، والقبول منه، ومن صور ذلك تأييدهم بالمعجزات، وهي كثيرة[(٣)]، منها ماجاء عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :** «لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي،

---

(١) أخرجه البخاري مختصراً، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة (رقم ٣٨٥٦) واللفظ لأحمد في المسند (٢/٢١٨) وأخرجه أيضاً أبو يعلى (رقم ٧٣٣٩) وابن حبان كما في الموارد (رقم ١٦٨٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد (رقم ١٧٩١)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة آل عمران، (رقم ٣٠٠٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) للاستزادة والنظر في معجزات الرسول ﷺ انظر، النبوات، ابن تيمية، وانظر إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، وانظر كشوف جديدة في إعجاز القرآن الكريم، عادل عبدالله القلقيلي.

فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثلها قط»، **قال:** «فرفعه الله لي أنظر إليه، مايسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه، فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام»(١).

ومن جانب آخر فقد قامت مهمة الدعاة في دين الإسلام على الجمع بين الإنذار والتبشير، يزاولون ذلك ويتمثلونه دوماً في أقوالهم وأعمالهم، كما أن شمول دعوة الإسلام للعالمين ظهر في جهدهم الدعوي فهو الأشمل والأوسع، الذي استوعب ضروب الحياة وشتى مجالاتها، وخاطبوا به سائر الأمم والأجناس، وكان لذلك أثره الجلي في المدعو نتيجة لما يلحظه في الداعية وعمله، ونتائج ذلك العمل مما يملك عليه عقله ولبه، ويدفعه إلى التأثر بما يراه، والإيمان به، ويُشَار بشأن ذلك لما جاء في بعض كتب السير عن الإمام الشافعي أنه قال عن صلح الحديبية: "ماكان الإسلام في فتح منه أعظم منه، كانت الحرب قد أحرجت الناس، فلما آمنوا لم يُتكلم بالإسلام أحد يعقل إلا قبله، فلقد أسلم في سنتين من تلك الهدنة أكثر ممن أسلم قبل ذلك"(٢).

ويعضد ذلك في حق المدعو ماآتاه الله تعالى الدعاة من القرآن العظيم، المعجز في بيانه، والمتقن في دلالته، ومضمونه، +وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ"(٣)، ففيه الغنية عما سواه والبلغة للمطلوب، ولذا جاء الخطاب من الله تعالى لنبيه ﷺ "كما آتيناك القرآن العظيم فلا تنظرن إلى الدنيا، وزينتها، وما متعنا به أهلها من الزهرة الفانية"(٤)، وفي الآية الأخرى يقول تعالى: +قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي"(٥)، والمعنى "قل يا محمد هذه الدعوة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، (١٧٢).

(٢) انظر السيرة النبوية، ابن هشام بن أيوب المعافري أبو محمد، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ)، ٣٢٢/٢، الأم، الشافعي، مرجع سابق، ١١٠/٤، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، في فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٨/ ٤٤٥ ،٤٤٦، زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ)، ٢/ ٣١٨-٣٢٤.

(٣) سورة الحجر، آية ٨٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٧٣٤/٢.

(٥) سورة يوسف، آية ١٠٨.

التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها سبيلي: سنتي ومنهاجي...، والبصيرة هي اليقين والمعرفة، التي تميز بها بين الحق والباطل، ومن اتبعني، أي آمن بي وصدقني أيضا يدعو إلى الله...، قال ابن عباس: يعني أصحاب محمد ﷺ كانوا على أحسن طريقة، وأقصد هداية، معدن العلم، وكنز الإيمان، وجند الرحمن، وقال عبد الله بن مسعود: أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، وأبرها قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم، وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"(١).

وقد جاء وصف هذه الفئة من الدعاة بأنها الأمة الظاهرة بما تقوم عليه من أمر الله ﷻ، وعلى رأس ذلك واجب التبليغ والدعوة، تقوم بذلك في كل زمان ومكان، وعنهم جاء حديث المغيرة بن شعبة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»(٢)، **وكذلك ماوراه عمير بن هانئ أنه سمع معاوية يقول: سمعت النبي ﷺ يقول:** «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك»(٣).

ومقام الدعاة العظيم هذا يكرس أهمية المدعو في مجال عملهم، ومحيط دعوتهم، بحيث لا يكتنف هذه الدعوة ما يشعر بتعالي الداعية بنفسه، أو بترفعه على المدعو في أي صورة من صور ذلك وأشكاله، وقد حذر ابن القيم – رحمه الله – "من طغيان أنا، ولي، وعندي، فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي بها إبليس، وفرعون، وقارون، "أنا خير منه" لإبليس، و"لي ملك مصر" لفرعون، و"إنما أوتيته على علم عندي" لقارون. وأحسن ما وضعت أنا في قول العبد: أنا العبد المذنب، المخطئ، المستغفر، المعترف ونحوه. ولي، في قوله: لي الذنب، ولي الجرم، ولي المسكنة، ولي الفقر والذل: وعندي في قوله:"اغفر لي جدي، وهزلي، وخطئي، وعمدي، وكل ذلك عندي"(٤)، وبهذه الروح تقوم علاقة صحيحة بين الداعية والمدعو، تحفظ ما له من حق ومكانة، وتشعره بمدى حب الداعية له، واحتفائه به، فيتحقق بذلك المطلوب من إقناعه بما يُلقيه الداعية عليه، وإحداث الأثر

---

(١) انظر تفسير البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك (دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ الطبعة) ٢٨٤/١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، (رقم ٣٦٤٠) ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق (رقم ١٩٢١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، (رقم ٣٦٤١) ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق (رقم ١٠٣٧) (١٧٤).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ٤٣٤/٢.

المراد في حاله.

ويشد من أزر الداعية للقيام بدوره هذا في حق المدعو شدة استحضاره أَنَّ واجب الدعوة إنما قام لأجله، وأما مايترتب على الاضطلاع بذلك من أجر يناله ومثوبة، وخير وبركة يجدهما في نفسه، وحياته إنما هي حوافز ومشجعات، جاءت تبعاً للمهمة الأولى وفي سياقها، وهي مخاطبة المدعو وإصلاح حاله، وقد أبان شيخ الإسلام – رحمه الله – طرفاً من ذلك بقوله: "إن التعليم، والتذكير، والإنذار والهدى ونحو ذلك له فاعل، وله قابل، فالمعلم المذكر يعلم غيره، ثم ذلك الغير قد يتعلم، ويتذكر وقد لا يتعلم ولا يتذكر، فإن تعلم وتذكر فقد تم التعليم والتذكير، وإن لم يتعلم، ولم يتذكر فقد وجد أحد طرفيه، وهو الفاعل دون المحل القابل، فيقال في مثل هذا: علمته، فما تعلم، وذكرته فما تذكر، وأمرته فما أطاع، وقد يقال: ماعلمته وماذكرته لأنه لم يحصل تاماً، ولم يحصل مقصوده فينفي لانتفاء كماله، وتمامه، وانتفاء فائدته بالنسبة إلى المخاطب السامع"(١).

وللحرص على دقة البيان للمدعو، وصحة التبليغ طلب موسى عليه السلام من ربه – جل وعلا – أن يبعث معه أخاه هارون: +وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ" (٢)**، وهكذا الشأن في سائر الرسل عليهم السلام فقد توافروا على البلاغة في الأداء، والحسن في التعبير، وسيدهم في ذلك محمد ﷺ ، فمن المعلوم "أنه كان من أفصح الناس، وأحسنهم بيانا واللغة التي خاطب بها أتم اللغات، وأكملها بياناً"(٣)، وقد جاء بيان ذلك في قول الله تعالى:** +الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"(٤)**، وقوله:** +وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ" (٥).

وإحكام الصلة، وتوثيقها بين الداعية والمدعو يتطلب المزيد من الأمور التي تُعد في مجملها صفات محمودة للداعية(٦)، وتنطوي تلك الصفات على مايجذب المدعو، ويلقي في قلبه الثقة

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ١٥٦/١٦.

(٢) سورة القصص، الآيتان ٣٤، ٣٥.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، مرجع سابق، ٣٧٣/٥.

(٤) سورة يوسف، الآيتان: ١، ٢.

(٥) سورة إبراهيم ، آية ٤.

(٦) في الباب الثاني والثالث من هذه الدراسة يأتي الحديث بتوفيق الله عن جل مايحكم الصلة بين الداعية والمدعو من حيث اتصاف

بالداعية والطمأنينة إليه، فهو تحت العين الفاحصة لكونه صار في مكان المُقْتدى به، وإذا "رأى العوام أحد العلماء مترخصاً في أمر مباح هان عندهم...، فقد قال بعض السلف: كنا نمزح ونضحك، فإذا صرنا يُقتدى بنا فما أراه يسعنا ذلك، وقال سفيان الثوري: تعلموا هذا العلم، و اكظموا عليه، و لا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب. وقال أحمد بن حنبل في الركعتين قبل المغرب: رأيت الناس يكرهونهما فتركتهما، ولاتسمع من جاهل يرى مثل هذه الأشياء رياء، إنما هذه صيانة للعلم، فلا ينبغي للعالم أن ينبسط عند العوام حفظاً لهم، و متى أراد مباحاً فليستتر به عنهم...، وهذا القدر الذي لاحظه أبو عبيدة حين رأى عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – قد قدم الشام راكباً على حمار ورجلاه من جانب، فقال: يا أمير المؤمنين يتلقاك عظماء الناس، فما أحسن ما لاحظ، إلا أن عمر – رضي الله عنه – أراد تأديب أبي عبيدة بحفظ الأصل، فقال: إن الله أعزكم بالإسلام فمهما طلبتم العزة في غيره أذلكم، والمعنى ينبغي أن يكون طلبكم العز بالدين لابصور الأفعال، وإن كانت الصور تلاحظ...، ومثل هذا لايكون تصنعاً، و لاينسب إلى كبر"[(١)].

والخطاب المجدي هو الذي حين يلقيه الداعية للمدعو يَفْهَم منه شيئاً، ولذا فقد عرَّف ابن الكمال الخطابة بأنها: "قياس مُرَكَّبٌ من مقدمات مقبولة، أو مظنونة من شخص مُعْتَقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم معاشاً ومعاداً"[(٢)].

وخلاصة القول: إن مهمة الداعية أن يرعى المدعو حتى ينقله إلى الأحسن على ضوء درايته بحاله مسترشداً بما في الكتاب، ومشكاة النبوة من هدي دعوي، وهذه الرعاية لاتتم إلا إذا استحضر الداعية حقيقة موقفه من المدعو على ضوء ماظهر لنا من وصف لطبيعة صلته بالمدعو.

الداعية بصفات تعينه على تقصي أحوال المدعو ومراعاتها، وللتزود حول صفات الداعية يمكن الرجوع للكتب التالية: صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، وكتاب من صفات الداعية اللين والرفق، د.فضل إلهي، وكتاب صفات الداعية النفسية، عبدالله علوان، وكتاب من صفات الداعية، محمد الصباغ، وكتاب صفات الداعية وكيفية حمل الدعوة، سميح عاطف الزين.

(١) صيد الخاطر، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: د. عبد الرحمن البر (دار اليقين، المنصورة، ١٤١٦هـ) ٢٢٩/١.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبدالرؤوف المناوي ، مرجع سابق، ٣١٦/٢.

المبحث الثاني

مضمـون الدعـــوة

المراد بمضمون الدعوة هنا هو: كل ماينطوي عليه دين الإسلام مما احتواه القرآن الكريم، واحتوته السنة النبوية من عقيدة، وشريعة، وتنظيم للأخلاق، والمعاملات، ويزيد هذا المراد تحديداً ووضوحاً إذا حصرناه فيما يتولى الداعية اختياره من ذلك المضمون، ونقله للمدعو، وتبليغه إياه، لكونه المضمون الذي يحتاجه على ضوء البصيرة بحاله، والدراية بإشْكَاله، وهو بهذا يصير عنصراً رئيساً من عناصر الدعوة التي لايتم العمل الدعوي إلا بها، بل إنه لب الدعوة، ومحتواها الذي تكالبت الجهود، وجمعت الطاقات، والقدرات للعمل على إيصاله بالصورة الصحيحة التي تحقق المراد من نقله للمدعو، وانتفاعه به.

والحديث عن ملاءمة هذا المضمون للمدعو، وأهمية الدقة في اختياره من قبل الداعية يُظْهِر طرفاً مهماً لطبيعة الصلة بينه، وبين المدعو، ويَبِيْن ذلك في كون هذا المضمون يتغير، ويُراوِح بين مفرداته حين المخاطبة به بناء على حال المدعو، وحاجته، ويتضح ذلك بما أبانه الإمام النووي – رحمه الله – بتعليقه على إجابات الرسول ﷺ المتعددة حين سُئل عن أفضل الأعمال(1)، فقد قال: ذكر في حديث الجهاد بعد الإيمان، وفي حديث لم يذكر الحج، وذكر العتق، وفي حديث بدأ بالصلاة، ثم البر، ثم الجهاد، وفي حديث متقدم ذكر السلامة من اليد واللسان، قال العلماء اختلاف الأجوبة في ذلك باختلاف الأحوال، واحتياج المخاطبين، وذكر مالم يعلمه السائل، والسامعون، وترك ما علموه(2).

وقد جاءت العناية بالمضمون تعلماً، وتعليماً، وإلماماً به، وعملاً به، ودعوة إليه في جملة من

---

(1) جاء في ذلك أحاديث منها: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها» قال: قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قال: قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» فما تركت أستزيده إلا إرعاء عليه. أخرجه مسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (رقم ٨٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور» أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل (رقم ٢٦) ومسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (رقم ٨٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً أو تقضي عنه ديناً أو تطعمه خبزاً». حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٤٩٤).

(2) انظر فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ١/٧٩ .

نصوص الكتاب والسنة، فمن فضائل ذلك ماجاء عن عثمان بن عفان ﷺ عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(1)، **وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل، وهم الكُمَّل في أنفسهم المكملين لغيرهم، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لاينفعون، ولا يتركون أحدًا ممن أمكنهم أن ينتفع، كما قال تعالى:** +ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ "(2)، **وكما قال تعالى:** +وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ "(3)، **"فهذا شأن شرار الكفار، كما أن شأن الأخيار الأبرار أن يتكمل في نفسه، وأن يسعى في تكميل غيره...، وقد كان أبو عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمي الكوفي**(4) **أحد أئمة الإسلام، ومشايخهم ممن رغب في هذا المقام فقعد يعلم الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحجاج"**(5).

والمضمون الصحيح بذلك حين يصل للمدعو يكون له أثره الجلي في رسم طريقه، وإنارة قلبه، فقد كانت "معرفة أهل الكتاب، ومُتحَنِّفَة العرب، بورود البشارة بمبعث النبي ﷺ، في صحف إبراهيم، وفي التوراة والإنجيل، وبأخذ الله تعالى عهد النبيين، والرسل، وأتباعهم، بنصرة النبي الخاتم عند حلول زمانه، وظهور دعوته، ظل متحنفو العرب، الباحثون عن دعوة التوحيد، وعلماء أهل الكتاب من العرب، والعجم، زمن فترة الرسل التي استمرت ستمائة عام ونيفاً، من رفع المسيح ، إلى مبعث النبي محمد ﷺ، ينتظرون نبأ مبعثه وظهوره ﷺ، لمعرفتهم بخبر مبعثه من دعوة إبراهيم الخليل نبي الحنيفية القديمة، وابنه إسماعيل، وورود البشارة بمبعثه ﷺ في التوراة والإنجيل على لسان موسى، وعيسى عليهما السلام"(6)، **ومضمون الدعوة له مساس واضح بنفع**

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (رقم ٥٠٢٧).

(2) سورة النحل، آية ٨٨.

(3) سورة الأنعام، آية ٢٦.

(4) هو عبدالله بن حبيب بن ربيعة أبو عبدالرحمن السلمي الكوفي، يقال كان أعمى ولأبيه حبيب بن ربيعة السلمي صحبة، سمع من عدد من الصحابة، وأقرأ القرآن الناس أربعين سنة وصام ثمانين رمضاناً، كثير العبادة والتلاوة، مات سنة أربع وسبعين وقيل سنة اثنتين وسبعين وله تسعون سنة. انظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، (دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ) ١٠١/٧. وانظر رجال صحيح مسلم، أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني، تحقيق عبد الله الليثي (دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ) ٣٥٨/١.

(5) فضائل القرآن، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي، تحقيق: د. فاروق حمادة (دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٣هـ) ١٣٢/١.

(6) انظر السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ٢٢٢/١-٢٣٢. وانظر تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص ٩٩.

المدعو ومصلحته، ولذا كانت العناية به بالغة في الإسلام، فعن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خذوا العلم قبل أن يذهب» **قالوا: وكيف يذهب العلم يا نبي الله، وفينا كتاب الله؟ قال: فغضب لايُغْضِبُهُ الله، ثم قال:** «ثكلتكم أمهاتكم أولم تكن التوراة والإنجيل في بني إسرائيل فلم يغنيا عنهم شيئاً، إن ذهاب العلم أن يذهب حملته، إن ذهاب العلم أن يذهب حملته»(١)، **ومن فرط العناية بالمضمون، وحمايته، جاء النهي عن مباشرة مايتسبب في الإساءة إليه كاستثارة الناس ضده، وجاء في هذا الشأن من رواية ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى:** +وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا" (٢)، **قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ:** +وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ" **أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن** +وَلَا تُخَافِتْ بِهَا" **عن أصحابك فلا تسمعهم** +وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا"(٣).

ومن العناية بالمضمون تيسيره للناس بما يعين على فهمه، وإدراك ماينطوي عليه، واستيعابه، ومراعاة مدى قدرتهم على ذلك، لأنه "من المحال أن تستقل العقول بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل، فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين...، وجعل مفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم، معرفة المعبود سبحانه بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها، ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان: أحدهما: تعريف الطريق الموصل إليه، وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه، والثاني؛ تعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إليه من النعيم المقيم"(٤).

وفحوى ذلك الإشارة إلى المضمون الذي انتدب الدعاة لإبلاغه، وإشاعته، ويمكن إجمال القول بشأن ذلك في أن حال المدعو، وطبيعته، ونوع إشكاله هو المؤثر في اختيار المضمون، وتحديده قدره ووقته وكيفية إلقائه، كما أن مقتضى العناية بالمدعو، والحرص على هدايته يقتضي العناية بالمضمون من حيث الدقة في اختياره ليكون هو الملائم للمدعو، ومن حيث عناية الداعية

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب في ذهاب العلم، (رقم ٢٤٦).

(٢) سورة الإسراء، آية ١١٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها، (رقم ٤٧٢٢) ومسلم، كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار (رقم ٤٤٦).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩١هـ) ص ٦٥.

بفهمه، واستيعاب فقهه، ثم سياقه إليه بالصورة الصحيحة التي تمكن من جني ثماره في حق المدعو، وتحقيق الخير المراد له.

المبحث الثالث

الوسيلـة والأسلـــوب

يمكن تعريف الوسيلة بأنها الوعاء الذي يستخدمه الداعية لنقل مضمون الدعوة للمدعو، فهي تنطوي في حقيقتها على تسهيل لعملية الاتصال حين يجريها الداعية بالمدعو، ولزيادة الإيضاح لهذا المفهوم نشير إلى أن الوسيلة هي الأداة التي تجعل المعاني المتداولة بين الداعية، والمدعو مفهومة لكل منهما، لأنه بغياب هذا الفهم فإنه لاجدوى من عملية الاتصال القائمة بينهما، وطالما أن المعاني المتداولة تنساق بيسر بينهما، ويتم إخضاعها للتفكير، والتأمل من قبلهما، ففي ذلك الدلالة على الإصابة في اختيار الوسيلة الدعوية، وهذا هو المعيار الأهم الذي يحدد مدى الاستفادة منها، وتوظيفها بالصورة الصحيحة.

ولكثرة التصنيف، والتقسيم لتلك الوسائل بسبب كثرتها، وتجددها، والابتكار فيها، فقد تداخلت -لدى البعض- فيما بينها، بل اختلطت أحياناً مع الأساليب، مما يدعو إلى ضبط ذلك وفق ماسبق من مفهوم للوسائل، وعليه يمكن القول بأن جميع الوسائل الدعوية التي تم تداولها منذ ظهور دعوة الإسلام وإلى وقتنا الحاضر، ويُلْحق بها مايَجِد ويُبْتَكر، لاتخرج عن نوعين رئيسيين ينتظمان جميع الوسائل الدعوية:

النوع الأول: الوسائل القولية، وحَدُّها: كل وسيلة اعتمدت في نقل المضمون للمدعو على القول، سواء أكان منطوقاً كالخطابة، والحوار، أو مكتوباً كالكتاب، والمقال، أو مرموزاً كالإشارات التعبيرية ولغة الصم، والنوع الثاني: الوسائل التي تعتمد على الفعل والقدوة، وفاعليتها تكمن في الإيحاء للمدعو بحسن الحال التي عليها من يقوم بالفعل أمامه، وبالتالي سروره، وإعجابه بها، ثم اقتناعه بفكرتها، والأخذ بها سلوكاً في حياته.

أما الأسلوب فهو: الكيفية التي يتم بها استخدام الوسيلة من قبل الداعية، ولذا فهو يراوح بين الأساليب دون أن يراوِح -تبعاً لذلك- بين الوسائل، ويمكن القول بأن الأسلوب ينحصر في نطاق التأثير على المدعو، ولفت نظره إلى مايُطرح عليه، ومن ثم التمكن من إقناعه، وتغيير حاله، ومن الأمثلة على الأساليب المستخدمة في الدعوة: اللين، والرفق، والمرونة، والحزم، والشدة، والتأليف والترغيب، والتخويف، والترهيب[1].

---

(١) المراد الذي سيق هنا لكل من الوسيلة والأسلوب هو الذي يميل إليه الباحث، مع الأخذ في الاعتبار الخلاف الدائر حول ذلك، ولذا لاضير من عده مفهوماً إجرائياً يلفت نظر القارئ الكريم إلى المراد من هذين المصطلحين كلما ورد ذكرهما في هذه الدراسة،

ومن أهم مايُذكر في هذا المقام بشأن الوسيلة، والأسلوب حسم الخلاف الدائر حول كونهما توقيفيان، يُقْتصر بشأنهما على ماوجد منهما في الهدي الدعوي للإسلام، أو أنهما مطلقان يسوغ فيهما التجديد، والابتكار، والزيادة[1]، إذ القول الذي تميل إليه النفس: إن الوسائل مطلقة يسوغ فيها التجديد، والابتكار وفق مايتفق مع منهج الإسلام، ومشكاة النبوة، أما الأساليب فهي توقيفية والسبب في ذلك أن الهدي الدعوي للإسلام قد استوفاها كاملة، ولم يعد بالإمكان أن يجد المجتهد مهما حرص مايضيفه منها إلى ماهو معروف، وهذا يرجع إلى آليات الطرح العلمي، وطبيعة التفاعل الفكري بين البشر، فكل ذلك يدور على مأودعه الله تعالى في الإنسان من قدرة على التفكير، والتأمل، والتفاعل مع مايُلقى عليه، وحين خلق الله تعالى الإنسان، وأوجب عليه اتباع الرسل، والأخذ بدعوتهم مكَّن الرسل عليهم السلام، ومن سار على أثرهم من الدعاة من أسباب التأثير في المدعوين، حين أطلعهم على كل أسلوب يمكن أن يُخاطب به إنسان، فليس ثمة أسلوب غير ماسبقنا إليه محمد ﷺ كالترغيب، والترهيب، والمرونة، واللين، وغير ذلك مما وجدناه في القرآن الكريم، وفي السنة المطهرة.

وإذا ذهبنا نتقصى كيف كانت الوسائل، والأساليب توظف دعوياً في جملة من وقائع الهدي الدعوي، وجدنا المراوحة بينها هي السائدة انسياقاً مع المدعو وأحواله، كما أن الانتقاء لشيء منها يقوم على مالدى الداعية من بصيرة بها، وبخصائصها، والمواطن الصحيحة لاستخدامها، ولعلنا نتمكن من إبانة ذلك بما يرد بشأنها في نصوص من الكتاب والسنة، فعن أبي بردة قال: بعث ﷺ أبا موسى، ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مخلاف[2]، قال: واليمن مخلافان، ثم قال: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا» **فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل**

وللاستزادة حول الوسائل والأساليب انظر: الدعوة الإسلامية (الوسائل . الخطط . المداخل) ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وكتاب وسائل الدعوة إلى الله تعالى وأساليبها بين التوقيف والاجتهاد دراسة تأصيلية، د. حسين محمد محمود عبدالمطلب، وكتاب أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، أ د. حمد بن ناصر العمار، ومن أساليب القرآن – د.إبراهيم السامرائي، والرسول المعلم وأساليبه في التعليم، د. عبدالفتاح أبو غدة، وأساليب الإقناع وغسيل الدماغ، جي.إي.بروان، وأسلوب الدعوة القرآنية، د. عبدالغني محمد سعد بركة، أسلوب النصيحة في الكتاب والسنة، د. محمد بن محمد الأمين الأنصاري، دراسات لأسلوب القرآن، محمد عبدالخالق عظيمة.

(١) للمزيد حول ذلك انظر على سبيل المثال: الحجج القوية على أن وسائل الدعوة توقيفية – عبدالسلام بن برجس.

(٢) مخلاف البلد: سلطانه، وهو عند أهل اليمن واحد المخاليف، وهي عندهم كالأجناد لأهل الشام والكور لأهل العراق. انظر لسان العرب، ابن منظور، مادة خلف.

واحد منهما إذا سار في أرضه كان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً فسلم عليه، فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه، وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس، وإذا رجل عنده قد جمعت يداه إلى عنقه، فقال له معاذ: ياعبدالله بن قيس أيم هذا؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه، قال: لا أنزل حتى يُقْتل، قال: إنما جيء به لذلك فانزل، قال: ما أنزل حتى يُقْتل، فأُمر به فقتل، ثم نزل.(١)، وقد تضمن هذا الحديث مراعاة حاجة الناس للوسيلة التي توصل إليهم المضمون الدعوي، وتحقق زيادة سعة انتشار صوت الداعية، وإيصاله إلى أبعد مدى، حين قام الرسول ﷺ ببعث هذين الصحابيين – رضي الله عنهما– إلى تلك البلاد البعيدة، كما أنه عليه الصلاة والسلام لفت نظرهما إلى التيسير، والتبشير، وهذان أسلوبان دعويان مناسبان لمن هم ذاهبون إليهم، وأكثر ملاءمة لطبيعتهم، وأحوالهم، إلا أن ذلك لايحول دون الأخذ بأمر الله ﷻ، وحكمة في المسائل، الواضحة الجلية كحالة هذا المرتد الوارد خبره في الحديث، ولذا فقد تمثل هذان الصحابيان الحكمة بحزمهما معه، والحزم في هذا المقام أسلوب دعوي آخر يُؤتي ثماره في تحقيق مقاصد الدعوة وأهدافها.

والحال هنا يؤكد أهمية المدعو، فهو المؤثر الرئيس في عملية انتقاء الوسائل، والأساليب، وتحديد المناسب منها لحاله وإشكاله.

وفي مسلك الرسول ﷺ مع أهل الصفة، وهو قائم على الرأفة بهم، والنظر في حاجاتهم، ومراعاة كونهم التفوا على معين النبوة يحاول كل منهم بجهده أن يتعلم، ويأخذ من الرسول ﷺ ، فقد كان هذا الأسلوب في التعامل معهم هو الأنجع، فآتى ثماره، وباتت الصُّفَّة مدرسة عليا تخرج منها الكثير من صحابة رسول الله ﷺ ممن زكوا في صلتهم بربهم، وعلمهم، ودعوتهم(٢)، وبالنظر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، (رقم ٤٣٤١، ٤٣٤٢) ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (رقم ١٧٣٣) وفي كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها (رقم ١٧٣٣) (١٥).

(٢) لما بنى الرسول ﷺ المسجد "جعل فيه محلاً مظللاً يأوي إليه المساكين يسمى الصفة، وكان أهله يُسمون أهل الصفة، وكان ﷺ في وقت العشاء يفرقهم على أصحابه ويتعشى معه منهم طائفة، وروى البيهقي عن عثمان بن اليمان، قال: لما كثر المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم زاد ولا مأوى أنزلهم رسول الله ﷺ المسجد، وسماهم أصحاب الصفة وكان يجالسهم ويأنس بهم، وكان إذا أتاهم فوقف عليهم فقال: «لو تعلموا مالكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فقرا وحاجة» . وكان منهم أبو هريرة وواثلة بن الأصقع وغيرهم من الصحابة ﷺ جميعاً. السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، (دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ) ٢٧٧/٢، وانظر صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق محمود فاخوري، والدكتور محمد رواس قلعه جي (دار المعرفة،

إلى كونهم من المدعوين فإن حالهم التي يغلب عليها الفقر، والضعف أثرت في طريقة الرسول ﷺ وأسلوبه في التعامل معهم وخطابهم، ويجلو ذلك لنا الهدي الدعوي الرائع في التخاطب مع هذه الفئة من المدعوين.

ولايزال المدعو، وحاله المؤثر الرئيس في الوسيلة والأسلوب اختياراً، وطريقة استخدامه، فإنه "مع التطور السياسي، والاجتماعي لدعوة الإسلام، ودولته، ومجتمعه بالمدينة المنورة، وتشعب المسائل والقضايا الفقهية للأمة الإسلامية، فإن النبي ﷺ صار يتخذ من منبره بمسجده الجامع منبراً ومذياعاً، يُخاطب منه ﷺ أُمَّته ممثلين فيمن حضره ﷺ من المُصلين، وطلاب العلم الشرعي من المهاجرين والأنصار؛ ومن القبائل العربية التي بلغتها دعوة الإسلام، وأسلم نفر من رجالاتها، وهاجروا إلى المدينة المنورة، ليكونوا حول النبي ﷺ، يحفظون منه ماينزل عليه من القرآن، ويتعلمون منه سنن وشعائر الإسلام"(١)، بل إنه لما كانت الخطابة إحدى الملكات التي تفرد بها العرب على غيرهم، فهي تأتي بالبليغ من المعاني في البسيط السهل من الكلمات، والتراكيب، وبصورة تلقائية ارتجالية، فقد ظلت في الإسلام من أهم وسائل بلاغ، وعرض الدعوة الإسلامية، لمناسبتها للمدعو، واتفاقها مع مكامن الإثارة، والتلقي لديه، والقمة في ذلك الذي بلغ القدح المعلى فيه رسول الله ﷺ، حيث ألقى من الخطب مايعد معيناً لاينضب في البيان، والبلاغة، وقوة الأداء، وعمق التأثير(٢)، وقد اتخذ النبي ﷺ له خطيباً من الأنصار هو ثابت بن شماس(٣)، كان يتولى الخطابة بين يدي النبي ﷺ في مسجده الجامع، عند استقبال النبي ﷺ لوفود القبائل العربية المبايعة له ﷺ على الإسلام"(٤).

ولذا فقد بان جلياً أهمية الخطابة عند العرب، "وسمو مكانة الخطباء على مكانة الشعراء

بيروت، ١٣٩٩هـ) المجلد الثاني، وسير أعلام النبلاء، محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبد الله، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ) ، حيث تمت الترجمة لجلهم.

(١) انظر تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص٢٢٢.

(٢) والحديث عن ذلك مسترسل لاينقطع، ليس هذا الموضع مكانه، ويمكن الاستزادة منه بالرجوع مثلاً إلى البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق فوزي عطوي (دار صعب، بيروت، بدون تاريخ الطبعة) ص ٥٧٤، ٥٧٥.

(٣) انظر المرجع السابق ص١١٥، حيث يقول المؤلف: "وقد كان لرسول الله ﷺ شعراء يُنافحون عنه وعن أصحابه بأمره، وكان ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري خطيب رسول الله ﷺ " وانظر جوامع السيرة، ابن حزم الأندلسي (دار الجيل، بيروت، ١٤٠٤هـ)، ص ٢٨. وانظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر، مرجع سابق، ٢٠٠/١.

(٤) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري، مرجع سابق، ٢٩٤/١.

قُبيل عصر البعثة النبوية المحمدية، واشتهار العرب بفن الخطابة على كافة شعوب العجم"[1].

وبالتأمل فيما كان العرب يُلقونه من خطب يمكن أن تُصنف على ضوء المناسبات التي كان تُلقى فيها، باعتبار أن هذه المناسبات لها اعتبارها في انتقاء الخطابة للاتصال بالآخرين كوسيلة يُرتجى منها تحقيق التأثير فيهم، وتجنباً لاستخدامها في غير تلك المناسبات ترشيداً للجهد، وتلمساً للفائدة، وأبرز أصناف الخطب: الخُطب السياسية التي يُلقيها الملوك، والزعماء في قبائلهم، لشحذ همم الرعية وأهل دولتهم، ويدخل فيها الخطب السياسية التي يتبادلها الملوك، وزعماء العرب للاحتفال بنصر سياسي أو عسكري، ومنها الخطب الدينية التي يلقيها الملوك، والزعماء، والعلماء في قبائلهم، حين ينتاب عقائد، وشرائع قومهم التبديل والتحريف، عن سنة، وشرائع الأنبياء، والسلف الصالح، ومنها خطب دينية وعظية، يلقيها كهان، ومتحنفو العرب، ومصلحوهم الدينيون في المواسم، والأعياد الدينية، التي كان يحتفل بها ويحييها العرب في أسواقهم الشهيرة المجاورة لمكة، مثل سوق عكاظ، ليحضوا قبائل العرب على العودة إلى عقيدة التوحيد، والإيمان بقضاء الله وقدره، ومنها خطب دينية يُلقيها النَّسأَة، الذين كانوا ينسأون الشهور، أي يكبسونها، ليحلوا الحرب، والقتال، في الأشهر الحرم، التي حرم فيها العرب في الجاهلية القتال وسفك الدماء، مِيراثاً عن الديانة الحنيفية الإبراهيمية القديمة، وكان النسأة يلقون هذه الخطب في فناء الكعبة، إذا أرادوا أن يُحِلوا مُحرماً، ومنها خطب اجتماعية يلقيها فصحاء العرب وساداتهم، عند الاحتفال بإحدى المناسبات الاجتماعية السَّارَة، مثل الزواج؛ على نحو ما نجد في نص خطبة أبي طالب بن عبدالمطلب، عم النبي ﷺ بمناسبة زواج النبي ﷺ من خديجة بنت خويلد، وذلك قبل مبعثه ﷺ[2].

ومن الوارد هنا امتياز الرسول ﷺ في استخدامه لذلك وسيلة دعوية، بل تنوعيه في استخداماتها بصورة أبرع وأجدى من التنويع الوارد في التصنيف السابق، ونحن بين يدي تصنيف بديع لخطب الرسول ﷺ، ويبين مافيها من معالم المنهج الدعوي الذي فيه معالجة لكل أصناف المدعوين، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش، يقول: «صبحكم ومساكم»، **ويقول:** «بعثت أنا والساعة كهاتين»، **ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول:** «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» **ثم يقول:** «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه،

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد مرجع سابق، ص ١٩١، ١٩٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٣ – ١٩٧.

من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك ديناً، أو ضياعاً فلي وعليّ»[١]، **ويبين جلياً في تلك الدعوة الخطابية المساس العميق بين المعاني والألفاظ، التي حُمِّلت إياها فباتت تنفذ بقوة إلى قلب المُخاطب، وعقله وتؤثر فيه، ولاشك أن ذلك يبين أن الوسائل والأساليب يجب أن تُختار بناء على حال المدعو، إذ هو المعني بالمضمون الذي يُنقل إليه بواسطتها، وقد وقال ابن قتيبة، مستهلاً الباب الذي عنونه بـ (الخطب): "تتبعت خطب رسول الله ﷺ، فوجدت أوائل أكثرها: «الحمدلله، نحمده، ونستعينه، ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له» وقال: ووجدت في بعضها: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته...» ووجدت كل خطبة مفتاحها الحمد؛ إلا خطبة العيد فإن مفتاحها التكبير، وتكبير الإمام قبل أن ينزل عن المنبر أربع عشرة تكبيرة"[٢].**

وكان من هدي النبي ﷺ تعظيم يوم الجمعة، وتشريفه، وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره[٣]، ومن خصائصه، إنصات المصلي للخطبة إذا سمعها، وجوباً في أصح القولين"[٤]. وقد أوضح فقهاء الإسلام، أن خطبة الجمعة: "يُقصد بها الثناء على الله وتمجيده، والشهادة له بالوحدانية، ولرسوله ﷺ بالرسالة، وتذكير العباد بأيامه، وتحذيرهم من بأسه ونقمته، ووصيتهم بما يقربهم إليه وإلى جناته، ونهيهم عما يقربهم من سخطه، وناره. فهذا هو مقصود الخطبة، والاجتماع لها"[٥]. وتكاد تجمع كتب البلاغة على اختيار خطبة بعينها من خطب رسول الله ﷺ وإيرادها بنصها، ووصفها أنها من أفصح كلام العرب؛ وسوف نورد هنا نص هذه الخطبة برواية الجاحظ، كنموذج من خطبه ﷺ. يقول الجاحظ:"خطب رسول الله ﷺ بعشر كلمات: حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم. إنَّ المؤمن بين مخافتين: بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين آجل قد بقي لا يدري ما

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (رقم ٨٦٧).

(٢) كتاب عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، (مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٣هـ) ٢٣١/٢. وانظر الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري، مرجع سابق، ٣٦٧/١، ٣٧٧. وقد ذكر ابن القيم صفة النبي ﷺ في خطبه، انظر زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، مرجع سابق، ٩٧/١-٩٩.

(٣) انظر المرجع السابق، ٢٠٦/١-٢١٥.

(٤) المرجع السابق، ٢٠٨/١.

(٥) المرجع السابق، ٢٢١/١.

الله قاض فيه. فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت، فو الذي نفس محمد بيده، ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة، أو النار»[(١)]. ثم أردف الجاحظ هذه الخطبة بقول: "أبي الحسن المدائني قال: تكلم عمار بن ياسر يوماً فأوجز، فقيل له لو زدتنا. فقال: أمرنا رسول الله ﷺ بإطالة الصلاة، وقصر الخطب"، أي أن النبي ﷺ كان يتحرى الإيجاز في خطبه التي يلقيها في الصلوات الجامعة، وكان يوصي صحابته رضوان الله عليهم الذين يؤمون المسلمين للصلوات الجامعة، بإطالة الصلاة وقصر الخطب" [(٢)]، وتحققت تلك العناية بوسيلة الخطبة من خلال تهيئة المصلين لسماعها، وهي تهيئة نفسية بالتبكير للمسجد بعد الاغتسال عقب قضاء الوطر لمن تيسر له ذلك، ولبس أحسن الثياب، والتطيب، وتهيئة مادية بإيجاب الإنصات للخطبة، وإشعار الإمام بمسؤوليته فيما أوكل إليه من مخاطبة الناس ليعتني بقوة الإعداد وحسن الإلقاء والعرض.

ومما يتصل بوسيلة الخطابة مما يعين الداعية على الاستعانة بها في سديد القول مع المدعو الحديث معه من مكان عال، وكذا استخدام الأسلوب الأمثل الذي يلفت به انتباه المدعو، ويحفزه على بذل العناية في المتابعة والإنصات، وكلا الأمرين ماثل فيما حدث به قبيصة بن مخارق، قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ +وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ" **انطلق رسول الله ﷺ إلى رضمة[(٣)] من جبل فعلا أعلاها، ثم نادى أو قال:** «يا آل عبد منافاه إني نذير، إن مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ[(٤)] أهله ينادي أو قال: يهتف ياصباحاه»[(٥)].

ومن ضروب الأساليب التي يحدو الداعية إليها حب الخير للمدعو، وتحقيق النفع له، عمده إلى ترك الـمُعرض مؤقتاً، وليس نهائياً، والاتجاه إلى غيره، فالاتجاه مثلاً إلى الصغار في قدرهم، ومكانتهم فيه صدمة للكبار الذين أعرضوا كما فيه إضعاف لهم، وكسر لحدة الإعراض لديهم، ويعزز هذه الأساليب في جانب الداعية الصبر، وعدم اليأس، وتكرار المحاولة، وتنويع الأساليب،

---

(١) البيان والتبيين، الجاحظ، مرجع سابق، ص٣٠٢، ٣٠٣. وانظر نص هذه الخطبة أيضاً عند الباقلاني، إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر (دار المعارف، مصر، ١٩٩٧هم) ص ١٩٧. وانظر عيون الأخبار، ابن قتيبة، مرجع سابق، ٢٣١/٢.

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ، ٣٠٣/١.

(٣) رضمة: حجارة مجتمعة ليست ثابتة في الأرض كأنها منثورة.

(٤) يربأ: يحفظهم من العدو.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: + وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ" (رقم ٢٠٧) والإمام أحمد (٤٧٦/٣).

وسلوك شتى الطرق مع المدعو، وشاهد ذلك "أن النبي ﷺ قد عمد – بعد رفض أغلب كبار ملوك العجم، ونوابهم الدخول في الإسلام، والاستجابة لمكاتبة ومراسلة النبي ﷺ لهم في هذا الصدد – إلى مكاتبة، ومراسلة الملوك التابعين لهم، الذين يدينون بطاعتهم، ويدورون في فلكهم، في محاولة منه ﷺ، إلى استقطاب هؤلاء الملوك، والرؤساء، والزعماء الصغار، إلى جانب دعوة الإسلام، ودولته، تمهيداً لإعلانهم رسمياً، الدخول في الإسلام، وخلع طاعة الملوك الكبار، والانضواء تحت راية الدولة العربية الإسلامية النبوية، وكان قصد رسل النبي ﷺ الجُدُد الذين سيرهم ﷺ متابعة الجهود الدعائية للإسلام، التي بذلها من سبقهم من الرسل إلى الملوك، والوصول إلى بعض الممالك، والولايات، والدويلات، التي يتبع ملوكها، وأمراؤها، وولاتها، الملوك الكبار الذين كاتبهم، وراسلهم النبي ﷺ، ووقفوا موقفاً سلبياً من دعوة الإسلام، ضنّاً بملكهم"(١).

ومن ضروب الطرق الحميد للوسائل والأساليب "مراعاة البدايات الجيدة للعمل الدعوي على كافة المستويات، وذلك بإقامة المساجد، والاهتمام بأمرها، وفي هذا تنبيه وبيان "إلى أن أول إعلان لقيام دولة الإسلام بالمدينة المنورة، كان بإمامة النبي ﷺ بنفسه للمصلين في هذه المساجد، باعتباره الزعيم الديني، والسياسي للمسلمين بالمدينة"(٢)، قال البلاذري: "أخبرني جماعة من أهل العلم بالحديث، والسيرة، وفتوح البلدان، أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة من مكة نزل على كلثوم ابن الهِدْم(٣) بقُباء، وكان المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله ﷺ ومن نزلوا عليه من الأنصار بنوا بقباء مسجداً يصلون فيه، والصلاة يومئذ إلى بيت المقدس، فلما ورد رسول الله ﷺ قُباء صلى بهم فيه، فأهل قُباء يقولون إنه المسجد الذي يقول الله تعالى فيه: ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ (٤)"(٥).

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص ٢٦٧، ٢٦٨.

(٢) المرجع السابق، ص١١٩.

(٣) هو كلثوم بن الهدم بكسر الهاء وسكون الدال بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، كان رجلاً شريفاً صالحاً وكان مسناً أسلم قبل مقدم النبي ﷺ المدينة، وحين قدم إليها نزل عليه بقباء وكان قد شاخ، وقال بعضهم نزل على سعد بن خيثمة، ثم لم يلبث أن توفي ﷺ وذلك قبل بدر، وهو أول من مات من أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ٦١٧/٥، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، مرجع سابق، ٢٤٢/١.

(٤) سورة التوبة، الآية ١٠٨.

(٥) تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص ١١٩، ١٢٠.

وينساق ضمن ذلك الضروب العديدة التي سلكها الرسول ﷺ في التعليم، وجعلها عامة من حيث من تُلْقى عليهم، أو من حيث الأماكن التي تصل إليها، ولقد كان ذلك "سمة واضحة في جميع الأطوار الإسلامية، سواء في حياة النبي ﷺ؛ أو في عصر الخلفاء الراشدين، وعصر خلفاء بني أمية، هذا مع الأخذ في الحسبان، أن التعليم في هذه العصور لم يكن من جملة الصنائع، بل كان بلاغاً عن رسول الله ﷺ لدعوة الإسلام وعلومه الشرعية، وأن صحابة رسول الله ﷺ هم أول من أدَّوا عن رسول الله ﷺ لأمته هذا البلاغ"[1].

ومن البليغ في ذلك الأخذ بمسلك اللين، والهدوء، والسماحة، واليسر أسلوباً للأداء الدعوي، ولم يكن داعٍ لهذا الأسلوب إلا حاجة المدعو له، وترتب استجابته بعد توفيق الله تعالى عليه، ونرى تمثل ذلك مع المدعو رجلاً كان أم امرأة وتطبيقه معهما يبدو في صور شتى، منها ماجاء فيما رواه أبو بردة عن عبد الله بن قيس، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة، ثم قال: «على مكانكم اثبتوا»، **ثم أتى الرجال فقال:** «إن الله ﷻ يأمرني أن آمركم أن تتقوا الله تعالى وأن تقولوا قولاً سديدا»، **ثم تخلل إلى النساء فقال لهن:** «إن الله ﷻ يأمرني أن آمركن أن تتقوا الله، وأن تقولوا قولاً سديدا»، **قال: ثم رجع حتى أتى الرجال، فقال:** «إذا دخلتم مساجد المسلمين وأسواقهم ومعكم النبل فخذوا بنصولها، لا تصيبوا بها أحدا فتؤذوه أو تجرحوه»[2].

وفي حب المدعو للغنيمة الحلال، وحيازتها معتبر لدى الداعية الحصيف، الذي يأخذ بأسلوب التهوين على المدعو حين يرى من حيائه مايجعله في حرج من حرصه على هذا المغنم، فعن عبد الله بن مغفل، قال: أصبت جراباً من شحم يوم خيبر، قال: فالتزمته: فقلت: لا أعطي اليوم أحداً من هذا شيئاً، قال: فالتفت فإذا رسول الله ﷺ متبسماً"[3]، قال النووي: قوله: "فالتفت فإذا رسول الله ﷺ فاستحييت منه، يعني لما رآه من حرصه على أخذه أو لقوله: لا أعطي اليوم أحدا من هذا شيئاً"[4].

وهكذا الشأن في صد الداعية الناس عن التجافي والغلظة، حين يأخذ بأسلوب يثير به مكامن الرحمة، والنخوة لدى المدعو، استنهاضاً منه لما خبا من شيم الرحمة، والكرم، ووجود هذه السمات لدى الإنسان المدعو، وتوفيق الداعية في معرفتها هو الذي يجعله يركن في التعامل، معه

.١٢٠

(١) المرجع السابق، ص٧٠.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في (٣٩١/٤، ٣٩٢) والبزار (رقم ٣٢١٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب جواز الأكل من طعام الغنيمة في دار الجهاد، (رقم ١٧٧٢).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، مرجع سابق، ١٠٣/١٢.

إلى هذا الأسلوب، وفي ذلك شاهد عن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا»[1]**، كما جاء عن حكيم ابن قيس بن عاصم[2] عن أبيه أنه أوصى ولده عند موته، قال: اتقوا الله ﷻ وسودوا أكبركم، فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلفوا أباهم.[3]**

وأثر غياب هذا الأسلوب عن التعامل يبدو جلياً حتى مع أهل العلم والطاعة، ولاملامة عليهم في ذلك لو بدا منهم مايُشعر بتبرمهم من سوء التعامل وعدم الاحترام، وقد حدث سعيد بن جبير يوماً بحديث فقام إليه أحد السامعين يطلب إعادته، فقال: ماكل ساعة أَحْلُبُ فأُشْرَبُ[4].

وعلى صعيد آخر لو تأملنا في الجهاد، ومراتبه باعتباره من وسائل الدعوة، ويُؤدى بعدة أساليب، لوجدنا أن جميع مراتبه سواء مع النفس، أو مع الشيطان، أو الكفار تقوم على التنويع في الوسائل والأساليب، وهو تنويع تطلبته حال المدعو، ونوع إشكاله؛ ولذا فقد باشر الرسول ﷺ كل نوع من ذلك، وسلك إليه بالوسائل والأساليب التي يحتاجها، وتتطلبها حال المدعوين، فهو ﷺ "في الذروة العليا منه، واستولى على أنواعه كلها فجاهد في الله حق جهاده بالقلب، والجنان، والدعوة، والبيان، والسيف، والسنان، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد، بقلبه، ولسانه، ويده، ولهذا كان أرفع العالمين ذكراً، وأعظمهم عند الله قدراً"[5].

ولايخرج عن ذلك الاحتساب السديد حين يُبَاشر من هذا المنطلق، فإن كل وسيلة يتخذها وكل أسلوب ينهجه إنما تأثر بتلك الرؤية، فلا قيمة لتواصل مع مخاطب بوسيلة، أو أسلوب لم يتم انتقائهما بما يتفق مع حاله وإشكاله، ولننظر في طريقة الرسول ﷺ مع المرأة المكلومة على زوجها، وذلك فيما جاء عن أنس بن مالك ﷺ قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «اتقي الله واصبري» **قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت**

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ماجاء في رحمة الصبيان، (رقم ١٩١٩).

(٢) هو حكيم بن قيس بن عاصم التميمي، ذكر ابن مندة أن له رؤية، أي لرسول الله ﷺ، وقال أبو نعيم: قيل إنه ولد على عهد رسول الله ﷺ ، وله رواية عن أبيه في الأدب المفرد للبخاري وسنن النسائي، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، مرجع سابق، ١٥٣/٢.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم ٩٥٣)، ١٣٢/١.

(٤) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب في توقير العلماء، (رقم ٤١٥).

(٥) ذكر ابن القيم رحمه الله باستفاضة تقسيماً لأنواع الجهاد ومراتبه ومكامن استخدامه، يمكن الرجوع إليه لزيادة الفائدة، انظر زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ٥/٣ ومابعدها.

باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»[١]، **فالرسول ﷺ لم يسترسل معها بعد أن سمع منها ماينبي عن شدة تأثرها، إلا أنه لم يتخلَّ عن تعليمها حين عادت إليه بعد أن هدأت نفسها، وثابت إلى رشدها.**

وفي شاهد آخر لم يرق له ﷺ مايراه من مسلك البعض في تصرفهم المنطوي على إهانة الغير، أو تجريده من مكانته، وكرامته، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما– أن النبي ﷺ مرّ وهو يطوف بالكعبة بإنسان ربط يده إلى إنسان بسير، أو بخيط، أو بشيء غير ذلك، فقطعه النبي ﷺ بيده، ثم قال: «قده بيده»[٢]، **فتعامل ﷺ مع كلا الرجلين باعتبارهما مدعوين بأسلوب بان منه للمُمْتَهِن –وإن لم يكن يقصد الإهانة– عدم رضاه ﷺ عن فعله، وبان منه للمُمْتَهَن رأفته بحاله، وإكرامه لشخصه.**

ومن أبهج الأساليب في التعامل مع المدعو مايُهوِّن الداعية به على المدعو مايعانيه من نقص، أو عجز، ويفتح به جوانب مشرقة تريح نفسه، وترضيها، وشاهد ذلك فيما عالج به الرسول ﷺ شكوى الفقراء من عجزهم عن مجاراة أهل الغنى في الإنفاق، والصدقة، فقد جاء عن أبي ذر أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ : يارسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: «أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون، إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة» **قالوا: يارسول الله أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال:** «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجراً»[٣].

ومن الأساليب التي يفتح بها الداعية على المدعو، ويدفعه بها إلى مكامن الفاعلية لديه بعد أن غابت عن باله بينما هي مُخَبّأة بين جوانحه، فيرتفع بذلك لديه رصيد الثقة بنفسه، وبقدرته، وصورة ذلك متجلية فيما جاء عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ، قال: «على كل مسلم صدقة»، **قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال:** «يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق»، **قال: قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال:** «يعين ذا الحاجة الملهوف»، **قال: قيل له: أرأيت إن لم يستطع؟ قال:**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور (رقم ١٢٨٣) ومسلم، كتاب الجنائز، باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى (رقم ٩٢٦) (١٥).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الحج، باب الكلام في الطواف (رقم ١٦٢٠).

(٣) أخرجه مسلم كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، (رقم ١٠٠٦).

«يأمر بالمعروف أو الخير»، **قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال:** «يمسك عن الشر فإنها صدقة»[١]، **ولم يكن للداعية في هذا المقام من سبيل إلى هذا الأسلوب إلا بعد أن أعمل بصيرته في المدعو ونظر، في إشكاله، فهُدِي بتوفيق الله إلى الوسيلة، والأسلوب المناسبين.**

ومن ضروب الوسائل والأساليب الإيماء بالحال دون المقال إلى مايحفز المدعوين، ويدفعهم إلى الفعل، ويجدي ذلك إن كان بمعية الداعية من المدعوين من بلغوا قدرا مناسباً من الاستقامة، والفهم، والإدراك، والحصافة، ويقتضي حالهم عدم مناسبة التشنيع عليهم في حال إحجامهم عما يدعون إليهم بسبب الغفلة، فعن جرير بن عبد الله، قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة، فأبطئوا عنه حتى رئي ذلك في وجهه، قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصرة من ورق، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عُرِف السرور في وجهه، فقال رسول الله ﷺ : «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء»[٢].

ولأن ضرب المثل من أقوى الأساليب في تقريب الصورة لذهن المدعو، وإفهامه إياها بل وإقناعه بأهميتها، وضرورة الأخذ بها، وتمثلها، فقد كان له نصيبه الوافر في مساحة المخاطبة للمدعوين في نصوص الكتاب، والسنة[٣].

وقريب من ذلك دفع الناس إلى المراد منهم بتمثل ذلك سلوكاً حاسماً أمامهم، كحال الرسول ﷺ حين ذبح، وحلق، وحلَّ إحرامه أمام أصحابه ﷺ في الحديبية ليدفعهم إلى ماترددوا في الإقدام عليه، وكذا ماجاء عن سعيد بن جبير، قال: كنت مع ابن عباس بعرفات، فقال: مالي لا أسمع

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، (رقم ١٠٠٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (رقم ١٠١٧).

(٣) ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم مايبين سوء الشرك وشره في قول الله تعالى: ﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً..﴾ سورة الزمر، آية ٢٩. أما في السنة النبوية فشاهده ماجاء عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ : «مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها يصعدون فيستقون الماء فيمرون على الذين في أعلاها، فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا. فقال الذين في أسفلها: فإنا ننقبها من أسفلها فنستقي، فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهم نجوا جميعاً، وإن تركوهم غرقوا جميعاً» أخرجه البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه (رقم ٢٤٩٣) والترمذي كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، (رقم ٢١٧٣) واللفظ له.

الناس يلبون؟ قلت: يخافون من معاوية، فخرج ابن عباس من فسطاطه، فقال: لبيك اللهم لبيك.[1]

ومن المسالك اللازمة في انتقاء الوسائل والأساليب الانتباه إلى ماقد يتسبب منها في ازدراء المضمون ومقته، أو على الأقل الإعراض عنه، فقد جاء عن كثير بن مرة[2] **قوله: "لاتُحَدِّث الباطل للحكماء فيمقتوك، ولاتُحَدِّث الحكمة للسفهاء فيكذبوك، ولاتمنع العلم أهله فتأثم، ولاتضعه في غير أهله فتجهل، إن عليك في علمك حقاً كما أن عليك في مالك حقاً"**[3]**، وجاء فيما أخرجه الدارمي أن عيسى ابن مريم عليه السلام كان يقول: لاتمنع العلم من أهله فتأثم، ولاتنشره عند غير أهله فتجهل، وكن طبيباً رفيقاً يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع"**[4]**، وجاء عن الحسن قوله: كان يقال حدث القوم ما أقبلوا عليك بوجوههم، فإذا التفتوا فاعلم أن لهم حاجات"**[5]**، والأخذ بهذا الأسلوب فيه صارف عما يهدف الداعية إليه من استجلاب المدعو والحفاظ عليه طيلة حديثه معه.**

وخلاصة القول في الأسلوب والوسيلة مما أفضى به ماسبق من عرض ليس القصد منه حشد كل الوسائل والأساليب، وبيان طريقة انتقائهما، وكيفية استخدامهما، وإنما جاء الذكر على شواهد من ذلك لبيان موقعهما في العملية الدعوية، ومدى أهمية كل منهما في الأداء الدعوي، لنعرف أن النجاح في هذا الأداء مرتبط بصورة وثيقة بنجاح الداعية في انتقائهما، وتوفيقه -بعد ذلك- في استخدامهما بالصورة الصحيحة، وهذا يبين لنا الجانب الآخر الذي ننشده في هذا المطلب، وهو بيان الصلة بينهما وبين المدعو، حيث يتبين أن التوفيق، والنجاح في اختيارهما، واستخدامهما يقوم بالدرجة الأولى -بعد توفيق الله- على مدى دراية الداعية بالمدعو وبحاله، ليعرف الوسيلة الأنسب فيخاطبه بها والأسلوب الأمثل، فيستخدمه معه.

---

(١) أخرجه النسائي في سننه، في كتاب مناسك الحج، باب التلبية بعرفة، (رقم ٣٠٠٤).

(٢) هو الإمام الحجة أبو شجرة الحضرمي الرهاوي الشامي الحمصي الأعرج ويكنى أبا القاسم، روى الحديث عن معاذ بن جبل وعمر بن الخطاب وتميم الداري وعبادة بن الصامت وغيرهم، وقد أدرك بحمص سبعين بدرياً، وعد في المخضرمين ومات مع أبي أمامة الباهلي أو قبله رحمه الله.انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، مرجع سابق، ٤/٤٦،٤٧.

(٣) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب التوبيخ لمن يطلب، العلم لغير الله، حديث (رقم ٣٨٤).

(٤) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله، حديث (رقم ٣٥).

(٥) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب من كره أن يمل الناس، حديث (رقم ٤٥٥).

المبحث الرابع

المدعو

المدعو هو المآل الأخير الذي تقف عنده العملية الدعوية، وهو الذي بوصول المضمون الدعوي إليه بالصورة الصحيحة المطلوبة تكون عملية البلاغ قد أُنْجِزت، وفي قول الله تعالى: +فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ"(١) ما يشير إلى ذلك فالدعاة "ليس إليهم الهداية إنما إليهم التبليغ"(٢)، و"ليس عليهم إلا التبليغ، وأما الهداية فهي إلى الله تعالى"(٣)، وكذا في قول الله تعالى: +۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ"(٤) والتبليغ المراد هنا هو "الذي لايبقى معه شك، وماعليه أن يصدقه قومه ألبتة، وقد خرج عن عهدة التبليغ بما لامزيد عليه"(٥)، وقال ابن عباس في ذلك المعنى: «بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت شيئاً منه فما بلغت رسالته، وهذا تأديب للنبي ﷺ وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئاً من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئاً من وحيه»(٦)، وهذه العناية القرآنية بالتبليغ يبين منها غايتها وهي العناية بالمُبَلَّغ إليه وهو المدعو، وحين جاء الوصف لعمل محمد ﷺ هنا بكلمة (البلاغ) فقد كان من مقتضى ذلك الالتفات لمعناها ودلالتها، فهي تعني الإيصال(٧)، وقد جاء من من اشتقاقاتها المبالغةُ ومعناها «أن تبلغ من العمل جهدَك»(٨).

ونستطيع من مجموع ذلك أن نقرر المراد بالمدعو، فهو من اعتنى الإسلام بإصلاحه، وهدف إلى هدايته، انطلاقاً من حب الخير له، والإشفاق عليه، فجاء التكليف للدعاة، وعلى رأسهم محمد ﷺ بالتوجه إليه بمضمون الإسلام الذي لايتم التعبد لله تعالى إلا به.

ومن المسائل المتصلة بتحديد المراد بالمدعو إدراج الجن مع الإنس في الخطاب الدعوي،

---

(١) سورة النحل، آية ٣٥.

(٢) تفسير البغوي، البغوي، مرجع سابق، ٦٨/٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ١٠٣/١٠.

(٤) سورة المائدة، آية ٦٧.

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، مرجع سابق، ١٤٥/٢٠.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٢٤٢/٦.

(٧) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مادة (بلغ)، وتقول أبلغه الشيء أي أوصله إليه. انظر المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، مادة (بلغ).

(٨) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، مادة (بلغ).

ومعرفة الكيفية التي يتم بها دعوتهم، حتى يخرج الداعية من الحرج الذي قد يُثار لديه، فالرسالة للثقلين، قال الرسول ﷺ : «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي من الأنبياء: جعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، ولم يكن نبي من الأنبياء يصلي حتى يبلغ محرابه، وأعطيت الرعب مسيرة شهر يكون بيني وبين المشركين مسيرة شهر، فيقذف الله الرعب في قلوبهم، وكان النبي يبعث إلى خاصة قومه، وبعثت أنا إلى الجن والإنس، وكانت الأنبياء يعزلون الخمس فتجيء النار فتأكله، وأمرت أن أقسمها في فقراء أمتي، ولم يبق نبي إلا أُعطي سؤله، وأخرت شفاعتي لأمتي»(١)، **ففي ذلك الدلالة على أنه "لم يبعث إلى الجن من الإنس نبي إلا نبينا ﷺ لعموم بعثته إلى الجن والإنس باتفاق"(٢)، وذكر ابن عبدالبر أن العلماء "لايختلفون أنه ﷺ بُعِث إلى الإنس والجن، وهذا مما فُضِّل به على الأنبياء"(٣)، وقال إمام الحرمين الحرمين "وقد علمنا ضرورة أنه ﷺ ادعى كونه مبعوثاً إلى الثقلين"(٤)، وقال ابن تيمية "اتفق على ذلك علماء السلف من الصحابة، والتابعين، وأئمة المسلمين"(٥)، قال ابن حجر: "وإذا تقرر كونهم كونهم مكلفين فهم مكلفون بالتوحيد، وأركان الإسلام، وأما ماعداه من الفروع فاختلف فيه لما ثبت من النهي عن الروث، والعظم وأنهما زاد الجن"(٦).**

وحول ماجاء في الحديث القدسي: «ياعبادي كلكم..» **الحديث**..(٧)، **قال الطيبي: "خطاب "خطاب مع الثقلين خاصة لاختصاص التكليف، وتعاقب التقوى، والفجور بهم، ولذا فَصَّل المخاطبين بالإنس والجن"(٨)، ولذا فإن الحكم على الجن بأنهم من المدعوين الداخلين في عموم عموم الخطاب الدعوي يتكئ على ماسبق من بيان، ويتحقق بذلك مايُمكن أن نسميه الضابط**

---

(١) أخرجه بلفظ قريب البخاري، كتاب التيمم (رقم ٣٣٥) وفي كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً (رقم ٤٣٨) ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (رقم ٥٢١).

(٢) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٣٤٤/٦.

(٣) المرجع السابق، ٣٤٥/٦.

(٤) المرجع السابق، ٣٤٥/٦.

(٥) المرجع السابق، ٣٤٥/٦.

(٦) المرجع السابق، ٣٤٥/٦.

(٧) نص الحديث، عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا. يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم. يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم... الخ. أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (رقم ٢٥٧٧).

(٨) شرح سنن ابن ماجة، السيوطي، (قديمي كتب خانه، كراتشي، الطبعة بدون) ص٣١٤.

اللازم توافره حتى يتم الحكم على الجن بأنهم من المدعوين الذين نتوجه إليهم بالدعوة، ولم يبق إلا أن نتلمس معالم الخطاب الدعوي للجن الذي تتحقق به فعلاً شمولية دعوة الإسلام للإنس والجن.

ولمعرفة ذلك لابد من بيان حدود التكليف للجن، وجوانب الاشتراك بينهم، وبين الإنس فيما كُلِّفوا به، ففي معرض الحديث عن أنواع التعامل مع الجن، ذكر شيخ الإسلام أنواعاً لذلك، وأشار إلى صاحب النوع الثالث الذي "يأمرهم بما أمر الله به ورسوله، وينهاهم عما نهاهم الله عنه ورسوله، كما يأمر الإنس وينهاهم، وهذه حال نبينا، وحال من اتبعه، واقتدى به من أمته، وهم أفضل الخلق، فإنهم يأمرون الإنس والجن بما أمرهم الله به ورسوله، وينهون الإنس والجن عما نهاهم الله عنه ورسوله، إذ كان نبينا محمد ﷺ مبعوثاً بذلك إلى الثقلين الإنس والجن، وعمر ﷺ لما نادى: يا سارية الجبل، قال: إن لله جنوداً يبلغون صوتي، وجنود الله هم من الملائكة، ومن صالحي الجن، فجنود الله بلغوا صوت عمر إلى سارية، وهو أنهم نادوه بمثل صوت عمر، وإلا نفس صوت عمر لا يصل نفسه في هذه المسافة البعيدة"(١).

ويمكن القول بأنه ليس هناك اتصال مباشر مع الجن، ليتم من خلاله دعوتهم، ولكن مع كل إنسان قرين يسمع كل مايلقى عليه، ويتلقاه، بل هم يستمعون مايدور في أوساط الإنس مما يصدر منهم، أو يلقى عليهم، وقد يكون هناك نوع من الحوار، أو المجادلة بين الداعية والجني من خلال مايلقيه الجني في روع الإنسي من شبه، ووساوس فيتم الحوار بصورة غير مباشرة، قال الله تعالى: +وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا"(٢)، **وقال سبحانه:**+ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا"(٣).

وإذا نظرنا في استراق الشياطين السمع في السموات وفق ماجاء في قول الله تعالى: +وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾"(٤)، **وقوله تعالى:** +إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ"(٥)، **لتأكدت لنا تلك القدرة**

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ٨٧/١٣، ٨٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٣) سورة مريم، الآية: ٨٣.

(٤) سورة الجن، الآيتان ٨، ٩.

(٥) سورة الشعراء، آية ٢١٢.

لدى الجن[١]**.**

ولذا فإن مايلقيه الداعية، وهو يدعو الإنس قابل في الوقت نفسه لأن يصل للجن، فتتم دعوتهم بذلك، وكأن الله هيأهم بقدرات خاصة على السمع، والمتابعة تمكنهم من متابعة، وسبر جل مايصدر عن الإنسان من أقوال وأفعال، وعليه فإن أثر متابعة الجن للإنس، وتأثرهم بذلك إيجاباً بالقبول، أو سلباً بالإعراض شبيهة بمتابعة الإنسي للإنس، وإنما انحصر الاختلاف في الكيفية التي يتم بها التواصل، إذ يتم بين الإنس بصورة كاملة، وتبادلية للتشابه في الخُلِق والخِلْقَة، ولانعدام ذلك بينهم، وبين الجن كُفِي الإنس مؤونة الاتصال المباشر بالجن، وعوض الله تعالى، ذلك بما مكن منه الجن من قدرة، وبتلك الصورة يُتَابع الجن ما يلقيه الدعاة، قال الله تعالى: +قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾"[٢]، **وقال سبحانه:** +وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا"[٣].

أما ماجاء في حديث إمساك الرسول ﷺ لإبليس، وهمه عليه الصلاة والسلام بربطه في المسجد[٤]**،فهو داخل في معجزات النبي ﷺ التي امتن الله تعالى بها عليه، وهذا الخرق للعادة يؤكدها ويعزز ثبوتها، بل إنه يُسْتَفاد من هذا الحديث أن الجن قد يعرضون للداعية بالأذى، ويجب عليه إزاء ذلك أن لا يتنازل عن موقفه الدعوي ويتذرع بالصبر والمغالبة حتى ينقضي له ما أراد من تبليغ دعوته، ومن أبلغ صور الأذى التي ينالها الإنسي من الجني مايلقيه في روعه من وساوس ليصده به عن الله تعالى، وعن دينه، وواجب الدعوة إليه.**

---

(١) دار شيء من الخلاف حول كيفية رمي الجن بالشهب على ضوء ماجاءت به أشعار العرب باستغراب رميها وإنكاره، إذ لم يعهدوه قبل المبعث، فكان ذلك أحد دلائل نبوة محمد ﷺ، وقد جاء عن الزهري أنه يُرْمَى بها في الجاهلية وعندما جاء الإسلام غلظ الرمي وشدد. وللاطلاع على ذلك والاستزادة منه انظر فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٦٧٥/٨.

(٢) سورة الجن، الآيتان: ١، ٢.

(٣) سورة الجن، الآية: ١٩.

(٤) جاء ذلك فيما حدث به أبو سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه، فقرأ فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته، قال: «لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين الإبهام والتي تليها، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة، فمن استطاع منكم أن لايحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل» . رواه الإمام أحمد في مسنده (٨٢/٣ . ٨٣) وأخرجه مختصراً أبو داود (رقم ٦٩٩) وعبد بن حميد (رقم ٩٤٦) وأصل الحديث في البخاري، كتاب الصلاة، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد (رقم ٤٦١) ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة (رقم ٥٤١، ٥٤٢).

وقد تقرر أن النبي ﷺ "لم يستخدم الجن أصلاً، لكن دعاهم إلى الإيمان بالله، وقرأ عليهم القرآن وبلغهم الرسالة، وبايعهم كما فعل بالإنس، والذي أوتيه ﷺ أعظم مما أوتيه سليمان عليه السلام، فإنه استعمل الجن والإنس في عبادة الله وحده، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، لالغرض يرجع إليه إلا ابتغاء وجه الله، وطلب مرضاته، واختار أن يكون عبداً رسولاً على أن يكون نبياً ملكاً"(١).

وعوداً على بدء فإن لإتمام الاحتفاء بالمدعو، ورعايته جاءت العناية بفريضة الدعوة، وبكل ماتقوم عليه من أركان، وما تحتاجه من متطلبات، في دلالة واضحة إلا أنه هو المعني بالدرجة الأولى من كل هذا الجهد، وكل ماترتب على فرض الدعوة من أجر للداعين، ووزر على المتخلين من أهم أغراضه الدفع للقيام بهذا الواجب، وهو تعبيد الخلق لله تعالى، فهو الواجب الأهم في مُحيط الخلق كلهم، قال الله تعالى: +وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"(٢)، **ولذا فإنه لابد من إزالة النظرة التي تصنف المدعو على أنه طرف أدنى في العملية الدعوية، وربما تمادت هذه النظرة إلى أنه قرين للقصور والخطأ، فكان لذلك انعكاسه على المتعاملين معه فحرموه لذلك من حقه في الاحتفاء، وجردوه من مكانته التي نالها باعتبار ذاته، أو باعتباره مخاطباً بالدعوة**(٣)**، ولذا فإنه لامماراة حول أنه كلما قَدَّر الداعي المدعو نجح في دعوته من خلال الاحتفاء به، والاهتمام، ولن تكون الغلظة، والفحش في القول مجدية مع المدعو لأنه يرى فيها امتهاناً له، وتسفيهاً لعقله، لأنه في الأغلب الأعم حين وقع القصور منه ضحية للوهم بأنه على الصواب، وقد جاء في محكم التنزيل:** +وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ "(٤)، **وجاء في الحديث الشريف عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول:** «لايرمي رجل رجلاً بالفسوق ولايرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»(٥)، **كما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص قوله: إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي المسلمين خير؟ قال:** «من سلم المسلمون من لسانه ويده»(٦)، **وفي نفس المعنى قال الرسول ﷺ :** «مامن امرئ يخذل امرأ مسلماً عند موطن تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله عز وجل في موطن يحب فيه نصرته، ومامن امرئ ينصر امرأ مسلماً في موطن ينتقص فيه

---

(١) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ٣/١٤٠.

(٢) سورة الذاريات، آية ٥٦.

(٣) سيأتي الحديث بمشيئة الله عن مكانة المدعو انطلاقاً من هذين الاعتبارين ضمن فصلي الباب الأول.

(٤) سورة الأنعام، آية ١٠٨.

(٥) أخرجه البخاري، في كتاب الأدب، باب ماينهى من السباب واللعان، (رقم ٦٠٤٥).

(٦) أخرجه مسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، (رقم ٤٠).

من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»(١).

وليس من سبيل لأن يُهان إنسان إلا لكونه مقصراً تقصيراً تقرر له حد، أو عقوبة في الشريعة، تُوْقَع به بعد الإعذار منه بمعرفته لحكمها، وثبوتها عليها، وماعدا ذلك فليست مكانة المدعو المقصر حمى مستباحاً يتم الاعتداء عليه تحت ذريعة دعوته، وفي كرامة الرسول يوم الفتح لأهل مكة من غير المسلمين، وقد ساغ له ﷺ إيقاع العقوبة بجلهم لما ناله منهم من صد، وأذى، وإخراج له من مكة، لكنه في هذا المقام حين رأى ﷺ منهم الذل، والاستعطاف بادرهم بالإكرام، فعفى عنهم بقولته السديدة: «أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»(٢)، **فخرجوا فبايعوه ﷺ على الإسلام.**

ومن اللازم المؤكد بناء على ذلك نبذ الاستهانة بالمدعو في حال عدم تقصيره، وإنما بسبب حاله وهيئته، وقد نبه الرسول ﷺ إلى ذلك فيما جاء عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»(٣)، **ثم جاءت الوقاية من ذلك بقطع دابر كل ماقد يفضي إليه ويسببه، في جملة من التوجيهات، فقد قال ﷺ:** «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار يعني من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»(٤)، **وقد جاء عن عائشة – رضي الله عنها– أن رجلاً قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال: يارسول الله إن لي مملوكين يكذبونني، ويخونونني، ويعصونني، وأشتمهم، وأضربهم فكيف أنا منهم؟ قال:** «يحسب ما خانوك وعصوك، وكذبوك، وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لالك ولاعليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل...»(٥).

والحاصل إن جملة الأحكام والتوجيهات التي تنهى عن التحقير، وعن اللعن، والسباب، وتأمر بالبشاشة، والوداعة، والتواضع تثري هذا الجانب، وتعزز القيمة الرفيعة التي نالها المدعو،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/٣٠) وابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان (رقم ٢٤١) وأبو نعيم في الحلية (٨/١٨٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٨/١٦٨).

(٢) سنن النسائي الكبرى (٦/٣٨٢).

(٣) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الضعفاء والخاملين، (رقم ٢٦٢٢).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (رقم ٩١) (١٤٨) والترمذي كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ماجاء في الكبر، (رقم ١٩٩٨).

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الأنبياء، (رقم ٣١٦٥).

وتؤكد على أن إلزام الداعية بذلك إنما جاء لأجله، وهذا المنحى في التعامل بينهما يرسم بجلاء طبيعة الصلة بينهما، إذ الداعية يتعبد الله تعالى بالإحسان للمدعو، ومراعاته، والحرص على هدايته، والأخذ بيده إلى مافيه صلاح أمره.

ولننظر كيف يَمْثُل ذلك في تعامل الرسول ﷺ مع أحد المدعوين في جملة من عبارات اللين التي انطوت على التعليم، والإرشاد، والتربية بروح المشفق الرحيم، وبنفس المحتفي المكرم، فعن جابر ابن سليم[1] قال: رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه لايقول شيئاً إلا صدروا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ، قلت: عليك السلام يارسول الله مرتين، قال: «لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت، قل: السلام عليك» **قال: قلت أنت رسول الله؟ قال:** «أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراء أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك» **قال: قلت اعهد إلي، قال:** «لاتسبن أحداً» **قال: فما سببت بعده حراً، ولاعبداً، ولابعيراً، ولاشاة، قال:** «ولاتحقرن شيئاً من المعروف، وأن تُكَلِّم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك، إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه، فإنما وبال ذلك عليه»[2]، **وفي صورة أخرى لهذا التعامل مع المدعو، يروي لنا أسامة بن شريك[3] ﷺ قال: شهدت الأعراب يسألون النبي ﷺ أعلينا حرج في كذا؟ أعلينا حرج في كذا؟ فقال لهم:** «عباد الله وضع الله الحرج إلا من اقترض من عرض أخيه شيئاً، فذاك الذي حرج» **فقالوا: يارسول الله هل علينا جناح أن لانتداوى؟ قال:** «تداووا عباد الله، فإن الله سبحانه لم يضع داء إلا وضع معه شفاء إلا الهرم» **قالوا: يارسول الله ماخير ماأعطي العبد؟ قال:** «خلق

(١) هو أبو جري الهجيمي التميمي، اسمه جابر بن سليم ويقال سليم بن جابر، له صحبة، وهو من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو ابن تميم، روى عن النبي ﷺ، وروى عنه الحديث غيره، كما روى له البخاري في الأدب وأبو داود والترمذي والنسائي. انظر تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ) ١٨٨/٣٣.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، باب ماجاء في إسبال الإزار، (رقم ٤٠٨٤).

(٣) هو أسامة بن شريك الثعلبي، من بني ثعلبة بن يربوع، وقيل من بني ثعلبة بن سعد، وقيل من بني ثعلبة بن بكر بن وائل، له صحبة، وروى حديثه أصحاب السنن وأحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي ابن حجر أبو الفضل العسقلاني، مرجع سابق، ١/ ٤٩.

حسن»[1].

وفي مقام آخر يقوم سيد الدعاة ﷺ بالجمع بين الحنو على المدعو، والحزم معه، وتوجيهه، حين اجتمع له في مقام واحد فئام من المدعوين اقتضت أحوالهم التنويع في أسلوب التعامل معهم، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ : «مم تضحكون؟» **قالوا: يانبي الله من دقة ساقيه، فقال:** «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»[2]، **فألقى عليه الصلاة والسلام من الكلام على ابن مسعود وعلى من ضحك عليه ﷺ جميعاً مايناسب كل منهم، ويعنينا في المقام أن مسلك الداعية، ومنهجه إنما تحدد، ورسم على ضوء مابان من حال المدعو، وهيئته، ويبين ذلك مدى تأثيره على العمل الدعوي في كل مراحله، ولهذا المنهج في هذا المقام –الذي يجتمع فيه أمام الداعية أكثر من حال للمدعوين– تكرار في سيرة الرسول ﷺ، ففي مناسبة أخرى، قال عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة خلقاً تخلق، أم نسجاً تنسج؟ فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ** : «مم تضحكون! من جاهل يسأل عالماً» **ثم أكب رسول الله ﷺ ثم قال:** «أين السائل» **قال: هو ذا أنا يارسول الله، قال:** «لا، بل تشقق عنها ثمر الجنة»[3] **ثلاث مرات.**

ومن ضروب مراعاة الحال التي يكمن فيها قدر المدعو، ومكانته، ويبين فيها مدى تأثيره في العمل الدعوي، مانراه مما قررته الشريعة من ضروب التعامل مع غير المسلمين، فلم يغب عن هذا التنظيم كونهم مدعويين بحاجة إلى من يرحمهم، ويأخذ بأيديهم إلى طريق السلامة، والنجاة، فعن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ اشترى من يهودي طعاماً، ورهنه درعاً من حديد»[4]، والحديث "دليل على جواز معاملة الكفار، و عدم اعتبار الفساد في معاملاتهم"[5]، ودليل على جواز التعامل مع "أهل الذمة، قال العلماء: والحكمة في عدوله ﷺ عن معاملة مياسير الصحابة إلى معاملة اليهود إما بيان الجواز، أو لأنهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعام فاضل عن حاجتهم، أو خشي أنهم لا

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطب، باب ماأنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، (رقم ٣٤٣٦) وفي الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤٢١/١) وأبو يعلى (رقم ٥٣١٠، ٥٣٦٥)، والبزار (رقم ٢٦٧٨) وأبو داود الطيالسي (رقم ٣٥٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٥/٢) والبزار (رقم ١٧٥٠، ٣٥٢١) وأبو داود الطيالسي (رقم ٢٢٧٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب في الاستعراض، باب من اشترى بالدين وليس عنده ثمنه (رقم ٢٣٨٦) ومسلم، كتاب المساقاة، باب الرهن وجوازه في الحفر والسفر (رقم ١٦٠٣).

(٥) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين أبو الفتح، مرجع سابق، ١٩٦/٣، ١٩٧.

يأخذون منه ثمناً أو عوضاً، فلم يرد التضييق عليهم"[1]، ويبين هنا أيضاً كيف أن حال المدعوين من مياسير الصحابة قد أثرت في منهجه ﷺ حين عدل عنهم إلى التعامل مع غير المسلمين.

ومجمل القول في المدعو: إنه الركن الأهم في الأداء الدعوي، فباقي أركانه إنما سخرت له، وهيأت إمكاناتها، وقدراتها لخدمته، سعياً لتحقيق رحمة الله تعالى بخلقه حين ابتلاهم بالخير، والشر، ليعلم أيهم أحسن عملاً، فدعانا ذلك إلى النظر بتركيز على قضية التبليغ من قبل الداعية للمدعو، والنظر إلى العملية الدعوية في إطار دوران التخاطب بين الداعية والمدعو، ومدى تفاعلهما مع باقي أركان الدعوة، وهي المضمون والوسيلة والأسلوب، والإلمام بالظرف الذي يحكم هذا التفاعل، ويؤثر فيه، فيدفع ذلك -بعون الله- الداعية إلى أن يلم بتكوين هذا الظرف، والتعامل معه، بل والتأثير فيه، ليخلص إلى تهيئة بيئة الناس، وظروفهم لاستقبال مايريد طرحه، لأن تغير حال الناس إلى الحسن لا يمكن أن يكون وليد موقف، وإنما نتيجة لمراجعة، وتأمل طويلين، وهذا يبين لنا أن التأثير كما يحصل من الداعية فهو يحصل عليه من قبل المدعوين، والاستفاضة فيما يتصل بالمدعو طويلة مفصلة، وهذه الدراسة -بعون الله وتوفيقه- معنية بذلك في المقبل من أبوابها.

---

(١) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، مرجع سابق، ٣٥٢/٥، ٣٥٣.

الباب الأول

مكانة المدعو في ضوء الكتاب والسنة

تمهيد

الفصل الأول: مكانة المدعو باعتبار ذاته

الفصل الثاني: مكانة المدعو باعتباره المخاطب بالدعوة

التمهيد ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراد بمكانة المدعو

المبحث الثاني: مكانة المدعو في ظل الدعوات غير الإسلامية

المبحث الثالث: أهمية اعتبار المكانة في حياة الناس

المبحث الأول

المراد بمكانة المدعو

تعريف المكانة: **يقوم معنى (المكانة) على معانٍ عدة لاشتقاقات مختلفة لمادة (مَكَنَ)، منها: (مَكِنَاتها ومَكُنَاتها، بالضم) والمراد هنا بيض الضَّبَّة[١]، ويُستعار هذا المعنى للطير، كما جاء في قول الرسول ﷺ:** «أَقِرُّوا الطير على مكناتها»[٢]**، يعني بيضها على أنه مستعار لها من الضَّبَّة، لأن المكن ليس للطير[٣]، ويُراد به أيضاً أَمْكِنتها[٤] لتمكنها منها فصارت مواضعها التي جعلها الله تعالى لها، والأمر بأن تُقر أو تُترك على كل مَكِنةٍ تُرى عليها[٥]، وتَرْك تنفيرها تطيراً[٦]، وعلى هذا المعنى جاء قول الله تعالى:** +قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ"[٧] **أي اعملوا على حالتكم التي أنتم عليها، ورضيتموها لأنفسكم[٨]، وقوله تعالى:** +وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ"[٩] **أي اعملوا على حالكم، وجهتكم التي هي عدم**

---

(١) والتعبير عن بيض الضَّبَّة ب (المكْن أو المكِن) هو الأصل، لكن جاز في كلام العرب أن يُستعار مَكْنُ الضِّبابِ فيجعل للطير تشبيهاً بذلك، انظر لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة: مكن، ومنه حديث أبي سعيد «لقد كنا في عهد رسول الله ﷺ، يهدى لأحدنا الضَّبَّةُ المكُون أحب إليه من أن يُهدى إليه دجاجة سمينة» وهي التي جمعت بيضها. انظر المغني، عبدالله ابن أحمد بن قدامة المقدسي ، مرجع سابق، ٩/٣٣٦.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الضحايا، باب في العقيقة، رقم الحديث ٢٨٣٥، ٣/١٠٥. وكذا أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث ٣٤٧، ١/١٦٧. وابن حبان كما في الإحسان (٧/٦٤٣ رقم ٦٠٩٣) والطيالسي (١/٣٤٨ رقم ١٧٨١) والحميدي (١/١٦٧ رقم ٣٤٧) والبيهقي في الكبرى (٩/٣١١) والطبراني في الكبير (٢٥/١٦٧ . ١٦٨ رقم ٤٠٧) والحاكم (٤/٢٣٧ . ٢٣٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١١٧٧).

(٣) انظر لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة: مكن.

(٤) والمراد بذلك: "أي لاتزجروا الطير، ولاتلتفتوا إليها، أَقِرُّوها على مواضعها التي جعلها الله لها، أي لا تضر ولا تنفع، ولا تعدوا ذلك إلى غيره". انظر لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة: مكن.

(٥) انظر لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة: مكن، وانظر القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة: مكن، في باب النون فصل الميم.

(٦) ذكر الشافعي في معنى هذا الحديث: كان الرجل في الجاهلية إذا أراد الحاجة أتى الطير ساقطاً، أو في وكره فنفَّرَهُ، فإن أخذ ذات اليمين مضى لحاجته، وإن أخذ ذات الشمال رجع، فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك. انظر لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة: مكن.

(٧) سورة الأنعام، الآية ١٣٥.

(٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد ، مرجع سابق، ٢/ ٨٣.

(٩) سورة هود، الآية ١٢١.

الإيمان[1]، ومنها: (المَكِنَة) وهي التمكن، تقول العرب: إنَّ بني فلان لذو مَكِنَةٍ من السلطان أي تَمكُّن، و: (مَكُنَ) فلان عند الناس عظم عندهم فهو مكين، وفي القرآن الكريم:

+قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ"[2]، **وكذا: (المكانة) وهي المنزلة ورفعة الشأن[3].**

وعليه فإن هذه المعاني تشير في جملتها إلى دلالة (المكانة) على الحال الحاصل، والوضع القائم الذي تمكَّن من صاحبه، حتى أثَّر على سيرته، وبان في عمله، وعلى الرغم مما شاع من استخدام لكلمة (المكانة) في الدلالة على الرفعة، والعلو، إلا أن ذلك لا يعني قصرها على هذا المعنى، فقد اتضح البَيْنُ بين هذا الاستخدام، وما استقر -آنفاً- من معانيها في اللغة، يؤيد ذلك التعبير بها في القرآن الكريم عن الحال السيئة من عدم الإيمان التي ارتضاها الذين لا يؤمنون لأنفسهم.

تعريف المدعو: **في اللغة اسم مفعول من دعاه يدعوه فهو مَدْعو، وعليه يقع الفعل من اسم فاعله، وهو: الداعي الذي يقوم بدعوته.**

وفي الاصطلاح: من يتوجه الداعي إليه بالدعوة[4] بهدف التأثير عليه، واستجلابه إلى ما يدعوه إليه، والمدعو بصورته تلك هو الإنسان[5] الذي شملته الدعوة بكل فئاته، وأصنافه[6]، والمدعوون إلى الله تعالى: هم الناس جميعاً في كل زمان، ومكان، قال الله تعالى: +قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود (دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبعة) ٢٤٩/٤. وفي ذلك أكثر من نص قرآني كريم، منها قول الله تعالى: +قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ"سورة الأنعام، الآية ١٣٥، أي اعملوا على غاية ما أنتم عليه من حال قد تمكنتم منها من الكفر، والمعاداة فإني عامل على مكانتي التي أُمرت بها من الثبات على الإسلام، والاستمرار على الأعمال الصالحة. انظر المرجع السابق، ١٨٨/٤، وانظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق ٨ /٢٩.

(٢) سورة يوسف، الآية ٥٤.

(٣) انظر مادة: مكن، في لسان العرب المحيط، ابن منظور، وفي المعجم الوسيط، لمجموعة من المؤلفين، وانظر باب النون فصل الميم في القاموس المحيط، الفيروز آبادي.

(٤) انظر المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مرجع سابق، ص ٤١.

(٥) إن دعوة الإسلام تجاوزت الإنس إلى الجن، فهذا مما امتاز به محمد ﷺ على من سبقه من الرسل -عليهم السلام- وقد أتى الذكر على ذلك في التمهيد ضمن مبحث: أركان الدعوة وأهمية المدعو فيها.

(٦) انظر أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ، مرجع سابق، ص ٣٥٨، وانظر فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبدالحليم محمود (دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٢هـ) ٩٤١/٢.

إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا" (1)، **وفي التوجيه الإلهي لسيد الدعاة ﷺ بيان لذلك، يقتضي التوجه الشامل بالدعوة لسائر الناس:** +وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا" (2)، **وينساق ذلك دوماً مع الخطاب القرآني الموجه إلى الناس كافة في كل توجيهاته وتنظيماته:** +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ"(3)، +يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ"(4).

ومما يشير إلى اعتبار أن الإنسان هو المدعو، أو المدعو هو الإنسان؛ أن الحديث في مواطن الدعوة، والتوجيه له يكون مشتملاً على كلمات تدل على ذلك، وتسترعي الانتباه إليه، مثل: (بني آدم) كقول الله تعالى: +۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ" (5)، **و(الإنسان) كقوله تعالى:** +يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ"(6)، **و(الناس) كقوله تعالى:** +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ"(7).

وغير ذلك من الألفاظ، التي لا يمكن أن يُساق الخطاب بها إلا للإنسان، مثل: (ياأبتي، يابني، يا قومي)(8)، كقول الله تعالى: +يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ

---

(1) سورة الأعراف، الآية ١٥٨.

(2) سورة سبأ، الآية ٢٨.

(3) سورة البقرة، الآية ٢١.

(4) سورة الأعراف، الآية ٣٥.

(5) سورة الأعراف، الآية ٣١.

(6) سورة الانفطار، الآيتان ٦، ٧. وكقول الله تعالى: +أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا" سورة مريم، الآية ٦٧. وكقوله تعالى: +أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ" سورة القيامة، الآيات من ٣ إلى ٥. وكقوله تعالى: +فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ" سورة عبس، الآية ٢٤. وكقوله تعالى: +فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ" سورة الطارق، الآية ٥.

(7) سورة البقرة، الآية ٢١. وكقوله تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ" سورة البقرة، الآية ١٦٨.

(8) ويُلحق بذلك أيضاً الأوصاف الدالة على العقل، والفهم، والإدراك وكثيراً ما تأتي بين يدي خطاب الدعوة، والتوجيه، فدل على أن أن المعني بهذا الخطاب من يتصف بتلك الصفات، وهو الإنسان، كقول الله تعالى: +وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ" سورة البقرة، الآية ١٩٧. وكقول الله تعالى: +فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ" سورة المائدة، الآية ١٠٠.

وَلِيًّا"[1]، **وكقوله تعالى:** +يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ "[2]، **وقوله تعالى:** +قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا"[3]، **وقوله تعالى:** +وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ"[4]، **وقوله:** +وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ"[5]، **وقوله تعالى:** +إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ"[6]، **وكقوله تعالى:** +وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ"[7].

فهذه هيئات مختلفة، وحالات متعددة لا يُمكن أن تقترن بغير الإنسان، وهذه الألفاظ التي هي أعلام عليها تجيء دوماً في سياق الدعوة، والتوجيه، وفي ذلك الدلالة على أن المعني بهذا الخطاب الدعوي هو الإنسان.

وحين نقرر هنا بأن المدعو هو الإنسان، فإن الحديث عنه في دراسة كتلك، والتأصيل لما يتصل بدعوته، وإجراء الخطاب معه، يقتضي من الباحث أن يعنى بما له صلة بهذا الجانب، وذلك أن الحديث عن الإنسان في الكتاب، والسنة جاء من زوايا عديدة، تتصل بكل ما تقوم عليه أموره في حياته ومعاده.

فإذا ما عُرِض من ذلك شيء يهتم بجانب إصلاحه، وتغيير حاله عبر إجراء اتصالي مقصود، لأجل إحداث التغيير لديه، فهو مكمن للنظر، والاستقراء من قبل الباحث، لما فيه من تأصيل لدعوته في أكثر جوانبها، وبيان لمنهج دعوته، وإصلاحه، والتأثير فيه.

ومن اليقين أن الحديث عن الإنسان في مسائل كتلك لا يعني قصره عليها، إذ هدي الإسلام في تنظيم حياته، وترتيبها جلي في بيان الرسول ﷺ لأمته لمسائل تتصل بالعقائد، أو العبادات وغيرها، وهذا البيان منطوٍ دائماً على ملامح الهدي الدعوي في تقرير هذه الأمور، والتشجيع على مبادرتها والأخذ بها، بصورة تبين مدى العناية بالمدعو حين يُساق له مضمون الإسلام حرصاً على مصلحته، وإشفاقاً عليه، بتلمس مواطن التأثير فيه.

وكقول الله تعالى: +وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ" سورة القصص، الآية ٦٠.

(١) سورة مريم، الآية ٤٥.

(٢) سورة لقمان، الآية ١٧.

(٣) سورة نوح، الآية ٥.

(٤) سورة غافر، الآية ٣٠.

(٥) سورة غافر، الآية ٣٢.

(٦) سورة الصافات، الآية ٨٥.

(٧) سورة الزخرف، الآية ٢٦.

وتأسيساً على ما سبق **يمكن القول بأن (مكانة المدعو) تعني: ما استقر لدى الداعية –مما قررته شريعة الإسلام له– من منزلة، واعتبار للحال القائمة، والوضع الكائن لمن يتوجه إليهم بالدعوة وهم الناس عامة، ولا فرق في ذلك بين الحال الحسنة، أو السيئة للمدعو، فقد انتبه الإسلام للمدعو بحسن النظر لحاله، ودقة التصوير لواقعه، وأرهف في ذلك إلى غايته، فنال المدعو بذلك هذه المكانة الرفيعة لدى الداعية، التي اقتضت منه الانتباه لهذه الحال، ومراعاتها، انطلاقاً مما استقر لديه من معرفة بها، ودراية بتشخيصها، واستوى – بحسن نظر الداعية لهذه الحال – المدعوون بسائر فئاتهم، فكلهم نال ما يستحقه وفق حاله من احتفاء ورعاية.**

وإنما رسخ ذلك –عن المدعو– لدى الداعية لكونه يترسم المنهج الرباني للدعوة، وما كان له أن يُكَوِّن هذا التصور عن المدعو، ويحدد مكانته الفعلية إلا على ضوء ما جاء من وصفها، وتعيينها، وتحديدها في الكتاب والسنة، حيث جاء فيهما ما لفئات المدعوين من مكانات مختلفة، تتراوح بين الرفعة والدنو، حسب النظر للمعتقد، أو الذات، أو المجتمع.

وحين نتحدث عن هذه المكانة للمدعو في ضوء الكتاب، والسنة فإننا نسوق –بعون الله تعالى– ما يدل عليها، ويشير إليها مما اطَّرد وروده في القرآن الكريم، وفي الهدي الدعوي لمن وقرت في نفسه ﷺ هذه المكانة للمدعو، ولدى من ترسم هذا الهدي، وسار عليه من السلف الصالح.

المبحث الثاني

مكانة المدعو في ظل الدعوات غير الإسلامية

إن الناظر إلى الحقب المختلفة التي اكتنفت المدعو يلحظ اشتمالها على عدة رؤى بني عليها منطلقات التعامل معه، والاهتمام بشؤون إصلاحه، وتقويمه، وهي مظهر واضح لما استقر له فيها من مكانة، والحديث هنا لبيان، وتقييم بعض جوانب النقص التي اعترت هذه المكانة، فكان للمدعو بسببها معاناته في هذه الناحية، مع الإشارة إلى مظاهر ذلك، وصوره، ويتأكد بإيراد ذلك أن هذه الجوانب لا تبين، وتظهر إلا في ظل ما انحرف من الدعوات، فوجودها في بيئة ما نذير بإهمال المدعو، وعدم اعتبار ما له من مكانة، وهاهنا ناحية من نواحي قصور هذه الدعوات دون دعوة الإسلام.

والحديث عن هذه الدعوات يندرج تحته الحديث عن كل دعوة ضالة، أو منحرفة، باشرت مع المدعو أنماطاً مختلفة من الاتصال، بغية التأثير فيه، وجلبه إلى ما هي عليه، أو صده عن الحق، وحرمانه منه، وكلا دلالة الأمرين الضلالة، والانحراف تفضيان إلى معان متقاربة، فحين تدل الضلالة على ما كان ضد الهدى، والرشاد[1]، لأنها لا توصل إلى الطريق المطلوب، فكان الضال هو كل من ينحرف عن دين الله الحنيف[2]، نجد الانحراف يدل على الميل عن الطريق الصحيح، ومنه تحريف الكلم عن مواضعه بمعان قريبة الشبه، وبه وصف اليهود، فقد عمدوا إلى تغيير معاني التوراة بالأشباه[3]، قال الله تعالى: +يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ"[4]، وإنما حل غضب الله تعالى على اليهود، لأنهم يعرفون الحق، ثم ينكرونه، ويأتون بالباطل عمداً[5]، وهذا التقارب في سمات الضلالة، والانحراف ينطوي على تقارب آخر، يتصل بما استقر لدى أهلهما من مكانة للمدعو.

والسياق اللغوي بصورته تلك ينتظم المعنى المراد عند ذكر الدعوات الضالة، والمنحرفة ليدل على أنها: أي دين، أو ملة، أو مبدأ غير دين الإسلام الصحيح، مثل الديانات، السماوية المحرفة كاليهودية والنصرانية، والديانات والملل التي وضعها الإنسان لنفسه على اختلاف أصولها،

---

(١) انظر لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة: ضلل. وانظر مختار الصحاح، الإمام الرازي، مادة: ضلل.

(٢) انظر المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، مادة: ضلَّ.

(٣) انظر لسان العرب، ابن منظور، مادة: حرف.

(٤) سورة المائدة، الآية ١٣.

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (عالم الكتب، بيروت، الطبعة بدون) ٤٤/١.

وعقائدها إلحادية كانت أو وثنية، والمذاهب، والنحل التي انحرف بها بعض المسلمين عن طريق الإسلام الصحيح كالرافضة، وغلاة الصوفية، وأهل البدع، وغيرهم.

ولا شك أن لهذه الدعوات على اختلافها تعاملات متباينة مع المدعو، باعتبار أن تفاعلها معه، واحتكاكها به انعكاس لازم للاتصال به، فالطبيعة المضطربة للتكوين العقدي، والفكري لأصحابها هي التي ساهمت في شدة الفصم بينهم، وبين المدعو، ولذا فسمة دعوتهم له حين حصولها غير صادقة، أو صادقة غير صائبة، قصدت نفعه، ولكن على جهل، وضلال، فهم –وتلك آفتهم الكبرى– ذوو نزعات مختلفة، ليس من بينها ما يؤدي لمصلحة المدعو، ويحقق منفعته، خالطت هذه النزعات عقولهم ونفوسهم، وصاغتها صياغة سيئة معقدة، نجم عنها ما جاءوا به من إهدار كامل للقيم الخلقية، والمثل العليا، وجحود لكرامة الإنسان، وتشويه خطير لفطرته الأصيلة، وزراية به، وتآمر عليه، ومحو لفضائله[1]، وأثر ذلك على المدعو يَمْثُل غالباً في عدم الاحتفاء به، ورعايته، ومظاهر ما له من مكانة لديهم تعد انعكاساً لذلك، ونتيجة له لكون هذه الدعوات تقوم بذلك في سياق تحقيق مصالحها.

إن التفريط في مصلحة المدعو، وعدم الاهتمام بهدايته باد بجلاء حين استقراء سيرة أهل هذه الدعوات، وأساليبهم في تعاملهم مع المدعوين، غير أن التصريح بذلك منهم هو الحاسم في إثبات هذه النزعة المنحرفة[2].

ويجدر بنا في هذا المقام أن نعرض لما يوصف به بعض أهل هذه الدعوات من إتقان للأداء أثناء اتصالهم بالمدعوين بصورة فاقوا بها كثيراً من دعاة الحق، وتمكنوا بواسطتها من التأثير في

---

(١) انظر المسألة الاجتماعية بين الإسلام، والنظم البشرية، عمر عودة الخطيب (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ) ص١٤.

(٢) ومن ذلك ما جاء في خطاب (صموئيل زويمر) رئيس جمعيات التبشير في الشرق الأوسط في مؤتمر القدس الذي عقده المبشرون في عام ١٩٣٥م، فقد قال فيه: ".. مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن هذا هداية لهم، وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها... إنكم أعددتم بوسائلكم الخاصة جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد، إنكم أعددتم نشأً لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء طبقاً لما أراده الاستعمار لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة، والكسل فإذا تعلم فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء " انظر: ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية، والتبشير، إبراهيم السلمان الجبهان، (إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٣٩٦هـ) ص ١٠٦.

المدعوين[1]، لنؤكد أن ذلك من البراهين على أن هؤلاء الفئام يسعون لمصالحهم بالدرجة الأولى؛ وفي سبيل ذلك أجلبوا بكل ما في وسعهم كيما ينحاز المدعو إليهم، ويركن إلى طرحهم الضال حيث عمدوا إلى رتق ما فيه من النقص، وسد ما به من خلل بالإيغال في معرفة أحوال المدعو، ومراعاتها بهيئة أقامت الباطل أمامه بصورة الحق، فعطلوا بتلك المراعاة ملكة التمييز لديه، وأقاموا بها غشاوة حالت بينه وبين المقدرة على التمحيص، وحسن الاختيار.

ويمكن أن نعرض لجوانب النقص التي تعتري مكانة المدعو، ومظاهر ذلك، وسماته لدى أهل هذه الدعوات فيما يلي:

١- إلحاق الضرر به، وإيذاؤه، وعدم الرأفة به، ورحمته، وما ينطوي عليه ذلك من إهمال لمصلحته، فهذه الفئة من الدعاة لا تدّخر وسعاً في حجب المنفعة عن المدعو، وحرمانه منها، وهذا منوال سارت عليه جل الدعوات الضالة، والمنحرفة، وقلَّ أن يسلم مدعو تعرض له أصحابها من إيذائهم، وضررهم في أي صورة من صور ذلك، وأشكاله، وهذا جلي في إخبار القرآن عن هذه المواقف وأشباهها، قال الله تعالى: +۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ" [2]، فقد باشر اليهود، والنصارى مع رسول الله ﷺ، وأصحابه ﷺ ضروباً من الإيذاء في صور حسية، ومعنوية متعددة[3]، قاموا بذلك في سبيل الدعوة إلى باطلهم، والإلزام بترك الحق، وإلى ذلك كانت إشارة الرسول ﷺ حين عرض له بعض أصحابه[4] ﷺ بشكواهم مما يلقونه من

---

(١) بات من الظاهر مدى الإمكانات الهائلة التي تسخرها الكنائس، والهيئات التنصيرية في سبيل خدمة باطلهم، وحث الناس عليه، ويدخل في ذلك الأعداد الكبيرة من المجندين للتنصير، الذين حفزتهم الكنيسة بالكثير من التخطيط، والجهد، والمال. انظر ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، د. إبراهيم عكاشة علي (إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٧هـ). وانظر ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير، إبراهيم السلمان الجبهان، مرجع سابق.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٦.

(٣) من صور ذلك قول اليهود للمسلمين: إن الله فقير، ونحن أغنياء، وقولهم: يد الله مغلولة، وعزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله. تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً، ومنه قيام البعض بهجاء النبي ﷺ ، وبتحريض المشركين على النبي ﷺ وأصحابه في شعره، وبالتَّشبّب بنساء المسلمين وهو كعب بن الأشرف، وفيه نزلت هذه الآية، أورد ذلك الإمام الطبري في سياق تفسيره لهذه الآية، انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ، مرجع سابق، ٤/٢٠٠، ٢٠١.

(٤) هو خباب بن الأرت ﷺ. لحقه سباء في الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة وأعتقته، وكان قينا يعمل السيوف في الجاهلية، كان فاضلاً من المهاجرين الأولين، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، نزل الكوفة ومات بها. وقيل مات بالمدينة.انظر: الاستيعاب (رقم ٦٥٦).

المشركين، حيث قال: «لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأسه فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ...»(١)، **روى ابن إسحاق من حديث ابن عباس فقال: والله كانوا ليضربون أحدهم، ويجيعونه، ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر، حتى يقولوا له: اللات، والعزى إلهك من دون الله؟، فيقول: نعم(٢)، والإخبار عن معاناة المدعوين مع أصحاب هذه الدعوات لا ينقطع، يظهر في كل حين، ولا يغيب عن مكان(٣)، وهو موصول بما انتهى إلينا منه مما جاء في القرآن الكريم، والحديث النبوي، ومن ذلك ما نال أصحاب الأخدود من أذية، وعنت، فقد باشر ذلك معهم قوم سوء، سعوا بانحرافهم، وضلالهم في تعاملهم مع أصحاب الأخدود، إلى ما أفسد عليهم ما هم فيه من حسن الانقطاع لربهم، قال الله تعالى:** +قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ" (٤)**،وشهودهم ذلك إمعاناً منهم في إلحاق الضر**

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، رقم الحديث ٣٨٥٢، ص٣٧٠. ٧٣١ ط بيت الأفكار الدولية.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مرجع سابق، ٧/٢١٠.

(٣) وهذه المعاناة يتلقاها المدعو في هذا الزمان بنفس الحدة، والقسوة، فقد اعترف الباحث الأمريكي (جراهام إي. فوللر) وهو من كبار خبراء مؤسسة راندا، وعمل طويلاً في المجال الدبلوماسي، وله عدة كتب عن الإسلام، والباحث الأمريكي (إيان أو. ليسر) وهو أحد خبراء السياسة الدولية بمؤسسة راندا نفسها، ومتخصص في شؤون البحر المتوسط اعترفا بأن الغرب كان، ولا يزال مسؤولاً عن إذكاء الصراعات ضد الإسلام مؤكدين أن الصراعات كثيراً ما تنشب بين أبناء الدين الواحد، وأن المسيحية الشرقية تعرضت لقهر من المسيحية الغربية. وانتقد الباحثان التميز الاجتماعي الذي يُمارس ضد المسلمين في أوربا مستدلين في ذلك بقتل بعض الأتراك العاملين في ألمانيا على أيدي النازيين الجدد... كما يتجلى أيضاً في وسائل أخرى أكثر دهاءً مثل عدم الاعتراف بمشكلات المسلمين التعليمية، أو في الحد من التحاق المسلمين للعمل في الأوساط المهنية. وقال الباحثان: إن قيود سياسات الهجرة تبدو وكأنها تعمد إلى التمييز ضد المسلمين، وضد قدراتهم على العمل في أوربا، وحريتهم في إرسال تحويلات مالية إلى أوطانهم. وذكر الباحثان في دراسة حديثة لهما بعنوان (الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة) أن العنف ضد الطوائف الإسلامية الكبيرة، والراسخة في أوربا، يعتبر العامل الأول ضمن عوامل عدم الاستقرار...، وساق الباحثان في دراستهما مثالاً على ذلك ما آل إليه حال مسلمي البوسنة داخل أوربا، وما قوبل به ذلك من عدم الاهتمام، واللامبالاة ...، كما أوضحت الدراسة أن المسلمين الذين لقوا مصرعهم على أيدي الغرب خلال القرن الماضي يفوقون كثيراً أعداد الغربيين الذين ماتوا بأيدي مسلمين، وبناء عليه فإن هناك قناعة بأن سياسات الغرب ضد الإسلام هي ذاتها التي لا تزال يشتعل أوارها دون أن يوقفها شيء منذ ألف عام مضت، حتى وإن تغيرت الوسائل، والطرق التي أصبحت الآن أكثر دهاءً ومكراً. نقلاً عن جريدة المسلمون، العدد ٦٥٤ الصادر في ١٤١٨/٤/١٢هـ، ص ١٤.

(٤) سورة البروج، الآيات من ٤ من ٧.

بالمؤمنين "إذ يرون هذا المظهر بأعينهم، ولم يشفقوا بهم ولم يعتبروا بثباتهم.."[1]، "ولا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم"[2].

والأذى الذي نال به أهل الدعوات الضالة، والمنحرفة المدعوين استشرفهم في كل مكان وزمان، كلما ظهر فيهم من الحق ما يخالف الأهواء السقيمة، والمصالح الدنيئة لأهل هذه الدعوات، ويستوي لديهم في ذلك كل المدعوين، شأنهم في ذلك واحد قبل الإسلام وبعده، وسواء كانوا من المسلمين[3] أو من غيرهم يكثر شانؤوهم، وكان الذي نال المنتسبين للمسيحية من اضطهاد شاهداً على عدم رعاية المدعو، والانتباه له، فقد اتفقت المصادر على أن أولئك نزل بهم – بعد المسيح عليه السلام – بلايا وكوارث، جعلتهم يستخفون بديانتهم، ويفرون بها أحياناً أخرى، وتعاقب عليهم جملة من الولاة الذين تراوحت شدة ما ألحقوه بهم من إيذاء[4] في سبيل جرهم إلى معتقد مخالف، أو صرفهم نهائياً عن دينهم، ولذا فقد سعى الرسول ﷺ إلى درء ما قد يظهر من ذلك لدى بعض أهل هذه الدعوات، ففي خطابه ﷺ إلى هرقل صاحب الروم: «من محمد رسول الله إلى صاحب الروم: إني أدعوك إلى الإسلام، فإن أسلمت فلك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، مرجع سابق، ١٤٥/٩.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي البغدادي ، مرجع سابق، ٩٠/٣٠.

(٣) إن الحديث عن تساوي المدعوين لدى أهل هذه الدعوات الضالة، لا ينفي ما طال المسلمين منهم، ولا يغيب عن البال أن انصراف أولئك بأذاهم للمسلمين أشد في حقهم وأنكى بهم من غيرهم، وإنما كان ذلك منهم لشعورهم بجسامة ما ينتابهم حين يدول الإسلام وأهله عليهم، فكان انصرافهم للمدعوين من المسلمين هو الغالب لديهم على من سواهم، وهو ديدن لهم ساروا عليه منذ بددت شمس الإسلام ضلالهم، وأزاحت طغيانهم، لم ينفكوا عنه حتى زماننا هذا، وأوضح مثال لذلك الحروب الصليبية القديمة، وما تلاها من قيام الجهود المتعاضدة للتنصير، والسعي لإبعاد المسلمين عن دينهم.

(٤) من أولئك نيرون (سنة ٦٤ م) وتراجان (سنة ١٠٦م) وديسيوس (سنة ٢٤٩ ٢٥١ م) و دقلديانوس (سنة ٢٨٠ م)، فنيرون ألحق هو وأشياعه بالمسيحيين ضروباً من العذاب، وبلغ ذلك منهم أن وضعوا الناس في جلود الحيوانات ويطرحونهم للكلاب فتنهشهم، وصلبوا بعضهم، وألبسوا بعضهم ثياباً مطلية بالقار، وجعلوهم مشاعل يستضاء بها، وفي عهد تراجان ألحق بهم الذل والعذاب في سبيل منع تخفيهم بدينهم الذي لايرضاه لهم، أما ديسيوس فقد أبعد كل مسيحي من خدمة الدولة مهما يكن ذكاؤه، وكل من يُرشد عنه منهم يؤتى به إلى هيكل الأوثان، ويطلب منه أن يقدم ذبيحة للصنم فإن قدمها وإلا قُدِم بدلاً منها، وكان دقلديانوس هو الأنكى في بطشه، والأبلغ في أذاه فقد جاء إلى مصر، والكثرة فيها من المسيحيين فأزال استقلالها، وأمر بهدم الكنائس وإحراق الكتب، وبالقبض على الأساقفة، وسجنهم، وقهر الناس على ترك دينهم وإنكاره، ومات من جراء تلك الحملة القاسية من الأقباط ما يزيد على أربعين ومائة ألف. انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤هـ) ص ٣٦ وما بعدها.

فإن لم تدخل في الإسلام فأعط الجزية، فإن الله تبارك وتعالى يقول: +قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ" (١)، وإلا فلا تَحُلْ بين الفلاحين(٢) وبين الإسلام أن يدخلوا فيه، أو يعطوا الجزية»(٣)، ومباشرته لأمر من هذا القبيل أمر متوقع، حدا الرسول ﷺ إلى تحذيره منه، وفي الآية الواردة في الحديث السابق، جاءت الإشارة إلى من ظُلِمَ من مشركي أهل الكتاب المحاربين لدعوة الإسلام من "ملوك العجم.. ورهبان، وقساوسة، وأساقفة كنائسهم الذين لم يدخلوا في الإسلام، والذين كفروا بالله، وتناسوا يوم القيامة، وعذاب الله لمن كفر به، وبكتبه، ورسله، ولم يدينوا دين الحق ولم يحكموا بما أنزل الله، وشرعوا الشرائع الوضعية الجائرة الظالمة التي لم ينزل الله بها من سلطان، واتبعوا شهواتهم، وأكلوا أموال الناس بالباطل، بابتداع طقوس، وصكوك الغفران، واكتنزوا الأموال التي أكلوها من السحت، وجعلهم من أنفسهم أرباباً من دون الله، وعبادتهم لأنبيائهم، وصلحائهم، وقديسيهم، ورهبانهم، وأحبارهم،... فكان ذلك حجر عثرة دون الدخول في الإسلام، والإقرار بنبوة النبي ﷺ "(٤)، ويعد ذلك صورة لإهمال هذه الفئات، وأمثالهم لواجباتهم تجاه المدعو، حيث تجاهلوا حقه عليهم في دعوة صحيحة، وصادقة.

ولاشك أن هذا الحيف في التعامل مع المدعو، والماثل في عدم الاهتمام بشأنه، والاحتفاء

---

(١) سورة التوبة، الآية ٢٩.

(٢) ليس المراد هنا الفلاحين خاصة، وإنما كل أهل مملكته، وذلك أن العجم عند العرب كلهم فلاحون، لأنهم أهل زرع وحرث، لأن كل من كان يزرع فهو عند العرب فلاح، إن ولي ذلك بيده، أو وليه غيره. انظر كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، مرجع سابق، ص ٢٧، ٢٨. وانظر تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص ٢٩٨.

(٣) مسند الحارث (زوائد الهيثمي)، كتاب الجهاد، باب منه في الدعاء إلى الإسلام، رقم الحديث ٦٣٩، ٦٦٢/٢. وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، الحديث عند البخاري، كتاب التفسير، باب +قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ" (رقم ٤٥٥٣) ص٨٦١ . ٨٦٣ ولفظه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين» و +قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ". والحديث أخرجه أيضاً مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام (١٣٩٣/٢ . ١٣٩٧ رقم ١٧٧٣) ٣٩/١. وقد أورده أبو عبيد في كتابه الأموال، دون تخريج له. انظر كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، مرجع سابق، ص٢٧.

(٤) تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص ٢٩٩.

بمصلحته منعكس عن مكانته المتردية لدى أهل هذه الدعوات، إذ همهم الغالب على فعلهم صرف هذه الفئة المؤمنة عن طريق الحق، وإهمال منفعتها، وحَالَ ما طغى على حَالِهم من كِبْرٍ، وتعصب دون التماس هذه المنفعة، وتحصيلها انطلاقاً من إشفاق الداعي على المدعو.

٢- انحصار أهداف أصحاب هذه الدعوات في تحقيق المصالح الخاصة، والعمل على إزالة كل ما يقف في طريقها، وعلى الرغم من تفاوت هذه المصالح، وتنوعها، فهي لا تقوم إلا على عاتق المدعو الذي يعاني دوماً من تبعات السعي الملهوف لأصحابها، ويمكن القول بأن المستقر من مكانة للمدعو لدى أهل هذه الدعوات من السعاة للمصالح الخاصة يمثل في كون المدعوين أداة لتحقيق تلك المصالح، إما بتطويعهم لإنجازها، وعدهم ميداناً لممارستها، أو بإزاحتهم من طريقها، وكل ذلك مؤكد في واقع أصحابها، فهاهو فرعون سعى إلى السلطة، والريادة، ومطلق الهيمنة حتى جعل من نفسه رباً للناس: +وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى" [١]**، وأهدر في سبيل ذلك كل قيمة لهم** +قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ" [٢]**، وسعى إلى حرمان الناس من حقهم في اختيار الحق الذي تدلهم عليه فطرهم السليمة**[٣]**، وجعل ذلك إلى نفسه دون غيره:** ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾[٤]**، وحين سعى فرعون، وأشباهه**[٥] **إلى السلطة، والسيطرة فقد سعى غيره إلى المال، وفي سبيله كانت مصلحة المدعو تضيع، قال الله تعالى:** +فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا"[٦] **فقد عمد**

---

(١) سورة القصص، الآية ٣٨.

(٢) سورة غافر، الآية ٢٩.

(٣) وهذا المبدأ يقوم على تقديس المصلحة ونبذ كل ما سواها في سبيلها، ومن المواطن التي بان فيها ما شاع لدى الروم التي تعاملت مع الأمم والبلاد الأخرى باعتبارها خادمة لمصلحتها، وعروقاً يجري منها الدم إلى مركزها، فكانت الدولة تستهين في ذلك بكل حق، و مبدأ، وتدوس كل شرف، وكرامة، وتستحل كل ظلم، وشنيعة، ولا يمنع بلاداً من هذا الحيف، والظلم اشتراك في دين وعقيدة... ولا يعترف لها في زمن من الأزمان بحق التمتع بحقوقها في أرضها إنما هي ناقة ركوب في بعض الأحيان حلوب في بعضها، ولا يقدم لها العلف إلا ما يقيم صلبها، أو يدر ضرعها. انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، علي الحسني الندوي أبو الحسن (دار القلم، الكويت، ١٤٠٢هـ) ص٧٦. وللاستزادة حول ذلك انظر الدعوة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، حسني محمد إبراهيم غيطاس (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ) ص ١٤٩ وما بعدها.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٢٣.

(٥) كان من الضالعين في ذلك بعض زعماء قريش الذين ناوءوا دعوة الرسول ﷺ حين بدأ الناس بالنفور منهم، وأيقنوا بأن سلطتهم فيهم إلى زوال كأمية بن خلف.

(٦) سورة البقرة، الآية ٧٩.

أحبار اليهود إلى ما بين أيديهم من الكتاب المحرف، وإلى ما كتبوا من التأويلات الزائغة، وادعوا أن ذلك من عند الله؛ وذلك خوفاً من ذهاب مآكلهم، وزوال رياستهم[1]، ولو أن الأحبار، والرهبان لم يتقوا زوال مراتبهم وفساد منزلتهم بإقامة الكتاب، وتبيانه ما حرفوه ولا كتموه، ولكنهم لما خالفوا الكتاب بأعمالهم التمسوا أن يخدعوا قومهم عما صنعوا مخافة أن تفسد منازلهم، وأن يتبين للناس فسادهم، فحرفوا الكتاب بالتفسير، وما لم يستطيعوا تحريفه كتموه، فسكتوا عن صنيع أنفسهم إبقاء على منازلهم، وسكتوا عما صنع قومهم مصانعة لهم، قال الله تعالى: +وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ"[2] لكنهم لم يلتزموا بذلك بل مالئوا عليه ورفقوا لهم فيه[3].

كما أن فئة كاليهود اتسم منهجها في السلوك، والتعامل بالشذوذ، لم يقف تعاملها مع الناس عند حد، فقد افتقروا إلى الرحمة التي بها يعيش الخلق سعداء متحابين، وخلا سلوكهم من أدب التعامل، وغلب عليه الخداع، والمراوغة، والنفاق، والانتهازية، وواقع حالهم يدل على صعوبة التعامل معهم، ومعايشتهم، فقد انبنى ذلك لديهم على جملة من التعاليم، والأعراف الداعية على جعل علاقتهم بغيرهم قائمة على التوتر، وبث الفتن، ونشر الفساد والإلحاد في العالم، بعد أن مردوا على الخيانة، ونقض العهود، ومرنوا على القسوة، ومجافاة الرحمة في تعاملهم مع الناس، واستمرؤوا الكذب، والغدر[4]، كل ذلك في سعي لاهث وراء المصالح الخاصة المجردة من سمة الصحة، والشرعية.

٣- الاستخفاف بفهم المدعو واستغفاله، والعمل على خداعه لإقناعه بالباطل، والزيف، حتى يركن إلى ما دعي إليه، وسبيل أولئك إليه ملتو يتحرون به كل ما يوهم المدعو بصحة دعاواهم، وإلى ذلك الإشارة في قول الله تعالى: +وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ"[5]، إذ اللبس الخلط[6]، والنهي عنه هنا نهي عن خلط الحق المنزل بالباطل الذي يخترعه، ويكتبه أهله،

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، مرجع سابق، ١/١٢٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٧.

(٣) انظر: سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد، خالد السبع المقدمة، باب رسالة عباد بن عباد الخواص الشامي (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧)، (١/١٢٧ . ١٢٩ رقم ٦٥٥).

(٤) انظر أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي، عبدالله بن محمد آل موسى (عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى) ص٥٢.

(٥) سورة البقرة، الآية ٤٢.

(٦) ومنه التلبيس: وهو التدليس، والتخليط، انظر مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مادة: ل ب س.

حتى يشتبه أحدهما بالآخر، فيكون الحق ملتبساً بسبب الباطل الذي يضعونه في تضاعيفه، ونهي عن الإضلال بالتلبيس على من سمع الحق، والإخفاء عمن لم يسمعه[١]، فجاء النهي عن شيئين هما: خلط الحق بالباطل، وكتمان الحق[٢]، ويزيد الإمام الطبري –رحمه الله– الأمر وضوحاً حين يُؤَول هذه الآية بقوله: "ولا تخلطوا على الناس أيها الأحبار من أهل الكتاب في أمر محمد ﷺ وما جاء به من عند ربه، وتزعموا أنه مبعوث إلى بعض أجناس الأمم دون بعض، أو تنافقوا في أمره، وقد علمتم أنه مبعوث إلى جميعكم، وجميع الأمم غيركم، فتخلطوا بذلك الصدق بالكذب، وتكتموا به ما تجدونه في كتابكم من نعته، وصفته، وأنه رسولي إلى الناس كافة، وأنتم تعلمون أنه رسولي، وأن ماجاء به إليكم فمن عندي، وتعرفون أن من عهدي الذي أخذت عليكم في كتابكم الإيمان به وبما جاء به والتصديق به"[٣].

وحين يعمد أهل الباطل إلى ذلك فمعولهم على ما يخالونه في المدعو من ضعف الفطنة، وقلة العلم، فهو تابع، مجرد من القدرة على التفكير، وغير قادر على معرفة الصحيح الذي تدله عليه فطرته[٤].

وممن ضلع في ذلك، وأوغل فرعون[٥]، فقد عمد إلى الخداع، والكذب، والاستغفال: +فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ"[٦]، فإن قوماً صدقوه في قوله: +أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ"[١]، وهم بذلك من أجهل

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، مرجع سابق، ٩٦/١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مرجع سابق، ٤٧/١.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق،٥٧٢/١.

(٤) ومن شواهد ذلك ما يحاول علماء النصارى تمريره على أفهام الناس مما لا يقبله العقل، ويصعب تصديقه كعقيدة التثليث، وهذا ينبئ ينبئ عن استخفاف بقدرات المدعوين، وسعي لتعطيل ملكات التفكير، والتدبر التي منحها الله تعالى لِعباده.

(٥) ومعه في ذلك كثير من دعاة الضلالة، والزيغ، ظهروا ويظهرون في كل مكان، وزمان، ولكل أداته، ومتكأه، ومن أولئك كعب الأحبار، اعتمد على ما لديه من علم بالتوراة حيث درسها، وتعمق فيها، وكان يقرأها بغير لسان العرب، وأخذ يلقيها على المسلمين، يفسد أمرهم، ويبدل نقاوة دينهم، وصفاء عقيدتهم، وتأخر إسلامه أثار شبهة انتبه لها عمر بن الخطاب ﷺ فكان يتذرع لذلك بالتثبت في الأمر، لينظر كيف يكون، ويقول: "فوجدته كالذي في التوراة"، وبنهجه ذلك تمكن من إيهام كثير ممن حوله من المسلمين بصدقه، وحين منعت المدينة في أواخر عهد النبي ﷺ على الكفار، والمشركين ومن ظهر نفاقهم، عمل كعب الأحبار على إقناع المغيرة بن شعبة بإدخال أبي لؤلؤة، فكان على يديه فتناً ومحناً، حصلت بهذا السعي المفسد، والعمل المضلل. انظر تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ) ٥٨٦/٢، ٥٨٧. وانظر تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، د. جميل عبدالله المصري، (مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٧هـ) ص ٣٤٦.

(٦) سورة الزخرف، الآية ٥٤.

خلق الله، وأضلهم[٢]، حين حملهم على خفة الجهل، والسفه بقوله، وكيده، وغروره، فأطاعوه فيما أمرهم به، وقبلوا قوله وكذبوا موسى، قال ابن الأعرابي: "استجهل قومه فأطاعوه بخفة أحلامهم، وقلة عقولهم"[٣]، وعمد أيضاً إلى إنكار إله موسى عليه السلام بنفس أسلوبه الذي استخف به الناس... +وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ" [٤]، "فبلوغ أسباب السموات غير ممكن، ولكن فرعون أبرز ما لا يمكن في صورة الممكن، تمويهاً على سامعيه"[٥]، حتى ينفي الإله عز وجل، إذ "غرضه من ذكر هذا الكلام إيراد شبهة في نفي الصانع..."[٦].

وفي موقف آخر يستنكر على السحرة إيمانهم بموسى، ويتوعدهم بالعقاب: +قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ " [٧]، وكان يوقن بصدق توجههم حين آمنوا بالله تعالى لما لمسوه من معجزات موسى عليه السلام، وتهافت سحرهم، وبطلانه أمامها، وإنما قال فرعون ذلك تستراً، وتدليساً على رعاع دولته، وجهلتهم[٨]، كيلا يتأثروا بالسحرة حين كفروا بربوبيته المزعومة، ويقتدوا بهم في إيمانهم برب موسى، ولاشك أن من يستغل ذلك لدى المدعو ليس لديه أدنى اعتبار يحفظ به ما للمدعوين من مكانة تستلزم النصح لهم، والسعي لهدايتهم، لا الاستخفاف بهم، وإضلالهم.

ومما بان فيه ذلك ما عمد إليه النصارى من إقامة الكنيسة، وتنظيمها وفق أمور لم تؤثر عن عيسى عليه السلام حين أرسله الله عز وجل إليهم، فقد أوجدوا جملة من المناصب الدينية، وأسبغوا عليها قيمة معنوية جعلت لها قداستها في أوساط الناس، وصار للقائمين عليها مكانة تأهلوا بها لجملة من

---

(١) سورة النازعات، الآية ٢٤.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٢/ ٢٤٨.

(٣) انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية، والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ) ٥٦٠/٤.

(٤) سورة غافر، الآية ٣٦.

(٥) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ) ٤٤٦/٧.

(٦) التفسير الكبير، الفخر الرازي، تحقيق مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي (دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ١٤١٧هـ) ٥١٥/٩.

(٧) سورة الأعراف، الآية ١٢٣.

(٨) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، مرجع سابق، ٢/ ٢٤٨.

الوظائف، والصلاحيات، وصار لهم بها في نظر المدعوين هيبة، وقداسة، وأرفع هذه المناصب منصب البابا[١]، ويليه الكرادلة[٢]، والأساقفة والمطارنة[٣]، والبطاركة[٤]، والقسس[٥]، والرهبان، وغيرها، وهذا التنظيم على الرغم من ظاهره المنظم إلا أنه لم يسلم على مر العصور من الاختلاف، والتبديل، وزرع اللبس، والحيرة، لدى التابعين له من النصارى، وغيرهم ممن تتوجه الكنيسة لهم بخطاب الدعوة، وحول ذلك يشير ابن خلدون بقوله: " وكان الأساقفة يدعون البطرك بالأب أيضاً تعظيماً له فاشتبه الاسم في أعصار متطاولة، يقال آخرها بطركية هرقل بالإسكندرية؛ فأرادوا أن يميزوا البطرك عن الأسقف في التعظيم فدعوه البابا، وظهر هذا الاسم أول ظهوره بمصر.. ثم نقلوه إلى صاحب الكرسي الأعظم عندهم وهو كرسي رومة لأنه كرسي بطرس الرسول! ...، فلم يزل سمة عليه إلى الآن "[٦]، ولا يزال المدعو يتحمل رزية ذلك منهم، وتتفاقم لديه بسبب ذلك الحيرة الحيرة والتشتت الذهني، ولاغرو فلابد أن يلازم ذلك هذه الاجتهادات البشرية التي يعتريها النقص، والقصور، وتخامرها الطوايا السيئة، والنوايا الفاسدة التي ضاع في ظلها لديهم الشعور

---

(١) أصل كلمة بابا (pope) إغريقية الأصل من الكلمة (papas) وتعني أب، وقد شاع استخدام هذا اللقب في الكنيسة منذ القرن الحادي عشر الميلادي، ويُنعت بعدة ألقاب منها: أسقف روما، نائب يسوع المسيح، الحبر الأعظم لكنيسة العالم، أبو الآباء، وهي ألقاب ترتبط بمنصب البابا، فهي جزء من الدستور المقدس للكنيسة الكاثوليكية، والبابا هو صاحب السلطة الفعلية لمدينة الفاتيكان وفقاً لاتفاقية (لاتران) سنة ١٢٤٨هـ. انظر ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، د. إبراهيم عكاشة علي، مرجع سابق، ص ١٧.

(٢) الكردينال عضو أعلى هيئة تساعد البابا في إدارة الكنيسة الكاثوليكية والمجلس الاستشاري، وهو يلي البابا في مرتبته مباشرة، والكرادلة هم الذين يختارون البابا من بينهم، ومنصب الكردينال لم يؤسسه المسيح عليه السلام، ولم يكن موجوداً في عصر الكنيسة الأولى، وقد ذُكر هذا الاسم مع غيره في وثائق القرن السادس الميلادي. انظر موقف الإسلام والكنيسة من العلم، عبدالله المشوخي (مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٢هـ) ص ٩٦. وانظر ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، د. إبراهيم عكاشة علي ، مرجع سابق، ص ١٧.

(٣) الأسقف والمطران وظيفة دينية أعلى من الكاهن والقسيس. انظر موقف الإسلام والكنيسة من العلم، عبدالله المشوخي، مرجع سابق، ص ٩٦.

(٤) البطرك هو رئيس الملة وخليفة المسيح، ويُسمى الأب تعظيماً له، وهو القيم على الدين والمقيم لمراسيمه. انظر المرجع السابق، ص ٩٦.

(٥) القسيس هو الإمام الذي يُقيم الصلاة في النصارى ويفتيهم. انظر المرجع السابق، ص ٩٦.

(٦) مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ) ص ١٨٣.

بالمسؤولية تجاه المدعو[1].

وفي حقيقة الأمر فإن " المتأمل في تاريخ المسيحية، يلاحظ أن الكنيسة لم تكن بمفهومها في القرون الوسطى معروفة زمن المسيح عليه السلام وإن كانت هناك سلطة معينة في زمنه، فإنها لم تتعد منحه عليه السلام لبعض تلاميذه سلطة التبشير بالتوبة، ووعظ الناس، وتهذيب الأخلاق، وهذا ما قام به الحواريون، ولا نجد في تاريخهم ما يدل على أنهم بنوا كنيسة، أو فكروا في إنشائها"[2]، وتركوا بذلك انطباعاً لدى مدعويهم يخالف ما جاءت به دعوة عيسى عليه السلام فهي "من البساطة، واليسر، بحيث لا تحتاج إلى ذلك التنظيم الكنسي الضخم"[3].

وبين ظهراني المسلمين من باشر هذا الاستخفاف بالمدعو، وسعى لإضلاله بالباطل، وخداعه بشتى المسالك، فكان على رأس من تحمل كبر هذه الخدائع عبدالله بن سبأ الذي أضرم نار الفتنة في أوساط المسلمين، حين أشاع في بعض أوساطهم جملة من الأفكار، والعقائد المنحرفة[4].

وهذا المنافق "لما أظهر الإسلام أراد أن يفسد الإسلام بمكره وخبثه، كما فعل بولص بدين النصارى، فأظهر النسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر حتى سعى في فتنة عثمان وقتله، ثم لما قدم على الكوفة أظهر الغلو في علي والنص عليه؛ ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك عليًّا فطلب قتله، فهرب

---

(١) قام النصارى بعقد ما يزيد على عشرين مجمعاً كان أولها المجمع الذي انعقد في نيقية عام ٣٢٥م والذي وضعوا فيه صيغة الأمانة، وكان آخرها المجمع الذي انعقد في روما عام ١٩٦٤م والذي تمخض عن تبرئة اليهود من دم المسيح، وكانوا في كل مجمع ينقضون ما قرروه في المجامع السابقة، أو يزيدون عليها، ويعتبرون من يخالف مقرراتهم كافراً محروماً من رحمة الكنيسة مما تسبب عنه تمزيق النصارى إلى مئات الفرق المتناحرة، وإزهاق أرواح الملايين منهم بسبب التعصبات المذهبية، والاضطهادات، ومحاكم التفتيش، كل ذلك من أجل أن ينتصروا لأهوائهم التي لم تستند على أساس علمي، أو وحي سماوي، أو تفكير سليم، ولإدراك كم تسبب ذلك في تضليل المدعو، وخداعه، وبلبلة فكره ننظر في بعض ما خرجت به تلك المجامع النصرانية من قرارات، ففي المجمع الأول ألهوا عيسى عليه السلام، وفي الثاني ألهوا روح القدس عليه السلام، وفي الثالث ألهوا مريم عليها السلام، وفي الثاني عشر منحوا الكنيسة حق الغفران، والحرمان، ومنح هذا الحق لمن تشاء من القساوسة، ورجال الكهنوت، وفي المجمع العشرين قرروا عصمة البابا، والإقرار بعصمته يعطيه حق النسخ، والتشريع. انظر ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية، والتبشير، إبراهيم السلمان الجبهان ، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٢) موقف الإسلام والكنيسة من العلم، عبدالله المشوخي، مرجع سابق، ص ٩٦.

(٣) المرجع سابق، ص ٩٧.

(٤) كان ذلك بداية الظهور لمعتقد الولاء لآل البيت، سنة ٣٥ هـ في زمن عثمان رضي الله عنه، على يد عبدالله بن سبأ، وهو يهودي من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان رضي الله عنه، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام...، انظر تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ٦٤٧/٢، ٦٤٨.

منه...، قال القاضي أبو بكر بن الطيب: وقد اتفق جميع الباطنية، وكل مصنف لكتاب، ورسالة منهم في ترتيب الدعوة المضلة على أن من سبيل الداعي إلى دينهم، ورجسهم المجانب لجميع أديان الرسل، والشرائع أن يجيب الداعي إليه الناس بما يبين، وما يظهر له من أحوالهم"(١).

وهذا المسلك في خداع المخاطب مضى فيه فئام من أهل البدع، والضلالة، كان منهم الجهمية، الذين عمدوا في إثبات باطلهم إلى "المقدمات الخفية التي فيها نزاع عظيم بين أهل الأرض، ومعلوم أن إفهام المخاطبين بمثل هذه الطريق لا يجوز، وليس هذا من البلاغ المبين الذي وصف الله به الرسول ﷺ، وقد وصف كتابه بأنه بياناً للناس، وليس هذا من البيان في شيء..."(٢)، فقد كان الجهم "ينتحل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر"(٣) ليُمَرِّر الضلالة على الناس.

والكلام على ذلك لا ينقضي لكون مسالك القوم في الإضلال، والخداع لم تنقض بعد(٤).

٤- ميل أصحاب هذه الدعوات إلى إكراه المدعو بالقوة أثناء دعوته، وإلزامه بأن يصدر عنهم في كل شأنه، وفي قصة أصحاب الأخدود بيان مدى الإعمال لهذا القهر الفكري تحت وطأة التعذيب النفسي، والجسدي، فنعرف أي مكانة للمدعو ضُيعت، وقيمة أهدرت بانبراء هذه الدعوات المنحرفة، ويظهر ذلك جلياً فيما قارفته أوربا في القرون الوسطى لتنصير المسلمين، حيث بدا ذلك في تيارين سعى أصحابها إلى هذا الهدف لدى المسلمين على الرغم من استقلال كل منهما عن الآخر في أسلوبه، وطريقته، لكنهما لا ينفكان عن العنف، والقوة في هذا المسعى: تجلى التيار الأول في الحروب الصليبية المتكررة على بعض بلاد المسلمين، وقام على تلك الحروب البابوات، وتابِعُوهم من الرهبان، حين أعياهم ما في الإسلام من منعة حالت دون بلوغهم

---

(١) منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ٤٧٩/٨.

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن (مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ١٣٩٢هـ)١/٤٩٩.

(٣) المرجع السابق،١/٤٢٠.

(٤) وقد كان لأولئك من دعاة الرافضة، والقرامطة الباطنية والجهمية، والمعتزلة، وغيرهم كالفئات المتأخرة من العلمانية، ودعاة التحرر، والانفلات، نصيباً من القبول لدى من انخدع بتضليلهم، فلقد امتطوا وسائل المنطق، والفلسفة، وعلم الكلام، والتأويلات الفاسدة فألبسوا بها الباطل ثوباً من الحق. للاستزادة حول ذلك انظر على سبيل المثال: الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، ٢/٢٤٠ و ٢/٤٦٤ و ١٠/٦١٢. وانظر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٨هـ) ١/٣٥١. وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم (دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ) ١/١٨.

بأهدافهم التنصيرية ساحة المسلمين، ورأوا أن الإسلام لا يمكن أن يتسامح معه إلا إذا أُسكت خاضعاً خانعاً، وأن الحل الوحيد، والنهائي هو تحطيمه[1]، وليس في الأمر غرابة، لأن الكنيسة كانت تعدكل تسامح للآخرين هو عداء موجه إليها، فرأت أن العنف هو السبيل لتنصير هؤلاء البرابرة، ولذا رأى الغرب المسيحي أن استعمال العنف، والإبادة ضد الإسلام عمل بدهي، وعادل، وفي منتهى الشرعية، وأن المسلمين حين ثبت تمنعهم بدينهم لا يستأهلون حتى النقاش معهم، ولكن بالأحرى يجب أن يبادوا بالنار، والسيف[2].

وأما التيار الثاني فقد تذرع أصحابه بسلاح المحاورة، والجدال، والإقناع بالحجة النصرانية، بيد أنهم لم يهجروا العنف، ويتخلوا عن الإبادة إذا لم يُجْدِ أسلوبهم مع "الخراف الضالة"[3]، وقد التزمت محاكم التفتيش تنفيذ القوانين التي فرضت الموت حرقاً لمن يتهم بالزندقة[4]، وبذلك تكون قد التقت مع أصحاب التيار الأول في الركون إلى العنف مع من تقوم بدعوتهم، واستمرأ القوم ذلك حتى فرضوا على المسلمين، واليهود في دار النصرانية أن لا يرفضوا الاستماع إلى المبشرين في مجامعهم[5]، وعلى الرغم من كون الكنيسة تفضل في ضوء هذا التيار سيف الكلمة بديلاً عن السيف، إلا أنها إذا وجدت أن هذا غير نافع وغير مُجْدٍ فإنها تسمح باستعمال السيف ضد الإسلام للدفاع عن النصرانية، والكنيسة لها الحق، بل إنه لواجب عليها أن تستعمل السلاحين[6]، وهم بذلك غير منصفين مع المسلمين فيعاملوهم بالمثل حين ترك لهم المسلمون الخيار، ولم يكرهوهم على الإسلام، وفي بيان ذلك ما رواه ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاتاً[7]، فتجعل

---

(١) نقلاً عن Islam and the west the making of an image, (Edinburgh, 1960m) p118. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، د. قاسم السامرائي (دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ) ص ٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٣.

(٣) يطلق النصارى هذه التسمية على من ليس على دينهم ممن يقومون بدعوتهم، ويدَّعون أنها في كتابهم المقدس.

(٤) وهذا هو الشأن لدى كثير من أصحاب الضلال والانحراف في تعاملهم مع الناس، فلدى الفكر اليوناني منهجه في استرقاق الناس بغير وجه حق، ووَضَع لذلك أسباباً وروافد لا يسوغ إمضاؤها في ظل العدل الذي يكفل ما للإنسان من مكانة لم ينلها إلا في كنف دعوة الإسلام، فقد ذُكر في معجم (لاروس) في مادة: رق، أن الذين يخرجون من الدين يسترقون للمعابد...، نقلاً عن: الإسلام وعالمنا المعاصر، دراسة في الدعوة والدعاة، د. صابر طعيمة (مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠١هـ) ص ١٦٢.

(٥) المرجع السابق، ص٩٥.

(٦) نقلاً عن المرجع السابق، ص ٩٥.

(٧) المرأةُ نَزِرةٌ أو مِقلاةٌ، بالتاء المربوطة أو المفتوحة: أي قليلةَ الوَلَد، أو التي لا يبقى لها ولد، انظر غريب الحديث لابن قتيبة، عبدالله بن بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، تحقيق د. عبدالله الجبوري (مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ) ٢/٥٦٤. وانظر النهاية في

فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا لا ندع أبناءنا فأنزل الله ﷻ: +لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ"(١)(٢)، فخير الرسول ﷺ الأبناء، ولم يكرههم على الإسلام(٣).

وإذا كان هذا هو شأن النصارى مع المسلمين، فهو لا يقل في شدته ونكايته فيما بينهم، فقد اشتد ضغط الكنيسة الكاثوليكية على المسيحيين، وبالغت في فرض آرائها عليهم مبالغة تجاوزت حد الغلو، ولم تسلك في ذلك سبيل الموعظة الحسنة، بل سلكت سبيل العنف، وركبت متن الشدة، فجعلت كل رأي في العلوم الكونية يخالف رأيها كفراً، وتحرق، أو تعذب من تراه كافراً بلا رفق، ولا هوادة(٤).

ومن صور ذلك ما قامت عليه بعض الفلسفات المعاصرة التي تبنت جملة من المبادئ الفكرية، والتنظيمات السياسية، فعمدت إلى تجاهل ما تفضل به الله تعالى على الإنسان من قدرة على التأمل فيما يطرح عليه، والتمييز بين الصالح والفاسد، بل جعلته وعاء فارغاً ليس له إلا ما يلقى فيه؛ لكونه يفتقر إلى القدرة على معرفة ما يحتاجه، ويصلح شأنه، حيث خرج الفكر الشيوعي بنظريته السلطوية القهرية(٥).

وثمة صورة أخرى للإكراه مارسها أهل هذه الدعوات الضالة، ورسخت القناعة بضعف ما للمدعو من مكانة لدى أهلها، وتكمن في استغلال الظروف القاسية، والأحوال الصعبة التي يمر بها

غريب الأثر، ابن الأثير محمد بن محمد الجزري، مرجع سابق، ٣٩/٥.

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الأسير يُكره على الإسلام (١٣٢/٣ رقم ٢٦٨٢).

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، مرجع سابق، ١/ ٣١٨، وانظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، مرجع سابق، ١/ ٢٧٥.

(٤) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص٢٠٤.

(٥) الإنسان في ظل هذه النظرية مخلوق تابع، لا يتمكن من تحقيق مصالحه، والتعالي في المراتب إلا بتوجيه وعناية السلطة، ولذا فإن هذه المصالح ليست نتيجة للنظر، والتأمل الراشد الذي ينساق مع ما وضعه الله لعباده من ضوابط تكفل ذلك، وتعين على تحقيقه، وإنما يحددها عدد قليل من الحكماء يقومون بحكم مركزهم بتوجيه الناس، والسيطرة عليهم، وهذا يدل على أن الإنسان في ظل هذه الفكرة مخلوق تابع غير قادر على الاعتماد على نفسه، يُقاد ويوجه، وليس له كيانه، ومكانته. للاستزادة حول ذلك انظر: كتاب الأسس النظرية لنظريات الإعلام د. جيهان رشتي (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨م). وانظر المتلاعبون بالعقول، هربرت. أ. شيللر، ترجمة عبدالسلام رضوان (سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٤٠٧هـ).

المدعوون في بعض البلاد، ويتعاملون مع ذلك باعتباره فرصة مكنتهم من فرض ما يرغبون على المدعو للضعف الذي اعتراه بسبب هذه الظروف، ويكمن أغلبها في الحروب، والكوارث الطبيعية: كالزلازل، والفيضانات، والمجاعات، وما ينجم عنها من تشرد، وفقر، ومجاعة، ومرض(١)، ولذا فدعوتهم لهذه الفئات المنكوبة لم تقم على مراعاة الجانب الإنساني الذي يقتضي التكريم، والاهتمام بإجراء خطاب يقوم على الإقناع، وليس على لوي الذراع، وكل ما لدى القوم من ذلك يكمن في اهتبال مثل هذه الفرص لافتقارهم إلى ملكة الإقناع وأسبابه، ظنًّا منهم أن تقديم المساعدات لوحدها كفيل بتكوين القناعة لدى المدعو، وكسبه إلى صفهم، وفي حقيقة الأمر فقد وقر في روع القوم ضعف أداتهم، وتهافت مضامينهم، وعجز ذلك عن زرع قناعة راسخة لدى المدعوين، وتصديقهم لدعاواهم الواهية، ويعترف بذلك أحد المنتسبين لتلك الدعوات الواهية(٢) بقوله: "إني أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين في المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين، لقد كانوا أحد ثلاثة: إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه بالإسلام، وإما رجل مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوته، قد اشتد به الفقر، وعزت عليه لقمة العيش، أما الآخر فيبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية"(٣).

٥- طغيان العصبية، والعنصرية التي تقوم على العرق، أو الدين، أو المنزلة الاجتماعية، فتحدو ببعض أصحاب هذه الدعوات إلى احتقار من سواهم، والشح بالخير -المزعوم في دعوتهم- عليهم، باعتبارهم أقل منهم شأناً، وليسوا جديرين بهذا الخير، ولذا فإنه يروق لأصحابها أن يبقى من سواهم على حالهم السيئ، ويسؤوهم أن يشاركوهم في دينهم أو ملتهم، أو أن يظهروا عليهم بدين يخالف دينهم، فيفوقوهم به، وقد تفاقم أثر ذلك فيما بين اليهود، والنصارى حين تعالت كل طائفة على الأخرى، ثم تعالت الطائفتان على من سواهما، قال الله تعالى: +وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ"

---

(١) سلك النصارى في ذلك مسالك شتى، خصوصاً في أوساط المسلمين الذين يكثر في بلادهم ظهور مثل هذه الابتلاءات، وللاستزادة حول ذلك انظر: ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، د. إبراهيم عكاشة علي ، مرجع سابق، الصفحات ٢٥-٣٨.

(٢) هو رئيس جمعيات التبشير في الشرق الأوسط (صموئيل زويمر)، ذكر ذلك ضمن خطابه في مؤتمر القدس الذي عقده المبشرون في القدس في عام ١٩٣٥م. انظر: ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير، إبراهيم السلمان الجبهان ، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(٣) المرجع السابق.

[1]، يبين الله تعالى اغترار اليهود، والنصارى بما هم فيه حيث ادعت كل طائفة أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها، إذ قالوا عن أنفسهم كذباً، وتجنياً بأنهم: +أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ" [2]، ومضت بهم عصبيتهم إلى التناقض، والتباغض، والتعادي، والتعاند، حين قدم وفد نصارى نجران على رسول الله ﷺ، أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ، فقال رافع بن حريملة[3]: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى وبالإنجيل، وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوءة موسى، وكفر بالتوراة، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: +وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ" [4][5].

ولعل هذه العصبية تظهر جلية فيما وقفه الملأ من قوم نوح عليه السلام حين رأوا أن العوام من الضعفاء، وغيرهم قد سبقوهم إلى تلقي هذه الدعوة، والأخذ بها: +فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ"[6]، فزهدوا فيها تنزهاً عن مشاركة الأراذل على حد زعمهم: كالباعة، والحاكة، وأشباههم[7]، ولم ينلهم بهذا الاتباع فضل يغير من كونهم أراذل، وعدوا ذلك دليلاً على عدم نبوة نوح عليه السلام [8].

ولهذه النعرة أيضاً مكامن أُخرى نجدها في نظرة اليهود إلى من سواهم، فقد كانوا يتعالون على العرب، ويقولون قبل بعثة الرسول ﷺ: بأنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل

---

(١) سورة البقرة، الآية ١١١.

(٢) سورة المائدة، الآية ١٨.

(٣) ذكره الإمام محمد بن إسحاق فيمن ناصب الإسلام العداء، ومن أهل الشرور، والعداوة لرسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، وأصحاب المسألة الذين يكثرون الأسئلة لرسول الله على وجه التعنت، والعناد، والكفر، وقد ذكرهم فيمن أسلم من أحبار اليهود على سبيل التقية، فكانوا كفاراً في الباطن، فاتبعهم بصنف المنافقين، وكانوا يحضرون المسجد، ويسمعون أحاديث المسلمين، ويسخرون، ويستهزئون بدينهم، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ يوم مات فيما بلغنا: قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين. انظر البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٠م) ٢٣٦/٣، ٢٣٧، ٢٤٠.

(٤) سورة البقرة، الآية ١١٣.

(٥) انظر البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ٥٦/٥. وانظر السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام أبو محمد ، مرجع سابق، ١١٢/٣.

(٦) سورة هود، الآية ٢٧.

(٧) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٢/ ٤٥٨.

(٨) انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي ، مرجع سابق، ٢٠١/٤.

عاد وإرم، لكنهم بعد بعثته بادروا بإنكار نبوته، وعدم الإيمان بما جاء به – عليه الصلاة والسلام – حين رأوا أنه ليس من عرقهم[١]، دفعهم لذلك الحسد، والترفع على من سواهم ممن أجابوا الرسول الذي طالما أخبروا بظهوره مما يجدونه مكتوباً في أسفارهم[٢]، لكنهم كتموا ما بأيديهم من التوراة، مما فيه تصديق محمدﷺ ودعوته: +ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ"[٣]**، وهذا جلي فيما رواه أنس بن مالك ﷺ عندما قدم الرسول ﷺ ومعه صاحبه أبو بكر ﷺ إلى المدينة، فقد جاء إليه عبدالله بن سلام، فقال: أَشهَد أَنك رسول الله، وأَنك جئت بحق، وقد علمت يهود أَني سيدهم، وابنُ سيّدهم، وأَعلمهم، وابن أَعلَمهم، فادعهم فاسأَلْهم عني قبل أَن يعلموا أَني قد أَسلمت، فإِنهم إِن يعلموا أَني قد أَسلمت قَالوا فيَّ ما ليس فيَّ، فأَرسل نبي الله ﷺ فأَقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ** : «يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فو الله الذي لا إِله إِلا هو إِنكم لتعلمون أَني رسول الله حقا وأَني جئتكم بحق فأَسلموا» **قالوا ما نعلمه قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاث مرار قال:** «فأَي رجل فيكم عبد الله بن سلام» **قالوا: ذاك سيدنا، وابن سيدنا، وأَعلمنا، وابن أَعلمنا، قال:** «أَفرأَيتم إِن أَسلم» **قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم قال:** «أَفرأَيتم إِن أَسلم» **قالوا حاشى: لله ما كان ليسلم قال:** «أَفرأَيتم إِن أَسلم» **قالوا: حاشى لله ما كان ليسلم قال:** «يا ابن سلام اخرج عليهم» **فخرج فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله فو الله الذي لا إِله إِلا هو إِنكم لتعلمون أَنه رسول الله، وأَنه جاء بحق، فقالوا: كذبت. فأَخرجهم رسول الله ﷺ »[٤]، وإنما باشروا هذا الإنكار السافر سعياً منهم لصرف الناس عن هذه الدعوة حسداً للناس على ما آتاهم الله من فضله[٥]، وإنكاراً لأي نبي، وتمرداً على كل دين طالما لم يبعث به أحد منهم تعصباً وعنصرية،**

---

(١) انظر السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام أبو محمد، مرجع سابق، ١٧١/١. وللاستزادة انظر أخلاق اليهود وأثرها في حياتهم المعاصرة، وفاء صادق (دار الفرقان،عمّان، ١٤٠٨هـ) ص ٦٧ وما بعدها، وانظر بنو إسرائيل في القرآن الكريم، د. محمد عبدالسلام محمد (مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٠هـ) ص ٧٧ وما بعدها.

(٢) وعن ذلك أخبر القرآن الكريم فقد نزل فيمن آمن بمحمد ﷺ وفيهم قول الله تعالى: +وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ" سورة البقرة، الآية ٨٩.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٤٦.

(٤) أخرجه البخاري، في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، (رقم ٣٩١١) (ص٧٤٤ . ٧٤٥) طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٥) وفي ذلك يقول الله تعالى: +وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا

وترفعاً على من سواهم ممن لا يستأهلون في نظرهم أن يكونوا أتباعاً لنبي من بني إسرائيل[1]، ولا ريب في انعدام ما للمدعو من مكانة لدى أهل هذه النظرة الشاذة التي زهدتهم في السعي لدعوته وإصلاحه.

٦- ومن الدلائل على ما للمدعو من مكانة رديئة - لدى أصحاب الدعوات غير الإسلامية - تجاهلهم لبعض فئات المدعوين، وإهمال الاتصال بهم، والسعي لدعوتهم، وذلك بتحري مواقعهم والذهاب إليهم فيها، والاهتمام بإنقاذهم، والعمل على تحقيق السعادة لهم، والحزن على شقائهم وضلالهم، فكانت هذه الفئات مهملة حرمت في بيئتها ممن يقوم بدعوتها، وتوجيهها، وغابت عنها بسبب ذلك سوانح الصلة بالدين الحق الذي يكفل الله به لها فرص النجاة.

مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ" سورة البقرة، الآية ١٠٩.

(١) يقوم ذلك على سيطرة فكرة (شعب الله المختار) على أذهان اليهود طوال السنين والأحقاب، وعدوا غيرهم من شعوب العالم تبعاً لذلك أقل منهم منزلة، وسموهم ب (الأميين)، وللاستزادة انظر الصهيونية والإسلام، أنور الجندي، دراسة ضمن مجموعة دراسات تحت عنوان: قضايا معاصرة وبيان وجه الإسلام فيها (دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٩م) ص ٤ وما بعدها.

المبحث الثالث

أهمية اعتبار المكانة في حياة الناس

يقوم ذلك على نزعة تنتاب الناس كلما جرى اتصال، وتفاعل فيما بينهم على أي صورة من صور ذلك، وأشكاله، ويرتبط ذلك بما عليه حال الإنسان مما يهتم به، ويؤبه له مما يشيع في أوساط الناس، وأعرافهم من معايير الأهمية، ومظاهرها.

وهذه النزعة التي تحكم التعامل بين الناس، وتؤثر فيه لا يسوغ تجاهلها، فهي طبع جبل عليه الإنسان يقتضي الانتباه له، ومراعاته، وتندرج بذلك مع كل الأمور الجبلية التي راعاها الإسلام في كل شرعه، وتنظيمه باعتبارها أصل في خلقة الإنسان، وتكوينه، تتطلب الاحتفاء، والمراعاة، لا الإهمال، والتجاهل؛ فكان من مظاهر ذلك معالجة الإسلام لدوافع هذه النزعة، ومسبباتها: كحب التملك، والسيطرة، والاستطلاع[1] وصفات الكبر، والعجب، والغيرة، والحسد[2]، فقد عالج الرسول ﷺ ما يعتري الإنسان من انسياق وراء الحيازة، والتملك في سبيل الظفر بمكانة، وريادة يبين بها على غيره، وبنى عامة الناس ذلك على رصيد من المكانة لفئام منهم في أوساطهم، فكان في ذلك الذريعة لرد اصطفاء محمد ﷺ بالرسالة دون غيره ممن كانت لهم تلك المكانة في زعمهم، فقد حكى القرآن الكريم قولهم، : +وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ" [3] [4]**، لكن الإسلام يوجه ذلك في وجهه الحسن، فيبين معالم المكانة التي يجب أن يكون لها اعتبارها في حياة الناس، فقد قال الرسول ﷺ:** «لا تحاسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار، يقول: لو أُوتيت مثل ما أُوتي هذا لفعلت كما يفعل، ورجل آتاه الله مالاً ينفقه في حقه فيقول: لو أُوتيت مثل ما أُوتي هذا لفعلت كما يفعل»[5]**، وهكذا الشأن في نزوع الإنسان إلى السيطرة يأتي التوجيه القرآني بصرف ذلك في طريقه الصحيح، وسبيله المثمر، قال الله تعالى:** +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ

---

(١) انظر: الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، د. عبدالرحمن بن إبراهيم المطرودي (مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٠هـ) ص ٣١٤ وما بعدها.

(٢) انظر: السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب (دار التراث العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ) ص ٤٥ وما بعدها، وانظر منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور (دار النهضة العربية، بيروت، ١٤١١هـ) ص١٢٣ وما بعدها.

(٣) سورة الزخرف، الآية ٣١.

(٤) كان المقصود بذلك كل من الوليد بن المغيرة المخزومي سيد قريش بمكة، وأبي مسعود عمرو بن عمير الثقفي، سيد ثقيف بالطائف.

(٥) أخرجه البخاري، في كتاب التمني، باب تمني القرآن والعلم، (رقم ٧٢٣٢) (ص١٣٨٠)، طبعة بيت الأفكار الدولية.

يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ"[1]، إن الردة عن دين الله دلالة على الضعف أمام النفس، وعدم القدرة على السيطرة عليها، وهاهنا تعطيل لهذا الطبع المستقر، وإهدار لما يمكن أن يصرف نحوه في السيطرة الإيجابية على كل ما يعتري صلة الإنسان بربه، وهكذا شأن الإسلام مع سائر الطباع الإنسانية التي يقف وراءها السعي لتحقيق المكانة، والمنزلة، فقد تم ضبطها لتكون سبباً في نجاح الإنسان، وفلاحه، وبالتالي تمكنه من المكانة العالية، والمنزلة المرموقة، التي يتقرب بها إلى الله، وليست المكانة الزائلة التي تبعده عن الله ورحمته، ويمكن القول: إنه يكمن – خلف أهمية اعتبار هذه المكانة والاحتفاء بها في حياة الناس– عوامل عدة منها:

١– تحقيق الألفة، وتحصيلها بين الناس، وإشاعة الود والمحبة فيما بينهم، ومن المؤكد أن ذلك لن يجتمع في بيئة تقوم الصلة فيها على عدم اعتبار ما للناس من مكانة، ومنزلة، قال الرسول ﷺ: «ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»[2]، **وقال عليه الصلاة والسلام:** «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا»[3]، **ولاشك أن التمكن من مجتمع بتلك الصفات يتيح بيئة مثلى للاتصال الفعال مع سائر الناس على اختلاف أحوالهم، فتقوى بذلك فرصة التأثير فيهم.**

٢– إشعار صاحب المكانة بها في حال غيابها، عنه وعدم شعوره بما يراه الناس فيه، ولفت انتباهه لما في نفسه نشداناً لعرفانه، واستجلاباً لقلبه، وإحياء لمكامن الإثمار، والإنتاج لديه، قال الله تعالى: +وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ"[4]، **ولأهمية الإخبار بهذه المكانة، واسترعاء الانتباه إليها فقد حملتها الملائكة بأمر ربها إليها بتكرير نداداتها بـ: ﴿يَٰمَرْيَمُ﴾ ؛ للإشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من أحكام الاصطفاء[5]، لما بلغته من مكانة عظيمة في العبادة، والكمال، حين اختارها الله تعالى، ووهب لها من الصفات الجليلة،**

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣٢٣) والحاكم (١٢٢/١) وقال: مالك بن خير الزيادي مصري ثقة. ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٤٤٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٨٥/٢) والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٣٥٤) والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان (رقم ١٩٢٠) ص٣٢٤ ط بيت الأفكار الدولية والحاكم (٦٢/١) وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٤٤٤).

(٤) سورة آل عمران، الآية ٤٢.

(٥) انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، مرجع سابق، ٣٤/٢.

والأخلاق الحميدة، وطهرها من الرذيلة، لتغتبط بنعم الله، وتشكر الله، وتقوم بحقوقه، وتشتغل بخدمته[1]، ولهذا قالت الملائكة: +يَـٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ" [2] أي أكثري من الطاعة، والخضوع، والخشوع لربك، وأديمي ذلك،: +وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّـٰكِعِينَ" [3]، أي صلي مع المصلين، فقامت بكل ما أُمرت به وبرزت وفاقت في كمالها[4]، وفي هذا السياق أيضاً يخاطب الرسول ﷺ أحد أصحابه، وهو أشج عبد القيس[5] بقوله: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»[6]**، ويقيناً فإن هذا المستوى من الخطاب كفيل بإيقاظ المخاطب، وحثه على الاستزادة في ميدان ملكاته التي غابت عنه، واستثمارها في ما يقربه إلى ربه فكم من ملكة ضامرة لدى إنسان افتقر إلى من يستدعيه إليها، ويشعره بها.**

٣- إشعال روح المنافسة في مضمار الصلة بالله، والقرب منه بواسطة حفز المخاطبين إلى استجداء إمكاناتهم، وقدراتهم من مكامنها في أنفسهم إلى أقصى مداها، والبحث عمّا يكون قد غاب منها عنهم، ويقيناً فإن الإشادة بأهل القدرة – وبيان مكانتهم تصريحاً، أو تعريضاً في ثنايا التعامل معهم – من أهم أسباب إذكاء هذه الروح، وبعثها لديهم، ولدى غيرهم ممن يشاركهم في بيئتهم، ومجتمعهم، وعلى هذا المنوال نرقب هدي الإسلام، وتنظيمه، قال الله تعالى: +وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مرجع سابق،١/٢٦٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٤٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٤٣.

(٤) انظر المرجع السابق، ١/٢٦٦.

(٥) هو الأشج العبدي يقال له أشج بن عبد القيس، ويقال له أشج بني عمر، مشهور بلقبه هذا، واسمه فيه خلاف، فقيل بأنه المنذر بن عمرو، أو ابن الحارث، وقيل المنذر بن عائذ بن الحارث بن عمرو بن زياد بن عصر...، وقيل المنذر بن عائذ بن الحارث بن المنذر بن النعمان العصري، وكان قدومه ومن معه من البحرين على رسول الله ﷺ سنة عشر من الهجرة، وقيل سنة ثمان قبل فتح مكة، بعد أن كتب عليه الصلاة والسلام إلى أهل البحرين، فقدم عليه عشرون رجلاً منهم، وقد كان صديقاً لراهب ينزل بدارين، فكان يلقاه في كل عام، فلقيه عاماً فأخبر الأشج أن نبياً يخرج بمكة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه علامة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، مرجع سابق، ١/٨٧ و ٣/٤١٠. وانظر: معجم الصحابة، عبدالباقي بن قانع أبو الحسين تحقيق صلاح بن سالم المصراتي (مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ) ٣/١٠٣. وانظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري ، مرجع سابق،٥/٥٥٧.

(٦) أخرجه مسلم، في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين، والدعاء إليه والسؤال عنه، (١/٤٦ . ٤٩ ٤٩ رقم ١٧) (٢٥، ٢٦).

أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ" [1]، **وهـذا الإخبـار مسـوق لمـدح الأنصـار بخصـال حميـدة مـن جملتهـا محبتهـم للمهـاجرين، ورضـاهم باختصـاص الفـيء بهـم أحسـن رضـا، وأكملـه، ولصـدق إيمـانهم أحبـوا قـدومهم إلـيهم فـآثروهم علـى أنفسـهم فـي كـل مـا احتـاجوه**[2]، **ويقـول الله تعـالى:** +وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ" [3]، **يخبر الله سبحانه عن بعض أنبيائه – عليهم السلام – ببعض نعمه عليهم من فضل ومكانه التي بوأهم بها، فقد أثنى على أيوب ﷺ لعظم صبره، وكونه رجَّاع إلى الله تعالى، وأثنى سبحانه على إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، لكونهم أولي القوة في الطاعة، والبصيرة في الدين، فصاروا بذلك من المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم في الخير**[4]، **ولاشك أن هذا الإخبار يترك في نفس محمد ﷺ أثراً لطيفاً، حين يأتيه التوجيه من الله سبحانه بأن يذكر ما عرض لهؤلاء الأنبياء عليهم السلام؛ ليعيش بذلك ويتقوى به، ويتأمل صبرهم، ورحمة الله بهم، فيصبر على ما يلقاه من قومه المكذبين الضالين، إذ الصبر ذخيرة الدعاة في خدمة الدعوة، وهو سبيل للتمكين من الله تعالى، والعوض عن المكابدة، والعناء بالنصر، والأجر، والعاقبة الحميدة، وفي ذلك الهدي النبوي معالم نيرة لسائر الناس، تذكي في نفوسهم الحرص على هذه الخصال، التي كانت من أسباب اصطفاء الله سبحانه لأنبيائه، وفي السياق نفسه يتحدث الرسول ﷺ عن نفر من أصحابه – رضوان الله عليهم – بقوله:** «اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي: أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود»[5]، **وبقوله لأبي بكر ﷺ:** «أنت عتيق الله من النار»[6]، **وبقوله لسعد بن أبي وقاص ﷺ:** «يا سعد إرم، فداك أبي وأمي»[1]، **وبقوله عن خالد بن**

---

(١) سورة الحشر، الآية ٩.

(٢) انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي ، مرجع سابق، ٨ / ٢٢٨.

(٣) سورة ص، الآيات من ٤٤ إلى ٤٧.

(٤) انظر المرجع السابق، ٢٢٩/٧.

(٥) أخرجه الترمذي، في كتاب المناقب ، باب مناقب عبد الله بن مسعود ﷺ، رقم ٣٨٠٥، ص٥٩١ ط بيت الأفكار الدولية. وقال: وقال: هذا حديث حسن غريب. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث ٢٣٢٩٣، ٣٨٢/٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١١٤٤).

(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه، في كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم، ونسائهم بذكر أسمائهم، باب ذكر السبب الذي الذي من أجله سمي أبو بكر عتيقاً، رقم الحديث ٦٨٦٤، ٢٧٩/١٥. وأخرجه الترمذي في سننه، في كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – (رقم ٣٦٧٩) والبزار (١٦٣/٣ رقم ٢٤٨٣) وقال البيهقي في مجمع الزوائد (٤٣/٩)

بن الوليد ﷺ: «خالد سيف من سيوف الله ﷻ، ونعم فتى العشيرة»[٢]، **وبقوله ﷺ عن مخيريق**[٣]: «مخيريق سابق يهود»[٤]، **وبقوله ﷺ عن جملة من أصحابه في ما رواه أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال**: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[٥]، **وفي حقيقة الأمر فإن كل ما جاء في بيان فضائل الأعمال، وما ينتظر أهلها من مكافأة، وجزاء يعد متضمناً لضرب من ضروب التشجيع على المنافسة في ميدان الصلة بالله سبحانه، والتقرب إليه.**

٤- التمشي مع الطبع الإنساني الذي يقوم على انتظار الاحتفاء، وترقب الإكرام، والاحترام، لما في ذلك من زرع للاطمئنان في روع المخاطب إلى ما في قلوب المحيطين به عن مكانته، ومنزلته، فيتزود بذلك على إثراء تفاعله المثمر معهم، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «أمرنا

رواه البزار والطبراني بنحوه ورجالهما ثقات وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٤٨٢).

(١) أخرجه البخاري، في كتاب المغازي ، باب (إذ همت طائفتان منكم)، (رقم ٤٠٥٩) ص٧٧١ ط بيت الأفكار الدولية ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ (١٨٧٦/٢ رقم ٢٤١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث (رقم ١٦٨٦٩)، ٩٠/٤.

(٣) هو مخيريق النضري الإسرائيلي، من بني النضير، أسلم واستشهد بأحد، ويقال إنه من بني قينقاع، ويقال من بني القطيون، كان عالماً، وكان أوصى بأمواله للنبي ﷺ ، وهي سبع حوائط، فجعلها النبي ﷺ صدقة، وشهد أُحدا فقتل بها، فقال رسول الله ﷺ مخيريق سابق زفر، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة، وروي أن النبي ﷺ لما خرج إلى أحد، قال لليهود ألا تنصرون محمداً، والله إنكم لتعلمون أن نصرته حق عليكم، فقالوا اليوم يوم السبت، فقال لا سبت، وأخذ سيفه ومضى إلى النبي ﷺ فقاتل حتى أثبتته الجراحة، فلما حضره الموت، قال أموالي إلى محمد يضعها حيث شاء، وذكر بأمواله وسماها. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سابق، ٥٧/٦.

(٤) أورده ابن حجر في الفتح، ولم أجده في كتب الحديث، انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٢٠٣/٦.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت، وأبي عبيدة بن الجراح ﷺ، رقم الحديث ٣٧٩٠، ٦٦٤/٥. وقال حديث حسن غريب. وأخرجه ابن ماجة في سننه، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضائل خباب، رقم الحديث ١٥٤، ٥٥/١. وابن حبان كما في الإحسان (١٣١/٩ رقم ٧٠٨٧) وأحمد (١٨٤/٣، ٢٨١) والحاكم (٤٢٢/٣) والبيهقي (٢١٠/٦) والطيالس (١٤٠/٢ رقم ٢٥٢٠) وعبد الرزاق وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٨٩٥).

رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم»(1)، **وقد تمثلت -رضي الله عنها – ما ينطوي عليه هذا الأمر الكريم من فقه، نراه في ما رواه ميمون بن أبي شبيب أن عائشة – رضي الله عنها – مر بها سائل فأعطته كسرة، ومر بها رجل عليه ثياب، وهيئة فأقعدته فأكل، فقيل لها في ذلك، فقالت: قال رسول الله ﷺ:** «أنزلوا الناس منازلهم»(2)، **والمعنى "أي عاملوا كل أحد بما يلائم منصبه، في الدين والعلم، والشرف، ... والمراد الحض على مراعاة مقادير الناس، ومراتبهم، ومناصبهم، وتفضيل بعضهم على بعض، في المجالس، وفي القيام، وغير ذلك من الحقوق"**(3).

ولقد وضح ذلك جليًا في الصيغة الرصينة التي خاطب بها الرسول ﷺ الملوك، والأمراء، والزعماء في رسائله إليهم، فكفرهم لم يحل دون نعته ﷺ إياهم بما عرفوا به من ألقاب في أقوامهم،تدل على مكانتهم فيهم، فقد كتب إلى النجاشي(4):»بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب

---

(1) أورده الإمام مسلم في مقدمة صحيحه، (6/1) معلقاً بدون سند مشيراً لضعفه بقوله: وقد ذُكِرَ عن عائشة، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم 1344).

(2)أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، (173/5 رقم 4842).

(3) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ، مرجع سابق، 131/13.

(4) ورد خلاف حول النجاشي الذي أرسل إليه رسول الله ﷺ كتابه، لكون النجاشي لقب للملك وليس اسماً لرجل، والراجح أنه غير أصحمة، الذي استقبل المهاجرين الأولين، فقد جاء عن أنس رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي... وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ . انظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل، (رقم 1397/3، 1774). ويؤيد ذلك ما جاء ضمن حديث طويل، أن الرسول ﷺ قال: «إني قد كتبت إلى النجاشي فخرقه، فخرقه الله مخرق الملك...» قال عباد: فقلت لابن خثيم، أليس قد أسلم النجاشي، ونعاه رسول الله ﷺ بالمدينة إلى أصحابه فصلى عليه؟ قال بلى، ذاك فلان بن فلان، وهذا فلان بن فلان، قد ذكرهم ابن خثيم جميعاً ونسيتهما. مسند الإمام أحمد، رقم الحديث 16737، 74/4. أما النجاشي الذي أسلم فاسمه أصحمة، معدود في الصحابة رضي الله عنهم ، وأول من آمن بالنبي ﷺ من الملوك، وحسن إسلامه، ولم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، وصحابي من وجه، وأسلم على يد ابن عم الرسول ﷺ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وزوجه أم حبيبة رضي الله عنها، وجهزها من عنده، وأرسلها للنبي ﷺ من الحبشة إلى المدينة، وقد توفي في حياة النبي ﷺ فصلى عليه بالناس صلاة الغائب. وللاطلاع على أخباره رضي الله عنه مع النبي ﷺ، وهداياه إلى النبي ﷺ وهدايا النبي إليه، وبعض أخبار الحبشة، وما ورد فيهم من الآيات والأحاديث والآثار، فلينظر في كتاب الطراز المنقوش في محاسن الحبوش للإمام علاء الدين محمد بن عبد الله البخاري خطيب المدينة المنورة، ورفع شأن الحبشان لجلال الدين السيوطي، وتنوير الغبش في فضائل السودان والحبش لابن الجوزي،. انظر سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبدالله، مرجع سابق، 428/1. وانظر تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبدالرحمن بن حسن الجبرتي (دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ الطبعة) 442/1.

محمد رسول الله، إلى النجاشي الأصْحَم[1]، عظيم الجيش، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاء الله، فإني أنا رسول الله...«[2]، **وكتب – عليه الصلاة والسلام – إلى كسرى:** «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس..»[3]، **وبالخطاب نفسه كانت رسالته ﷺ إلى هرقل[4] عظيم الروم[5]، ولاشك أن الانتباه لهذه المكانة ومراعاتها يترك انطباعاً حسناً في نفس من يحظى بها، ويتم بها درء كل موقف متوقع قد يترتب على إهمالها، وهذا التعامل الرزين، والخطاب المرهف ينساق في جملة من التوجيهات كلها، يدعو إلى مراعاة هذا الطبع المتأصل في النفس الإنسانية، لإشعارها بمكانتها لدى من يخاطبها، وأنها تحوز لديه رصيداً من التقدير والمحبة، يجعلها تطمئن إلى وضعها، وتستكين لما يلقى عليها، وبهذه الروح كان الرسول ﷺ يباشر دعوته بدءًا من طورها المكي، فقد كان "لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب، له اسم وشرف، إلا**

---

(١) الأَصْحَمُ و الصُّحْمَةُ: سواد إلى الصُّفْرة، وقيل: هي لون من الغُبْرة إلى سواد قليل، وقيل: هي حمرة وبياضٌ، وقيل: صفرة في بياض، وقيل الأَصْحَمُ الأَسْوَدُ الحالِكُ. انظر لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة: صحم. ومن المعلوم أن وصفه بذلك مما يشرف به، لكون السواد في تلك المجتمعات سمة لأهلها، ودلالة على أصالة أعراقهم.

(٢) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ) حديث (رقم ٤٢٤٤)، ٦٧٩/٢.

(٣) أورد أبو يعلى خبر هذه الرسالة في مسنده دون ذكرها، انظر مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي أبو يعلى، تحقيق حسين سليم أسد (دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ) (١٧٢/٣ رقم ١٥٩٧) كما أورد الطبري نص الرسالة في تاريخه، انظر تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ) ١٣٢/٢. وأخرجه أحمد (٤٤١/٣ . ٤٤٢) وابنه عبد الله (٧٤/٤ . ٧٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣٤/٨ . ٢٣٦): رواه عبد الله بن أحمد أبو يعلى ورجال أبي يعلى ثقات ورجال عبد الله بن أحمد كذلك.

(٤) يلقب من تولى الملك على الروم قيصر، وهرقل هو القيصر الرومي الذي كتب إليه النبي ﷺ . انظر نزهة الألباب في الألقاب، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، مرجع سابق، ١٠٦/٢.

(٥) وهذه الرسالة جزء من حديث أبي سفيان الطويل في صفة النبي ﷺ، ونصها: «... بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله... إلى قوله: اشهدوا بأنا مسلمون». أخرجه البخاري، في كتاب التفسير، باب قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، (رقم ٤٥٥٣) ص٨٦١ . ٨٦٣ ط بيت الأفكار الدولية. ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي × إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام (١٣٩٣/٢ . ١٣٩٧) (رقم ١٧٧٣).

تصدى له، فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده"[١].

كما أن رعاية تلك المكانة لا تقف عند حد التعامل معها حين تطرأ مسبباتها وتعرض لنا بظروفها، كما في رعاية عائشة – رضي الله عنها – لمكانة الرجلين في الحديث سابق الذكر، بل تتجاوز ذلك إلى المبادرة في البحث عن أصحابها وإشعارهم بمقدارها في النفس، فحسن أثر ذلك لدى المخاطب متضاعف وعرفانه له جزيل، فقد أتى أبو سالم الجيشاني[٢] **أبا أمية في منزله فقال: إني سمعت أبا ذر يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول:** «إذا أَحب أَحدكم صاحبه فليأْته في منزله فليخبره أَنه يحبه لله. وقد جئتك في منزلك»[٣]، **وشواهد الترسم لهذا الهدي بائن في سيرة أصحاب الرسول ﷺ، فقد روى ابن الكلبي وغيره أن عمر ﷺ لما بلغه إسلام جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان فرح بإسلامه، ثم بعث يستدعيه ليراه في المدينة، فركب إليه في خلق كثير من قومه، وتلقته هدايا عمر، وأنزله قبل أن يصل المدينة بمراحل، وكان يوم دخوله إليها يوماً مشهوداً، فقد خرج أهلها إليه رجالاً، ونساء ينظرون إليه، ولما سلم على عمر رحب به، وأدنى مجلسه، وشهد الحج معه في تلك السنة، وليس ذلك لفضل فاق به غيره من المسلمين، ولكنها تلك المكانة التي حازها في قومه، واعتاد بسببها ما يلقاه لديهم من رعاية، وتكريم، قد يصدم حين يفتقدها في بيئته الجديدة التي انتقل إليها بإسلامه، ولا يدور في الخلد أن قول الرسول ﷺ:** «إذا أَتاكم كريم قوم فأَكرموه»[٤] **قد غاب عن عمر ﷺ وهو يعامل ملك غسان بهذا الإكرام، والقاعدة تلك، تَطَّرِد في كل موقف يستدعي إعطاء صاحب المكانة مكانته، فعن سهل بن أبي حثمة، ورافع بن خديج: أن محيصة بن مسعود، وعبد الله بن سهل انطلقا قبل خيبر فتفرقا في النخل فقتل عبد الله بن سهل، فاتهموا اليهود فجاء أخوه عبد الرحمن وابنا عمه حويصة، ومحيصة إلى النبي ﷺ فتكلم عبد**

---

(١) انظر السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام بن أيوب المعافري أبو محمد، مرجع سابق، ٢٧٣/٢.

(٢) هو سفيان بن هانئ بن جبير بن عمرو بن سعيد بن ذاخر، أبو سالم الجيشاني، شهد فتح مصر ونزل بها، اختلف في صحبته، له مرويات في الحديث الشريف، مات بالإسكندرية، في إمرة عبد العزيز بن مروان. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، مرجع سابق، ٢٦٠/٣. وانظر سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، مرجع سابق، ٧٤/٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث ٢١٣٣٢، ١٤٥/٥. وأخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الأدب، باب إخبار الرجلِ الرجلَ بمحبته إياه، (٣٤٣/٥ . ٣٤٤) (رقم ٥١٢٤) والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في إعلام الحب (رقم ٢٣٩٢) ص٣٩٢ ط بيت الأفكار الدولية وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح غريب.

(٤) رواه ابن ماجة في سننه، في كتاب الأدب، باب إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، رقم الحديث ٣٧١٢، ١٢٢٣/٢، والبيهقي (١٦٨/٨) والطبراني في الكبير، (٣٥٢/٢ رقم ٢٣٥٨) و (٣٠٤/١١ رقم ١١٨١١) وفي الأوسط (رقم ٥٥٧٨، ٦٢٨٦) والحاكم (٢٩٢/٤) وصححه. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٦٩).

الرحمن في أمر أخيه، وهو أصغر منهم فقال رسول الله ﷺ: «كبر الكبر» **أو قال** «ليبدأ الأكبر..» **الحديث**[١].

وبين يدي الحديث عن (مكانة المدعو في ضوء الكتاب، والسنة) نشير إلى داع قوي يجعل تصدير هذه الرسالة به أمراً لازماً، فالحديث عن المدعو، وأحواله في ضوء مصادر الإسلام لا يمكن أن يفوت منه الحديث عمّا لهذا المدعو من مكانة استقرت لدى الداعية، وعلى ضوئها (أي المكانة) تتحدد جوانب مهمة لكيفية التعامل معه، إذ إنها جزء من أحواله التي يجب على الداعية مراعاتها، فقد جاءت نظرة الإسلام إلى المدعو، مراعية كل الاعتبارات التي تحكم منهج إصلاحه، وتقويمه، وهذا يفضي إلى ضرورة الحديث عن مكانة المدعو، وبيان الأهمية التي تشغلها في ضوء الكتاب، والسنة، لأن ذلك يبرر أهمية مراعاة هذا المدعو، والاهتمام به لعظم هذه المكانة التي يشغلها.

ويمكن القول: إنَّ ما سبب نيل المدعو هذه المكانة –مما أنعم الله تعالى به عليه– يكمن فيما يلي:

أ – آدمية الإنسان، وأصل خلقته، وتكوينه، وهذه أمور مرتبطة بذاته.

ب– كونه المخاطب بالدعوة، الذي يتوجه الداعية إليه برسالة الإسلام.

ويتجلى هذان الأمران في جملة من الأمور، تُظهر مكانة المدعو على ضوء ما قرره الإسلام في حقه.

وفي هذا الباب تلمس لهذه المظاهر، ودلائلها في ضوء الكتاب، والسنة، وفي سير الدعاة من السلف الصالح، في فصلين يتضمن الأول منهما الحديث عن: مكانة المدعو باعتبار ذاته، والآخر: مكانة المدعو باعتباره المُخاطب بالدعوة.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأدب، باب إكرام الكبير، ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال (رقم ٦١٤٢، ٦١٤٣) ص١١٨٤ . ١١٨٥ طبعة بيت الأفكار الدولية، ومسلم، في كتاب القسامة، والمحاربين، والقصاص والديات، باب القسامة، (١٢٩١/٣ . ١٢٩٢) رقم (١٦٦٩).

الفصل الأول
مكانة المدعو باعتبار ذاته

ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: المراد بذات المدعو

المبحث الثاني: التميز الخَلْقِي للمدعو

المبحث الثالث: تميز المدعو في إنعام الله تعالى عليه

المبحث الرابع: حقوق المدعو المتعلقة بذاته

مدخـل:

إن تحقيـق الداعيـة للمراعـاة الصـحيحة لأحـوال المـدعو ينطـوي علـى علـم بتلـك الأحـوال، وإدراك تام للمقام الرفيع الذي أناله الله تعالى إياه، فكانت له به مكانة فاق بها غيره من الخلق.

ولذا كان من تمام العلم بذلك معرفة كيف كرم الله – تعالى – المدعو مسلماً كان أم كافراً، ولعل ذلك من مقتضيات أمر الله – تعالى – لعباده بالتفكر في أحوالهم، وطبيعة خلقهم، +وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ" [(١)]**، تبصراً يؤدي لمعرفة نعمة الله ﷻ على عباده، بحسن خلقهم، وسمو نشأتهم، وبديع تكوينهم، فكان لهم بذلك شرف عظيم، ومكانة عالية.**

وهذا الإنعام من الخالق على عباده، يشمل كل ما جاء في أصل خلقتهم، وتكوينهم، مما يتساوى فيه سائر البشر من الصفات، والخصائص، التي منَّ الله تعالى بها عليهم، وليس لهم أثر في إيجادها، أو الحرمان منها، ولكنهم –قطعاً– قد نالوا بها مكانة، وارتفعوا بها منزلة، لكونهم فاقوا –بهذا الإنعام من الله – تعالى– غيرهم من خلق الله.

وهذه كرامة استمدها الإنسان من طبيعته التي أوجده الله – تعالى – عليها، وتمكن بها من أسباب الحماية، والعصمة: +۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ" [(٢)]**، فنال بتلك الكرامة مكانة تتعلق بذاته التي كونها الله تعالى –حين خلقه– عليها، فبها تتحقق له العصمة مما قد يضره، ويسيء إليه بين الخلق، وأمام الله، لكون أداة التعرف – على ذلك، والتحرز منه، والحذر عند قربه في حوزته – هي من نعم الله –تعالى– عليه حين جعلها من صميم خلقته، وتكوينه، فهو بها يسير في حياته، ويميز بين الأشياء لينتقي ما يصلح له، ويتجنب ما يسيء إليه، ويؤثر على متانة العلاقة بينه، وبين ربه، ويتساوى في ذلك سائر البشر، فقد أعدهم الله بهذه النعم، لينالوا هذه المنزلة، ويتسنموا هذه المكانة، حين باتوا قادرين بها على استقراء الحق، وتمييزه، والاستسلام له بعد عزله عن الباطل، قال الله تعالى: +**وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ" [(٣)]**، وقال تعالى: +**إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا"[(٤)].

والحديث زاخر في القرآن الكريم عن هذا الإنعام، ومظاهره، فقد بان في آيه المكانة العظيمة للإنسان بما انتدبه الله ﷻ له من استقبال رسله، وتلقي خطابه، والصدور عنه في شأنه كله، فبات

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٢١.

(٢) سورة لقمان، الآية ٢٠.

(٣) سورة البلد، الآية ١٠.

(٤) سورة الإنسان، الآية ٣.

بحاله تلك مُخَاطباً بالدعوة لتوافر مقومات استقبالها لديه، وقدرته على التفاعل الناجع مع مضمونها، واستقراء ذلك، وتأمله يضع اليد على مدى المكانة التي يحظى بها المدعو في هذا الجانب.

وحين حظي الإنسان بتلك الكرامات فقد نالها باعتبار ذاته الإنسانية، مسلماً كان أم كافراً، كما أن الله تعالى قد كتبها له منذ الأزل، فكانت له هذه المكانة قبل خلق آدم ﷺ، وإنزاله الأرض للاستخلاف فيها، وعمارتها، فقد جاء فيما رواه الإمام أحمد من حديث الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم، ثم قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: فاكتب ما يكون وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة»[1].

وسيكون الحديث في هذا الفصل مقصوراً على هذا الجانب من الإكرام الذي ناله الإنسان في ضوء الإسلام[2]، واستقراء، ذلك وتأمله يضع اليد -بعون الله- على مدى المكانة التي يحظى بها المدعو في هذا الجانب.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث ٢٢٧٥٩، ٣١٧/٥. وأبو داود، كتاب السنة، باب في القدر (٧٦/٥ رقم ٤٧٠٠) والترمذي، كتاب القدر، باب ١٧ (رقم ٢١٥٥) ص٣٥٨ وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

وأخرجه أيضاً في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة (ن والقلم) (رقم ٢٣١٩) ص٥٢٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. طبعة بيت الأفكار الدولية. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٠١٧، ٢٠١٨).

(٢) وهناك وجوه أخرى لإكرام الإنسان باعتباره مُخاطباً بدعوة الإسلام، وباعتباره مستجيباً لتلك الدعوة، فنال لذلك مكانة رفيعة، وبيان ذلك مجال آخر يستفيض الحديث عنه في صورة واسعة لثراء ما يناله الإنسان من إكرام حين يستجيب لنداء الرحمن، ويأتي -بإذن الله- في الفصل الثاني من هذا الباب.

المبحث الأول
المراد بذات المدعـو

المعنى اللغوي لـ (ذات المدعو)

الذات: **ذات الشيء: حقيقته، وخاصته[1]، ونفسه، وعينه[2]، والذاتي: ما يخص الشيء، ويميزه عن جميع ما عداه، وهو لا يخلو عن العرض، والفرق بين الذات، والشخص: أن الذات أعم من الشخص؛ لأن الذات تطلق على الجسم، وغيره، والشخص لا يطلق إلا على الجسم[3].**

وعلى ذلك فذات الإنسان يُعبر بها عن حقيقته، وصفاته، وخصائصه، تعبيراً لا يتوقف عند حد الجسد، وإنما يتجاوزه إلى ما يقوم به عقله، وتبين به عاطفته.

وبإضافة الذات للمدعو فإن المراد بذلك في اللغة، كل ما تعلق بذات الإنسان، باعتباره هو المدعو، وفق ما تم تقريره[4]، فكل ما ارتبط بجسد المدعو، أو عقله، وتفكيره، أو نفسه، وعاطفته، فهو داخل في ذاته، إذ هي متكونة من مجموع هذه الأشياء.

وعلى ضوء ما سبق يمكن القول بأن المراد الاصطلاحي لمكانة المدعو باعتبار ذاته:

المقام الذي يُمَثِّله المدعو باعتباره إنساناً أكسبه الله – تعالى – جملة من الصفات، والخصائص المرتبطة بتكوينه الجسدي، والعقلي، والعاطفي، فتهيأ بذلك للاستخلاف على الأرض، وعمارتها، وتلقي رسل الله – تعالى – إليه، وأداء ما تعبده الله به، فقد تميز وتفوق على كثير من المخلوقات، تميزاً رفع قيمته لدى الداعية، وأعلى من مكانته.

فكل ما يبين هذه المكانة، ويظهرها مندرج في مصادر الإسلام الأصيلة، فقد انتظمت جميع مظاهرها وسماتها، وبينت أنها هبات من الرحمن على خلقه، وكرامات مكنتهم مما هم فيه من المنازل، إذ لا مكانة لمخلوق يمكن أن تقوم على غير نعمة من الخالق سبحانه يمن بها عليه، فيرتفع بها عن ما سواه من الخلق، وهذه منن من الرحمن أسبغها على عباده؛ ليتهيئوا بها لمقامهم الذي أسند الله تعالى لهم فيه مهمة الاستخلاف على الأرض، وعمارتها، والتشرف بتحقيق العبودية

---

(١) لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة ذو وذوات.

(٢) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق إبراهيم الإبياري (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ) ص ١٤٣.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤٣.

(٤) انظر بيان المراد بالمدعو في التمهيد لهذا الباب.

المطلقة له ﷻ، والتنعم بالتذلل له، والخنوع لأوامره.

المبحث الثاني

التميز الخَلْقِي للمدعو

تمهيد:

كرامة الإنسان قائمة على تقديره، وتفضيله على غيره، وتكريمه بالعقل، والنطق، والتدبير، والقدرة على السيطرة، وحسن الصورة، وجمال الخلق، وتكريمه بحرمة دمه، وتعظيم شأنه، فليس الإنسان بالهين على الله تعالى، فهو بناء بناه الرحمن، صنعه على عينه، قال الله ﷿: +لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" [1]**، ورفع مكانته، وفضله على كثير ممن خلق، قال الله تعالى:** +۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا" [2].

ومما امتاز به الإنسان أن خَلْقَه، وإيجاده قد سُبِق بوجود له في العلم الإلهي، قبل أن يصبح له هذا الوجود العيني، وهذا العلم عنه لدى خالقه ﷿، يضمن تفاصيل كل ما يتصل به مما يتعلق بكيانه، والمهمة التي سيعهد الله تعالى إليه بها، قال الله تعالى: +وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ" [3].

ومما يتصل بهذا الخلق للإنسان امتيازه به حين خلقه الله – تعالى – خلقاً متكامل الصورة على الصورة التي هو عليها الآن[4]، وليس كما يشيعه عنه البعض من مرور خلقته بأطوار تكوينية انحدر فيها من سلالات حيوانية دنيا، تتحسن مع الزمن حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن، قال الله تعالى: +لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" [5]**، كما أنه باستعراض الآيات التي جاء فيها الإخبار عن خلق آدم ؈ وورود الأفعال التي صاحبت ذلك لدى الملائكة، مثل قول الله تعالى:** +وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ" [6]**، وقال سبحانه:** +إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ

---

(١) سورة التين، الآية ٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٤) انظر: الخلافة المهمة الوجودية للإنسان، د. عبدالمجيد النجار، مقال منشور في دورية الإنسان، العدد الثاني، السنة الأولى، محرم ١٤١٠هـ، ص ٤٢.

(٥) سورة التين، الآية ٤.

(٦) سورة البقرة، الآية ٣٠.

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ" [١]، **وقال سبحانه:** +إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ" [٢]، **ففي هذه الآيات سُمِّي الإنسان – في معرض الإخبار عنه – بـ (الخليفة) وهو ما يقتضي الاكتمال، كما فيها الإشارة إلى النفخ من روح الله، والوصف بالتسوية لهذه الخلقة، وفيها مقارنة خلق آدم بخلق عيسى عليهما السلام، ويحمل ذلك بيان عدم ارتباط خلقة الإنسان بالأسباب وفق الأطوار المعهودة لتكوينه –حين يريد الله ﷻ ذلك– وهذه ناحية أخرى تبدو فيها ميزة أخرى صاحبت خلق الإنسان، وتكوينه فيكرس ذلك مكانته حين خلقه الله – تعالى – مكتمل الصورة مؤهلاً للتكليف[٣].**

ولقد قامت خلقة الإنسان على توافر العقل، والشهوة، فبهما يحيا، ويموت، فإن غلب عقله كان كالملائكة، وإن غلبت شهوته كان كالحيوان.

ولقد كان تكريم الله – تعالى – للإنسان من الدلائل على ما له من مكانة رفيعة ارتبطت بذاته الإنسانية، بغض النظر عن معتقده، ودينه، فلقد جاء في خَلْقٍ حسن، وصورة جميلة، +لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" [٤]، **كما جاء في قامة معتدلة،** +يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ" [٥].

ومن تمام الإكرام للإنسان، كون الله تعالى قد خلق آدم عليه السلام على صورته[٦]، وخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، قال تعالى: +إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾

---

(١) سورة ص: الآيات من ٧١ إلى ٧٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٥٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٢.

(٤) سورة التين، الآية ٤.

(٥) سورة الانفطار، الآيات من ٦ إلى ٨.

(٦) جاء في الحديث النهي عن ضرب الوجه، وذلك منطوي على الوقاية مما فيه امتهان للإنسان، وتجاهل مكانته، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ضرب أحدكم فليتجنب الوجه، ولا تقل: قبَّح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله تعالى خلق آدم على صورته». أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث ٧٤١٤، ٢/٢٥١. قال السيوطي: "وذلك إكراماً له، ولأنه فيه محاسن الإنسان، وأعضاءه اللطيفة، وإذا حصل فيه شين، أو أثر كان أقبح" . الديباج على صحيح مسلم، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، تحقيق أبي إسحاق الحويني الأثري (دار ابن عفان، الخبر، ١٤١٦هـ) ٤/٢٥٥. والحديث حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٥١٨ . ٥١٩ رقم ٨٦٢).

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ" (١).

إذا فقد أكرم الله – تعالى – الإنسان بأن خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، ليَشْرُف بذلك ويعلو في منزلته.

ومن أرقى وجوه إكرام الله تعالى للإنسان، إسجاد الملائكة لآدم عليه السلام، فامتنع إبليس عن ذلك، تكبراً وحسداً، قال تعالى: +وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا" (٢)، فقد زعم بتفوقه لكونه خُلق من نار، ومن هذه صفة خلقه أفضل ممن خُلق من طين، وباشر بنفسه ما استأثر الله تعالى به، من بيان مراتب الخلق، وما علم أن التفضيل بين الخلائق إلى الله تعالى، فهو العليم الحكيم.

وأنيّ أَجَلْتَ النظر فيما قام عليه خلق الإنسان، ومعاشه،وَجَدْت ذلك منطوياً على تميز له، وتفوق أنعم به عليه الخالق، فقد ميزه بالعقل، وبالنطق والكلام، كما سخر ما في الكون له، واستقامت حاله بما هيأه الله – تعالى – له من المأوى، فهُدِي إلى البيوت والمنازل يشيدها ليركن إليها، كما امتاز بستر عورته فأُكْرِم بالملابس، يواري فيها نفسه، ويتزين بها، ومن أعظم ما أُكرم به الإنسان الاستعمار في الأرض، وجعله خليفة فيها، ومن ذلك أنه يُولد على الفطرة، والحق، سواء أكان ولداً لمسلم، أم لغيره، ويولد حراً وهذا الأصل فيه، والرق طارئ عليه، بل حين خلقه الله – تعالى – جعل له مشيئة يفرق بها بين الحق والباطل، ويختار بها بين الخير، والشر، كما ارتفعت مكانة الإنسان حين اختار الله – تعالى – من جنسه الرسل عليهم السلام، وزادت تلكم المكانة بإنزاله سبحانه الكتب على البشر، وبخطابه لهم فيها، وتعبدهم بتلاوتها.

إن التميز الخَلْقِي للإنسان دلالة راسخة على عظم ما له من مكانة، ومنزلة، ونسعى فيما يلي إلى بيان كيف كان هذا التميز مثمراً هذه المكانة.

---

(١) سورة ص، الآيات من ٧١ إلى ٧٦.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان ٦١، ٦٢.

المطلب الأول

التكوين الجسدي للمدعو

الجسد هو: "جسم الإنسان ولا يقال لغيره من الأجسام المغتذية.."[١]، وللجسد معانٍ أخرى أشار إليها علماء اللغة[٢]، تجاوزت المظهر العام إلى الجوهر والروح، لكن يعنينا في هذا المقام تناول الجسد باعتباره خلقاً مكوناً من أعضاء وحواس، أودع الله تعالى في كل منها جملة من القدرات، والخصائص.

وقد جاء خلق الله – سبحانه – للإنسان على مراحل، أُبرمت فيها هيئته على مراد الله، ومشيئته، وحسن صنعه، وتدبيره، إذ بدأ خلقه من الطين، وصار يتناسل بعد ذلك وفق سنة كونية، أودعها البارئ سبحانه في خلقته، وتكوينه، وجاء الإخبار عن هذا الفضل في قول الله تعالى: +ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ" [٣]، **فالله سبحانه حين خَلْقِه الإنسان "حَسَّنَه لأن كل شيء مرتب على ما اقتضته الحكمة"[٤]، ويَبِيْنُ في ذلك الإنعام أعلى صور الرفعة للإنسان، فقد أناله الله تعالى بذلك مكانة عالية.**

وحين خلق الله ﷻ الإنسان وضع لديه الاستعداد "الذي يجعله أهلاً للترقي إلى أحسن تقويم.. وأطوار خلقه السوي إعداداً لما هو أشرف من حياته الحيوانية.."[٥]، قال الله تعالى: +وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ" [٦]، **والإنسان بعد تخليقه بهذه الأطوار في بطن أمه، كان له شأن آخر في أطوار أخرى، أنعم الله بها عليه تدل على تمام خلقه، وحسن تكوينه، وذلك بعد ولادته، قال ابن عباس ﷺ : "... خرج من بطن أمه بعدما خلق، فكان من بدء خلقه الآخر أن استهل، ثم كان من خلقه دل**

---

(١) لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة: جسد، وانظر كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ٤٧/٦.

(٢) انظر كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، مرجع سابق ص ١٠٣.

(٣) سورة السجدة: الآيات من ٧ إلى ٩.

(٤) تفسير النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، مرجع سابق، ٢٨٧/٣.

(٥) الإنسان في القرآن الكريم، عباس محمود العقاد (المكتبة العصرية، بيروت، تاريخ الطبعة بدون) ص ١٨.

(٦) سورة المؤمنين: الآيات من ١٢ إلى ١٤.

على ثدي أمه، ثم كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجليه، إلى أن قعد، إلى أن حبا، إلى أن قام على رجليه، إلى أن مشى، إلى أن فطم، فعلم كيف يشرب، ويأكل من الطعام، إلى أن بلغ الحلم، إلى أن بلغ أن يتقلب في البلاد"(١).

إن الخلقة الحسنة، والتركيبة المتقنة للإنسان من أعظم النعم التي ارتفع بها شأواً، وسما بها في قدره، ومنزلته، وأخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: +لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" (٢)**، أي "في أحسن تعديل لشكله، وصورته، وتسوية لأعضائه"**(٣)**، وقال النخعي، ومجاهد، وقتادة: "حَسَّن صورته وحواسه..."**(٤)**، وفي الشأن نفسه، يقول الله ﷻ : +ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ"** (٥) **"أي جعلك سوياً مستقيماً معتدل القامة منتصبها في أحسن الهيئات، والأشكال"**(٦)**، فصيرك بذلك "معتدلاً متناسب الخلق، من غير تفاوت فيه، فلم يجعل إحدى اليدين أطول، ولا إحدى العينين أوسع، ولا بعض الأعضاء أبيض، وبعضها أسود، أو جعلك معتدل الخلق تمشي قائماً لا كالبهائم"**(٧) (٨).

وأكرم الله تعالى الإنسان بأن جعل له الحواس، فقد قال سبحانه: +قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق ١٠/١٨. وانظر زاد المسير في علم التفسير، عبدالرحمن بن علي ابن محمد الجوزي أبو الفرج (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٨٤هـ) ٤٦٣/٥. وانظر معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي أبو محمد، تحقيق محمد عبدالله النمر وآخرين (دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧هـ) ٤١٢/٥.

(٢) سورة التين، الآية ٤.

(٣) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري أبو القاسم، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ) ٧٦٤/٤.

(٤) البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، مرجع سابق، ٤٨٦/٨.

(٥) سورة الانفطار، الآية ٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، مرجع سابق، ٥١٤/٤.

(٧) تفسير النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، مرجع سابق، ٣٣٨/٤. وانظر فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق بن الحسين الحسين القنوجي البخاري أبو الطيب، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٢هـ) ١١٦/١٥.

(٨) ويقيناً فإن الإخبار عن خلق الإنسان، وتكوينه بذلك فيه الإكرام والعزة له، فقد أبدع الله – سبحانه – في خلقه له، بخلاف إخبار إخبار الماديين عن ذلك، فلهم نظرتهم للإنسان من حيث أصله، وذاته، وأهدافه، إذ يرى بعضهم أن أصله حشرة ارتقت في الخلق إلى أن أصبحت قرداً فإنساناً، وفق ما تضمنته نظرية التطور والارتقاء لـ (داروين)، ومنهم من يراه كتلة من اللحم تتكون من نسب معينة من الماء، والحديد، والكبريت وغيرها، ويحصر أولئك أهدافه في جمع ما يمكنه من المال لإنفاقه في ما يمكن من اللذة.

لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ" (1)، **وقـال أيضـاً: +**وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ" (2)، **وبهذه الحواس أمكن اللهُ الإنسانَ من الاتصال بالعالم المحيط به اتصالاً يعينه على أداء ما أُوكل إليه من عمارة الأرض، وتسيير شؤونه، وتعبد الله تعالى بذلك، إذ "النفس الإنسانية لما كانت في أول الخلقة خالية عن المعارف، والعلوم بالله، فالله أعطاها الحواس، لتستفيد بها المعارف والعلوم"(3)؛ "لأن الاستدلال موقوف عليها"(4)، ثم إن قدرة هذه الحواس بالقدر الذي يحتاجه فلا تقصر عن حاجته فيعجز عن القيام بمهامه، كما أنها لا تزيد عن حاجته، فيَطَّلِع بها على ما لا يطيق التعامل معه بعقله، أو بجسده، "فليس بحاجة إلى سماع أصوات الحشرات في أوكارها، أو رؤية المكروبات، وإلا لاستحالت حياته جحيماً، وكذلك فليس بحاجة لسماع الأصوات ذات المجال العالي، كصوت المائع الناري في باطن الأرض، أو أصوات تحركات المجرات... "(5)، قال الله تعالى: +**وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا" (6)، **فكان من مقتضيات هذا التقدير الحكيم لخلق الإنسان أن "يربط الله به به ما يشاء من وظائف التكليف"(7)، وذلك أن الباري – تبارك وتعالى – قد "أحدث كل موجود من الموجودات إحداثاً جارياً على سنن التقدير، حسبما اقتضته إرادته المبنية على الحكم البالغة، بأن خلق كلاًّ منها من مواد مخصوصة على صور معينة، ورتب فيهن قوى، وخواص مختلفة الآثار، والأحكام، فقدره أي هيَّأه لما أراد به من الخصائص، والأفعال اللائقة به، تقديراً بديعاً لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه، كتهيئة الإنسان للفهم، والإدراك، والنظر، والتدبر في أمور المعاش، والمعاد، واستنباط الصنائع المتنوعة، ومزاولة الأعمال المختلفة"(8)، فامتن الله – تعالى – عليه بأن "هداه إلى حيلته ومعيشته... وأعطى كل شيء ما يصلحه ثم هداه له"(9)، "فهيأه لما يصلح له، ويليق به**

---

(1) سورة الملك، الآية ٢٣.

(2) سورة النحل، الآية ٧٨.

(3) التفسير الكبير، الفخر الرازي، مرجع سابق، ٢٥٠/٧.

(4) المرجع السابق، ٢٨٩/٨ .

(5) تكريم الخالق للإنسان، محمد سعيد غيبة (دار المكتبي، دمشق، ١٤٢٠هـ) ص ٢٠.

(6) سورة الفرقان، الآية ٢.

(7) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٥٣/١٩.

(8) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي ، مرجع سابق، ٢٠١/٦. وانظر تفسير البيضاوي، مرجع سابق، ٢٠٦/٤.

(9) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ١٧٢/١٦.

من الأعضاء، والأشكال"[1].

ولقد تجلت عظمة الخالق ﷻ في خلقه للإنسان، والإنعام عليه بهذا البديع في صنعه، وتكوينه بصورة أبرزت قيمته من بين الخلق، وعلو مكانته، حين جعله – من تراب – عقلاً يفكر، وعينا تبصر، ولساناً ينطق، وأعصاباً تحس، وقلباً ينبض[2].

ومن أجمع ما وُصِف به هذا الإبداع الإلهي لخلق الإنسان وتكوينه، ما بينه الإمام القرطبي – رحمه الله– من مراد، لقول الله تعالى:+ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا"[3]، قال: "كرمنا تضعيف كرَّم، أي جعلنا لهم كرماً أي: شرفاً وفضلاً، وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال، وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة، ثم امتداد القامة، وحسن الصورة... وهذا لا يتسع منه حيوان اتساع بني آدم؛ لأنهم يأكلون المركبات من الأطعمة، وغاية كل حيوان أن يأكل لحماً نيئاً، أو طعاماً غير مركب"[4]، كما أنه يأكل بيده، وسائر الحيوان بالفم، كما كرمهم الله بالنطق، والكلام، وأكرم الرجال منهم باللحى، والنساء بالذوائب [5].

ومن أوجه الإكرام للإنسان في هذه الناحية انتفاء الأثرة في الخلق، والتكوين الجسدي، فقد خلق الله الناس متساوين في صفات أجسادهم، وخصائصها، متعادلين في قدراتهم، وإمكاناتهم، ويؤكد ذلك أمور، منها: اشتراك الناس في أصل الخلقة، والانتساب، حيث أبوهم آدم عليه السلام، واكتسبوا منه خصائص ما خلقه الله تعالى منه، وهو التراب، فتساوى الناس فيما جبلهم الله عليه من القدرات والمزايا، والمدعو باعتباره إنساناً تساوى مع بني جنسه في ذلك، قال الله ﷻ: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ" [6]، يقول الإمام النسفي –رحمه الله– :إن الله خلق الخلق من أصل واحد، وهو نفس آدم عليه السلام، ويشير إلى معطوف على محذوف في معرض تفسيره، لقول الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا..﴾ كأنه قيل: من نفس

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي ، مرجع سابق، ٩/١١٠.

(٢) انظر تكريم الخالق للإنسان، محمد سعيد غيبة، مرجع سابق، ص١٥، ١٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، مرجع سابق، ١٠/٢٩٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي أبو عبدالله، تحقيق أحمد عبدالعليم البردوني (دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ) ١٠/٢٩٤.

(٦) سورة النساء، الآية ١.

واحدة أنشأها، وخلق منها زوجها، والمعنى شعبكم من نفس واحدة... أنشأها من تراب[١]**، وقال سبحانه:** +وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا" [٢]، **"لأن حواء خُلِقَت من ضلع آدم** ، **والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال، أو من شكل أنفسكم، وجنسها، لا من جنس آخر"**[٣]**، وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:** «قد أذهب الله عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، والناس بنو آدم، وآدم من تراب»[٤]، **"إذ الأصل واحد وهو التراب، والأب واحد، منه أصل الخلق، وهو آدم وحواء"**[٥]**، وحين خلق الله آدم جعل منه زوجه، ومنهما جاء البشر، وتناسلوا على ما جبلهم الله تعالى عليه من خِلْقَة،** +﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا" [٦]، **ويقول المولى ﷻ:** +وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ" [٧]، **"لأنه خلق أصلهم منه..."**[٨]**، أي التراب، وعناصر خلقتهم وتكوينهم الرفيع، تحدد ما لهم من مكانة، ومنزلة من بين الخلائق.**

وخلاصة القول: إن التكوين الجسدي للإنسان انطوى على جملة من القدرات، والمهارات التي فاق بها الكثير من غيره من المخلوقات، وكانت بالقدر المحكم الذي تمكن به من الاضطلاع بما أُوكِل إليه من واجب الاستخلاف في الأرض، والتعبد لله – تعالى- بعمارتها، وبهذا التفوق كان له مكانة عظيمة بين خلق الله، إذ ليس بوسع غيره القيام بمهامه، ولذا فقد انبرى لحمل هذه الأمانة حين عُرضت عليه.

---

(١) انظر: تفسير النسفي، عبدالله بن محمد النسفي، مرجع سابق، ١/ ٢٠٤.

(٢) سورة الروم، الآية ٢١.

(٣) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، مرجع سابق، ٣/٤٥٧.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب (٥/٣٣٩ . ٣٤٠/ رقم ٥١١٦) والترمذي في سننه، في كتاب المناقب، باب في فضل الشام واليمن، (رقم ٣٩٥٥) ص٦٠٧ ط بيت الأفكار الدولية وقال: هذا حديث حسن غريب. وقال في رقم (٣٩٥٦): هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٤٨).

(٥) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥هـ) ١٢/١٥٧.

(٦) سورة الأعراف، الآية ١٨٩.

(٧) سورة الروم، الآية ٢٠.

(٨) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، مرجع سابق، ٣/٤٥٧.

المطلب الثاني

التكوين العقلي، أو الذهني للمدعو

إن العقل أرفع القدرات التي امتن بها الخالق على عباده، ونجده موضعاً للتمايز بينهم، وبين سائر خلقه جل شأنه، بما انطوى عليه هذا العقل من قدرة على النظر، والتأمل، والتمييز، والاستنتاج، والاستنباط، والربط بين الأمور، وتحديد طبيعة العلاقات بين الأشياء... إلى غير ذلك من تلكم القدرات العجيبة، التي يؤديها العقل بمستوى باهر، وسرعة عظيمة.

وإن لأهل العلم وقفاتهم المطولة مع هذا العقل، تحدثوا فيها عن كنهه، وطبيعته، وكيفية عمله، وقدراته، إلا أننا نتلمس في هذا الموضع ما ارتبط بهذه القدرة –لدى الإنسان– من مكانة، ومنزلة، ونعرف طبيعة القدرة العقلية للإنسان، فكان بها أسمى من غيره، وفق ما أكده الإمام القرطبي –رحمه الله– بقوله: "والصحيح الذي يُعَوَّل عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يُعْرف الله، ويُفْهم كلامه، ويُوْصل إلى نعيمه، وتصديق رسله"(1)، بل إن امتنان الله – تعالى– به على خلقه من البشر من "أعظم خصال التكريم ... فبه تسلطوا على سائر الحيوانات، وميزوا بين الحسن والقبيح، وتوسعوا في المطاعم، والمشارب، وكسبوا الأموال التي تسببوا بها إلى تحصيل أمور لا يقدر عليها الحيوان، وبه قدروا على تحصيل الأبنية التي تمنعهم مما يخافون، وعلى تحصيل الأكسية التي تقيهم الحر، والبرد"(2).

والعقل في اللغة: "الحجر، والنهى، والْمَعْقِل الملجأ، وعقيلة كل شيء أكرمه، وعقل الدواء بطنه أمسكه"(3)، كما أنه "نقيض الجهل، ...والمعقول ما تعقله في فؤادك، ويقال هو ما يُفْهَم من العقل، ...تقول عدمت معقولاً أي ما يُفْهم منك من ذهن، أو عقل"(4).

وبين الجرجاني مراده بالعقل بأنه "جوهر روحاني، خلقه الله – تعالى– متعلقاً ببدن الإنسان، وقيل العقل نور في القلب يَعْرِف الحق، والباطل...، والعقل بالملكة هو علم بالضروريات،

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ١٠/٢٩٤.

(2) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ، مرجع سابق، ٣/٢٤٤.

(3) انظر مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مادة: ع ق ل.

(4) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبدالرحمن، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي (دار ومكتبة الهلال، بدون مكان النشر، بدون تاريخ الطبعة هـ) مادة: ع ق ل، ١/١٥٩.

واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات"[1][2]، فهو ملكة فائقة، مَكَّن الله – تعالى – بها الإنسان من التمييز بين الخير، والشر، والحق، والباطل، والنافع، والضار، فكان من أهم خصائصه "... الرشد وهو تمام التكوين العقلي"[3]،ولذا فقد كان مناطاً للتكليف، وبه كُرِّمَ الإنسان على سائر المخلوقات، فلا بد منه كي يكون قادراً على إمضاء الحق، وعلى التأمل في الصالح، والضار، حين يكون ذا عقل سليم، ، إذ "الحق والهدى يحتاج إلى عقول سليمة، ونفوس فاضلة، وتأمل في الصالح، والضار، وتقديم الحق على الهوى، والرشد على الشهوة، وهذه صفات إذا اختلت واحدة منها تطرق الضلال إلى النفس بمقدار ما انثلم من هذه الصفات.."[4]، ومنح الله الإنسان العقل بهذه الصورة؛ ليتأهل به لهذا الغرض، ويرفعه إلى مقام التكاليف التي ألقاها الله – تعالى– فبه مَكَّنه الله من فهم ذلك وإدراكه، والتمييز بين طريق الحق، والخير، وسبل الباطل، والشر، قال الله تعالى: +وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ" [5]، فحباه الله – تعالى– من النعم التي جعلته في مكانته تلك، وبها ألقى الله – تعالى– عليه مهمة الخلافة في الأرض.

ووجه التمايز للإنسان بالعقل على سائر المخلوقات يكمن هنا في "أن السماء، والأرض والجبال، والبحار تخضع لله – تعالى– خضوع القهر والغلبة، أما الإنسان فهو المخلوق الوحيد الذي يخضع لله، ويعبده عن حرية، وإرادة، واختيار، وتفكير"[6]، وما كان ليتم له ذلك لو جُرِّد مِن نعمة العقل.

وكان من نتائج هذه النعمة، وثمارها على الإنسان أن مكنه الله – تعالى– من تعلم مالم يكن

---

(١) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، مرجع سابق، ص ١٩٧.

(٢) تناول أهل العلم جملة من الأقوال في بيان المراد بالعقل، وكان الأظهر منها ما ساقه ابن تيمية –رحمه الله– حيث بين أن العقل: مصدر عقل يعقل عقلاً، ولا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه، ولا العمل بلا علم، بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به صاحبه، كما أن العقل ليس جوهراً قائماً بذاته، وهو في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ وكلام الصحابة، والتابعين، وسائر المسلمين هو أمر يقوم بالعاقل سواء سُمي جوهراً، أو جسماً، أو غير ذلك، وساق –رحمه الله –بعض التعريفات للعقل تراوحت بين النظرة إليه على أنه علوم ضرورية، وأنه يعني العمل بموجب تلك العلوم، ثم عقب عليها بقوله: والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا، وقد يُراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار. انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ٢٧١/٩، ٢٨٦

(٣) انظر المؤيدات الشرعية – نظريات العقوبات، د. عبدالعزيز الخياط (دار السلام، القاهرة، ١٤٠٦) ص ٣٠.

(٤) انظر التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ٢٥/٨.

(٥) سورة البلد، الآية ١٠.

(٦) الدعوة الإسلامية والإعلام الديني، د. عبدالله شحاتة (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨م) ص ٣٧٨.

يعلم، وزوده بما يعينه على التلقي، وكسب العلوم، والمعارف، وكان أول ما أبانه الله تعالى في خلقه للإنسان العلم، فهو مخلوق أكرمه الله بذلك، حين علم آدم ﷺ قال الله ﷻ: +وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ" (1)، **وقال جل شأنه:** +وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (2)، **ولذا فإن "الإنسان إنما يميز على غيره من الحيوانات، بفضيلة العلم، والبيان، وإلا فغيره من الدواب والسباع، أكثر أكلاً منه، وأقوى بطشاً، وأكثر جماعاً، وأولاداً، وأطول أعماراً، وإنما مُيِّزَ على الدواب، والحيوانات بعلمه، وبيانه، فإذا عدم العلم بقي معه القدر المشترك بينه، وبين سائر الدواب، وهي الحيوانية المحضة، فلا يبقى فيه فضل عليهم، بل قد يبقى شرًّا منهم، كما قال – تعالى – في هذا الصنف من الناس:** +۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ" **فهؤلاء هم الجهال،** +وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ"(3) **أي ليس عندهم محل قابل للخير، ولو كان محلهم قابلاً للخير لأسمعهم"**(4).

ثم إن الله – تعالى– يسر للإنسان التعلم؛ بأن مكنه من أدوات جمع المعلومات بشكل فعال:، كالسمع، والبصر، واللمس.. الخ، قال الله تعالى: +هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا" (5).

وأعان الله الإنسان على النظر في ما حوله بما أودعه بقدرته، وحسن صنعته فيه من حواس، قال الله تعالى: +وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"(6)، **وهذه الحواس تنمو مع الإنسان، وتزداد قدرته على استجلاء ما**

---

(١) سورة البقرة: الآيات من ٣١ إلى ٣٣.

(٢) سورة النحل، الآية ٧٨.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان ٢٢، ٢٣.

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية (دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة) ٧٨/١.

(٥) سورة الإنسان، الآيات من ١ إلى ٣.

(٦) سورة النحل، الآية ٧٨.

حوله، فكلما كبر زيد في سمعه، وبصره، وعقله، حتى يبلغ أشده[1]، وتزداد قدرته العقلية على معرفة ما يحيط به، وتحليلها واتخاذ المواقف بشأنها، فإن من أعظم صفات العقل، معرفة التماثل والاختلاف، فإذا رأى الشيئين المتماثلين، علم أن هذا مثل هذا، فجعل حكمهما واحداً[2].

إذا فالإنسان – الذي نتوجه إليه بالدعوة – كيان واع عاقل، يُدْرك ما حوله، له القدرة على التفكير، والتأمل، واتخاذ القرار، فقد أعده الله، تعالى –حين خلقه– الإعداد العقلي، والفكري الذي ييسر له حسن استقبال ما يخاطب به، وإدراكه، والاستفادة منه، وهذه مزية له، وحسنة في حقه، فاق بها –بفضل الله عليه– بقية المخلوقات، فكان له بها مكانته.

وقد حدد الله – تعالى– للعقل قدرته التي تعين الإنسان على تلمس طريق الحق، وتمييزه عن الباطل، وأن يستدل به على قدرة خالقه، وعظمته، وجبروته، وحين حالت قدرته دون إدراك جملة من الأمور التي تستعصي عليه، فإن الله – تعالى – جبله على الركون إلى مصدر مكين يطمئن إليه، وهو يصدر عنه في تلقيها؛ لإحساسه بعجزه، وحاجته –لسد ذلك– بمطلق الإيمان بالله – تعالى – وبما أخبر به رسوله ﷺ، ولقد ذكر ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله– ما يوضح ذلك في حديثه عن الإيمان بالقدر، فقد قال: "وَأَصْلُ القدر سر الله – تعالى – في خلقه لم يطَّلِعْ على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق، والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً، وفكراً، ووسوسة، فإن الله – تعالى– طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: +لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ"[3]، فمن سأل: لِمَ فَعلَ؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين"[4]، وحين حصر الله – تعالى – قدرة العقل في إدراك أمور دون أخرى، حيثُ لم يُمَكِّن الله تعالى الإنسان إلا مما كان تحت طائلة عقله، وإدراكه، ووقفت قدرة الإنسان دون إدراك إثبات الصفات، والتوحيد، والقدر، وتفصيل

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٢ / ٦٠١.

(٢) انظر الرد على المنطقيين، ابن تيمية، (إدارة ترجمان السنة، لاهور، ١٣٩٧هـ) ص ٣٨١ وما بعدها.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢٣.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، مرجع سابق، ص ٢٠١، ٢٠٢، ٢٢٨. وانظر شرح السنة، الحسن بن علي البربهاري أبو محمد، تحقيق د. محمد سعيد القحطاني (دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٨هـ) ٣٦. وانظر اعتقاد أهل السنة، هبة الله بن الحسن اللالكائي أبو القاسم، تحقيق د. أحمد سعد حمدان (دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ) ٤/٦٢٩. وانظر إيثار الحق على الخلق، محمد بن إبراهيم المرتضى بن المفضل القاسمي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م) ١/٩٧.

الشرائع، وإثبات اليوم الآخر، والجنة، والنار، فإن الله – تعالى – جعل في الإنسان المقدرة على إدراك مدى الضرورة إليها(١)، ومن ثم التشبث بمصادر الإخبار عنها؛ إذ العقل السليم يهدي صاحبه إلى تلمس معرفة هذه الأصول المهمة في مظانها التي لا توجد في غيرها، وهذه مزية للعقل إذا كان سليماً، وبها نال الإنسان مكانته تلك من بين المخلوقات، واللافت في هذا السياق التنبيه على أن "العقول تعجز عن إدراك كنه الغاية المقصودة بالأفعال، كما تعجز عن إدراك حقيقة الفاعل"(٢)، وهذا لا يضير العقل في شيء، لأن "نفي الشيء غير نفي العلم به"(٣).

وهذه المكانة العلمية للإنسان، فضل أكرمه الله – تعالى – به، وحين رأى إبليس اللعين ذلك في أبي البشر آدم عليه السلام داخله الحسد، وتجاوز ذلك إلى إظهار العداء له، وتربص به، وعزم على أن يكيد لبنيه ليفوت عليهم الخير، ويحرمهم من رضى الرب عز وجل، ونعيمه، وفي إشارة مجلية لذلك يقول ابن رجب –رحمه الله–: "لما ظهرت فضائل آدم عليه السلام على الخلائق بسجود الملائكة له، وبتعليمه أسماء كل شيء، وإخباره الملائكة بها، وهم يستمعون له: كاستماع المتعلم من معلمه حتى أقروا بالعجز عن علمه، وأقروا له بالفضل، وأُسكن هو وزوجته الجنة ظهر الحسد من إبليس، وسعى في الأذى"(٤).

وفي حقيقة الأمر: فإن هذا الإخراج لآدم مما زاد من مكانته، زيادة لحقت بذريته من بعده، وذلك "أن آدم إذ أُخْرِجَ منها كملت فضائله، ثم عاد إلى الجنة على أكمل من حاله الأول"(٥)، وهذا الكمال جاءه من قابليته للتعلم، والتزود في خبرته، وإلمامه، فيكتسب ما يعينه على حياته ممن حوله، وكلما كبر، كبر عقله، بخلاف الحيوانات فإدراكها يعتمد على الغريزة لا العقل، فصغارها تباشر –بتلك الغريزة– الأكل، والابتعاد عن مصادر الضرر، كالنار، منذ ولادتها، بخلاف الإنسان فهو لا يدرك ذلك حين ولادته، ولكنه يتعلمه، ويفهمه لامتلاكه الأداة التي تمكنه من ذلك وهي العقل(٦).

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ١٩/ ٩٦.

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني ، مرجع سابق،١/١٩٨.

(٣) المرجع السابق، ١/١٩٨.

(٤) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين ابن رجب الحنبلي ، مرجع سابق، ص ٦٢.

(٥) المرجع السابق، ص ٦٣.

(٦) من المعروف أن هناك حدوداً لقدرة العقل في التعلم، والإدراك، إذ لا يمكن أن يستقل بمعرفة ما يجب، وبمعرفة ما يحبه الله ويرضاه، وبمعرفة الشرائع، والأوامر، والنواهي، وما جزاء الإنسان، وحالته بعد موته، فكان إرسال الرسل لإعلام الناس بما يصلح حالهم، ولتقام الحجة على الخلق.

وما سبق يُؤكد مظهراً من مظاهر تكريم الإسلام للإنسان، حين كرم العقل، ونوّه بفضله، وجعله مناط التكليف، والتبعة في القيام بالواجبات، وحين يعرض القرآن الكريم للعقل فإنه إنما يعرض له في مقام التعظيم، والتعويل عليه في تدبر آيات الله ﷻ، وبناء إيمانه الراسخ بالله – تعالى – على هذا التدبر، فبه أتاح الله للإنسان مالم يتحه لغيره من تمييز الصحيح من السقيم، ومعرفة النافع من الضار، وإجراء موازنة للنظر في الأشياء وطبيعتها، فيباشر النافع بعد أن يدرك إباحته، ويتجنب الضار بعد أن يدرك حظره، ومنعه.

ومن مظاهر السمو العقلي للإنسان التي سما بها، فكان له من المنزلة، والمكانة ما سما بها على كثير من الخلق، تمتعه بجملة من الخصائص، والقدرات العقلية، التي يبين فيها بديع صنع الله تعالى، وقدرته، ويبين بها مدى نعمة الله – تعالى– على هذا الإنسان، حين أكرمه بهذه النعمة، ورفع بها مكانته من بين مخلوقاته، فمن قدرات العقل الإنساني: الذكاء، والانتباه، والتذكر، والتفكير، والاجتماعية[(١)].

ومن مظاهر هذه القدرات العقلية القدرة على الفهم، واستيعاب الواقع المحيط، ومعرفة ما ينطوي عليه من خير، أو شر، قال الله تعالى: +أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ" [(٢)]، **وقال سبحانه:** +إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا" [(٣)]، **وكذلك دوره الفاعل في التمكين من معرفة الخطأ، والدرء عن الشر، قال الله ﷻ:** +وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ"[(٤)]، **ودوره في التفكير، والتأمل، قال الله – تعالى –:** +ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ" [(٥)]، **وجاء الذم صريحاً لمن عطل هذه الملكة، وأهمل هذه النعمة التي نال الإنسان بها مكانته من بين سائر المخلوقات:** +أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ

---

(١) وللاستزادة حول هذه القدرات العقلية للإنسان، ومجالات إعمالها انظر: الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، د. فؤاد البهي السيد ، مرجع سابق، ص ٢٨٣ وما بعدها. وانظر العقل والإيمان في الإسلام، د. صابر طعيمة ، مرجع سابق، . وانظر جوانب من عظمة الإسلام، د. إسماعيل عبدالكافي الفصل الثالث وعنوانه الإسلام وعظمة الدعوة إلى العقل والتفكير، ص ٣٣. وانظر علم النفس التكويني أسسه وتطبيقه من الولادة إلى الشيخوخة، د. عبدالحميد الهاشمي (مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة) ص٢٣٦ وما بعدها.

(٢) سورة البلد، الآيات من ٨ إلى ١٠.

(٣) سورة الإنسان، الآية ٢.

(٤) سورة الملك، الآية ١٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٩١.

قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ" (١)، ويَطَّرِد في القرآن الكريم الإشارة إلى ذلك بصيغة الإنكار، حين تأتي مواضع الحث على إعمال العقل فيما أمر الله تعالى بإعماله فيه، فيتخلف الإنسان عن استثمار ذلك لديه، قال الله ﷻ: +أَفَلَا تَعۡقِلُونَ" (٢)، وقال تعالى: +أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ" (٣)، ولعل من أظهر الصور التي بانت فيها مكانة المدعو حين امتاز عن غيره بالعقل، الأمر بأن "يتلقى العقيدة، وما ينشأ عنها من أحكام، بالفكر، والتدبر، والتذكر، والتمييز..."(٤)، قال الله تعالى: +وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ" (٥)، فالله ﷻ قد بين الآيات بصورة يطيقها العقل، ويتمكن بما لديه من قدرة من إدراكها إدراكها وفهمها، فأنزلها "بينة... في أنفسها...، ولم يتعرض لرد قولهم: لولا يكلمنا الله..، إيذاناً بأنه من ظهور البطلان بحيث لا حاجة له إلى الرد والجواب"(٦)، "فالله أعظم لطفاً بعباده، أن لا يجعل لهم عقلاً يقبل الحق، ويثبته، ويبطل الباطل، وينفيه...، وقد جعل الله تعالى العقل السليم من الشوائب، ميزاناً يزن به العبد الواردات، فيفرق به بين ما هو من قبيل الحق، وما هو من قبيل الباطل، ولم يبعث الله الرسل إلا إلى ذوي العقل، ولم يقع التكليف إلا مع وجوده، فكيف يقال: إنه مخالف لبعض ما جاءت به الرسل الكرام عن الله تعالى، هذا باطل قطعاً، يشهد له كل عقل سليم.."(٧).

وبسبب هذه القيمة الرفيعة للعقل، كانت إشارات القرآن الكريم الداعية إلى الإشادة به، واحترامه، وفي ذلك الدلالة على ما لصاحبه من مكانة رفيعة، قال الله ﷻ: +إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ" (٨)، وقال تعالى: +وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا

---

(١) سورة محمد، الآية ٢٤.

(٢) سورة يس، الآية ٦٨.

(٣) سورة النساء، الآية ٨٢.

(٤) المؤيدات الشرعية – نظريات العقوبات، د. عبدالعزيز الخياط، مرجع سابق، ص ٣١.

(٥) سورة البقرة، الآية ١١٨.

(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي ، مرجع سابق،١٥٢/١.

(٧) انظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، عمر بن علي بن موسى البزار أبو حفص، تحقيق زهير الشاويش (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ) ص ٣٤، ٣٥.

(٨) سورة ق، الآية ٣٧.

يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ" [1].

وحفاظاً على ما ناله المدعو بهذه النعمة من مكانة، فقد حرَّم الإسلام كل ما يكون سبباً في التأثير على العقل، وإذهابه، كشرب الخمر، وكيف تبقى للإنسان منزلته، وقد غاب عنه سببها، بل إن الأمر يتجاوز في حقه إلى سقوط التكاليف عنه، لأنه بات – بفقده لعقله – في منزلة دون منزلة الإنسان، الذي يقوم – مناط التكليف ضمن ما يقوم – على تمتعه بالعقل.

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٣.

المطلب الثالث

التكوين النفسي، أو العاطفي للمدعو

إن النفس الإنسانية حين خلقها الله – تعالى – أخلد إليها نسقاً متوازناً من العواطف، والمشاعر، التي يتأثر بها في كل ما يعرض له في حياته على كافة الصُّعد، بل إن هذا الفيض الوجداني الزاخر يسير الإنسان بفعل، إرهاصاته، فينطبع على سلوكه، وتتلون به تصرفاته، فهو إن أعطى، وبذل، وضحى فبتأثير الحب، أو الرحمة، والشفقة، وإن منع، وبخل، وأحجم فبفعل الكره، أو الغيرة أو الحسد، والضغينة، وإن أقدم، وغامر، ولم يتردد فبأثر من الشجاعة، والعزم، والصرامة، وإن تردد، وتأخر فبأثر من الخوف، والجبن، وضعف العزيمة.

وجميع ما ينطوي عليه التكوين النفسي للإنسان، يقوده إلى ما فيه خيره، وصلاحه، وتحقيق المنفعة له، إذا رُوعي ما رسمه الله – تعالى – لعباده من تنظيم محكم يسير بتلك التكوينات النفسية في طريقها الصحيح، فكما أن الحب – على سبيل المثال – هو انفعال يقود الإنسان إلى منفعة الآخرين والقرب منهم، إذا قام وفق الضوابط الشرعية للمحبة، فهو في الوقت نفسه يقود إلى عكس ذلك إذا غابت عنه هذه الضوابط.

ولاشك بأن هذا التكوين مزية أخرى تضاف لما يتمتع به الإنسان مما أنعم الله – تعالى – عليه به، وذلك أن دين الإسلام عمل على توظيف ذلك فيما يحقق الخير لذات الإنسان، ولمن يحيطون به، وتوقى –بجملة من الأمور– كل ما قد ينتج عنه من سوء، وشر يلحق بذاته، وبمن حوله[1]، ولذلك فإن امتياز الإنسان بهذه السمات النفسية على كثير من الخلق مرهون باستصحابها لمنهج الإسلام الذي يضبطها في مسارها الصحيح، ولنتأمل في تناول الرسول ﷺ لواحد من جوانب هذا التكوين النفسي، وهو الفخر، والاعتزاز بالنفس الذي يترك شعوراً لدى البعض بامتيازهم على غيرهم، فيخلف ذلك سلوكاً مشيناً يكمن في التكبر، والاستعلاء، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده[2]، الخراء بأنفه. إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما

---

(١) انظر: الانفعالات التشخيصية والعلاج من المنظور الإسلامي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي (دار الهدي النبوي ودار الفضيلة، الرياض، ١٤٢٢هـ) فقد تناول المؤلف أربعة من أهم سمات التكوين النفسي للإنسان وهي الغضب، والعجلة، والخجل، والحزن.

(٢) دهديت الحجر، ودهدهته فتدهده دحرجته فتدحرج. وقد شبه المفتخرين بآبائهم الذين ماتوا في الجاهلية بالجعلان، وآبائهم المفتخر بهم بالعذرة، ونفس افتخارهم بهم بالدفع، والدهدهة بالأنف، والمعنى أن أحد الأمرين واقع البتة إما الانتهاء عن الافتخار، أو كونهم

هو مؤمن تقي وفاجر شقي. الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب»[1]. **ولذا فإن الإنسان إذا نزع بهذه الصفة إلى هذا المسلك المشين، فقد نقص قدره وفقد مكانته، التي تقترن دوماً بتلك المسالك الرشيدة في توظيف السمات النفسية له.**

ومما يقترن بالتكوين النفسي للإنسان من مكانة، ومنزلة كون هذا التكوين سبباً في سعيه لرضا الله تعالى، وللجنة، بقبول ما جاءه من الله سبحانه، ومن رسوله ﷺ، وذلك راجع لما في هذه النفس من شوق للراحة، والنعيم، ونشدانٍ للذة والسعادة، كما أن هذا التكوين سبب في اتقائه لسخط الرب، وللجحيم؛ لما يقوم عليه من سمات الخوف، والجزع، والرهبة مما وُعِد به من ذلك إن هو خالف أمر الدين بفعل ما نُهِي عنه، وترك ما أُمر به.

كما أن هذا التكوين دافع للإنجاز، والتطور، والسبق، والإبداع، لما فيه من نزعة للريادة، وميل للصراع، والمنافسة[2].

أذل عند الله – تعالى – من الجعلان الموصوفة. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مرجع سابق، ١٤/١٧.

(١) تقدم تخريجه ص١٧٠.

(٢) جاء الحديث في هذا المبحث مقصوراً على بيان ارتباط التكوين الخَلْقِي للمدعو بما ناله من مكانة عالية، ومنزلة رفيعة، أما الحديث عن طبيعة هذا التكوين، وكيفية مراعاته أثناء الدعوة، وتأثر المنهج الدعوي به، فيأتي –بإذن الله– مفصلاً ضمن الحديث عن كل ما يتصل بذات المدعو في الفصل الثاني من الباب الثاني.

المبحث الثالث

تميز المدعو في إنعام الله – تعالى – عليه

تمهيد:

لعله من أقوى الأدّلة على رفعة المدعو، وعلو شأنه، كونه قد حظي من الخالق ﷻ بالإنعام عليه بأمور لا يمكن حصرها، وبيانها، وقد قال الله ﷻ : +وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ..."(1)، وإكرام الله – سبحانه – للإنسان، وامتنانه عليه بهذا الإنعام، فيه من الدلائل على تميزه على كثير من الخلق.

ولقد مر معنا في المبحث السابق شيء من مظاهر هذا الإنعام، المتعلقة بالتكوين الجسدي، والعقلي، والنفسي للمدعو، ويأتي الحديث في هذا المبحث على جملة من نعم الله – تعالى – على الإنسان، اتسمت بِقَصْرها عليه دون خلقه، ومن المعروف أن الإنسان قد اشترك في بعض خصائصه التكوينية مع الملائكة، وفي بعضها الآخر مع الحيوان، إلا أنه امتاز بوجوه من إنعام الله – تعالى – عليه، لم يشترك معه فيها غيره من الخلق، وسوف يأتي الذكر عليها في المطالب التالية:

المطلب الأول

إن الله ﷻ خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه

وهذه من أرفع وجوه تكريم الإنسان، وينطوي ذلك على الاهتمام به عند نشأته في مناح منها:

البيان الصحيح لأصله، وخلقته، ورد ذلك إلى الخالق المبدع، الذي خلقه فأحسن خلقته، وصوره فأبدع صورته، وإلحاق خلقته بالله ﷻ من أعظم الصور التي تبدو فيها مكانة الإنسان ومنزلته، وهو محروم من هذا الشرف في بيئات عقدية، وفكرية، عزت خلقته، وتكوينه إلى أصول غريبة، كان السعي الحثيث من أربابها في إثباتها سعياً –في حقيقته– إلى تجريده من مكانته، ومنزلته، حين أرجعوا أصل خلقته إلى الصدفة، أو إلى نظرية النشوء والارتقاء (الداروينية)، التي أعادت نشأته إلى "الأميبا، والفيروسات التي نشأت على شواطئ البحيرات الساكنة، والمستنقعات العفنة، مروراً بمراحل الحيوانات، والزواحف، والأسماك"(2).

---

(1) سورة النحل، الآية ١٨.

(2) تكريم الإسلام للإنسان، د. فاروق مساهل (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى) ص ١٣.

ومن ذلك أن هذا الخلق الحسن فيه تفضيل من وجهين آخرين، هما: كون الله – تعالى – خلق آدم بيده، وأنه ﷻ نفخ فيه من روحه، قال تعالى: +إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ" [(١)]**، إذاً فقد أكرم الله – تعالى – الإنسان بأن خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، "أي من الروح الذي يملكه الله تعالى، ولا يملكه غيره، فهذا معنى الإضافة"[(٢)]، فهي مخلوقة لله ﷻ ، مضافة إليه ﷻ للتشريف والتكريم، ونال "بنفخ الروح المقدسة فيه ما شَرُف به"[(٣)]، وقد جعل الله – تعالى – ذلك "خاصة خص بها صفيه آدم دون البشر..."[(٤)]، وصارت الروح الآدمية بذلك "لطيفة نورانية، تفوق بها الإنسان على جميع المركبات، بأن كان فيه جزء ملكي شارك به الملائكة"[(٥)].**

وكان لامتياز الإنسان بمزية خلق الله – تعالى – له بيده الكريمة، ونفخه فيه من روحه، أن أطرى موسى عليه السلام آدم عليه السلام بها، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه... » **الحديث**[(٦)].

كما أتت الإشارة إلى هذه المزية صريحة، حين يثني بها الناس –أيضاً– على آدم عليه السلام وهم يطلبون إليه الشفاعة عند ربهم يوم القيامة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة، فيهتمون لذلك»، **وقال ابن عبيد**: فيلهمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال: فيأتون آدم ﷺ فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست

---

(١) سورة ص، الآيات من ٧١ إلى ٧٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٢٢٧/١٥.

(٣) التفسير الكبير، ابن تيمية، تحقيق وتعليق د. عبدالرحمن عميرة (دار الكتب العلمية، بيروت، تاريخ الطبعة بدون) ٢٨٣/٤.

(٤) بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق يسري السيد محمد (دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٤هـ) ٤٨/٤.

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ، مرجع سابق، ٣٠٤/٢٣.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد (رقم ٣٤٠٩) ص٦٥٥ طبعة بيت الأفكار الدولية ومسلم في صحيحه، في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، (٢٠٤٢/٣-٢٠٤٣ رقم ٢٦٥٢) (١٥).

هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب...» **الحديث**[1].

وكان من مقتضيات خلق الله تعالى لآدم عليه السلام بيده، تمام الخلق، وحسن الصورة، وإتقان التركيب، قال الله سبحانه: +لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" [2]**، فجاء هذا التقويم الحسن "في أحسن صورة، وشكل، منتصب القامة، سوي الأعضاء حسنها"[3]، وقال سبحانه:** +خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ" [4]**، قال الإمام أبو السعود: "... برأكم في أحسن تقويم، وأودع فيكم من القوى، والمشاعر الظاهرة، والباطنة ما نيط بها عن الكمالات البارزة والكامنة، وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته، وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته، وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة"[5]، فكان الإنسان مستعداً للخلافة على الأرض، حيث ابنى ذلك على تمام الخلقة له، حين سواه الله – تعالى – بيده الكريمة.**

وفي الحديث الشريف، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب»[6]. **وقد أراد الله عز وجل للإنسان حين قبضه من جميع الأرض، فخلقه من تلك القبضة أن ينساق بتكوينه في تكوينها، ويتفاعل بكل ما فيه مع كل ما فيها، تفاعلاً إيجابيًّا مثمراً، ينال به ما انتدبه الله – تعالى – له حين استخلفه في الأرض؛ لعمارتها، وإصلاحها، وهذا أمر عظيم أسنده الله تعالى لبني آدم**[7].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: +لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ" (رقم ٧٤١٠) ص١٤١١ . ١٤١٢ ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم الحديث (١/١٨٠ . ١٨١ رقم ١٩٣) واللفظ له.

(٢) سورة التين، الآية ٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٥٦٣/٤.

(٤) سورة التغابن، الآية ٣.

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي ، مرجع سابق، ٢٥٥/٨.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة البقرة، (رقم ٢٩٥٥) (ص٤٧٣) وقال: هذا حديث حسن وأحمد (٤٠٠/٤) والبيهقي في الأسماء والصفات، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٧٥٩)، وأخرجه أبو داود في سننه، باختلاف يسير في اللفظ، في كتاب السنة، باب في القدر، رقم الحديث ٤٦٩٣، ٢٢٢/٤.

(٧) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مرجع سابق، حول خلق آدم عليه السلام وذريته، ٣٦٤/٦.

المطلب الثاني

إسجاد الملائكة له

وبعد امتنان الخالق ﷻ على آدم بخلقه له بيده الكريمة، ساق له نعمة عظيمة أخرى، وهي إسجاد الملائكة له -عليهم السلام-، فكان أن أدى ذلك إلى حسد إبليس، وامتناعه عن السجود، قال تعالى: +وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا"[(١)]، **لزعمه بأفضلية من خلق من نار على من خلق من طين، وما علم أن التفضيل بين الخلائق إلى الله تعالى، فهو العليم الحكيم، وقد قال شيخ الإسلام في بيان ذلك: "وإن كانت النار خيراً من الطين، فلا يجب أن يكون المخلوق من الأفضل أفضل، فإن الفرع قد يختص بما لا يكون في أصله، وهذا التراب يخلق منه الحيوان، والمعادن، والنبات ما هو خير منه"**[(٢)].

وفي هذا الإكرام من الله – تعالى – للإنسان دلالة على فضله على سائر خلقه، فإسجاد الملائكة له حين خلقه إخطار بفضله، وامتيازه وعلو منزلته بين الخلق، قال الله تعالى: +فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ"[(٣)]، **وقال الله تعالى:** +وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا"[(٤)]، **"يقول سبحانه لعباده: أنا أكرمت أباكم، ورفعت قدره، وفضلته على غيره، فأمرت ملائكتي كلهم أن يسجدوا له تكريماً له، وتشريفاً..."**[(٥)]، **"والظاهر أن المأمور بالسجود لآدم هم جميع الملائكة في الأرض، والسماء..."**[(٦)].

وقد بان جليًّا من مجمل النصوص التي تناولت قصة إسجاد الملائكة لآدم -عليهم السلام- أن هذا الأمر قد جاء على وجه "التحية والتكرمة تعظيماً له، واعترافاً بفضله، واعتذاراً عما قالوا

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان ٦١، ٦٢.

(٢) التفسير الكبير، ابن تيمية، تحقيق وتعليق د. عبدالرحمن عميرة ، مرجع سابق، ٢٨٣/٤.

(٣) سورة الحجر، الآيتان ٢٩، ٣٠.

(٤) سورة الكهف، الآية ٥٠.

(٥) بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ١٢٢/٣.

(٦) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي (دار الفكر، دمشق، ١٤١٨هـ) ١١٩/١٥.

فيه، وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم عليه السلام"[1]، ويُفاد من ذلك أيضاً أن هذا السجود ليس على سبيل العبادة، والخضوع لآدم، وإنما جاء عبودية لله تعالى[2]، وجاء صرفها وفق ما أمر الله به؛ لتحقيق هذا الإكرام، وبيان هذا العلو، الذي أراده الله عز وجل لآدم عليه السلام.

وبه يُبرر مجيء هذه القصة في سبع سور في القرآن الكريم[3]، إذ "السر في تكريرها... لإظهار شرف آدم، وفضله على سائر الخلق حتى الملائكة"[4]، وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه: "المؤمن أكرم على الله من ملائكته"[5].

وخلاصة القول في الحديث عن هذه النعمة من الله – تعالى – على أبي البشر عليه السلام، أنها قد انسحبت على ذريته، ونالهم بسببها ما ناله عليه السلام من الفضل، والكرامة، وهذه سمة بارزة لدى المدعو باعتبار ذاته الإنسانية؛ لكونه من ذرية آدم عليه السلام.

---

(١) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، مرجع سابق، ٢٨٩/١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، مرجع سابق، ٤٢/١.

(٣) وهذه السور هي: سورة البقرة، الآية ٣٤، وسورة الأعراف، الآية ١١. وسورة الحجر، الآيات من ٢٩ إلى ٣٥. وسورة الإسراء، الآية ٦١. وسورة الكهف، الآية ٥٠. وسورة طه، الآية ١١٦. وسورة ص، الآيات من ٧٢ إلى ٧٦.

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق بن حسن بن علي بن الحسين القنوجي البخاري أبو الطيب، مرجع سابق، ١٣١/١.

(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (دار الفكر، بيروت،١٤١٤هـ) ٣١٥/٥.

المطلب الثالث

الاستخلاف على الأرض، وعمارتها

ومما أكرم الله – تعالى - به الإنسان -بعد أن أوجده- استخلافه في الأرض، وإسناد عمارتها وإصلاحها إليه، والقيام فيها بأمر الله تعالى، قال الله ﷻ: +هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا"(١)، أي جعلكم عُمَّارَها، بأن يعمر الإنسان هذه الأرض العمارة الصحيحة التي لا تخرج عما أراده الله تعالى من عباده، قال تعالى: +وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ"(٢)، والمراد بالخليفة "آدم عليه السلام وبنوه، وإنما أُقْتِصَر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم، كما يُسْتَغْنى عن ذكر القبيلة بذكر أبيها: كمضر، وهاشم"(٣)، والمراد بها "الخلافة من جهته سبحانه في إجراء أحكامه، وتنفيذ أوامره بين الناس، وسياسة الخلق، لكن لا لحاجة به – تعالى - إلى ذلك، بل لقصور استعداد المستخلف عليهم، وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات، فتختص بالخواص من بنيه"(٤) (٥)، وهذا المراد بالخليفة هو أصلح الصواب(٦).

---

(١) سورة هود، الآية ٦١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي ، مرجع سابق،٨١/١.

(٤) المرجع السابق، ٨١/١. وانظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٧٢/١.

(٥) وقد وردت معانٍ أخرى للخلافة، منها: الخلافة ممن كان في الأرض قبل ذلك...، ومنها جعلكم خلائف يخلف بعضكم بعضاً...، قوماً بعد قوم، وجيلا بعد جيل، فيسكنون الأرض، ويعمرونها، ويكلفون فيها بطاعة الله تعالى... وهذه هي الحكمة من خلقهم، قال الله تعالى: +وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ" سورة الأنعام، الآية ١٦٥. انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي ، مرجع سابق،٨٢/١. وانظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٧٢/١، وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مرجع سابق، ٣٦٤/٦، ٣٦٥.

(٦) لا قول من يقول بأن الإنسان هو خليفة الله في الأرض، فالله تعالى لا يحتاج إلى خليفة، إذ لا يغيب ﷻ عن ملكه تعالى عن ذلك ذلك علواً كبيراً، فهو قيوم السموات، والأرض يصرفها كيف يشاء، وعلى الرغم من تكريم الله – تعالى - للإنسان فهو أقل، وأذل من أن يكون خليفة لله تعالى. وقد رد ابن تيمية القول بأن آدم عليه السلام هو خليفة الله في الأرض، بقوله: "وقد ظن بعض القائلين الغالطين... أن الخليفة هو الخليفة عن الله... والله لا يجوز له خليفة، و لهذا لما قالوا لأبي بكر يا خليفة الله، قال لست بخليفة الله لكني خليفة رسول الله ﷺ حسبي ذلك، بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره، قال النبي ﷺ : «اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا» وذلك لأن الله حي شهيد مهيمن قيوم رقيب حفيظ غني عن العالمين ليس له شريك و لا ظهير...، والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت، أو غيبة، ويكون لحاجة المستخلف إلى الاستخلاف...، وكل هذه المعاني منتفية في حق الله تعالى، ... فمن جعل له خليفة فهو مشرك به". مجموع فتاوى شيخ الإسلام

وطبيعة دور الإنسان على الأرض حين استخلفه الله فيها تتضح ببيان المراد بـ (استعمركم) الواردة في الآية السابقة، فهي "من العَمْر، أي عَمَرَكُم، واستبقاكم فيها، أو من العمارة أي أقدركم على عمارتها، أو أمركم بها"(١)، فهو "الذي جعلكم عُمَّارها، وسكانها...، يقال: أَعْمَرته الأرض، واستعمرته، إذا جعلته عَامِرَها، وفوَّضت إليه عمارتها، ...بعمارة ما تحتاجون إليه من بناء مساكن، وحفر أنهار، وغرس أشجار، وغير ذلك"(٢).

وفي ذلك الدلالة على مدى ما مكنهم الله – تعالى – منه من السعي على وجه الأرض، والتماس الأسباب المفضية إلى ذلك، فقد هيَّأهم الله ﷻ بالقوة، والقدرة لإنجاز ما أوكله إليهم، ونجد بيان ذلك جليًّا في قول الله تعالى: +وَلَقَدْ مَكَّنَّكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ"(٣)، وتمكين الله تعالى بأن جعل للناس في الأرض مكاناً، وقراراً، وأقدرهم على التصرف فيها(٤)، ومكرمة التمكين هذه عامة، فالخطاب في هذه الآية الكريمة "لجميع الناس، والمراد أن النوع بجملته ممكن في الأرض، والمعايش جمع معيشة، وهي لفظة تعم المأكول، الذي يُعاش به، والتحرف الذي يؤدي إليه"(٥)، وكان ذلك ميسوراً للإنسان بما أودعه الله – تعالى – فيه، من بديع صنعه له، +ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ"(٦)، وحسن تدبيره لخلقه، فهو ﷻ +ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ"(٧)، فكان الإنسان بذلك فاضلاً –بتلك النعمة– على أكثر الخلق، قال الله تعالى: +وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"(٨).

ومن أظهر ما يتصل بميزة الاستخلاف في الأرض، إنعام الله – تعالى – على الناس بنعمة

أحمد بن تيمية ، مرجع سابق، ٤٤/٣٥، ٤٥. وانظر الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ، مرجع سابق، ٥٥٣/٢.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي ، مرجع سابق، ٢٢٠/٤، ٢٢١.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي البغدادي ، مرجع سابق، ٨٨/١٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٠.

(٤) انظر: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ، مرجع سابق، ٨٦/٢.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي أبو محمد، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ) ٣٧٧/٢.

(٦) سورة السجدة، الآية ٧.

(٧) سورة طه، الآية ٥٠.

(٨) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

القدرة على سكنى الأرض، والتهيؤ للخلافة فيها، وعمارتها، وهذا من أقوى الدلائل على مكانة المدعو، ومنزلته باعتبار ذاته، فجدارته بالخلافة من مظاهر هذه المكانة، قال الله تعالى: +إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا"[1]، **لقد هيَّأه الله – تعالى – لذلك بما آتاه من فضله، وعلمه، وكرامته[2]، "وما كان الإنسان ليكون خليفة لولا أنه مشحون بزاخر المواهب، والطاقات، وعظيم القدرات، والاستعدادات، التي تهيئه لاحتمال مهام الخلافة في هذه الدنيا"[3].**

ومما ذكره العلماء من بيان المقصود في إخبار الله ﷻ الملائكة بخلق آدم، في قوله سبحانه: +وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" [4]، "أنه أراد تعظيم آدم بذكره بالخلافة قبل وجوده، ليكونوا معظمين له إن أوجده"[5]، وعِلْم الله ﷻ بهذا الشأن حين فات على الملائكة، وهم يستنكرون ما أُخْبِروا به من شأن آدم عليه السلام، فيه الدلالة على إعداد الإنسان لحمل الأمانة، التي أبت السماء، والأرض، والجبال أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان، لأنه وُهِب له ما لم يُوْهَب لها، فهي منقادة مسخرة بقانون، لا تُسأل عن سيرها، أو قيامها، ولا تتحمل تبعة شيء، أما الإنسان المدرك المختار، فقد حمل أمانة الله تعالى؛ لأنه مُؤهل لحملها، مزود بأسباب رعايتها، والحفاظ عليها، وأي تفريط فيها هو جهل بنفسه، وظلم لحقيقته، وإذا كان الإنسان من حيث كونه إنساناً، في أي مكان وُجِد، قد زُوِّد بهذه الأسباب، وأُهِّل بطبيعته للتحمل، والجزاء، فإن نظرة الإسلام للفرد تقوم على هذا الأساس من تقدير إنسانية الناس جميعاً، ومن تقرير الحق الذي يحقق المساواة، والحرية لهم جميعاً[6].

وهذا فيه من المكانة والمنزلة لمن ناله، حتى ولو كان فيه من الضعف المرتبط بظروف "بيئته وشهواته، وغرائزه، فإن الله كَرَّمَه بصفته خليفة في الأرض يعمرها..."[7]، وفي ما سبق دلالة – أيضاً– على أن هذا الاستعداد لتلك الخلافة انبنى على تمام الخلقة له، حين سواه الله – تعالى –

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ٥٠٢/١.

(٣) الإنسان في الإسلام، د.أمير عبدالعزيز، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ) ص ١٢١.

(٤) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٥)زاد المسير في علم التفسير، عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، مرجع سابق، ٥٩/١.

(٦) انظر الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوي، مرجع سابق، ص ٣٦١.

(٧) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، د.جميل عبدالله المصري، مرجع سابق، ص ١٤.

بيده الكريمة، وأسجد له ملائكته: +فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ" [1]، وتمام التسوية لخلقته يكمن في"العقل والإرادة، والنطق، فبالعقل يستطيع أن يميز بين الحق، والباطل، وبين الحقيقة والوهم، وبالإرادة الحرة يمكنه أن يختار الهداية، أو طريق الضلال"[2]، قال الله تعالى: +وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ"[3]، وقال سبحانه: +إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا"[4]، "وبالنطق يتم يتم الاتصال بين الألوهية، والإنسان وحياً مبيناً، وبلاغاً حكيماً من جهة، ودعاء قانتاً، وصلاة عابدة من جهة أخرى... وبذلك كَرَّمَ الإنسان، وميزه بالفهم، والحرية، والإدراك؛ ليتمكن من أداء رسالته على هذه الأرض، فيعمرها، ويشيع فيها الخير"[5].

ومما قام للمدعو باعتبار ذاته من مكانة – ارتبطت بتهيئته لعمارة الأرض، والاستخلاف فيها – كونه قادراً –بهذه التهيئة– على أن يُوجه ما يحصل فيها من أحداث، باستخدام ملكة التأمل والتفكير، فقد "أبرز ذلك شيئاً فشيئاً إمكانية تدخل جهد البشر في صنع الأحداث، وتسريعها، أو إيقافها، بعد أن عرفوا أسبابها..."[6]، قال الله تعالى: +إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ" [7]، وجاء في الحديث الشريف إشارة جلية لجانب من التي يمضي فيها عمل الإنسان وفق ذلك، لتدل على آثار عمل الإنسان، وجهده على هذه البسيطة، فقد جاء في قصة تأبير النخل فيما رواه أنس ﷺ : أَن النبي ﷺ مر بقوم يلقحون فقال: «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ» قال: فخرج شيصاً، فمر بهم فقال: «مَا لِنَخْلِكُمْ؟» قالوا: قلت كذا وكذا قال: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»[8]، وغير ذلك من الشواهد الدالة على مقدرة الإنسان –بما مكنه الله تعالى– على إحداث ما يؤثر على سير الحياة في هذه الأرض التي أُستخلف فيها، فقد أبرز ذلك مكانة الإنسان من خلال ما يقوم به من أعمال هيَّئه الله – تعالى – لمباشرتها بنفسه[9]. والحديث عن أثر الإنسان فيما يحدث على الأرض

---

(١) سورة الحجر، الآية ٢٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥.

(٣) سورة البلد، الآية ١٠.

(٤) سورة الإنسان، الآية ٣.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص ١٥.

(٦) الإنسان كلاً و عدلاً، جودت سعيد، (دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٥ هـ) ص ٤٥.

(٧) سورة الرعد، الآية ١١.

(٨) رواه مسلم، في كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي، (١٨٣٦/٢ رقم ٢٣٦٣).

(٩) ومما جاء في ذلك جزء من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد، جاء فيه قول الرسول ﷺ: «...إن كان أمر دنياكم فشأنكم وإن

الأرض ظاهر، يَبِيْن بجلاء فيما يخبر به القرآن الكريم في جملة من الآيات، التي اشتملت على آثار عمل الإنسان، وجهده على هذه البسيطة، سواء أكان ذلك في سبيل الخير، والإصلاح[١]، أو في سبيل الشر، والإفساد[٢].

والمقام هنا لا يسعنا فيه حصر نصوص القرآن الكريم التي تناولت ما أبرز مكانة الإنسان من خلال ما يقوم به من أعمال هيأه الله – تعالى – لمباشرتها بنفسه[٣]، وعلى الرغم من أن هذه الأعمال تتراوح بين الصحيح المحمود، والسقيم المذموم، إلا أن فيها الدلالة على مكانة الإنسان حين أطلق الله – تعالى – له الحرية في أن يباشر أعماله بتلك الصورة[٤]، وهي بذلك تساهم في "تكييف سلوك الإنسان أمام الأحداث، وتضع الإنسان في المكان المناسب له في هذا الكون، وتشعره بكرامته حيث سخر الله له هذا الكون"[٥]، وصار كل ما فيه من الكائنات كالخادم له، ولا غرو طالما أن العقل، والحكمة والقدرة من أهم المسخرات له.

كان أمر دينكم فإلي...» المسند، رقم الحديث ٢١٥٠٦.

(١) كما جاء في قول الله تعالى: + وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ" سورة الأعراف، الآية ١٤٢. وقوله تعالى: + وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" سورة البقرة، الآية ٢٢٠.

(٢) كما جاء في قول الله تعالى:+ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ " سورة النمل، الآية٣٤. وقوله تعالى: + إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ" سورة القصص، الآية ٤. وقوله تعالى:+ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" سورة البقرة، الآية ١١٤. وقوله تعالى: + كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ" سورة المائدة، الآية ٦٤.

(٣) من النصوص القرآنية الكريمة التي تناولت ذلك قول الله تعالى:+ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ" سورة آل عمران، الآية ١١٢.

(٤) ويدخل ذلك تحت الإرادة الشرعية التي أطلق الله تعالى فيها للإنسان الحرية في أن يفعل أو لا يفعل، وهي إرادة تحت إرادة الله ومشيئته، لينال جزاء ذلك إصلاحاً، أو إفساداً. انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ، مرجع سابق، ١٩٧/٨-١٩٩. وانظر: إيثار الحق على الخلق، محمد بن إبراهيم بن علي المرتضى القاسمي ، مرجع سابق، ص٢٤٨، ١٤٩.

(٥) الإنسان كلاً و عدلاً، جودت سعيد، مرجع سابق، ص ٥٢.

إن فيما ذُكِرَ بياناً لأعلى صور الرفعة للإنسان، فقد أناله الله – تعالى– بشرف الاستخلاف في الأرض وعمارتها هذه المكانة الرفيعة.

وهذه سمة نالها باعتبار ذاته الإنسانية المجردة، وحين يزداد تهذيب هذه الذات بالإيمان، والركون للإسلام، فسيزيد –بإنعام الله تعالى وإفضاله– مقدار هذا التمكين في أداء ما أُوكل إليها حين اسْتُخْلِفَ في الأرض.

المطلب الرابع

تسخير ما في السموات، والأرض للمدعو

إن إسباغ نعمة التمكين للإنسان في الأرض – على كثير مما فيها من مخلوقات الله ﷻ المختلفة، وتسخيرها له بالصورة التي تمكنه من تطويعها في تحقيق ما يريد، مما يجلب به المنفعة ويدرأ به المفسدة لنفسه – لدليلٌ راسخٌ على مدى ما للمدعو من مكانة عظيمة جعلته ينال هذا الإكرام من الله ﷻ، ويصير به من أكرم الخلائق في السماء والأرض، من ذي حياة، أو غير ذي حياة، قال الله تعالى: +﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا"[(١)].

ثم إن الله – تعالى – قد ساق للمدعو في إثر هذا التمكين ما يُعِين عليه حين أطلق بنعمته ﷻ أيدي العباد في السموات، والأرض يستفيدون مما فيهما، حيث انطوت خلقتهم على جملة من القدرات المختلفة، تعينهم بفضل الله – تعالى – على التعامل الفاعل المثمر مع ما فيهما.

ويذكر الإمام القرطبي –رحمه الله– في معرض تفسيره لقول الله تعالى: +﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ..."[(٢)]، جملة من مظاهر التكريم للإنسان، ومنها "تسليطهم على سائر الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم"[(٣)]. ولذا فقد كان من مظاهر هذا التسخير أن امتازوا بما اختصوا به "من المطاعم، والمشارب، والملابس، وهذا لا يُتَّسع فيه اتساع بني آدم، لأنهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان، ويلبسون الثياب، ويأكلون المركبات من الأطعمة، وغاية كل حيوان أن يأكل لحماً، نيئاً،

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق،١٠/٢٩٤.

أو طعاماً غير مركب"[١].

وإلى هذا التمكين أشار الرسول ﷺ ضمناً بما يدل على تهيئة الأرض لسكنى الإنسان، وذلك فيما رواه بسر بن جحاش القرشي أن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه فوضع عليها إصبعه ثم قال: «يقول الله ﷻ: يا ابن آدم أنى تعجزني؟ وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي، قلت: أتصدق. وأنَّى أوان الصدقة؟!»[٢].

فلا يوجد تفضيل لكائن أكثر من أن يسخر الله – تعالى – له ما في السموات، والأرض[٣]، **وقد قال البارئ ﷻ :** +أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ"[٤]، **ويقول جلال الدين الرومي**[٥]، **في هذا المقام مخاطباً الإنسان: "إن خدمتك مفروضة على جميع الكائنات، هل يجرؤ أحد أن**

---

(١) المرجع السابق، ٢٩٣/١٠.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث ١٧٨٧٧، ٢١٠/٤. وابن ماجة، كتاب الوصايا، باب النهي عن الإمساك في الحياة والتبذير عند الموت (٩٠٣/٢ رقم ٢٧٠٧) والحاكم (٥٠٢/٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٨١٤٤).

(٣) انظر منهج الحياة في القرآن، والسنة، إصلاح إسماعيل أمين، (دار الفكر العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ) ص١٥١ وما بعدها.

(٤) سورة الحج، الآية ٦٥.

(٥) هو الحنفي الفاضل محمد بن محمد بن حسين بن أحمد الهاشمي، كان إماماً عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة، –رحمه الله– ، وعالماً بالخلاف، محققاً مدققاً ذا شيبة نيرة وبقية من الصالحين، قام بالتدريس بإحدى مدارس القسطنطينية، ثم صار قاضياً، وتجرد بعد ذلك، وصرف جميع أوقاته في العلم، والعبادة، وتواترت عنه كرامات، وتوفي سنة اثنتين وسبعين وست مائة بقونيا، ويدل حديث بعض من أورد عنه على أنه من علماء الصوفية، ويتسم طرحه بالوعظ، والحكمة، ويجيد الفارسية، ويؤلف بها، وله مؤلفات منها: أسرار النجوم في معرفة الدول، والملل، نقل عنه الشيخ الألوسي، صاحب روح المعاني. له من الأولاد من برز في طلب العلم، منهم الإمام العلامة بهاء الدين، كان من أئمة الحنفية فقيهاً أصولياً نحوياً بارعاً ديناً زاهداً، تصدر للإقراء، والتدريس بعد موت والده بقونيا عدة سنين، وانتفع به الطلبة، وقصد بالفتيا. انظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ) ٨٤/١ . وانظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني، محمود الألوسي البغدادي ، مرجع سابق، ٤٥/٢٢، و ١٠٦/٢٨. وانظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحي بن أحمد العكري الدمشقي (دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة) ٤/ ٢٠٧. وانظر الجواهر المضية في طبقات الحنفية، أبو محمد عبدالقادر بن أبي الوفاء القرشي (مير محمد كتب خانه، كراتشي، بدون تاريخ الطبعة) ص ٣٦٧. وانظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن محمد (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، ١٩٧٢م) ١/ ٣٥٢.

يساوم هذا الإنسان الغالب، ويمني نفسه بشرائه: يا مَنْ مِنْ عبيده العقل، والحكمة، والمقدرة، لا محل للمساومة فقد تمت الصفقة: +﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ"[١]، **فإن الشيء لا يباع مرتين"**[٢].

ولم يكن للإنسان ذلك التسخير دون أن يعينه الله – تعالى – عليه، ويهيئه له، فقد هيَّأ الله تعالى الكون، ليكون صالحاً لاستقبال الإنسان، وسخر موجوداته لخدمته تسخيراً، فحدد سبحانه نظامه، وسننه بما يتلاءم، ومهمته التي أسندها إليه من الخلافة في الأرض، وعمارتها، قال الله تعالى: +وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ"[٣]، **ويبدو ذلك التسخير فيما ركب عليه الكون من سنن تحكمه تناسب تماماً الكيان الإنساني في وجوده ابتداء، قال الله تعالى:** +وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ"[٤]، **كما يظهر ذلك فيما يسره الله – تعالى – في الكون من أسباب لحفظ حياة الإنسان، وتواصلها، وإثمارها:** +يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ"[٥]، **وقال الله تعالى:** +وَٱلۡأَنۡعَٰمَ +وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ"[٦]، **ولكون الحركة من لوازم إتمام ما أناطه الله – تعالى – بالإنسان فقد يسرها له، وسخر له أبوابها، وأدواتها، قال الله تعالى:** +﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ"[٧]، **وقال سبحانه:** +وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا"[٨][٩].

وصلة الإنسان بما حوله من خلق الله في الكون لا تعني التساوي في القيم بينهما، ومعايير التعامل معهما تقتضي الإبقاء على ما للإنسان من قيمة رفيعة جعلت الكون –بتدبير الله وإنعامه–

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٢) نقلاً عن كتاب الإنسان كلاً وعدلاً، جودت سعيد ، مرجع سابق، ص٥٢.

(٣) سورة الجاثية، الآية ١٣.

(٤) سورة إبراهيم، الآية ٣٣.

(٥) سورة النحل، الآية ١١.

(٦) سورة النحل، الآية ٥.

(٧) سورة الجاثية، الآية ١٢.

(٨) سورة نوح، الآيتان ١٩، ٢٠.

(٩) انظر: الخلافة المهمة الوجودية للإنسان، د. عبدالمجيد النجار، مقال منشور في دورية الإنسان، العدد الثاني، السنة الأولى، محرم ١٤١٠هـ، ص ٤٢.

سخرة له؛ لتوظيفه في تحقيق ما أسند إليه من توحيد الله، وطاعته، وما يقوم ذلك عليه من القيام بمهام الخلافة في الأرض. فصلة الإنسان بالكون من هذه الناحية تقتضي تمايزه عليه تمايز رفعة، واستعلاء، وهذا جلي حين يورد القرآن الكريم ذكراً للإنسان في معرض ذكره للكون، وموجوداته، حيث يضعه في المكانة الرفيعة التي تبين تميزه على ما سواه من المخلوقات قال الله تعالى: +۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا"[^1]، ويبين ذلك –أيضاً– في ما اكتنفته قصة خلق آدم عليه السلام من أحداث، فقد بينت هذه القصة كيف أصبح الإنسان حين خلقه الله – تعالى – محوراً تتصل به سائر المخلوقات، ويرتبط مدى ذلك بقدر قربها منه، أو بعدها عنه، ولاشك أن ذلك جلي في ما لحق خلق آدم عليه السلام من استجابة الملائكة لأمر الله عز وجل بالسجود له، وهم أشرف المخلوقات، فنالوا بذلك الرضى، ومن امتناع إبليس من السجود، ونيله بذلك اللعنة، والخسران[^2].

ولم يجعل الله – تعالى – علاقة الإنسان بما حوله في هذا الكون علاقة تقوم على الرهبة، والخوف مما فيه، فقد خُلِق من أجله، وهذا التسخير للإنسان دل على أنه المخلوق الرئيس، وهو المحور الذي يدور حوله ما سواه مما سخره الله – تعالى – له، وهو بهذا ينسجم مع ما حوله، ليصبح مجالاً لطموحه، ونشاطه[^3]، وقد قرر القرآن الكريم أمراً مُهمًّا يتصل بهذا التسخير، يدل على سعته، ورحابة مجاله، وأتاح الله – تعالى – به الخيار للإنسان، ليعمله في المجال الذي يهديه له عقله، على ضوء ما أبانه الله – تعالى– له من سبل الحق، وطرق الخير، وللإنسان أن يُعْمِل هذا التسخير –حينئذٍ– في العاجلة، كما له أن يستثمره في الآجلة، ولاشك أن إطلاق حريته في ذلك من مظاهر مكانته، فقد أودع الله – تعالى – فيه من العقل، والبصيرة ما يعينه على السلوك بنفسه في ما يراه ملائماً لها، قال الله تعالى: +مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومٗا مَّدْحُورٗا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورٗا ﴿١٩﴾ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا"[^4].

كذلك فقد مكنه الله – تعالى – من وسائل المعرفة، وأدواتها بما لم يمكن منه غيره من المخلوقات، وأكسبه القدرة على النظر فيما حوله، والتأمل، والخروج بتصور محكم، ورأي مسدد

[^1]: (١) سورة الإسراء، الآية ٧٠.
[^2]: (٢) المرجع السابق، ص ٤٣.
[^3]: (٣) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، د. جميل عبدالله المصري، مرجع سابق، ص ١٦.
[^4]: (٤) سورة الإسراء، الآيات من ١٨ إلى ٢٠.

حين منحه خالقه ﷻ العقل الذي أكسبه هذه القدرة، ومكنه -بفضل الله- من هذه النظرة، ولاشك أن ذلك لدى الإنسان ضرب من الرفعة، والشرف، قال الله تعالى: +وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ"[1].

أما مظاهر التسخير وألوانه التي امتن الجواد سبحانه بها على العباد، فلنا أن نطلق العنان في سرد ما انتهى إليه علم الإنسان منها، إذ القدرة دون حصرها والإتيان عليها، لكن لابد في هذا المقام من ذكر بعضها:

قال الله تعالى: +أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ"[2]، **"يقول تعالى ذكره: ألم تروا أيها الناس أن الله سخر لكم ما في السموات من شمس وقمر، ونجم، وسحاب، وما في الأرض من دابة، وشجر، وماء، وبحر، وفلك وغير ذلك من المنافع، يجري ذلك كله لمنافعكم، ومصالحكم، لغذائكم، وأقواتكم، وأرزاقكم، وملاذكم، تتمتعون ببعض ذلك كله، وتنتفعون بجميعه، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة، وباطنة"[3]، ويقول سبحانه:** +۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ"[4]، **والإنسان يباشر منافع هذا التسخير، وهو لا يدري عما انطوى عليه من وجوه الإعجاز الإلهي، وعظمة الصنعة، ودقة الترتيب[5]، فينال من فضل الله تعالى بارتياده البحر في مجال التجارة، أو الغوص على اللؤلؤ، والمرجان، أو استخراج اللحم الطري[6].**

وهذا التسخير لا يقف -بقدرة الله وفضله- عند حد، فيتجاوزه – جل وعلا – إلى كل آفاق الكون، إنْ في السموات، أو الأرض، وإنْ على البر، أو في البحر، قال سبحانه: +وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ٣١، ٣٢.

(٢) سورة لقمان، الآية ٢٠.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٤٩/٢١.

(٤) سورة الجاثية، الآية ١٢.

(٥) يقول الإمام الرازي في هذا الشأن: "اعلم أنه تعالى ذكر الاستدلال بكيفية جريان الفلك على وجه البحر وذلك لا يحصل إلا بسبب تسخير ثلاثة أشياء أحدها: الرياح التي تجري على وفق المراد، ثانيها: خلق وجه الماء على الملامسة التي تجري عليها الفلك، ثالثها: خلق الخشبة على وجه تبقى طافية على وجه الماء ولا تغوص فيه، وهذه الأحوال الثلاثة لا يقدر عليها واحد من البشر، فلا بد من موجد قادر عليها، وهو الله ﷻ". التفسير الكبير، الفخر الرازي، مرجع سابق، ٦٧٣/٩.

(٦) انظر المرجع السابق، ٦٧٣/٩.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ"[1]، **وهذه السخرة لم تكن تأتي دون إرادة الخالق، وتدبيره، فإنه "لولا أن الله تعالى أوقف أجرام السموات والأرض في مَقَارِّها، وأحيازها لما حصل الانتفاع بها، وبتقدير كون الأرض من الذهب، والفضة، أو الحديد لم يحصل الانتفاع، ...سخر هذه الأشياء كائنة منه وحاصلة من عنده، يعني أنه – تعالى – مكونها، وموجدها بقدرته، وحكمته، ثم مسخرها لخلقه"**[2]، **ومن ذلك تسخير الدواب القوية له، كالإبل، والخيل، والبغال، مكنه الله منها على الرغم من أنها أقوى منه. قال الله تعالى:** +وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ"[3]، **وقال سبحانه:** +أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ"[4]، **وجاء فيما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:** «يقول الله ﷻ» **قال عفان:** «يوم القيامة»: يا ابن آدم حملتك على الخيل والإبل، وزوجتك النساء، وجعلتك تربع وترأس، فأين شكر ذلك»[5].

وكان من مظاهر هذه السخرة الكونية للإنسان، أن جعل الله – تعالى – له من بيئته ما يلجأ إليه، ويسكن فيه، حين إرادته المأوى، فأكرمه الله ﷻ بالمسكن، حين مكَّنه جل شأنه من كل مكوناته التي يحتاجها لبنائه، وتشييده، فقال سبحانه: +وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ"[6]، أي "... موضعاً تسكنون فيه، ويستر عوراتكم وحرمكم، وذلك أنه خلق الخشب، والمدر، والآلة، التي يُمكن بها تسقيف البيوت، وجعل لكم من جلود الأنعام، يعني الأنطاع، والأُدم بيوتاً، وهي القباب، والخيام تستخفونها يوم ظعنكم، يخف عليكم حملها في أسفاركم، ويوم إقامتكم لا يثقل عليكم في الحالتين"[7]، ويدخل في ذلك أهبة البيت من البسط،

---

(١) سورة الجاثية، الآية ١٣.

(٢) المرجع السابق، ٦٧٣/٩.

(٣) سورة النحل، الآيات من ٥ إلى ٩.

(٤) سورة يس، الآيات من ٧١ إلى ٧٣.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (٢٢٧٩ . ٢٢٨٠ رقم ٢٩٦٨) والإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث ١٠٣٨٣، ٤٩٢/٢.

(٦) سورة النحل، الآية ٨٠.

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، تحقيق صفوان عدنان داوودي (دار القلم، دمشق، ١٤١٥هـ) ١٤١٥هـ) ٦١٥/١. وانظر: زاد المسير في علم التفسير، عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي أبو الفرج ، مرجع سابق، ٤٧٦/٤.

البسط، والأوعية، والأغطية ونحوها...(١)، فاجتمع للإنسان بذلك نعم عدة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "... فالمساكن لها منفعتان: إحداهما السكون فيها لأجل الاستتار، فهي كلباس الزينة من هذا الوجه، والثاني وقاية الأذى من الشمس، والمطر، والريح ونحو ذلك..."(٢)، وهذا إكرام من الله تعالى "وتمام نعمه على عبيده بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم يأوون إليها ويستترون بها، وينتفعون بها بسائر وجوه الانتفاع"(٣)، ومما يُورد في هذا السياق ما رواه ابن عمر - رضي الله عنهما- قال: «رأيتني مع مع النبي ﷺ بنيت بيدي بيتاً، يكنني(٤)، من المطر، ويظلني من الشمس ما أعانني عليه أحد من خلق الله»(٥).

ومن أوجه مكانة المدعو المرتبطة بذاته كونه قد أُكْرِم بما يواري سوأته من اللباس، وتَزيُّن به هيئته، قال الله تعالى: +يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ ..."(٦)، "أي أنزلنا عليكم لباسين: لباساً يواري سوآتكم، ولباساً يزينكم"(٧)، جاء بيان ذلك، بعد ذكر عري آدم وحواء(٨)، فقد من الله – تعالى- تعالى- علينا بما خلق لنا من اللباس، الذي نستر به عوراتنا، وما نتجمل به من الثياب الحسنة(٩).

لقد كانت عناية الإسلام جلية واضحة بإتمام هذه النعمة على الناس، حين انفرد هذا الدين المحكم بجملة من الأحكام، والتنظيمات، الخاصة بنوع اللباس، وهيئته، وطريقة لبسه، فلكل واحد من هذه الأمور أحكامه الخاصة التي تحافظ على كرامة الإنسان، وقدره، فميزت لباس الرجل عن المرأة، وبينت حدود عورة كل منهما التي يجب عليه سترها، كما بينت حدود التزين باللباس، ليكون الأمر معتدلاً لا مبالغة فيه(10)،

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ٢١٩/١٥.

(٢) المرجع السابق، ٢١٩/١٥. وانظر: الدر المنثور، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، مرجع سابق، ١٥٤/٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٦٠١/٢.

(٤) "قوله (يُكِنُّنِي) بضم أوله وكسر الكاف وتشديد النون من أَكَنَّ إذا وَقَى، ... وكَنَنْته وَأَكْنَنْته أي سترته وأسررته" انظر: فتح الباري الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مرجع سابق، ٩٣/١١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الاستئذان، باب ما جاء في البناء، (رقم ٦٣٠٢) ص١٢١٢طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٦) سورة الأعراف، الآية ٢٦.

(٧) تفسير النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي ، مرجع سابق، ٤٩/٢.

(٨) في قوله تعالى: +فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ" سورة الأعراف، الآية ٢٢.

(٩) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، مرجع سابق، ٣٩٠/١.

(١٠) للاستزادة حول اللباس وأحكامه في الإسلام، انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ١٦/٤،

فاقترنت نعمة اللباس من الخالق على عباده بنعمة بيان المسالك الحسنة في لبسه، والاستفادة منه[1].

ولأن تلك النعم من الأدلة الكبرى على مكانة الإنسان، حين امتن المنعم ﷻ بها على عباده، لذا فقد كان دأب إبليس على نزع اللباس عن الإنسان، وقلب فطرته السوية بشأنه، فكان له ما أراد في أوساط كثيرة، مسخراً -في سبيل ذلك- أعواناً له من بني الإنسان، ليعملوا على تجريد الإنسان من ملابسه، قال الله تعالى: +يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ"[٢].

إن تسخير ما في السموات، والأرض للمدعو قد انطوى على نعم كثيرة لا تحصى، +وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ"[٣]، منها النعم المفردة، والمركبة، مأكولة، ومشروبة، وملبوسة، ونعم أخرى لا يعلمها الإنسان[٤]، والحديث عن مظاهر هذا التسخير لا ينقطع من آي القرآن الكريم[١]، وفيما مر من ذلك

و١٣/١٢٢،١٢١، و١٥/ ٣١٣-٣١٥، و٢٠/١٤٤، و٢١/٣٣٦ وما بعدها، و٢٢/١٠٩، و٢٨/٢٨،٢٧. وانظر: أحكام النساء، أبو الفرج بن الجوزي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ) . وانظر: رسالة الحجاب، محمد بن صالح العثيمين (مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٣هـ) . وانظر: الأسرة في ضوء الكتاب، والسنة، د. السيد أحمد فرج (دار الوفاء، المنصورة، ١٤٠٧هـ) . وانظر: خطر التبرج، والاختلاط، عبدالباقي رمضون (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٤هـ) . وانظر: فقه النظر في الإسلام، محمد أديب كلكل (مكتبة الإيمان، القاهرة، ١٩٨٣م) . وانظر: عودة الحجاب، محمد أحمد إسماعيل المقدم (دار طيبة، ١٤١٥هـ) ج٣. وانظر: حجاب المرأة، العفة، والأمانة، والحياء، عبدالله جمال الدين أفندي (مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٢هـ). وانظر: اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، د. محمد عبدالعزيز عمرو (مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ الطبعة).

(١) ولذا فإن من لم تجتمع له هاتان النعمتان حُرِم فائدة اللباس، وزينته، وهذا ماثل فيمن انتكست الفطر لديهم فخرجوا باللباس عن ذلك، ووقعوا في العري، والقبح، والغرابة، انظر على سبيل المثال: خطر التبرج والاختلاط، عبدالباقي رمضون ، مرجع سابق، . وانظر: قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلدة الغرب، مصطفى صبري (المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٤هـ). وانظر: المرأة العربية في جاهليتها، وإسلامها، عبدالله عفيفي (المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة).

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٧.

(٣) سورة النحل، الآية ١٨.

(٤) ولعل من أهمها قيام الكون المسخر للإنسان على نظام دقيق للتوازن بين ما فيه من خلق الله، يتوقف عليه اعتماد الأنواع، والعناصر على بعضها، في الحياة من حيث النمو، والتكاثر، والقوت، ولقد كان الإنسان داخلاً في هذه المنظومة البديعة بما يسره الله – تعالى – حين خلقه من انسجام مع الكون الذي يعيش فيه، ويبين هذا الانسجام من خلال الصلة المحكمة بينهما من جهة، ومع الله – تعالى – من جهة أخرى، وفيما يتصل بصلته بالكون فإنها تقوم على كونه منبته، ومجال حياته، فَخَلْق الله تعالى للإنسان قام على عناصر ارتبطت بما قامت عليها خلقة الكون، وتكوينه، وهذا يزيد في شرفه، لكونه تكون من مادة الكون، فكل ما قام فيه من خلق الله ﷻ تجده في الإنسان فاجتمع له -بذلك- ما لم يجتمع لغيره من المخلوقات، حين انطوت خلقته على عنصرين رئيسين، هما

الكفاية بتوفيق الله لبيان ما للمدعو من مكانة تتعلق بذاته.

العنصر المادي، والعنصر الروحي، وذلك وارد في قول الله تعالى: +وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ" سورة الحجر، الآيتان ٢٩،٢٨.

(١) من ذلك ما جاء في قول الله تعالى:+ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا (٢٩) وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا (٣١) وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا (٣٢) مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ"سورة النازعات، الآيات من ٢٧ إلى ٣٣. وقول الله تعالى: + فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ" سورة عبس الآيات من ٢٤ إلى ٣٢. وقول الله تعالى: +وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧) وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (٣٨) وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ (٣٩) لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ" سورة يس: الآيات من ٣٣ إلى ٤٢.

المطلب الخامس

الاصطفاء بالعبادة لله وحده

لاشك بأن حال الضعف الذي تنطوي عليه حياة الإنسان تجعله مرغماً في كل حالاته على الاستكانة إلى من هو أقوى منه، وأمكن، ولقد كان ذلك مغروساً في خلقته، وتكوينه، بل هو طبع تجاوز الإنسان إلى الحيوان[1]، فكل تلكم الكائنات الحية تشعر بمدى حاجتها إلى من تركن إليه، وتطلب العون، والغوث منه، وانظر كيف "أن الموحدين أجمعين من العرب، والعجم إذا كربهم أمر، ونزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء، ونصبوا أيديهم رافعين لها مشيرين بها إلى السماء، يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى"[2]، بل إن غير المسلمين من المشركين، وغيرهم ينزعون إلى ذلك تحت تأثير هذه الفطرة، التي لا ينفكون عنها في حال الشدة، والكرب +فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ"[3].

وهذه النزعة في خلقة الإنسان، وتكوينه تدل على أنه قد هُيئ بها لأمر عظيم، يضطلع به في حياته، وهو العبادة لله، وحده، فالله ﷻ قد خلقه لذلك، وأُبلغ العباد بهذا الأمر بقول الله ﷻ: +وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"[4]**.وحين اصطفاه سبحانه لذلك جعله – حين خلقه– قادراً على القيام به، وقادراً على الاهتداء إلى الإله الحق الذي ينفرد باستحقاق العبادة، فإذا ما انساق بتلك القدرة إلى ذلك نال زيادة فضل، ومكانة باستجابته لنداء الفطرة.**

---

(١) وفي هذا الشأن يقول أبو موسى الأشعري: "إن لكل شيء سادة حتى للنمل سادة، ومن عجيب هدايتها أنها تعرف ربها بأنه فوق سمواته على عرشه..." وقد روى أبو هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خرج نبي من الأنبياء يستسقي فإذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء فقال ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل شأن النملة» شفاء العليل في مسائل القضاء، والقدر، والحكمة، والتعليل، محمد بن أبي بكر (دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ) ص ٦٩. وحديث أبي هريرة ﷺ صحيح الإسناد على شرط الصحيحين. انظر: المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، ٤٧٣/١. وانظر: أيضاً سنن الدارقطني، ٦٦/٢. وفي هذا الباب أيضاً "قصة حمر الوحش المشهورة، التي ذكرها غير واحد، إنها انتهت إلى الماء لِتَرِدَه، فوجدت الناس حوله فتأخرت عنه، فلما جهدها العطش، رفعت رأسها إلى السماء، وجأرت إلى الله سبحانه بصوت واحد، فأرسل الله – سبحانه – عليها السماء بالمطر حتى شربت، وانصرفت". اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة، والجهمية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ) ص ٢١٢.

(٢) التحفة المدنية في العقيدة السلفية، حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر (دار العاصمة، الرياض، ١٩٩٢م) ص ١٤٨.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٦٥.

(٤) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

إذاً فالإنسان نال مزية الخيرية، والأفضلية بإنعام من الله ﷻ، وجعله يتمتع بها حين خلقه لعبادته، واصطفاه لهذا الشرف العظيم، وإنما نال تلكم المزية حين أمره الخالق –جل شأنه– بأن يجعل كل أقواله، وأعماله الصالحة، بل حياته كلها نذراً له جل وعلا، وتعبده بأن يضبط ذلك بالنية الخالصة، قال الله تعالى: +قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ"(١)، فالخضوع الذي يجب أن يكون لله ﷻ من كل خلقه تحقق جزء منه بخضوع الإنسان، واستسلامه لخالقه، وإفراده بالعبادة، فكان له بذلك زيادة في المكانة، والمنزلة من بين سائر الخلق.

ويصح أن نقرر هنا بأن من طبيعة المدعو أنه يلبي، ويستجيب لنداء الحق، واستجابته تلك زيادة له في المنزلة، والمكانة، فجاء الثناء عليه بليغاً في قول الله تعالى: +لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ..." بخلاف المعرضين غير المستجيبين، فقد جاء في حقهم : +...وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ" (٢)، وكانوا من شر الخلق بعد أن تخلوا عن مزية التعبد لله ﷻ والتمتع بالتذلل له، والانطراح بين يديه، وجاء في شأنهم قول الحق سبحانه: +۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ"(٣).

وفي هذا السياق يرد موقف نوح عليه السلام مع قومه بين يدي الطوفان، فإنه لم يؤمر بحمل الكفار الذين لم يستجيبوا لنداء الحق في السفينة، وإنما اقتصر ذلك على المستجيبين، وهم المؤمنين الخُلَّص الذين اتصفوا بصفة الاستجابة، فنالوا بها ما هم فيه من مكانة، ويستحقون لذلك النجاة، فبأمثالهم يحصل التكاثر المثمر، ولو كانوا قلة مؤمنة، وترك عليه السلام ابنه فلا قيمة له لكونه من غير المستجيبين.

ولكون مهمة التعبد لله – سبحانه – هي الأساس في حياة العباد، فقد مكنهم الله – تعالى – منها، وجعلهم إزاءها –دوماً– بحال التهيؤ لها، والاستعداد لاستقبالها، وقبولها، فالناس باعتبارهم المدعوون، لديهم قابلية التلقي لدعوة الإسلام، فقد جبلوا على ذلك، وهذا الأمر ماض حتى لدى الجن، فهم من المتعبدين لله تعالى، المهيئين لقبول ذلك حين يُدعون إليه، قال الله تعالى: +وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا"(٤)، كما يحصل منهم التفاعل، والاستجابة، فقد قال البارئ ﷻ: +وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٦٢.

(٢) سورة الرعد، الآية ١٨.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٢٢.

(٤) سورة الجن، الآية ١٩.

مُنذِرِينَ"[1]، ففي ذلك سماع من الجن للقرآن، وإسلام طائفة منهم لذلك[2].

والمعرض عن دعوة الحق، في حال إعراضه عنها ومكابرته في الأخذ بها – لا يمكن – أن يتجرد من فطرة الميل إليها، إذ الأصل فيه تهيؤه لقبول الحق، وقابليته للاقتناع، ومع استمراره في الإعراض عن الحق فإن خاصية القبول لديه قائمة، وإعراضه تم بتأثير خاصية أخرى لديه احتوته، وانصاعت لها نفسه، ولعل أثرها فيه أبلغ من خاصية القبول للحق، وهذا جلي في قول الله تعالى: +وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا"[3]، وحكاية ذلك جاءت في خبر الرجل المؤمن[4]، في قول الله تعالى: +وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ"[5].

وذلك فيه الدلالة على أن الله ﷻ حين خلق الإنسان فطره على جملة من الأمور، رفعت من مكانته، وأعلت منزلته، وفي مقدمة هذه الأمور كونه يشعر في قرارة نفسه بحاجته إلى إله يتوجه له بالعبادة، ويستند إليه في كل ما يعرض له من حاجة، وخطب، إذ هو في حاجة إلى الإيمان بمصدر له قوة عليا يشعر بهيمنته على ذاته، وعلى سائر الكون الذي يعيش فيه، وهذا الأمر ملازم لطبيعة الإنسان، ولا يستطيع فرد أن يتخلى عن دين يشبع من خلاله ما فُطِر عليه من شعور بالحاجة إلى خالق يتوجه له بالعبادة.

ومن اليقين بأن افتقار الإنسان لفطرة كتلك مؤذن بضياعه، وهلاكه، فهي التي تعينه على

---

(١) سورة الأحقاف، الآية ٢٩.

(٢) يقول الإمام الشوكاني –رحمه الله– : "... صرفنا أي وجهنا إليك نفراً من الجن وبعثناهم إليك، ... فلما حضروه أي حضروا القرآن عند تلاوته... قالوا أنصتوا، أي قال بعضهم لبعض اسكتوا أمروا بعضهم بعضاً بذلك لأجل أن يسمعوا، فلما... فرغ النبي ﷺ من تلاوته والقراءة، ولوا إلى قومهم منذرين أي انصرفوا قاصدين إلى من وراءهم من قومهم منذرين لهم عن مخالفة القرآن فيحذرون لهم، ... وهذا يدل على أنهم آمنوا بالنبي ﷺ ". فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني ، مرجع سابق، ٢٥/٥. وانظر: زاد المسير في علم التفسير، عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، مرجع سابق، ٣٨٧/٧.

(٣) سورة النمل، الآية ١٤.

(٤) هو "حبيب بن مري، وقيل حبيب بن إسرائيل النجار، وكان نجاراً، وقيل إسكافاً، وقيل قصاراً، وكان ينحت الأصنام، وهو ممن آمن بالنبي ﷺ وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الأكبر، وورقة بن نوفل وغيرهما...". انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ، مرجع سابق، ١٧/١٥، ١٨.

(٥) سورة يس، الآيات من ٢٠ إلى ٢٦.

تلمس طريق الحق، والصواب، وتهديه لسبيل الخير، وأسباب النجاة، قال الله تعالى: +وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا"(١)، وقال سبحانه: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ"(٢)، وقال الله تعالى: +..قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ" (٣).

وفي ذلك بيان لمدى إشفاق الخالق جل شأنه على خلقه، وبيان للمكانة الرفيعة التي هم فيها، لما يحظون به من حب الله – تعالى – لهم، "ولن نجد حبًّا لكائن يفوق حب الله ﷻ لعباده..."(٤).

ولما كان لابد من معبود للإنسان انصياعاً لفطرته(٥)، التي ولد عليها(٦)، يستوي في ذلك أولاد أولاد الكفار، والمسلمين، فقد أكرم الله تعالى الإنسان، ورفع من مقامه، حين جعله يركن إليه ﷻ ، ويتجه إليه بالذل، والعبادة، ورفع من مقامه حين جنبه صرف شيئ من ذلك للمخلوقين، فازداد بهذه العبودية لله – تعالى – منزلة ومكانة، حين اصطفاه سبحانه بها.

ولذا فإن المتنكب عن سبيل التعبد لله تعالى، الصارف ما لديه من غريزة الحاجة إلى المعبود الحق إلى المعبودات الباطلة! يُعد بحق ممن رضي المهانة على نفسه، يستبدلها بالعزة والمكانة الرفيعة، وهو من الفئة التي ركنت إلى الضعف، والهوان، وقد أبان الرسول ﷺ ذلك فيما رواه عياض بن حمار

---

(١) سورة النساء، الآية ١١٣.

(٢) سورة يونس، الآية ٥٧.

(٣) سورة المائدة، الآية ١٥.

(٤) انظر: منهج الحياة في القرآن والسنة، لصلاح إسماعيل أمين، مرجع سابق، ص ١٥٢.

(٥) أشهر الأقوال في بيان المراد بالفطرة أنها: الإسلام، قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بها في قول الله تعالى في سورة الروم، الآية ٣٠: +فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ" الإسلام... واحتجوا... بحديث عياض بن حمار ﷺ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم...» وقد سبق تخريجه. انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري أبو العلا (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ) ٢٨٧/٦.

(٦) جاء في الحديث الشريف مما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال ﷺ : «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...» أخرجه البخاري، في كتاب التفسير، باب لا تبديل لخلق الله، (رقم ٤٧٧٥) (ص٩٣١) ط بيت الأفكار الدولية، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت الأطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٠٤٧/٣) (رقم ٢٦٥٨).

المجاشعي[١] ﷺ **أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته:** «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبداً حلال[٢] وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[٣] عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ...»[٤]، **قال الإمام النووي –رحمه الله– مبيناً دلالة هذا الحديث: "وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم. أي مسلمين، وقيل: طاهرين من المعاصي. وقيل: مستقيمين منيبين لقبول الهداية... وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم"**[٥]**، فالناس يُولدون مسلمين، لكن تحرفهم التربية والبيئة المنتكسة عن هذا الإسلام الإسلام إلى الكفر، والبدعة، والمعصية. قال الله تعالى:** +فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"[٦]**، وهذا التبديل الذي يلحق هذه الفطرة من جراء فعل الإنسان فيه الدلالة على نعمة أخرى –ارتبطت بنعمة الاصطفاء بالعبادة– وهي نعمة القدرة على الاختيار، وتحديد المسار، فإن الله – تعالى – حين فطر الإنسان على الإسلام، أعطاه مشيئة يفرق بها بين الحق، والباطل، ويختار بها بين الخير، والشر**[٧].

ومما يرتبط بذلك أيضاً حرص المتعبد لله تعالى أن يحافظ على مستوى عبادته، وأن يداوم

---

(١) هو عياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي المجاشعي، له صحبة، وذُكر في أهل الصفة، وهو من متقشفة الصحابة، روى عن الرسول ﷺ وحديثه في صحيح مسلم، وعند أبي داود والترمذي، وسكن البصرة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سابق، ٧٥٢/٤. وانظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبدالله الأصبهاني أبو نعيم ١٦/٢. وانظر: معجم الصحابة، عبدالباقي بن قانع أبو الحسين، مرجع سابق، ٢٧٨/٢. وانظر: مشاهير علماء الأمصار، محمد بن حبان ابن أحمد التميمي البستي أبو حاتم، تحقيق م. فلا يشهمر (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م) ص ٤٠.

(٢) في الكلام حذف. أي قال الله تعالى: كل مال.. الخ. انظر: حاشية صحيح مسلم (٢١٩٧/٣).

(٣) فاجتالتهم بالجيم... أي استخفوهم فذهبوا بهم، وأزالوهم عما كانوا عليه، وجالوا معهم في الباطل. انظر شرح النووي على صحيح مسلم، مرجع سابق، ١٩٧/١٧.

(٤) أخرجه مسلم، في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يُعْرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (٢١٩٧/٣) (رقم ٢٨٦٥).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، مرجع سابق، ١٩٧/١٧.

(٦) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٧) انظر المحرر الوجيز في تفسير آيات الكتاب العزيز، عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي أبو محمد، ، مرجع سابق، ٣٣٦/٤، ٣٣٧.

على إحكام صلته بمعبوده، وتنزيه هذه الصلة مما قد يعتريها من ضروب الخطأ، والزلل، يتم ذلك دوماً بدافع من فطرته التي تسوقه إلى رعاية نعمة اصطفاء الله – تعالى – له بالعبادة، ولذا كان آدم أبو البشر عليه السلام عارفاً لمقامه الذي يناسبه، ومنزلته التي أهَّلَه الله تعالى لها، حين اعترف بخطئه، وأقر بما باشره مما نهاه ربه عنه من الأكل من الشجرة: +قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ"(١)، وعلى هذه الوتيرة انساق بنوه مع ربهم حين يقعون في الخطأ، وقد يسر الله – تعالى – لهم العودة إلى رحابه بالتوبة الصادقة، واتسامهم بذلك عضد لمكانتهم، وتأكيد لمقامهم الرفيع، وإنما حُرِم إبليس من ذلك لكونه تجاوز قدره، وعمد إلى تسنم رتب لا تناسب مقامه، ولا تتفق مع قدره وقدرته، بل كان ذلك سبباً في طرده من الرحمة، وحرمانه من النعيم، قال الله تعالى: +قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ"(٢).

وحين كان اصطفاء الله – تعالى – المدعو بعبادته وحده من أرفع حالات السمو، والرفعة التي نال بها مكانته الرفيعة، فقد كان هذا التعبد لله ﷺ موضعاً للإشادة به، ومدحه، ومجالاً للاحتفاء به من الله ﷻ، ونسبته إليه، وعبادة الله – تعالى – صفة عليا لازمت الأنبياء، والرسل عليهم السلام في كثير من آي القرآن الكريم، حين يأتي عليهم الذكر في ثناياها، ففي معرض ذكر الرسول ﷺ يأتي الحديث عنه بتلك الصفة مضافة إلى الله تعالى، وهي إضافة إكرام، وتشريف، يرتفع بها العباد مكانة، ومنزلة، قال تعالى: +وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ"(٣)، وقال سبحانه: +سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا..."(٤)، وقال سبحانه: +وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ"(٥)، وقال أيضاً: +ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا"(٦)، وفي الحديث عن نوح عليه السلام قال الله تعالى: +۞كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٣.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان ١٢، ١٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٣.

(٤) سورة الإسراء، الآية ١.

(٥) سورة الأنفال، الآية ٤١.

(٦) سورة الكهف، الآية ١.

فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ"(١)، **وفي الحديث عن داود ﷺ يقول سبحانه:** +ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ"(٢)، **وعن أيوب ﷺ يقول سبحانه:** +وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ"(٣)، **وعن يوسف ﷺ يقول الله تعالى:** +إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ"(٤).

ثم إن هذه المنزلة الرفيعة التي ينالها الإنسان حين يكون عابداً لله لم تقتصر الإشارة بشأنها على الأنبياء، والرسل عليهم السلام، بل إنها تجاوزتهم إلى من دونهم ممن عرف فضل اصطفاء الله عباده بالعبادة فكان من العابدين له سبحانه، يقول الباري ﷻ : +وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ"(٥)، **ويقول سبحانه بشأن عجز إبليس عن الكيد بمن نال شرف التعبد لله وحده:** +إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ"(٦)، **ويأمر محمداً ﷺ بأن يخبر من نال شرف التعبد من المؤمنين التائبين بالمغفرة والرحمة، فقال سبحانه:** +۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ"(٧)، **وفي جانب من جوانب السلوك المهتدي يصف الله ﷻ من يأخذون به بأنهم عباد الرحمن، فيقول ﷻ :** +وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا"(٨)، **وهذا السلوك المهتدي يبرر ما حصل من إشادة بهذه الفئة المستجيبة، وبما أنجزته بانضمامها لركاب الدعوة، وهي بهذا تبوأت مكانة خاصة استحقت معها حفظ هذا الصنيع لها.**

ومما يزيد المدعو مكانةً بقاء الحياة، وناموسها به، وأبرز مظاهر فاعلية المدعو في ذلك عبوديته لله ﷻ، فبه تتم هذه العبادة، وهنا يكمن جانب مهم في مكانته، ومن دلائل ذلك الإخبار في القرآن الكريم عن الإتيان بقوم آخرين يحبون الله، ويعبدونه في حال الإعراض عن عبادة الله

---

(١) سورة القمر، الآية ٩.

(٢) سورة ص، الآية ١٧.

(٣) سورة ص، الآية ٤١.

(٤) سورة يوسف، الآية ٢٤.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٨٦.

(٦) سورة الحجر، الآية ٤٢.

(٧) سورة الحجر، الآية ٤٩.

(٨) سورة الفرقان، الآية ٦٣.

تعالى: +إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ"[١]، **"سواهم أطوع لله منكم وما ذلك على الله بعزيز"[٢]، وفي مقام آخر، يقول الله تعالى: +**نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا"[٣]، **"أي في الخلقة، وإن كانوا أضدادهم في العمل"[٤]، ".. ممن يُطيع"[٥]، ولا يتنكب عن طاعة الرب ﷻ.**

ومع أن الإنسان زاد مكانة لكونه عابداً لله تعالى، إلا أنه قد حظي –بسبب ذلك– بنفحات من رحمة الله، وفضله، فإن من حكمة الله – تعالى – في منه على الإنسان بعبادته أن ينفحه من فضله ويكرمه بالنعيم، والسعادة في حياته الدنيا وفي الآخرة.

ومن آثار العبادة على العبد ما يترتب عليها من محبة الله ﷻ لما يراه من كثرة الطائعين، ولكون ذلك يتحقق بالمدعو فقد اكتسب به مكانة مرموقة فاق بها غيره، وكلما كثرت العبادة زادت مباهاة الله ﷻ ملائكته بذلك، فعن معقل بن يسار ﷺ قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، ولكنها لا تلد أفأتزوجها؟ فنهاه، ثم أتاه الثانية فقال مثل ذلك فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال مثل ذلك، فقال ﷺ: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم»[٦]، **قالت عائشة –رضي الله عنها–: إن رسول الله ﷺ قال:** «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء»[٧].

وخلاصة القول في هذه المسألة: إن الله – تعالى – حين اصطفى الإنسان، وأكرمه بأن يكون عابداً له، ويسر له السُّبل لسلوك ذلك، وارتياده، كان ذلك من صور المحبة له، ويقيناً فقد ارتفع بذلك عما سواه من الخلق، ونال به شرف التعبد لله ﷻ، وكان له ذلك واحداً من جوانب التفضيل

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ١٩.

(٢) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي أبو محمد، مرجع سابق، ٣٠/٣.

(٣) سورة الإنسان، الآية ٢٨.

(٤) التفسير الكبير، الفخر الرازي، مرجع سابق، ٧٦١/١٠.

(٥) تفسير البيضاوي، البيضاوي، مرجع سابق، ٤٣١/٥.

(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه، في كتاب النكاح، باب ذكر الزجر عن تزويج الرجل من النساء من لا تلد، حديث (رقم ٦٥٠٤)، ٦٥٠٤)، ٣٦٣/٩، وأبو داود، كتاب النكاح، باب النهي عن التزويج من لم يلد من النساء (٥٤٢/٢ رقم ٢٠٥٠) والنسائي، كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العقيم (٦٥/٦ ـ ٦٦ رقم ٣٢٢٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٩٤٠).

(٧) أخرجه مسلم، في كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، (٩٨٢/١ ـ ٩٨٣ رقم ١٣٤٨).

التي ذكرها الله – تعالى – بشأنه بقوله ﷿: +وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"[1].

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

المطلب السادس

قيام حياة المدعو على شريعة سماوية محكمة

إن الله ﷻ حين أنعم على الإنسان بإيجاده من العدم، ثم أسبغ عليه من نعمه الظاهرة، والباطنة، واصطفاه بعبادته، وكان من ضمن ما تعبده الله ﷻ به استخلافه في الأرض، وعمارتها، بعد أن هيأه في خلقته، وتكوينه للقيام بذلك، لم يتركه كي يقوم بذلك وفق ما يراه من ضروب التقرب، وصنوف العبادة، بل وقاه من مسالك الضياع، والتخبط الذي عانته الأمم الضالة المنحرفة، حين ركنت إلى جهدها في إشباع حاجة التعبد لمعبود تلجأ إليه، فلم تجن من ذلك إلا الإخفاق، والخسارة، ويستوي في ذلك من عبد الله ﷻ على ضلال، أو عبد غيره، أو أشرك معه في العبادة، قال الله تعالى: +قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**"[1]، قال ابن كثير –رحمه الله– : "هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية، يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطئ، وعمله مردود[2]...، والذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا أي عملوا أعمالاً باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، أي يعتقدون أنهم على شيء، وأنهم مقبولون محبوبون..."[3]، وهذا ينطبق على "كل عامل عملاً يحسبه فيه مصيباً، وأنه بفعله ذلك مطيع مرض لله، وهو بفعله ذلك لله مُسْخِط، وعن طريق أهل الإيمان به جائر..."[4].**

ولقد كان من تبعات هذا الامتياز التشريعي لبني الإنسان، أن اصطفى الله – تعالى – من جنسهم الرسل –عليهم السلام– ورفع منزلتهم بين الخلائق +اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**"[5]، فالله جل وعلا "... يصطفي من الملائكة رسلاً، ومن الناس أيضا رسلاً"[6]،وفي ذلك تكريم لجميع البشر من آدم ﷺ إلى قيام الساعة لكون الرسل إليهم من جنسهم.**

---

(١) سورة الكهف، الآيتان ١٠٣، ١٠٤.

(٢) وقد أورد –رحمه الله– شواهد على ذلك من آي القرآن الكريم منها، قول الله تعالى:+ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً" سورة الغاشية، الآيات ٢-٤، وقوله تعالى:+ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا" سورة الفرقان، الآية ٢٣، وقوله تعالى: + وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا" سورة النور، الآية ٣٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، مرجع سابق، ٣/ ١٠٨.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ١٦/٣٤.

(٥) سورة الحج، الآية ٧٥.

(٦) ١٧/ ٢٠٤. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الشأن: "والله يصطفي من الملائكة رسلاً، ومن الناس، فاصطفى لكلامه الرسول

ومن ذلك أن وافى الله تعالى عباده بهذا التشريع في كتاب سماوي، أنزله عليهم، وأرسل به رسوله ﷺ إليهم، وأكرمهم ﷻ بتوجيه الخطاب فيه إليهم، كما تعبدهم بتلاوة هذا الكتاب، وتدبر آياته[١]، "وقد أخبر سبحانه عن القرآن أنه شفاء، فقال الله تعالى: +وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ "[٢]، وقال: +وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ "[٣]، ... فإن القرآن كله شفاء... فهو شفاء للقلوب من داء الجهل، والشك، والريب، فلم ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعم، ولا أنفع، ولا أعظم، ولا أشجع في إزالة الداء من القرآن"[٤].

ثم إن هذا التشريع الرباني جلي فيه أن الله –بحكمته ورحمته– لم يُشرِّع للإنسان إلا ما يوائم طبيعته، ويفي بحاجاته، ويحقق مصلحته، ويبين لنا في هذا القدر الرفيع من المراعاة للإنسان، والحرص على نفعه، ومصلحته، مدى ما له من منزلة، ومكانة في رحاب الدين الإسلامي.

فهذه الشريعة المحكمة، وضعها الله ﷻ للإنسان، وهو الذي خلقه، وعلم طبعه، وحاجته؛ فكانت أنسب ما يكون لحاله، وأضمن ما يحقق الخير، والمنفعة له، وبها فقط ينال الإنسان الحياة الهانئة، والعيش الكريم، ويطمئن إلى مآله في الآخرة حين يلقى ربه، وإنما ينال ذلك بجملة من التشريعات التي تلبي سائر حاجاته الروحية، والجسدية، كلها يؤكد ما للإنسان من مكانة بدت في هذا الاهتمام البالغ بأمره حين، وضعت له هذه التشريعات.

والناظر –في حقيقة الأمر– إلى فصول هذا التشريع يجد كيف أنه قد استوعب حياة الإنسان بكل فصولها، وليس المقام هنا موضعاً لبيان سمات، وخصائص هذا التشريع، لكن من نافلة القول الإشارة إلى ما اجتمع فيه من سمو وقداسة، وإحكام وعصمة، واستيعاب وسعة، وشمول للأحوال، وللزمان، والمكان، وثبات ودوام، ومرونة ويسر، وتسامح، وتوسط، واعتدال[٥].

الملكي، فنزل به على الرسول البشري الذي اصطفاه، وقد أضافه إلى كل من الرسولين، لأنه بلَّغه، وأدَّاه، لا لأنه أنشأه وابتداه، قال تعالى: +إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝" سورة التكوير، الآيات ١٩–٢١. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ٨٢/١٧.

(١) انظر خصائص القرآن الكريم، د. فهد بن عبدالرحمن الرومي (مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٧هـ).

(٢) سورة فصلت، الآية ٤٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٨٢.

(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية (دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة) ٢،٣/١.

(٥) للاستزادة حول ذلك انظر: رحمة للعالمين، محمد سليمان سلمان المنصور فوري (دار السلام، الرياض، ١٤١٨هـ) ص ٨٩١ وما

المبحث الرابع
حقوق المدعو المتعلقة بذاته

تمهيد:

لعل الحديث عن الحقوق التي ينالها الإنسان في البيئات المختلفة من أكثر الموضوعات التي تشكل ميداناً للتباهي بتحقيق هذه الحقوق في صورتها المثلى، وتمكين صاحبها -وهو الإنسان- منها، كما أنها موطن لاختلاف وجهات النظر حول كثير من مسائلها، وفي خضم هذه الاختلافات أهدرت كثير من تلك الحقوق، وضاعت من أصحابها.

ضاعت في ظل نظرات بشرية قاصرة، كثيراً ما تتأثر بالنزعات الفردية المحدودة، أو بالظروف الاجتماعية الخاصة، أو بالعوامل الاقتصادية المتقلبة، أو بالتيارات السياسية المضطربة، وهي تفتقر في أحيان كثيرة إلى نظرة مخلصة، وتعامل نزيه صادق، بسبب تأثر بعض القائمين عليها[1] بجوانب مما ذُكر.

أما الحديث عن هذه الحقوق في ظل الإسلام فمختلف عنه لدى غيره، لكون هذه الحقوق أظهر ما

بعدها. وانظر: خصائص مدرسة النبوة، د. كمال محمد عيسى (دار الشروق، جدة، ١٤٠٤ هـ). وانظر: الخصائص الكبرى لحقوق الإنسان في الإسلام، ودعائم الديمقراطية الإسلامية، د. وهبة الزحيلي (دار المكتبي، دمشق، ١٤١٦هـ). وانظر: خصائص الشريعة الإسلامية، د. عمر سليمان الأشقر ، مرجع سابق، وانظر: فقه السياسة الشرعية في ضوء القرآن، والسنة، وأقوال سلف الأمة، خالد بن علي العنبري (مطبعة سفير، الرياض، ١٤١٧هـ). وانظر: مقدمة في الفقه، أصوله، مصادره، مزاياه، المذاهب الفقهية الأربعة، د. سليمان بن عبدالله أبا الخيل (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٨هـ) الصفحات ٤٧-٧٠. وانظر: خصائص الدعوة الإسلامية، محمد أمين حسن (مكتبة المنار، الزرقاء، ١٤٠٣هـ).

(١) تُشكل منظمة حقوق الإنسان محوراً للاختلاف مع كثير من المجتمعات حول هذه الحقوق، وتساهم بمطالبها، ودعاواها في إلحاق الظلم بالإنسان، وتكون منطلقاً لتبرير الاعتداء الحاصل على حياته، وأملاكه. وهي أمضى ما تكون -في ذلك- حين يكون الأمر متعلقاً بحقوق الإنسان في ظل شريعة الإسلام، فلقد راعها افتراءً ما يقيمه الإسلام من حدود، وعقوبات، وتعزيرات على من يستحق ذلك من المعتدين، والمخالفين، وهي تصر بذلك على أن تحصيل تلك الحقوق يتم حين تعطل تلك الحدود الإلهية، وفاتها أن إلغاء أحكام الله – تعالى – في عباده إلغاء لحقوق الإنسان، وإهدار فعلي لكرامته، كما أن إلغاء القصاص، والجلد، والقطع إنما هو إهدار لحقوق الناس في أرواحهم، وأموالهم، وأعراضهم، وتشجيع للمعتدين على تلك الحقوق من المجرمين، لشعورهم بضآلة التبعات، وأمنهم من شدة العقوبة. للاستزادة حول ذلك انظر: المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، د. عدنان علي رضا النحوي (دار النحوي، الرياض، ١٤١٨هـ) / ١٤٣ – ١٧٥. وانظر: حقوق الإنسان في الإسلام، ملحق صحفي خاص لجريدة (العالم الإسلامي) العدد رقم ١٦٣٩، بمناسبة انعقاد ندوة حقوق الإنسان في الإسلام في العاصمة الإيطالية روما، في الفترة من ١٥ إلى ١٤٢٠/١١/٢١هـ.

تكون في شمولها لكل متطلبات الإنسان، وتحقيقها للرضا، والقبول منه، ولقد تمكن الإنسان حين نالها من حياة كريمة مستقرة، أكدت ما له من اعتبار، وقيمة ترتبط بذاته الإنسانية، دون أن تتأثر تلك القيمة بجنسه، أو عرقه، أو حتى دينه، ونحلته.

ويتطلب السياق المنهجي لعرض مكانة المدعو باعتبار ذاته، أن يتضمن هذا المبحث حديثاً عن حقوقه في الإسلام، فبها نال مكانته الرفيعة، وهي حقوق أساسية أشرك الإسلام فيها غير المسلمين مع المسلمين.

ويتضح هذا النسق إذا قمنا بفرز تلك الحقوق، وتصنيفها إلى أقسام، أوردها الدكتور محمد عبدالله دراز في معرض حديثه عن الكرامة الإنسانية، فقد جعلها ثلاثة أقسام، بقوله: "إن الكرامة التي يقررها الإسلام للشخصية الإنسانية كرامة مثلثة: كرامة هي عصمة، وحماية، وكرامة هي عزة، وسيادة، وكرامة هي استحقاق، وجدارة، كرامة يستمدها الإنسان من طبيعته، ولقد كرمنا بني آدم، وكرامة تتغذى من عقيدته، ولله العزة، ولرسوله، وللمؤمنين، وكرامة يستوجبها بعمله، وسيرته،"[1]. ونحن في هذا المبحث معنيون بالنوع الأول، وهو كرامة العصمة، والحماية التي استمدها الإنسان من طبيعة خلقه، وتكوينه.

وبين يدي الحديث عن مظاهر هذا التكريم، تأتي مسألة مهمة، تحتاج إلى وقفة تُجَلِّيها، وهي مدى قيمة غير المسلم في الإسلام، وهل له شيء من المنزلة، والمكانة في ظل تعاليمه، وهو بعيد عنها غير ملتزم بها.

---

(١) نظرات في الإسلام، د. محمد عبدالله دراز (المكتب الفني للنشر، القاهرة، ١٩٨٥م) ص ٩٧.

المطلب الأول

تقرير حقوق غير المسلمين في الإسلام

من المؤكد أن الإنسان يفقد جزءاً كبيراً من قيمته، ومكانته حين يفتقر إلى الإيمان، لكن الإسلام لم يجرده من مكانته المرتبطة بذاته الإنسانية، ومَكَّنَه -تبعاً لذلك- من حقوقه باعتبار إنسانيته، فقد استوعبت تشريعات الإسلام كل الحقوق التي ينالها الإنسان بهذا الاعتبار، دون النظر إلى عقيدته، ونحلته، وهي وإن كانت دون حقوق المسلم إلا أنها تمثل الحد الأدنى الذي لم يتمتع به الإنسان في غير ظل الإسلام.

ويمكن القول بأن هذه الحقوق واجبة لكل إنسان أيًّا كان كبيراً، أو صغيراً، حاكماً، أو محكوماً، غنيًّا، أو فقيراً، لأن النفس الإنسانية في الإسلام لا تتجزأ، ولا تتبعض، فنفس الحاكم، والمحكوم في الدية سواء، وحتى غير المسلمين، الذين يعيشون في ذمة المسلمين، وكنفهم، لهم الحقوق نفسها مالم يعيثوا في المجتمع فساداً، أو ضلالاً وفتنة، كما لا يجبرون على اعتناق الإسلام[1].

وقد بين رسول الله ﷺ في حجة الوداع بعض جوانب هذا التكريم، الذي لم يُسْبق إليه، حيث ذكر أننا جميعاً أخوة، لأننا عبيد الله الواحد، وأبناء لأب واحد هو آدم عليه السلام، ومصيرنا جميعاً واحد هو التراب، وبين أن دماء الناس، وأموالهم، وأعراضهم حرام كحرمة مكة، والشهر الحرام[2]، ولقد أكد تشريع الإسلام حقوق الناس في الأمن، والعيش، والدين والعمل بحرية واطمئنان، ... وجعل أهل الذمة، ومن على شاكلتهم من أهل العهود، والأمان أصحاب حق ثابت كالمسلمين، يجب الوفاء إليهم بما تعاهدوا عليه، وأن من يخون ذلك العهد يبرأ منه الله، ورسوله، كما أن الدية تدفع عنه كاملة في حال قتله[3]، وملكيته لأشيائه مصونة قليلها، وكثيرها، وتحفظ عليه داره، وحقله،

---

(١) انظر: شرح الشروط العمرية، ابن قيم الجوزية، تحقيق د. صبحي الصالح (مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٣٨١هـ). وانظر: حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية، أبو الأعلى المودودي (دار الفكر، دمشق، بدون تاريخ الطبعة).

(٢) جاء ذلك في أحاديث منها ما أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، (رقم ١٧٣٩) ص٣٣١ طبعة بيت الأفكار الدولية، ومسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ (١/٨٨٦ . ٨٨٩) (رقم ١٢١٨).

(٣) ورد في هذه المسألة خلاف بين العلماء، بين من يقول أن ديته نصف دية المسلم، واستدلوا بقول الرسول ﷺ : «دية المعاهد نصف دية الحر» أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب ، باب في دية الذمي، (٤/٧٠٧ . ٧٠٨ رقم ٤٥٨٣) والترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء في دية الكفار (رقم ١٤١٣) ص٢٤٧ وسنة النسائي، كتاب القسامة، باب كم دية الكافر (٨/٤٥ رقم ٤٨٠٤) وابن ماجة، كتاب الديات، باب دية الكافر (٢/٨٨٣) (رقم ٢٦٤٤). وبنوا على ذلك بأن "دية الكتابي نصف دية الحر المسلم، سواء

وبهيمته: كملك أي مسلم في المجتمع، وللذمي على الأمة المسلمة حفظ عقله، وعرضه.

وإذا كان حق المسلم قد يكون في ذمة جاره من المسلمين –مثلاً– فإن حق الذمي معلق في أعناق المسلمين جميعاً، الذين يعيشون في المجتمع المعين، فكل منهم مسؤول مسؤولية فردية، وجماعية كاملة، أن يحفظ للذمي الحقوق الخمسة(1).

إذاً فالإنسان كائن مكرم محترم، وهذه "حقيقة أساسية، ومعتبرة في دين الإسلام...، بل إنه سيد الكائنات جميعها...، ذلك ما يحمله الإسلام في شريعته، وتصوره، لكي تعلم البشرية في كل زمان، ومكان أن أغلى الكائنات، وأعظمها لهو الإنسان..."(2).

ولإنصاع هذه الحقيقة في جميع، وجوهها لابد من نقاشها على ضوء ما جاء في قول الله تعالى: +لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ"(3)**، وقوله تعالى:** +إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ"(4)**، ففي هذه الآية "التنبيه على أن الأصل في الإنسان أن يكون في الخسران والخيبة، وتقريره أن سعادة الإنسان في حب الآخرة، والإعراض عن الدنيا..."(5).**

أكان ذمياً، أو معاهداً، أو مستأمناً، لاشتراكهم في حقن الدم" توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام (مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ) ٢٢٨/٥. وقد "ذهب أبو حنيفة، والشافعي إلى أن دية الذمي مثل دية المسلم، ودليلهما قوله تعالى: +وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ"سورة النساء، الآية ٩٢. والظاهر من الإطلاق الكمال، والجواب أن الآية مجملة ولا يخفى أن دليل القول الأول أقوى وأرجح" انظر: المرجع السابق، ٢٢٩/٥.

(١) المراد بتلك الحقوق: النفس، والدين، والمال، والعرض، والعقل، وللاستزادة انظر: شرح الشروط العمرية، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق،. وانظر: حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية، أبو الأعلى المودودي ، مرجع سابق، وانظر: حقوق الإنسان في الإسلام، د. علي عبدالواحد وافي (دار نهضة مصر، القاهرة، ١٣٩٨هـ). وانظر: حقوق الإنسان في الإسلام، سيف الدين حسين شاهين (مطبعة سفير، الرياض، ١٤١٣هـ). وانظر كذلك: معاملة غير المسلمين في ديار الإسلام، ومعاملة المسلمين في غير ديار الإسلام، د. أمين محمد القضاة، ضمن أبحاث المشروع العلمي "معاملة غير المسلمين في الإسلام" ، مرجع سابق، ٥٨٥/٢ وما بعدها.

(٢) الإنسان في الإسلام، د. أميرعبدالعزيز، مرجع سابق، ص ١١٨.

(٣) سورة التين، الآيات من ٤ إلى ٦.

(٤) سورة العصر، الآيتان ٢، ٣.

(٥)التفسير الكبير، الفخر الرازي، مرجع سابق، ٢٨٠/١١. وانظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي البغدادي، مرجع سابق، ٢٢٨/٣٠، ٢٢٩.

فهل القيمة الإنسانية الكاملة لغير المسلم قد سقطت بكفره..؟.

إن الروح التي تنطوي عليها شريعة الإسلام بهذا الشأن لا تحرم الإنسان من كل قيمته في حال إعراضه عن الإسلام، فلا يزال له فيها مكانة، ومنزلة وإن كانت دون منزلة المسلم، ولو قلنا بأنه قبل البلاغ يتمتع بجزء وافر من المكانة، والحقوق، فسقط جُلّ ذلك بعد إعراضه عن الحق حين إبلاغه به، إلا أنه يبقى له شيء من حقوقه التي تقوم على محبة الخير له بمداومة دعوته، وغير ذلك كأن يكون بقاؤه سبباً في هداية غيره من عقبه، فعن عروة أن عائشة – رضي الله عنها – زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[1]. **وكون غير المسلم سبباً في وجود من يعبد الله ﷻ من عقبه، فهذا كاف لشيء من الاحتفاء، والمكانة يُمنح إياها.**

ولقد انطوت عقيدة السلف الصالح في مسألة الولاء والبراء على التفريق الواضح بين محبة الكافر، ومحبة الخير للكافر، إذ المحبة الأولى محرمة، لأنها تصادم هذه العقيدة، والثانية منساقة معها لا تعارضها، فهي لازمة من لوازم نشر الإسلام، وتعميم خيره على البشرية، ومن المعروف أن هذه الدعوة انطوت على حب الخير للناس، وإسعادهم، والإشفاق عليهم من البؤس في الدنيا، والشقاء في الآخرة، والعياذ بالله، ولذا فقد جاء فيما رواه أنس ﷺ أن غلاماً من اليهود كان مرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم» **فنظر إلى أبيه، وهو عند رأسه، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم. فأسلم، فقام النبي ﷺ وهو يقول:** «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»[2]،

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غُفِر له ما تقدم من ذنبه، (رقم ٣٢٣١) (ص٦٢٠) ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ١٤٢٠/٢ (رقم ١٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (رقم ١٣٥٦) ص٢٦٣. "ويُعاد المشرك ليدعي إلى الإسلام إذا رجي إجابته، ألا ترى أن اليهودي أسلم حين عرض عليه النبي ﷺ الإسلام، فأما إذا لم يطمع في إسلام الكافر ولا يرجى إنابته فلا ينبغي عيادته..." . عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي ، مرجع سابق، ٢٤٩/٨.

وهذه الروح المشفقة تنتاب المسلم دوماً، كلما لاح له التعامل مع غير المسلمين، مهما كان موقفهم منه، فقد روى البخاري -رحمه الله- عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: «كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء[1] ضربه قومه، فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[2]، **كما روى سهل بن سعد الساعدي، قال: قال رسول الله ﷺ :** «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» **قال أبو حاتم ﷺ: يعني هذا الدعاء، أنه قال يوم أحد لما شج وجهه، قال: اللهم اغفر لقومي ذنبهم بي من الشج لوجهي، لا أنه دعاء للكفار بالمغفرة، ولو دعا لهم بالمغفرة لأسلموا في ذلك الوقت لا محالة«[3]، ومن الواضح أن الدعاء للكافر بالمغفرة يختلف عن الدعاء له بالهداية.**

ومن المعلوم أن الأصل بشأن الإنسان التكريم، لأن أصله الإيمان، والكفر طارئ عليه، ولذا فقد حظي -لكونه إنساناً- بجملة من الإجراءات التي تستصحبه في مراحل حياته منذ وجوده جنيناً في بطن أمه، حيث احترم الإسلام حياته، وأولاها عنايته، حين اكتسب الإنسان هذا الحظوة بمجرد أن تمت نشأته في صورتها الأولى بحصول التلقيح عند لقاء الحيوان المنوي للرجل ببويضة المرأة، فحُرِّم كل مانع للحمل يستخدم بعد حصول التلقيح لأنه قضاء على الجنين[4]، ونال الإنسان ذلك أيضاً عند ولادته، وفي طفولته، وسائر مراحل حياته...[5].

---

(١) قال ابن حجر -رحمه الله- : "لم أقف على اسم هذا النبي صريحاً، ويحتمل أن يكون هو نوح عليه السلام" انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مرجع سابق، ٥٢١/٦.

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب الأنبياء، باب حديث الغار، (رقم ٣٤٧٧) ص٦٧٠ ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد (١٤١٧/٢ رقم ١٧٩٢).

(٣) أخرجه: ابن حبان في صحيحه، في باب الأدعية، ذكر ما يجب على المرء الدعاء على أعدائه بما فيه ترك حظ نفسه، رقم الحديث ٩٧٣، ٢٥٤/٣. وأبو داود، كتاب النكاح، باب النهي عن التزويج من لم يلد من نساء (٥٤٢/٢ رقم ٢٠٥٠) والنسائي، كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العقيم ٦٥/٦ ـ ٦٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٩٤٠) .

(٤) جاءت أحكام الإسلام بشأن منع الحمل مانعة لذلك من حيث المبدأ، ويأتي الاستثناء فيما تدعو الحاجة إليه، كأن تكون الزوجة مريضة لا تقدر على الحمل، وغير ذلك من الأسباب الداعية إلى منع الحمل، أو إلى إسقاط الجنين بعد بيان الحمل به، في حال قرر الثقاة من الأطباء بأن في بقائه خطر على حياة أمه. انظر فتاوى الشيخ محمد الصالح العثيمين، إعداد وترتيب أشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم (دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١١هـ) ٧٦٤/٢، ٨٥١.

(٥) حظي الإنسان في مراحل طفولته بجملة من الحقوق، والمزايا التي تبين مدى العناية القصوى به في تلك المرحلة من حياته، مما يؤكد عظم مكانته في دين الإسلام، فقد جاء الاهتمام به في الجانب المعنوي كاختيار الاسم الحسن له، وفي الجانب الصحي كتنظيم فترة رضاعته، وبيان مدتها، وفي الجانب التربوي والأخلاقي كالأذان في إحدى أذنيه، والإقامة في الأخرى، فقد عمد الإسلام إلى تهذيب

وكان من مظاهر ذلك صيانة حرمة الإنسان، حين حظر الإسلام كل ما يهينه، ويسيء إلى إنسانيته، فقد حرم الإسلام ما يؤدي إلى ذلك من ضروب التعذيب، والإهانة، وقد امتاز الإنسان في كنف الإسلام –في هذه الناحية– على غيره لدى أهل الدعوات الضالة، أو المنحرفة التي عانى بسببها الضر، وكابد من جرائها الضيم(١).

وحين حث دين الإسلام على الرأفة بالناس، ونهى عن إلحاق الأذى بهم، فقد ألحق ذلك أيضاً بالنهي عن تحقيرهم، وإهانتهم، وعدم التعالي، والتكبر عليهم، وإلقاء ما يشعرهم بذلك من الأقوال، أو الأفعال، لمَّا «نهى رسول الله ﷺ أن تضرب الصور يعني الوجه»(٢).

ولقد كان مسلك الإسلام في إزجاء ذلك، وتأكيده ينهال من جوانب عدة، من أظهرها الحث على الرحمة، والشفقة، والنهي عن التجبر، والتكبر، ووأد هذه الأمور في نفس الإنسان من شأنه أن يزكي الاحتفاء بالناس، ومعاملتهم بما لهم من اعتبار، وحق، والبعد عمّا سوى ذلك من صور الإهانة والتحقير، قال الله تعالى: +وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا"(٣)، **"قوله وعباد الرحمن، أي: أفاضل العباد... بالسكينة والوقار متواضعين غير أشرين ولا**

السلوك، وتقويمه بتربيته القويمة للفرد الذي هو قوام المجتمع، وغير ذلك في حقه رحب واسع لا يُضَاهي الإسلام فيه أي تنظيم، وهذه الميزة في تكريم الفرد، وتربيته لا تجتمع له بصورة كاملة سديدة في أي مذهب من مذاهب الفكر البشري. وللاستزادة حول ذلك انظر: تحفة المودود بأحكام المولود، ابن قيم الجوزية، تحقيق بشير محمد عيون (مكتبة المؤيد، الرياض، ١٤١٤هـ). وانظر: تفصيلاً جيداً لذلك في: الإنسان في الإسلام، د. أمير عبدالعزيز ، مرجع سابق، ص ١١٨ – ٢٣٣. وانظر: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوي، مرجع سابق، ص ٣٥٩.

(١) ومن ضروب هذا الامتهان أن "... المصريين قديماً كانوا يتخذون من الوجود العام لحياة كثير من أفراد المجتمع سخرة مهينة، وخدمة، وزينة، وكانوا ينظرون إلى الرقيق على أنه آلة صماء، وكانت أحواله في مصر القديمة تدعو إلى الأسى والإشفاق، فقد كان بعضهم يتخذ رقيقاً للزينة.. وكذلك كان حال قطيع ضخم في المجتمع الفارسي يتخذ للعب، واللهو والزينة.. بالنهار ينزف وجوده، ودمه في مزارع السادة، وبالليل في ساحات لهوهم تفترسه السباع، وتنهش كبده الوحوش تسلية، ومسرة لطبقة الحكام، والملوك، والكهان" . وللاستزادة حول صور إهدار كرامة الإنسان، وعدم الاعتراف بمكانته، انظر: المعرفة في منهج القرآن الكريم، دراسة في الدعوة، والدعاة، صابر طعيمة (دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ الطبعة) ص ٣٥ وما بعدها، وانظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص ٣٦ وما بعدها.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، رقم الحديث ٤٧٧٩، ٢٥/٢. وقال الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ في تحقيقه للمسند (٩/٧): إسناده صحيح.

(٣) سورة الفرقان، الآية ٦٣.

مرحين، ولا متكبرين... لا يُسَفِّهُون، وإن سُفِّه عليهم حلموا..."[١].

ويرد في هذا الشأن ما قرره دين الإسلام من طهارة غير المسلم، أو نجاسته، من كون الغالب فيه الطهارة، وهذا يربطنا بحقيقة خلقة الإنسان إذ يتساوى –باعتبار ذاته– مع المسلم في هذا الجانب.

أما ما جاء من وصفهم بالأنجاس، كما في قول الله تعالى: +إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ" [٢]، فلأن "معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس، فهو مجاز عن خبث الباطن، وفساد العقيدة، مستعار لذلك..."[٣]، فالمراد بتلك النجاسة "نجاسة الاعتقاد، والاستقذار..."[٤].

وقد جاء فيما رواه ثعلبة[٥]، من سؤاله الرسول ﷺ بقوله: "إن أرضنا أرض أهل كتاب، وأنهم يأكلون لحم الخنزير، ويشربون الخمر، فكيف أصنع بآنيتهم، وقدورهم؟ قال: «إن لم تجدوا غيرها فارحضوها[٦]، واطبخوا فيها، واشربوا...»[٧]، **فإن الأمر بغسل الآنية ليس لتلوثها برطوباتهم، بل لطبخهم الخنزير، وشربهم الخمر فيها[٨]، فنجاستهم ليست حسية، وإنما جاء التعبير بها عن حالهم حالهم على سبيل المجاز، ولذلك ما يؤيده من الشواهد في حديث الرسول ﷺ[٩].**

---

(١) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي أبو محمد، مرجع سابق، ٣٧٥/٣.

(٢) سورة التوبة، الآية ٢٨.

(٣) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، مرجع سابق، ٣٧٤/٥.

(٤) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مرجع سابق، ٢٥/١.

(٥) هو جرثومة بن الاشق بن ناسم من الخشن بن وائل بن النمر بن وبرة بن ثعلبة من اليمن، وقد اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً، وكذا في اسم أبيه، فقيل جُرهُم، وقيل جرثم مثله لكن بدل الهاء مثلثة، وقيل جرهوم، وقيل جرثوم، وقيل جرثومة، وغير ذلك، صحابي مشهور، من عباد الصحابة له في جملة أهل الصفة ذكر، ومدخل، كما له مرويات عن الرسول ﷺ. انظر: معجم الصحابة، عبدالباقي بن قانع أبو الحسين ، مرجع سابق، ١٥٩/١. وانظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبدالله الأصبهاني أبو نعيم ، مرجع سابق، ٢٩/٢ . وانظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، مرجع سابق، ٥٦٧/٢ . وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سابق، ٤٧٠/١ و ٥٨/٧.

(٦) رَحَضَ يده وثوبه غسله، والمعنى اغسلوها. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مادة: رحض.

(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث ١٧٧٧٢، ١٩٣/٤. وأبو داود، كتاب الأطعمة، باب الأكل في آنية أهل الكتاب (١٧٧/٤ . ١٧٨ رقم ٣٨٣٩).

(٨) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مرجع سابق، ٢٣/١.

(٩) ومن ذلك ما ثبت عن الرسول ﷺ من أنه توضأ من مزادة مشركة. وربط ثمامة بن أثال، وهو مشرك بسارية من سواري المسجد. وأكل من الشاة التي أهدتها له يهودية من خيبر. وأكل من الجبن المجلوب من بلاد النصارى، وأكل من خبز الشعير، والإهالة لما

وخلاصة القول: إن دين الإسلام أبقى للإنسان حدًّا أدنى من الاحتفاء، والمكانة، لا يُحْرم إياه عند ترديه في دركات الغي، والضلال، فهناك قيمة إنسانية مشتركة، تتمثل في "الاعتقاد بأن الناس جميعاً متساوون في طبيعتهم، البشرية، وأن ليس هناك جماعة تفضل غيرها بحسب عنصرها الإنساني، وخلقها الأول، وانحدارها من سلالة خاصة، وما انتقل إليها من أصلها هذا بطريق الوراثة، وأن التفاضل بين الناس إنما يقوم على أمور أخرى خارجة عن طبيعتهم وعناصرهم، وسلالاتهم، وخلقهم الأول..."[1]، وكل "تفاضل لا يد للإنسان فيه إنما هو تفاضل وهمي، وبما أن الإنسان لا يد له في اختيار قومه، ولا لونه فلا معنى للتفاضل في شيء خارج نطاق الإنسان، وفعله..."[2]؛ ولذا كان انتساب ذات الإنسان لهذا الجنس البشري، جعله –دوماً– حاضراً في ميزان الإسلام، لكون هذا الدين قد جعل الإنسان –على أي حال كان– في حسبانه، فهو الميدان الذي تُعْمَل فيه شريعته.

ونستعرض فيما يلي جملة من حقوقه، التي لم يتوافر عليها نظام كتوافر نظام الإسلام، وشرعه، وتأتي ضمن أقسام رئيسة ثلاثة، تنطوي على كل حق يمكن أن يحوزه إنسان في ظل الإسلام، وهذه الحقوق هي: حق المدعو في الحياة الكريمة، والأمن فيها، ثم حقه في العلم، والمعرفة، والإدراك، ثم حقه في الحرية التي تطلق إرادته، واختياراته في مجالاتها الإيجابية.

والمتأمل في تلك الحقوق بترتيبها السابق، يجد أن منطق البناء الصحيح لها، هو الذي نظمها في هذا النسق، لكون كل منها يُعد مرحلة تنبني عليها التي تليها، فمن اليقين أن الحياة المستقرة الآمنة لازمة للانطلاق منها في أفق التلقي، والمعرفة، ومباشرة أنماط البناء الخير، والإيجابية الفاعلة في جو من الحرية المهتدية، والانعتاق من قيود السلبية، التي لا تجد مكاناً لها على أرضية المنهج الإسلامي الراشد.

دعاه إلى ذلك يهودي. وكذا ما قررته الشريعة من جواز مباشرة الكتابيات، وكذا المسبية قبل إسلامها، وتحليل طعام أهل الكتاب، ونسائهم، ولم ينقل توقي رطوبات الكفار عن السلف الصالح، ولو توقوها لشاع. انظر: المرجع السابق.

(١) حقوق الإنسان في الإسلام، د. علي عبدالواحد وافي ، مرجع سابق، ص ٨.

(٢) قضايا ساخنة تؤكد أصالة الإسلام ديناً عالمياً يلبي رغبات الفطرة الإنسانية، د. محمد علي الهرفي (دار المعالم الثقافية، الأحساء، بدون تاريخ الطبعة) ص ١١.

المطلب الثاني

حق المدعو في الحياة الكريمة، والأمن فيها

تقوم هذه الحياة على حفظ الضرورات الخمس، هي عماد الحياة الكريمة، التي قررها دين الإسلام حقاً لكل إنسان، واهتم بها لكونها الـمُهيئة لقيام الإنسان بما أُوكِل إليه من مهام الاستخلاف في الأرض، وعمارتها، والتلقي عن الرسل –عليهم السلام– والصدور عنهم في كل ما يعمد إليه من ذلك.

وحين يقوم المجتمع بتوافر تلك الضرورات لأفراده، تغلب عليه سمات التطور، وخصائص النمو، والازدهار في شتى الجوانب المادية، والمعنوية، فينعم الإنسان فيه بالأمان على حياته، ويحصل على رزقه، ويصون مكتسباته، وينميها، كما له الحق في أن لا يُلجأ إلى غير معتقداته، ولا يُرغم على معتقد بذاته، وله الحق في أن ينعم بحياته الاجتماعية، فيتزوج، ويكون أسرته، ويحفظ نسله، ويصون عرضه، كما أن عقله محفوظ مصون من كل ما يغطيه، أو يتسبب في إعطاب ملكاته.

وفيما يلي نعرض في إيجاز لهذه الضرورات(١)، ونبين كيف نال الإنسان مكانته الرفيعة، حين اهتم بها الإسلام، وأولاها عنايته.

أولاً: أمان الإنسان على حياته والحفاظ عليها

---

(١) مما ينبغي التنبيه عليه هنا، أن نفع الإنسان من حيث العموم لا ينحصر في الحفاظ على هذه الضرورات، بل إن الإسلام قد أطلق هذا النفع، ليحوز الإنسان كل ما يعرض له منه، مما يَصْلُح به حاله في الدنيا، أو الآخرة، كما أن هذا الإطلاق للمصلحة انطوى على استيعاب تام –في شريعة الإسلام– لكل ضروبها، وليس الأمر منفلتاً في تقدير هذه المصلحة، للعقل الإنساني الذي يُقَدِّر فَيُخْطِئ، ويستحسن، فيجانبه الصواب. وقد أشار شيخ الإسلام –رحمه الله– إلى ذلك في كلام مفصل، ختمه بقوله: "والقول الجامع أن الشريعة لا تهمل مصلحة قط، بل الله – تعالى – قد أكمل لنا الدين، وأتم النعمة، فما من شيء يقرب إلى الجنة، إلا وقد حدثنا به النبي ﷺ ، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك، لكن ما اعتقده العقل مصلحة وان كان الشرع لم يرد به، فأحد الأمرين لازم له، إما أن الشرع دل عليه من حيث لم يعلم هذا الناظر، أو أنه ليس بمصلحة، وان اعتقده مصلحة، لأن المصلحة هي المنفعة الحاصلة، أو الغالبة، وكثير ما يتوهم الناس أن الشيء ينفع في الدين والدنيا، ويكون فيه منفعة مرجوحة بالمضرة، كما قال تعالى في الخمر والميسر، : + ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ "سورة البقرة، الآية ٢١٩. وكثير مما ابتدعه الناس، من العقائد والأعمال من بدع أهل الكلام، وأهل التصوف، وأهل الرأي، وأهل الملك، حسبوه منفعة، أو مصلحة نافعاً، وحقاً، وصواباً، ولم يكن كذلك..." . مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ٣٤٤/١١، ٣٤٥.

الأصل في دماء الناس الحرمة، وأما إهدارها فقد جاء طارئاً لأمور يقترفها الإنسان، فيرخص دمه بسببها، فليس من الجائز قتل الإنسان بغير حق: مسلماً كان أم كافراً، ومن الحق الذي يُجيز ذلك المواجهة مع غير المسلمين أثناء الجهاد، فيسوغ خلاله قتالهم، وقتلهم، وكذا القصاص من القاتل، قال الله ﷻ: +مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا"[1]**، ومما يترتب على ذلك أن الكفار لا يُقَاتَلون قبل عرض الإسلام عليهم، ورفضهم ذلك، ورفضهم دفع الجزية، وفي هذا الإجراء تقصي في حماية حياة الإنسان في السلم، أو الحرب، قال ابن حجر: "فإن قتل الواحد منهم إنما يباح إذا وقع حال المحاربة، والمقاتلة بدليل أنه لو أُسِر لم يجز قتله صبراً اتفاقاً في غير المحاربين، وعلى الراجح في المحاربين أيضاً"[2] .**

ولما كان الإنسان يحظى في الإسلام بهذا الحرص على حياته، فقد كان في شريعته ما يدفعه باستمرار، لأن يَسْلَم على نفسه، ويدخل في ركاب الناجين، وكلما أحكم صلته بخالقه –جل وعلا– ترقى في درجات التكريم، والمكانة، وفاق –حينئذٍ– ما عداه من خلق الله مهما علا شأنه، فعن عبد الله بن عمرو قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «ما أطيبك وأطيب ريحك! ما أعظمك وأعظم حرمتك! والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه وأن نظن به إلا خيراً»[3]، **وعن عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال:** «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»[4]**، ومن اليقين أن إعطاء هذا الشرف العظيم للمسلم منطو على حفز قوي لغيره، ليلحق به، ويشاركه في كسبه، ويَبِيْنُ لنا بذلك أن الاهتمام بغير المسلم –على هذه الوتيرة– دليل على مكانته.**

ومن دلائل هذا الاهتمام رعاية الإسلام للحياة البشرية، وصونه لحرمة النفوس، وكون الاعتداء عليها من أكبر الجرائم عند الله بعد الكفر به تعالى: +أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣٢.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مرجع سابق، ٢٠٢/١٢.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه، في كتاب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله، (١٢٩٧/٢ رقم ٣٩٣٢) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٥٠٠٦).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب الديات، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن، (رقم ١٣٩٥) ص٢٤٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٠٧٧).

ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا"[1]، وصار قتل النفس من أعظم الكبائر، وسبب في التخليد في النار والعياذ بالله: +وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا"[2]، والنوع الإنساني كله أسرة واحدة، والعدوان على نفس من أنفسه هو في الحقيقة عدوان على النوع، وتجرؤ عليه[3]، ولا يسوغ ذلك إلا بما قرره الإسلام من أسباب حل الدم، وجواز إراقته.

وذلك أن الإنسان يرقى، ويرتفع بإنسانيته، ويسمو بعقيدته، ويعلو بخلقه، وقد أدرك سر وجوده في الحياة، ومهمته فيها، فعظمت بذلك كرامته، وحرم دمه، فإذا انحط في عقيدته، وترك ما هو جدير به من الإخلاص لله تعالى، وعبادته، وتجاوز بالإسراف على نفسه في مقارفة المنهيات، ودخل بذلك في زمرة الظلم، والطغيان، والنكران، والجحود – وهذا وارد منه– كما قال الله ﷻ: +إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ"[4]، وقال ﷻ: +إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ"[5]، أي "لكفور بالنعم..."[6]، فإذا ما حصل منه ذلك فقد أسباب المَنَعة، وهان قدره، وحل دمه.

ولكي لا يواجه غير المسلم هذه النتيجة الماحقة –في حقه– حين عَظَّم الله – تعالى – النفس الإنسانية، وحرم التسبب في إهانتها، والاعتداء عليها، كان الحد في ذلك مربوط بإبلاغه الحق، ودَلِّه على طريق الهداية، وتعريفه بأسباب النجاة، فإذا ما تنكب عن هذا الطريق بعد معرفته إياه، فقد فَقَدَ مكانته، ومنزلته بإضاعته شرطها، وقد قال الرسول ﷺ : «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة»[7].

ولعل مما يدل على ما للإنسان من مكانة جملة التشريعات التي حققت له ما يكفل الحفاظ على هذه المكانة، وصيانته مما يؤذيه، أو يهينه، فكانت العقوبات التي وضعها الشارع لردع التطاول

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣٢.

(٢) سورة النساء، الآية ٩٣.

(٣) انظر: الحلال والحرام، د. يوسف القرضاوي (المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة ١٤) ص ٢٩٣ وما بعدها.

(٤) سورة إبراهيم، الآية ٣٤.

(٥) سورة العاديات، الآية ٦.

(٦) التبيان في تفسير غريب القرآن، أحمد بن محمد الهائم المصري (دار الصحابة للتراث، القاهرة، ١٩٩٢م) ص ٤٧٢.

(٧) أخرجه البخاري، في كتاب الديات باب قول الله تعالى: + أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ ..." (رقم ٦٨٧٨) ومسلم، كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم (١٣٠٢/٢ ـ ١٣٠٣ رقم ١٦٧٦).

على صاحب هذه المنزلة، وكان من أغراضها إرضاؤه، "وذلك أن المجني عليه في نفسه، أو ماله، أو أهله، والمروع بوقوع الجريمة عليه، والاعتداء عليه، إنسان له حقه، وكرامته، وأمنه، واطمئنانه، فلا بد من إنصافه برفع الحيف عنه، ومعاقبة الجاني"(١).

وتنساق هذه العقوبات في مضمار المقاصد العامة للإسلام، ومنها ضبط العلاقات البشرية بصورة تحقق التفاعل الإيجابي، الذي يقوم على احترام ذات الإنسان بعدم المساس بنفسه، أو ماله، أو عرضه، بغير وجه شرعي صحيح يُسوِّغ ذلك(٢)، ولذا كان لأهل الذمة حظوة في كنف المسلمين، حين كان من حقهم عليهم "حقن دمائهم، والقتال عنهم، وحفظ دمائهم، وأموالهم، وفداء أسراهم، فالمسلمون يمنعونهم، وينصرونهم، ويدفعون عنهم، فهم أولى بميراثهم من الكفار"(٣).

وقد تعددت تلك العقوبات، وتفاوتت في قدرها، وحدتها، ليُمْكن بها معالجة كل مخالفة بحسبها، وليتحقق مبدأ حفظ الحياة الإنسانية، وعن هذا المبدأ تنبثق حقوق الإنسان في الإسلام، من حماية النفوس، والعقول، والكرامة، ومنع القتل، والسكر، والتعذيب، والتمثيل، وحجر الحريات، والشتم بالنسبة لجميع البشر، فهي ميدان رحب لم تُسْتَقْصَ في دين، أو نظام كاستقصائها في شريعة الإسلام(٤).

وإذا كانت تلك الاعتداءات قد حُظِرت على الناس في حق غيرهم(٥)، فقد حُظِرت أيضاً

---

(١) المؤيدات الشرعية – نظريات العقوبات، د. عبدالعزيز الخياط، مرجع سابق، ص ٣٨.

(٢) انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م) ص٤١٤-٤٢٩.

(٣) أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف أبي البكري، وشاكر توفيق العارودي (دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٨هـ) ٨٧٢/٢.

(٤) انظر: نظام الإسلام في العقيدة والأخلاق والتشريع، د. مصطفى ديب البغا (دار الفكر، دمشق، ١٤١٨هـ) ص ٢٧٥، ٢٧٦. وانظر: حقوق الإنسان في الإسلام، بحث علمي ضمن أبحاث معاملة غير المسلمين في الإسلام ، مرجع سابق، ٣٧/١-١٠٥.

(٥) جاء النهي –صريحاً شديداً– عن إلحاق ذلك بالغير، وعُدَّ جُلُّه في كبائر الذنوب، كأن يخصي الرجل عبده، أو يجدعه، ومثل كسر عظم الميت، قال الرسول ﷺ : « من قتل عبده قتلناه، ومن جدع عبده جدعناه» أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب الديات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الرجل يقتل عبده، رقم الحديث ١٤١٤، ٢٦/٤ . وأبو داود في سننه، في كتاب الديات، باب من قتل عبده أو مَثَّل به أَيُقَاد منه، رقم الحديث ٤٥١٥، ١٧٦/٤. وقال عليه الصلاة والسلام في كسر العظم: «كسر عظم الميت ككسره حياً» . أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الجنائز، باب في الحفار يجد العظم هل يتنكب ذلك المكان، رقم الحديث ٣٢٠٧، ٢١٢/٣. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث (رقم ٢٤٧٣٠)، ١٠٠/٦.

على الإنسان في حق نفسه، إذ هو بتكريم الله – تعالى – له نال حقوقاً ليس لأحد أن ينتهكها حتى هو نفسه، ولاحق له أن يهدرها، أو يتنازل عنها، كأن يهدر كرامته بعدم الاهتمام بعرضه، والحفاظ عليه، أو يعمد إلى إيذاء نفسه بأقل من القتل، كتغييره لخلقة الله – تعالى – الحسنة فيه، وتشويهها، والتمثيل بها[1]**، أو يقدم على الانتحار بإزهاق روحه، وقد قال الرسول ﷺ في ذلك:** «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع، فأخذ سكيناً فحز بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرَّمت عليه الجنة»[2]، **وفيما رواه أبو هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ** : «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سمًّا فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»[3].

كما أن النظر في الوعيد الشديد لمن لم يأبه بحياة الناس، وتساهل بدمائهم، وما دار من خلاف حول قبول توبة القاتل، يُطْلِعنا على مدى احتفاء الإسلام بذلك، وعنايته بأرواح الناس، وعدم تساهله مع المتساهلين بها، وقد جاء فيما رواه ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»[4]**، في ذلك دليل على عظم ذنب القتل،**

وللاستزادة حول تلك المخالفات انظر: تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين، أحمد بن إبراهيم بن النحاس الدمشقي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ) ص ٢٩٣. وانظر كذلك الخلق الكامل، محمد أحمد جاد المولى بك (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة) ٤/٤١٠-٤١٦.

(١) يحصل ذلك كثيراً –في وقتنا الحاضر– ممن لا خلاق لهم من غير المسلمين، والمفتونين بهم من المسلمين، حيث ترى فيهم أنماطاً شاذة غريبة، بدت في كيفية تصفيفهم لشعورهم، وقصها، وصبغها، وإطالة الأظافر، ووشم الأجساد، والرسم عليها، وثقب الآذان في غير شحمة الأذن، والأنوف وحتى الألسن، وتركيب السلاسل، والحَلَق في ثقوبها. وكذا عمد بعض الطوائف إلى تعذيب النفس بإيقاع الضرب على الجسد، وغرس الكلاليب، والإبر في الجلد، والمكوث مدداً طويلة تحت أشعة الشمس الحارقة، وغير ذلك مما تتفتق عنه عقول أهل الانحلال، والشذوذ، ولا تتورع بعض المجلات، والقنوات التلفازية من مطالعة الناس به، إزجاءً منها لامتهان إنسانية الإنسان.

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (رقم ٣٤٦٣) ص٦٦٦ ومسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ... (١/١٠٧ رقم ١١٣).

(٣) أخرجه البخاري، في كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث، (رقم ٥٧٧٨) ص١١٣١ ومسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ... ١/١٠٣. ١٠٤ (رقم ١٠٩).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة (رقم ٦٥٣٣) ص١٢٥١ ومسلم، في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب المجازاة بالدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، (٢/١٣٠٤ رقم ١٦٧٨).

لأن الابتداء إنما يكون بالأهم[1].

ولقد كان من شناعة الإقدام على إهدار دم الإنسان، أَنْ لَحِق أثم هذه الجريمة –كُلَّ ما وقعت عبر الزمان والمكان– من سنها على وجه الأرض، فقد قال الرسول ﷺ: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل»[2]، **والوعيد هنا غير مقصور على من باشر فعل القتل، بل إنه ماض على من اشترك معه، وأعانه، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:** «من أعان على قتل مؤمن بشطركلمة، لقي الله عز وجل مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله»[3]، **وفي السياق نفسه، جاء عن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول:** «كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمنا متعمداً»[4].

وقد حدث عبيد الله بن عدي بن الخيار[5]**، عن المقداد بن عمرو الكندي**[6]**، وكان حليفاً**

---

(١) انظر نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، مرجع سابق، ١٩٧/٧.

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته (رقم ٣٣٣٥) ص٦٣٦ ومسلم، كتاب القسامة، باب بيان أثم من سن القتل ١٣٠٣/٢ . ١٣٠٤ (رقم ١٦٧٧).

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه، في كتاب الديات، باب التغليظ في قتل مسلم ظلماً، ٨٧٤/٢ (رقم٢٦٢٠) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٥٤٤٦).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الفتن والملاحم، باب في تعظيم قتل المؤمن ٤٦٣/٤ (رقم٤٢٧٠) والنسائي، كتاب تحريم الدم ٨١/٧ (رقم ٣٩٨٢) وأحمد (٩٩/٤) والحاكم (٣٥١/٤) وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٥٢٤).

(٥) هو عبيد الله بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل، من بني نوفل بن عبد مناف بن قصي، فهو قرشي نوفلي، أمه أم قتال بنت أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، توفي بالمدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك، سنة خمس وتسعين من الهجرة، ، وهو تابعي ثقة من كبار التابعين، ومن فقهاء قريش وعلمائهم، وممن له رؤية، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين، وقد أدرك أصحاب النبي ﷺ متوافرين، وأبوه من أصحاب رسول الله ﷺ ، وكانوا ﷺ يُجِلونه، ويعظمونه، قال ﷺ لابنه عبيد الله ساعة وفاته: يا بني أذكرك الله ألا تعمل بعدي عملاً يُمَعِّر وجهي، فإن عمل الأبناء يُعرض على الآباء. انظر: الطبقات، خليفة بن خياط الليثي الصفري (دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ) ٢٣١/١. وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ٤٠١/٤، ٤٧٢، و ٥١/٥. وانظر: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين السخاوي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م) ٢٣١/٢.

(٦) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة الكندي البهراني، كنيته أبو معبد، وهو الذي يُقال له المقداد بن أسود، كان في حجر الأسود ابن عبد عبد يغوث، فنسب إليه، وكان عمرو أبو المقداد حالف كندة، فلذلك قيل المقداد بن عمرو الكندي، مات بالجرف، سنة ثلاث وثلاثين فحمل على أعناق الرجال إلى المدينة، وصلى عليه عثمان بن عفان، وكان له يوم مات نحو من سبعين سنة . انظر مشاهير علماء الأمصار، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، مرجع سابق، ص ٢٤. وانظر: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، محمد بن

لبني زهرة، وكان ممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ ، أنه قال لرسول الله ﷺ: أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يديّ بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، أقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتله» فقال: يا رسول الله إنه قطع إحدى يدي، ثم قال ذلك بعد ما قطعها، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال»[١]. وبغيتنا من هذا الشاهد، شدة التحفظ في قتل من يحل دمه من غير المسلمين، في أقوى المواطن التي يحل فيها ذلك حيث ساحة الجهاد، ودرء ذلك عنه ولو في أوهى المواقف، كالذي حكاه المقداد ﷺ في هذا الحديث.

وإذا كان موقف الإسلام من النفس الإنسانية على هذه الدرجة الرفيعة من العناية، والاهتمام، فإنه يجب أن لا يفوت –في هذا المقام– ذكر بعض الإجراءات العامة المتعلقة بمغزى الجهاد في الإسلام، وطبيعة القتال مع غير المسلمين، فقد لقنت الشريعة الغراء المجاهدين ما يجب أن ينطوي عليه تحركهم في ساحة الجهاد من فهم صحيح لمقاصدها.

فقد فرض الله – تعالى – الجهاد حماية للحق، ورحمة بالخلق، وهذا هو الهدف الأساسي له، وليس هدف الإسلام قتال الكفار، ومواجهتهم، وقتلهم، ويمكن أن تنضبط هذه المسألة لدينا، إذا أدركنا أن كل من يتصدى له المسلمون بالقتال، يجب أن يكفوا عنه، إذا انتفت فيه العلة الداعية لقتاله، وهي كونه ممن يصد الحق، ويحول دون وصوله للناس، فهو أشبه بالعائق إذا انزاح من طريق الدعوة من تلقاء نفسه، أو من غيره، لم يعد بحاجة إلى مغالبته، ومعالجة وضعه.

ومن الواضح أن المسلمين لا يتكسبون المغانم بمجرد إثخان العدو، وإزهاق أرواح أفراده، فما كان ذلك المقصد، وإلا لقوضنا بتقرير ذلك ما أتى عليه الذكر من عناية الإسلام بالإنسان، وحرصه على حياته، طمعاً في إيمانه، ومن ثم إنتاجه.

ولإزكاء ذلك وإمضائه فقد جاءت شريعة الإسلام زاخرة بتنظيم الجهاد، وترتيب القتال مع غير المسلمين، حين اشتملت على مبادئ عظيمة، تعين على تحقيق تلك المقاصد، وتجعلها حاضرة دوماً في خلد المسلم، حين يتعامل مع غير المسلمين[٢].

عبدالله بن أحمد بن سليمان الربعي، تحقيق د. عبدالله أحمد سليمان الحمد (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٠هـ) ١/١٢٢.

(١) أخرجه البخاري، في كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، (رقم ٤٠١٩) ص٧٦٢ ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: «لا إله إلا الله» ١/٩٥ (رقم ٩٥).

(٢) انظر: حقوق الإنسان في الإسلام منظومة حضارية شاملة، ندوة علمية منشورة بجريدة العالم الإسلامي، في العدد الصادر بتاريخ

ومن أهم هذه المبادئ عرض الدعوة على غير المسلمين قبل الإقدام على قتالهم، وإعلامهم بذلك ليتجنبوا ترويع الآمنين، وتخويفهم، إلا إن بدأوا بالعدوان، وحين يدور القتال معهم يجب أن يكون مع المقاتلين الحاملين للسلاح، دون من تخلى عن سلاحه وألقاه، أو المدبر المولي، ناهيك عن كبار السن، والنساء، والأطفال، كما يجب الكف عن الأسرى، والجرحى، فأولئك جميعاً لم يعودوا مقترنين بالعلة الداعية لقتالهم.

وقد أمر علي ﷺ يوم البصرة، "بأن لا يتبع مدبر، ولا يذفف[1] على جريح، ولا يقتل أسير، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ولم يأخذ من متاعهم شيئاً"[2].

وكانت مظاهر القتل، وسفك الدماء، والتشريد، والإفساد بالهدم، أو الحرق للبيوت، والمعابد، أو القطع للشجر مما نهت عنه هذه المبادئ، كما نهت عن القتال بالليل، فقد كان الرسول ﷺ إذا أتى قوماً بليل لم يغزهم حتى يصبح[3].

وقد أوصى أبو بكر الصديق ﷺ جيش أسامة بن زيد بهذه الأمور، فقال: "يا أيها الناس قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم، وما فرغوا أنفسهم له..."[4].

وكأن هذه المبادئ قد انطوت على حقوق خاصة بمن يقاتل المسلمين من أعدائهم، لم نجدها ماثلة بتلك الصورة في غير منهج الإسلام، في الوقت الذي ألفت فيه بعض البيئات صوراً مهينة للإنسان، نرى فيها المبالغة في قتله، والتنكيل به[5].

٨/١١/١٤٢٠هـ.

(١) تَذْفِيفُ الجَرِيح: الإِجْهَازُ عليه، وتحرير قتله. انظر لسان العرب، ابن منظور، مادة: ذفف.

(٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، في كتاب قتال أهل البغي، باب أهل البغي إذا فاءوا لم يتبع مدبرهم ولم يقتل أسيرهم...، حديث (رقم ١٦٥٢٤)، ١٨١/٨. وانظر المستدرك على الصحيحين، في كتاب قتال أهل البغي، حديث (رقم٢٦٦٠)، ١٦٧/٢.

(٣) انظر: إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد المقريزي تقي الدين، مرجع سابق، ٢٦٩/٩.

(٤) تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري ، مرجع سابق، ٢٤٦/٢.

(٥) من شواهد ذلك ما تناقلته وسائل الإعلام من قيام الهندوس، بالقتل العشوائي للمدنيين من المسلمين، وتحريقهم داخل منازلهم، وسياراتهم، وما يقوم به اليهود في فلسطين من ضروب القتل المتواصل للمسلمين هناك، دون استثناء لكبار السن من الرجال،

وكما راعت هذه المبادئ الإنسان في حياته أولته رعايتها بعد مماته، فحثت على صيانة جسد الميت، لأن له في الإسلام حرمته، حتى لو كان صاحبه من الكفار، ولذا فقد منع الإسلام المثلة بأي صورة كانت، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «أنه نهى عن النهبة، والمثلة»[١]**، وقد كان شيئ من المثلة في زمن الرسول ﷺ كما فعل بالعرنيين[٢]، من تقطيع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم...، "لأن المثلة كانت حينئذ مباحة، ثم نُسخت بعد ذلك، ونهى عنها رسول الله ﷺ، فلم يكن لأحد أن يفعلها"[٣].**

وكان من معالم الاعتبار في دين الإسلام للناس، الالتزام بمقتضيات المعاهدات معهم، وعدم نقضها، وكان ذلك من المسْلِم ديناً يتعبد به الله – تعالى – في خلقه ممن أبرم معهم العهود والمواثيق، وتجلى هذا الوفاء في أرفع صوره حين عقد الرسول ﷺ صلح الحديبية مع قريش، ومعاهدات أخرى كالتي أبرمها مع يهود بني قريظة، وغيرهم.

وجاء أمر الإسلام صريحاً ناجزاً بشأن العهود، والمواثيق، قال تعالى: +وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ

والنساء، أو الأطفال والرضع، وحتى المعاقين لم يسلموا من بطشهم.

(١) أخرجه البخاري، في كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة، (رقم ٥٥١٦) (١٠٨٩).

(٢) جاء ذلك فيما رواه أنس ﷺ، أن ناساً من عكل وعرينة، قدموا المدينة على النبي ﷺ، وتكلموا بالإسلام فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع، ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه، فيشربوا من ألبانها، وأبوالها، فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة، كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي ﷺ، واستاقوا الذود، فبلغ النبي ﷺ، فبعث الطلب في آثارهم، فأمر بهم، فسمروا أعينهم، وقطعوا أيديهم، وتركوا في ناحية الحرة، حتى ماتوا على حالهم. قال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ بعد ذلك، كان يحث على الصدقة، وينهى عن المثلة. أخرجه البخاري، في كتاب المغازي، باب قصة عكل، وعرينة، (رقم ٤١٩٢) ص٧٩٥ ومسلم، كتاب القسامة، باب حكم المحاربين والمرتدين (٢/١٢٩٦ رقم ١٦٧١).

(٣) شرح معاني الآثار، أحمد بن محمد بن سلامةالطحاوي أبو جعفر، تحقيق محمد زهري النجار (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ) ٣/١٨٠. والنهي القاطع عن المثلة موطن خلاف، حين يكون من باب القصاص، فقد جاء في بيان قول الله تعالى : +وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ" سورة النحل، الآية ١٢٦. "أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد، بقروا بطونهم، وقطعوا مذاكيرهم...، فوقف رسول الله ﷺ على حمزة، وقد مُثل به، ... فقال: أما والذي أحلف به، لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك، فنزلت هذه الآية، فكفر عن يمينه، وكف عما أراد، ولا خلاف في تحريم المثلة" الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري أبو القاسم، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين ٦١٩، ٦٢٠. وانظر شرح معاني الآثار، أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، مرجع سابق، ٣/١٨٢ . والحديث المذكور جاء في المستدرك على الصحيحين، في كتاب معرفة الصحابة ﷺ ، ذكر إسلام حمزة بن عبدالمطلب ﷺ ، حديث (رقم ٤٨٩٤)، ٣/٢١٨.

كَانَ مَسْـُٔولًا"[1]، **وقــال أيضـاً:** +إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ"[2].

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى استحسان إجارة المستجير، واللاجئ، فيقول تعــالى: +وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ"[3]**، وهذا الإكرام لغير المسلم، فيه الدلالة على القيمة التي يمثلها في معيار الإسلام.**

وصار للأسير –في هذا السياق– معاملة خاصة، اختلفت عنها حين كان مقاتلاً قبل وقوعه في الأسر، فقد امتاز بمعاملة كريمة تليق بإنسانيته، حيث نرى أن الإسلام جعل الإمام مُخيراً في الأسرى، في ضوء مصلحة المسلمين العامة، ليعمد إلى القتل[4]، أو أخذ الفدية، أو العتق بلا مقابل، أو الاسترقاق والتملك، قال تعالى: +فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ"[5]**، كذلك استشار رسول الله ﷺ أصحابه في أسرى بدر[6]، ويختار على ضوء ذلك ما فيه المصلحة العامة، وقد مال الإسلام إلى العفو عن الأسرى، وعتقهم، ومساعدتهم، والإحسان إليهم قال تعالى:** +وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا"[7]**، وقال تعالى:** +فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ"[8]**، ولهذه السياسة تقلص الرق، حين قلل الإسلام من أسبابه، وزاد من أبواب إنهائه، فالأسير في نظر الإسلام إنسان، له حقوق يجب أن تراعى وتحترم.**

ومن صور الأمان على الحياة، والاطمئنان فيها، رعاية الأقليات غير المسلمة بين ظهراني المسلمين،

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٤.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤.

(٣) سورة التوبة، الآية ٦.

(٤) قتل الأسير في هذه الحالة، يأتي حين يكون في حال تستوجب قتله حتى ولو لم يكن أسيراً، فإمضاء القتل فيه ليس باعتباره أسيراً، وإنما لكونه مستحقاً للقتل، كأن يكون مصدر خطر وسوء على المسلمين، أو في رقبته دم يوجب القصاص منه.

(٥) سورة محمد، الآية ٤.

(٦) انظر: سُبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ) ٤/٦٠، ٦١. وانظر: الفصول في سيرة الرسول ﷺ، إسماعيل بن كثير أبو الفداء، تحقيق د. محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو (جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني، الرياض، ١٤٢٠هـ) ص ١٣٦، ١٣٧.

(٧) سورة الإنسان، الآيتان ٨، ٩.

(٨) سورة البلد، الآيات ١١-١٣.

وحمايتها، فقد رسخ القرآن الكريم ذلك، وبين أحكامه وترتيباته، قال الله تعالى: +لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ"(١)، قال ابن العربي: "وتقسطوا إليهم، أي تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة، وليس يريد به من العدل، فإن العدل واجب فيمن قاتل، وفيمن لم يقاتل"(٢)، وقد جعل الإمام الجصاص لحديثه عن هذه الآية عنواناً هو: باب صلة الرحم المشرك(٣)، وغني عن القول أن إنصافهم، وتوخي العدل في التعامل معهم من باب أولى.

بل إن ذلك عماد في التعامل معهم، نراه يمثل في عناية دين الإسلام بالعدل، ونبذ الظلم، قال الله تعالى: +ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ" (٤)، **وقد قرن الله تعالى الأمر به بالأمر بالإحسان، وجعلهما ضدين للفحش والمنكر والبغي، فقال سبحانه:** +۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ"(٥).

ومن اليقين أنه غير مقصور على المسلمين، بل هو ماض في غيرهم، فقد أمر الله ﷻ بالعدل بين جميع البشر بدون تفريق بين مسلم، وكافر، فهو واجب على كل أحد لكل أحد، والظلم محرم على كل أحد ضد كل أحد، فلا يجوز لمسلم أن يظلم كافراً، أو يحابي أحداً لقرابة، أو مصلحة، أو لإسلام، فقد نزلت الآيات التاليات بسبب يهودي: +إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا"(٦)، فقد ظُلِم هذا اليهودي، حين اتهم بسرقة أسلحة، ودروع لبعض المسلمين، بينما السارق ينتمي للإسلام، فدافع الرسول ﷺ وقال إنه لم يعلم عنه إلا خيراً(٧)، وقد وصفته الآية بالخوان الأثيم "لأنه خان في الدرع، وأثم في رميه اليهودي"(١).

---

(١) سورة الممتحنة، الآية ٨.

(٢) أحكام القرآن، محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي أبو بكر، تحقيق علي محمد البجاوي (دار إحياء الكتب العربية، ، ١٣٧٨هـ) ١٣٧٨هـ) ١٧٧٣/٤.

(٣) أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر ، مرجع سابق، ٤٣٦/٣.

(٤) سورة المائدة، الآية ٨.

(٥) سورة النحل، الآية ٩٠.

(٦) سورة النساء، الآيات ١٠٥-١٠٧.

(٧) وهذا الرجل هو طعمة بن أبيرق من بنى ظفر من الأنصار، سرق درعاً، وتركها عند زيد بن السمين اليهودي، فالتُمِست الدرع عند عند طعمة فلم تُوجد، وحلف ما أخذها، وما له بها علم فتركوه، وحين عُثِر عليها لدى اليهودي، قال: دفعها إليَّ طعمة، وشهد له

وكذا قصة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حين تخاصم مع يهودي على درع لدى القاضي شريح، فقضى بها لليهودي لعدم البينة من علي[٢].

ومن مقتضيات العدل مع الناس، عدم التعجل في الحكم عليهم، ومعاملتهم وفق الاحتمال الحسن، إلا أن يبين خلافه، ومما كان يقوله ابن تيمية -رحمه الله- في ابن عربي: "كنت قديماً ممن يحسن الظن بابن عربي[٣]، ويعظمه، لما رأيت في كتبه من الفوائد، مثل كلامه في كثير من الفتوحات... ونحو ذلك، ولم

ناس من اليهود، فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وشهدوا ببراءته، وسرقة اليهودي، فهم رسول الله أن يفعل فنزلت هذه الآية، وقد هرب طعمة إلى مكة، وارتد، ونقب حائطاً بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله. انظر قصة طعمة بطولها، مع تفاوت قليل في تفصيلاتها بين المصادر التي روتها في: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، مرجع سابق، ٣٧٥/٥-٣٧٧. وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير القرشي الدمشقي ، مرجع سابق، ٥٥٢/١، ٥٥٣. وانظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، مرجع سابق، ٢٦٦/٥-٢٧٤. وانظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، مرجع سابق، ٢٢٩/٢.

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، مرجع سابق، ٢٨٨/٢.

(٢) أورد هذه القصة بطولها الأصبهاني، وملخصها أن علياً رضي الله عنه واختصم مع يهودي عند شريح على درع فقدها بعد أن سقطت منه من على جمله، فأخذها هذا اليهودي، فقضى بها شريح لليهودي لعدم البينة عليها لدى علي رضي الله عنه حيث رد شهادة الحسن بن علي رضي الله عنهما، وثبتت بذلك لليهودي، فهاله هذا الموقف الذي لم يعتده، حين جلس على قدم المساواة في مجلس القضاء مع أمير المؤمنين، وكان أن قال: أمير المؤمنين جاء معي إلى قاضي المسلمين فقضى عليه ورضي، صدقت والله يا أمير المؤمنين، أنها لدرعك سقطت عن جمل لك التقطتها، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فوهبها له علي، وأجازه بتسعمائة، وقُتِل معه يوم صفين. انظر: حلية الأولياء، أحمد بن عبدالله الأصبهاني، مرجع سابق، ١٣٩/٤، ١٤٠.

(٣) كان بالمغرب يعرف بابن العربي بالألف واللام، واصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام، فرقاً بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي، صاحب كتاب أحكام القرآن، وبرع في علم التصوف، وله فيه مؤلفات كثيرة منها: الجذوة المقتبسة والخطرة المختلسة، وكشف المعنى في تفسير الأسماء الحسنى، ومواقع النجوم، ومطالع أهلة أسرار العلوم، والفصوص، وعنقاء مغرب في صفة ختم الأولياء، ومشاهد الأسرار. وقد تضمنت مقولاته التي ثار اللغط حوله لأجلها، كقوله بالقدم، والفناء عند التجلي الرباني في الذات الإلهية، وقد تفرق الناس في شأنه شيعاً، فذهبت طائفة إلى أنه زنديق، وقال قوم إنه واسطة عقد الأولياء، ورئيس الأصفياء، وصار آخرون إلى اعتقاد ولايته، وتحريم النظر في كتبه، منهم الشيخ جلال الدين السيوطي، قال: في مصنفه تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي: والقول الفيصل في ابن العربي اعتقاد ولايته، وتحريم النظر في كتبه، فقد نقل عنه هو أنه قال: نحن قوم يحرم النظر في كتبنا. انظر: أبجد العلوم الوشي المرقوم في أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق عبدالجبار زكار (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م) ١٤٣/٢. وانظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبدالرؤوف المناوي، ، مرجع سابق، ٤٥٥/١، ٤٥٦. وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحي بن أحمد العكري الدمشقي ، مرجع سابق، ١٩١/٣. وانظر: نفح الطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د. إحسان عباس (دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م) ٦٤٦/٢.

نكن بعد اطلعنا على حقيقة مقصوده..."[1].

وإذا كان هذا هو الحال في التعامل العادل مع الناس، فإن من مقتضياته تمكينهم من حق التظلم والتقاضي، فإن الله – تعالى - لا يبخس عباده حقوقهم، بل ويوفيهم إياها كاملة تامة، وفي مقدمة ذلك حساب الإنسان، ومجازاته بصورة عادلة على أعماله، وفق ما كلفه الله تعالى به +فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ"[2]، وقد "أقسم الله تعالى بالعصر... على عاقبة تلك الأفعال، وجزائها، ...وأن حكمته التي اقتضت خلق الزمان، وخلق الفاعلين، وأفعالهم، وجعلها قسمين خيراً، وشراً، تأبى أن يسوي بينهم، وأن لا يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته. وأن يجعل النوعين رابحين، أو خاسرين..."[3].

لكن يأتي الكلام في هذا المقام على أن المُقصر لا يفوت من رحمة الله ﷻ ، فهي المُغَلَّبة على ما سواها، وفي ذلك إبعاد للإنسان عن الحيز الذي قد تبخس فيه حقوقه، حين يكون الحاكم عليه هو الحكم العدل جل شأنه، "وتأمل حكمة القرآن لما قال: +إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ"[4]، **فإنه ضَيَّق الاستثناء وخصصه، فقال:** +إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ"[5]، **ولما قال:** +ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ"[6]، **وسع الاستثناء وعممه، فقال:** +إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ"[7]، **ولم يقل:** +وَتَوَاصَوْاْ" **فإن التواصي هو أمر الغير بالإيمان، والعمل الصالح، وهو قدر زائد على مجرد فعله، فمن لم يكن كذلك قد خسر هذا الربح، فصار في خسر. ولا يلزم أن يكون في أسفل سافلين"[8].**

ثانياً: إرشاد الإنسان إلى الدين الحق، وتمكينه من الترقي فيه.

إن مما ينبئ عن قيمة الإنسان، ومكانته في دين الإسلام، النظر إلى أن سعادته، وسلامته تكمن في قربه من خالقه، وإحكام صلته به، وأن شقاءه، وبؤسه يكمن في بعده عن خالقه بالانغماس في معصيته،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ، مرجع سابق، ٤٦٤/٢، ٤٦٥.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان ٧، ٨.

(٣) التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية (المؤسسة السعيدية، الرياض، بدون تاريخ الطبعة) ١٧٦/١، ١٧٧.

(٤) سورة العصر، الآية ٢.

(٥) سورة العصر، الآية ٣.

(٦) سورة التين، الآية ٥.

(٧) سورة البقرة، الآية ٢٧٧.

(٨) انظر: المرجع السابق، ١٧٧/١-١٨٠.

وترك طاعته ﷻ، وبالتالي فإن تلك النظرة تقترن دوماً في -ظل الإسلام- برحمة له وإشفاق عليه، لئلا تفوته خيرات هذا الدين، مما يدفع إلى تمكينه من هذه الضرورة، إذ الإنسان في مسيس الحاجة إلى الدين الحق، فبه ينال سعادة الدارين.

ويمكن تحصيل هذه الضرورة للمدعو بمباشرة ثلاث مهام تأتي في سياق بناء الإنسان، لكنها تَرِد تباعاً، فيفضي بعضها إلى بعض، وهي:

أ : دعوته إلى الإسلام، وإرشاده إليه، فهو بحاجة إلى من يهديه إلى سبيل الخير، وطريق السلامة، والنجاة، ويقيناً أنه لا يحظى بتلك العناية إلا من كان له مكانة لدى من يعتني به، ويحرص على نفعه، وما أمثل ذلك، وما أظهره في دين الإسلام في حق الإنسان.

ولذا تبوأت مهمة الدعوة لدين الإسلام، منزل الصدارة، ضمن مهام الرسل - عليهم السلام- ومن سار على نهجهم من أئمة العلم، والدعوة، قال الله تعالى: +وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ"(١).

ب: الحفاظ على تمسك الإنسان المسلم بدينه، وإكسابه الحرص عليه، وعدم تركه، والعدول عنه، وللإسلام مسلكه المحكم في تحقيق ذلك بالوقاية من المعاصي، والدفع إلى سبيل الطاعة، والانهماك فيها.

ولعل الناجع في تحقيق ذلك، ما عمد إليه دين الإسلام من دفع المدعو إلى محبة ما يُؤمر به من الطاعة، وكره ما يُنهى عنه من المعصية، وكان للإسلام منهجه الرحيم، في ترغيب الناس، وترهيبهم، حتى يبقوا دائماً في منطقة الأمان، والسلامة، وقد قال الله – تعالى – في وصف موقف الرسول ﷺ من أمته في هذا الصدد: +لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ"(٢)، وأفرد الإسلام بياناً واسعاً في الكتاب، والسنة لجملة الأعمال الصالحة التي تنيل الرضى من الله – تعالى – وتقرب منه، والإعمال السيئة التي تبعد من الرحمة، وتحل النقمة(٣).

---

(١) سورة فصلت، الآية ٣٣.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

(٣) أفرد علماء الإسلام مصنفات عدة لبيان الأعمال الصالحة، والأعمال الفاسدة، مقرونة بأدلتها، وبيان، آثارها، ونتائجها، ومنها: كتاب الكبائر، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبدالله. وكتاب الكبائر، لمحمد بن عبدالوهاب. وكتاب تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، وتحذير السالكين من أفعال الهالكين، لأحمد بن إبراهيم بن النحاس الدمشقي أبو زكريا. وكتاب إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية. وكتاب تلبيس إبليس، لعبدالرحمن بن الجوزي أبو الفرج. وكتاب الترغيب، والترهيب من الحديث الشريف، لعبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري أبو محمد. وكتاب المحاسن والمساوئ، لإبراهيم بن محمد البيهقي. وكتاب المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح، لعبدالمؤمن بن خلف الدمياطي أبو محمد. وكتاب الوابل الصيب، ورافع الكلم الطيب، أو الكلم الطيب،

ج: الترقي في درجات الاستقامة، والانتقال من الحسن إلى الأحسن في طريق القرب من الله تعالى، فهذه سمة امتاز بها دين الإسلام، حين اشتمل منهجه على ما يدفع دوماً إلى التطوير، والتحسين في كل شيء، وعدم الركون إلى واقع الحال، إذ تقتضي المكانة العالية للإنسان الفاعل سعياً حثيثاً في مضمار القدوم على الله ﷻ، ليكون في تفوق مستمر، وسبق دائم، وقد جاء وصف هذا التفاوت في درجات القرب من الله تعالى، في القرآن الكريم، في مواضع، منها: +ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ"[١]، ومنها قول الله تعالى: +وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ"[٢]، ومنها: +يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ"[٣].

ثالثاً: تمكين الإنسان من كسب المال وتنميته، وتوظيفه فيما ينفعه.

لما كان الإنسان قد أُكْرِم بالاستخلاف في الأرض، وعمارتها، فقد كان تمكينه من الكسب من أول الحوافز التي تدفعه لهذه العمارة، فقد جبله الله — تعالى - على حب التملك، والحيازة، فقال سبحانه: +زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ..." [٤]، فكان لابد له من العمل، إذ لا سبيل غيره يفضي إلى إشباع تلك الغريزة، ولما كان هذا السعي -بحكم غلبة هذه الغريزة- معرض للزلل، فيعوق ذلك تنزيه الكسب من الحرام، أحكم الإسلام نظامه الضابط لهذا السعي ليكون -دوماً- في مساره الصحيح المثمر، فالمقصد نفع الإنسان، ودرء السوء عنه، لكون "الاكتساب... تحصيل المال بما يحل من الأسباب"[٥]، وكل ذلك يربطنا بأصل بحثنا حول قيمة المدعو، وعظم مكانته.

وصار تمكين الإنسان من أسباب هذه الحيازة، واطلاعه على أسرار الكسب، من النعم التي حظي بها من خالقه ﷻ ، قال الله تعالى: +هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ"[٦]، وقال سبحانه: +وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ

والعمل الصالح، لابن قيم الجوزية. وغير ذلك.

(١) سورة فاطر، الآية ٣٢.

(٢) سورة الواقعة، الآيات ١٠-١٢.

(٣) سورة المطففين، الآيتان ٢٥، ٢٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٤.

(٥) الكسب، محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق د. سهيل زكار (بدون اسم الناشر، دمشق، ١٤٠٠هـ) ص ٣٢.

(٦) سورة الملك، الآية ١٥.

حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"(1)، وكان من متطلبات ذلك، جهد يُبذل، وكدح، وجد، يجب أن يُبادر إليه الإنسان، فهو قدر كتبه الله – تعالى – على العباد، حتى ينالوا ما يرمون إليه من المكاسب، في نطاق مهمتهم الكبرى التي أوكلها إليهم الباري ﷻ وهي عمارة الأرض، وإنماء الحياة فيها، ولذا فقد قرن الله – تعالى– الحياة في الجنة بالنعيم المطلق، والمتعة القصوى، والحياة على الأرض بالكد، والتعب، فقال ﷻ: +فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ"(2)، "ومعلوم ما يلازم حب المال من معاناة الكسب، والخوض في الشبهات، وصرف القلب عن الفكر في الآخرة شغلاً بالاكتساب، وعلى هذا جميع اللذات الحسية، فينبغي أن يتناول منها الضروري، فتقع معاناة ضرورية فتحصل قناعة بمقدار الكفاية، والعفة عن فضول الشهوات"(3).

ولقد كان لهذا الكسب الذي أطلق الله – تعالى – عباده في مجالاته، ما يحميه، ويحافظ عليه، فكان حق الملكية من الأمور الراسخة في تعامل الإنسان مع مكاسبه التي حازها بالطرق المشروعة، وكان له ما يتخذه من إجراءات عدة تمكنه من حقه في حفظ ماله، وممتلكاته.

بل إن الحفاظ على المال حاز من الأهمية ما جعل الموت بسببه أثناء الدفاع عنه سبب في نوال أجر الشهيد، فقد قال الرسول ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد»(4)**، ففي ذلك "جواز قتل من قصد أخذ المال بغير حق... ليبين أن للإنسان أن يدفع عن نفسه، وماله، ولا شيء عليه، فإنه إذا كان شهيداً إذا قُتِل في ذلك، فلا قود عليه، ولا دية إذا كان هو القاتل"(5).**

ولقد عُضِد هذا الحق في الدفاع عن المال بجملة من تشريعات الإسلام كلها يصب في احترام ملكية الإنسان لماله، وحقه في نيل منفعته، فقد حرم الله السرقة، وحرم أكل أموال الناس بالباطل، وحرم الربا، وحرم الله إعطاء الدين بلا كتابة، وتوثيق، قال تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ"(6).

---

(1) سورة النحل، الآية ١٤.

(2) سورة طه، الآيات ١١٧-١١٩.

(3) الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح المقدسي أبو عبدالله، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ) ٢/ ٢٢٣.

(4) أخرجه البخاري، في كتاب المظالم، باب من قاتل دون ماله، (رقم ٢٤٨٠) ص٤٦٨ ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غير بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه: ١/١٢٤. ١٢٥ (رقم ١٤١).

(5) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مرجع سابق، ٥/١٢٤.

(6) سورة النساء، الآية ٢٩.

والأمر في هذا الحق ماض على المسلمين، وغيرهم، فلا يُعْتَدى على المال لكون من يملكه غير مسلم، بل يجب أن يُتعامل معهم وفق مبدأ العدالة، الذي يعطي الحق، ويأخذه من الجميع، ولذا فقد جاء الحكم بأن المسلم تقطع يده إذا سرق من مال ذمي(١).

وفي جانب آخر، يعزز موقف الإنسان من كسبه، في حال كونه من أهل الذمة، نجد –في شريعة الإسلام– أن "أموالهم التي يتجرون بها ... ليس عليهم فيها صدقة، فإن الصدقة طهرة وليسوا من أهلها، وأما زروعهم، وثمارهم التي يستغلونها من أرض الخراج فليس عليهم فيها الخراج"(٢)، وفيما يتعلق بحكم أوقافهم "فينظر فيه، فإن أوقفوه على معين، أو جهة، يجوز للمسلم الوقف عليها، كالصدقة على المساكين، والفقراء، وإصلاح الطرق، والمصالح العامة، أو على أولادهم، وأنسالهم، وأعقابهم، فهذا الوقف صحيح، حكمه حكم وقف المسلمين على هذه الجهات...، فإن وقفوا على مساكين أهل الذمة... قيل لا ريب أن الصدقة جائزة على مساكين أهل الذمة، والوقف صدقة... فيجوز الدفع إليهم من الوقف"(٣).

بل إن إجراءات الإسلام في حفظ المال، تجاوزت ذلك إلى دار الحرب، حيث مُنع السلب، والنهب في بلد العدو، وأمر المسلمون بالحفاظ على ممتلكات الناس، وعدم إتلافها، أو أخذها باستثناء تلك التي تخص المحاربين، وكان من مقتضيات العدل، أن يُدفع لهم قيمة ما يأخذه المسلمون من ممتلكاتهم، وألا يستخدموا أشياءهم دون إذنهم.

---

(١) انظر: الاستذكار، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري أبو عمر، تحقيق سالم محمد عطا ومحمد علي معوض (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ) ١٢٢/٨.

(٢) أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية ، مرجع سابق، ٣١٣/١.

(٣) المرجع السابق، ٦٠٦/١.

رابعاً: احترام الكيان الاجتماعي للإنسان، وحمايته.

جُبل الإنسان على التفاعل مع بني جنسه، وطُبع على مباشرة ضروب التعايش المختلفة، التي تقتضيها حاجته إلى الاستقرار في مجتمعه، فليس بوسعه أن ينفك عن هذا المجتمع، كما لا يمكنه أن يقوم بذاته في سائر مناحي حياته، ولذا فقد كان التكافل الاجتماعي محوراً تدور عليه مناشط الإنسان في مجتمعه، بيد أن ذلك تفاوت في المجتمعات، واختلف فيما بينها تبعاً لانتماءاتها الفكرية، أو الاعتقادية، فكان افتقار بعض المجتمعات إلى تنظيم سديد لكياناتها الاجتماعية، سبباً في حرمان أفرادها من منافع التفاعل الإيجابي في مجتمعاتهم، فَقَلَّت قيمة الإنسان بذلك، وزيد في امتهانه، وتجاهل حقوقه.

وإذا ذهبنا نتأمل مكونات البناء الاجتماعي المحكم لدين الإسلام، وجدناه يأخذ بيد الإنسان لِيُكَوِّن مجتمعه الصغير الذي يتألف من زوجته، وأولاده، ويعينه على السير بهذه الأسرة في طريق النفع، بإمضاء جوانب الخير في بنائها، وفي طريق السلامة، بتجنيبها الفساد والشر.

كما أنه يأمر بصلة الرحم التي توثق صلته بقرابته، وتدفعه للتعاون معهم في سبل البر، والتقوى، واجتناب مواطن الإثم، والعدوان، وأن يُمْضِي ذلك مع كل المحيطين به في مجتمعه من المسلمين وغيرهم، سواء في ميدان عمله، أو مع جيرانه، وغير ذلك من الأنماط المختلفة للعلاقات الاجتماعية.

ومن ناحية أخرى فقد عمد دين الإسلام إلى حماية هذا الكيان من كل سوء قد يلحقه، فكفل للإنسان حق الاستقلال، والخصوصية، في أمور عدة، منها النهي عن التجسس عليه، وكشف ستره، والاطلاع على عوراته، جاء ذلك في القرآن، في قول الله تعالى: +وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ"(1)**، وجاء في الحديث الشريف ما يدعو إلى الستر على المخالفات، وعدم إظهارها، فقد قال الرسول ﷺ لهزال(2)، بشأن ماعز(1)، لما أمر برجمه ﷺ:** «لو سترته بثوبك كان خيرا لك»(2)**، أي**

---

(1) سورة الحجرات، الآية ١٢.

(2) هو هزال بن يزيد بن ذئاب بن كليب بن عامر بن جذيمة بن مازن الأسلمي، له صحبة، كانت له جارية اسمها مهيرة، وكان أبو ماعز قد أوصى إليه بابنه ماعز، وكان في حجره يكفله بأحسن ما يكفل به أحد، فوقع ماعز على الجارية، فأخبرت هزالاً، فجعل يتسقط ماعزاً، ليعترف عند النبي ﷺ فقال له هزال: انطلق فأخبر رسول الله، فعسى أن ينزل فيك قرآن، فانطلق فأخبره، فأمر به فرجم، حتى قتل، وهو يستغيث، فقال النبي لهزال، وهوه يضرب بيده على ركبة هزال: يا هزال بئس ما صنعت بيتيمك، لو سترت عليه بطرف ردائك لكان خيراً لك، قال: يا رسول الله لم أدر أن في الأمر سعة. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سابق، ٥٣٦/٦. وانظر معجم الصحابة، عبدالباقي بن قانع أبو الحسين، ، مرجع سابق، ٢٠٨/٣. وانظر الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري أبوعبدالله، مرجع سابق، ٣٢٣/٤.

والزيادات على حديث المتن الواردة في ترجمة هزال، جاءت فيما رواه يزيد بن نعيم بن هزال عن أبيه عن جده، انظر نصب الراية، عبدالله

أمرته بالستر، رجاء أن يكون له مخرجاً، لكون الإمام لا يجوز له العفو عن حدود الله إذا رُفِع الأمر إليه(٣).

وجاء عن ابن عمر ﷺ قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع، فقال: «يا معشر من قد أسلم بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله»(٤)، **ولاشك أن هذا التوجيه النبوي ينطوي على أمور عدة من أهمها، حماية الخصوصية التي كفلها دين الإسلام للإنسان، وحين تقتحم هذه الخصوصية تتداعى الكيانات الأسرية، ففي ذلك انتهاك لحمى الأسر، وحرماتها.**

ومن أوجه احترام الكيان الاجتماعي للإنسان، وحمايته، ضمان حق الحفاظ على النسل، والعرض، فقد حرم الإسلام الزنى صوناً للإنسان من أسباب التدمير المادي، والمعنوي، وحرم كل ما من شأنه أن ينال الإنسان بضعف، أو يعرضه لنقص، حرم الله الزنا، وكل الطرق المؤدية إليه، ففرض الحجاب على المرأة، وفرض غض البصر على الرجل.

ولكون الحرمان مفضٍ في بعض الأحيان للزلل، فتحصل الفاحشة التي تؤثر سلباً على الكيان الأسري، والاجتماعي للناس، فقد قام عمر بن الخطاب ﷺ بتوقيت غياب الرجل عن زوجته، حين لفت نظره حال إحدى النساء ممن غاب عنها زوجها(٥)، ليحمي بذلك حقها في زوجها، ويدرأ به ما يُخشى من

بن يوسف الزيلعي أبو محمد، تحقيق محمد يوسف البنوري (دار الحديث، القاهرة، ١٣٥٧هـ) ٧٥/٤.

(١) هو ماعز بن مالك الأسلمي، ويقال: إن اسمه عريب وماعز لقب، وله صحبة، وهو الذي رُجِم في عهد النبي ﷺ ، ثبت ذكره في الصحيحين، وغيرهما من حديث أبي هريرة، وزيد بن خالد وغيرهما، وفي بعض طرقه أن النبي ﷺ قال: لقد تاب توبة لو تابها طائفة من أمتي لاجزأت عنهم، وفي صحيح أبي عوانة، وابن حبان وغيرهما من طريق أبي الزبير عن جابر أن النبي ﷺ لما رجم ماعز بن مالك، قال: لقد رأيته يتحضحض في انهار الجنة. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ، مرجع سابق، ٧٠٥/٥.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الحدود، باب في الستر على أهل الحدود، ٥٤١/٤ (رقم ٤٣٧٧).

(٣) انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي ، مرجع سابق، ٢٧/١٢.

(٤) أخرجه الترمذي في صحيحه، في كتاب البر، والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، (٢٠٣٢)، ص٣٣٧. وقد "نظر ابن عمر يوماً إلى البيت، أو إلى الكعبة فقال: ما أعظمك، وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك" . وأخرجه أبو داود بنحوه، كتاب الأدب، باب في الغيبة ١٩٤/٠٥ . ١٩٥ (رقم٤٨٨٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٩٨٤، ٧٩٨٥).

(٥) جاء ذلك فيما حدث به زيد بن أسلم، أن عمر بن الخطاب ﷺ ، خرج ليلة يحرس الناس، فمر بامرأة وهى في بيتها، وهى تقول:

الوقوع في المحظور، وفي هذا الإجراء احتياط شديد للحفاظ على العرض، والنسل، وهما من الأمور التي تتم بهما كرامة الإنسان، وترتفع مكانته.

ولم يقف إجراء الحماية للكيان الاجتماعي عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى فرض حدود للهيبة، والاحترام تحول دون التعرض للأسر بالشبه، والاتهامات، وجعل لذلك ما يقيه من المتساهلين في أحاديثهم عن أعراض الآخرين، فحين وضع الإسلام حدًّا للزنى، جعل إنزال هذا الحد مبنياً على إجراء صارم في إثباته، حيث لا بد من الإقرار على النفس، أو أن يدلي أربعة من الشهود العدول بوقوع ما يوجب الحد، كما أن الإسلام اتخذ إجراء آخر يحد من تساهل الناس في الاتهام بالفاحشة، حين جعل حدًّا للقذف، يجعل المتهم يتروى قبل إقدامه على إلقاء تهمته.

ولذا فلم يسلم من هذا الحد بعض الصحابة ﷺ ، حين فتنوا بالحديث في تلك الأمور، قبل ثبوتها[١]**. ولقد كان تنزيه أعراض الناس مما يسعى إليه الإسلام، ويلتمس المسلمون الصادقون كل ما ينزهها، ويبعد الشُّبَه عنها، فقد جاء عن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً**[٢] **أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ولد لي غلام أسود فقال:** «هل لك من إبل؟» **قال: نعم، قال:** «ما ألوانها» **قال: حمر، قال:** «هل فيها من أورق؟» **قال: نعم، قال:** «فأنى ذلك؟» **قال: لعله نزعه عرق، قال:** «فلعل ابنك هذا نزعه»[٣].

تطاول هذا الليل واسود جانبه وطال عليَّ ألا خليل ألاعبه

فو الله لولا خشية الله وحده لحرك من هذا السرير جوانبه

.. فلما أصبح عمر أرسل إلى المرأة فسأل عنها، فقيل هذه فلانة بنت فلان، وزوجها غاز في سبيل الله، فأرسل إليها امرأة، فقال كوني معها حتى يأتي زوجها، وكتب إلى زوجها فأقفله، ثم ذهب عمر إلى حفصة بنته، فقال لها: يا بنية كم تصبر المرأة على زوجها؟ فقالت: له يا أبه يغفر الله لك، أمثلك يسأل مثلي عن هذا، فقال لها: إنه لولا أنه شيئ أريد أن انظر فيه للرعية ما سألتك عن هذا، قالت: أربعة أشهر أو خمسة أشهر أو ستة أشهر، فقال عمر: يغزو الناس يسيرون شهراً ذاهبين، ويكونون في غزوهم أربعة أشهر، ويقفلون شهراً، فوقت ذلك للناس في سنتهم في غزوهم. انظر سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، مرجع سابق، كتاب السير، باب الإمام لا يجمر بالغزى ، ١٧٦٢٨، ٢٩/٩. وانظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ١٠٨/٣. وانظر المغني، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، مرجع سابق، ٢٣٢/٧.

(١) ورد ذلك في حادثة الإفك المعروفة، حيث سُمِّي من أهل الإفك حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش ﷺ . جاء ذلك فيما رواه البخاري من حديث عائشة -رضي الله عنها- الطويل، في كتاب المغازي، باب حديث الإفك والإفك بمنزلة النجس، (رقم ٤١٤١) ص٧٨٦ . ٧٨٩ ومسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (٢١٢٩/٣ . ٢١٣٦ رقم ٢٧٧٠).

(٢) اسمه ضمضم بن قتادة. انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مرجع سابق.

(٣) أخرجه البخاري، في كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، (رقم ٥٣٠٥) ص١٠٥٠ ومسلم، كتاب اللعان، (١١٣٧/٢ رقم

بل إن حصول هذا التنزيه، وخلو ساحة الناس مما يشوبها، مدعاة لغبطة المسلمين، وفرحهم، فعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: دخل عليَّ قائف، والنبي ﷺ شاهد، وأسامة بن زيد وزيد بن حارثة مضطجعان، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض، قال: فسر بذلك النبي ﷺ وأعجبه، فأخبر به عائشة(١). حيث "كانت الجاهلية تقدح في نسب أسامة، لكونه أسود شديد السواد، وكان زيد أبيض...، فلما قضى هذا القائف بإلحاق نسبه مع اختلاف اللون، وكانت الجاهلية تعتمد قول القائف، فرح النبي ﷺ لكونه زاجراً لهم عن الطعن في النسب"(٢).

خامساً: الاحتفاء بعقل الإنسان، وصيانته، وحفز ملكاته.

امتاز الإنسان عن غيره بالعقل، فهو موضع الفكر، والتأمل، وبه جاء للإنسان التكليف، فوجوده شرط لاعتبار الإسلام، وسائر ما يأمر به من الفرائض، والعبادات، ولذا فقد احتفى الإسلام بالعقل، حين جعله سبباً لتكريم الإنسان، وتفضيله على غيره(٣).

ولذا كان الحفاظ على هذا العقل، وحمايته من كل ما يعطله أمراً اهتم به الإسلام، لكون مكانة الإنسان، ومنزلته ارتبطت كثيراً بوجود عقله، وثباته، ومن ذلك تحريم المسكرات، والمخدرات، صيانة للعقل، ووقاية للجسد، وحفاظاً على كرامة الإنسان.

كما حرم السحر، والشعوذة، التي ينال بهما أهل السحر، والشعوذة، من عقل الإنسان، فيوقعونه في التخبط والضياع، ويخلطون عليه الحقيقة بالخيال، وفي ذلك من إلباس الباطل ثوب الحق، فيضل الناس بهذا الزيف، والخداع، وقد جاء النهي عن ذلك، في قول الله ﷻ: +وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**"(٤)، ففي ذلك اعتداء على العقل، وإفساد له، وينطوي في حقيقته على إهانة الإنسان، وعدم احترامه.**

وفي جانب آخر جاءت رعاية الإسلام للعقل بالحث على إعماله، وإطلاقه في أفق الإنتاج،

.(١٥٠٠)

(١) أخرجه البخاري، في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ، (رقم ٣٧٣١) ص ٧١٣. وأخرج مسلم –رحمه الله– عن عائشة –رضي الله عنها– ما نصه: إن رسول الله ﷺ دخل علي مسروراً، تبرق أسارير وجهه، فقال: ألم تري أن مجززاً، نظر آنفاً إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد، فقال: إن بعض هذه الأقدام لمن بعض. أخرجه مسلم، في كتاب الرضاع، باب العمل بإلحاق القائف الولد، ١٠٨١/٢ (رقم ١٤٥٩).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، يحيى بن شرف بن مري النووي، مرجع سابق، ٤٠/١٠، ٤١.

(٣) انظر: ما جاء عن العقل، باعتباره من سمات التميز الخَلْقِي للإنسان، في المبحث الثاني من هذا الفصل .

(٤) سورة البقرة، الآية ٤٢.

والإبداع، وجاء الحديث عن ضروب مختلفة من إعمال العقل، أو تعطيله في آي القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى: +وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ"[1]، **وقال سبحانه:** +فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"[2]، **وقال سبحانه:** +إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"[3].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٧٦.

(٣) سورة الرعد، الآية ٣.

المطلب الثالث

حق المدعو في المعرفة، وإدراك الأشياء، والعلم بها

وقد قرر الإسلام للإنسان حق اكتساب المعرفة، وجعلها حجر الزاوية في فهم هذا العالم، ومكنه من طرح الأسئلة، وجعل له الحق في تلقي الإجابات عنها، بما يفيده، ويصلح حاله، ولذا فقد كان مرتكز ذلك، الدعوة في بداية الأمر إلى العلم، والتعلم، قال تعالى: +ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ"[1]، ولم يسو الإسلام بين الذين يعلمون، والذين لا يعلمون، فقد قال الله تعالى: +هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ"[2]، وكان للرسول ﷺ دأبه المتواصل في حث الناس على العلم، وتسهيله لهم، ودلهم إلى النافع منه، ببيان أجر المتعلم، وفضله على من سواه، وما يجنيه العالم من خيري الدنيا، والآخرة، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[3].

وحين تداول المسلمون الرأي في مصير أسرى بدر، كان القيام بالتعليم من قنوات الفداء التي فتحها المسلمون لهؤلاء الأسرى، فقد "كان أهل مكة يكتبون، وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن عنده فداء دُفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم فإذا حذقوا، فهو فداؤه"[4].

ثم إن الإسلام فتح المجال للسؤال على مصراعيه، وشجع الناس على طرحه، واستقصاء كل

---

(١) سورة العلق، الآيات ١-٥.

(٢) سورة الزمر، الآية ٩.

(٣) أخرجه البخاري معلقاً مختصراً، كتاب العلم، باب قبل القول والعمل ص٣٨ وأبو داود في سننه، في كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، ٤/٥٧ . ٥٨ (رقم ٣٦٤١) والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (رقم ٢٦٨٢) ص٤٣٤ وابن ماجة في المقدمة، باب فضل العلماء، والحث على طلب العلم ١/٨١ (رقم ٢٢٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٢٩٧).

(٤) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، مرجع سابق، ٢/٢٢. وانظر عيون الأثر في فنون المغازي، والشمائل، والسير، محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري أبو الفتح، تحقيق د. محمد العيد الخطراوي، ومحيي الدين مستو (مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ) ١/٤٣٤.

ما يشكل عليهم من أمورهم، وهانحن نرى كيف أن مجلس الرسول ﷺ لا يخلو من سائل، أو مستفتٍ، بيد أن هناك منهجاً سديداً في إلقاء الأسئلة، وتلقيها، والإجابة عليها، وتوجيهها، فقد جاء في هذا الشأن عن أنس رضي الله عنه قال: سألوا النبي ﷺ حتى أحفوه(١) **بالمسألة، فصعد النبي ﷺ ذات يوم المنبر، فقال:** «لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم» **فجعلت أنظر يميناً، وشمالاً، فإذا كل رجل رأسه في ثوبه يبكي، فأنشأ رجل**(٢)**، كان إذا لاحى**(٣)**، يدعى إلى غير أبيه، فقال يا نبي الله من أبي؟ فقال:** «أبوك حذافة»(٤)**. وجاء في الكتاب العزيز:** "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ"(٥).

إن حق الإنسان في معرفة الحق، والوصول إليه يفرض تلقيه بالرحابة، لإزالة كل ما يحول بينه، وبين الحق من أوجه الغموض، والإشكال، وليس أدل على هذا الحق الناجز، أن لقي الرسول ﷺ في سبيله عتباً من الله عز وجل (٦).

---

(١) أحفوه: أي ألحوا عليه في السؤال. انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مرجع سابق، ١٣/٤٤.

(٢) قال ابن حجر: "واسم الرجل خارجة، قلت والمعروف أن السائل عبدالله أخو خارجه، وتقدم... من قال بأنه قيس بن حذافة". المرجع السابق، ١٣/٤٤.

(٣) لاحى: من المماراة والمجادلة. المرجع السابق، ١٣/٤٤.

(٤) أخرجه البخاري، في كتاب الفتن، باب التعوذ من الفتن، (رقم ٧٠٨٩) ص١٣٥٤ - ١٣٥٥ ومسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عمَّا لا ضرورة إليه... ٢/١٨٣٢ - ١٨٣٣ (رقم ٢٣٥٩) (١٣٦).

(٥) سورة المائدة، الآية ١٠١.

(٦) جاء في ذلك "أن رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطب بعض عظماء قريش، وهم عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، والعباس ابن عبدالمطلب، وقد طمع في إسلامهم، فبينما هو يخاطبه، ويناجيه، إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم، وكان ممن أسلم قديماً، فجعل يسأل رسول الله ﷺ من شيء ويلح عليه، وود النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك، ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل، طمعاً، ورغبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله تعالى: "عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ" انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٤/٤٧١.

المطلب الرابع

حق المدعو في حرية الإرادة، والاختيار

نظَّم الإسلام مسألة الحرية، فأبعد من نطاق الحياة ما يسمى بالحرية المطلقة، أو غير المنضبطة، فهي بهذا المفهوم تعني الفوضى، والإسلام وضع حرية مسؤولة، يمارسها الإنسان، فلا يضر نفسه، ولا الآخرين.

ولذا فالحرية المثمرة المفيدة، هي التي ينشدها الإسلام، منهجاً في أوساط الناس؛ لينعموا بقيمتهم، وينالوا كرامتهم، إذ بدونها ستزول هذه المكانة، وتندثر كل المعايير التي تضع حدًّا لامتهان الإنسان، والإساءة إليه، إن ذلك ينطوي في حقيقته على احترام الإنسان، وإكرامه.

ولقد مكن الله – تعالى – عباده من ذلك حين منحهم أدواته، وسبل مباشرته، إذ يتمتعون بالقدرة على التفكير، والتمييز، وانطوت خلقتهم على فطرة مُلهمة تأخذهم إلى سبيل الحق، وطريق السلامة، فكان أن أكرموا بخاصية الإرادة، والاختيار، وتحمل تبعات ذلك ومسؤولياته.

ويمكن **القول بأن الوجه الرئيس لهذه الحرية، يكمن فيما قرره الإسلام، من أن الأصل في الإنسان الحرية، والرق طارئ عليه، وإسباغ الحرية على الإنسان باعتبارها سمة أصيلة له اقترنت به منذ ولادته، لدليل واضح على ما لذاته من قيمة رفيعة وحق محفوظ، اعتنى به الإسلام، وصانه له، ولا شك أن أعلى درجات تحريره من العبودية كمنت في وقف مظاهر التعبد، والتذلل –منه– على خالقه، وولي نعمته ﷻ وحده، وحظر صرف شيء من ذلك للمخلوقين، وهو بتلك العبودية لله يزداد علواً، ومكانة، ولذا فقد كانت صفة سمو، وتمييز للأنبياء، والملائكة –عليهم السلام– قال الله تعالى:** +لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ..."[1]، **فالأنبياء، والملائكة هم في مقدمة العابدين لله تعالى، بما فيهم عيسى عليه السلام الذي جعله النصارى في غير ما قدره الله – تعالى – بشأنه من حال حين جعلوه ابناً لله سبحانه[2].**

ولذا فالإنسان حين يُولد حرًّا إنما يطرأ عليه الرق إذا رضيه لنفسه بأن استعبدها لغير خالقها؛ ﷻ، فيسوغ في حقه حينئذ بسبب الكفر، وليس لأحدٍ أن يسلب أحداً حريته، ويجرده من أعلى حقوقه لغير ما ذُكر من حال الكفر[3]، ولا حق لأحد أن يعتدي على حريته، فيسرقه، ويبيعه، كما أنه لا حق في أن يبيع

---

(١) سورة النساء، الآية ١٧٢.

(٢) وفي "هذا تكذيب لقولهم في المسيح أنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه" دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، ابن تيمية، تحقيق، مرجع سابق، ٣٢٥/١.

(٣) من المعروف في شريعة الإسلام أن غير المسلم لا يُسْتَرَق في كل حال، وإنما في حال أسره من قبل المسلمين عند قتاله إياهم.

نفسه.

وكان ذلك جلياً في روح الدين الإسلامي، وتعاليمه، فقد انطوت على إطلاق الإنسان في آفاق الإبداع، والإثمار، وحالت دون استرقاقه بصورة مهينة تعطل ملكاته، وتلغي عطاءه، وتتجاهل وجوده، ومكانته، وقد تجلى ذلك فيما كتبه الرسول ﷺ إلى أهل نجران: أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب، والسلام"(١).

وكان مما قاله ربعي بن عامر رضي الله عنه (٢)، لرستم حين بعثه إليه قائد المسلمين في معركة القادسية... (٣): "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام..." ومما قاله له: "والناس بنو آدم، وحواء، أخوة لأب وأم، قال ما أحسن هذا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٣٧٠/١. وانظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ٦٣١/٣. وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، ٥٣/٥.

(٢) هو ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو، كان عمر أمد به المثنى بن حارثة رضي الله عنه ، وكان من أشراف العرب، وللنجاشي الشاعر فيه مديح، وقد قدم علي أبي عبيدة كتاب عمر بأن يصرف جند العراق إلى العراق، وعليهم هاشم بن عتبة، وعلي مقدمته القعقاع بن عمرو، وعلى مجنبته عمير بن مالك وربعي بن عامر، وفي ذلك يقول ربعي:

أنحنا إليها كورة بعد كورة نقصهم حتى احتوينا المناهلا

وله ذكر أيضا في غزوة نهاوند، وكان ممن بنى فسطاط أمير تلك الغزوة النعمان بن مقرن، وولاه الأحنف لما فتح خراسان على طخارستان. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ٤٥٤/٢.

(٣) كان ذلك حين قدم إليهم المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وعندما تواجه الجيشان بعث رستم إلى سعد أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما يسأله عنه فبعث إليه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فكان مما قاله له: إنَّا ليس طلبنا الدنيا، وإنما همنا، وطلبنا الآخرة... وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله ...، ولما خرج المغيرة من عنده ذاكر رستم رؤساء قومه في الإسلام فانفوا ذلك، وأبوا أن يدخلوا فيه قبحهم الله، وأخزاهم، وقد فعل، ... ثم بعث إليه سعد رسولاً آخر بطلبه، وهو ربعي بن عامر رضي الله عنه فدخل عليه، وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة، والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت، واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة ...، ودخل ربعي بثياب صفيقة، وسيف، وترس، وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل، وربطها ببعض تلك الوسائد، واقبل وعليه سلاحه، ودرعه، وبيضته على رأسه فقالوا له ضع سلاحك فقال إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني فان تركتموني هكذا، وإلا رجعت، فقال رستم: ائذنوا له فاقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فحرق، عامتها، فقالوا له ما جاء بكم فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام..." . البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، ٣٨/٧، ٣٩.

..."[1]، وقد قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص رضي الله عنهما: "أيا عمرو متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"[2].

والحديث عن منهج الإسلام في التعامل مع الأسرى بمختلف فئاتهم، فيه الدلالة على العناية بحرية الإنسان، وصيانتها، وعدم تجريده منها إلا حين يكون حاله في الرق خيراً له من حاله في الحرية[3].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقولن أحدكم: عبدي. فكلكم عبيد الله، ولكن ليقل: فتاي، ولا يقل العبد: ربي، ولكن ليقل: سيدي»[4]، **قال الإمام النووي -رحمه الله-: "يكره للسيد أن يقول لمملوكه: عبدي، وأمتي، بل يقول: غلامي، وجاريتي، وفتاي، وفتاتي، لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى، ولأن فيها تعظيماً بما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه، وقد بين النبي ﷺ العلة في ذلك، فقال: كلكم عبيد الله، فنهى عن التطاول في اللفظ"[5]، وهذا المسلك من المخلوق مع مثله منطو أيضاً على التعالي، والتعاظم، وذلك مما نهى الشرع عنه، فقد جاء استحسان التسوية بين العبد، وسيده[6]، كما أن في ذلك حماية لجانب التوحيد من جهة، وحماية لمكانة الإنسان من الامتهان، والابتذال، وقصر التذلل، والتعبد منه على خالقه ﷻ.**

وقد روت عائشة -رضي الله عنها- ما يؤكد على النهي عن تحقير المسلم الرقيق، فقد جاء عنها أن رجلاً قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين، يكذبونني، ويخونونني ويعصونني، وأشتمهم، وأضربهم، فكيف أنا منهم، قال: «يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك

---

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ٢/٤٠٠، ٤٠١. وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، ٣٩/٧.

(٢) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، مرجع سابق، ص ٩٨، ٩٩

(٣) انظر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، د. محمد رواس قلعه جي (دار النفائس، بيروت، ١٤٠٩هـ) ص ٩٣-٩٨.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق (رقم ٢٥٥٢) ص٤٨٢ ومسلم، في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد، ٢/١٧٦٤ (رقم ٢٢٤٩) واللفظ له.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، يحيى بن شرف بن مري النووي ، مرجع سابق، ٧/١٥. وانظر عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي ، مرجع سابق، ٢٢٠/١٣.

(٦) انظر: صحيح البخاري بشرح الكرماني، محمد بن يوسف بن علي الكرماني البغدادي ، مرجع سابق، ١٠٠/١١. في معرض شرحه لحديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : «إذا أتى أحدَكم خادمُه بطعامه فإن لم يجلسه معه، فليناوله لقمة، أو لقمتين، أو أكلة، أو أكلتين فإنه ولي علاجه»، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العتق، باب إذا أتاه خادمه بطعامه، (رقم ٢٥٥٧) ص٤٨٣ ومسلم، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ... ٢/١٢٨٤ (رقم ١٦٦٣).

إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل» **قال: فتنحى الرجل، فجعل يبكي ويهتف، فقال رسول الله ﷺ:** «أما تقرأ كتاب الله +وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ"[1]، **فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجد لي، ولهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم، أشهدكم أنهم أحرار كلهم**[2].

وقد بوب، البخاري –رحمه الله– في صحيحه ما يؤكد هذا المعنى الذي ينبذ المعايير البالية المؤدية إلى امتهان الإنسان، واحتقاره، عدا معيار التقوى، وميزان الإسلام[3].

والحديث في الإسلام حين يأتي في باب التفاضل بين الناس، فإنه أبعد ما يكون عن ميزان القبلية، أو العرقية، إذ يُنْظر –من خلاله– إلى الناس، باعتبار ذاتهم العائدة إلى أصل واحد تجتمع فيه، وهو أبوهم آدم، وأمهم حواء، ولذا فقد حُفِظَت للإنسان في هذا الجانب كرامته، وأُبقيت له مكانته، حين جاءت الإشارة إلى هذا الشأن قوية سافرة، في نصوص عدة، منها ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ[4] الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن»[5].

وعن أبي هريرة ﷺ قيل: يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم» **فقالوا: ليس عن هذا**

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٤٧.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب تفسير القرآن، باب، ومن سورة الأنبياء عليهم السلام، (رقم ٣١٦٥) ص٥٠٢ . ٥٠٣. قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن غزوان، وقد رواه عنه أيضاً أحمد بن حنبل، انظر المسند، رقم الحديث ٢٦٤٤٤، ٢٨٠/٦. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٨٠٣٩).

(٣) من ذلك: باب قول النبي ﷺ العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون، ٨٩٩/٢. وباب كراهية التطاول على الرقيق، وقوله عبدي أو أمتي، ٩٠٠/٢. وانظر بيان ذلك في فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سابق، ١٧٨/٥، ١٧٩. وباب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه، ٩٠٢/٢، والنهي هنا عام في الرقيق وغيرهم، وإنما ساقه البخاري لمناسبته للباب، فقد أورد تحت هذا الباب قول الرسول ﷺ : «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه» (رقم ٢٥٥٩) ص٤٨٣ ومسلم، كتاب البر، والصلة، والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه ٢٠١٦/٣ (رقم ٢٦١٢).

(٤) عبية الجاهلية بضم العين المهملة وكسرها، وكسر الموحدة، وفتح التحتية المشددتين، أي: نخوتها، وكبرها، وفخرها، وتعاظمها. انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري ، مرجع سابق، ١١٠/٩.

(٥) تقدم تخريجه ص١٧٠ – ١٧١.

نسألك، قال: «فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله» **قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال:** «فعن معادن العرب تسألون؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»[1]. **والتفصيل في هذا الحديث يزجي هذا الجانب، ويؤكد أصل الكرامة للإنسان، تلك الكرامة التي لا تتقوض إلا بالتخلي عن معينها الإيماني الذي هدى الله – تعالى– إليه خلقه، وفي معرض شرحه لهذا الحديث، جعل الإمام ابن حجر –رحمه الله– التفاضل بين الناس في الجاهلية، وفي الإسلام على أربع مراتب[2]،، ليس من بينها ما يحتفي بالنسب، أو العرق، أو القبيلة، وقال عن الجوانب التي اعتبرها الإسلام ميزاناً للتفاضل فيما كان سائداً في الجاهلية: "وكان شرفهم في الجاهلية بالخصال المحمودة من جهة ملائمة الطبع، ومنافرته، خصوصاً بالانتساب إلى الآباء المتصفين بذلك..."[3]، فإذا ما اعتد الإسلام بالنسب فإنما يقصر اعتداده به في هذا الجانب.**

ويجب أن لا يغيب عن هذا الموضوع تمتع الناس في ظل الإسلام بحرية العقيدة، وحق الحفاظ على الدين.

وتنبني هذه الإرادة في الاختيار العقدي على أن الإنسان من حيث كونه إنساناً، في أي مكان وُجِد، قد زُوِّد بملكة التمييز، وفرز الصالح عن الضار، ثم عُضِد بعد ذلك بمن يهديه هداية الدلالة، والإرشاد إلى طريق الحق، والرشاد، وأُهِّل بطبيعته للتحمل، والجزاء.

وفي ذلك تكمن نظرة الإسلام للفرد، حيث تقوم على أساس من تقدير إنسانية الناس جميعاً، ومن تقرير الحق الذي يحقق المساواة، والحرية لهم جميعاً[4].

ولقد جاء أصل جامع في ذلك، مَثُل في قول الله تعالى: +لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلاً، (رقم ٣٣٥٣) ص٦٤١ ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام (١٨٤٦/٢ رقم ٢٣٧٨).

(٢) وهذه المراتب هي: "الأفضل من جمع بين الشرف في الجاهلية، والشرف في الإسلام، وكان شرفهم في الجاهلية بالخصال المحمودة من جهة ملائمة الطبع، ومنافرته، خصوصاً بالانتساب إلى الآباء المتصفين بذلك، ثم الشرف في الإسلام بالخصال المحمودة شرعاً، ثم أرفعهم مرتبة من أضاف إلى ذلك التفقه في الدين، ومقابل ذلك من كان مشروفاً في الجاهلية، واستمر مشروفاً في الإسلام، فهذا أدنى المراتب، والقسم الثالث من شرف في الإسلام وفقه، ولم يكن شريفاً في الجاهلية، ودونه من كان كذلك لكن لم يتفقه، والقسم الرابع من كان شريفاً في الجاهلية، ثم صار مشروفاً في الإسلام، فهذا دون الذي قبله فإن تفقه فهو أعلى رتبة من الشريف الجاهل" انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، مرجع سابق، ٤١٥/٦.

(٣) المرجع السابق، ٤١٥/٦.

(٤) انظر الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوي، مرجع سابق، ص ٣٦١.

ٱلْغَيِّ".[1]، فلا إكراه في الإسلام للكفار على اعتناقه، "وإذا اختار غير المسلم الكفر لنفسه، دون تعد على الإسلام، أو من يختار الإسلام، فعقوبته إنما هي عند الله، فالله هو الذي منحه هذه الحرية كما منح إبليس -من قبل- الحرية لاختيار الطاعة، أو العصيان"[2].

وبهذا **نأتي على ما مَكَّن منه الجهد من بيان مظاهر مكانة المدعو باعتبار ذاته، لنخلص إلى القول بأن دين الإسلام باشر إكرام الإنسان قبل أن يدخل في الإسلام، ومنحه من صفات السمو، ومقامات العلو، ما أظهره بمكانته الصحيحة، التي لم ينلها في غير دين الإسلام، ثم إن هذه المنح لم تقف عند هذا الحد، بل هي تنداح معه في موقف آخر للإسلام منه، وهو الموقف الذي يبدأ فيه الاتصال به، ودعوته إلى الإسلام، وهاهنا له مقام رفيع آخر؛ لكونه يُخاطب برسالة الإسلام، حيث سيتم -بعون الله تعالى- في الفصل الثاني من هذا الباب بيان مكانة المدعو باعتباره المُخاطب بالدعوة.**

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٢) حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، د. سعيد إسماعيل صيني (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ) ص٢٦.

الفصل الثاني

مكانة المدعو باعتباره المخاطب بالدعوة

تمهيد:

المبحث الأول: قيام فريضة الدعوة ومتطلباتها لأجل المدعو

المبحث الثاني: خصائص ومزايا المدعو باعتباره مخاطباً بالدعوة

المبحث الثالث: إكرام المدعو والاحتفاء، به

المبحث الرابع: رحمة المدعو والإشفاق عليه، واللين، وحسن التعامل معه

المبحث الخامس: الحرص على سلامة المدعو، ونفعه، وهدايته، وتحقيق الخير له

المبحث السادس: تلمس أحوال المدعو، ومعرفتها سعياً لمراعاتها

المبحث السابع: التعامل مع المدعو بمبدأ الإقناع، والرضى لا الإكراه

تمهيد:

تم في الفصل السابق بيان أن دين الإسلام باشر إكرام الإنسان قبل أن يدخل في الإسلام، ومنحه من صفات السمو، ومقامات العلو، ما أظهره بمكانته الصحيحة، التي لم ينلها في غير دين الإسلام، ثم إن هذه المِنَح لم تقف عند هذا الحد، بل الإسلام يمضي بها معه في مقامات أخرى، من أعظمها ما يناله حين يهم الداعية بمخاطبته بمضمون الإسلام، ويبدأ بدعوته إليه، وهاهنا له مقام رفيع آخر، لكونه يُخاطب برسالة الإسلام، حيث سيتم -بعون الله تعالى- في هذا الفصل: بيان المكانة التي ينالها المدعو حين يقف الداعية منه هذا الموقف.

والنظرة التي ستحكم التناول لهذا الموضوع تقوم على اعتبار المدعو هو المخاطب بالرسالة، ويُعد لذلك صاحب مكانة خاصة احتفى بها الإسلام، ووضع لها اعتبارها أثناء التعامل معه والاتصال به، ويُظْهِر هذا التناول بشكل جلي نوع، ومدى الاحتفاء الذي يناله المدعو، حين يتوجه الداعية إليه بالخطاب، فشكل هذا الخطاب، وصيغته لابد أن يتأثرا بمكانته تلك.

والمخاطب مشتق من مادة (خطب)، وكل ما جاء بشأنها من معاني اللغة يؤكد ما انعقد عليه هذا الفصل من أهمية، ومكانة للمدعو باعتباره (المخاطب) بالدعوة، حيث دلت معانيها على أن المدعو هو السبب الذي قامت الدعوة لأجله، وهو الطرف الأهم الذي دارت بسببه المخاطبة، وتطلب الحرص عليه مراجعة الكلام، والانتباه لما فيه، بل الوقوف معه أثناء خطابه موقف المشاورة، والترفق، وخطب الود لا الإلزام، والإكراه، وأن يكون حال الـمُخَاطِب مع الـمُخَاطَب حال من يحكم له بالبينة، ومن يَفْصِل له بين الحق، والباطل، ويَمِيْز له بين الحكم، وضده، وكل تلك المعاني احتملتها مادة (خطب) في معاجم اللغة[1]، لتزيد في تأكيد ما يتم تناوله هنا من مكانة للمدعو.

ومنحى المعالجة لموضوع هذا الفصل سيقوم على رصد الأطر العامة للتعامل مع المدعو،

---

(١) قال صاحب اللسان : "الخطب قيل هو سبب الأمر..، والخطب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن، والحال، ومنه قولهم جل الخطب أي عظم الأمر، والشأن..، والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام..، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة، وخطابا، وهما يتخاطبان..، والمخاطبة مفاعلة من الخطاب، والمشاورة.. من الذين يخطبون الناس، ويحثونهم..، قال بعض المفسرين في قوله تعالى: + وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ " قال: هو أن يحكم بالبينة، أو اليمين، وقيل معناه: أن يفصل بين الحق، والباطل، ويميز بين الحكم وضده..". لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة خطب.

كمراعاة حاله التي حرص عليها الإسلام في جميع إجراءات الدعوة، ومناشطها، لكون ذلك دليلاً على مكانته أثناء الاتصال به بغية دعوته.

وكذا رصد الأهمية التي يوليها الداعية للمدعو، فهو يقع منه في موقع مهم، حين يضع في اعتباره أن الإنسان الذي يتوجه إليه بالدعوة كيان واع عاقل، يدرك ما حوله، وله القدرة على التفكير، والتأمل، واتخاذ القرار، فقد أعده الله تعالى –حين خلقه– الإعداد العقلي، والفكري، الذي ييسر له حسن استقبال ما يُخاطب به، وإدراكه، والاستفادة منه، وهذه مزية له، وحسنة في حقه، فاق بها –بفضل الله عليه– بقية المخلوقات، فكان له بها مكانته تلك.

وكذلك جملة الاهتمامات بالمدعو أثناء إجراء الخطاب معه، وجميع ذلك سيبدو لنا جليًّا – بعون الله– باستقرائه من الكتاب، والسنة، ومن سير أئمة العلم، والهدى من السلف الصالح رضوان الله عليهم، فقد ساروا على المنهج الذي أُمرنا بالسير عليه، ولذا فإن ما أتوا به في هذا الشأن إنما هو التزام تام، وتطبيق متقن لهدي الرسول ﷺ في ذلك.

وعليه فحين نعرض لهذه المكانة فيما ظهر من سير أولئك – رضوان الله عليهم – فإنَّا نعرض صوراً، ومظاهر لكيفية تطبيقهم، والتزامهم بما جاءهم بشأنها من الرسول ﷺ، وهذا يعين على بلورة الصورة العملية، والشكل التطبيقي لتلك المكانة، حتى ينتبه لها الدعاة، ويرعوها حق رعايتها.

المبحث الأول

قيام فريضة الدعوة ومتطلباتها لأجل المدعو

المطلب الأول

فرض الدعوة إلى الله تعالى، والإلزام بها من أجل المدعو

اهتم الإسلام بالمدعو، وسعى لتحقيق الخير له، ولذا فقد جعل دعوته، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر من الأصول التي يقوم عليها الدين، الذي ينظم شأنه في حياته، وآخرته، فكان مما يدل على المكانة العظيمة للمدعو عظم رسالة الدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فقد تولاها الله تعالى، وأرسل بها أنبياءه، ورسله، وحملها من بعدهم ورثتهم، والأمر بها ماض إلى يوم القيامة، وصارت بين الأعمال من الواجبات وجوباً عينيًّا، لا ينفك من أدائها مكلف، يضطلع بأعبائها قدر استطاعته، فاعتنى بها –لذلك– العلماء، والحكماء، والصلحاء، وهي معيار للحكم على العبد فيما إذا كان يغار على محارم الله تعالى، ويقوم بالدعوة إليه سبحانه، إن هذا الحشد، والتكريس لأداء هذا الواجب ينبئ عن أهمية الهدف المراد منه، وهو تحقيق الهداية للمدعو، وضمه لزمرة المهتدين، ولاشك أن هذه الرعاية البالغة به دليل على مكانته.

وعلى الرغم من اختلاف العلماء في حكم القيام بالدعوة إلا أن ذلك تأسس من أصله على الاهتمام بمن توجه إليه الدعوة، والعناية به، وفيه إشارة إلى مكانته، ومنزلته.

وفي حكم الدعوة قولان: القول الأول: إنها فرض عين، ومن أدلة القائلين بذلك، قول الله تعالى: +قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾"[1]، **وقول الله تعالى:** +وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾"[2].

والقول الثاني: إنها فرض كفاية، ومن أدلة أصحاب هذا الرأي قول الله تعالى: +وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾"[3]، **وقول الله**

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٢) سورة العصر: الآيات من ١ إلى ٣.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

تعالى: +﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾"[1]، ولكن يجتمع الأمر على أنها من فرائض الإسلام التي لا تسقط بحال، ولكن اتفق العلماء على أنها تتعين على بعض الناس، كمن وصل إلى الكفار، وليس فيهم غيره، ومن له ولاية عليهم: كمن له خادم.

وكان لأهل العلم نقاش مستفيض فيما يبدو للناظر من دلالات النصوص، التي تحتاج إلى رفع مابينها من تعارض متوهم، ربما دل على الفرضية، أو عدمها[2].

بل إن فرضية الدعوة قائمة حتى في حال إعراض المدعو، وفي ذلك التأكيد على مدى العناية به، وعلو مكانته، وحين يأتي الحكم بالوجوب العيني فغني عن القول الإشارة إلى ارتباط ذلك بمدى العلم، والاستطاعة، فالأمر هنا ليس مقصوراً على فريضة الدعوة، بل هو ماض فيما عداها من الفرائض.

ويرد في هذا المقام التأكيد على أصل مهم يتعلق بذلك، وهو: أن من عرف مسألة من مسائل الدين فقد ترتب على معرفته تلك أمور، الأول: اتصافه بأنه عالم بها، والثاني: وجوب الامتثال لها، والعمل بمقتضاها، والثالث: تعليمها للناس، والرابع: الدعوة إليها.

وبناء على ذلك فإن الأمي غير المتعلم العارف لحكم وجوب الصلاة، أو حرمة شرب الخمر ممن ينطبق عليه ما ذُكر آنفاً، فهو مستطيع للدعوة، لكن استطاعته انحصرت فيما علمه من مسائل الدين.

وذكر شيخ الإسلام في هذا الشأن مانصه: "وكُل واحِدٍ مِن الأمةِ يجِب عليهِ أَن يقوم مِن الدعوةِ بِما يقدِر عليهِ إذا لم يقم بِهِ غيره، فما قام بِهِ غيره سقط عنه، وما عجز لم يطالب بِهِ، وأَما ما لم يقم بِهِ غيره، وهو قادِر عليهِ فعليهِ أَن يقوم بِهِ، ولهذا يجِب على هذا أن يقوم بما لا يجِب على هذا، وقد تقسطت الدعوة على الأمةِ بِحسبِ ذلِك تارة، وبِحسبِ غيرِهِ أخرى، فقد يدعو هذا إلى اعتِقادِ الواجِبِ: وهذا إلى عملٍ ظاهِرٍ واجِبٍ، وهذا إلى عملٍ باطِنٍ واجِبٍ؛ فتنوع الدعوةِ يكون فِي الوجوبِ تارة، وفِي الوقوعِ أخرى، وقد تبين بِهذا أنَّ الدعوة إلى اللهِ تجِب على كل مسلم..."[3]، ويكون ذلك الوجوب في حق من أمكنه بما أمكنه.

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

(٢) انظر على سبيل المثال: الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس (مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٨هـ) ١٠٣/٢.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، مرجع سابق، ١٦٦/١٥. وانظر الاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق،

وفي قول الله تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ..."[1]، عضد واضح لهذا المعنى، حيث"لا يضركم ضلال من ضل إذا كنتم مهتدين، ولا يتوهمن أن فيه رخصة في ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مع استطاعتهما...، وقد روي أن الصديق – رضي الله تعالى عنه – قال يوماً على المنبر: يأيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية، وتضعونها غير موضعها، ولا تدرون ما هي، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه عمهم الله بعقاب...، والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة، وكانوا يتمنون إيمانهم، وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالأمر والنهي..."[2].

وقد قال الإمام أحمد –رحمه الله–: "ثبت بالكتاب، والسنة وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ثم إن الله – تعالى – جعل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فرق مابين المؤمنين والمؤمنات[3]، فثبت بذلك أن أخص أوصاف المؤمنين وأقواها دلالة على صحة عقدهم، وسلامة سريرتهم هو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر"[4].

وقال ابن المبارك[5]"قوله تعالى: +عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ" خطاب لجميع المؤمنين، أي عليكم أهل دينكم كقوله تعالى: +وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ"[6]، فكأنه قال: ليأمر بعضكم بعضاً، ولينه بعضكم بعضاً، فهو دليل على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولا يضركم ضلال المشركين، والمنافقين، وأهل الكتاب، وهذا لأن الأمر بالمعروف، يجري مع المسلمين من أهل العصيان، وروي معنى هذا عن سعيد بن جبير، وقال سعيد بن المسيب: معنى الآية: لا يضركم من ضل إذا

٢/٢٠٧، ٢٠٨.

(١) سورة المائدة، الآية ١٠٥.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، مرجع سابق، ٣/٨٨.

(٣) يشير بذلك إلى قول الله تعالى: +وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ" سورة التوبة، الآية ٧١.

(٤) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، مرجع سابق، ٦/٧٩–٨٥.

(٥) هو عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة، ثقة ثبت، فقيه عالم، جواد مجاهد، جمعت فيه خصال الخير، من الثانية، مات سنة إحدى وثمانية وله ثلاثة وستون، انظر: تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامه، (دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦هـ).

(٦) سورة النساء، الآية ٢٩.

اهتديتم بعد الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر متعين متى رجي القبول، أو رجي رد الظالم ولو بعنف، مالم يخف الآمر ضرراً يلحقه في خاصته، أو فتنة يدخلها على المسلمين، إما بشق عصا، وإما بضرر يلحق طائفة من الناس، فإذا خيف هذا فعليكم أنفسكم"(١).

وقد قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "وقد أجمع الفقهاء على قول الله: +وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ**"(٢)، وقيل ما بركته؟ قال: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أينما كان"(٣).**

كما أن الله تعالى ذكر الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في مواضع أخر من كتابه، فهي(٤)،"ونظائرها مقتضية لإيجاب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر..."(٥)، وقد أورد الإمام الجصاص في سياق كلامه عن حديث أبي هريرة ﷺ قال: اجتمع نفر من أصحاب النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، أرأيت إن عملنا بالمعروف حتى لا يبقى من المعروف شيء إلا عملناه، وانتهينا عن المنكر حتى لم يبق شيءٌ من المنكر إلا انتهينا عنه، أيسعنا أن لا نأمر بالمعروف، ولا ننهى عن المنكر؟ قال: «مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله، وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه كله"**"فأجرى النبي ﷺ فرض الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مجرى سائر الفروض في لزوم القيام به مع التقصير في بعض الواجبات، ولم يدفع أحد من علماء الأمة، وفقهائها سلفهم، وخلفهم وجوب ذلك إلا قوم من الحشو، وجهال أصحاب الحديث"(٦).**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٣٤٢/٦-٣٤٥.

(٢) سورة مريم، الآية ٣١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٢١/٣.

(٤) من هذه الآيات قوله تعالى في سورة آل عمران : + كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ" الآية ١١٠، وقوله سبحانه فيما حكى عن لقمان في سورة لقمان: +يَٰبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾" الآية ١٧. وقول الله ﷻ في سورة المائدة: +لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾" الآيتان ٧٨، ٧٩.

(٥) أحكام القرآن، الجصاص مرجع سابق، ٢/ص٣١٥ وما بعدها.

(٦) المرجع السابق، نفس المجلد والصفحات.

وفي قول الله تعالى: +وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ" "أمر الله سبحانه الأمة أن يكون منها علماء، يفعلون هذه الأفعال على وجوهها، ويحفظون قوانينها، ويكون سائر الأمة متبعين لأولئك، إذ هذه الأفعال لاتكون إلا بعلم واسع، وقد علم الله – سبحانه – أن الكل لا يكونون علماء، فالحرف (من) هنا للتبعيض، وهو تأويل الطبري، وغيره، وذهب الزجاج، وغير واحد إلى أن المعنى: ولتكونوا كلكم أمة يدعون. وحرف (من) هنا لبيان الجنس، ومعنى الآية على هذا: أمر الأمة بأن ندعوا جميع العالم إلى الخير بحيث يدعون الكفار إلى الإسلام، والعصاة إلى الطاعة، ويكون كل واحد في هذه الأمور على منزلته من العلم، والقدرة، وروى الليث بن سعد عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليؤتين برجال يوم القيامة ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء لمنازلهم من الله، يكونون على منابر من نور» قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين يحببون الله إلى الناس، ويحببون الناس إلى الله، ويمشون في الأرض نصحا» قلنا: يا رسول الله هذا يحببون الله إلى الناس، فكيف يحببون الناس إلى الله؟ قال: «يأمرونهم بالمعروف، وينهونهم عن المنكر، فإذا أطاعوهم أحبهم الله تعالى»[(١)]"[(٢)].

ومن المعلوم بأن الله – تعالى – قد أكد «فرض الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في مواضع من كتابه، وبينه رسول الله ﷺ في أخبار متواترة عنه فيه، وأجمع السلف، وفقهاء الأمصار على وجوبه، وإن كان قد تعرض أحوال من التقية يسع معها السكوت"[(٣)].

وقد قال ابن عباس ﷺ في هذا الشأن: «من فر من اثنين فقد فر، ومن فر من ثلاثة لم يفر، فقال: أما أنا فأرى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مثل هذا، لا يعجز الرجل عن اثنين أن يأمرهما أو ينهاهما»[(٤)].

ومما يرد في ذلك القول بأن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فرض برأسه لا يسقطه عدم تأثير المنكر عليه، ونحن نرى شبيهاً بذلك كيف أن إنكار القلب فرض، وهو لا أثر له في دفع ذلك المنكر.

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٩٢/٧ رقم ٢٠١٥).

(٢) جواهر الحسان في تفسير القرآن، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة بدون) ٢٩٧/١.

(٣) أحكام القرآن، الجصاص ، مرجع سابق، ١٥٤/٤.

(٤) المرجع السابق، ١٥٨/٤.

والأحاديث عن النبي ﷺ في تأكيد الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر كثيرة جدًّا، وتقييد ذلك بالاستطاعة لاينفي عنه حكمه صفة الشمول، والاستيعاب لكل من دان بالإسلام، فقد سبق القول بأن الفرضية مرتبطة بتلك الاستطاعة سعة، وضيقاً..، قال أبو ذر: "أوصاني رسول الله أن أقول الحق، وإن كان مرا، وأن لا أخاف في الله لومة لائم"(١).

وقال الله ﷻ : +وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ"(٢)**،"ولما وجبت مجاهدة الكفار حتى يظهر دين الحق، فكذلك كل من عاند الحق من أهل الباطل واجب مجاهدته على من قدر عليه حتى يظهر الحق"(٣).**

وهذا النفس في الفرضية يتنفسه الإمام الشوكاني، فقد بدا ذلك منه حين وصف هذه الفريضة بأنها عماد من أعمدة الشريعة المطهرة، قد دل عليها كتاب الله ﷻ في كثير من الآيات، ودلت عليها السنة المطهرة في الأحاديث المتواترة...، لكون ذلك يقوم على حفظ نفوس المسلمين، فمن ترك مسلما يغرق، وهو يقدر على إنقاذه، واستمر في صلاته فقد ارتكب أعظم المنكرات، وترك أهم المعروفات، فلا هو عمل بالأدلة الواردة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولا عمل بما ورد في حق المسلم على المسلم، ومنها: أن يحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه..، بل يجب على المصلي ترك الصلاة، والخروج منها فيما هو دون هذا بكثير، وذلك نحو أن يرى من يريد فعل منكر: كالزنا، وشرب الخمر، وهو يقدر على منعه، والحيلولة بينه، وبين ما هم به من المعصية، وهو إذا استمر في صلاته تم لذلك العاصي فعل تلك المعصية، فالواجب عليه الخروج من الصلاة، وإنكار ذلك المنكر.

والحاصل أن هذه الشريعة المطهرة مبنية على: جلب المصالح، ودفع المفاسد، والموازنة بين أنواع المصالح، وأنواع المفاسد، وتقديم الأهم منها على ما هو دونه، ومن لم يفهم هذا فهو لم يفهم الشريعة كما ينبغي.

ومما يؤيد ما حررناه لك في هذا البحث: حديث جريج الثابت في الصحيح: أنها دعته أمه، وهو يصلي. فقال: اللهم أمي وصلاتي. وتردد أيهما أقدم؟ فعوقب تلك العقوبة، والحال أن إجابته

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب ما يستدل به على أن القضاء وسائر أعمال الولايات من فروض الكفايات، (رقم ١٩٩٧٣) ٩١/١٠.

(٢) سورة، الحج الآية ٧٨.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، مرجع سابق، ٢٨٢/٢٢.

لأمه، وقضاء حاجتها لا تفوت باستمراره في صلاته، وإكمالها، فكيف إذا كان الاستمرار في الصلاة يحصل به هلاك مسلم، وكان الخروج منها محصلا لحياته

وهذا وإن كان من شرع من قبلنا فقد حكاه لنا رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ولم يذكر ما يخالفه في شرعنا، فكان شرعاً لنا، كما تقرر في الأصول(١).

وهذا يعزز القول بأن العملية الدعوية في مجملها إنما قامت لأجله، فجهد الداعية في تحديد المضمون الملائم، واختيار الوسيلة، وتحديد الأسلوب إنما جاء لأجله طمعاً في هدايته، ويمكن القول بناء على ذلك بأن المدعو من مقامه المهم يُؤثِّر في صنع نشاط الداعية، وتحديد رسالته.

وحين أرسل الله – تعالى – الرسل للناس، لم يجعل مجتمعاً يخلو من نذير، قال الله تعالى: +وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ..."(٢)، **فما ترك الله ﷻ في ساحة الإنسانية أمة، إلا أرسل لها رسولاً يدعوها ويحذرها، قال الله تعالى:** +ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾"(٣)، **وقال الله تعالى:** +إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾"(٤)، **وكانت مهمة الدعوة إلى الله – تعالى – هي الأهم، والأسمى من بين المهام، فكان أن اصطفى الله – تعالى – لها خيرة البشر، والصفوة منهم، وكان تاريخ ذلك نبراساً يستضاء به على مدار التاريخ، وهو الأقدم في سيرة حياة الإنسان". فالدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء جميعاً، وتاريخ الدعوة إلى الله –بناء على هذا– هو أعرق تاريخ عرفته البشرية، ووعاه عقلها، إذ هو تاريخ الخلق من لدن آدم ؑ"(٥)، وواضح دلالة ذلك على عظم مكانة من انتدب الله – تعالى – له هؤلاء الرسل، وجعل ذلك من بداية وجود الإنسان على هذه الأرض، وكان المُقدم على غيره، ولقد كان عدد من أرسلهم الله – تعالى– من رسله – عليهم السلام– إلى الناس كثيراً، جاء الذكر على خمسة وعشرين منهم في القرآن الكريم(٦)، في**

---

(١) انظر: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ)١/٢٤٣، ٢٤٤.
وانظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري ، مرجع سابق، ٥/٢٤٤.

(٢) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٤٤.

(٤) سورة فاطر: الآية ٢٤.

(٥) فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبدالحليم محمود، مرجع سابق، ١ / ٢٢.

(٦) انظر الإتقان، محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل محمد العربي (دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ١٤١٥هـ) ٢/٣٦٢ وما بعدها.

كثير من آيه المحكمة[1]**، وجاء الحديث مستفيضاً عن سيرتهم، وهديهم في الدعوة إلى الله تعالى.**

وكل ماجاء في وجوب الدعوة، والعناية بها دليل على أهمية المدعو، ومدى عناية الإسلام به، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله ﷻ يسأل العبد يوم القيامة، فيقول: ما لك إذا رأيت المنكر فلم تنكره؟» **قال رسول الله ﷺ** : «فيلقن حجته فيقول: يا رب خفت الناس ورجوتك». **قال الإمام أحمد: "ويحتمل**

حيث أورد المؤلف موضوعاً بعنوان: أسماء الأنبياء والمرسلين في القرآن.

(١) ففي شأن نوح عليه السلام قال الله تعالى: + لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" سورة الأعراف: الآية ٥٩. وهو أول أولي العزم من الرسل، واستمرت دعوته عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وجاء ذكر سيرته ودعوته في ثمان وعشرين سورة من سور القرآن الكريم، وفي آيات كريمة زادت على المائة. وفي شأن هود عليه السلام قال الله تعالى: + ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾" سورة الأعراف: الآية ٦٥. وفي شأن صالح عليه السلام قال الله تعالى: + وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾" سورة الأعراف: الآية ٧٣. وفي شأن إبراهيم عليه السلام قال الله تعالى: + ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾" سورة الأنبياء: الآيات من ٥١ إلى ٥٦. وإبراهيم عليه السلام ثاني أولي العزم من الرسل، وفصل القرآن الكريم سيرته عليه السلام وهديه في الدعوة في خمس وعشرين سورة. وجاء في شأن شعيب عليه السلام قول الله تعالى: + وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾" سورة الأعراف: الآية ٨٥. وقال الله تعالى في شأن موسى عليه السلام: + هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾" سورة النازعات: الآيات من ١٥ إلى ١٩. وهو كليم الله تعالى والثالث من أولي العزم، وجاء حديث القرآن الكريم عنه في أكثر من ستين موضعاً.

أن يكون هذا فيمن يخاف سطوتهم، وهو يستطيع دفعها عن نفسه.."[1]، وهذا مما يدخل وجوب الدعوة تحت ضابط الاستطاعة، لكنه لايُخرجها إلى فرض الكفاية، فالكل يلزمه ما قدر عليه منها.

ولقد بوَّب الإمام المباركفوري[2] في هذا الشأن تحت عنوان: ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، وبيَّن –رحمه الله– ضمنه توجيه رسول الله ﷺ بأن الناس أي المطيقين إزالة المنكر مع سلامة العافية إذا رأوا الظالم أي علموا ظلمه، وفسقه، وعصيانه فلم يأخذوا على يديه أي لم يكفوه عن الظلم بقول أو فعل أوشك أن يعمهم الله بعقاب منة: إما في الدنيا، أو الآخرة، أو فيهما، لتضييع فرض الله بلا عذر.

ثم أورد قول أبي عبيدة: خاف الصديق أن يتأول الناس الآية[3] غير تأويلها، فيدعوهم إلى ترك الأمر بالمعروف، فأعلمهم أنها ليست كذلك، وكذا قول النووي بشأن الآية نفسها: بأنها ليست مُخَالفة لوجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وهذا الوجوب معضود بعظم رسالة الدعوة حين تولاها الله سبحانه، وأرسل بها أنبياءه، ورسله وحملها من بعدهم، ورثتهم، وكل ذلك يفضي في نهايته إلى أهمية من فرضت الدعوة لأجله، وعظم مكانته، وهو المدعو.

وساق ابن تيمية إشارات جلية حول، وجوب الدعوة، وفرضيتها، فقد سئل –رحمه الله– عن قوله تعالى: +قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ"[4]، وهل الدعوة عامة تتعين في حق كل مسلم ومسلمة أم لا..؟

فأجاب: «إذا تبين ذلك فالدعوة إلى الله واجبة على من اتبعه، وهم أمته، يدعون إلى الله كما دعا إلى الله، فمجموع أمته تقوم مقامه في الدعوة إلى الله، وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره، فما قام به غيره سقط عنه، وما عجز لم يطلب به، وأما ما لم يقم به غيره، وهو قادر عليه فعليه أن يقوم به، وقد تبين بهذا أن الدعوة إلى الله تجب على كل مسلم، لكنها فرض على الكفاية، وإنما

---

(١) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، مرجع سابق، ٩١/٦.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي، أبو العلا محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، مرجع سابق، مرجع سابق، ٣٢٤/٦ ومابعدها.

(٣) وهي قول الله تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ" سورة المائدة، الآية ١٠٥.

(٤) سورة يوسف، الآية ١٠٨ .

يجب على الرجل المعين من ذلك ما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره[1].

وفي ضوء ذلك لعل الكفاية في فريضة الدعوة ليست كالكفاية في غيرها، لكون قيام البعض بما سواها من فروض الكفاية فيه إعفاء للآخرين، كما هو وارد على سبيل المثال في صلاتي العيدين والاستسقاء، بينما للدعوة متطلبات تحكمها ظروف زمانية، ومكانية، ومعنوية، لا يمكن أن يتصدى لها إلا شخص بعينه، كدعوة الخواص والأقارب، وكالسوانح الدعوية الملحة، التي يصعب تكرارها مع المدعو، وبالتالي لاينبغي تفويتها.

ومهما مضينا في وصف فريضة الدعوة بأنها على الكفاية، إلا أن العناية البالغة بها في القرآن والسنة، يرفعها، ويعلي من شأنها، حتى يكاد المسلم الحصيف يجد الحرج في تركها لهذه الحجة، وهو يسمع قول الله تعالى: +وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾"[2]، وقوله سبحانه: +قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ"[3]، "وسواء كان المعنى: أنا ومن اتبعني يدعو إلى الله على بصيرة، أو كان الوقف عند قوله: +أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ"، ثم يبتدئ +عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ"، فالقولان متلازمان، فإنه أمره سبحانه أن يخبر أن سبيله الدعوة إلى الله، فمن دعا إلى الله تعالى فهو على سبيل رسوله ﷺ، وهو على بصيرة، وهو من أتباعه، ومن دعا إلى غير ذلك فليس على سبيله، ولا هو على بصيرة، ولا هو من أتباعه...، وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه، ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه، ولو حديثاً، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو"[4].

وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعطاء، وأبو جعفر في قول الله تعالى: +وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا"[5]، أي الناس كلهم، وقال ابن عباس: حسنا، أي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أمرهم أن يأمروا بلا إله إلا الله من لم يقلها[6]، والشمول في البلاغ لكل الناس حتى يقولوا كلمة الشهادة، يقتضي شمولاً فيمن يقوم بهذا البلاغ، وهذا يُقَرِّب الدعوة إلى الفرض العيني أكثر منه إلى الكفائي.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، مرجع سابق، ١٥/١٥٧- ١٧٤.

(٢) سورة فصلت، الآية ٣٣.

(٣) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

(٤) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام، ابن قيم الجوزية (دار العروبة، بيروت، ١٤٠٧هـ) ١/٤١٥.

(٥) سورة البقرة، الآية ٨٣.

(٦) انظر: الدر المنثور في التفسير المأثور، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مرجع سابق، ١/٢١٠.

وإذا عددنا الإنكار بالقلب من مراتب التغيير التي لايُعْذَر أحد بتركها، وينال الداعي بها أقل مراتب الإيمان، لكونه لم يستطع التغيير باليد، واللسان فقد لزمه ذلك بقلبه"بأن لا يرضى به، وينكر في باطنه على متعاطيه فيكون تغييراً معنويًّا، إذ ليس في وسعه إلا هذا القدر من التغيير"[١].

وجاء وصف المُنْكِر بقلبه بالإيمان في حديث عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[٢].

ولعظم الأمر، وشدة العناية به، قال الإمام النووي ضمن شرحه لقول الرسول ﷺ: «وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة»[٣]، **"فيه إشارة إلى ثبوت حكم الصدقة في كل فرد من أفراد الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، ولهذا نَكَّرَهُ، والثواب في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أكثر منه في التسبيح، والتحميد، والتهليل، لأن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فرض كفاية وقد يتعين، ولا يتصور وقوعه نفلاً والتسبيح، والتحميد، والتهليل نوافل، ومعلوم أن أجر الفرض أكثر من أجر النفل"**[٤].

وفي قول الله تعالى: +وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤"[٥]**"دليل على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ووجوبه ثابت بالكتاب، والسنة، وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة، وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها، ويرتفع سنامها، وقوله:** +وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ" **من باب عطف الخاص على العام، إظهاراً لشرفهما، وأنهما الفردان الكاملان من الخير، الذي أمر الله عباده بالدعاء إليه"**[٦].

ونخلص إلى القول إلى أن تنازع حكم الدعوة بين الفرضية، والكفائية يزيد من عظم هذه

---

(١) تحفة الأحوذي، أبو العلا محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، مرجع سابق، ٣٢٧/٦-٣٢٨.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان (رقم ٥٠).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى... (رقم ٧٢٠) وفي كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع (١٠٠٦). وأبو داود، كتاب الصلاة، باب صلاة الضحى (رقم ١٢٨٥).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، مرجع سابق، ٩٢/٧.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

(٦) فتح القدير، الشوكاني، مرجع سابق، ٥٥٧/١. وانظر تفسير البيضاوي، مرجع سابق، ٧٤/١.

الفريضة، وأهميتها، فهي ترتبط بالأمة، وصلاحها، كما أنها متعدية النفع غير مقصورة في نفعها على فاعلها، والقصور عن أدائها لا يبرر تركها، والتخلي عنها، فقد تقرر أن ذلك مرتبط بما لدى الداعية من علم، وفهم، وقدرة، وبقدر ذلك يتحدد قدر وجوبها عليه، ولايزال القيام بها شرفاً يناله كل من وفق لها، وحين قال الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : «فوالله لأن يُهدَى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم»[1]، **دل ذلك ضمن دلالاته على أن هذا الشرف ارتبط بما للمدعو من مكانة، ومنزلة، جعلت السعي لإنقاذه، وتحقيق الخير له من المقاصد المهمة لدين الإسلام.**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس (رقم ٢٩٤٢) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (رقم ٢٤٠٤).

المطلب الثاني

العناية بإعداد الداعية، وتهيئته من أجل القيام بدعوته

وحين أوجب الله الدعوة، فقد استحق هذا الواجب مايرقى به ليحقق المراد منه في حق المدعو، فجاءت العناية بالداعية ليكون مؤهلاً للقيام بدوره بمستوى رفيع يناسب ماناله المدعو في دين الإسلام من مقام، ومنزلة، ويكمن ذلك في صور منها:

١- وعد القائمين على الدعوة بعطايا تدفعهم إليها، وتحرضهم عليها في مقدمتها الرحمة +وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ ..."[1].

ومكن الله ﷻ الدعاة بتلك الفريضة من إبراء الذمة، وخلف ذلك العون من الله، واليقين والطمأنينة، والسلامة من الخسارة، قال الله تعالى: +وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾"**، وهاهنا نعمة من الله أن يسر للدعاة أن يقيموا الحجة على خلقه، وينالوا شرف البلاغ.**

ومن محفزات القيام بهذا الواجب: أن هدى الله – تعالى – عباده إلى أهميته، وفضله، وقيامهم هذا المقام فيه من الوفاء لنعم الله، وأداء لواجبه، واستشعاراً لعظمته، وسلطانه، وقدرته، +ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ"[2].

٢- كما انطوى هذا التحفيز على تهيئة النفوس إلى الدعوة إلى الله – تعالى – بالصبر عليها، قال الله تعالى لرسوله ﷺ : +إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾"[3]**، والقول الثقيل الإسلام بما فيه من آداب ومعاملات، وتشريعات، وقد وصفه الله تعالى" بأنه قول ثقيل، فهو كما وصفه به ثقيل محمله، ثقيل العمل بحدوده، وفرائضه"[4]، وفريضة الدعوة في الطليعة من ذلك.**

---

(١) سورة التوبة، الآية ٧١.

(٢) سورة الحج، الآية ٣٢.

(٣) سورة المزمل الآية ٥.

(٤) ذكر المفسرون أكثر من معنى للقول الثقيل في هذه الآية، وقال الإمام الطبري -رحمه الله- عن هذا القول بأنه الأولى بالصواب. انظر جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ١٢٨/٢٩.

فكان المدعو جديراً بهذا لما له من منزلة، ومكانة في دين الإسلام، ولا بد من التحمل، والصبر في سبيل دعوته، والاحتفاء بما وراء ذلك من التعب، والمشقة، ويمكن القول بأن تلك المشقة تأتي على ضروب، منها:

الأول: مشقة نفسية حين يتحمل الداعية هم الدعوة، والأمر، والنهي، كسعيه مثلاً لتغيير وضع المدعو، وما يتطلبه ذلك من هم معرفة حاله، وجمع ودراسة النصوص، والأدلة المعنية بتلك الحال، ثم تلمس المسلك الأصوب لإنزاله على المدعو وفق ماقرره من حاله.

الثاني: مايتجشمه الداعية حين يتصل بالمدعو، ومعرفة كيف يواجهه، وكيف يتكلم معه، ولعل من هذا القبيل سؤال موسى عليه السلام ربه – جل وعلا – أن يثبت قلبه عند ذلك الموقف +قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾"(1).

الثالث: ماينال الداعية من نتائج، وآثار الدعوة، والأمر، والنهي، فيأتي السفيه بسفهه، والجاهل بجهالته، وكل حسب صبغته، وسجيته في مجابهتهم الخير، وكراهيتهم له، وسوء الظن بأهله.

وكل ذلك لايمكن تجاوزه إلا بالحلم، والصبر، وما كان ذلك ملحاً في حق الداعية إلا لما للمدعو من مكانة، ومنزلة، استوجبت الحرص عليه، وتحقيق الخير له.

ولشدة العنت الذي يلقاه الداعية اعتنى الإسلام بما يعينه عليه، وعلى مكابدته، ليبقى للمدعو حقه في الدعوة، والنصح، مهما بدر منه في حق الداعية، فكان أن وعد بالنصر، والظفر، ودُعي إلى استحضار عاقبة دعوته، وصبره عليها، مما أعده الله عز وجل له من حسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

فقد يهان الداعية، ويتعرض للأذى فيُكتب له أنه قد أوذي في سبيل الله تعالى، أما أمر الدنيا فقد ضمن الله سبحانه له العاقبة، فلم يُهن في سبيل الله أحد إلا جعل له أفضل، وأحسن، وأسمى العواقب، مهما بلغ من احتقار الناس، وإهانتهم له، قال الله: +وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ"(2)، **وقال سبحانه:** +وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾"(3).

---

(1) سورة طه، الآيات: ٢٥ . ٢٨.

(2) سورة الأعراف، الآية ١٢٨.

(3) سورة طه، الآية ١٣٢.

وفي سيرة الرسول ﷺ مايُلهم الدعاة، ويحثهم على التذرع بالصبر في سبيل تحقيق الخير للمدعو، فقد كُذِّب، وأُوذي، ووُصِفَ بالساحر، والأفَّاك، والأبتر، والصابئ، لكنه مات وهو سيد الأولين، والآخرين، +وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾**"(١)، فليس المهم أن تهان، وتؤذى الآن، ولكن الأهم ماهي العاقبة بعد ذلك، والنتيجة، والثمرة، "أنه ما من عبد يقف موقفاً لله فيهان فيه إلا أوقفه الله موقفاً أعز منه، وأكرم".**

ومن شواهد ذلك في سنة الرسول ﷺ عندما جاء الأمر +وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾**"(٢)، فوقف عليه الصلاة والسلام على الصفا، ونادى في قريش فعمم، وخصص، وحين اجتمعوا إليه، قال لهم كلمته المشهورة: قولوا لا إله إلا الله، فقال له أبو لهب: تبًّا لك ألهذا جمعتنا.. (٣)، هذا الرد يأتيه من عمه، وقريبه. والأذية من القريب أصعب، وأبلغ، كما أن أبا لهب ناله ﷺ بهذه الأذية، وهو على رؤوس الأشهاد، وأمام كل الناس، وظلم ذوي القربى أشد من ظلم الأبعدين، لكن الأيام تمضي، فيقف النبي ﷺ بعد بضع سنين بفضل الله – سبحانه وتوفيقه – على الصفا، التي شتم بالأمس عليها، وأهين، ومعه مائة ألف من أصحابه، رده الله إلى مكة عزيزاً رفيعاً منيعاً كريماً، فيقول أنس: أنظر أمامي فإذا الناس مد البصر، وأنظر ورائي فإذا الناس مد البصر، كلهم يقول: ماذا يفعل رسول الله ﷺ؟ ولذا لما رقى على الصفا كأنه يذكر موقفه الماضي عليها، قال:** «الله أكبر ثلاثاً، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»(٤).

وقد أبان الإسلام بأن الداعية قلما يسلم من الأذى، يناله من المدعو حين يقوم بدعوته، وهذا مما يوطنه على ذلك، ويشجعه على المضي في دعوته دون سأم، لأن العاقبة خير له، قال الله تعالى: +لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾**"(٥)، وكل ذلك يؤكد**

---

(١) سورة الشرح، الآية ٤.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب +وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" (رقم ٤٧٧٠) ومسلم كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: +وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" (رقم ٢٠٨).

(٤) أخرجه البخاري، باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو، (رقم ١٧٠٣) ٢/٦٣٧.

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٦٩.

مدى العناية بما يحتاجه الداعية، ليوطن به نفسه على واجب الدعوة، ولاشك أن العناية بذلك من الدلائل على أهمية المدعو، ومكانته في الدعوة.

إن صبر الداعية على مايلاقيه في سبيل دعوته أمر محمود، ففي سبيل المحبوب يتحمل المحب المشاق، وسير الدعاة زاخرة بضروب الإيذاء التي لقوها، وهم يتصلون بالمدعو، وتحملوا ذلك انطلاقاً من إشفاقهم عليه، وحرصهم على هدايته، ويقيناً فإن ذلك قائم على مالهذا المدعو من منزلة، وفي سبيل إعطاء هذه المكانة ماتستحقه سار الأنبياء على منهج يكفل ذلك، ويحققه، وكان خطاب لقمان ﷺ لابنه حافلاً بالتوجيه إلى توقع الأذى، والصبر عليه في سبيل ما أُشير إليه من الانتباه لمكانة المدعو، ومراعاتها، قال الله تعالى: +يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾"(١).

وفي دعوة نوح ﷺ لقومه كان الصبر منه عليهم، والتحمل لما بدر منهم تجاهه، فقد كثر منهم في حقه الاستهزاء، والتهكم، حين قالوا له: +قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٦٠﴾"(٢)، وكذلك ما حكاه القرآن الكريم من قولهم: +وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾"(٣)، وقولهم: +إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٢٥﴾"(٤). وكان الأمر بالصبر في مقدمة مايؤمر به الدعاة، ويشجعون عليه، إذ ما يعرض للدعاة من جراء دعوتهم لابد من درئه بقوة التحمل: +فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ..."(٥)، وهذا ماتذرع به الأنبياء –عليهم عليهم السلام– في دعواتهم، قال الله تعالى في شأن نوح ﷺ : +قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾"(٦)، ولم يقف ﷺ عند هذا الحد على الرغم من إعراض قومه عنه، بل إنه مابرح على جهده جهده صابراً: +ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾"(٧). كذلك ما جاء في في سيرة موسى ﷺ مما يشير إلى قوة تذرعه بالصبر، وشدة التحمل، فحين حاق بهم الخطر

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٦٠.

(٣) سورة هود: الآية ٢٧.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ٢٥.

(٥) سورة الأحقاف: الآية ٣٥.

(٦) سورة نوح: الآية ٥.

(٧) سورة نوح: الآيتان ٨، ٩.

بلوغهم ساحل البحر، وإدراك فرعون، ومن معه لهم، وأيقن قوم موسى بالهلاك لما توعدهم به فرعون، ولعلمهم بشدة بأسه، وسطوته، وكثرة جنده، ظهر لهم منه حينئذٍ توكله على الله تعالى، وصبره، قال الله تعالى: +فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾"(١)، **كما أنه** ؈ **حث قومه على ذلك، وإحسان التوكل على الله حين وافق فرعون من حرصه على أن يقتل أبناء الذين آمنوا، ويستحيي نساءهم، قال الله تعالى:** +قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾"(٢).

وقد اجتمع ذلك في"صبر الخليل ؈ **والكليم، وصبر نوح، وصبر المسيح، وصبر خاتم الأنبياء، وسيد ولد آدم عليهم الصلاة والسلام، كان صبراً على الدعوة إلى الله، ومجاهدة أعداء الله، ولهذا سماهم الله أولي العزم، وأمر رسوله أن يصبر صبرهم، فقال:** ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾(٣)"(٤).

وكان الصبر من ألزم الأمور التي اقترن فلاح الداعية مع المدعو بها، فهو لايستغني عنه في حال من الأحوال، لأنه يتقلب مع الداعية في كل شأنه، سواء أكان ذلك في صلته مع ربه، أو بالكون من حوله، أو مع الناس في كل ضروب التعامل معهم. وفي طليعة ذلك دعوتهم، إنه زاد لازم لابد من استصحاب الداعية له، وهو يسعى به إلى المدعو، الذي كان من حقه على الدعاة مصابرته، ومراعاته طمعاً في هدايته، وفي ذلك قرينة على ما للمدعو من أهمية، ومكانة، جعلت الصبر على دعوته من أهم لوازم الدعاة، قال الله ﷻ: +وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ"(٥)**، وفي قول الله تعالى:** +وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ"(٦)**، قال ابن كثير: "تواصوا بالصبر على المصائب، والأقدار، وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف، وينهونه عن المنكر"(٧)، ولذا فإن الصبر على المدعو، وعدم اليأس منه، وتكرار المحاولة معه، وتنويع الأساليب، وسلوك شتى الطرق الراشدة في سبيل ذلك، يؤكد**

---

(١) سورة الشعراء: الآيتان ٦١، ٦٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٢٨.

(٣) سورة الأحقاف، الآية ٣٥.

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية (دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة بدون) ٢٤/١.

(٥) سورة البلد: الآية ١٧.

(٦) سورة العصر: الآية.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابقن ٤ / ٥٤٨.

المنزلة الرفيعة التي أناله إياها الإسلام.

٣- ومن صور التهيئة العناية باختيار الداعية الذي سيخاطب المدعو، ولقد كان اصطفاء خاتم الأنبياء ﷺ -لإبلاغ رسالة ربه- المثل الأعلى في ذلك، فهو الحريص على المدعو، والمهتم به، وهو المعروف غير المجهول، النقي في نسبه، وأصله، وقد انتقاه الله – تعالى – من أمته العارف لها الملم بطبائعها، قال الله تعالى: +لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾"[1]، قال ابن عباس: "ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت رسول الله ﷺ"[2].

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، الجوزي، مرجع سابق، ٣/٥٢٠.

المطلب الثالث

القيام بدعوة المدعو حق ثابت له، لا يجوز إسقاطه، أو الإهمال في أدائه

إن حق المدعو في الدعوة، والنصح، والتوجيه –من القادرين على ذلك– لايمكن إسقاطه، ويتساوى جميع المدعوين في هذا الحق، دون تمييز، أو تفاوت بينهم، فرحمة الله بخلقه قد شملتهم جميعاً، وهكذا جاء بعث محمد ﷺ إلى أمته، وتوجيه الله – تعالى – له: +قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ"[1]**، فيه الخطاب"للناس كلهم، إني رسول الله إليكم جميعاً، لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرسل مرسلاً إلى بعض الناس دون بعض، فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض، ولكنها إلى جميعكم"[2]، فهي"خطاب للأحمر، والأسود، والعربي، والعجمي، إني رسول الله إليكم جميعاً"[3]، ولذا فلا يسوغ العناية بفئة من المدعوين، وإهمال أخرى.**

وحين تساوى الناس في الخلقة، والتكوين اطَّرد مع ذلك تساوٍ آخر، تمثل في الاشتراك في حق الدعوة، والنصح، انبنى على ما تساوى البشر فيه من كونهم فُطروا على التوحيد، والحاجة إلى المعبود الحق،"وإنما قامت دعوة التوحيد على توحيد الإنسانية كلها في حقوق واحدة، وتوحيدها في هداية واحدة، وتوحيدها في إيمان بإله واحد، لا إله إلا هو، ولا رب لكل البشر سواه، يتساوى الناس جميعاً بين يديه.."[4]، وإزاء ذلك لا يسوغ في ضوء دعوة الإسلام التفريق بين الناس على غير هذا الأساس فباستطاعة كل إنسان أن يعيش في حمى الإسلام، وفي مجتمعه، دون أن يشعر بغربة : +وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ "[5]**،"... استجارك أي استأمنك، وطلب مجاورتك بعد انقضاء الأجل المضروب، فأجره أي فآمنه، حتى يسمع كلام الله، ويتدبره، ويطلع على حقيقة ما تدعو إليه، والاقتصار على**

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٨.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، مرجع سابق، ٨٦/٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، مرجع سابق، ٢٥٥/٢.

(٤) المعرفة في منهج القرآن الكريم، دراسة في الدعوة والدعاة، صابر طعيمة، مرجع سابق، ص١٤.

(٥) سورة التوبة، الآية ٦.

ذكر السماع لعدم الحاجة إلى شيء آخر في الفهم"[١]، وهذا الاشتراك في القدرة على الفهم ينساق معه الاشتراك في التساوي في حق التعرض للدعوة بالاستماع لكلام الله تعالى.

وقوله تعالى: +لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾"[٢]، **"والإسلام يعد الناس جميعاً متساوين في الانسانية، لأنهم جميعاً صنعة إله واحد، أبناء لأب واحد.."[٣]، قال الله تعالى:** +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾"[٤].

وهذا يؤكد حق كل الناس في الدعوة، والسعي لهم على حد سواء، ولعل من أهم حقوق المدعوين"أن يقصدوا، ويدعوا، ويرسل إليهم، وأن لاتكون الدعوة لهم عرضاً، ومصادفة،... كما أن من حقوقهم أن يُحْرص عليهم جميعاً، ولايستهان بواحدٍ منهم أيًّا كان شأنه... فقد أرسل الله ﷻ رسله إلى الناس، إعطاء لحقهم من جهة، وإقامة للحجة عليهم من جهة أخرى. لذا قرر الشارع عدم تعذيب قوم حتى تقام عليهم الحجة، ويعطوا حقهم في الدعوة"[٥]، قال الله تعالى: +وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾"[٦]، **وإنما قام ذلك على ما امتازت به رسالة الإسلام من شمول، أهَّلَهَا أهَّلَهَا لأن تكون لجميع المدعوين، فالإنسانية جميعاً لها حظها في رسالة الإسلام، مهما اختلف الزمان والمكان[٧]، ومهما اختلف المدعوون، وتباينوا في أصنافهم، وفئاتهم، فمكانة أي منهم متحققة، وحقه في الدعوة مكفول، والتفريط في ذلك، أو حتى التأخر عنه يُعد تجن على هذا الحق، وغفلة عن تلك المكانة.**

والمباشر لذلك يكون قد أصاب المدعو فيما يجب له، وهو تحت طائلة العتاب، ونزوله من الله جل وعلا على رسوله ﷺ في هذا الصدد بشأن ابن أم مكتوم[٨]، عمر بن قيس ﷺ وهو الرجل

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن والسبعة المثاني، الألوسي، مرجع سابق١٠/٥٣.

(٢) سورة الممتحنة، الآية ٨.

(٣) انظر: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوي، مرجع سابق، ص ٣٦١.

(٤) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٥) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مرجع سابق، ص ١٧٠.

(٦) سورة الإسراء: الآية ١٥.

(٧) انظر: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوي، مرجع سابق، ص ١٣٧ وما بعدها.

(٨) هو عبد الله بن أم مكتوم القرشي العامري، كان قديم الإسلام بمكة وهاجر إلى المدينة، كان يؤذن للرسول ﷺ مع بلال وشهد

الرجل الكفيف الذي اجتهد الرسول ﷺ بتأجيل الحديث معه لأهمية اللقاء مع من جاءه من صناديد قريش يبين عظم مكانة المدعو، وضرورة الاحتفاء به، ورعايته، قال الله تعالى: +عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝"(١)، **وقد جاء خبر ذلك فيما روته عائشة – رضي الله عنها – قالت: «أنزل** +عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ" **في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يارسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخر، ويقول: أترى بما تقول بأساً؟ فيقال: لا، ففي هذا أنزل»**(٢).

وقد حكى القرآن الكريم ما يشير إلى ذلك، مما جرى من موقف الملإ من قوم نوح عليه السلام معه، وذلك في قول الله تعالى: +فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ۝ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝"(٣)، **فنبي الله نوح عليه السلام يقول لقومه: "ليس من شأني، ولا بالذي يقع مني طرد الذين آمنوا من قربي وجواري لاحتقاركم لهم، ووصفكم لهم بالأراذل جهلاً منكم"(٤)، ولما كانت المقاييس عند الأكابر، بعيدة عن المقاييس الربانية، إذ لايقيسون الناس إلا بالجاه، والمال، والسلطان، وهي مقاييس لايملك المستضعفون منها شيئاً، فإنهم كانوا يزدرون**

القادسية فيما يقولون. وكان النبي ﷺ يستخلفه على المدينة، مات في آخر خلافة عمر انظر. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، مرجع سابق، (رقم ١٢٩٩) وتقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (رقم ٥٠٦٦).

(١) سورة عبس: الآيات من ١ إلى ١١.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة عبس (رقم ٣٣٣١) وقال: هذا حديث حسن غريب. ومالك في النداء للصلاة، باب ما جاء في القرآن (رقم ٤٧٥).

(٣) سورة هود: الآيات من ٢٧ إلى ٣١.

(٤) تفسير المنار، السيد محمد رشيد رضا، ١٢ / ٦٥.

المؤمنين، ويحتقرونهم، ولايقيمون وزناً لما منحهم الله ﷻ من الإيمان، واتباع الحق، والتحلي بالفضائل، وعمل البر، والخير، ولذلك ينكر نوح عليه السلام هذا الموقف من الأكابر: +وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾" أي: لا أقول للذين تعيبون عليهم حالهم من الضعف والفقر، وتستهزئون بهم، وتحتقرونهم +لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا" إرضاء لكبريائكم، أو مسايرة لتقديركم الأرضي(١).

ومبدأ التكريم هذا قائم على أن حق الدعوة مكفول لجميع المدعوين، مهما اختلفت فئاتهم، وتباينت مستوياتهم، ولا يسوغ أن يهضم حق الأدنى –في نظر الناس– احتفاء بالأعلى، إذ الجميع في ميزان الله تعالى متساوون، ولا اعتبار لما يلفت أنظار الناس من أسباب الرفعة، والعلو الدنيوية، إذ ميزان الإسلام ينبذ ذلك مما يقوم على المظهر الخادع، والصورة الخارجية للإنسان، التي تبطن تحتها طوية فاسدة، ونعرة جاهلية، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال الرسول ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(٢)، وكان نتيجة ذلك ظاهرة في مراعاة الإسلام لما تنطوي عليه من اهتمام بسائر فئات المدعوين، ويمكن أن نجمل ما ظهر فيه ذلك في النقاط التالية:

أ– الأمر بالصبر على المدعوين، ومصابرة ما ينجم بدعوتهم من مشقة، وعناء، وهذا الأمر بان بصورة أوضح مع المستضعفين، الذين هانوا على بعض فئات المجتمع من أهل الكبر، وكان في الهدي الدعوي للرسول ﷺ ما يدل على عناية بالغة بهذه الفئة.

ب– الاهتمام بتحقيق المساواة بين المستضعفين، وغيرهم من الكبراء، الذين تنكفوا عنهم، وعزَّ عليهم سلوك طريق سلكه أولئك الضعفة –في نظرهم–، ولشدة احتقار الأكابر للمستضعفين من المؤمنين، كان من مطالبهم التي توجهوا بها إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام –على سبيل التعنت– أن يُقْصُوا عنهم المستضعفين، ويبعدوهم عن مجالسهم، وأن يخصوا الكبراء بمجالس ينفردون بها عن الكفار(٣).

---

(١) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، عبدالوهاب بن لطف الديلمي، مرجع سابق، ٢ / ٧١٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله (رقم ٢٥٦٤) وابن ماجة، كتاب الزهد، باب القناعة (رقم ٤١٤٣). والإمام أحمد في مسنده، (رقم ٧٧٦٨).

(٣) للاستزادة في ذلك انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، مرجع سابق، ٢ / ١٦١، ١٦٢. وانظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، عبدالوهاب بن لطف الديلمي، مرجع سابق، ٢ / ٧١٠.

والأمر بصورته السيئة تلك ماضٍ في جُلِّ الحُقب التي ظهرت فيها دعوة الحق، ودعاته مافتئوا يقفون في وجه من يزمع إلى إلغاء منحة الإسلام إلى المدعوين من رفعة في مكانتهم، واحتفاء بحقهم، فكلهم ينال ذلك على قدر المساواة، أثناء توجيه الخطاب لهم بالدعوة، دون أن يُنقص من حق بعضهم شيء، لكونه الأقل في رُتب الدنيا، أو الأدنى في ما يتوهمه البعض ميزاناً لمعرفة قدر الناس، ومنازلهم، وها هو موقف الرسول ﷺ واضح جلي في حفاظه على مكانة المدعو، ومواجهة كل ما من شأنه إلغائها، أو الانتقاص منها، فقد جاء نفر من أكابر قريش[(١)] إلى أبي طالب، فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمداً يطرد عنه موالينا، وحلفاؤنا، فإنما هم عبيدنا، وعسفاؤنا كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا، وأدنى لاتِّباعنا إياه، وتصديقنا له، قال: فأتى أبو طالب النبي ﷺ فحدثه بذلك، فقال له عمر بن الخطاب ﷺ: لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون، وإلى ما يصيرون من قولهم؟ فأنزل الله هذه الآية: +وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾"[(٢)]**، ومن الواضح أن ذلك الإجراء يُعد مقياس دقيق، وضابط صارم، يتم به نفي التفرقة الجائرة بين فئات المدعوين، وإقامة مبدأ للمفاضلة على ما هو صحيح، ومقبول لها بالفعل، فنفت بذلك موازين الجاهلية، وساوت بين سائر المعنيين بالخطاب الذين يُتوجه لهم بدعوة الحق، وفي ذلك صورة رائعة -لانراها في غير منهج الإسلام- لحفظ ما للمدعوين من مكانة، ومنزلة.**

---

(١) هم: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ومطعم بن عدي، والحارث بن نوفل، وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل، في أشراف من بني عبد مناف من أهل الكفر. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، مرجع سابق، تفسير سورة الأنعام/ الآية ٥١. انظر مرجع ٢/٣٨ ص٧١٧.

(٢) سورة الأنعام: الآيات من ٥١ إلى ٥٣.

المطلب الرابع

إن للمدعو حقوقاً ثابتة لا تتأثر بموقفه من الدعوة

حين اهتم الإسلام بالناس إجمالاً فقد جعل في الصدارة من ذلك حقوق المدعو، فقد كفل له حين القيام بدعوته جملة من الحقوق كحقه الإنساني، والمعنوي، والمادي، ومظاهر الوفاء بتلك الحقوق قامت على اعتباره مُخَاطباً بالدعوة ناهيك عن حقه الإنساني باعتبار ذاته[1].

وفي حقيقة الأمر فإن الإسلام شرع جملة من الحقوق تجب في حق المسلم، وغير المسلم، كالالتزام بالعهد، والمواثيق، وإبرام العقود، والاتفاقيات معه، ونقده أجرته وغير ذلك، وجميعها تؤدي غرضاً لدى من بُذلت فيهم، ففي حق المسلمين تزيد من روابط الأخوة، والتقارب في الدين، والحث على التمسك بهذا الدين، لما يراه المسلم من حفاظ على حقوقه بما فيه من التشريعات، التي يلتزم بها كل مسلم من تلقاء نفسه، وهي في حق غير المسلم دعوة إلى الإسلام بما تتركه هذه المعاملة من أثر فاعل نتيجة لموافاته بحقوقه التي لم يدر في خلده أن ينالها في ظل هذا الدين القويم، بناء على ما استقر لديه من صور سقيمة عن بيئته التي لا تحقق له من هذه الحقوق إلا أقلها، والأمر بصورته تلك ينم عن مكانة خاصة تنصرف بهذه المزايا لكلا النوعين:

فالمسلمون لهم حقوق كثيرة منها السلام عليه حين يلقاه، والرد على السلام بأجزل منه، أو مثله، قال الله تعالى: +وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ"[2]، ومنها كف الأذى عنه، ففي إيذاء المسلم إثم عظيم، ولعظم هذا الأمر في حق المسلم فإن من تسلط على أخيه بأذى، فإن الله ينتقم منه في الدنيا قبل الآخرة[3]، قال الله تعالى: +وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾"[4].

وأما غير المسلمين فقد كانت لهم –في دين الإسلام– جملة تنظيمات مؤداها في نهاية الأمر لصالحهم، حيث قامت على اعتبارهم أكثر من صنف، ترتبط حقوقهم، وتتعين بحسبها، فإن كانوا من المستأمنين فلهم على المسلمين حق الحماية، والمنعة في الوقت، والمكان الَّذين تم الالتزام

---

(١) وقد سبق الحديث عن ذلك في الفصل الأول من هذا الباب .

(٢) سورة النساء: الآية ٨٦.

(٣) انظر حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة، محمد الصالح العثيمين، (مطابع القصيم، الرياض، الطبعة الرابعة) ص ٣٥.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٥٨.

لهم بحمايتهم فيهما، قال الله تعالى: +وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ"(١)، **وإن كانوا من المعاهدين فلهم على المسلمين حق الوفاء والالتزام بما عوهدوا عليه ما التزموا بما عاهدوا عليه طيلة المدة التي تم الاتفاق معهم عليها، قال الله تعالى:** +إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾"(٢)، **وأما الذميون فهم يفوقون غيرهم من غير المسلمين في ما لهم من الحقوق، فهم يعيشون في بلاد المسلمين، وتحت رعايتهم، وحمايتهم بما يدفعونه من الجزية(٣).**

والمدعو قبل البلاغ متمتع بجزء كبير من حقوقه، ثم يسقط بعض هذه الحقوق بعد إعراضه عن الحق حين إبلاغه به، لكن يبقى له شيئ من حقوقه، التي تقوم على محبة الخير له بمداومة دعوته، وعدم اليأس من حاله، وغير ذلك: كأن يكون سبباً في هداية غيره من عقبه، وإلى ذلك إشارة واضحة في آي القرآن الكريم، دلت على تقصي الداعي مع المدعو مداه، ليستوثق من استيفاء أسباب الهداية، فهذا نوح عليه السلام الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يخبر عن نفسه فيما حكاه القرآن الكريم +إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾"(٤)، +ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾"(٥)، **وكذا ماجاء من قصة رسول الله ﷺ مع من آذاه، فقد آثر سلامتهم، وارتفع أمله في هدايتهم، فعن عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثته، أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال:** «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلّم عليّ ثم قال: يا محمد فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» **فقال النبي ﷺ:** «بل أرجو أن يخرج

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤.

(٣) انظر أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، ، مرجع سابق، ١٣٥٤/٣.

(٤) سورة نوح: آية ٥.

(٥) سورة نوح: الآيتان ٨، ٩.

الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»(١).

ومما تبين فيه مكانة المدعو باعتباره مخاطباً بالدعوة، ما جاء به الإسلام من صيانة لحقوقه، ودعوة حازمة للحفاظ عليها، ولاشك بأن كم هذه الحقوق، وتنوعها يبين عظم المكانة التي يمتاز بها من يتوجه الدعاة له بالدعوة، سواء أكان المدعو مسلماً، أو غير مسلم.

فحقوق المسلمين عموماً، يجب أن يضطلع بها كل من كانت في حقه من الواجبات، إذ روى أبو هريرة ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ»(٢)**، وهذه الأمور مما حوتها شمائل الرسول ﷺ، فقد كان من فعله بدء من لقيه بالسلام، والسلام على الصبيان إذا مرَّ بهم.**

وكذلك حثه ﷺ على إجابة الدعوة إلى الطعام، أو وليمة زواج وغيرها، وكان النهي عن إلحاق الأذى بالمسلم، والإضرار به واضحاً، وصريحاً في جملة من أقوال الرسول ﷺ وتوجيهاته، ومن أبلغ ذلك ماحدث به أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَبَاغَضُوا وَلا تَحَاسَدُوا وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ »**(٣).**

وكان من مظاهر ذلك صيانة حرمة الإنسان حين حظر الإسلام كل ما يهينه، ويسيء إلى إنسانيته، فقد حرم الرسول ﷺ تشويه الجنس البشري بالخصي تحريماً صريحاً، حين قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ مُثِّلَ بِهِ أو حُرِّقَ بِالنَّارِ فَهُوَ حُرٌّ وَهُوَ مَوْلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» **قال الراوي: فأتي برجل قد خصي يقال له: سندر، فأعتقه، ثم أتى أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ فصنع إليه خيراً، ثم أتى عمر بعد أبي بكر فصنع إليه خيراً، ثم إنه أراد أن يخرج إلى مصر، فكتب له عمر إلى عمرو بن العاص: أن اصنع به خيراً، أو احفظ وصية رسول الله ﷺ (٤)، ولشدة الأمر عالجه الرسول ﷺ بما**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (رقم ٣٢٣١) ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ (رقم ١٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، (رقم ١٢٤٠) ومسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم. رد السلام (رقم ٢١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ماينهى عن التحاسد والتدابر، (رقم ٦٠٦٥) ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم التحاسد والتباغض رقم (٢٥٥٩).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (رقم ٧٠٥٦)، وأخرجه أبو داود، بمعناه كتاب الديات، (رقم ٤٥١٩)، وابن ماجة، في كتاب الديات، (رقم ٢٦٨٠).

يناسبه مما يحقق للإنسان ماجعله الله تعالى له من تكريم، ومكانة،"فأعتق الرسول ﷺ هذا الرجل، لئلا يجترىء الناس على مثله"(١).

إن هذه الفضائل في التعامل – التي يتم بها التعبد لله تعالى–، تنطوي في حقيقتها على غرض آخر، يستحضره الداعية، وهو يتصل بالمدعوين، فهي من أقوى الوسائل الدعوية، وأمضاها، وأدعى لجلبهم إلى مافي الإسلام من نفع، وخير، وسلامة.

وهذا الحفظ لتلك المكانة ماض للإنسان مهما كان قدره في أوساط الناس، فكان للعبد اعتباره في هذه الناحية، فقد حدَّث هِلالِ بْنِ يَسَافٍ قَالَ: عَجِلَ شَيْخٌ فَلَطَمَ خَادِمًا لَهُ، فَقَالَ لَهُ سُوَيْدُ بْنُ مُقَرِّنٍ: عَجَزَ عَلَيْكَ إِلا حُرُّ وَجْهِهَا، لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مِنْ بَنِي مُقَرِّنٍ مَا لَنَا خَادِمٌ إِلا وَاحِدَةٌ، لَطَمَهَا أَصْغَرُنَا، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُعْتِقَهَا(٢).

وكذا الحفاظ على حياته، وحرمة دمه إلا بحقه، قال الرسول ﷺ: « لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ.. »(٣).

وعن ابن عمر قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر، فنادى بصوت رفيع، فقال: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» **قال: ونظر ابن عمر يوماً إلى البيت، أو إلى الكعبة فقال:** «ما أعظمك وأعظم حرمتك! والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك»(٤).

إن الحفاظ على حقوقه، ودرء الضر عنه من أرفع الصور التي بانت فيها المكانة العزيزة للمدعو: مسلماً كان أو غير مسلم، وقد اشتملت سيرة السلف الصالح على ترسم فائق لما وضعه الإسلام من أمور، تكفل هذه الحقوق، وتحافظ عليها، ويُنْبِئ هذا الالتزام بهذه الحقوق –لدى السلف الصالح– على ما استشعروه من مكانة رفيعة، ومقامٍ عالٍ للمدعو، فكان ذلك سمة

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مرجع سابق، ١٢ / ٢٤٠

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده، (رقم ١٦٥٨) وأبو داود، كتاب الأدب، باب في حق المملوك (رقم ٥١٦٦).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الديات، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن (رقم ١٣٩٥).

(٤) أخرجه الترمذي، في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن (رقم ٢٠٣٢) وقال: هذا حديث غريب.

لمنهجهم في التعامل مع الناس باعتبارهم المخاطبين بالدعوة، لأن من لوازم هذه المكانة لديهم الانتباه لما منحهم الإسلام إيَّاه من مكانة، كانت السبب في انعطافهم تحت ردائه الرحيب، قال عمار بن ياسر ﷺ: "ثلاث من جمعهن فقد استكمل الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار،[(١)] والتواصي بالتزام ذلك، والتحذير من مخالفته، مما يزيد في الإنباء عن قيمة المدعو، وعلو مكانته لدى السلف الصالح ﷺ، فعن أبي هريرة ﷺ أنه كان يقول: شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُدْعَى لَهَا الأغنياء، وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ [(٢)].

وكذا ما حصل من مسلك الفاتحين حين دخولهم بلاد غير المسلمين، من كف عن النساء والشيوخ، والأطفال، وترك الزروع، والبيوت، والأموال، والعُبَّاد في صوامعهم، وهذا جلي في سيرة عمر بن الخطاب ﷺ حين "صار إلى بيت المقدس، فافتتحها صلحاً، وكتب لهم كتاباً، بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب كتبه عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس، إنكم آمنون على دمائكم، وأموالكم، وكنائسكم، لاتسكن، ولاتخرب إلا أن تحدثوا حدثاً.."[(٣)]، وهذا له مقصده السامي في شريعة الإسلام، التي أحكمت التعامل مع غير المسلمين أثناء حربهم، فلم يفتها أن تعدهم بمثابة المدعوين المستحقين للرحمة، والشفقة، ولذا فإنه في حال الحرب معهم "يحرم قتل صبي ومجنون، وامرأة، وخنثى مشكل"[(٤)].

وفي القمة من ذلك هدي الرسول ﷺ عام الفتح، حين منَّ الله – تعالى – عليه بفتح مكة، فقد كان موقفه من الناس حين آل مصيرهم بتوفيق الله إليه، منطوياً على الاحتفاء بهذا الجمع الكبير، ومراعاة حالة الحرج، والإشفاق عليه، ومحبة الخير له، والرسول ﷺ بهذا التعامل الراشد لم يفته يقيناً أن الناس في موقف المدعوين منه، ولذا فقد كان عفوه عنهم غير مترتب على موقفهم من دعوة الإسلام.

ومن الحقوق اللازمة للمدعوين التي يجب أن لاتتأثر باستجابتهم، أو إعراضهم إمضاء العدالة

---

(١) قول عمار ﷺ أخرجه البخاري معلقا، كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله ﷺ، (رقم ٥١٧٧) ومسلم، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة (رقم ١٤٣٢).

(٣) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي (دار صادر، بيروت، بدون تاريخ الطبعة) ١٤٧/٢ .

(٤) منهاج الطالبين، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، مرجع سابق، ص١٣٧.

بينهم، وعدم غمطهم حقوقهم، وإزاء ذلك لايسوغ في ضوء دعوة الإسلام التفريق بين الناس على غير هذا الأساس، فباستطاعة كل إنسان أن يعيش في حمى الإسلام، وفي مجتمعه، دون أن يشعر بغربة، فعن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»(١)، وقال الرسول ﷺ: «ياأيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»(٢).

ومن مظاهر هذه العدالة عدم الاعتداء علي خصوصيته حين التعامل معه، واتخاذ الحاجة لمعرفة أحواله –مثلاً– ذريعة للتجسس عليه، وانتهاك حرماته، أو الحاجة لعامل ضغط لهزه، والتأثير فيه ذريعة للتشهير به، وتعييره(٣).

وقد روى ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: «يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف رحله»، ونظر بن عمر يوماً إلى البيت، أو إلى الكعبة فقال: (ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة ثم الله منك)(٤).

وكان من عمر بن الخطاب رضي الله عنه مايلفت إلى العناية بهذا الحق أثناء مباشرة الدعوة، والإصلاح، فقد رابه حال قوم قد أوقدوا مصباحاً لهم، وكان قد نهى عن ذلك بعد النوم، فقال لمن معه: "ألم أنه عن المصابيح بعد النوم؟ فانطلقا فإذا هم قوم على شراب لهم، فقال: انطلق فقد عرفته، فلما أصبح أرسل إليه، فقال: يافلان كنت، وأصحابك البارحة على شراب، قال: وما

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في العصبية (رقم ٥١٢١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (رقم ٢٢٩٧٨).

(٣) ولايخفى ماقد يستثنى من ذلك مما يندرج ضمن حالات خاصة كبعض حدود التعزير التي يراها ولي الأمر في حق بعض المخالفين، قال صاحب التحفة: "وأما التعيير قبل ظهور التوبة فواجب لمن قدر عليه، وربما يجب الحد أو التعزير فهو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ولاستقصاء ذلك يمكن مراجعة تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري ، مرجع سابق، ١٥٢/٦-١٥٤.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن (رقم ٢٠٣٢) وقال: هذا حديث غريب.

أعلمك يا أمير المؤمنين؟ قال: شيء شهدته، فقال: أولم ينهك الله عن التجسس؟ فتجاوز عنه"[١].

وفي مقام آخر "دخل أبو محجن[٢] على عمر فظنه قد شرب، فقال: استنكهوه، فقال أبو محجن: هذا التجسس الذي نهيت عنه، فتركه"[٣].

وينساق أيضاً في منظومة حقوق المدعو أثناء دعوته، التواصي معه على الحق، ومنع الظلم عنه، ورد المظالم إليه، والرأفة بحاله، ورحمته، وكل ذلك ينطوي على حفظ مكانته، فعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا رأيتم أمتي لا تقول للظالم: أنت ظالم فقد تودع منهم**»[٤]، قال أحمد: "والمعنى في هذا أنهم إذا خافوا على أنفسهم من هذا القول فتركوه، كانوا مما هو أشد منه وأعظم من القول، والعمل أخوف، وكانوا إلى أن يَدَعوا جهاد المشركين خوفاً على أنفسهم، وأموالهم أقرب، وإذا صاروا كذلك فقد تودع منهم، واستوى وجودهم، وعدمهم"[٥]، وقد جاء أنه "لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة لقيه النبي ﷺ فقال: أخبرني بأعجب شيء رأيته بأرض الحبشة. فقال: مرت امرأة على رأسها مكتل فيه طعام، فمر بها رجل على فرس فأصابها فرمى بها، فجعلت أنظر إليها، وهي تعيده في مكتلها وهي تقول: ويل لك يوم يضع الملك كرسيه، فيأخذ للمظلوم من الظالم، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه. فقال: «**كيف تقدم أمة لا يأخذ لضعيفها من شريفها حقه، وهو غير متعتع**»[٦]، وهذا مُؤكد بما جاء عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا قدست أمة لا تأخذ لضعيفها حقه من قويها غير متعتع»[٧]، وحين يأتي التأكيد -في الإسلام- على ذلك، ويأتي التأكيد على أهمية التواصي بالحق، ونشر الخير، فذلك ينداح يقيناً فيما يعزز العدالة، ويدفع الظلم، ويهيئ للمدعو مايشعره بالأمان، والطمأنينة، ولذا فقد روى حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرن**

---

(١) تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، مرجع سابق، ٥٦٧/٢.

(٢) هو أبو محجن الثقفي، أسلم حين أسلمت ثقيف، وسمع من النبي ﷺ وروى عنه، وكان من الشجعان الأبطال في الجاهلية والإسلام من أولي البأس والنجدة، ومن الفرسان البهم، وكان شاعراً مطبوعًا كريمًا، إلا أنه كان منهمكا في الشراب، وكان أبو بكر الصديق يستعين به.

انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، مرجع سابق، (رقم ٣١٥٦).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ، مرجع سابق، ٣٦٣/٧.

(٤) أخرجه أحمد (رقم ٦٤٨٥)، (رقم ٦٧٣٧)، (رقم ٦٧٤٥).

(٥) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مرجع سابق، ٨١/٦.

(٦) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب لصاحب الحق سلطان (رقم ٢٤٢٦).

(٧) انظر المرجع السابق، ٨١/٦.

بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم»[1]، قال الإمام أحمد -رحمه الله- في هذا الشأن: "ثم إن ذلك ليس يليق بكل أحد، وإنما هو من الفروض التي ينبغي أن يقوم بها سلطان المسلمين إذا كانت إقامة الحدود إليه والتعزيز موكولاً إلى رأيه، فينصب في كل بلد، وفي كل قرية رجلاً صالحاً قوياً عالماً أميناً، ويأمره بمراعاة الأحوال التي تجري، فلا يرى، ولا يسمع منكراً إلا غيره، ولا يبقى معروفاً محتاجاً إلى الأمر به إلا أمره، وكلما وجب على فاسق حدًّا أقامه، ولم يعطله"[2].

وبتلك الهيئة من التعامل مع الناس، يركن المدعو مهما كان حاله، وموقفه إلى المجتمع، الذي تقوم فيه هذه الحماية، ويجد نفسه في نهاية مآله منساقاً إلى قيمه، وتعاليمه، وربما سبقت إليه السعادة فيؤمن بالدين الذي يدعو إليها.

ووصف الله – تعالى – رسوله ﷺ بأنه عزيز عليه مايلحق أمته من العنت، فيه الإشارة إلى الحرص على مايزرع هذا الجو من الطمأنينة في قلوب الناس حال دعوتهم، فالرسول ﷺ لذلك "بلغ الحرص على نفعكم، وإيمانكم، وهداكم. والحرص شدة طلب الشيء"[3]**، وقد جاء في وصف وصف ذلك عن الرسول ﷺ مارواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ** : «مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ماحولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه، فيقتحمن فيها، قال: فذلك مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار: هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبونني وتقحمون فيها»[4].

وأخيراً فإن القول بأن للمدعو حقوقاً ثابتة لا تتأثر بموقفه من الدعوة، يجعلنا نعرج على جانب من مفهوم مكانة المدعو، الذي يحدد هذه الحقوق، ومجال اعتبارها.

حيث لابد من تقرير قاعدة تعين على تحدد حقوق المدعو التي لها الاعتبار، وتيسر الوصول إلى

---

(١) أخرجه أحمد (رقم ٢٢٧٩٠).

(٢) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مرجع سابق، ٨٥/٦.

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة بدون) ص ٣٠٣.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى +وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ" (رقم ٣٤٢٦) ومسلم، كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته .... (رقم ٢٢٨٤).

الاهتمام بمكانته، والاحتفاء بها عند التعامل معه.

وحين نقول: أين تكمن الحقوق التي تبنى عليها مكانة المدعو، فإن من مقاصد ذلك معرفة الأمور، والسمات التي بوجودها لدى المدعو يكون له بها مكانة، واعتبار، إذ إن بعض السمات لا اعتبار لها بتحقيق المكانة لفرد ما: كبروزه في أمر مشين، حرَّمه الشرع: كالغناء، والتمثيل المحرمين، لكن إذا كان لشخص مثل هذا في مجتمعه مكانة، واحتفاء بسبب اختلال المعايير، واضطراب القيم لدى أفراده، أو بسبب قوته، ومنعته كفرعون، فإن هذه المكانة يصعب على الداعية تجاهلها، ولابد أن يَحْسِب لها حسابه أثناء مباشرة إجرائه الدعوي، ويعطيها ماتستحقه من المراعاة.

ومن دلائل اعتبار المكانة وفق هذه المعايير المختلة، وشيوع ذلك بصورة لافتة تقتضي التوقف عندها، واعتبارها بما يناسبها مما يحقق هدف الداعية، وأمله لدى المدعو، ماجاءت الإشارة إليه في قول الله تعالى: +وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾"[1]، فكان بعث محمد ﷺ يخالف ما يقتضيه هذا المعيار المختل لديهم، وعمدوا إلى التكذيب بما أخبرهم به ﷺ من اصطفاء الله تعالى له بالنبوة، وراعهم أن يُؤْثَر -عليه الصلاة والسلام- بها على"رجل عظيم كبير في أعينهم من القريتين.."[2] فأحدهما[3] أولى بها، وأنسب لها، لمكانتهما وفق معيارهم في الحكم على الرجال، وتقييمهم.

والمؤكد أنه لابد من عناية بحال المدعو أيًّا كانت مكانته، ولو قلنا: إن للمكانة -في نظر الناس- نوعين: مكانة قائمة على حال إيجابية تراعى، وأخرى قائمة على حال سيئة تُهْمَل، ولاتستحق المراعاة، فإن الأصح في ذلك -والله أعلم- أنه لابد من مراعاة، واعتبار المكانة في حياة الناس، سواء أكانت إيجابية، أو سلبية، اعتبرها الناس، واحتفوا بها، لسوء الأفهام وسقمها، وانتكاس المفاهيم، فالمكرم في قومه مثلاً يلزم مراعاته، حتى لو كان طاغياً متجبراً، وكانت مكانته قائمة على ما لا يُعتد به بسبب سوء فهم المحيطين به، وتقديرهم.

إن المسألة ليست منحصرة في الحديث فقط عن: إن لهذا، أو ذاك مكانة، ومنزلة، وإنما يتعدى الأمر إلى بيان هذه المكانة، ومقدارها، وبيان مدى الاهتمام بها، والانتباه لها من خلال مظاهر السلوك المختلفة،

---

(١) سورة الزخرف، الآية ٣١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، تفسير سورة الزخرف، ٤ / ١٣٧.

(٣) المقصود بهما: الوليد بن المغيرة المخزومي سيد قريش بمكة، وأبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف بمدينة الطائف. انظر: المرجع السابق، تفسير سورة الزخرف، ٤ / ١٣٧... وانظر: السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ١ / ٨٥، ٢٠٦، ٢٠٧،٣٦١. وانظر: تاريخ الدعوة الإسلامية، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص ٨٢.

التي تبدو من المدعو أثناء التعامل معه.

المبحث الثاني

خصائص ومزايا المدعو باعتباره مخاطباً بالدعوة

المطلب الأول

اتصاف المدعو بالتهيّئ للتعرض للدعوة، والاستجابة لها

إن اتسام الناس بالتهيئ لاستقبال رسالة الإسلام، وقبولها، لكون المدعوون إليها لديهم قابلية لأخذ مايعرض عليهم من المضمون الحق، فقد فطرهم الله تعالى –حين خلقهم– على ذلك[١].

حتى المعاند، والمكابر الأصل فيه تهيؤه لقبول الحق، وقابليته للاقتناع، ومع استمراره في الإعراض عن الحق فإن خاصية القبول لديه قائمة، وقد جاء من شواهد ذلك في قول الله تعالى: +فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾"[٢]، والركون إلى الله – تعالى – في هذه الشدة "لزوال ماينازع الفطرة من الهوى، والتقليد بما دهاهم من الدواهي، والشدائد"[٣]، وحين "انقطع رجاؤهم من الحياة، وخافوا الغرق رجعوا إلى الفطرة، فدعوا الله وحده كائنين على صورة المخلصين له الدين بصدق نياتهم، وتركهم عند ذلك لدعاء الأصنام لعلمهم أنه لا يكشف هذه الشدة العظيمة النازلة بهم غير الله سبحانه"[٤].

ولذا فإن المدعو حين يُعْرِض فإعراضه تَكَوَّن بتأثير خاصية أخرى لديه احتوته، وانصاعت لها نفسه، كالعناد، والكبر، وقد قال الله تعالى فيمن هذه حاله: +وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا"[٥]، وربما كان أثرها فيه أبلغ من خاصية القبول للحق.

والمدعو حين تفاعل مع مضمون الدعوة، واستجاب له، نال شرف الخيرية التي أسبغها الله

---

(١) وهذا الأمر ماض حتى لدى الجن باعتبارهم من المدعوين، قال الله تعالى: +وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾"سورة الأحقاف، الآية ٢٩، ففي ذلك سماع من الجن للقرآن وحصل به إسلامهم. انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٤/٤٣١.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٥٦.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي مرجع سابق، ٧/٧٧ .

(٤) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني ، مرجع سابق، ٤/٢١١. وانظر: تفسير البيضاوي، البيضاوي، مرجع سابق، ٣/١٩٢.

(٥) سورة النمل، الآية ١٤.

ﷺ على عباده من أهل القبول، والاستجابة، وبهذه الاستجابة كان له رقي في مراتب الفضل، والخيرية، فارتفعت بذلك منزلته، ومكانته، قال الله ﷻ: +لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨"[1]، وفي المقام الآخر لغير المستجيبين نجد تدنيًا ماحقاً في المكانة والمنزلة بسبب التخلي عن سمة الاستجابة، قال الله تعالى: +۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢"[2].

وفي السياق نفسه نجد نوحًا ؏ لم يؤمر بحمل الكفار –الذين لم يستجيبوا لنداء الحق– في السفينة، وإنما اقتصر ذلك على المستجيبين، وهم المؤمنين الخُلص الذين اتصفوا بصفة الاستجابة، فنالوا بها ماهم فيه من مكانة، ويستحقون لذلك النجاة، فبأمثالهم يحصل التكاثر المثمر، ولو كانوا قلة مؤمنة، وترك ؏ ابنه، فلا قيمة له، ولا مكانة لكونه من غير المستجيبين.

---

(١) سورة الرعد: الآية ١٨.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٢٢.

المطلب الثاني

المدعو هو المعني بالدعوة باعتباره الإنسان الذي تتحقق بهدايته العبودية لله تعالى

إن الإنسان هو المدعو، ويمثل الهدف الذي يتوجه إليه الدعاة برسالة الإسلام، فالله ﷻ أنزل كتبه، وأرسل رسله –عليهم السلام– مبشرين، ومنذرين، لدعوة البشر، والسعي لهدايتهم، وبيان كل ما يعينهم على معرفة الحق من الباطل.

ولم تكن الأرض الخالية من الناس في يوم ما ميداناً للدعوة، كما أن الدعاة أمروا بالذهاب إلى حيث يقطن من يحتاج لدعوتهم من البشر، وفي بيان السفر لبلاد غير المسلمين، جاء – من بين أنواع السفر لتلك البلاد – نوع فاضل، يقع في حق المستطيع من الدعاة الذي لايقوم بدوره غيره، ولايغيب في هذا المقام بعوث النبي ﷺ الدعوية إلى البلاد المختلفة: كبعثه معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن، ورسله إلى الملوك، والأمراء، وقدومه على الوفود، حيث يقيمون ودعوتهم إلى الإسلام، وذهابه ﷺ إلى الطائف، وما لاقاه من عنت، ومشقة، كل ذلك يؤكد أحقية المدعو في ذهاب الدعاة إليه، وتمكينه من الاطلاع على دعوة الحق، ومعرفتها.

وبقدرماينظر الدعاة إلى المدعو باعتباره فرداً، فإنهم ينظرون إليه أيضاً باعتباره جماعة، أو جمهوراً بأعداد غفيرة، وقد جاء لكلا الحالين مايعزه، ويبين أهمية المدعو فيهما، وعظم مكانته، ففي حال كون المدعو فرداً يقول الرسول ﷺ: «فوالله لأن يُهدَى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم»(١)**، كما جاء الحديث مستفيضاً في التخاطب مع الأفراد، والشواهد على ذلك لاتنقضي في دعوات الأنبياء عليهم السلام، وفي دعوة خاتمهم محمد ﷺ، ومن سار على هداه من أئمة الهدى، والدعوة، وفي حال كون من يتوجه الدعاة إليهم بالخطاب جماعة، نجد السيرة الدعوية زاخرة بمثل هذا الخطاب، وخطبة الوداع، وخطبة يوم الفتح أمثلة حاضرة على ذلك، وقد جاء في القرآن الكريم عن يونس عليه السلام مايشير إلى ذلك** +وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾"(٢).

والإخبار – بجعل الناس على هذه الصورة – يَنُمُّ من الوهلة الأولى عن سمة الحشد، والكثرة، وأن ذلك مما امتاز به خلق الله لعباده، ولا يستطيع إنسان أن ينفك من هذه الوتيرة الاجتماعية إلا بعلة منه، يصير بها شاذاً على ما جُبل عليه، ويفقد بذلك مزية التجمع التي أشار الله

---

(١) تقدم تخريجه ص٢٥٨.

(٢) سورة الصافات: الآية ١٤٧.

تعالى إليها في هذه الآية الكريمة: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ"(١)، وفي ذلك دلالة على مكانة الإنسان التي اكتسبها بكونه جمهوراً، لايُستثنى منه فرد، حين يتوجه الدعاة إلية بخطاب الدعوة.

ومن اليقين بأن الاحتفاء بالمخاطبين، والاهتمام بهم –في دعوة الإسلام–، يتأثر من حيث طريقته، ومنهجه بحال المدعوين من حيث أعدادهم، وفي ذلك دلالة على ارتباط مكانتهم بهذه الناحية لديهم، وهذا ماثل في نهج السلف، فقد بان فيه شمول دعوة الإسلام، واستقصاؤها لجملة المخاطبين، في كل مكان.

وهذا الشمول الاستقصائي في مخاطبة المدعوين ينطوي في حقيقته على الرعاية، التي يحظى بها الفرد باعتباره المُكَوِّن لجماعات المخاطبين، وحشودهم، ولازال ذلك يؤكد الدلالة على مكانة المدعو، التي اكتسبها بكونه جمهوراً، لايُستثنى منه أحد حين يتوجه الدعاة إلية بالخطاب الدعوي.

كما أن الدعوة –حين تتم– لجميع فئات المجتمع فيها الدليل على المكانة التي تحظى بها هذه الفئات، فبها تتحقق الحكمة بتعبيد الخلق لله سبحانه، وإنزال العدالة الربانية عليهم بإجراء الثواب، والعقاب، وملء الجنة بأكبر قدر ممكن منهم.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

المطلب الثالث

تشريف المدعو حين خلقه الله تعالى لعبادته

إنَّ خَلْقَ الله –تعالى– الإنسان لعبادته من أهم المزايا، والسمات التي أكرمه الخالق بها، فنال بها زيادة فضل، ومكانة حين استجاب لرسالة الإسلام، وعبد الله ﷻ ولم يفسد عبادته بالشرك.

ومما يؤيد ذلك ما حصل من إشادة بهذه الفئة المستجيبة، وبما أنجزته بانضمامها لركاب الدعوة، وهي بهذا تبوأت مكانة خاصة، استحقت معها حفظ هذا الصنيع لها، وقد قال ﷻ في حقهم: +ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾"(١)، **وقال:** +لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ"(٢).

ولذا لابد –في ضوء ذلك– من النظر في كون القيمة الإنسانية للكافر قد سقطت بكفره، فالإنسان لاقيمة له بدون الإيمان، وقد ارتبط إطلاق الصفات الإيجابية عليه بمدى أخذه بمضمون رسالة الإسلام، كارتباط وصفه بالآدمية، بذلك، وربما كان ذلك ماثلاً حين يوجه الخطاب للمؤمنين في جملة من الأمور، التي يُفهم من سياق الخطاب فيها أن استحقاق الوصف بالآدمية، أو الإنسانية مرتبط بموقف المخاطب مما يُؤمر به، أو يُنهى عنه، وفي قول الله تعالى: +۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ"(٣) **مايشير إلى ذلك.**

وإعراضه عن الحق يعزز انتفاء هذه الصفة عنه، واستحق أن يوصف بغيرها، كما في قوله تعالى: +وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾"(٤).

ولذا يمكن القول بأن الإنسان قبل تعرضه لكلمة الحق متمتع بجزء كبير من حقوقه، ثم يسقط جل هذه الحقوق بعد إعراضه عن الحق حين إبلاغه به، بيد أن الباقي له من هذه الحقوق يجعل الباب أمامه مشرعاً، ليعاود موقفه من الحق الذي أعرض عنه، ومن أهم هذه الحقوق تلك

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٢.

(٢) سورة الرعد، الآية ١٨.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

التي تقوم على محبة الخير له بمداومة دعوته حتى تكتب له الهداية، أو أن يكون سبباً في هداية غيره من عقبه، كما جاء فيما حدثت به عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلَّم علي ثم قال: يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[1]، **فكان هذا الموقف الحكيم من الرسول ﷺ إزاء القوم قائماً على مراعاة الحكمة من خلقهم، حين آثر عليه السلام الإبقاء عليهم، لشدة تعلقه بتحقيق تعبيدهم لله عز وجل، لأنه إن فات ذلك فيهم، فالأمل قوي بتحققه في أخلافهم.**

وخلاصة القول في ذلك: إن مما فُطر عليه الإنسان – حين خلقه الله تعالى – شعوره بحاجته لإله، ومعبود يسعى لرضاه بالعبادة، لينال منه الثواب، والخير، والسعادة، ولذا فشتان بين من كان معبوده الله تعالى، وبين من كان معبوده البشر، أو الشجر، أو الحجر، وحق لمن أخلص عبادته لخالقه عز وجل أن يشرف بهذه المكانة، ويعتز بتلك المنزلة، ومن اليقين بأن الخطاب الدعوي الراشد حين يُوجه له لن يغيب عنه هذا الاعتبار.

---

(١) تقدم تخريجه ص٢٧٠.

المطلب الرابع

تحمله لأمانة الاستخلاف في الأرض، وعمارتها

إن استخلاف الله – تعالى– الإنسان في أرضه، وإسناد عمارتها إليه من أعظم المنن التي أسبغها الخالق عليه، وحين تَحَمَّل هذه الأمانة، وقبلها لم يكن بالإمكان تجاهل ذلك، أثناء توجيه الخطاب الدعوي إليه، وكان من حقه على الدعاة النظر إليه باعتباره قد اضطلع بهذه المسؤولية الكبيرة، حيث نال بجانب ذلك مكانة، ومنزلة، استحق أن ينال بسببها حظوة، وتكريماً حين القيام بدعوته.

وبهذا الاستخلاف تمكن الإنسان من الصدارة في الأرض، قال الله تعالى: +وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾"[(١)]**، وبهذا التقبل لما ألقي عليه من الحمل الثقيل كان له بذلك مايناله من مكانة، ومنزلة، ألزمت الدعاة الاحتفاء بها، ومراعاتها، وقطعاً فإن في ذلك صورة من صور الرفعة للإنسان المدعو.**

---

(١) سورة النور، الآية ٥٥.

المطلب الخامس

تمتع المدعو بالفهم، والإدراك لما يلقى عليه من الدعاة

علمنا بأن منزلة المدعو تقتضي حرصاً من الداعية على المدعو حين يخاطبه بمضمون الإسلام، الذي يجب أن يتأكد من صحته، والتوثق من عزوه إلى الكتاب، والسنة وإلى ماأجمع عليه أئمة العلم، واعتماد ذلك أصلاً يُعَوَّل عليه في المخاطبة.

وحين يكون سبب ذلك ما للمدعو من مكانة تقوم على احترامه، والمحافظة على مصلحته، التي لا تتم إلا بهذا الحرص، فإن منشأ ذلك علم الداعية بما للمدعو من قدرة على الفهم، والإدراك والتمحيص.

ولايقف أمر المراعاة لهذه السمة عند هذا الحد، بل يتجاوزه في حق المدعو إلى حُسن التصور لخلقته، وشدة فطنته لما جُبل عليه، إذ من العدل الذي حظي به المُخاطب بالإسلام عدم تَحْميله ما لا يطيقه بِعَدِّه فوق رتبته، وتكليفه على ضوء ذلك ما لايُناسب هذه الخِلقة، وينسجم مع تلك الجبلة.

وبهذه النظرة للإنسان كفلت دعوة الإسلام للمدعو مكانته، التي لم ينلها غيره من المدعوين في ظل الدعوات الضالة، والمنحرفة، وهي نظرة وضعت الإنسان في إطاره الأصلي، الذي كوَّنه الله عليه، فلم تفترض فيه طهارة الملائكة حين عُصِمَت من الشهوات والميل إلى المتع المباحة، أو ماحرمه الله تعالى، ولم تفترض فيه الحيوانية الشهوانية، التي لا تعقل خيراً وهدى، وليس في تكوينها للقيم والمبادئ مقدار ومنزلة(١).

وإذا ذهبنا نلتمس شيئاً من دلائل هذه النظرة ومظاهرها، فإنَّها تعرض لنا في جملة من أحوال الناس الذين جُبلوا عليها، فكان لها في منهج الإسلام اعتبارها الذي راعى كونها من لوازم الإنسان التي لا ينفك منها، وبهذه المراعاة فإن مكانة المدعو محفوظة له، ولا يمكن أن تضيع بسبب هذه الأحوال التي لا نجد في غير الإسلام من يراعيها، ويحفظ -مع ذلك- ما للمدعو من كرامة، ومنزلة، ولعل من أشد هذه اللوازم الظاهرة في طبع الإنسان، وسيرته، دأبه على العمل والحركة، وسعيه غير المنقطع فيما يهواه، ويريده مما يرى فيه فائدة له، ومنفعة، أو متعة، ولذة، وفي سبيل

---

(١) انظر: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله بن رشيد الحوشاني، مرجع سابق، ١/٢٨٩.

ذلك لا ينفك من عمل حتى يباشر عملاً آخر، إذ "النفس بطبيعتها متحولة، فإنها حية، والإرادة، والحركة الإرادية من لوازم الحياة، ولهذا قال النبي ﷺ: «أصدق الأسماء حارث وهمام»[1]**، فكل آدمي حارث وهمام، أي عامل كاسب، وهو همام أي يهم ويريد، فهو متحرك بالإرادة.."[2]، وعليه فإن المتصف بذلك عرضة للزلة، والخطأ، ولهفته على مقاصده كثيراً ما تجره إلى ما يضره، وليس متمكناً دوماً من أدوات الإبداع، والإتقان لضعفه وقلة قدرته، وهذه أمور قد تورثه شيئًا من النقص، ولذا "فالإنسان ظالم جاهل.."[3]، ولكونه على هذه الوتيرة، فإن الخطأ، والزلل يمضي معه في فعله، وسيرته، بل يستشرف المعصية، ويقع فيها.**

ولم يكن بدٌّ من الحفاظ على مقامه، ومنزلته، طالما أن ذلك في خلقه، وطبعه، وهو حفاظ يقوم على الأخذ بيده إلى مافيه صلاحه في الدنيا، ونجاته في الآخرة، على ضوء البصيرة النافذة بهذه الحال لديه، فكان الحض على التوبة هو المعين لهذا المدعو المطبوع على سلوك دروب الهوى حتى يتجاوز محنته، ويغالب أزمته، وقد روى أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»[4]**، وهذا التوجيه النبوي لم يكن فيه نهر، أو تقريع قد يزيد في حيرة المدعو، ونفرته لكونه لم يحظ بمن يحتفي بمقامه، ويشعر بحاله، كما أن توجيه الخطاب في هذا السياق تنبيه على أنه لا يخلو أحد من بعض هذه الذنوب، وهذا وارد فيما أخبر به الرسول ﷺ بقوله:** «ما من أحد من بني آدم إلا أخطأ أو هم بخطيئة، إلا يحيى بن زكريا»[5]**، والإشارة إلى هذه الناحية لدى المدعو نوع من التماس العذر له، حتى لا تكون المخالفة منه خطأ محضًا، وإنما هو بشر يستشرفه الحيف ولا يسلم من الزلل، ولاشك بأن هذا الالتماس في حقه قائم على تخفيف مايترتب على الخطأ الواقع منه، وينطوي ذلك على أمور من أهمها استشعار منزلته، ومقامه لدى الدعاة.**

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء (رقم ٤٩٤٩)، وأحمد (٣٤٥/٤). والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٨١٤) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٢٤٣٥).

(٢) انظر: التفسير الكبير، للإمام ابن تيمية، مرجع سابق، ٣ / ص ٣٣١ وما بعدها.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، مرجع سابق، ، ٢٨ / ٣٤.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة، (رقم ٢٤٩٩) وقال: حديث غريب. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٥١٥).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١ / ٢٤٥. ومجمع الزوائد للهيثمي (٨/ ٢١١ ـ ٢١٢) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، وزاد: «فإنه لم يهم بها ولم يعملها» والطبراني، وفيه علي بن زيد ضعفه الجمهور، وقد وثق.

والمقام هنا لايستغرق هذه الخصائص التي جُبل الإنسان عليها(١)، فعلى الرغم من أن الكثير منها قد يجر الإنسان في دروب الخطأ، ومزالق الزلل، إلا أن هدي الإسلام في التعامل مع المدعوين إزاءها أثبت أن مكانتهم، ومنزلتهم محفوظة لاتتأثر بما يعرض لهم من مظاهر النقص، والخلل.

وماكان لهذه المكانة أن تثبت للمدعو، وماكان بالإمكان أن نجعل الحق ماضياً سهلاً مفهوماً لدى المدعو، لولا ما لديه من قدرة جعلته ذا عقل سليم، ونفس فاضلة، وتأمل في الصالح، والضار(٢).

وهو بتلك القدرة صار مساهماً في صنع نشاط الداعية، وتحديد رسالته، وربما كانت الصلة بين الداعية والمدعو –على ضوء ذلك– صلة علة بمعلول(٣).

والمدعو بهذا الوضع لديه القدرة على تفعيل ما لديه من إمكانيات التفاعل، والتجاوب مع مايُعرض عليه من مضمون الدعوة، إذا حظي باعتبار لمكانته، ومنزلته، حيث تمكنت دعوة الإسلام بهذا الاعتبار من استجلاب ما لدى المدعو من صور الإيجابية، فكان ذلك سبباً في شحذ همته، واستجلاب ما لديه من استعداد للتجاوب، والقبول، إذ لا سبيل إلى أريحية المدعو، وكرمه، وإنتاجه إلا إذا أشعرناه بمكانته، في أنفسنا، فننال بذلك التقبل منه، ونتسبب في إذكاء روح المنافسة لديه، وإشعاره بقيمة ما يملك من قدرة، وطاقة، ونشعره بمكانته، ومنزلته إذا كانت غائبة عنه غير شاعر بها وأهميتها، وبالتالي فإن هذا الإشعار سبب في بناء الثقة داخل نفسه، وزيادة فاعلية التأمل،

---

(١) من النصوص الكريمة التي أتت على ذكر شيء من هذه الخصائص ما جاء في قول الله تعالى: + أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾" سورة الفرقان: الآية ٤٣، وقوله: + وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ" سورة البقرة: الآية ٩١، وقوله: + وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾" سورة النساء: الآية ١٠٧، وقوله: + إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ" سورة يوسف: الآية ٥٣.

(٢) انظر التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٥/١٨.

(٣) انظر في ذلك بحثًا بعنوان: الحكمة في التشريع الإسلامي، مجلة البحوث، العدد ٢٤، سنة ١٤١٢هـ.

والتمحيص لديه، وتقوية قدرته الذاتية على اتخاذ القرار، وتخليصه من التبعية المهلكة[1].

(١) يقول الله تعالى فيمن هذه صفته:+بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ"سورة الزخرف، الآية ٢٢.

المبحث الثالث

إكرام المدعو والاحتفاء به

المطلب الأول

استحقاق المدعو لحق الاحتفاء واحترامه وعدم الاستهانة به أو احتقاره

إن الانطلاق في مخاطبة المدعو -من كونه قد حظي بالتكريم الرباني- هو المنطلق الرئيس، الذي يقوم عليه تناول هذه المسألة، فبه استحق نظرة الثقة، والاحترام، وقد هيأه الخالق بجملة من السمات، والقدرات الجسدية، والعقلية، والعاطفية أهلته لهذه المنزلة.

ومن صور ظهور مكانة المدعو في هذا الجانب ماظهر به السلف الصالح حين ترسمهم لهدي الرسول ﷺ بعمدهم إلى صور الإشادة المختلفة التي يحظى المدعو بها منهم، فقد أدرك عمر بن الخطاب ﷺ قيمة إظهار ذلك، والحديث عنه في حق أهله حين يناسب المقام، فقال عن معاذ بن جبل ﷺ لما خطب بالجابية: "من كان يريد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل"، ويقول في شأنه أيضاً حين خرج إلى الشام: "لقد أخل خروجه بالمدينة، وأهلها في الفقه، وما كان يفتيهم فيه"[١].

ومن أوجه الاعتبار للمدعو أثناء الاتصال به القيام بالسلام عليه وفق أوجه عدة، منها ماجاء عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «يجزيء عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم، ويجزيء عن الجماعة أن يرد أحدهم»[٢].

ولو جال في خاطر المار بأن الجالس لا يرد عليه السلام "فإنه يترك ظنه، ويسلم، فلعل ظنه يخطئ، فإنه إن لم يرد عليه سلامه، ردت عليه الملائكة كما ورد ذلك، وأما من قال: لا يسلم على من ظن أنه لا يرد عليه، لأنه يكون سببا لتأثيم الآخر، فهو كلام غير صحيح، لأن المأمورات الشرعية لا تترك بمثل هذا"[٣]، **وقد جاء في السلام على اليهود، والنصارى عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ** : «لا تبدءوا اليهود والنصارى

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، مرجع سابق، ٣٤٨/٢.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في رد الواحد عن الجماعة (رقم ٥٢١٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٨٠٢٣).

(٣) سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ) ١٥٥/٤.

بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه»[1]، **فقد ذهب الأكثر إلى أنه لا يجوز ابتداء اليهود، والنصارى بالسلام، وهو الذي دل عليه الحديث، ولكن روي عن ابن عباس ﷺ الاقتصار على قول: السلام عليكم** [2].

والمبدأ قائم على النهي عن التحقير، سيما إذا كان المدعو مسلماً، فعن أبي ذر ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك»[3] ، **وفي مقام آخر يتم التأكيد على الناحية نفسها، فعن أبي موسى قال: قلت يارسول الله: أي الإسلام أفضل؟ قال:** «من سلم المسلمون من لسانه ويده»[4]، **وفي الحديث الدلالة على أهمية الكف عن الإيذاء، والسعي لإزالة مايقع من ذلك على الآخرين، وعدم الاعتداء والبهتان، والتنابز، بالألقاب، والسخرية، والنميمة، والغيبة، والهمز، واللمز، والابتعاد عن الحسد، والظلم، والسب، واللعن، والقتال، وعدم العنف.**

وتزداد المسألة تفصيلاً يبين أوجه الاحتقار، والإساءة المنهي عنها، أثناء التعامل مع الآخرين، جاء ذلك فيما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا: المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره. التقوى هاهنا» **ويشير إلى صدره ثلاث مرات** «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»[5]. **ولذا فقد دفع الإسلام كل صورة متوهمة بُنيت على الهيئة، والشكل، فجاء التنبيه على عدم الازدراء، والاحتقار بسبب ذلك، فقد روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:** «رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»[6]. **كما جاء لتعزيز ذلك قطع دابر الكبر، بالشدة في بيان سوئه، لكونه من السبل المشينة لاحتقار الناس،**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام (رقم ٢١٦٧).

(٢) انظر المرجع السابق، ٤/١٥٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ماينهى من السباب واللعان، (رقم ٦٠٤٥) ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر (رقم ٦٠) والباب الذي يليه (رقم ٦١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل (رقم ١١) ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، (رقم ٤٢).

(٥) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره، ودمه، وعرضه، وماله، (رقم ٢٥٦٤).

(٦) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الضعفاء والخاملين، (رقم ٢٦٢٢).

وإهانتهم، فقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك بقوله: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[1]، **وهذه التوجيهات التي تكالبت بالترغيب، والترهيب أكدت على النهي عن التحقير، والحث على البشاشة، والوداعة، والتواضع، وكل ما ينساق مع ذلك داخل ضمن هذه التوجيهات، كالنهي عن اللعن، والسباب، وقد جاء مؤكداً ذلك مارواه جابر بن سليم، قال: قلت لرسول الله ﷺ : اعهد إلي، قال:** «لا تسبن أحداً» **قال: فما سببت بعده حرًّا، ولا عبداً، ولا بعيراً، ولا شاة، قال:** «ولا تحقرن شيئًا من المعروف، وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك، إن ذلك من المعروف»[2]، **جاء عن أسامة بن شريك، قال: شهدت الأعراب يسألون النبي ﷺ ما خير ما أعطي العبد قال:** «خلق حسن»[3]، **ومن صور ذلك مراعاة أصحاب الظروف الخاصة الذين يحتاجون مزيداً من الاحتفاء لرتق مصابهم، ودرء عنائهم، فعن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال:** «لا تديموا النظر إلى المجذومين»[4]، **وقد جاءت حفاوة الرسول ﷺ بابن مسعود ﷺ، فقد كان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ :** «مم تضحكون ؟» **قالوا: يانبي الله من دقة ساقيه، فقال:** «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»[5].

ولاشك بأن ما مر ذكره زاد لابد منه لمن أراد أن يتسم بسمات التواضع، والاحتفاء بالآخرين، واحترامهم، سيما إذا كانوا منه في موضع المدعوين.

وكما أن إكرام المدعو وعدم احتقاره من الصور الرفيعة لمكانته التي أناله إياها الإسلام، فإن سعي الداعية لنصرته، وشد أزره بتحقيق الإكرام له حين يغيب عنه، ورفع المهانة عنه حين تنزل به من الآخرين من الصور، التي لا تخرج عن دائرة الإكرام للمدعو، فقد قال الرسول ﷺ فيما رواه جابر بن عبد الله وأبو طلحة بن سهل الأنصاريان يقولان: قال رسول الله ﷺ : «ما من امرئ يخذل امرأ مسلما عند موطن تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله ﷻ في موطن يحب فيه

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (رقم ٩١) والترمذي كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الكبر، (رقم ١٩٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، باب ماجاء في إسبال الإزار، (رقم ٤٠٨٤)

(٣) أخرجه ابن ماجه كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، (رقم ٣٤٣٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه كتاب الطب، باب الجذام، (رقم ٣٥٤٣) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: وقد أخرجه ابن ماجه وسنده ضعيف بينما في شرح سنن ابن ماجه جاء قوله: وفي الزوائد رجال إسناده ثقات.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (رقم ٣٩٨١).

نصرته، وما من امرئ ينصر امرأ مسلما في موطن، ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»[١]، **ويدخل ذلك ضمن قاعدة عامة للتعامل، سنها محمد ﷺ لأمته بقوله:** «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»[٢]، **وقوله ﷺ** : «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا»[٣]، **وقد جاء في هذا الشأن عن حكيم بن قيس بن عاصم[٤] عن أبيه[٥] أنه أوصى ولده عند موته، قال: اتقوا الله ﷻ وسودوا أكبركم، فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلفوا أباهم، فذكر الحديث[٦].**

عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال له: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[٧]، **وخلاصة القول: إن هناك جملة من النصوص الخاصة، والعامة اعتنت بضبط العلاقة بين الداعية، والمدعو على أساس راشد، يلفت إلى استحقاقه لحق الاحتفاء، والاحترام، وتجنب مافيه الاستهانة به، أو احتقاره.**

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبته (رقم ٤٨٨٤) والإمام أحمد في مسنده، (رقم ١٥٩٣٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً (رقم ٢٤٤٣).

(٣) أخرجه الترمذي كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، (رقم ١٩١٩) وأحمد (رقم ٦٦٩٤).

(٤) هو حكيم بن قيس بن العاصم المنقري البصري، قيل: إنه ولد في عهد النبي ﷺ وقد ذكره ابن حبان في ثقات التابعين. انظر: تقريب التهذيب، مرجع سابق، ابن حجر العسقلاني (رقم ١٤٧٧).

(٥) هو قيس بن عاصم بن سنان المنقري التميمي، قدم في وفد بني تميم على رسول الله ﷺ وذلك في سنة تسع، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هذا سيد أهل الوبر» وكان ﷺ عاقلا حليما مشهورًا بالحلم. قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت بالحلم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري. وكان قيس قد حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، مرجع سابق، (رقم ٢١٠٣).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (رقم ٢٠٠٨٩).

(٧) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس (رقم ١٩٨٧) والإمام أحمد في مسنده، (رقم ٢٠٨٤٧) والدارمي، كتاب الرقاق، باب في حسن الخلق (رقم ٢٧٩١).

المطلب الثاني

حق المدعو في الذهاب إليه، ومباشرة دعوته حيث يوجد

إن من جوانب الإجادة لدى الداعية، ترسمه لهذا المسلك، حين يبحث عن المدعو، ويسعى إليه في كل مكان قدر الإمكان، ويحرص على هدايته انطلاقاً من إكرامه، وحب الخير له، ويشفق عليه؛ لإنقاذه من السخط، والعقاب؛ ولذا فكل ماجاء من توجيه بالصبر على الدعوة، ومايُلقى في سبيلها من عنت، ومشقة من شواهد الحرص على المدعو، وحب الخير له، قال الله تعالى: +ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾"[1]، **وحين أرسل الرسول ﷺ معاذاً** ﷺ **إلى اليمن كان ذلك جليًّا بينًّا فيما أتحف به الرسول ﷺ معاذاً من وصايا، حين قال له:** «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»(٢)، ولاشك بأن الأهمية التي يحظى بها المدعو حين سعى الداعية إليه، وكان شديد الحرص على هدايته، ومصلحته دليل على مكانته، سيما، وأن الحثَّ على ذلك جاء من محمد ﷺ وهو الضالع في الاتصال بالمدعوين، والحاذق للحديث معهم، والمتقن للتأثير فيهم، جاء الحث منه عليه الصلاة والسلام على شدة الحرص على مصلحة المدعوين بتجشم الصعب في سبيل الوصول إليهم، مهما بدر منهم من مغالبة للدعاة، وتحد للدعوة.

ولذا كان في الصدارة من فضائل الأعمال مباشرة الهجرة، والأسفار للقاء المدعوين، وتوجيههم لما فيه صلاحهم، ونجاتهم، وكم كان لهذه الرحلات المباركة من أثر ناجع في محيط المدعوين من المسلمين، وغيرهم ساهم في نشر الخير بينهم، وتاريخ الدعوة الإسلامية زاخر بشواهد عديدة، نجدها في الهدي الدعوي للرسول ﷺ وفي سير الدعاة من السلف الصالح، ويهمنا في هذا المقام القول بأن من يسعى إليه الإسلام بهذه الصورة، ويحرص على التوجه إليه حيث كان، لهو صاحب مكانة، ومنزلة ليس بوسع الداعية إلا أن يراعيها، ويهتم بها.

ولا يخفى مانال الرسول ﷺ من أذى، ومعه الكثير من صحبه ﷺ، وهم يباشرون الذهاب

---

(١) سورة طه، الآيات من ٤٢ إلى ٤٤.

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة وقول الله تعالى: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)، (رقم ١٣٩٥) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (رقم ١٩).

للمدعوين حيث هم، سواء أكان ذلك داخل مكة، أو المدينة كارتياد الرسول ﷺ منتديات الناس، وتجمعاتهم بجوار الكعبة، أو في الأسواق، وحتى في دورهم، ومزارعهم، أو خارجهما: كذهابه ﷺ إلى الطائف، وبعثه نفراً من أصحابة إلى كثير من البلدان المجاورة والأمصار البعيدة، وهذا الجهد ماكان ليتم بعد توفيق الله، وهو لايتكئ على شعور الدعاة بمدى المكانة العظيمة التي نالها في ظل الإسلام.

كما أن البلاغ، ومايترتب عليه من الخير، والهداية ماكان ليتم بإذن الله دون مباشرة سبب مهم له، وهو البحث عن المدعو، والسعي له حيث كان قدر الإمكان، ولقد كان في هذا السياق مما أخبر به الرسول ﷺ -في معجز كلامه- ما رواه عبد الرحمن بن شماسة المهري قال: سمعت أبا ذر يقول: قال رسول الله: ﷺ: « إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً..»(١)، وفي هذه العناية دلالة على وضع خاص، ومكانة معتبرة، نبه الرسول ﷺ صحابته حين يفدون على هذه الفئة في بلادها.

وقد جاء عن أبي رافع ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر ذهب إلى بني عبد الأشهل فيتحدث عندهم حتى ينحدر للمغرب(٢).

ولأهمية هذا الأمر، ومدى العناية بالمدعو فقد نظم الإسلام جملة من الأمور المتعلقة بالسفر إليه والاتصال به، ومكاتبته، وأخذ آي القرآن إليه، وغير ذلك، حيث جاء الحديث حول إن كان المبعوث إليه كافراً، وحدود مايجوز السفر به، أو البعث به إلى بلاد الكفار من القرآن الكريم، وحدود المنهي عنه من ذلك حين يكون ذلك إلى بلاد العدو، وذلك محمول على ماإذا خيف، وقوعه في أيدي الكفار، وليس له عوض، كما جاء الحديث حول السنة في المكاتبة، والرسائل بأن يبدأ بالبسملة، والحمد، ويبدأ الكاتب بنفسه فيقول من زيد إلى عمرو، كذلك جاءت الإشارة إلى التوقي في المكاتبة، واستعمال الورع فيها(٣).

إذا فالمسألة لاتقف عند حد السعي للمدعو بالذهاب إليه، أو مكاتبته، وإنما تنظيم ذلك، وترتيبه وفق هدي راشد، يحفظ له مكانته، ويحقق له مصلحته.

---

(١) أخرجه مسلم، فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر (رقم ٥٤٣).

(٢) الترغيب والترهيب، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ النشر)، ٣١٨/١.

(٣) لمزيد من التفصيل حول ذلك انظر شرح النووي لصحيح مسلم، مرجع سابق، ١٠٨/١٢.

المطلب الثالث

عدم التكبر على المدعو، أو الترفع عنه، أو الإساءة لمشاعره

لعل تجريد القائم بالخطاب الدعوي نفسه من كل مقام يتخذه أثناء خطابه مع المدعو من شأنه أن يرفعه عنه رفعاً ينجم عنه انصراف ذلك المدعو عمَّا يُطْرح عليه؛ وذلك لشعوره بترفع الداعية واستعلائه عليه، من الأمور التي لامناص لدعاة الحق من استقصائها والحرص عليها، فبغيابها تغيب مكانة المدعو، ومنزلته، وبالتالي التفريط في تحقيق الخير، والهداية له.

والتقصي في ذلك وارد حتى لو كان من باب سد الذرائع، فلا سبيل للمغامرة بجهد الدعاة، ومصلحة المدعوين بالتفريط بمكانة المدعو أثناء الاتصال به[1]، فكل مايُشْعر المدعو بالاستخفاف بقدره، ومكانته أثناء الحديث معه ينبذ لديه أسباب الاستجابة، ودواعي القبول، ويمحو مالديه من وهم بمحبة الداعية له، وتواضعه معه، وربما تأكد له -لهذا السبب- أن ذلك انقلب في حقه لدى الداعية إلى تكبر عليه، وتعال عن دعوته، وتقصي ذلك، وتأصيله ماثل في جملة من التشريعات، والتنظيمات التي تحفظ للمدعو -دائماً- ما له من مكانة، ومنزلة، فمن ذلك التعامل مع الهداية بأنها من الله ﷻ، وهذا من مكانة المدعو التي تقتضي الاستمرار في دعوته، لا الغرور بهدايته، ومما تقتضيه هذه النقطة أن هدايته إذا تمت فهي من الله — جل وعلا – وتنسب إليه، ولايسوغ للداعية أن ينسبها لنفسه: +إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾"[2]، فهدايته بيد الله تعالى، وفي ذلك مكانة للمدعو تقتضي من الداعية عدم إيقاف الاتصال بالمدعو، ودعوته، بل لابد أن يستمر في جهده معه، ويثابر في أدائه، وهذا يقتضي من الداعية أن لايغتر حين يهدي الله المدعو، مما قد يسيء للمدعو -بشكل أو بآخر- حين يبدر من الداعية ما يوحي بفضله، ومعروفه عليه، فها نحن نرى أن الإنسان قد يهتدي دون جهد دعوي، كأن يرى مناماً، أو يمر بموقف مؤثر، بينما لايجدي معه قبل ذلك أعظم الجهد في دعوته، ولاشك أن في الانتباه لذلك حفظًا لجانب مهم من الجوانب التي تقوم عليها مكانة المدعو.

---

(١) ولهذا الجانب أهمية قصوى ترتبط بسلامة العمل الدعوي وصحته، والواقع المتأزم المُعاش حالياً بسبب ماتلاقيه الدعوة وأهلها من غير المسلمين تحت ذرائع متعددة من أهمهما التطرف الديني والإرهاب، هذا الواقع يدعونا إلى إمعان النظر فيه، لأن الاستقصاء الصحيح للهدي الدعوي في ذلك سيدعونا إلى أن نتطلف مع المدعوين ولانستعلي عليهم، ونتعامل معهم بما يجعلهم يطمئنون إلينا وإلى مانحمله إليهم من مضمون الإسلام.

(٢) سورة القصص: الآية ٥٦.

ولايكاد يغيب عن ذلك أي إجراء دعوي راشد، ساقه الله – تعالى - على أيدي الرسل، ومن سار على نهجهم من أئمة العلم، والدعوة، فكل ماحصل من ذلك هو في حقيقته شاهد على أهمية عدم التكبر على المدعو، أو الترفع عنه، أو الإساءة لمشاعره.

ولقد جاء مما يُمكن سياقه في هذا الشأن، كراهية، أو تحريم تميز الإمام عن المأمومين أثناء الصلاة بأن يرتفع -في محرابه أثناء الصلاة- عنهم، أو تميز غيره من المصلين عن الباقين باتخاذ أماكن خاصة لصلاتهم فيها، وكان للخليفة العباسي المهدي، سهمه النافذ في الانتباه لذلك ودرئه في سياق حماسته الظاهرة -إبَّان خلافته- لإزالة البدع في أرجاء الخلافة الإسلامية، حيث انتظم هذا الموقف منه -رحمه الله- مايحصل من مبالغة في ارتفاع المنابر وعمل على إزالتها(١).

كذلك معالجة ماحصل من اتخاذ المنابر بشكل مبالغ فيه، فقد صار ذلك من البدع التي حصلت بعد زمن الصحابة ﷺ ، وكره عمر بن الخطاب ﷺ هذا الأمر، ونهى عنه، وكان له موقفه في هذا الشأن حين بنى عمرو بن العاص ﷺ مسجد الفسطاط، وجعل فيه منبراً اتسم -كما أخبر ابن عبدالحكم(٢)- بشيء من ذلك، فكتب إليه عمر بن الخطاب ﷺ: "أما بعد، فإنه بلغني إنك اتخذت منبراً تَرْقَى به على رقاب المسلمين، أومَا بحسبك أن تقوم قائماً، والمسلمون تحت عقبيك، فعزمت عليك لـمّا كسرته"(٣)، ومن اليقين فإن مراعاة مشاعر المخاطبين، وتطييب خواطرهم، ينطوي على اتسام الداعية بالتواضع معهم، وعدم التعالي عليهم، وبالتالي الاحتفاء بمقامهم، ومكانتهم.

---

(١) وقد سار -رحمه الله- في ذلك على نهج عمر بن الخطاب ﷺ، فقد أمر في سنة ١٦١ هـ بإزالةماابتدعه خلفاء بني أمية، في بناء المقاصير الخاصة بجلوس وصلاة الخلفاء والولاة بالمساجد الجامعة في الأمصار الإسلامية بمعزل عن جمهور المسلمين، كرسم من رسوم الملك، كما أمر في السنة نفسها بتقصير المنابر، وإلى ذلك أشار المقريزي بقوله (وفي سنة إحدى وستين ومائة، أمر المهدي بنزع المقاصير من مساجد الأمصار، وبتقصير المنابر فجعلت على مقدار منبر رسول الله ﷺ..) انظر الخطط، المقريزي، ذكر الجامع العتيق، نقلاً عن تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد،مرجع سابق،ص٢١٣.

(٢) يقول ابن عبد الحكم في وصف إنشاء هذا المنبر ووضعه: (وبنى عمرو بن العاص المسجد، وكان ما حوله حدائق وأعناب، فنصبوا الحبال حتى استقام لهم، ووضعوا أيديهم، فلم يزل عمرو قائماً حتى وضعوا القبلة...) انظر فتوح مصر وأخبارها، ابن عبدالحكم، تحقيق محمد الحجيري (دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ) ص ٩١، ٩٢.

(٣) انظر المرجع السابق، نفس الصفحة.

المبحث الرابع

رحمة المدعو والإشفاق عليه ومعاملته بالرفق واللين

المطلب الأول

الإشفاق على المدعو، والتعامل معه بالعطف والرحمة

إن الرحمة التي يستصحبها الداعية أثناء دعوته من الدلائل على هذه المكانة التي يحظى بها المدعو، حيث يتضامن الداعية معه، ويظهر حرصه عليه، ويسعى بكل جهده لأن يكون سريعاً في الاستجابة، وتقبل الهداية، قال الله تعالى: +قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾"[١]، **وعن هود عليه السلام قال الله تعالى:** +قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾"[٢].

وحين رحم الله – تعالى – كافة الخلق وفيهم المدعو، كان حري بالداعية أن لايبخل بتلك الرحمة على من يقوم بخطابهم، بل وعليه أن يتحمل العنت، والمشقة في سبيل دعوته، ولن يكون بإمكانه ادعاء رعايته لمكانة المدعو، ومنزلته، وهو يجرد من عمله الدعوي عامل الإشفاق، والرحمة.

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق أخرج كتاباً من تحت العرش: أن رحمتي سبقت غضبي، وأنا أرحم الراحمين. فيقبض قبضة أو قبضتين فيخرج من النار خلقاً لم يعملوا خيراً. مكتوب بين أعينهم: عتقاء الله»[٣]، **وقد قال الله تعالى متحدثاً عن سعة رحمته:** +رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا"[٤]، **وقال عز وجل:** +وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ"[٥]،

---

(١) سورة الأعراف: الآيتان ٦١، ٦٢.

(٢) سورة الأعراف: الآيتان ٦٧، ٦٨.

(٣) أخرج الجزء الأول منه بلفظ قريب البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء (رقم ٧٤٢٢) وأخرج جزءه الأخير بلفظ قريب مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريقة الرؤية (رقم ١٨٣).

(٤) سورة غافر، الآية ٧.

(٥) سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

"**ومما يناسب هذه الآية من الأحاديث أيضا قوله ﷺ لمعاذ بن جبل:** «أتدري ماحق الله على العباد؟ أن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً» **ثم قال:** «أتدري ماحق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك؟ أن لا يعذبهم»(١)"(٢)، **وفي نفس السياق جاء عن عروة ﷺ أن عائشة – رضي الله عنها – زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال:** «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وماردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يامحمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين». **فقال النبي ﷺ:** «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»(٣)، "**وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي ﷺ على قومه ومزيد صبره وحلمه، وهو موافق لقوله تعالى:** +فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ"(٤)، **وقوله:** +وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾"(٥)"(٦)، **ومعاني هذه الآيات تنطوي على توجيه الله ﷻ لنبيه لنبيه ﷺ "بالصفح الجميل عن المشركين في أذاهم له، وتكذيبهم ماجاءهم"**(٧)، **ومنها قوله تعالى:** +فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾"(٨).

ولقد طلب بعض النفر من صحابة الرسول ﷺ أن يدعو الله على دوس، فقال: «اللهم اهد دوساً وائت بهم»(٩)، **وحين عرض جبريل ﷺ على الرسول ﷺ أن يقوم ملك الجبال بإطباق**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار (رقم ٢٨٥٦) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (رقم ٣٠).

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٣٧/٢.

(٣) سبق تخريجه ص٢٧٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٥) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٦) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٣١٦/٦.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٥٥٧/٢، ٥٥٨.

(٨) سورة الزخرف، الآية ٨٩.

(٩) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم (رقم ٢٩٣٧) ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة... (رقم ٢٥٢٤).

الأخشبين عليهم، قال عليه الصلاة والسلام: «بل أستأني بهم، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله تعالى لا يشرك به شيئاً» **وعند ذلك قال له ملك الجبال: أنت كما سماك ربك رؤوف رحيم، وقد أشار صاحب الهمزية إلى هذه السمة بقوله:**

جهلت قومه عليه فأغضى وأخو الحلم دأبه الإغضاء

وسع العالمين علما وحلما فهو بحر لم تعيه الأعباء(١).

ويعني بذلك أن الرسول ﷺ "أرخى جفنه حياء، وصاحب عدم الانتقام شأنه إرخاء الجفن، وسع علمه علوم العالمين من الإنس، والجن، والملك، ووسع حلمه كل من صدر منه نقص، فهو بسبب ذلك بحر واسع، لم تتعبه الأحمال الثقيلة"(٢).

وإجمالاً فإن ذلك يدور على التعامل مع المدعو بالصفح، وخفض الجناح، ولين الجانب، وقد اصطفى الله تعالى للقيام بذلك مع المدعو من بلغ القدح المعلى في هذا الجانب، وهو نبي الرحمة، واللين ﷺ الذي يعز عليه مايلحق بالمدعوين من عنت، وقد قال الله ﷻ في شأنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٣)، وحين وصف الله تعالى نبيه ﷺ بالرأفة، والرحمة "قدم الأبلغ منهما، وهو الرؤوف، لأن الرأفة شدة الرحمة(٤)، ولقد كان حدبه ﷺ على أمته ورأفته بها وهو يبلغها رسالة ربها، دليلاً راسخاً على مانالته مانالته تلك الأمة المُخَاطبة بدعوة الإسلام من مكانة عالية، ومنزلة رفيعة. "قدم الأبلغ منهما، وهو الرؤوف لأن الرأفة، شدة الرحمة(٥).

وحين يكون عزيزاً على الرسول ﷺ العنت الذي يلحق بالناس، فإن الله ﷻ قد عم بالخبر عن موقف نبيه من عنت قومه، ولم يخصص أهل الإيمان بذلك لوحدهم، فكان ﷺ كما وصفه الله به عزيزاً عليه عنت جميعهم(٦)، كما أن هذا الوصف لمحمد ﷺ تضمن "المبالغ في الرأفة والشفقة،

---

(١) انظر السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، مرجع سابق، ٥٨/٢.

(٢) المرجع السابق، ٨٢/٣.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

(٤) تفسير البيضاوي، مرجع سابق، ١٨١/١.

(٥) المرجع السابق، ١٨١/١.

(٦) وفي هذا السياق قد يقول قائل "كيف يجوز أن يوصف ﷺ بأنه كان عزيزاً عليه عنت جميعهم، وهو يقتل كفارهم، ويسبي ذراريهم، ذراريهم، ويسلبهم أموالهم قيل إن إسلامهم لو كانوا أسلموا كان أحب إليه من إقامتهم على كفرهم، وتكذيبهم إياه حتى يستحقوا

قال الحسين بن الفضل: لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد ﷺ، فإنه قال: +بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾"، وقال: +إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾"، وقال عبدالعزيز بن يحيى: لايهمه إلا شأنكم، وهو القائم بالشفاعة لكم، فلا تهتموا بما عنتم ماأقمتم على سنته، فإنه لا يرضيه إلا دخولكم الجنة" [١]**، وقد "قال الفارسي: انظر هل وصف الله ﷻ أحدًا من عباده بهذا الوصف من الشفقة، والرحمة، التي وصف بها حبيبه ﷺ ألا تراه في القيامة إذا اشتغل الناس بأنفسهم كيف يدعو؟ حدَّث نفسه ويقول: أمتي أمتي. يرجع إلى الشفقة عليهم"**[٢]**، وفي بيان ذلك جاء عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ** : «لكل نبي دعوة، فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»[٣]**، ونلمس في بيان رسول الله ﷺ عن ذلك بياناً "رقيقاً مفعماً بالعطف على المدعو، والحرص على نجاته"**[٤]**، ويؤيد ذلك مارواه ابن عباس ﷺ قال: قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك، قال:** «وتفعلون؟» **قالوا: نعم، قال: فدعا، فأتاه جبريل، فقال:** «إن ربك ﷻ يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة؟ قال: بل باب التوبة والرحمة» [٥]**، كما جاء موقف الرسول ﷺ في مقام آخر يبين فيه مدى رحمته بأمته، وخوفه عليها، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ** : «اللهم إنما أنا بشر، فأيما رجل من المسلمين سببته أو جلدته أو لعنته فاجعلها له زكاةً وأجرًا»[٦]**، ولايزال موقفه ﷺ يترى في كل**

ذلك من الله، وإنما وصفه الله جل ثناؤه بأنه عزيز عليه عنتهم لأنه كان عزيزاً عليه أن يأتوا مايعنتهم وذلك أن يضلوا، فيستوجبوا العنت من الله بالقتل والسبي" . انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق ، ١١/٧٦-٧٨.

(١) المرجع السابق، ٨/٣٠٢.

(٢) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مرجع سابق، ١٦٣/٢. وانظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، مرجع سابق، ٤٠٩/٨. وانظر فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٣١٩/١١، ٣١٨. وانظر فتح القدير، الشوكاني، مرجع سابق، ٦٠٧/٢. وانظر تفسير البغوي، البغوي، مرجع سابق، ١١٥/١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة (رقم ٦٣٠٤) ومسلم، كتاب الإيمان، باب اختيار النبي ﷺ دعوة (رقم ١٩٨).

(٤) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، محمد بن عبدالوهاب (جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، بدون تاريخ الطبعة) ص ٣٠٦.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (رقم ٢١٦٧).

(٦) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي ﷺ (رقم ٢٦٠١) والإمام أحمد في مسنده، (رقم ١٤٨٧٠).

الأمور التي تمس مصالح أمته رأفة بها، وشفقة عليها، فقد قال ﷺ: «إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن»[1]، **ولقد كانت هذه الرحمة بالمدعوين ماضية في صحبه ﷺ وسلفه رحمهم الله. فقد جاء عن مالك بن دينار[2] قوله: "لو وجدت أعواناً لناديت في منار البصرة بالليل: النار النار، ثم قال: لو وجدت أعواناً لفرقتهم في منار الدنيا: يا أيها الناس النار النار"[3]. ومقامنا هنا دون الاستطراد في ذكر شواهد ذلك، لكن كل ماورد من ذلك حمل دلالات عميقة، كان في المقدمة منها مدى العناية الفائقة بالمدعو، وعناية كتلك لا تُصرف إلا لذي شأن ومكانة.**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (رقم ١٩٢٧٣).

(٢) هو مالك بن دينار البصري الزاهد، أبو يحيى، صدوق عابد، من الخامسة، مات سنة ثلاثين أو نحوها. انظر: تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (رقم ٦٤٧٥).

(٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٩هـ) ٢١/١.

المطلب الثاني

إلانة الجانب للمدعو، وإكرامه، واللطف معه

ومما تبدو فيه مكانة المدعو مانراه في كلام النبي ﷺ ولين حديثه، وإكرامه للمدعو، وهذا المسلك منه ﷺ إنما هو من صفات النبوة، وخصائصها، فعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما– قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً، ولا متفحشاً، وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقا»(١).

ولهذا وصف النبي ﷺ هرقل –حين راسله– بعظيم الروم، فلم يقل ملك الروم، لأنه لاملك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام، ولاسلطان لأحد إلا لمن ولاه رسول الله ﷺ أو ولاه من أذن له رسول الله ﷺ ، ولم يقل إلى هرقل فقط، بل أتى بنوع من الملاطفة فقال: عظيم الروم، أي الذي يعظمونه، ويقدمونه، وقد أمر الله – تعالى – بإلانة القول لمن يُدعى إلى الإسلام"(٢)، واللين، والهدوء، والترفق في الكلام هو سمة في تعامل الرسول ﷺ مع الناس، ولقد روت عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ كان يُحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه(٣)، كما روى أنس بن مالك ﷺ قال: لم يكن النبي ﷺ سباباً، ولافحاشاً، ولالعاناً، كان يقول لأحدنا عند المعتبة: «ما له ترب جبينه»(٤).

ومما يُبَين آثار مكانة المدعو على الداعية، ودعوته مما يؤكد أهمية هذه المكانة، وضرورة اعتبارها خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه –وهو يدعوه– فيه توخي الرفق، واللين، والتزلف، والبعد عن القسوة، والشدة، قال الله تعالى: +إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، (رقم ٣٥٥٩) ومسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ (رقم ٢٣٢١).

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم، مرجع سابق، ١٠٨/١٢.

(٣) أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، (رقم ٣٥٦٨) ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم (رقم ٢٤٩٣).

(٤) أخرجه البخاري كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، (رقم ٦٠٣١).

بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾"(١)، وفي هذا العرض القرآني لحوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه نجد كيف "ابتدأ إبراهيم خطابه بذكر أبوته تدل على توقيره، ولم يقل: يا آزر، وجاء الكلام بصيغة السؤال، وليس بطريق الأمر، والنهي المباشر، فقال: لِمَ تعبد؟ ولم يقل: لاتعبد، كما قال له: +إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ..." ، ولم يقل إنك جاهل لاتفهم، كما قال: +يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ..." فنسب الخوف إلى نفسه دون أبيه، كما يفعل الشفيق الخائف على من يحبه، ويشفق عليه...، ثم قال: +يَمَسَّكَ..." لم يقل ينزل بك، أو يخسف بك، ثم ذكر العذاب فقال: عذاب تأدباً، وبعداً عن شدة التخويف، ثم قال: +ٱلرَّحْمَٰنُ..." ولم يقل الجبار، أو القهار، وعلى الرغم من شدة رد أبيه عليه عليه السلام +لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾" فإنه رد عليه بقوله: +سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا"(٢).

والحديث عن اللين، والرفق مع المدعو لايغيب عن كثير من آيات القرآن الكريم، والسنة النبوية، وحين يرد ذلك فإنه لايغيب عنه أيضاً القيمة التي يحظى بها المدعو –أثناء القيام بدعوته– والمكانة الرفيعة التي تشير إليها هذه النصوص، ومن ذلك ماجاء في قول الله تعالى: +فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾"(٣)، وكذا قوله عز وجل: +وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾"(٤)، وقوله: +وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا"(٥)، كما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها، قالت: استأذن رهط مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» قُلْتُ: أولَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ»(٦)، كما قال الرسول ﷺ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ»(٧)، وكان من

---

(١) سورة مريم: الآيات من ٤٢ إلى ٤٧.

(٢) بدائع الفوائد، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق هشام عطا وزميليه (مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ) ٣/٦٥٣.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٢٨.

(٥) سورة البقرة: الآية ٨٣.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله (رقم ٦٠٢٤) ومسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب الكتاب بالسلام (رقم ٢١٦٥).

(٧) أخرجه مسلم، في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (رقم ٢٥٩٢). وأبو داود، كتاب الأدب، باب في الرفق (رقم

من وصف علي ﷺ للنبي ﷺ قوله: "أجود الناس كفا، وأشرحهم صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة"[1]، يؤيد ذلك موقفه الرحيم ﷺ فيما رواه ابن مسعود ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل فكلمه، فجعل ترعد فرائصه، فقال له: «هوّن عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد»[2]، **ولطفه ودماثته عليه الصلاة والسلام لاتقتصر على فئة دون أخرى، فامتدت إلى الصبيان، فقد جاء عن أنس ﷺ قال: مر علينا النبي ﷺ ونحن نلعب فقال:** «السلام عليكم ياصبيان»[3]، **ويلاطف ﷺ صبيًّا فيما رواه أنس ﷺ قال: كان النبي ﷺ يزور أم سليم، ولها ابن صغير يقال له أبو عمير، وكان النبي ﷺ يقول:** «يا أبا عمير ما فعل النغير»[4]؟ **قال: نغر يلعب به، وإن رسول الله ﷺ كان يزور أم سليم أحياناً، ويتحدث عندها، فتدركه الصلاة فيصلي على بساط، وهو حصير ينضحه بالماء[5]، وهذا شأنه أيضاً مع خادمه، فقد روى أنس ﷺ قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما أمرني بأمر فتوانيت عنه، أو ضيعته فلامني، فإن لامني أحد من أهل بيته، إلا قال:** «دعوه فلو قدر» **أو قال:** «لو قضي أن يكون كان»[6]، **ومع فئات أخرى من المدعوين له ﷺ نفس المسلك، فعن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان النبي ﷺ يكثر الذكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يأنف، ولا يستنكف أن يمشي مع الأرملة، والمسكين، فيقضي لهما حاجتهما[7].**

٤٨٠٩). وابن ماجة، كتاب الأدب، باب الرفق (رقم ٣٦٨٧).

(١) أخرجه الترمذي كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب ماجاء في صفة النبي ﷺ، (رقم ٣٦٣٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه كتاب الأطعمة، باب القديد، (رقم ٣٣١٢) وجاء في شرح سنن ابن ماجه للسندى قوله: وفي الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (رقم ٢٤٨٥) وأصل الحديث عند البخاري في كتاب الاستئذان بلفظ: أنه مر على صبيان فسلم عليهم (رقم ٦٢٤٧) وعند مسلم (رقم ٢١٦٨).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس (رقم ٦١٢٩) ومسلم، كتاب الأدب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته.. (رقم ٢١٥٠).

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الصلاة على الحصير (رقم ٦٥٨) وأحمد (رقم ١٢٥٦٧).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (رقم ١٣٠٠٥).

(٧) أخرجه الدارمي المقدمة، باب في تواضع رسول الله ﷺ، (رقم ٧٤) والنسائي، كتاب الجمعة، باب ما يستحب من تقصير الجمعة (رقم ١٤١٤).

كما أن للملأ، وهم الكبراء، والسادة، والأشراف من الناس(١)، نصيبهم من هذا المنهج الرفيق الحكيم، وقد أشار الله – تعالى – إليهم في غير ما موضع من كتابه الكريم، فقد حث الله الأنبياء – عليهم السلام – في دعوتهم لهذا الصنف على الرفق، واللين، والتلطف، والتدرج، في بيان الحق لهم، قال تعالى مخبراً عن موسى وهارون عليهما السلام: +ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ"(٢)، فأمرهما الله بدعوة فرعون، بكلام رقيق لين سهل، ليكون أوقع في النفوس، وأبلغ وأنجح(٣)، ولما في ذلك من التأثير في الإجابة(٤)، ذلك أن الكلام الذي الذي فيه شدة، وخشونة بادئ ذي بدء من أعظم أسباب النفرة، وعدم الاستجابة، والتصلب في الكفر(٥)، لاسيما إذا كان المدعو من الكبراء، الذين تغلب عليهم صفة الكبر، والتجبر(٦).

ولقد كان الرسول ﷺ بعد تعرفه ﷺ على المدعوين يولي ذوي المكانة منهم عناية خاصة، بل لقد كان يولي كبراء قومه عناية خاصة، لمكانتهم في قومهم، ومما يدل على ذلك مسلكه ﷺ حين "اجتمع علية من أشراف قريش... فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدو، وكان حريصاً يحب رشدهم، ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم"(٧).

وهكذا كان موقفه ﷺ مع عمه أبي طالب، وهو كبير قريش، حيث كان يقول له: "وأنت أي عم، أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه"(٨)، وهكذا كان موقفه ﷺ مع عتبة بن ربيعة، وهو أحد سادات قريش، فقد أظهر ﷺ من العناية به، والتلطف في دعوته، ماجعله يعود بغير الوجه الذي جاء به، ومما يدل على مكانته في قريش،

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٢٤٣/٣.

(٢) سورة طه، الآيتان ٤٣ ،٤٤.

(٣)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٥٣/٣.

(٤) انظر: فتح القدير، الشوكاني، مرجع سابق، ٣٦٦/٣.

(٥) انظر التفسير الكبير، الفخر الرازي، ٥٨/٢٢ وانظر: فتح القدير، الشوكاني، مرجع سابق، ٣٦٦/٣.

(٦) انظر: انظر التفسير الكبير، الفخر الرازي، مرجع سابق، ٢٢/ ٥٨.

(٧) السيرة النبوية، ابن كثير، مرجع سابق، ٤٧٨/١، ٤٧٩.

(٨) السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ٢٢٩/١.

قولهم: صبا أبو الوليد لتصبون قريش كلها[1]، بل كان يبدأ بعرض الدعوة على ذوي المكانة من الأشراف، والسادة، يقول ابن إسحاق: "لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف، وأشرافهم..، فدعاهم إلى الله"[2]، ثم لما عاد ﷺ إلى مكة، كان لا يسمع بقادم يقدمها من ذوي المكانة، والشرف إلا تصدى له، فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده[3]، كما كان يقوم بعرض دعوته على وفود العرب، في موسم الحج، وأسواق العرب، وكانت مناسبات هامة للالتقاء بذوي المكانة من رؤساء العرب، وكان يصطحب معه نسابة قريش أبا بكر الصديق ﷺ[4] ليقوم بمهمة تعريفه، بذوي المكانة، والشرف من هؤلاء الوفود، فيبدأهم بعرض الدعوة عليهم[5].

إن من يسلك في دعوته اللين، والموعظة الحسنة، واللطف، والمجادلة بالتي هي أحسن لهو صاحب مكانة اقتضت هذا المنهج الرفيع في خطابه، وقد قال الله ﷻ: +ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ"[6]، وجاء في معنى الموعظة الحسنة بأنها "القول اللين الرقيق من غير غلظة، ولا تعنيف"[7].

ومما يرد على ذلك من لطف النبي ﷺ ولينه في المعاملة، وإكرامه للناس، ما جاء فيما رواه صفوان بن أمية قال أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين، وإنه لأبغض الناس إليَّ فما زال يعطيني حتى صار، وإنه أحب الناس إليَّ[8].

وذلك يَمْثل أيضاً في سير الصحابة، كيف لا وقد ترسموا خطى داعية اللين، واللطف، والإكرام،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٣٣٩/١٥.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ٤٧/٢، ٤٨.

(٣) المرجع السابق، ٥٢/٢.

(٤) السيرة النبوية، ابن كثير، مرجع سابق،٤٣٧/١.

(٥) انظر: وقفات دعوية في رحلة سفير الدعوة الأولى مصعب بن عمير إلى المدينة، د. زيد بن عبدالكريم الزيد، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٢هـ) ص٣٦. وللمزيد حول دعوة الملأ، انظر دعوة الملأ إلى الإسلام في الكتاب والسنة، د. عبدالله المحلي، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود، غير منشورة.

(٦) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٧) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، مرجع سابق،٩٠/٣.

(٨) أخرجه الترمذي، كتاب الزكاة، باب ما جاء في إعطاء المؤلفة قلوبهم (رقم ٦٦٦) وأحمد رقم (١٤٨٨٠).

والرفق ﷺ، الذي حفظ للمدعو مكانته، ومنزلته، ومن ذلك ما جاء في موقف معاوية بن أبي سفيان ﷺ مع أحد منتقديه، وهو المسور بن مخرمة ﷺ [١]، فقد أحسن إليه، وقضى حاجته، وطلب منه النصح، وأخذ برأيه، قال عروة بن الزبير الراوي لهذه الحادثة: فلم أسمع المسور ذكر معاوية ﷺ إلا صلى عليه[٢]، ومعاوية ﷺ لم يحلم عليه فحسب، بل طلب منه النصيحة، وعمل بموجبها، ولم يتكبر عليه، ومما اشتهر معاوية ﷺ به ترغيبه لأصحاب الجاه، والرفعة بالمال، لعلمه أن المال محبب للنفوس، فعندما دخل عليه الحسن بن علي ﷺ قال له: "لأجزينك بجائزة لم يجزها أحد قبلي، فأعطاه أربعمائة ألف"[٣]، وقد قال سحنون[٤] لابنه محمد: يا بني سلِّم على الناس، فإن ذلك يزرع المودة، وسلِّم على على عدوك، وداره، فإن رأس الإيمان بالله مداراة الناس[٥].

والشواهد على هذه السهولة في التعامل، والجزالة في المروءة، وحسن الخلق لايسعها المقام هنا، ولكنها تؤكد أثر هذا المسلك في التأثير على الناس وإزالة ما قد يعلق بأذهانهم من انطباعات سلبية بشأن من يتعامل معهم، وهي في الوقت نفسه لازمة إلى إيجاد جسر من التواصل بين المتكلم ومخالفيه[٦]، ثم هي تثبت أن مكانة المدعو، ومنزلته الرفيعة هي التي استجلبت هذه الرعاية الرفيعة له باعتباره المُخاطب بالدعوة.

---

(١) هو المسور بن مخرمة بن نوفل أبو عبدالرحمن القرشي الهاشمي، عُدَّ في صغار الصحابة، كان ممن لزم عمر بن الخطاب ﷺ وحفظ عنه، قدم دمشق بريداً من عثمان بن عفان ﷺ يستصرخ بمعاوية ﷺ، وانحاز إلى مكة مع ابن الزبير ﷺ، وكان لا يقطع أمراً دون المسور بن مخرمة، وقد أصابه حجر منجنيق في الحصار على مكة فبقي بعده خمسة أيام ثم توفي ﷺ سنة ٦٤هـ. انظر سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، مرجع سابق، ٣٩٠/٣، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ٤١٩/٣.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، مرجع سابق، ١٥١/٣،١٥٠.

(٣) المرجع السابق، ١٥٤/٣.

(٤) هو عبد الله بن سعيد التنوخي من أهل أفريقية، وسحنون لقب له، أخذ العلم بالقيروان، كان فقيهاً حافظاً، من فقهاء أصحاب مالك وروى عنه أكثر من ثلاثين ألف مسألة، توفي بالبيرة سنة ٢٨٧هـ. انظر الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري المالكي (دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة) ٣١/١، ١٦٠، وانظر الثقات، محمد بن حبان بن أحمد البستي، تحقيق السيد شرف الدين أحمد (دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥هـ) ٢٩٩/٨.

(٥) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري المالكي ، مرجع سابق، ١٦٤/٢.

(٦) انظر: مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها في العصر الأموي، سعد بن أحمد الأحيدب، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٦هـ، غير منشورة، ص١٧٦ وما بعدها.

المبحث الخامس

الحرص على سلامة المدعو، وهدايته، وتحقيق الخير له

المطلب الأول

دعوته إلى الدين الذي يحقق الخير، والنفع له

يأتي في المقدمة من ذلك شريعة الإسلام، وتنظيماته التي وضعها الشارع لتحقيق النفع، والمصلحة للمدعو، ودرء كل ما يسيئ له، ويضره، وحين يكون للناس قيمة، واعتبار، فهم جديرون بأن يُدْعوا إلى ما يُنَظم حياتهم بما يحقق مصالحها في شتى مناحيها، ولذا فقد أحل لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث؛ لما في ذلك من تحقيق الخير، والمنفعة لهم، كما أن ذلك قد احتوى كل ما ييسر عليهم أمر دينهم، ودنياهم من أحكام الإسلام، وتشريعاته، قال الله تعالى: +ﭐﻟَّﺬِﻳﻦَ ﻳَﺘَّﺒِﻌُﻮﻥَ ﭐﻟﺮَّﺳُﻮﻝَ ﭐﻟﻨَّﺒِﻰَّ ﭐﻟْﺄُﻣِّﻰَّ ﭐﻟَّﺬِﻯ ﻳَﺠِﺪُﻭﻧَﻪُۥ ﻣَﻜْﺘُﻮﺑًﺎ ﻋِﻨﺪَﻫُﻢْ ﻓِﻰ ﭐﻟﺘَّﻮْﺭَﻯٰﺓِ ﻭَﭐﻟْﺈِﻧﺠِﻴﻞِ ﻳَﺄْﻣُﺮُﻫُﻢ ﺑِﭑﻟْﻤَﻌْﺮُﻭﻑِ ﻭَﻳَﻨْﻬَﻰٰﻫُﻢْ ﻋَﻦِ ﭐﻟْﻤُﻨﻜَﺮِ ﻭَﻳُﺤِﻞُّ ﻟَﻬُﻢُ ﭐﻟﻄَّﻴِّﺒَٰﺖِ ﻭَﻳُﺤَﺮِّﻡُ ﻋَﻠَﻴْﻬِﻢُ ﭐﻟْﺨَﺒَٰٓﺌِﺚَ ﻭَﻳَﻀَﻊُ ﻋَﻨْﻬُﻢْ ﺇِﺻْﺮَﻫُﻢْ ﻭَﭐﻟْﺄَﻏْﻠَٰﻞَ ﭐﻟَّﺘِﻰ ﻛَﺎﻧَﺖْ ﻋَﻠَﻴْﻬِﻢْ ۚ ﻓَﭑﻟَّﺬِﻳﻦَ ءَﺍﻣَﻨُﻮﺍ۟ ﺑِﻪِۦ ﻭَﻋَﺰَّﺭُﻭﻩُ ﻭَﻧَﺼَﺮُﻭﻩُ ﻭَﭐﺗَّﺒَﻌُﻮﺍ۟ ﭐﻟﻨُّﻮﺭَ ﭐﻟَّﺬِﻯٓ ﺃُﻧﺰِﻝَ ﻣَﻌَﻪُۥٓ ۙ ﺃُﻭ۟ﻟَٰٓﺌِﻚَ ﻫُﻢُ ﭐﻟْﻤُﻔْﻠِﺤُﻮﻥَ ﴿١٥٧﴾**"[(١)]، وفي هذا الشأن يقول ابن رجب: "أباح ماهو طيب حلال، تقوى به النفس، ويصح به الجسد، ويتعاونان على طاعة الله ﷻ، وحرم من ذلك ما هو ضار خبيث يوجب للنفس طغيانها وعماها، وقسوتها، وغفلتها، وأشرها، وبطرها"[(٢)].**

والمدعو بتلك الصورة قد ظفر بجملة من الإجراءات تحقق له ذلك، وتحفظ عليه مصلحته، فقد جاء عن العرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يارسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: «قد تركتكم على البيضاء: ليلها كنهارها، لايزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي»[(٣)]**، وحين شرع الله ﷻ ذلك فإنه لم يشرع للإنسان إلا مايوائم طبيعته[(٤)]، ويُعين على التعامل مع الأوضاع الخاصة للناس بما يريحهم.**

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٢) لطائف المعارف، ابن رجب، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (رقم ٤٤) وأحمد (رقم ١٦٦٩٢).

(٤) انظر مقدمة وجل موضوعات الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم الجوزية. وانظر علم السلوك في فتاوى شيخ

وحين ننظر لما جعل الله قرة عين رسوله ﷺ ونعيمه في الصلاة، فكان يقول: «يابلال أرحنا بالصلاة»، **فإن ذلك لم يشغله عن مراعاة المأمومين مع كمال حضور قلبه، وكان يدخل في الصلاة وهو يريد إطالتها، فيسمع بكاء الصبي فيخففها مخافة أن يشق على أمه، فقد جاء عن أنس ﷺ قال: سمع النبي ﷺ نداء صبي وهو في الصلاة، فخفف، فظننا أنه إنما فعل ذلك رحمة للصبي، إذ علم أن أمه معه في الصلاة[1]، وكذلك كان يصلي الفرض، وهو حامل أمامة بنت ابنته على عاتقة إذا قام حملها، وإذا ركع، وسجد وضعها، وكان يصلي فيجيء الحسن، والحسين فيركبان على ظهره، فيطيل السجدة كراهية أن يلقيه عن ظهره، وكان يصلي فتجيء عائشة فيمشي فيفتح لها، ثم يرجع إلى مصلاه، وكان يرد السلام بالإشارة[2]، ولقد جاءه أحد الصحابة ﷺ وهو عثمان بن أبي العاص ﷺ وقال: يارسول الله اجعلني إمام قومي، قال:** «أنت إمامهم، واقتد بأضعفهم»[3].

وبالنظر لجملة الأحكام المأخوذة نجد مافيها من استقصاء الراحة، والمنفعة للناس، والبلوغ في ذلك إلى غايته، وفي ذلك الدلالة الراسخة على أهمية من وضعت هذه الأحكام لأجله، وعلو منزلته.

وحين يأتي الحديث عما يجب على الوالي من مراعاة أمر الرعية يتأكد هذا الأمر، ويتعزز به ما للمدعو من قيمة، ومنزلة، فقد عاد عبيد الله بن زياد معقل بن يسار في مرضه، فقال له معقل: إني محدثك بحديث لولا أني في الموت لم أحدثك به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم، ولا ينصح إلا لم يدخل معهم الجنة»[4].

كما جاء عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله، وأوصيه بجماعة المسلمين: أن يعظم كبيرهم، ويرحم صغيرهم، ويوقر عالمهم، وأن لا يضربهم فيذلهم، ولا يوحشهم فيكفرهم، وأن لا يخصيهم فينقطع نسلهم، وأن لا يغلق بابه دونهم، فيأكل قويهم ضعيفهم»[5].

الإسلام ابن تيمية، المجلد العاشر.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (رقم ١٢٥٤٣).

(٢) مختصر زاد المعاد لابن قيم الجوزية، محمد بن عبدالوهاب (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩١هـ) ص/٢٩.

(٣) أخرجه أبو داود كتاب الصلاة، باب أخذ الأجر على التأذين، (رقم ٥٣١) والنسائي، كتاب الأذان، باب اتخاذ المؤذن الذي لا يأخذ على أذانه أجرًا (رقم ٦٧٢) وأحمد (رقم ١٥٨٣٦).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار (١٤٢).

(٥) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف، أحمد بن الحسين البيهقي (دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١هـ)

وكل ماقام عليه التشريع انطوى في حقيقته على سماحة الدين، ورفع الحرج، ومداراة الناس، وتحقيق حاجاتهم، وعدم إلقاء العنت عليهم، والعناية بمصالحهم، وتنبيههم لها في حال غفلتهم، وإكرامهم، وقد جاء فيما رواه أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»(١)، **كما وجه النبي ﷺ معاذاً وأبا موسى لما بعثهما إلى اليمن، بقوله:** «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا»(٢).

وقد بلغ الإكرام للناس بالتيسير عليهم، ورفع الحرج عنهم في شريعة الإسلام مداه، فقد حدث الأزرق بن قيس(٣)، قال: كنا بالأهواز نقاتل الحرورية، فبينا أنا على جرف نهر: إذا رجل يصلي، وإذا لجام دابته بيده فجعلت الدابة تنازعه، وجعل يتبعها، قال شعبة هو أبو برزة الأسلمي: فجعل رجل من الخوارج يقول اللهم افعل بهذا الشيخ، فلما انصرف الشيخ قال: إني سمعت قولكم، وإني غزوت مع رسول الله ﷺ ست غزوات، أو سبع غزوات، أو ثماني، وشهدت تيسيره، وإني إن كنت أن أراجع مع دابتي أحب إليَّ من أن أدعها ترجع إلى مألفها، فيشق علي(٤).

ومن الصور الرفيعة التي تظهر عناية الدين بالمدعو، وإكرامه، عناية الداعية بالجوانب التي لم يتنبه لها المدعو، ولها مساس بمصالحة، وتعود بالخير عليه، حيث يتولى الداعية تلبية حاجته فيما سأل عنه، أو طلبه، ويقرن ذلك بأن يلفت انتباهه لما فاته إدراكه، ولقد جاء في الحديث مايبين ذلك، فقد قال الرسول ﷺ : «من أكرم امرءاً مسلماً فإنما يكرم الله تعالى»(٥)، **كما قال عليه الصلاة والسلام:** «لايسب أحدكم الدهر، فإن الله هو الدهر، ولا يقولن أحدكم للعنب: الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم»(٦)، **وإكرام المدعو في هذه الناحية لايقف عند حد، طالما أن ذلك ارتبط بشريعة محكمة**

٢/٢٤٠، ٢٤١.

(١) أخرجه البخاري كتاب العلم، باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لاينفروا، (رقم ٦٩) ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير، وترك التنفير (رقم ١٧٣٢).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير، باب مايكره من التنازع، والاختلاف في الحرب (رقم ٣٠٣٨) ومسلم كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (رقم ١٧٣٣).

(٣) هو الأزرق بن قيس الحارثي البصري، ثقة من الثالثة، مات بعد العشرين ومائة. انظر: تقريب التهذيب، ابن حجر ، مرجع سابق، (رقم ٣٠٤).

(٤) أخرجه البخاري كتاب الجمعة، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة، (رقم ١٢١١).

(٥) المعجم الأوسط، باب من اسمه مطلب، (رقم ٨٦٤٥)، ٢٨٣/٨.

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب، باب كراهة تسمية العنب كرمًا (رقم ٢٢٤٧).

لايتطرق إليها النقص، والخلل، وكل مافيها يُمثل مسلكاً من مسالك الرعاية، والنفع[١]، ويحسن أن نلفت النظر في هذا المقام إلى مادار من حوار طويل فيما رواه سفيان بن حرب ﷺ في الحديث الطويل: إن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، فسألهم فيه عن محمد ﷺ وعن نسبه، وصفاته، وما يدعو إليه في جملة من الأسئلة، كان جواب كل منها يشير إلى مانالـه المدعو من إكرام، وعناية في دعوة النبي ﷺ، وفي ماجاء به من شريعة محكمة، جعلت هرقل يتأثر بما سمعه ويركن إلى الإسلام، ويُخاطب من في مجلسه بقوله: يامعشر الروم هل لكم في الفلاح، والرشد، وأن يثبت ملككم: فتبايعوا هذا النبي[٢].

---

(١) للمزيد حول عناية الإسلام بالإنسان في هذه الناحية، انظر فصلاً بعنوان الإنسان كائن مكرم، في كتاب الإنسان في الإسلام، د. أمين عبدالعزيز، مرجع سابق، ص ١١٨.

(٢) أخرجه البخاري بطوله كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، (رقم ٧).

المطلب الثاني

الحرص على هداية المدعو وتحقيق الخير له

ولاشك أن أهمية المدعو، وشدة الحرص على مصلحته، والتمسك بهدايته دليل على مكانته، وجاء الحديث في القرآن الكريم يصف مدى حرص النبي ﷺ على هداية الناس، فقد قال الله تعالى: +لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾"(1)، **وقال سبحانه:** +إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾"(2)، **وقال:** +وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾"(3)، **وقال ﷻ:** +فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾"(4)، **إن هذه الآيات لتدل على مدى الحرص على المدعوين، والرغبة القوية في أن يدخلوا في الإيمان، على الرغم من مواقف بعضهم السافرة في وجه من تصدى لدعوتهم، وسعى لمصلحتهم، وهذا الوصف الرفيع للرسول ﷺ في موقفه مع المدعوين، فيه حثٌّ للدعاة على أن يكونوا شديدي الحرص على هداية المدعوين، مهما بدر منهم من تحدٍّ للدعوة، وهذه الروح التي تقوم على هذه المحبة في تحصيل الهداية، والخير للمدعو، إنما قامت على ما رسخ في الهدي الدعوي للإسلام من مكانة للمدعو، لازمت الدعاة في سائر جهدهم معه، وجعلتهم يتضامنون معه، ويظهرون حرصهم عليه، ويتمنون إسلامه، وهدايته في أسرع وقت.**

وتكثر الشواهد الدالة على مدى حرص الرسول ﷺ على المدعوين، ورغبته القوية في أن يدخلوا في الإيمان، على الرغم مما واجهوه به من تحدٍّ سافر، وأذية بالغة(5)، بل إن هذا الحرص يزداد من الداعية مع المدعو كل ما زاد تعرضه للخطر بشدة انصرافه عن الحق، أو لدنو أجله مع بقائه على حاله السيئة، فقد روى أنس بن مالك ﷺ قال: كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ» فَنَظَرَ إلى أبيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ

---

(1) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(2) سورة النحل: الآية ٣٧.

(3) سورة يوسف: الآية ١٠٣.

(4) سورة الكهف: الآية ٦.

(5) انظر: فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبدالحميد محمود، مرجع سابق، ٢ / ١٠٢٠.

لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»[(١)]، **كذلك ماجاء في حرص الأنبياء على المدعو، كوصية الرسول ﷺ عند وفاته، فعن أم سلمة قالت: ثم كان من آخر وصية رسول الله ﷺ:** «الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم» **حتى جعل نبي الله ﷺ يلجلجها في صدره، وما يفيض بها لسانه**[(٢)]**، وهذا الحرص البالغ من الرسول ﷺ في اللحظات الأخيرة من حياته الزاكية، فيه الدليل على المكانة الرفيعة لمن يقف منهم الرسول ﷺ هذا الموقف المخلص، وهو من مسك الختام في هذا المجال، إذ كانت حياته ﷺ حافلة بما فيه الاحتفاء بالمدعو، والاهتمام بدعوته، والفرح بهدايته، ومن صور ذلك اتخاذ الرسول ﷺ لثابت بن قيس**[(٣)] **ﷺ خطيباً له سنة ٦ هجرية**[(٤)]**، بهدف الاستعداد لتلقي وفود، ورسل ملوك الأرض بالمدينة المنورة، ومنهم العرب، والعجم، ومن الدلالة على مكانة المدعو هنا استقبال هذه الوفود بمثل هذا الاستقبال.**

ولو أُتِيْح لممعن أن ينظر في الروح التي تقوم عليها عقيدة الإسلام، وشريعته، لوجد مدى الحرص على هداية المدعو، وتحقيق الخير له، والإشفاق عليه من السخط، والعقاب، يَمْثُل ذلك في اهتمام الإسلام بالناس إجمالاً، وحرصه على الوفاء بكامل الحقوق للمدعو[(٥)]**، كما أن العناية بما يلزم المدعو – حين تعرضه لجهد الدعاة، وما يترتب عليه من حقوق**[(٦)] **– وحثه على الأخذ بآداب التلقي، – حتى لو لم يركن إلى مايُدعى إليه – مما يعزز عناية الإسلام به، وإكرامه له.**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض، (رقم ١٣٥٦).

(٢) أخرجه أحمد (رقم ٢٥٩٤٤) وابن ماجه، كتاب الجنائز (رقم ١٦٢٥).

(٣) هو ثابت بن قيس بن شماس، وكان خطيب الأنصار، ويقال له: خطيب رسول الله ﷺ، شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، وقتل يوم اليمامة شهيدًا في خلافة أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما – شهد له رسول الله ﷺ بالجنة. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، مرجع سابق، (رقم ٢٥٣).

(٤) تشير بعض الروايات إلى أن ذلك كان في سنة ٩ هـ، حيث عمد الرسول ﷺ إلى ذلك ترقباً لوفود القبائل العربية خاصة في هذا العام، الذي عُرف بعام الوفود، ويؤيد ذلك ما أخبر به الرسول ﷺ حيث قال: « بعثت للناس كافة، وللعرب خاصة»، والاختلاف حول الزمن الذي اتخذ فيه الرسول ﷺ ثابتاً خطيباً له لايترتب عليه اختلاف في الدلالة على ما أشرنا إليه من كون اهتمام الرسول ﷺ بهذه الناحية دلالة على ما للمدعو من مكانة. انظر تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ٢٠٣.

(٥) انظر المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مرجع سابق، ص١٧٠.

(٦) انظر وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، (عالم الكتب، الرياض، ١٤١٠) ص ٤٨٥.

ويسعنا القول في هذا المقام بأن المدعو مهم للداعية، ويقع منه في موقع رفيع، لدرجة أن كل ماحصل من أذى للرسول ﷺ وصحبه ﵃ أثناء الدعوة إنما لحقهم بسبب الحرص على المدعو، وحب الخير له.

فها هو عمر الفاروق ﵁ يلقى العنت في سبيل ذلك، لكنه لاينفك من لهفته على صلاح المدعو، وهدايته، فعندما طُعن راعه ﵁ أن يكون الجاني من المسلمين المصلين، وحين جاءه الخبر على مايحب، قال: الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام، وجاء الناس فجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شاب، فقال: أبشر ياأمير المؤمنين ببشرى الله لك، قدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت، فعدلت، ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كفاف، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا عليَّ الغلام، قال: ابن أخي ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك[1]، وجاء عن مالك بن دينار[2] قال: لو وجدت أعواناً لناديت في منار البصرة بالليل: النار النار، ثم قال: لو وجدت أعواناً لفرقتهم في منار الدنيا ياأيها الناس النار النار[3].

ولننظر في استثمار الرسول ﷺ لأي موقف عارض، ينطوي على لفت الانتباه، وإثارة الاستغراب، فيوظف ذلك فيما يأخذ بالناس إلى المسار الصحيح الذي بارتياده تحصل الهداية، والاستقامة، ويتجلى ذلك في وقائع عديدة، منها، مارواه المغيرة قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أتعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة»[4].

وهذه اللهفة من الداعية على سلامة المدعو، ونجاته، تزيد، وجاهة في نظر المدعو حين يشعر بأنها خالصة لوجه الله، لايهدف من ورائها إلى ربح، أو جزاء، كما أنه لايُجازف بمصلحة المدعو بارتجاله ماليس به علم، وفي آي القرآن الإشارة إلى ذلك: +قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان (رقم ٣٧٠٠).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، مرجع سابق، ٢/١١-١٣.

(٤) أخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: لاشخص أغير من الله، (رقم ٧٤١٦) ومسلم، كتاب اللعان، رقم (١٤٩٩).

(١٤٩٩).

مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾"[١]، والمعنى "ماأطلب منكم من جعل تعطونيه عليه، وماأنا من المتكلفين، حتى أقول ما لا أعلم"[٢].

وتتبع ذلك في سير الأفذاذ من دعاة الإسلام يطلعنا على المدى الذي بلغه هذا المنهج في بناء مشاعر المحبة، والإخلاص للمدعوين، ومدى نجاعته طالما أن الأخذ به ماض بين الدعاة، وفي موقف لابن تيمية –رحمه الله– تجلية أخرى لهذا المنهج الراشد، فقد وقف مع أحد مناوئيه الذين ناصبوه العداء[٣]، فكان أن تأثر هذا الموقف بهذه الروح التي تقوم على محبة الخير للمدعو، ورحمته، والحرص على تحقيق الخير له، ومما قاله –رحمه الله– بشأن هذا المناوئ له، على الرغم من موقفه الجائر منه: "وأنا والله من أعظم الناس معاونة على إطفاء كل شر فيها، وفي غيرها، وابن مخلوف لو عمل مهما عمل، والله ما أقدر على خير إلا وأعمله معه، ولا أعين عليه عدوه قط، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هذه نيتي، وعزمي مع علمي بجميع الأمور، فإني أعلم أن الشيطان ينزغ بين المؤمنين، ولن أكون عوناً للشيطان على إخواني المسلمين، ولو كنت خارجاً لكنت أعلم بماذا أعاونه، لكن هذه المسألة قد فعلوها زوراً، والله يختار للمسلمين جميعهم ما فيه الخيرة في دينهم، ودنياهم.."[٤]، وهذه الروح التي تقوم على هذه المحبة في تحصيل الخير للمدعو إنما قامت على ما رسخ في الهدي الدعوي للإسلام من مكانة له، لازمت الدعاة في سائر جهدهم معه، ومابرحت بصحبة ابن تيمية، وماانفكت عنه حين يقول: "وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي.."[٥]، كما يقول في مقام آخر[٦]: "ونحن قوم نحب الخير لكل أحد، ونحب أن يجمع الله لكم خير الدنيا والآخرة، فإن أعظم ما عُبد الله به نصيحة خلقه، وبذلك بعث الله الأنبياء، والمرسلين"[٧].

---

(١) سورة ص، الآية ٨٦.

(٢) فتح القدير، الشوكاني مرجع سابق،٤/٦٣٥.

(٣) هو ابن مخلوف، الذي عاصر ابن تيمية، وعمد –بسبب الاختلاف معه– إلى مناصبته العداء، حين أصدر بشأنه جملة من الفتاوى الزائغة يحاربه بها، ويسعى أن يثير بها الحكام والعلماء ضده.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، مرجع سابق، ٣ / ٢٧١.

(٥) المرجع السابق، ٢٨ / ٥٥.

(٦) في ثنايا رسالته –رحمه الله– إلى ملك قبر النصراني (سرجون). انظر: المرجع السابق، ٦٠١/٢٨ ومابعدها.

(٧) المرجع السابق، ٦١٥/٢٨.

المبحث السادس

تلمس أحوال المدعو، ومعرفتها سعياً لمراعاتها

المطلب الأول

ضرورة معرفة أحواله، والاهتمام بها، ومراعاتها أثناء القيام بدعوته

حين حرص الإسلام على مراعاة حال المدعو في جميع إجراءات الدعوة، ومناشطها، فإن ذلك ماكان ليتم، والداعية يفتقر إلى معرفة تلك الأحوال، والاطلاع عليها، ومن هنا اكتسب المدعو مكانةً في جانب آخر، تَمثلت في أهمية أحواله، وظروفه، وحاجة الداعية أثناء الاتصال به إلى معرفة ذلك والإلمام به، ومن جانب آخر، فإن دراسة تلك الأحوال، والتأمل فيها ينبينا عن حقيقة واقعه الذي يمثل المقام، والمكانة، والمنزلة الحقيقية له.

وعلى ضوء مكانته يتحدد مدى مجال التعامل معه، وكيفيته، ويتحدد مدى الأخذ منه، والتعويل عليه، واعتباره في كل شأن يتصل بدعوته، وإعطاء كل ذي حق، ومقام مايناسبه، ومن أهميتها أن لايتحدث الناس مع أحد قبل معرفة مكانته، ومنزلته، وحالته، فيتخذ معه إجراء قد لايناسبه، ويكون سبباً في تنفيره.

كما أن من متطلبات هذه المراعاة التي يبين فيها قدر المدعو، ومكانته أن لا يُلْزَم بما يدعى إليه ويحاسب على التقصير في ذلك إلا إذا بلغ سن التكليف، مع توافر باقي شروطه فيه[١].

ومما يُعين على استقصاء حال المدعو، العمد إلى مايريحه، ويشعره بالاطمئنان، فيبادر بالإفصاح عن كل مايتعلق به من أحواله، بل وإكسابه الجرأة على التحدث عن مقامه، ومنزلته، ومايمتلكه من أوجه الاقتدار، والبروز، بما يلفت لذلك، ويدل عليه: كذكر نسبه، ومزاياه، ومآثره، فإنه بذلك يتحقق أمران: الأول: ما أُشِيْر له آنفاً، وهو معرفة صنفه، والإلمام بحاله، والثاني: تحقيق متطلبات نزعته التي جُبل عليها، حيث يحرص على أن يظهر للناس بما يسره من حال، وما يرتاح له من مقام، ولعل الأمر لرسول الله ﷺ في قول الله تعالى: +وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ"[٢] يتضمن التنويه إلى هذه الناحية بإعطاء تلك العشيرة مكانتها، لقرب موقعها من الرسول ﷺ، ومن المهم أن ندرج

---

(١) انظر فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبدالحليم محمود، مرجع سابق،١/١٤٢.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

تحت ذلك كل مافيه حرص المخاطب على دراية الداعية بمقامه، وإظهاره لذلك أثناء خطابه معه، فإن ذلك من أنصع الأوجه التي مكَّن الإسلام فيها المدعو من الحديث عن نفسه، بل والتباهي بوضعه حتى لو لم يكن وجيهاً في نظر الإسلام، وهذا جلي في شواهد عدة، منها تمكين الرسول ﷺ ثمامة ابن أثال ؓ[1] من ذلك، على الرغم من كونه مربوطاً بسارية المسجد بعد أن تم أسره، جاء ذلك فيما رواه أبو هريرة ؓ قال: ثم بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يُقَال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «ما عندك ياثمامة؟» **فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد، ثم قال له:** «ما عندك ياثمامة؟» **قال: ماقلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال:** «ما عندك ياثمامة؟» **فقال: عندي ماقلت لك، فقال:** «أطلقوا ثمامة» **فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله [2]، وجلي بأن روح الالتماس التي اكتنفت حديث ثمامة ؓ عن نفسه لم تخلو من بيان ما له من مكانة ومنزلة في قومه، ولم تخلو كذلك من نزعة تباهٍ، واعتزازٍ، قابلها الرسول ﷺ بالإنصات، والاحتفاء فكان من نتيجة ذلك كسب قلبه، وجذبه إلى دين الإسلام.**

ومن اليقين بأن تمكين الناس من الحديث عن أنفسهم، وإبراز مكانتهم هو المُهيئ الرئيس للقلوب، حتى تركن للدعاة، وتتقبل منهم، ولذا فلا بد من إفساح المجال للمدعو ليفصح عن مكانته، ومنزلته بما يلفت لذلك، ويدل عليه: كذكر نسبه، ومزاياه، ومآثره، وهذا يحقق متطلبات نزعته التي جُبل عليها، حيث يحرص على أن يظهر للناس بما يسره من حال، وما يرتاح له من مقام، ومن الشواهد -التي تضاف لما سبق- على ذلك، ماحصل حين قدم وفد مسالمة أهل الحبشة، فقد قال لهم الرسول ﷺ: «انتسبوا» **فانتسبوا إلى نبي الله العربي القديم هود ؑ، وافتخروا أنهم شاركوا في غزوات، ورحلات ذي القرنين أول ملوك التبابعة، أو تبع التبابعة، الذي**

---

(١) هو ثمامة بن أثال الحنفي، سيد أهل اليمامة، ارتد أهل اليمامة عن الإسلام غير ثمامة بن أثال ومن اتبعه من قومه، فكان مقيما باليمامة ينهاهم عن اتباع مسيلمة وتصديقه. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف ابن عبد الله بن محمد بن عبد البر، مرجع سابق، (رقم ٢٨٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال (رقم ٤٣٧٢) ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه (رقم ١٧٦٤).

ذكر خبره في القرآن[1]، كذلك ماحصل حين كان الرسول ﷺ يعرض دعوته على وفود القبائل في مواسم الحج، فقد كان يصطحب معه أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعمه العباس بن عبدالمطلب، وكان كل منهم يؤدي مع رسول الله ﷺ أثناء عرضه نفسه على القبائل دوراً يناسب مالديه مما حذقه، وتوافرت له الدراية به[2]، ويهمنا هنا مااضطلع به أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقد كان يتألف الوفود، ويستميلهم بذكر مآثرهم، ومفاخرهم، وأنسابهم[3].

ولعل ماعمد إليه الرسول ﷺ من صيغة خطابية لافتة، حين أمره الله تعالى بتبليغ دعوة الإسلام لمن حوله من عشيرته، فأنزل عليه: +وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ"[4]**، فخاطب بمقتضاها قريشاً، مراعياً ما يأبه له المخاطبون بما يشعرهم باعتبارهم لدى المُخاطِب، وفي أوساط الناس، فكان للمدعوين في خطابه ﷺ ما نوّه بمكانتهم، وأشعر بمنزلتهم حين ناداهم عليه السلام: كل فخذ منهم على حدة، فقد جاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: لما نزلت +**وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ" **جعل النبي ﷺ ينادي** «يابني فهر، يابني عدي» **ببطون قريش، وعنه أيضاً قال: لما نزلت +**وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ" **جعل النبي ﷺ يدعوهم قبائل قبائل[5]، وكانت رعاية الرسول ﷺ للمدعو –في هذه الناحية– ماثلة مع كل من تطلبت حاله إظْهارِ مكانته، والاحتفاء بمنزلته.**

---

(١) انظر أسد الغابة، في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير الجزري، تحقيق: عادل الرفاعي (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ) ٢/١٤٥، وانظر تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق،١ / ٣٦.

(٢) كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أعلم رجالات قريش بأنساب العرب، وأخبارهم، ومآثرهم، ومفاخرهم في الجاهلية، وبديارهم، ومواقعها، وأحوالها، ومواطن القوة، والمنعة فيها، ولدى أهلها، وكان رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يشاركان النبي ﷺ في دعوة رجالات الوفود، وعرض الإسلام عليهم، ومحاورتهم حوله، وبيان طبيعته، أمّا العباس فقد اختص دوره بتقديم النبي ﷺ لوفود القبائل، وتعريفهم بنسبه الشريف، وما هو فيه من عشيرته من عزة، ومنعة، والتوثق له ﷺ عند مبايعته لأحد الوفود. انظر البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، ٣ / ١٣٩، ١٤٠.

(٣) انظر السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ١/٤٤١. وانظر تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٤) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب إذا وقف أو أوصى لأقاربه (رقم ٢٧٥٢) ومسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى + وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾" (رقم ٢٠٨).

وقد امتثل صحب رسول الله ﷺ ذلك في سيرتهم ﷺ، وكانت المنزلة التي أنزلها رسول الله ﷺ أحداً من الناس مُطَّردة لديهم، وعوا حكمة ذلك، وفهموها، حين لاح لهم في أنفسهم أثر هذا المنهج الرصين في استجلاب مكامن الثقة فيهم، وإثارة مواطن القبول والتسليم لديهم، إذ ذلك يُخاطب فيهم نزعة في الذات، ترتبط لديهم بالقيمة، والمكانة، وما كان لها أن تبدو لترضي فضولهم دون تلك العناية، وانظر في أثر ذلك لدى ضماد بن ثعلبة الأزدي[1]، حين بايع رسول الله ﷺ على الإسلام، لمَّا رأى منه ما بهره من سمت، وحسن معاملة، أشعرته بقيمته لدى رسول الله ﷺ، ولدى مَنْ تَعَامَل معهم لاحقاً من الصحابة ﷺ، حيث بدا ذلك فيما تعامل به أفراد سريةٍ – بعث بها رسول الله ﷺ– حين مرت بقومه، وبيان ذلك فيما رواه ابن عباس رضي الله عنه قال: فقال رسول الله ﷺ لضماد «هات يدك أبايعك على الإسلام» **قال: فبايعه، فقال رسول الله ﷺ** : «وعلى قومك» **قال: وعلى قومي، قال: فبعث رسول الله ﷺ سرية فمروا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً ؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة، فقال: ردوها فإن هؤلاء قوم ضماد»**[2].

وفي سيرة عمر بن الخطاب ﷺ المزيد مما يشعر بمكانة المدعو حين دعوته، فعندما وقع الهرمزان[3] في أسر المسلمين، حين فتحهم لـ (تستر) إبَّان خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، تم إرساله إلى عمر بالمدينة، فاستفخمه ﷺ ودعاه للإسلام، فأسلم، ومعه بعض الجنود من الفرس، ففرض

---

(١) ضماد بن ثعلبة الأزدي من أزد شنوءة ، وله ذكر في حديث أخرجه مسلم والنسائي عن بن عباس أن ضماداً قدم المدينة وكان يرقي فسمع أهل مكة يقولون لمحمد ساحر أو كاهن أو مجنون فلقيه، فقال يا محمد إني أعالج، فقال له: الحمد لله نحمده ونستعينه.. الحديث، وفيه فأسلم ضماد وبايع قومه عن قومه، وكان صديقاً للنبي ﷺ. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، مرجع سابق، ٤٨٦/٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (رقم ٨٦٨).

(٣) الهرمزان الفارسي، كان من ملوك فارس، وأُسر في فتوح العراق، وأسلم على يد عمر رضي الله عنه ، ثم كان عنده مقيماً بالمدينة، واستشاره في قتال الفرس، وهو ممن كاتبهم الرسول ﷺ فقد كتب إليه: « من محمد رسول الله، إني أدعوك إلى الإسلام، أسلم تسلم.. » الحديث، وأورد الشافعي عن حميد عن أنس قال: حاصرنا تستر، فنزل الهرمزان على حكم عمر، فقُدِم به عليه، فاستفخمه، فقال له: تكلم لا بأس، وكان ذلك تأميناً من عمر، ومن رواية أخرى عن حميد عن أنس أيضاً: "بعثني أبو موسى الأشعري بالهرمزان إلى عمر، وكان نزل على حكمه، فجعل عمر يكلمه، فجعل لايرجع إليه الكلام، فقال له: تكلم، فقال: أكلام حي، أم كلام ميت، قال: تكلم لابأس عليك، قال: كنا وأنتم يا معشر العرب، ما خلى الله بيننا وبينكم، نستعبدكم، فلما كان الله معكم، لم يكن لنا بكم يدان... قال: فأسلم الهرمزان، وفرض له عمر رضي الله عنه..". انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، مرجع سابق، ٣٠١/٦.

لهم الفاروق ﷺ في ديوان العطا[(1)]، وفي سيرة عمر بن عبدالعزيز –رحمه الله– ما يشير إلى ذلك ويعضده، قال محمد بن الحكم: "وبعث عمر بن عبدالعزيز يزيد بن أبي مالك، والحارث بن محمد إلى البادية ليعلما الناس السنة، وأجرى عليهم الرزق، فقبل يزيد، ولم يقبل الحارث، وقال: "ما كنت لآخذ على علم علمنيه الله أجراً، فذُكر ذلك لعمر بن عبدالعزيز، فقال: "ما نعلم بما صنع يزيد بأساً، وأكثر الله فينا مثل الحارث"[(2)].

ومن ذلك ماقاله علي بن المديني شيخ الإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله: "اتخذ أحمد إماماً فيما بيني، وبين الله تعالى"، وقال: "أحمد اليوم حجة الله على خلقه"، وقال: " إن الله أعز هذا الدين برجلين لا ثالث لهما: أبو بكر يوم الردة، وأحمد يوم المحنة"[(3)].

وقد روى أبو موسى الأشعري ﷺ عن رسول الله ﷺ قوله: «إن من إجلال الله تعالى: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»[(4)]، **وعن عائشة – رضي الله عنها– قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم[(5)]، وعن جابر بن عبدالله ﷺ، أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد، ثم يقول:** «أيهما أكثر أخذاً للقرآن»، **فإن أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد[(6)]، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ :** «إن الله ﷻ قال: من آذى لي وليًّا فقد آذنته»[(7)]، **وفي هذه الأحاديث إشارات جلية إلى مسلك الإشادة بالآخرين، والثناء عليهم، عليهم، وبيان سماتهم الحسنة، ومزاياهم، مما يورث ثقة، وارتياحاً لدى المخاطب بهذه الأمور، والأمر في ذلك واسع جدًّا ليس هذا مقام تفصيله[(8)].**

---

(١) انظر المرجع السابق، نفس المجلد والصفحة.

(٢) انظر سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي، تحقيق: نعيم زرزور (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ). ، ١٦٧.

(٣) انظر لوامع الأنوار البهية، للسفاريني، ٦٤/١.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم (رقم ٤٨٤٣).

(٥) أخرجه مسلم، المقدمة، باب فأما القسم الأول فإن نتوضى أن تقدم.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد (رقم ١٣٤٣).

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع (رقم ٦٥٠٢).

(٨) لمزيد من التفصيل انظر التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي (الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، ١٤٠٣هـ) ص ١٥. وانظر مقدمة صحيح مسلم، حيث ورد فيها مايُؤصل لمبدأ إظهار المكانة والمنزلة في كل مقام، وإن كان الحديث في تلك المقدمة جاء بشأن المكانة العلمية، ومنازل الرجال التي يترتب عليها مدى الصدور عنهم والأخذ منهم، حتى يكون

وإذا كان هذا الأمر مسترسلاً في جانب القول فإنه لايقف عند حد الفعل، إذ يكمن في ذلك جانب جلي، يظهر فيه بإمعان قوة الإشادة بالآخرين، وتمكينهم من ذلك، وعمق أثر الإبلاغ عن المكانة بواسطة هذا السبيل، وقد جاء في هذا الصدد عن أنس ﷺ قال: دخل جرير بن عبدالله ﷺ على النبي ﷺ فضن الناس بمجالسهم، فلم يوسع له أحد، فرماه رسول الله ﷺ ببردته، وقال: «اجلس عليها»، **فأخذ جرير فلقيها بوجهه، ونحره، وقبلها وردها على ظهره، وقال: أكرمك الله يا رسول الله كما أكرمتني، فأقبل رسول الله ﷺ على أصحابه، فقال:** «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر» **ثلاثاً** «فإذا أتاه كريم قوم فليكرمه»(١)**، وما أبلغ الدلالة على ذلك فيما رواه أنس بن مالك ﷺ، قال: صحبني جرير فجعل يخدمني، وقال: إني رأيت الأنصار يصنعون برسول الله ﷺ شيئاً لا أرى أحداً منهم إلا خدمته**(٢)**، ومن السبل المعينة على تمكين الناس من إبراز حالهم، وعلو مكانهم طرح السؤال عليهم، ليُعْرَف ماهم عليه من ذلك، فينالون ماهم أهل له، سواء في التعامل معهم، أو حين دعوتهم**(٣)**، بل إنه "يستحب لمن ورد عليه زائرون، أو ضيوف، ونحوهم أن يسأل عنهم، لينزلهم منازلهم"**(٤).

وغياب ذلك في تعامل الداعية مع المدعو خاصة إذا كان ذا شأن، ورفعة ربما خلف ضغناً وحقداً منه يزيد في انصرافه، وإعراضه، وهذا يدعونا إلى "الحض على مراعاة مقادير الناس ومراتبهم، ومناصبهم، وتفضيل بعضهم على بعض في المجالس، وفي القيام، وغير ذلك من الحقوق"(٥).

وقد جاء بأن إسماعيل بن إسحاق القاضي(٦) **أقبل في مجلسه، فقام أبو العباس، فقال له إسماعيل:**

في ذلك "سمة يصدر عن فهمها من غبي عليه طريق أهل العلم في ترتيب أهله فيه فلا يقصر بالرجل العالي القدر عن درجته، ولا يرفع متضع القدر في العلم فوق منزلته، ويعطي كل ذي حق فيه حقه، وينزل منزلته" ، صحيح مسلم، ٦/١.

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه (رقم ٣٧١٢) وفي شرح سنن ابن ماجه السندي: وفي الزوائد: في إسناده سعيد بن مسلمة وهو ضعيف. وانظر شعب الإيمان، البيهقي، ٤٦٢/٧.

(٢) المرجع السابق، نفس المجلد والصفحة.

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم، مرجع سابق، ١٧٠/٨. و ٢١٢/١٤.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق آبادي، مرجع سابق، ٢٥٢/٥.

(٥) المرجع السابق، ١٣١/١٣.

(٦) هو إسماعيل بن حماد بن زيد بن إسحاق القاضي البصري، المتوفى سنة ٢٨٢هـ وقد تجاوز الثمانين، نشأ ببغداد وسمع من مسلم بن إبراهيم والمديني وغيرهم، كان حافظاً فقيهاً مالكياً، جمع وشرح في المذهب عدة مؤلفات في التفسير والحديث والفقه، ولي القضاء في

لاتفعل ياأبا العباس بحقي عليك إلا جلست، فأنشد أبو العباس:

ولما بصرنا به طالعا   حللنا الحبى وابتدرنا القياما

فلا تنكرن قيامي له   فإن الكريم يُجل الكراما(١)

وكل ذلك يشير إلى "الحض على مراعاة مقادير الناس، ومراتبهم، ومناصبهم، وتفضيل بعضهم على بعض في المجالس، وفي القيام، وغير ذلك من الحقوق"(٢).

وفي المناسبات التي يعرض الرسول ﷺ فيها دعوته "كان يخرج مع النبي ﷺ في هذه المواسم، عند عرضه ﷺ نفسه على القبائل، أبو بكر الصديق ﷺ، وابن عمه على بن أبي طالب، وعمه العباس بن عبدالمطلب(٣)، وكان أبو بكر أعلم رجالات قريش بأنساب العرب، وأخبارهم، ومآثرهم ومفاخرهم في الجاهلية، وبديار العرب ومنازلها وأحوالها، فكان يساعد النبي ﷺ في تَخَيّر الوفود التي يُرْتجى منها الاستجابة لدعوة الإسلام، والتي تمكنها ظروفها، ومواطنها، وقوتها، ومنعتها من بذل الحماية، والمنعة للنبي ﷺ ودعوة الإسلام، كما كان أبو بكر أثناء عرض النبي ﷺ نفسه على وفود القبائل، يتألفهم، ويستميلهم بذكر مآثرهم، ومفاخرهم، وأنسابهم"(٤)، وماكان النبي ﷺ ليعتني بهذه الجوانب في حياة المدعوين، لولا أهميتها، ومدى صلتها بجانب المكانة، والمنزلة.

بل لقد كان النبي ﷺ يتخير بين وفود قبائل العرب القبائل ذات القوة، والمنعة منذ السني الأولى للنبوة، وحرص على كسب مساندتها، ومؤازرتها، وحمايتها، وتأييدها لدعوة الإسلام: قبيلة كندة وقبيلة بكر بن وائل، وقبيلة ذُهل بن شيبان من ربيعة، وقبيلة بني حنيفة(٥)، وتأكدت نجاعة

أيام المتوكل، انظر البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، ٧٢/١١.

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ) ٣٤٧/١.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق آبادي ، مرجع سابق، ١٣١/١٣، ١٣٢. وانظر فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٥٣/١١.

(٣) انظر البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، ١٣٩/٣، ١٤٠. مرجع ٣١ ص ٨٠.

(٤) انظر السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ٤٤١/١. مرجع ٣١ ص ٨٠.

(٥) انظر البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، ١٣٩/٣-١٤٤، وانظر والسيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ٤٢٤/١، ٤٢٥، وانظر وتاريخ الإسلام، الذهبي، مرجع سابق، ١٧٠/١،١٦٩. وانظر فتوح البلدان، البلاذري، مرجع سابق، ٢٩٥/٢. وانظر تاريخ

هذا الإجراء فيما ظهر من تأسي بعض شيوخ هذه القبائل العربية، وزعمائها، الذين لم يحضروا موسم الحج بمكة، حيث فاتهم الحظوة التي سينالها كل من تعرض لهذه الدعوة حين مكنهم صاحبها ﷺ من الإدلاء بحالهم، والتباهي بمقامهم، وماينالهم من جراء ذلك من فضل، ومزية[(١)].

الرسل والملوك، الطبري، مرجع سابق، ٢/١٩٣-٢١٢. وانظر البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، ٣/١٤٠- ١٤٤.

(١) ومن أولئك أحد شيوخ قبيلة عامر بن صعصعة الذين تخلفوا عن موسم الحج، وقد كان أدركته السن حتى لايقدر أن يوافي معهم المواسم أبدى لوفد قبيلته العائد من أداء مناسك الحج أسفه على عدم استجابتهم لما دعاهم إليه النبي ﷺ ووبخهم على تفويتهم هذه الفرصة التي سنحت لهم، وهذا الخير الذي طرق بابهم منبهاً لهم إلى أن النبوة التي جاءهم بها النبي لم يدعها أحد من أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام أبو العرب المستعربة العدنانية قط، وأنهم قد فاتهم بإعراضهم عن دعوة الإسلام، ونبيه ﷺ خير كثير قائلاً لهم: "والذي نفس فلان بيده ما تقولها إسماعيلي قط، وإنها لحق فأين رأيكم كان عنكم" انظر السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ١/٤٢٥. مرجع ٣١ ص٨٧.

المطلب الثاني

الاحتراز عمَّا يلحق الضرر، والعنت به، ويُسِيء إليه

إن الاهتمام بما ينفع المدعو، ويحقق المصلحة له يقتضي وقايته من كل مايسيئ له، ويلحق الضرر به، ولذا فقد ظفر المدعو –في دعوة الإسلام– بجملة من الإجراءات، تحقق له ذلك، وتحفظ عليه مصلحته، قال الله تعالى: +وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ"(١).

إن مقارفة الكذب على الناس، وتضليلهم يلحق ضررًا بالغًا بهم، ويؤثر عليهم في دنياهم وآخرتهم، ولأهمية المدعو، وعظم مكانته كان النهي عن ذلك في حقه حاسماً، والعتب على مرتكبه موغلاً، قال الله تعالى: +ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾"(٢)، وقال ﷻ: +إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾"(٣).

وفي ذلك مجازفة كبرى بدين الناس، حين يُطرح فيهم عقائد خاطئة، وأفكار فاسدة بسلوك هذا المنحى من مناحي الكذب، والتزوير، الذي يؤدي إلى حيرة المدعو، وتضليله، وزلة كزلة علماء النصرانية في عقائدها كان لها أثرها في إحداث ذلك الأثر المزري لدى المدعو، ودليل على عدم الاهتمام به، وبرعايته، وضعف مكانته لديهم، ولايمكن أن يتوافر ذلك لدى طائفة "أصل عقيدتها: أن الله ثالث ثلاثة، وأن مريم صاحبته، وأن المسيح ابنه، وأنه نزل على كرسي عظمته، والتحم ببطن الصاحبة، وجرى له ماجرى، إلى أن قتل، ومات، ودفن، فدينها عبادة الصلبان، ودعاء الصور المنقوشة بالأحمر، والأصفر في الحيطان"(٤).

ومن الأفكار التي تنطوي على إهانة المدعو، وعدم اعتبار ماله من مكانة أفكار الخوارج،

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

(٣) سورة النحل: الآية ١٠٥.

(٤) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، (الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة بدون) ص ٤٨٣.

كونها تُلَبِس عليه الدين، وتخلط المسائل ببعضها، بل إنها تجعل المدعو في عنت من أمره، وفي شدة مع إخوانه، حين تجره إلى التكفير، وإخراج المسلمين من دينهم، وتجريدهم من عصمتهم، التي نالوها بدين الإسلام بأمر من الله تعالى ورسوله ﷺ، فيعتدون على النفس، والمال، والعرض تحت هذه الذريعة المقيتة، بل وساهموا في تعطيل الفرائض، والأحكام، حين قالوا: بأن من لم يخرج، ويحارب المسلمين فهو كافر ولو اعتقد معتقدهم، وعظم البلاء بهم، وتوسعوا في معتقدهم الفاسد، فأبطلوا رجم المحصن، وقطعوا يد السارق من الإبط، وأوجبوا الصلاة على الحائض في حال حيضها، وكفروا من ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: إن كان قادرا، وإن لم يكن قادرًا فقد ارتكب كبيرة، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر، وكفوا عن أموال أهل الذمة، وعن التعرض لهم مطلقاً، وفتكوا بمن ينسب إلى الإسلام بالقتل، والسبي، والنهب، فمنهم من يفعل ذلك مطلقاً بغير دعوة منهم، ومنهم من يدعو أولاً، ثم يفتك[1]، ولاشك بأن هذا المسلك مع المدعو لاينم عن أي قدر من المكانة، والرعاية، والاهتمام، والإشفاق، كيف وقد قال الرسول ﷺ : «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تعلنه، وحتى إن كان أخاه لأبيه وأمه»[2]، بل إن مراعاة ذلك في حق المدعو تقتضي ماهو أكثر تقصياً، واحترازاً، كالحرص على البعد عمَّا يسيئ لمشاعره، أو يشوه سمعته، كذكر اسمه عند دعوته إلى مافيه لفت الآخرين إلى رزيته، أو الرد عليه إلا إذا اشتهر اسمه اشتهاراً انتشر به شرُّه، وضلاله.

وخلاصة القول: فإن عناية الإسلام بأن لايترتب على دعوة المدعو ما يضره، ويلحق الأذى به فيه الدلالة على ماله من مكانة، ومنزلة، لم ينلها مدعو في ظل الدعوات الأخرى.

---

(١) لمعرفة المزيد عن القوم وأفكارهم وعقائدهم انظر فتح الباريء، ابن حجر، مرجع سابق، ٢٨٥/١٢. وانظر المحلى، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة بدون) ١١٠/١١.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم (رقم ٢٦١٦).

المطلب الثالث

إنصاف المدعو حين دعوته، والتعامل معه بالعدل والموضوعية

إن إنصاف المدعو والعدل معه، وذكر ما له، من أقوى الشواهد في جهد الداعية، على أن للمدعو مكانة، ومنزلة عنده، وإذا كان للمدعو منزلته لدى الداعية، فإن هذه المنزلة تقتضي من الداعية عدلاً حين مخاطبة المدعو، وإنصافاً حين بيان حاله، وأن لا يكون حيف الداعية على المدعو سبباً في تفويت حقه في العدل والإنصاف، قال الله تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ"(١)، وإذا كان ذلك هو السائغ لكل ذي حق – حتى من كان موقفه داعٍ لكرهه، والانصراف عنه – فلا شك أن المدعو في الصدارة من ذلك، إذ حاله البائس أشد في لفت الداعية إليه، وابتداره، والأخذ بيده إلى ما فيه سلامته، وإنقاذه، وإنما ازداد رصيده من هذا الحق لما حظي به من مكانه، وهذا المنهج واضح جلي في سيرة الرسول ﷺ وهديه الدعوي، وفي سيرة أئمة العلم، والدعوة من سلفنا الصالح، ومقتضى الاقتداء بهم يدعو الدعاة إلى أن"يعاملوا الناس بما أمر الله به ورسوله ﷺ من العدل بينهم، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإقامة الحدود بحسب الإمكان"(٢).

وهذا يؤكد مدى العناية الفائقة بالمدعو، ويدل بالتالي على ما له من مكانة في منهج الإسلام، فحين يحتفي هذا المنهج بفئة معينة من المدعوين، لكونهم من أهل الرفعة في النسب، والقيمة في المجتمع، فقد تم التعامل معهم بالإنصاف، والموضوعية، حين لم يتم تجاهل ذلك في حقهم، ويتجلى ذلك فيما بدا من حكمة الله ﷻ، حين جعل في أمةٍ: كقريش منحته، وكرامته، بأن اصطفى منهم خاتم الأنبياء وسيد الرسل ﷺ، فلذلك أثره في إشعار أولئك بمدى العناية بما حباهم الله تعالى به من الرفعة، والمكانة، وجاء بيان ذلك فيما رواه مسلم عن واثلة بن الأصقع ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»(٣).

وإذا كان الحديث عمّا للمدعو من قيمة، وما يتمتع به من قدرة، ومزية من مظاهر العناية به،

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨.

(٢) انظر: الاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ٢ / ١٦٨.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب الرسول ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، (رقم ٢٢٧٦)

والشعور بما له من منزلة اقتضت هذه الإشادة، وقادت إلى هذا الاحتفاء، فإن هذا لايصادم أمر الإسلام بترك المدح، وتجنبه إشفاقاً من أضراره على الممدوح[(١)]، فقد عمد الرسول ﷺ إلى ذكر ما امتاز به جملة من صحابته ﷺ إبرازاً منه إلى ما لهم من مكانة، ومن ذلك مارواه أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أبو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أَبِي بْنُ كَعْبٍ[(٢)]، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَأَمِينُ هَذِهِ الأمة أبو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ[(٣)]»[(٤)]، **ويرفع ﷺ من شأن أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما– فيما رواه علي بن أبي طالب ﷺ ، قال: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ ﷺ إِذْ طَلَعَ أبو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:** «هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، إِلا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، يَاعَلِيُّ لا تُخْبِرْهُمَا»[(٥)]، **وفي شأن عبدالله بن مسعود ﷺ يُظهر الرسول ﷺ ما له من مزية أكسبته مكانة خاصة، جعلت أبا بكر وعمر –رضي الله عنهما– يبشرانه بقول الرسول ﷺ فيه:** «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»[(٦)]، **وفي إخبار آخر يبين ما لهذا الجانب في هدي الرسول ﷺ من أهمية، وعناية بما للناس من مكانة، واعتبار، يجب أن يُشاد بهم لأجلها، ففيما رواه عبدالله بن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ**

---

(١) جاء في النهي عن المدح بعض الأحاديث، منها: مارواه عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أبيه قَالَ: أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: « وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ أَخِيكَ ثَلاثًا مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا لا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلانًا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ وَلا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا إِنْ كَانَ يَعْلَمُ » أخرجه البخاري، في كتاب الأدب، باب ماجاء في قول الرجل ويلك، (رقم ٥٦٩٦).

(٢) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية الأنصاري النجاري، أبو المنذر، سيد القراء، من أصحاب العقبة الثانية، شهد بدراً، والمشاهد كلها، قال عنه النبي ﷺ: « ليهنك العلم أبا المنذر »، وقال له: « إن الله أمرني أن أقرأ عليك » وكان عمر ﷺ يسميه سيد المسلمين، كان أول من كتب للنبي ﷺ، مات سنة عشرين، وقيل سنة ثلاثين في خلافة عثمان ﷺ. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، مرجع سابق، ١٩/١، ٢٠.

(٣) أبو عبيدة هو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب الفهري، مشهور بكنيته، وبالنسبة إلى جده، أسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم، وأحد العشرة، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً، وما بعدها، توفي سنة ثماني عشرة، وعمره ثمان وخمسون، وقيل إحدى وأربعون، انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، مرجع سابق، ٢٥٣/٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح ﷺ (رقم ٣٧٤٤) ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح ﷺ (رقم ٢٤١٩).

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما، (رقم ٣٦٦٤، ٣٦٦٥) والإمام أحمد، في مسنده، (رقم ٦٠٣).

(٦) أخرجه ابن ماجه، في المقدمة، باب فضائل عبدالله بن مسعود ﷺ، (رقم ١٣٨) وأحمد (رقم ٣٦) (٢٦٧).

يقول: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ[(١)]: مِنِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ -**فَبَدَأَ بِهِ**- وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حذيفة[(٢)]»[(٣)]، **وفي موضع آخر يُبرز الرسول ﷺ مكانة معاذ بن جبل رضي الله عنه ونبوغه في العلم بقوله:** «أَعْلَمُ أُمَّتِي بِالْحَلالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذ بِنْ جَبَل»[(٤)]، **ولذا فحين توجه الرسول ﷺ إلى حنين أخلفه من بعده في مكة، ليفقه أهلها ويقرئهم القرآن**[(٥)].

بقي أن نُشير إلى أن إعمال ذلك مع المدعوين حين دعوتهم بعيد عمَّا قد يُثار عليه من تحفظ، مفاده إن الإشادة بالبعض قد تنطوي على لمز بالآخرين ممن هم الأقل في القدرة، والمكانة، والمنزلة، وهذا غير وارد، بل فيه التحفيز لمن قصرت بهم الهمم على اللحاق بمن جازهم، كما أنه مقتضى العدل، والإنصاف حين ينال كل المدعوين في هذا المجال ما لهم من الحق، والمزية، ومراعاة الأقل في ذلك، لا تعني الإغضاء عن مزايا أهل التميز، والظهور، وفق ما سبق من بيان.

---

(١) لايُفهم من ذلك أن تلقيه مقصور عليهم دون غيرهم، وفي بيان ذلك وتوضيحه قال الإمام النووي -رحمه الله-: قال العلماء هؤلاء أكثر ضبطاً لألفاظه، وأتقن لأدائه، وإن كان غيرهم أفقه لمعانيه منهم، أو لأن هؤلاء الأربعة تفرغوا لأخذه منه ﷺ مشافهة، وغيرهم اقتصر على أخذ بعضهم من بعض، أو لأن هؤلاء تفرغوا لأن يُؤخذ عنهم، أو أنه ﷺ أراد الإعلام بما يكون بعد وفاته من تقدم هؤلاء الأربعة، وتمكنهم، وأنهم أقعد من غيرهم في ذلك فليؤخذ عنهم. (انظر صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ١٧/١٦).

(٢) هو سالم بن عبيد بن ربيعة، وقيل سالم بن معقل، كنيته أبو عبدالله، وهو مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعه، من المهاجرين، ويعد في القراء، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، استشهد يوم اليمامة. (انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، مرجع سابق، ٢٤٥/٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه (رقم ٣٨٠٨) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبدالله بن مسعود، (رقم ٢٤٦٤).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل ... (رقم ٣٧٩٠) وقال: هذا حديث حسن (رقم ٣٧٩١) وقال: هذا هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه، باب فضائل معاذ بن جبل رضي الله عنه (رقم ١٥٥)، ابن سعد، في الطبقات الكبرى، ٣٤٨/٢، وقال الألباني في صحيح الجامع ٢٠٩/٥: صحيح، بلفظ: « معاذ بن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه» نقله عن أبي نعيم في الحلية.

(٥) انظر الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري، مرجع سابق، ٣٤٨/٢.

المبحث السابع

التعامل مع المدعو بمبدأ الإقناع، والرضى لا الإكراه

المطلب الأول

الأصل في مخاطبته إعلامه بالحق، ودعوته إليه لا قتاله، وإلحاق العنت به

من أهم الصور في احتفاء دعوة الإسلام بالمدعو تمكينه من المعرفة والإلمام بما يُدعى إليه، والحذر من إلحاق العنت به لأمر لم يعرفه بالقدر الذي يعينه على تصوره، والحكم عليه، ولذا فكان من الأصول المهمة في دعوة الإسلام عدم مباشرة قتال المدعو إلا بعد إعلامه، وإنذاره، وحين يحصل البلاغ فلا ضير حينئذ من الشروع فيما بعده من إجراء في حال الإعراض، وذلك حسب ماتقتضيه مصلحة الدعوة، والمدعو، فإذا كان من مقتضيات تلك المصلحة مباشرة القتال، فلا بأس إن انساق مع قواعد الهدي الدعوي الصحيح، وأصوله، وقد جاء في ذلك عن عبد الله بن عون قال: كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال، فقال: إنما كان ذلك في أول الإسلام، أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق، وهم غارون، وأنعامهم على الماء، فقتل مقاتلهم، وسبى سبيهم، وأصاب يومئذ جويرية بنت الحارث.[(١)]، وكان الحسن يقول: ليس على الروم دعوة، لأنهم قد دعوا، وعن أبي حمزة قال: قلت لإبراهيم إن ناسا يقولون: إن المشركين ينبغي أن يدعوا، فقال: قد علمت الروم على ما يقاتلون، وقد علمت الديلم على مايقاتلون.

وربما كان ذلك آكد في بداية دعوة الإسلام حين لم يكن لها من الانتشار ماصار لها بعد ذلك، وقد جاء أن الدعاء إنما كان في أول الإسلام، لأن الناس حينئذ لم تكن الدعوة بلغتهم، ولم يكونوا يعلمون على ما يقاتلون عليه؛ فأمر بالدعاء ليكون ذلك تبليغاً لهم وإعلاماً لهم ما يقاتلون عليه، ثم أمر بالغارة على آخرين فلم يكن ذلك إلا لمعنى لم يحتاجوا معه إلى الدعاء، لأنهم قد علموا ما يدعون إليه لو دعوا، وما لو أجابوا إليه لم يقاتلوا فلا معنى للدعاء، وهكذا كان أبو حنيفة، وأبو يوسف وغيرهما – رحمة الله عليهم أجمعين – يقولون: كل قوم قد بلغتهم الدعوة فأراد الإمام قتالهم فله أن يغير عليهم، وليس عليه أن يدعوهم. وكل قوم لم تبلغهم الدعوة فلا ينبغي قتالهم حتى يتبين لهم المعنى الذي عليه يقاتلون، والمعنى الذي إليه يدعون[(٢)].

وفي ذلك من الحفاظ على فائدة المدعو، ومصلحته مايدل على مكانته، وحيث كمنت هذه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العنق، باب عن ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع (رقم ٢٥٤١) ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الإغارة على الكفار (رقم ١٧٣٠).

(٢) شرح معاني الآثار، أبوجعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، مرجع سابق، ٣/٢٠٩.

المصلحة فهي مطلب للداعية يحرص عليه حتى ولو كانت في ظاهرها مؤلمة للمدعو، وغير مرغوبة منه.

وسواء أكان للمدعو من المكانة ما يُعتد بها، ويلزم مراعاتها، أو مكانة لا ترتقي إلى الاعتداد الشرعي بها، لكنها مما اعتبره الناس في حياتهم، واحتفوا بها، لسوء الأفهام، وانتكاس المفاهيم، فهي تأخذ نفس المقام من حيث لزوم المراعاة، فالمكرم في قومه يلزم مراعاته حتى لو كان طاغياً متجبراً، وكانت مكانته قائمة على ما لا يُعتد.

وذلك يمضي أيضاً، ومن باب أولى مع فئات هي أضعف في مقامها: كالأسير إذا أسلم، فإنه لايزول ملك المسلمين عنه، ولاتخلو مسؤوليتهم منه، فقد جاء من ذلك عن عمران بن حصين قال: كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلا من بني عقيل، وأصابوا معه العضباء، فأتى عليه رسول ﷺ، وهو في الوثاق، فقال: يامحمد! فأتاه، فقال: «ما شأنك؟» **فقال: بما أخذتني، وأخذت سابقة الحاج، يعني العضباء، فقال:** «أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف»، **ثم انصرف فناداه، فقال يامحمد يامحمد! فقال:** «ما شأنك؟» **قال: إني مسلم قال:** «لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح» **ثم انصرف عنه فناداه: يامحمد يامحمد! فأتاه، فقال:** «ما شأنك؟» **فقال: إني جائع فأطعمني، وظمآن فاسقني، قال:** «هذه حاجتك»، **ففدي بعد بالرجلين.**(١)**، ويفاد من هذا الحديث "أنه لايزول ملك المسلمين عن الأسير بمجرد إسلامه، لأن هذا الرجل أخبر بأنه مسلم، وهو في الأسر، فلم يقبل منه ﷺ، ولم يفكه من أسره...، وفيه دليل على أن للإمام أن يمتنع من قبول إسلام من عرف منه أنه لم يرغب في الإسلام، وإنما دعته إلى ذلك الضرورة، ولا سيما إذا كان في عدم القبول مصلحة للمسلمين، فإن هذا الرجل استنقذ به النبي ﷺ رجلين مسلمين من أسر الكفار، ولو قبل منه الإسلام لم يحصل ذلك. ويمكن أن يقال: إن معنى قوله ﷺ:** «لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح» **أي لو قلت كلمة الإسلام، أو هذه الكلمة التي أخبرت بها عن الإسلام قبل أن يقع عليك الأسر لكنت آمناً، ولم يجر عليك ما جرى من الأسر، وأخذ المال، ولم يرد رد إسلامه، بل قبله منه، ولكنه لم يحصل بإسلامه الفكاك من الأسر، وإرجاع ما أخذ من ماله، فلم يحصل له كل الفلاح، لأنه لم يعامل في تلك الحال معاملة المسلمين، بل عومل معاملة الكفار، فبقي في وثاقه، وتحت ملك من أسره"**(٢)**، فتحقق بذلك مستوى رفيع من الموازنة بين الحرص على هداية ذلك الرجل،**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله (رقم ١٦٤١).

(٢) نيل الأوطار، الشوكاني، مرجع سابق، ٣٣١/٤.

واغتنام دخوله في الإسلام من تلقاء نفسه، وبين تحقيق المصلحة العامة التي حصل بها، فكاك الأسرى، ولم يعترِ مكانته ما يخل بها، أو يؤدي إلى انتهاكها.

المطلب الثاني

إعانة المدعو على معرفة طريق الحق، والأخذ بيده لطريق النجاة

ومن مظاهر هذه المكانة للمدعو عدم التكاسل في دعوته انطلاقاً من الحرص الصادق على مصلحته، والتفاني في إدراك المصلحة له، وعدم اليأس حين لايستجيب، وقصة نوح عليه السلام مع قومه ومحمد ﷺ مع عمه أبي طالب من الشواهد المؤكدة على مصابرة ذلك، وعدم اليأس من هداية المدعو، مهما كان معرضاً، وفيها الدلالة على عظم هذه المكانة للمدعو، فلم يزل رسول الله ﷺ يدعو عمه أبا طالب للإسلام، حتى بذل في ذلك غاية جهده، ووصل -عليه الصلاة والسلام- به إلى منتهاه، فإنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «ياعم قل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله» **فقال أبو جهل، وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبدالمطلب. وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ:** «أما والله لأستْغِفرَنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك» **فأنزل الله تعالى فيه:** +مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ..." الآية[1]»[2].

ومكانة المدعو في هذا المقام تُبْرِز ضرورة تمكينه من معرفة الحق، والتعرف عليه، حتى إذا ماانصرف عنه فليس للبس لديه حوله، وإنما لدافع يتصل بذات المدعو نفسه، وقد جاء في دعاء الرسول ﷺ على قريش حين ارتحلت إليه مايشير إلى تعزيز ذلك، ويبين أهمية العمد إلى الإبلاغ، ليكون الإعذار حين يحصل الإعراض: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها، وفخرها، تُحَادُّك وتكذب رسولك، اللهم أحنهم الغداة»، وفي قوله تعالى: +لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ

---

(١) وهي قول الله تعالى : +مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾" سورة التوبة، الآية ١١٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: «لا إله إلا الله (رقم ١٣٦٠) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت (رقم ٢٤).

عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾"[١] قال محمد بن إسحاق: أي ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآية، والعبرة، ويؤمن من آمن على مثل ذلك[٢].

ومن العناية بالمدعو في هذا الشأن الشد من أزره، وتقوية معنوياته بمختلف السبل، قال مجاهد في قول الله تعـــالى: +إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾" [٣]،

أراهم الله إياه في منامه قليلاً، وأخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك، فكان تثبيتاً لهم...، وقوله: ولو أراكهم كثيراً لفشلتم، أي لجبنتم عنهم، واختلفتم فيما بينكم، ولكن الله سلَّم – أي من ذلك – بأن أراكهم قليلاً، وقوله: +وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا" وهذا أيضا من لطفه تعالى بهم، إذ أراهم إياهم قليلاً في رأي العين، فيجرؤهم عليهم، ويطمعهم فيهم[٤].

ويرد في هذا المقام الترفق مع المدعو، وإلانة الجانب له، فذلك من الصور التي تبدو فيها مكانته، ويترتب عليها زيادة إقباله على الحق حين يُعْرض عليه، ويمثل ذلك في مواضع، منها ماجاء في قوله تعالى: +ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾"[٥]، وهذا من حلمه تعالى، وكرمه، ورأفته، ورحمته بخلقه مع علمه بكفر فرعون، وعتوه، وتجبره، وهو إذ ذاك أردى خلقه، وقد بعث إليه صفوته من خلقه في ذلك الزمان، ومع هذا يقول لهما، ويأمرهما أن يدعواه إليه بالتي هي أحسن برفق، ولين، ويعاملاه معاملة من يرجو أن يتذكر، أو يخشى..، قال الحسن البصري: فقولا له قولا لينا. أعذرا إليه، قولا له: إن لك ربا، ولك معادا، وإن بين يديك جنة، ونارا. وقال وهب بن منبه: قولا له: إني إلى العفو، والمغفرة أقرب مني إلى الغضب، والعقوبة. وقال يزيد الرقاشي عند هذه الآية: يا من يتحبب إلى من يعاديه، فكيف بمن يتولاه، ويناديه[٦].

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٤٢.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٣١٦/٢. وانظر السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ١٦٨/٣. وانظر تاريخ الرسل الطبري، مرجع سابق، ٣٠/٢.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان ٤٣، ٤٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٣١٦/٢.

(٥) سورة طه، الآيتان ٤٣، ٤٤.

(٦) البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، ٢٥٢/١، ٢٥٣.

ولقد كان في هذا المسلك من حسن المعاملة، والرفق في المطالبة ماكان سبباً في استجلاب النفوس، وإلانة القلوب، فبان ذلك في سيرة عمر بن عبدالعزيز –رحمه الله– لما رآه من رقة ابنه عبدالملك في تعامله معه، وخنوعه لسياسته، حتى قال له: يا أبت ما منعك أن تمضي لما تريد من العدل، فوالله ما كنت أبالي لو غلت بي، وبك القدور في ذلك. قال: يا بني إنما أنا أروض الناس رياضة الصعب، إني لأريد أن أحيي الأمر من العدل، فأؤخر ذلك حتى أخرج معه طمعا من طمع الدنيا، فينفروا من هذه، ويسكنوا لهذه[(١)].

المطلب الثالث

قيام دعوته على ما يقيم في نفسه الثقة بالداعية، والاطمئنان للدعوة

إن إقامة جسور الثقة بين المدعو، وبين الداعية من الدعائم اللازمة، ليتحقق ركون المدعو للداعية، والصدور عنه فيما يلقيه عليه من مضامين الدين، وحين يُمثل ذلك في التعامل معه، فهو الدليل على أن له في نفس الداعية المكانة، والاعتبار، ومما يعنيه ذلك شدة الاحتفاء به، وعدم الاستخفاف به، وبعقله، والثقة في قدراته، ولذا فقد تم الازدراء بالكافرين، والمعرضين لما انهدم بإعراضهم جدار الثقة المتين، وفي القرآن الكريم الإشارة إلى ماترتب على الإقبال من فضل ومزية، قـــال الله تعـــالى: +لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾"[(٢)].

ومما يُعزز هذه الثقة حسن الظن بالمدعو، والتماس العذر له، إذ لايمكن أن تتوافر مكانة للمدعو في نفس الداعية، إذا أساء الظن بالمدعو أو إذا لم يحسن الظن بالدعو وذلك أنَّ كلَّ ما يبدو من المدعو –في ظاهره– سيئاً، وربما ينبئُ –من الوهلة الأولى– عن طوية فاسدة، ومقصد سيء، فإنه ليس بالضرورة غير قابل لتبريره من جانب آخر حسن، وحين يبدو من المدعو ما يريب، فإن السفور في صده، والعمد إلى ردعه بما يكرهه يزيد في إعراضه، ونفوره، وقد يساهم في إلغاء ملكة التفكير لديه، فيختلط باطله بالحق الذي لم يُحسن الداعي في عرضه عليه، والناجع في

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، مرجع سابق، ٣٥٤/٥. وانظر المجتبى من السنن، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، (مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٧هـ) ٣١٨/٧.

(٢) سورة التين، الآيات من ٤ إلى ٦.

ذلك الذي بانت آثاره المثمرة في شخوص المدعوين، كل أسلوب قام على مراعاة ما يجده المدعو في نفسه من مقام، ومنزلة، فمضى وقد اطمئن إلى أن ثمة من يحتفي به، ويحفظ له مكانته، وفي هذا الشأن نجد لدى ابن تيمية -رحمه الله- مسلكاً رشيدًا مع من بان في قوله، أو فعله الخطأ الظاهر، واللغط السافر، حين قال في شأن من أهمل ما اقتضته النصوص الصريحة، وركنوا إلى ما خالفته: "وإن كنا لانظن بمسلم، بل بعاقل أن يتكلم في جهة الربوبية بما يراه تقصيراً، ولكن لايخلو صاحب هذه الطريق من عجز، أو تفريط، وكلاهما يظهر به نقصه عن حال السلف، والأئمة الموافقين للشرع، والعقل"(١).

وكان من منهج الإسلام أنه يقوم على إحسان الظن في من صدرت منهم أخطاء تصل في بعض الأحيان إلى الكفر، ويجعل حسن قصدهم، والتباس الحق بالباطل على كثير من الناس - حتى العلماء، العلم وطلبة العلم- شافعاً لهم، وعذراً لهم(٢)، ويقول في هذا الشأن: "والغلط مع حسن القصد وسلامته، وصلاح الرجل، وفضله، ودينه، وزهده، وورعه، وكراماته -كثيراً جداً- فليس من شروط ولي الله أن يكون معصوماً من الخطأ، والغلط، بل ولا من الذنوب.."(٣)، وإذا كان هذا في الحسبان مع من هذه صفته، اعترافاً بحاله التي لا يمكن أن تؤول بأفضل من ذلك، فإن فيه الإشارة -يقيناً- إلى أن من دواعي هذه المرونة ما استقر في نفس الداعية من مكانة للمدعو، وهي في حق من افتقر إلى هذه الصفات، أو قلت لديه أظهر، وأوضح.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ٤/٤٠.

(٢) انظر: الاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق،١ / ٢٩.

(٣) المرجع السابق،٢ / ٩٣.

المطلب الرابع

التعامل مع المدعو بمبدأ الإقناع، وليس الإكراه

وهذه قاعدة مهمة قامت على التكريم الإلهي للمدعو أثناء مخاطبته، ومن مقتضياتها الانتباه إلى أن المهم في الدعوة إقناع الناس بما يُطرح عليهم، فيتم علمهم حينئذ بالمحمود الحسن، وبالمذموم القبيح، فيعملون على ضوء هذا الاقتناع من تلقاء أنفسهم إيماناً، وتسليماً، وبهذا يتم ترسيخ للمكانة التي نالها المدعو في رسالة الإسلام.

وبالإقناع الإيماني والبعد عن الإكراه الفكري يحصل المراد، وتصان مكانة المدعو، ومنزلته، قال الله تعالى: +ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾"(١)، فإخبار الله – جل وعلا – بخلقه، وقدرته على هذا النحو الذي يشعر بدقته وعظمته دليل داحض لكل ما يُشكك في قدرته –سبحانه– بإنشائه لهذا الكون الواسع الرحيب، وسبيل إلى الحوار البناء مع العقل حتى يصل بذلك إلى غرضه في إيمان المدعو على أساس من التسليم، والاقتناع، وجاء هذا الخطاب – بتلك الصورة – يُخاطب الفطرة السليمة، ويخاطب الإدراك بكل مافيه من قدرة واستيعاب، ويخاطب العقل المتأمل بكل مايملكه من منطق، وبداهة، ويخاطب العاطفة، والوجدان بكل مافي ذلك من تفاعل، وتأثر، ولاريب في أن ذلك يجلي ما للمدعو من مكانة تقوم على الاحتفاء بعقله، ومقدرته على التمييز بين السليم، والسقيم، والقرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة زاخران بهذا النوع من الخطاب(٢)، وبتأمل النصوص التي تضمنته

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١.

(٢) من ذلك قول الله تعالى: +وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾" سورة الذاريات: الآية ٢١. وقوله: +قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾" سورة القصص: الآية ٧٢. وقوله: +سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾" سورة فصلت: الآية ٥٣. وقوله: +وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾" سورة الجاثية: الآية ٥.

وللاستزادة حول منهج الإسلام في الدعوة إلى إعمال العقل انطلاقاً من الاحتفاء به وعده من مزايا الإنسان على ما سواه من الخلق فكان من أهم المعينات له على استجلاء الحقيقة، ومعرفة ما تنزع إليه فطرته... أنظر درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية وانظر

نرى كيف تتم الإشادة "بالعقل، والرفع من قدره أثناء مخاطبته، وحثه على التأمل، والنظر، وندبه للعلم، والمعرفة"[1]، ويقيناً فإن التعويل في إقناع المدعو وفق هذا المنحى العقلي يبين بجلاء مقدار اهتمام الإسلام بهذه الناحية، وهي تنم بلا شك عن المكانة التي نالها المدعو لِتمتعه بهذه المزية.

وما كان ذلك ليتم في حق الإنسان، وهو يفتقر إلى نعمة الله تعالى عليه، حين خلقه على هذا النحو المبدع، الذي يشعر بدقته، وعظمته، فقد حباه بجملة من القدرات العقلية، والنفسية، مكَّنته من التفاعل المثمر مع ما يلقى عليه، وفي ذلك عون للداعية ليصل إلى غرضه في إيمان المدعو على أساس من التسليم، والاقتناع.

الإسلام وحوار العقل، حسن الباشا وانظر العقل والإيمان في الإسلام، د. صابر طعيمة.

(١) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوي، مرجع سابق، ص ١٣٠.

المطلب الخامس

عدم تجريده من حريته في اتخاذ موقفه من الدعوة

ومما يؤكد المكانة للمدعو – باعتباره المخاطب بالدعوة – إعطاء الحرية له في الاستماع من عدمه، ثم إذا سمع فله الحرية في القبول، أو عدم القبول، فليس للداعي إرغامه على القبول، وأن يُلزم بما يدعا إليه، ويحاسب على التقصير في ذلك، إلا إذا بلغ سن التكليف مع توافر باقي شروطه فيه، ومن الجلي بأن إتاحة الخيار للمدعو في أن يصغي، أو لا يصغي، لا تتعارض مع حقه الراسخ في إيصال صوت الحق إليه، وليس بوسع أحد أن يحول بين الناس، وصوت الإسلام، لكن ينظر في أسلوب الإسلام الرشيد في إيصال هذا الصوت، فهو يقوم على احترام المدعو، وتقديره، ويقوم على الالتزام بالحق، وعرض تفاصيله، بصدق، وحرص، ونزاهة، وهذا جانب آخر يتم به تعزيز مكانة المدعو أثناء خطابه، قال الله تعالى: +لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾" (١)، ويقيناً فإن التزام الإسلام بهذا المبدأ يُعد ترسيخًا لموقف إنساني رصين يراعي كرامة الإنسان، وحريته، ويحتفي بملكته على التمييز بين الصحيح، والسقيم، ويوجب في الوقت نفسه العمل بمقتضى هذه الحرية في ترك المدعو –بعد بيان الحق له– حرًّا فيما يختار من عقيدة، وشريعة، ولاشك أن ذلك يوضح بجلاء ما للمدعو من إكرام، واحترام لإرادته، وفكره، ومشاعره، وتمكينه من البت في حاله، وشأنه في جانب الأخذ، أو الترك، لما يُعرض عليه من عقيدة، وشريعة بعد أن يُمَكَّنَ من معرفة مزايا ذلك، وفضائله، وما يترتب على التفريط فيه من تبعة، وحساب، قال الله تعالى: +وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ"(٢)، أي الطريقين، وهما الخير والشر(٣)، ونظير هذه الآية قوله تعالى: +إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا"(٤)، وبذلك فقد منح الله – تعالى– الإنسان الإرادة، وحباه بما يعينه على النظر، والتأمل فيما حوله، حتى يُعمل تلك الإرادة على بصيرة، فكانت له الحرية في أن يختار طريق الحق، والهداية، أو الباطل، والضلال، وقد جاء في الحديث عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «يا أبا ذر اعقل ما أقول لك لعناق يأتي رجلاً من

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٢) سورة البلد، الآية ١٠.

(٣) انظر تفسير النسفي، مرجع سابق، ٣٤٠/٤.

(٤) سورة الإنسان: الآية ٣.

المسلمين خير له من أحد ذهباً يتركه وراءه، يا أبا ذر اعقل ما أقول لك، إن المكثرين هم الأقلون يوم القيامة، إلا من قال كذا وكذا، اعقل يا أبا ذر ما أقول لك إن الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»(١)، **فبنفس هذا السياق الرشيد يخاطب الرسول ﷺ أبا ذر ﷺ.**

وبلا شك ففي ذلك تفعيل راشد لمبدأ تمكين المدعو من حريته في أن يأخذ، أو يدع، ويعكس مقدار المكانة التي يحظى بها المدعو، كما أن جميع هذه المظاهر تحتوي مبدأ عظيماً لا تتحقق الحرية في جميع صورها الصحيحة دون أن تتفيأ بظله، وهو العدل الذي أحكم الإسلام به صيانته لحقوق الناس، ويقيناً فإن مكانة المدعو في طليعة الحقوق التي درأ الإسلام عنها كل ما يؤثر فيها.

فالإنسان مخير في أن يؤمن بدين، أو معتقد، ولاسبيل إلا إلزامه بذلك طالما أن الصورة قد وصلته وافية عن الحق، قال الله ﷻ: +وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ"(٢)، ولذا فقد قامت مهمة الرسل على إبلاغ رسالة ربهم، وإبانتها للناس بصورة تنسجم مع قوة إدراكهم، ومدى استيعابهم، فيعينهم ذلك على تفهم الحق، ومن ثم القبول به.

وتطويع العقل، وإقناعه ليس في وسع أحد، فقياده خفي، وزمامه لايكمن في الإلزام، ولاعبرة بما يظهر لدى صاحبه من سلوك يوهم بذلك، ولامناص حينئذ من اعتبار ذلك لديه، والتسليم بما زرعه الله –تعالى– فيه من مقدرة على الفحص، والنظر، يبني عليها اقتناعه، وتسليمه، ولاسبيل إليه بغير هذه الطريق، وهذا الهدي الرزين في الدعوة كثيراً ما يمْثُل في سير الدعاة من السلف الصالح، ومن ذلك ما كتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ إلى أهل إيليا، فقد جاء في رسالته إليهم: "هذا ما أعطى عبدالله عمر بن الخطاب أهل إيليا من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم، وكنائسهم، وصلبانهم، لايكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم"(٣).

وقد أورد أبو عبيد في كتابه، نموذجاً ومثالاً لحرص النبي ﷺ ومن بعده الخلفاء الراشدين على تطبيق هذا المبدأ العظيم، وهو حرية العقيدة تجاه أهل الذمة من أهل الكتاب، فقد أخرج بسنده عن وسق الرومي، قال: "كنت مملوكاً لعمر بن الخطاب ﷺ، وكان يقول لي: أسْلِم، فإنك

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الأنصار، (رقم ٢١٠٦٠).

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٩.

(٣) تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد جرير الطبري، مرجع سابق، ٣ / ٦٠٩.

إن أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين، فإنه لاينبغي لي أن أستعين على أمانتهم من ليس منهم. قال: فأبيتُ، فقال: لا إكراه في الدين، قال: فلما حضرته الوفاة أعتقني، وقال: اذهب حيث شئت. قال أبو هلال الطائي: رأيت الذي أعتقه عمر، وكان نصرانيًّا"(١).

ولاشك في أن مما يسيء لمشاعر المدعو أن يُجابَه بما يصادم فكره، وينقض معتقده، إذ المراعاة لمشاعره –سعياً لكسبه– تقتضي أن يُحتفى بما في نفسه، ويُسعى لتخليصها منه بالروية، والهدوء، فلا يشعر أنه قُسر على ما دُعي إليه، وإنما ركن إليه طواعية، وأقبل عليه رغبة منه فيه، واقتناعاً به، ومثول ذلك في سير الدعاة – من السلف الصالح – دليل جلي على مقام رفيع للمدعو، وقر في أنفسهم، يدل على ما له من مكانة احتفوا بها، التزاماً بمنهج الإسلام الذي حفظ للمخاطبين هذه المنزلة الرفيعة، فقد أخرج أبو نعيم في الحلية عن عبد اللّه بن حنظلة قال: كنا مع سلمان ﷺ في جيش فقرأ سورة مريم، قال: فسبَّها رجل وابنها، قال: فضربناه حتى أدميناه، قال: فأتى سلمان فاشتكى، وقبل ذلك ما كان قد اشتكى إليه، وكان الإنسان إذا ظلم اشتكى إلى سلمان، قال: فأتانا فقال: لم ضربتم هذا الرجل؟ قال: قلنا: قرأنا سورة مريم فسب مريم وابنها، قال: ولم تسمعونهم ذاك، ألم تسمعوا قول اللّه ﷻ: +وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ "(٢)، بما لا يعلمون، ثم قال: يا معشر العرب، ألم تكونوا شر الناس ديناً، وشر الناس داراً، وشر الناس عيشاً؟ فأعزكم اللّه، وأعطاكم أتريدون أن تأخذوا الناس بعزة اللّه؟ واللّه لتنْتَهُنَّ أو ليأْخُذَنَّ اللّه ﷻ مافي أيديكم، فليعطينه غيركم، ثم أخذ يعلمنا فقال: صلوا مابين صلاتي العشاء، فإن أحدكم يخفف عنه من حزبه، ويذهب عنه ملغاة أول الليل، فإن ملغاة أول الليل مهدمة لآخره(٣).

ونخلص إلى القول بأن دعوة الإسلام الراشدة لا تهدر قيمة المدعو، وتغفل عنه في أي موقف من المواقف، كما أنها لا ترفعه فوق منزلته، فيتحمل تبعاً لذلك مالا طاقة له به، فامتازت هذه الدعوة بذلك عما سواها، حيث يسعى غيرها إلى مخالفة الفطرة، ومصادمتها، فتسلك لتحقيق ذلك

---

(١) علق أبو عبيد على هذا الخبر بقوله: "فأرى عمر أنه تأول هذه الآية في أهل الكتاب، وهو أشبه بالتأويل، والله أعلم" انظر كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، مرجع سابق، خبر ٧٨، ص٣٥. وانظر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٨.

(٣) الحلية، أبو نعيم، مرجع سابق، ٢٠١/١.

مسالك التضليل، والخداع، وإلباس الباطل ثوباً من الحق لتخدع به، ولا تتوانى في الادعاء بالباطل في تزيين باطلها، لجلب الناس إليه، وتشويه صورة الحق لصرفهم عنه، متذرعة لذلك كل مسلك، مهما كان، فتستغل حاجات الناس، وظروفهم القاسية، لتملي عليهم ما تريد، وهي في نهاية المطاف لا تتوانى عن استخدام القوة، والقهر في فرض باطلها، حين تعجز –بوسائلها السابقة– عن إقناع المدعو وجلبه إليهم، وحينئذٍ يأتي الجزم بأن دعوة كتلك لا تملك رصيداً من احترام المدعو، ولا تعرف كيف تنتبه لمنزلته، ومكانته.

الباب الثاني

أصناف المدعو في الكتاب والسنة

تمهيد

الفصل الأول : المدعو باعتبار معتقده.

الفصل الثاني: المدعو باعتبار ذاته.

الفصل الثالث : المدعو باعتبار مجتمعه.

تمهيد

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراد بأصناف المدعو

المبحث الثاني: أهمية البصيرة بأصناف المدعو

المبحث الثالث: مصادر معرفة أصناف المدعو وأحواله

المبحث الأول
المراد بأصناف المدعو

عندما يباشر الداعية عمله مع المدعو فإن ذلك يقتضي منه النظر إلى جوانب عدة تُكَوِّن في مجموعها: الصفات، والخصائص، والسمات العامة، والخاصة للمدعو، وفي هذا الباب تُعنى هذه الدراسة بالإجابة على سؤال هام، ينطوي على بيان: من هو المدعو؟ وما هو إشكاله الذي نسعى لعلاجه، وتخليصه منه؟ وكيف تمت تلك المعالجة على ضوء ما جاء في الكتاب، والسنة؟ ويندرج تحت ذلك العديد من الأمور التي نعرف من خلالها ما يُمَكِّنُنَا من تشخيص المدعو، ومعرفة أحواله، ومباشرة ما يناسبه من إجراء دعوي يتأثر به، وبين يدي هذا الباب يأتي بيان المراد بأصناف المدعو.

المراد بأصناف المدعو:

الصنف في اللغة: النوع، والضرب من الشيء، يقال: صنف من المتاع، والتصنيف تمييز الأشياء بعضها من بعض، وصنف الشيء ميَّز بعضه من بعض، وتصنيف الشيء جعله أصنافاً، والصنف الصفة[(١)]، وهو طائفة من كل شيء، فكل ضرب من الأشياء صنف على حدة[(٢)]، وصنَّف الأشياء جعلها صنوفاً، وميَّز بعضها من بعض، ومنه تصنيف الكتب، وشجر مصنف: مختلف الألوان والثمر[(٣)]، وكل ضرب من الأشياء صنف واحد[(٤)].

والمدعو: هو من اعتنى الإسلام بإصلاحه، وهدف إلى هدايته، انطلاقاً من حب الخير له، والإشفاق عليه، فجاء التكليف للدعاة، وعلى رأسهم محمد ﷺ بالتوجه إليه بمضمون الإسلام الذي لايتم التعبد لله تعالى إلا به[(٥)].

---

(١) انظر لسان العرب، ابن منظور، مادة (صنف) .

(٢) انظر العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ١٣٢/٧.

(٣) انظر أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، (دار الفكر، بدون بلد النشر، ١٣٩٩هـ) ٣٦٣/١.

(٤) انظر تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، ١٤٢/١٢، وانظر معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ) ٣١٣/٣.

(٥) جاء الحديث مستفيضاً عن بيان المراد بالمدعو ضمن القسم الثاني من التمهيد في هذه الدراسة، تحت عنوان: أركان الدعوة وأهمية المدعو فيها.

ولن يتأتى ذلك إلا باستيعاب المدعو من حيث طبيعته، وأوصافه، وسائر الأمور الأخرى، التي تحدد ملامح شخصيته، وتبين ظروفه، كما لا بد من معرفة الموضوع الذي سيتعامل معه الداعية من حيث نوعه، إن كان في مجال العقيدة، أو المعاملات، أو الأخلاق، كذا من حيث حساسيته، ومن حيث مدى الحاجة إلى القيام بالدعوة إليه، أو تركه، والموازنة في ذلك بين فوائد تحقيقه، والسلبيات التي قد تترتب في حال الدعوة إليه، وفي ضوء ذلك ينظر الداعية إلى إمكاناته المتاحة، لينطلق من ذلك في تحديد طريقة التعامل مع المدعو، والموضوع بعد أن عرف كل ما يتعلق بهما.

إن معرفة هذه الأمور تعين الداعية على اختيار الوسيلة المناسبة، والأسلوب الملائم، فَتُمَكِّنُ مثالية الإسلام من المثول في ميدان التعامل مع المدعو بصورة صحيحة تنسجم مع الواقع، وتطابقه، فليست مثالية خيالية، بل واقعية، تسمح بأن يبلغ الداعية أقصى ما يسمح به واقع التعامل مع المدعو.

وهذا جلي في مدى بلاغة الإسلام، وقوة وسلامة عرضه حين يُخاطب المدعوين، إذ ينطوي ذلك على مراعاة الكلام لمقتضى حال المخاطبين. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (1)، وعلى الرغم من أهمية اللغة في قضية البلاغ إلا أن العملية الدعوية بما تقوم عليه أكبر من ذلك، +وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"(2).

وكما أن الواقع يدل على ما يقع من الإنسان، أو عليه بالفعل، وهذا الذي يقع جرى منه، إمَّا لأنه جبلي، أو مكتسب، فإنه ليس كل ما يقع من الإنسان ترضى عنه الشريعة الإسلامية، إذ لا بد له من ضوابط شرعية، وعلى ضوء ذلك يمكن أن نرسم ملامح المراعاة لأحوال المدعوين بأنها: انتباه الداعية لما عليه حال المدعو، ومراعاة ما تقوم عليه تلك الحال من مطالب فطرية، وجبلية، ومكتسبة وفق ضوابط شرعية.

ولا ريب أن أصناف المدعوين كثيرون، وكل صنف له منهجه في الحياة، وأسلوبه في التعامل؛ لذا فحري بالداعية الحكيم أن يولي هذا الأمر اهتماماً بالغاً، ويراعي الأسلوب الأمثل، والأفضل في طريقة دعوته لهذا الدين العظيم، فمثل الداعية كمثل الطبيب الحاذق الماهر الذي يشخص الداء، ويصف الدواء

---

(1) سورة إبراهيم، آية ٤.

(2) سورة النحل، آية ٤٤.

بأسلوب جميل، وطريقة حكيمة، ولن يتأتى ذلك للداعية قبل أن يعرف أصناف الناس الذين يقوم بدعوتهم، وينتقي الطريق الأقوم، والمنهج الأسلم لدعوة كل صنف بما يلائمه، ويتناسب معه.

وإذا ذهبنا نستقصي هذه الأصناف، نجد كم هي عديدة، ومتشعبة، وتأتي أقسامها، وتفريعاتها باعتبارات عدة، حيث يأتي ضمنها المسلمون، والكافرون، ويندرج تحت كل قسم منهما أصناف كثيرة، فالمسلمون هم أمة الاستجابة كما هو معروف في الاصطلاح الدعوي، والكافرون هم أمة الدعوة.

والمسلمون أصناف عديدة، وكثيرة، فمنهم أهل العلم، والمعرفة، والفطنة، والذكاء، الذين ينبغي على الداعية حين دعوتهم أن يراعي منزلتهم، ومكانتهم، فلا يكرر عليهم، ويطنب لهم، ويفصل، فيجعلهم يملونه، ولا ينصتون له، أو يعبئون به، ومنهم الحكام، والأمراء، وأصحاب المكانة العالية. فيلزم الداعية أن يقدر لهم ما هم عليه من مكانة، ومنزلة، فينصح، ويعظ بحكمة بالغة، ورفق، ولين لعلهم يسمعون له، ويستجيبون لدعوته، ومنهم أهل الطاعة، والخير، والصلاح، وهؤلاء يكفي لهم الإشارة، والتذكير. ومنهم أصحاب الشهوات واللهو والمعاصي، فهؤلاء لهم طريقة خاصة في التعامل معهم. ومنهم أصحاب الأهواء والأفكار الهدامة والبدع. ومنهم المعرضون الذين لا يعبأون بالدين ولا يهتمون بالإسلام.

وهذه النماذج بيان لإيضاح المراد بأصناف المدعو، لكن الحديث المفُصَّل عن هذه الأصناف وتفريعاتها يأتي – بعون الله تعالى – مفصلاً ضمن الفصول الثلاثة التالية التي يتضمنها هذا الباب.

المبحث الثاني
أهمية البصيرة بأصناف المدعو

إن البصيرة بأصناف المدعو تجعل الداعية يتعامل مع كل صنف بما يتلائم، وطبيعته، فالكتابي تختلف دعوته عن دعوة الوثني المشرك، والمسلم العاصي تختلف دعوته عن المسلم صاحب البدعة، فكل من هؤلاء له طريقة خاصة، ومسلك لا يتعداه إلى غيره.

والبصيرة هي الفطنة، والعلم بالشيء، وقوة الإدراك والخبرة، فينبغي أن يكون الداعية وهو في مجال دعوته على بصيرة، ويقين، وبرهان شرعي، وعقلي.

فالدعوة ببرهان، ودليل شرعي من الكتاب، والسنة تجعل الداعية ذا بعد جيد، وفهم عميق للمدعو وللموقع الذي يعيش فيه، وتجعله أيضاً مقبولاً لدى المدعو، وتجعله كذلك يحسن الاختيار في طرق عرض الإسلام على المدعو، وما يناسب كل فئة من المدعوين، لأن الداعي وهو بهذه المثابة يكون قد أعد العدة لكي تكون رسالته قوية، وواضحة، ومؤثرة من خلال إدراكه، وعلمه. والبصيرة تجعل الداعية قوي الحجة، وذا عزيمة لا تلين، فلا يقدر أن يقف أمامه أحد إلا حاجَّه ودحض حجته؛ لِتيَسر البراهين لديه، ووفرة الحجج عنده.

قال تعالى: +قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى" (١). فمن اتبعه يدعو إلى الله على بصيرة. والبصيرة هي البينة، وقال: +أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ" (٢). الآية، فالنور الذي يمشي به في الناس هو البينة والبصيرة.

فينبغي على الداعية الحكيم أن يتحلى بالبصيرة، فحق على من اتبع النبي ﷺ أن يدعو كما كان يدعو النبي ﷺ، وأن يكون على بصيرة كما كان رسول الله ﷺ يدعو وهو على بصيرة، فلا يكون الرجل من أتباع النبي ﷺ حقا حتى يدعو إلى ما دعا إليه وبالطريقة التي دعا بها.

---

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٢٢.

المطلب الأول

اهتمام الإسلام بأصناف الناس، وأحوالهم

قال الله تعالى: +وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ" [1]. فدعوة الأنبياء كانت بلسان أقوامهم، وكذا معجزاتهم حيث كانت تناسب اهتمامات أقوامهم. فقوم موسى اهتموا بالسحر. وكذلك التأمل في أي القرآن الكريم، والحديث الشريف، فهما زاخران بذلك، فيجب على الدعاة الانتباه إلى معرفة تأصيل الحكم الشرعي لمراعاة الواقع أثناء الدعوة، وليس لضرورة معرفة الواقع. وعليه فإن معرفة الواقع، والإلمام به مطلب هام للداعية، حتى يتسنى له مراعاته أثناء الدعوة. لأن معرفة الواقع على حقيقته هو السبيل الوحيد للتعامل معه، وفق منهج صحيح يتيح إصلاحه، وتعديله.. وكما قيل: إن معرفة المشكلة (الواقع) نصف العلاج، وإنه من أهم العلوم الشرعية التي ينبغي أن ينبري لها العلماء، وطلاب العلم، ويقومون على تأصيله شرعيًّا.

وتتجلى مشروعية مراعاة أحوال المدعويين، وأهميتها في بعثة الله تعالى الأنبياء والرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام من بين أقوامهم، وبألسنتهم مع معجزات تتناسب مع أقوامهم. ويدل على ذلك أيضاً ما أمر الله تعالى به حبيبه الكريم المصطفى عليه الصلاة والسلام من القيام بالدعوة بِعِدَّةِ طرق، وما أمر به رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام المتفقهين من أمته من إنذار أقوامهم بعد الرجوع إليهم. ومما يؤكد هذا كذلك ما نجده من مراعاة أحوال الناس في التشريعات الإسلامية المتعددة.

ومما يدل على ضرورة علم الداعية بأحوال المدعوين، وأهمية مراعاتها أثناء الدعوة أن الله ﷻ اصطفى الأنبياء، والمرسلين عليهم السلام من بين أقوامهم +كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ" [2]. فبين سبحانه وتعالى أن نوحاً عليه السلام كان أخاهم أي واحداً منهم في النسب. وهكذا بعث الله تعالى إلى كل أمة نبياً منهم، وكانت الحكمة في ذلك – والله تعالى أعلم – لأنهم كانوا أفهم لكلام النبي المبعوث إليهم ، وأعرف بحاله في صدقه، وأمانته، وأقرب إلى اتباعه.

ومما يدل على ضرورة مراعاة أحوال المخاطبين، وأهميتها في الدعوة إلى الله تعالى أن الله ﷻ لم يرسل

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٤.

(٢) سورة الشعراء، الآيات ١٠٥ – ١٠٧.

رسولاً إلا بلسان قومه ، قال جل جلاله: +وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ" (١).وكانت الحكمة في ذلك كما جاء في قوله: +لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ" أي ليفقهوا عنه ما يدعوهم إليه، فلا يكون لهم حجة على الله، ولا يقولوا: لم نفهم ما خوطبنا به. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: هذا من لطفه تعالى بخلقه أنه يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم، ليفقهوا عنهم ما يريدون، وما أرسلوا به إليهم.

وكانت الحكمة في تنوع معجزات الأنبياء عليهم السلام كما بيّن كثير من علماء الأمة وهي مراعاة مناسبتها لحال أقوامهم. وفي هذا قال الحافظ ابن كثير: قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار، وحيرت كل سحّار. وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرّع الشريعة.. وكذلك محمد ﷺ بعث في زمان الفصحاء، والبلغاء، وتحاويد الشعراء فأتاهم بكتاب من الله عز وجل، فلو اجتمعت الإنس، والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبداً، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

ومما يدل على ضرورة التعرف على أحوال المدعوين، وأهمية مراعاتها أثناء الدعوة أنه سبحانه وتعالى أمر نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام بالقيام بالدعوة بعدة طرق: +ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ" (٢).

ففي الآية الكريمة أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالقيام بالدعوة بثلاث طرق وهي: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

وتستخدم مع كل صنف طريقة تناسبه، وتلائمه.

قال الإمام ابن القيم في تفسير الآية: جعل الله سبحانه وتعالى مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق: فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق، ولا يأباه يُدعى بطريق الحكمة. والقابل الذي عنده نوع

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٤.

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٥.

غفلة، وتأخر يُدعى بالموعظة الحسنة: وهي الأمر، والنهي المقرون بالترغيب، والترهيب. والمعاند الجاحد، يجادل بالتي هي أحسن.

وورد الأمر الرباني باستخدام الشدة، والغلظة مع الكفار، والمنافقين في قوله تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ" [(١)]. قال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- في تفسير الآية: فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان، وأذهب الرفق عنهم.

وجمعت الدعوة باللين، والرفق مع الدعوة بالغلظة، والشدة في قوله تعالى: +۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ" [(٢)]..

ففي الآية الكريمة إرشاد، وتوجيه إلى المجادلة بالتي هي أحسن، وهي الدعوة باللين، والرفق لغير الظلمة، والمجادلة بغير التي هي أحسن، وهي الدعوة بالغلظة، والشدة للذين ظلموا من أهل الكتاب.

فخلاصة الكلام أن الله ﷻ أمر النبي الكريم ﷺ باستخدام عدة طرق في الدعوة إلى الله تعالى مع كل صنف الطريقة التي تناسبهم. وأن اختيار طريقة من تلك الطرق مع طائفة من الطوائف يتطلب معرفة حال تلك الطائفة حتى تستخدم لها الطريقة الملائمة لها. [(٣)]

«وجعل أشرف مراتب الناس بعدهم مرتبة خلافتهم، ونيابتهم في أممهم، فإنهم يخلفونهم على منهاجهم، وطريقهم من نصيحتهم للأمة، وإرشادهم الضال، وتعليمهم الجاهل، ونصرهم المظلوم، وأخذهم على يد الظالم، وأمرهم بالمعروف، وفعله، ونهيهم عن المنكر، وتركه، والدعوة الى الله بالحكمة للمستجيبين، والموعظة الحسنة للمعرضين الغافلين، والجدال بالتي هي أحسن للمعاندين المعارضين، فهذه حال أتباع المرسلين، وورثة النبيين، قال تعالى +قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ " [(٤)].وسواء كان المعنى: أنا، ومن اتبعني على بصيرة وأنا أدعو الى الله. أو المعنى أدعو إلى الله على

---

(١) سورة التوبة، الآية ٧٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٣) انظر: مراعاة أحوال المخاطبين، د فضل إلهي. إدارة ترجمان الإسلام، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

بصيرة. والقولان متلازمان فإنه لا يكون من أتباعه حقا إلا من دعا الى الله على بصيرة، كما كان متبوعه يفعل. فهؤلاء خلفاء الرسل حقا، وورثتهم دون الناس، وهم أولو العلم الذين قاموا بما جاء به علماً، وعملاً، وهدايةً، وإرشاداً، وصبراًً، وجهاداً، وهؤلاء هم الصديقون، وهم أفضل أتباع الأنبياء »[1].

فلقد اهتم الإسلام ببيان أصناف الناس ومعرفة أحوالهم، وحث الدعاة على دراسة نفسيات المدعوين والوقوف على أفكارهم واهتماماتهم لكي تنجح العملية الدعوية وتؤتي ثمارها يانعة.

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية ، مرجع سابق، ١/ ٧٨.

المطلب الثاني

حاجة العمل الدعوي إلى البصيرة بأصناف المدعو، وأحواله، وتأثره بها

إن كون الداعية على بصيرة وفطنة يجعله يحسن الاختيار في طرق عرض الإسلام على المدعوين، وما يناسب كل جماعة من جماعات المدعوين، لأنه أعد العدة لكي تكون دعوته واضحة جلية تؤتي أكلها بإذن الله، الأمر الذي يجعل المدعو على قناعة بالذي يُدعى إليه، فيستسلم ويخضع لما يلقيه عليه الداعي، فإذا كان الداعي على بصيرة بأصناف المدعوين سهل عليه الكثير في الوصول إلى نفوس المدعوين، فإذا فقد الداعية البصيرة في دعوته تخبط في دعوته، ووقع في أخطاء تؤثر على الدعوة، وعليه، وعلى المدعوين مما يوقعهم في حرج.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: +وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ" [(١)].

والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم، قال رسول الله ﷺ: **«من رأى منكم منكراً»** [(٢)] الحديث.

قال الشيخ ابن باديس رحمه الله تعالى في هذا الصدد: لقد كان في بيان أن الدعوة إلى الله هي سبيل محمد ﷺ ما يفيد أن على أتباعه — وهو قدوتهم، ولهم فيه الأسوة الحسنة — أن تكون الدعوة إلى الله سبيلهم. ولكن يتأكد هذا عليهم، وبيان أنه من مقتضى كونهم أتباعه، وأن اتباعهم له لا يتم إلا به، جاء التصريح بذلك هكذا: +ٱدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ" [(٣)]. فالمسلمون - أفراداً وجماعات - عليهم القيام بالدعوة إلى الله تعالى، وأن تكون دعوتهم على بينة، وحجة، وإيمان، ويقين، وأن تكون دعوتهم وفقاً لدعوة النبي ﷺ وتبعاً لها.

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى في هذا الصدد: فالرسول ﷺ عليه البلاغ، وهكذا الرسل جميعاً

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (رقم ٤٩).

(٣) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

عليهم البلاغ -صلوات الله وسلامه عليهم - وعلى أتباع الرسل أن يبلغوا، قال النبي ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»[1].

وكان إذاخطب الناس يقول: «**فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع**»[2] فعلى جميع الأمة – حكاماً، وعلماء، وتجاراً وغيرهم – أن يبلغوا عن الله، ورسوله ﷺ هذا الدين، ويشرحوا للناس – بشتى اللغات الحية المستعملة بأساليب واضحة – وأن يشرحوا محاسن الإسلام، وحكمه، وفوائده، وحقيقته حتى يعرفه أعداؤه، وحتى يعرفه الراغبون فيه، والله ولي التوفيق.

إن الدعوة إلى الله تعالى واجب كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً ﷺ رسول الله، وهو بها على بصيرة واجبة، وسبيله التي لا سبيل سواها +قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ" [3].[4]

والدنيا لها جواذب، والنفس لها شهوات، فإن لم تعرف المداخل، والأبواب التي تدخل منها إلى النفس، فإن الفشل حاصل، وأكبر خطأ يرتكبه الداعي مع من يدعو أن يبدأ معه حيث انتهى هو فهماً، وقولاً وعملاً، وينسى أولى الخطوات التي بدأها هو نفسه، فقد يكون حاله وقت ذاك أسوأ من حال الذي يدعوه الآن +كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ" [5]. ولذلك فإن الداعي لابد أن يبدأ مع من يدعو من حيث النقطة التي انتهى إليها فهم المدعو، وليس من النقطة التي انتهى إليها فهم الداعي.

واستمع إلى فقه عمر بن عبد العزيز ﷺ يقول: والله لا أستطيع أن أخرج لهم شيئاً من أمر الدين إلا ومعه طرف من الدنيا، أستلين به قلوبهم، خوفاً من أن ينخرق عليَّ من لا طاقة لي به. قال ابن عقيل في

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (رقم ٣٤٦١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى (رقم ١٧٤١) ومسلم، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض.. (رقم ١٦٧٩).

(**٣**) سورة يوسف، الآية ١٠٨

(٤) ركائز الدعوة إلى الله تعالى، الدكتور فضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان، مؤسسة الجريسي، الرياض ١٤٢٥ هـ) ص٤٥-٤٧.

(**٥**) سورة النساء، الآية ٩٤.

الفنون: حرام على عالم قوي الجوهر- أدرك بجوهريته، وصفاء نحيزته علماً أطاقه فحمله - أن يرشح به إلى ضعيف لا يحمله، ولا يحتمله فإنه يفسده، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم**». قال ابن الجوزي: لا ينبغي لعالم أن يملي ما لا يحتمله عقول العوام. وقال البخاري: قال عليﷺ: حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله، ورسوله [(١)]. وقال ابن مسعود: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم [(٢)]. فبالله عليك أي فقه هذا الذي تعلمه خريجو مدرسة محمد ﷺ؟! وكم كان السلف الصالح حكيماً فقيهاً واعياً، يخاطب الناس على قدر عقولهم، ولا يحملهم ما لا يطيقون.

ونحن نرى اليوم بعض الإخوة المخلصين لا يلتفت إلى هذا المبدأ، كل ما يهمه أن يصحح عقائد الناس بطريقة ينفر منها أكثر الناس، وتراهم يخاطبون الناس جميعاً، لا فرق عندهم بين عالم وجاهل، أمي ومتعلم، حضري أو ريفي، الكل عندهم سواء في الخطاب، ويناقشون معهم مسائل لو عرضت على أئمة كبار لتحرج أن يتكلم فيها.

فإذا عرضوا التوحيد عرضوه بصورة أكاديمية علمية عقلية، بصرف النظر عن مستوى المدعو من الثقافة الإسلامية، أو التعليم العام، والأدهى، والأمر فإن الذي لا يفقه هذا التوحيد الذي يعرضونه يصبح صاحب عقيدة، بها من الدخن، والدخل ما يفسدها، هكذا يقولون له.

والداعية الحكيم هو الذي يدرس الواقع، وأحوال الناس، ومعتقداتهم، وينزل الناس منازلهم، ثم يدعوهم على قدر عقولهم، وأفهامهم، وطبائعهم وأخلاقهم، ومستواهم العلمي، والاجتماعي، والوسائل التي يؤتون من جهتها.

وقد بين النبي ﷺ ذلك للدعاة إلى الله ﷻ، فقال معاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن داعياً، ومعلماً، وقاضياً: «**إنك تأتي قوماً أهل كتاب**.. »[(٣)] الحديث. فبين لمعاذ عقيدة القوم الذين سوف يقدم عليهم حتى يعرف حالهم، ويستعد لهم، ويقدم لهم ما يناسبهم، وما يصلح أحوالهم. وقال لعائشة -رضي

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا (رقم ١٢٧).

(٢) أخرجه مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (١١/١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء (رقم ١٤٩٦) ومسلم كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (رقم ١٩).

الله عنها-: «**يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم بكفر لنقضت الكعبة، فجعلت لها بابين: باب يَدْخُلُ الناس وباب يَخْرجُون**»[1]. فترك ﷺ هذه المصلحة لأمن الوقوع في المفاسد.

فدراسة البيئة، والمكان الذي تبلغ فيه الدعوة أمر مهم جداً، فإن الداعية يحتاج في دعوته إلى معرفة أحوال المدعوين: الاعتقادية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، ومعرفة مراكز الضلال، ومواطن الانحراف معرفة جيدة، ويحتاج إلى معرفة لغتهم، ولهجتهم، وعاداتهم، والإحاطة بمشكلاتهم، ونزعاتهم الخلقية، وثقافتهم، ومستواهم الجدلي، والشبه التي انتشرت في مجتمعهم ومذاهبهم.

والداعية الحكيم يكون مدركاً، لما حوله، مقدراً للظروف التي يدعو فيها، مراعياً لحاجات الناس، ومشاعرهم وكل أحوالهم.

والداعية إلى الله تعالى لا ينجح في دعوته ولا يكون موفقاً في تبليغه، ولا مسدداً في قوله، وفعله حتى يعرف من يدعوهم ، وهل هذا المجتمع من المسلمين العصاة، أو من المسلمين الذين انتشرت فيهم البدع، والخرافات، هل هذا المجتمع من أهل الكتاب؟ فإذا كانوا منهم، فهل هم من اليهود، أم من النصارى؟ هل هذا المجتمع من الملحدين الطبيعيين، والماديين، والدهريين، أم من الوثنيين المشركين؟

فإذا عرف الداعية هذا كله فكيف يدعو كل فئة من هذه الفئات بالحكمة ؟ وماذا يقدم معهم؟ وماذا يؤخر؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية، وأولوية قبل غيرها؟ وما الأفكارالضرورية التي يطرحها، ويبدأ بها؟

وهكذا فالداعية الحكيم كالطبيب الحكيم الذي يشخص المرض، ويعرف الداء، ويحدده، ثم يعطي الدواء المناسب على حسب حال المريض، ومرضه، مراعياً في ذلك قوة المريض، وضعفه، وتحمله للعلاج [2].

وقد ذكر عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم[3] ومن جعل الناس شرعا، واحدا، في التعليم، فهو كمن جعلهم شرعاً واحداً في عمل من الأعمال،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه (رقم ١٢٦).

(٢) الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد بن وهف القحطاني، توزيع مؤسسة الجريسي، الرياض سنة ١٤١٢هـ ص٣٣٥-٣٣٧.

(**٣**) صحيح مسلم، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين، ٦/١.

وهذا كله خلاف المحسوس، والمعقول[1].

وسبب ذلك أن التكلم، والتكليم له مراتب، ودرجات، وكذلك تبليغ المبلغ لكلام غيره له وجوه، وصفات. من الناس من يدرك من هذه الدرجات، والصفات بعضها، وربما لم يدرك إلا أدناها، ثم يكذب بأعلاها، فيصيرون مؤمنين ببعض الرسالة كافرين ببعضها، ويصير كل من الطائفتين مصدقة بما أدركته مكذبة بما مع الآخرين من الحق [2].

وأصل ذلك يقوم على تفاضل الناس في الحقوق على حسب منازلهم ومراتبهم [3] .

«فإن من أفضل الأمور، وأشرفها عند الجمهور بعد معرفة أصل الدين الاقتداء بالأئمة المتقدمين في بذل المجهود لمعرفة الأحكام، فبها يتأتى الفصل بين الحلال، والحرام، وقد سمى الله تعالى ذلك في محكم تنزيله الخير الكثير، فقال +وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا" [4]. فسر ابن عباس –رضي الله عنهما– وغيره الحكمة بعلم الفقه، وهو المراد بقوله ﷻ: +ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ" [5]. أي ببيان الفقه، ومحاسن الشريعة، فقال ﷺ في رواية ابن عباس –رضي الله عنهما–: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين** » [6] وقال عليه السلام: «**خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا تفقهوا**»[7] وإلى ذلك دعا الله الصحابة الذين هم أعلام الدين، وقدوة المتأخرين، فقال: +فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ" [8][9].

إن حاجة العمل الدعوي إلى معرفة أحوال المدعوين والبصيرة بأصنافهم وتأثر الداعي بذلك من أجل نجاح الدعوة والانتصار على عدو الله إبليس في معركتهم الخالدة من أجل الفوز بالنعيم المقيم في جنات

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ٢٣٧/٦.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ٣٩٦/١٢.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٥٥/١.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

(٥) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً (رقم ٧١) ومسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة (رقم ١٠٣٧).

(٧) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى +وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا "(رقم ٣٣٥٣) وفي باب +أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ " (رقم ٣٣٧٤) ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام (رقم ٢٣٧٨).

(٨) سورة التوبة، الآية ١٢٢.

(٩) أصول السرخسي، السرخسي، مرجع سابق، ٩/١.

الخلد، إن هذا الأمر بالغ الأهمية في مسيرة العمل الدعوي.

المبحث الثالث

مصادر معرفة أصناف المدعو وأحواله

المطلب الأول

القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة

ويلحق بهما السلف الصالح:

القرآن هو كتاب الدعوة، ومصدرها، يشتمل على حقيقتها، وأصولها، ويتضمن أهدافها ومقاصدها، ويبين أساليبها، ووسائلها.

وقد اشتمل القرآن الكريم على:

أولاً: بيان حقيقة الدعوة، وأساسياتها التي تقوم عليها، وهي:الإيمان بالله، قال تعالى: +وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ" [(١)]. والإيمان باليوم الآخر، وما فيه ، ، فقد أثبت القرآن قضية البعث، قال تعالى: +أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ"[(٢)]. والدعوة إلى الفضائل، والبعد عن الرذائل، فيبين فيبين آداب المشي، قال تعالى: +وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا" [(٣)].وطلب الالتزام بالعهد، فقال: +وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا" [(٤)].ودعا إلى حفظ كرامة الناس، فنهى عن الغيبة، والنميمة، والتنابز بالألقاب، والظن السيء، والتجسس،

(**١**) سورة الأنبياء، الآية ٢٥.

(**٢**) سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

(**٣**) سورة الفرقان، الآية ٦٢.

(**٤**) سورة الإسراء، الآية ٣٤.

والتجسس، قال تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (١١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ" (١).

ثانياً: بين حكم تبليغ الدعوة للناس في كل زمان، ومكان بأنه واجب على الرسل، وعلى الدعاة من بعدهم. وقد خاطب الله رسوله بقوله: +۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ" (٢).وقال أيضاً: +وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ"(٣). فخطاب الرسول خطاب لأمته من بعده، فالداعية عليه البلاغ، وهو غير مسؤول عن الاستجابة +إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ" (٤).

وكذلك بين القرآن أهمية التبليغ، وجعل إهمالها من الكبائر، فقال تعالى: +إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ"(٥).

ثالثاً: بيان أساليب الدعوة، وقد تضمن القرآن على أساليب متعددة منها:

الأسلوب القصصي: فذكر قصة آدم، ونوح مع قومه، ولوط، وشعيب، وموسى، وعيسى وجميع الأنبياء مع أقوامهم. الأسلوب التمثيلي: وقد اشتمل القرآن الكريم على أمثالٍ متعددة: أمثال للكافرين، والمنافقين، والمنفقين في سبيل الله وأمثالٍ للدنيا، وبيان حقيقتها. أسلوب الترغيب في الخير، والترهيب من الشر. أسلوب القسم لبيان أهمية المقسم عليه، مثاله قوله تعالى: +فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ

---

(١) سورة الحجرات، الآيتان: ١١-١٢

(٢) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٣) سورة النور، الآية ٥٤.

(٤) سورة القصص، الآية ٥٦.

(٥) سورة البقرة، الآيتان ١٥٩، ١٦٠.

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا" [(1)]. وأسلوب الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن +ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ" [(2)].وقد تضمن كل أسلوب خصائص تجعله وسيلة للدعوة، وتمكنه من التأثير في المدعوين.

رابعاً: اشتمل القرآن على وسائل متنوعة للدعوة تعين على:

حفظ الدعوة، ونجاحها، فأمر بأخذ الحيطة، والحذر بخبرة الغير في ذلك وتبليغ الدعوة للناس بالقول، والفعل، والقدوة، قال تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا" [(3)].وطلب موسى من الله أن يجعل له وزيراً ليسانده في حمل الدعوة، وتبليغها.

خامساً: بين القرآن بعض الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام حول الدعوة الإسلامية، والمدعوين، والدعاة، والتي منها اتهامهم بالكذب، والسحر، والجنون، والبساطة، واتهموا المدعوين بالبساطة، والفقر، وقلة المال.

سادساً: بين القرآن أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، وشاملة لكل مناحي الحياة.

سابعاً: بين القرآن الأسس التي ينبغي أن يقيم عليها الدعاة دعوتهم، وهي: الأساس الحكيم، والمجادلة في حال الضرورة، والحجة، والبرهان.

ثامناً: يوضح لنا الطرق التي يتم تبليغ الدعوة بها، وأن على الداعية تنويع الخطط، كما قال تعالى في دعوة نوح: +قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا" [(4)].

تاسعاً: يبين لنا القرآن أن الجهاد في سبيل الله هو طريق الدعوة، وهو مشروع من أجل إزالة العقبات

(**1**) سورة النساء، الآية ٦٥.

(**2**) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(**3**) سورة النساء، الآية ٧١

(**4**) سورة نوح، الآيات ٥-٩.

من طريقها، قال تعالى: +وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ" (١).

عاشراً: اشتمل القرآن على بيان السنن الإلهية في الابتلاءات للدعاة، فقال تعالى مؤكداً لهذا المبدأ: +أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ" (٢).

الحادي عشر: بين القرآن أن الغلبة، والنصر في النهاية لأهل الحق، وأن الباطل مصيره إلى الانهزام، والانحدار.

الثاني عشر: بين القرآن أهمية تبليغ الدعوة، وفضيلة العمل الدعوي ، فقال تعالى: +وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ" (٣).

الثالث عشر: يشتمل القرآن على العبر، والمواعظ الدعوية التي تنفع الدعاة، وتفتح قلوبهم للحق، وترهف إحساسهم: +أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ" (٤).

وأما ما اشتمل عليه القرآن في جانب المدعوين، والدعاة فقد بين:

أولاً: حقوق المدعوين ، وهي إيصال الدعوة إليهم، وعدم الاستهانة بأحد منهم، فقال مخاطباً لرسوله، +۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ" (٥). وعاتب رسوله عندما أعرض عن ابن أم مكتوم، فقال: +عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ" (٦).

ثانياً: بين أصناف المدعوين، فمنهم الملأ، ومنهم الجمهور، ومنهم العصاة، ومنهم المنافقون، ومنهم

(**١**) سورة البقرة، الآية ١٩٠

(**٢**) سورة العنكبوت، الآية ٢.

(**٣**) سورة فصلت، الآية ٣٣.

(**٤**) سورة الأنعام، الآية ٩٠

(**٥**) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(**٦**) سورة عبس، الآيات ١-٧

الكفار +قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ" [1].

ثالثاً: بيّن موقفهم من الدعوة ، فقال في حق الملأ +وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ" [2].

رابعاً: يبين للداعية طبائع المدعوين، وغرائزهم، واتجاهاتهم، فهو يبين للدعاة أن موقف الناس من الحق مختلف، قال تعالى: +وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ" [3]. وبين موقف الأغنياء من الدعوة، قال تعالى: +وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ" [4]. ويبين أن موقف الكافرين واحد.

خامساً: كيفية دعوتهم إلى الحق باستعمال الأساليب الحكيمة، والمواعظ الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن عند الضرورة. الترغيب، والترهيب.

أما في جانب الدعاة، فقد اشتمل القرآن على آيات متعددة:

يبين لنا القرآن صفات الداعية الصالح، وهي: الإيمان بالله، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

ويبين للداعية ضرورة الاقتداء بالرسل الكرام، وعلى رأسهم سيد الدعاة محمد ﷺ، قال تعالى: +لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" [5].

ويبين القرآن للداعية أن أجره على الله لا على العباد.

يبين القرآن أثر الإيمان في نفس الداعية،وقد أشار الله تعالى إلى قصة امرأة فرعون +وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ

(**١**) سورة الأعراف، الآية ٦٠.

(**٢**) سورة ص، الآيات ٤-٧

(**٣**) سورة هود، الآية ١١٩

(**٤**) سورة سبأ، الآية ٣٤.

(**٥**) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ" [1]. وكذلك قصة سحرة فرعون، وأصحاب الأخدود، وفتية الكهف.

ويبين لنا القرآن أن مهمة الداعية تبليغ الدعوة للناس، فهو غير مسؤول عن استجابة الناس، أو عدم استجابتهم، قال تعالى: +فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ"[2].

المصدر الثاني: السنة النبوية، وسيرة الرسولﷺ. ففي السنة النبوية أحاديث كثيرة تتعلق بأمور الدعوة، ووسائلها كما أن السيرة النبوية المطهرة فيها ما جرى لرسول الله ﷺفي مكة، والمدينة، وكيفية معالجته للأحداث، والظروف التي واجهته، كل ذلك يعطينا مادة غزيرة جداً في أساليب الدعوة ووسائلها، لأن الرسول الكريم ﷺ مر بمختلف الظروف، والأحوال التي يمكن أن يمر بها الداعي في كل زمان، ومكان، فما من حالة يكون فيها الداعي، أو أحداث تواجهه إلا ويوجد نفسها، أو مثلها، أو شبهها، أو قريب منها في سيرة النبي ﷺ، فيستفيد الداعي منها الحل الصحيح، والموقف السليم، الذي يجب أن يفقهه إذا فقه معاني السيرة النبوية، وقد يكون من حكمة الله، ولطفه أن جعل رسوله الكريم يمر بما مر به من ظروف، وأحوال حتى يعرف الدعاة المسلمون كيف يتصرفون وكيف يسلكون في أمور الدعوة في مختلف الظروف، والأحوال، اقتداء بسيرة رسول الله ﷺ.

فوائد السنة النبوية والسيرة للدعاة:

١-تساعد الداعية على فهم كتاب الله تعالى، لأن السنة النبوية هي التطبيق الواقعي له، وهي البيان العملي المحسوس لما اشتمل عليه من مبادئ، فهناك الكثير من النصوص القرآنية لا تفسر التفسير الكافي إلا إذا استعين على تفسيرها بما جاء في غضون السنة النبوية من وقائع، وأحداث.

٢-تبين للدعاة مراحل الدعوة، وأولوياتها، والوسائل التي اتبعها الرسول ﷺ، فقد أقام الرسول ﷺ ثلاث سنين يدعو إلى الله مستخفياً. ثم نزل عليه قوله: +فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ"[3]. فأعلن ﷺ الدعوة وجاهر قومه بالعداوة، واشتد الأذى عليه، وعلى المسلمين، حتى أذن لهم بالهجرتين.

---

(١) سورة التحريم، الآية ١١.

(٢) سورة الشورى، الآية ٤٨.

(٣) سورة الحجر، الآية ٩٤.

٣-تغذي عقل الداعية، وتنمي فكره، وتخصب تجربته. تغذي العقل بوسائل الدعوة، وأساليبها، وتنمي فكره في مجالاتها، وتخصب تجربته في معالجة أحداثها، ومعرفة ظروفها.

٤-تبين لنا السيرة النبوية أساليب المخالفين في مواجهة الدعوة:

أ-أسلوب التشويه: مثل اتهام النبي ﷺ بالسحر، والشعر، والكهانة.

ب-أسلوب التهديد: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأنَّ على عنقه.

ج-أسلوب التعذيب: ما قام به عقبة بن أبي معيط من وضع سلا الجزور على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد.

و-أسلوب الإغراء بالمال، والجاه، والنساء.

هـ-أسلوب التعجيز مثل طلبهم توسيع أرض مكة عليهم، وأن يجعل لهم جبل الصفا ذهباً.

ز-أسلوب المقاطعة، والتي تمت في شعب أبي طالب لمدة ثلاث سنوات.

ز-أسلوب المؤامرة، والاغتيال، والتي تمت في دار الندوة.

٥-تعلم الدعاة أن وطن الداعية حيث مصلحة الدعوة، ومما يدل على ذلك هجرة الحبشة وهجرة الطائف، وهجرة المدينة.

٦-تبين إكرام الله لحملة الدعوة، كما في حديث الإسراء، والمعراج.

٧-تبين لنا أهمية التخطيط لنجاح الدعوة، كما في حادث الهجرة.

٨-تبين لنا دور الشباب، والمرأة في الدعوة، ومثال ذلك الداعية الأول: مصعب بن عمير، وعبد الله بن أبي بكر، وموقف أم عمارة، وأم منيع، وأسماء بنت أبي بكر.

٩-إيجاد المثل الأعلى، والقدوة الحسنة من أجل الاتباع، والاسترشاد بها، والسير على هداها. والإنسان بطبيعته يحب الاقتداء بالنماذج الفاضلة من البشر.

١٠-يتعلم الداعية من السيرة طرائق التربية والتعليم، فها هو ﷺ يمنع الصحابة أن يؤذوا الأعرابي الذي بال في المسجد.

١١-تبين السيرة النبوية سنة الله في الابتلاء، فيتعلم الداعية من السيرة النبوية الشريفة الصبر على الأذى، والثبات على الشدائد التي وضعت في طريق الدعوة.

١٢-السنة النبوية، والسيرة المحمدية تقدم صورة عملية للإسلام في جميع نواحي الحياة.

١٣-تبين السيرة النبوية الصفات التي ينبغي أن يتصف بها حملة الدعوة، ومبلغوها من الصدق، والأمانة، والإخلاص، والحلم، والصبر، والشجاعة، والاستمرارية في العمل، وعدم اليأس، والأمل، والثقة بنصر الله.

١٤-السيرة النبوية تعلم الداعية الأساليب الدعوية التي ينبغي أن يتبعها الداعية مع المدعوين ، فدعوته السرية في مكة، والجهرية في مكة، والمدينة، وعرْض نفسه على القبائل في مواسم الحج تعلم الدعاة أساليب الدعوة، ووسائلها.

١٥-السنة النبوية، والسيرة تعلم الداعية وسائل حفظ الدعوة، ونجاحها، كما في حادث الهجرة.

١٦السنة النبوية، والسيرة تعلم الداعية التضحية بالنفس، والمال، والأهل، والولد.

١٧- السنة النبوية تعلم الداعية دروس الشجاعة، والإقدام، والمعنوية العالية.

١٨-تعلم الدعاة أن الجهاد هو طريق الدعوة شُرِعَ لإزالة العقبات من طريقها.

١٩-تبين لنا موقف اليهود من الدعوة الإسلامية في كل زمان، ومكان.

٢٠-تبين لنا موقف المنافقين من الدعوة، ودلالة ذلك موقف عبد الله بن أبي من الدعوة، واستغلاله المواقف لإثارة الفتنة.

٢١-تبين لنا عالمية الدعوة الإسلامية، ودلالة ذلك دخول غير العرب في الإسلام، وانتقال الدعوة من عالم الإنس إلى عالم الجن، ومكاتبة ملوك الأرض، ودعوتهم إلى الإسلام مثل هرقل، وكسرى، والمقوقس، والنجاشي.

المصدر الثالث: سيرة السلف الصالح.

فقد جبلت القلوب على حب تقليد الصالحين والسير على منوالهم، وعلى الرغبة في التأسي بهم والاقتداء بأفعالهم، وأقوالهم؛ لذلك فإن قراءة وقائعهم، وسيرتهم من أهم مقاصد الحياة عند العقلاء دعاة الإسلام، فالرحمة تنزل عند ذكرهم. فما أحوج دعاة الإسلام في هذه الأيام - التي اختلط فيها الحق بالباطل - أن يتذكروا سيرة الأبرار، ليسلموا من التردي في مساوئ الأخلاق، وإليك بعض الفوائد التي يستفيدها الدعاة من دراسة سيرة السلف الصالح: يتعلم الدعاة الصبر على الأذى، وتحمل الشدائد: مثلما تحمَّل الرسول ﷺ للشدائد في الدعوة فصبر على إيذاء قريش له، ولأصحابه، وصبر على استهزائهم، وإغراءاتهم المادية، وصبر على مقاطعتهم، ومؤامراتهم. وتحمل الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح.

يقتبس الداعية من تضحياتهم في سبيل الدعوة بالمال، والنفس، والأهل. ويقتبس الداعية من جرأتهم، وشجاعتهم في قول الحق، وتبليغ دين الله، وقتال الأعداء. ويقتبس الداعية من أمانتهم، وإخلاصهم، وزهدهم، وورعهم، وخوفهم من الله [1].

إذن فالقرآن الكريم، والسنة النبوية، وسيرة السلف الصالح هم العمدة للدعاة في التعرف على أصناف المدعوين، وبيان أحوالهم، وشرح أصول الدعوة، وبيان أهدافها، ومقاصدها، وتبيان أساليب الدعوة، ووسائلها، وأنها معصومة من الخلل، وتؤدي إلى أفضل النتائج، وأعظم الفوائد في العملية الدعوية، الأمر الذي يهيب بالدعاة إلى التمسك بهذه المصادر والاعتماد عليها، وهم في سيرهم ونهجهم على الجادة، والصواب، والأجر الجزيل، والثواب العميم.

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والإرشاد، د/ محمد أمين حسن محمد بني عامر، (جامعة اليرموك، أربد سنة ١٩٩٩) ص٣٤٣-٣٦٠. بتصرف واختصار.

المطلب الثاني

التأمل في الحياة الإنسانية، وملاحظتها

ومما يعين على ذلك ما لدى الداعية من فطنة، وفراسة، تعينه على معرفة ما يحيط به من واقع المدعوين، وأحوالهم، يدل على ذلك قوله ﷺ : «**اتقوا فِراسة المؤمن**»[1] فالفراسة بالكسر اسم من قولك: تفرست في فلان الخير. وهي على نوعين: أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث، وهو ما يوقعه الله في قلوب أوليائه، فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات، وإصابة الحدس، والنظر، والظن، والتثبت. والنوع الثاني: ما يحصل بدلائل التجارب، والخلق، والأخلاق، تعرف بذلك أحوال الناس أيضا.

وقد قرأ رسول الله ﷺ +إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ" فقال ابن عباس: للناظرين. وقال قتادة: للمعتبرين. وقال مقاتل: للمتفكرين. وقال مجاهد: للمتفرسين. قال الخازن: ويعضد هذا للتأويل ما روي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا فراسة المؤمن**...». وعن أنس مرفوعا بلفظ: «**إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم** »[2][3].

فحري بكل من يتصدى للدعوة، ويعمل في الحقل الدعوي أن يعتبر ويتفكر، ويتفرس، ويُعمل النظر في أحوال المدعوين، ويستعين بالله ﷻ وتقواه في معرفة أحوال، وأوضاع المدعوين؛ لكي يحقق نجاحات مبهرة في عمله الدعوي، ويستطيع التأثير فيهم، ويأخذ بأيديهم، فينتشلهم من الواقع السيء الذي يعيشون فيه إلى مجتمع الطهر، والعفاف، والطاعة، والخير، والبركة.

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الحجر (رقم ٣١٢٧) وقال: هذا حديث غريب. وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٨٢١).

(٢) أخرجه الطبراني في معجم الأوسط (رقم ٣٠٨٦) وحسنه الهيثمي والسخاوي وتبعهما الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٦٩٣).

(٣) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، مرجع سابق، ٨/٤٤١.

المطلب الثالث

أهل الخبرة، وتجاربهم

لكي يحقق الداعية إلى الله ﷻ النجاح في عمله الدعوي لابد من الاستعانة بأهل الخبرة، والنظر في تجاربهم السابقة في مجالهم الدعوي، ويستعين أيضاً بالكتب المصنفة في ذلك التي تبين أصناف المدعوين، وبيان أحوالهم، وطرق الدعوة، وأساليبها، وأهدافها، ومقاصدها، وكل ما من شأنه أن يساعد في نجاح الدعوة، وإتيانها ثمراتها، أو بواسطة اللقاء معهم، مباشرة بهذا الشأن، ومن الأمثلة على الأول: كتاب أو مصنف «محبوب القلوب» لمير عليشير النوابي الوزير المتوفى سنة ٩٠٦ ست وتسعمائة، وقد رتبه على ثلاثة أقسام: القسم الأول: في كيفية أحوال الناس، وأفعالهم، وفيه أربعون فصلا. القسم الثاني: في الأخلاق الحميدة والذميمة، وفيه عشرة أبواب. القسم الثالث: في فوائد متفرقة، وأمثال، وحكم، ونحوها[١].

وكذلك كتاب الحافظ أبي القاسم عبدالرحمن بن محمد بن يحيى بن منده العبدي الأصفهاني جمعه من كتب الناس، واستخرجه للتذكرة، وسماه: المستخرج من كتب الناس للتذكرة، والمستطرف من أحوال الناس للمعرفة.

ومن الشواهد على ذلك اصطحاب الرسول ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والعباس حين كان يطوف على الوفود في موسم الحج لما يعرفانه من قبائل العرب، وأنسابها.. [٢].

وكذلك التجربة فلها الأثر الأكبر في اكتساب المهارات، والخبرات، والتجربة في العلم اختبار منظم لظاهرة، أو ظواهر يراد ملاحظتها ملاحظة دقيقة منهجية للكشف عن نتيجة ما، أو تحقيق غرض معين ، وما يعمل أولاً لتلافي النقص، وإصلاحه.

فعن معاوية رضي الله عنه قال: لا حكيم إلا ذو تجربة. ومن المعلوم أن الحكيم لابد له من تجارب قد أحكمته، ولهذا قيل: لا حليم إلا ذو عثرة،ولا حكيم إلا ذو تجربة.

إن الداعية إذا خالط الناس، وعرف عاداتهم، وتقاليدهم، وأخلاقهم الاجتماعية، ومواطن الضعف، والقوة فإنه سيركز على ما ينفع الناس، ويضع الأشياء في مواضعها؛ لأنه قد جربهم ، فالتجارب تنمي

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي، مرجع سابق، ١٦١١/٢.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ٤٦/٢٨.

المواهب، والقدرات، وتزيد البصير تَبَصُّراً والحليم حلماً، وتجعل العاقل حكيماً، وقد تشجع الجبان، وتسخي البخيل، وقد تلين قلب القاسي، وتقوي قلب الضعيف، ومن زادته التجارب عمىً إلى عماه، فهو من الحمقى الذين قد طبع الله على قلوبهم، فهم لا يفقهون.

وأعظم الناس تجربة هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لأنهم صفوة البشر، اصطفاهم الله، ورباهم، ثم أرسلهم، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومع هذا ما بعث الله من نبي إلا رعى الغنم؛ كما قال ﷺ: «**ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم**» فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «**نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**»[(١)].وفي رواية: قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال: «**وهل من نبي إلا قد رعاها**» [(٢)].

والحكمة من ذلك - والله أعلم – أن الله ﷻ يلهم الأنبياء قبل النبوة رعي الغنم، ليحصل لهم التمرين، والتجربة برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتهم ما يحصل لهم الحلم، والشفقة كما قال ﷺ: «**أتاكم أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم**»[(٣)]

ولأنهم إذا صبروا على رعيها، وجمعها بعد تفرقها في المراعي، ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها من سَبْعٍ، وغيره: كالسارق، وعلموا اختلاف طبائعها، وشدة تفرقها مع ضعفها، واحتياجها إلى المعاهدة، وعرفوا اختلاف طبائعها، وتفاوت عقولها، فجبروا كسرها، ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها، فألفوا من ذلك الصبر على الأمة فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة، لما يحصل لهم من التدرج على ذلك برعي الغنم، وخصت الغنم بذلك؛ لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل، والبقر، لإمكان ضبط الإبل، والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها.

ثم بعد رعيهم الغنم جربوا الناس، وعرفوا طبائعهم، فازدادوا تجارب على تجاربهم، ولهذا قال موسى

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط (رقم ٢٢٦٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب +يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ" رقم (٣٤٠٦) ومسلم، كتاب الأشربة، باب فضيلة الأسود من الكباث (رقمد ٢٠٥٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن (رقم ٤٣٨٨) ومسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه رقم (٥٢).

ﷺ لمحمد ﷺ عندما فرضت عليه خمسون صلاة في كل يوم، ليلة الإسراء والمعراج: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. فما زال النبي يراجع ربه ويضع عنه حتى أمر بخمس صلوات كل يوم [(١)].

فموسى ﷺ قد جرَّب الناس، وعلم أن أمة محمد ﷺ أضعف من بني إسرائيل أجساداً، وأقل منهم قوة ، والعادة أن ما يعجز عنه القوي، فالضعيف من باب أولى.

فالداعية بتجاربه بالسفر، ومعاشرته الناس، وتعرفه على أحوالهم، وعقائدهم، ومشكلاتهم، واختلاف طبائعهم وقدراتهم سيكون له الأثر الكبير في نجاح دعوته، وابتعاده عن الوقوع في الخطأ.

فإذا كان قد أخطأ فلا يقع فيه مرة أخرى، وإذا خُدِعَ مرة لم يخدع مرة أخرى، بل يستفيد من خبرته وتجاربه، ولهذا قال ﷺ: «**لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين**»[(٢)] [(٣)].

لذا كان لزاماً على كل داعية حكيم أن يتعلم ممن سبقه في هذا المضمار، فينظر في كتب السابقين، وسير الأولين، وينتهج مناهج الأنبياء والمرسلين في دعوته إلى الله ﷻ.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج (٣٨٨٧) ومسلم كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ (رقم ١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (رقم ٦١٣٣) ومسلم، كتاب الزهد، باب لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين رقم (٢٩٩٨).

(٣) انظر: أساليب الدعوة والإرشاد، د: محمد أمين حسن محمد بني عامر، مرجع سابق، ص٣٦٣ – ٣٦٥.

الفصل الأول

المدعو باعتبار معتقده

المبحث الأول: المطالب الفطرية للمدعو

المبحث الثاني: المدعو المسلم

المبحث الثالث: الدعو غير المسلم

المبحث الرابع: المدعو المنافق

المبحث الأول
المطالب الفطرية للمدعو

المطلب الأول

المراد بالمطالب الفطرية للمدعو

المراد بالفطرة: أي ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به، والمعنى أن الخلق يولدون على نوع من الجبلة، والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو ترك عليها -أي الفطرة- لاستمر على لزومها، ولم يفارقها إلى غيرها، وإنما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر، والتقليد[١]، وهي الخلقة التي خلق عليها المولود في رحم أمه، كما أنها الدين[٢]، وهي الطبيعة السليمة، لم تشب بعيب، قال الله تعالى: +فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"[٣]، والفطرة السليمة، هي الاستعداد لإصابة الحكم، والتمييز بين الحق والباطل[٤]. وإذا "ترك لنفسه من غير عناد، ولا نفاق، ولا معصية، فإنه يسلك السلوك القويم، الذي تمليه عليه فطرته السليمة، القابلة لأن تكون مع الخير، بل من دعاته عندما يفتح الله لها باباً من أبواب رحمته، وهداه"[٥].

لقد أقام الله الكون على سُنَّةٍ ثابتة وكذلك أقام النفس البشرية على سنة تتواءم مع الفطرة، والعقل، وسن لها من الشرائع، والأحكام ما قوَّم سبيلها في الحياة، لتسير مهتدية بهدي الله الذي أنشأها موحدة متدينة بدين الإسلام الفطري، والأدلة النقلية، والعقلية في هذا لا تعد، فما من إنسان إلا وهو مفطور على معرفة الخالق، فلو ترك، وشأنه ولم تعترضه مؤثرات خارجية لاستدل على الدين الصحيح بفطرته، وبآيات الله المبثوثة في أرجاء الكون.

---

(١) انظر: لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة فطر، ٢ / ١١٠٨.

(٢) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، باب الراء فصل الفاء، ص٥٨٧.

(٣) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٤) انظر: المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، مادة فطر، ص٦٩٤.

(٥) فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبدالحليم محمود، مرجع سابق، ٢ / ٩٨٢.

وفي تشبيه شيخ الإسلام ابن تيمية لحقيقة الفطرة روعة، حيث يقول: ومثل الفطرة مع الحق مثل ضوء العين مع الشمس، وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب لرأي الشمس. والاعتقادات الباطلة العارضة مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس، وكذلك أيضاً كل ذي حس سليم يحب الحلو إلا أن يعرض في الطبيعة فساد يحرفه، ويجعل الحلو في فمه مرًّا.

فالفطرة إذا سلمت من الدوافع كالحسد، والتقليد وغيرها اهتدت إلى فاطرها جل وعلا، بل جاء في صحيح البخاري أن زيد بن عمرو بن نفيل كان يرفض الأكل من ذبائح الكفار، ويقول: ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه. ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله [(١)].

وهذا واضح كل الوضوح في قول الرسول ﷺ في الحديث القدسي: «**وإني خلقت عبادي حنفاء، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**»[(٢)] قال النووي: أي مسلمين. وقيل: أي مستقيمين منيبين لقبول الهداية. فالفطرة السليمة إذا لم يحصل لها ما يفسدها كانت مقرة بالصانع عابدة له. فقد أودع في نفوسهم الإيمان به ومعرفته، يقول الرسول ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**»[(٣)] [(٤)].

وأشار القرآن الكريم إلى الدوافع الفطرية لدى الإنسان، وهو حينما يذكرها يرسم لها طريقها المشروع الذي يتسق مع مصلحة الفرد، ومصلحة المجموع، وإذا كانت بعض الديانات السابقة على الإسلام وبعض رجال التربية، أوصوا بكبح الدوافع، أو القضاء عليها، فإن القرآن الكريم يخالفهم فيما ذهبوا إليه، ويدعو إلى تربية الدوافع بمنهج سليم.

ومن هنا يتضح أن القرآن يهتم بتربية الدوافع، والمحافظة عليها، ويسمو بها عن الوضع الحيواني، ويوجهها إلى ما يتسق مع مصلحة الأفراد، والجماعات، ويحول بينها، وبين الانحراف، فبذلك يعالج انحراف

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل (رقم ٣٨٢٦).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (رقم ٢٨٦٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي (رقم ١٣٥٨)، ومسلم كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة(رقم ٢٦٥٨).

(٤) انظر: دوافع إنكار دعوة الحق، عبد الرحمن بن يوسف الملاحي، (دار عالم الكتب، الرياض، سنة ١٤١٤هـ ص ٢٢-٢٧.

دافع التملك بطرق غير مشروعة وذلك بوضع سد أمام مجرى الانحراف، كما يضع المهندس سدًّا عالياً في مجرى النهر ليوجهه الاتجاه النافع المفيد. ولما كان الحديد لا يفله إلا الحديد. فإن الدافع لا يصده إلا دافع مثله، وقد وضع القرآن الكريم أمام دافع الملكية دافع النفور، والخوف، وبعد أن وضع القرآن الكريم هذين السدين أمام دافع الملكية ليصدها عن الانحراف عمل على إشباعها، فأفسح أمامها المجال للنمو، والازدهار بالطرق المشروعة قال تعالى: +هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ" (١).

ثم يثير سبحانه دافع الملكية عند الأفراد، ويدفعه للسمو عن طريق نفسه، فالفرد إذا راعى حق الله، وحقوق العباد فإن ملكه يزكو، وينمو، ويتضاعف في الدنيا والآخرة (٢).

إن الدوافع الفطرية هي التي خُلقَ الإنسان عليها بطبعه، فهي صفات موروثة، وتنقسم إلى قسمين وهما: الأول: الدوافع الفطرية العضوية. الثاني: الدوافع الفطرية النفسية.

الدوافع الفطرية العضوية:

وهي التي ترجع إلى أساس في طبيعة التكوين العضوي للإنسان، ولعل أهمها:

١-**الدافع الجنسي**: وهو من الدوافع الفطرية العضوية التي يجدها كل إنسان سوّي في تكوينه، وهو ضروري لبقاء النوع، وهو مما يعمل على تكوين الأسرة التي تعتبر الخلية الأولى في المجتمع. وإن الإسلام ينظر إلى الزواج على أنه رباط قوي، وتكملة للنسق المادي، والمعنوي لكل من الزوجين يعقبها النسل المحبب للنفس. فإن الإسلام يقر بهذا الدافع، ويأمر برعايته، وتوجيهه، واستثماره فلا ينكره، ولا يحقره، ولكن يعمل على وضع القواعد المشروعة، والمبادئ الأخلاقية الثابتة التي تعمل على إنجاحه، وتضمن استمراريته المقرونة بالمودة، والرحمة، والألفة، والمعاشرة بالمعروف لبناء الأسرة الصالحة، وفق الغاية المطلوبة من الفرد في إصلاح ذاته، وأسرته، ومجتمعه، والذي يحقق نقاء النسل، وعدم اختلاطه.

ولقد جاء التوجيه الإسلامي للفرد بالعفاف، والطهارة من الدنس، ووجوب الزواج الشرعي في حالة الخوف على النفس من الوقوع في الفحشاء مع مقدرته عليه. أما من لم يقدر عليه فليصبر حتى يغنيه الله

---

(١) سورة الملك، الآية ١٥.

(٢) انظر: منهج القرآن في تربية الرجال، د/ عبد الرحمن عميرة، (دار الجيل، بيروت، سنة ١٤١١هـ) ص ١١١-١١٣.

من رزقه، وإن كان يجد لهذا الصبر ما يقابله من الإلحاح، والضغط الذي يشعره بالضعف فإن عليه بالصوم.

وكما أن الإسلام عمل على بناء الفرد للتحكم، والتوجيه لهذا الدافع، فقد عمد إلى سد أبواب، ودواعي الإثارة الجنسية، فأمر بصيانة الجوارح: كغض البصر، وتطهير السمع، وأمر بالتستر الشرعي، وحرم التطيب، والتزين للمرأة في خروجها من بيتها، ومنع الاختلاط غير الشرعي، وذلك لإعانة الفرد على صيانة نفسه من الانزلاق، والوقوع في الفحشاء.

ب-**دافع الأمومة:** إن الدراسات العضوية الحديثة أثبتت أن هناك إفرازات هرمونية لهذا الميل، وهو ميل الأم لابنها، ورعايته، وقد تم إجراء التجارب المعملية على الحيوانات والقردة، كما تم إثارة العذراء به لتحس بعاطفة المحبة للطفل، والعناية به، مما يدل على أن هذا الدافع له ارتباط بجوانب عضوية بالإضافة إلى ما يمكن أن يكون من دوافع نفسية فطرية، أو مكتسبة.

الثاني: الدوافع الفطرية النفسية:

لقد ذهب بعض علماء النفس إلى أن الدوافع النفسية، دوافع مكتسبة من البيئة، ولكن اطلاع العلماء على بعض الحيوانات، والطيور، والحشرات أثبتت أن هناك دوافع لا يمكن أن تكون مكتسبة. ولقد جاءت الإشارة في القرآن الكريم إلى ثلاثة دوافع نفسية، وهي دافع التدين، ودافع الخلود، ودافع التملك. وقد يدخل تحتها بعض الدوافع النفسية مما ذكره علماء النفس كدوافع مشتقة أو مركبة.

وفيما يلي شيء من التفصيل لذلك:

دافع التدين: إنه دافع نفسي يجده الإنسان في أعماق الذات، يجد في رعايته الأمن، والطمأنينة، واليقين، والاتزان. قال تعالى: +فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"[1]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء**»[2]

---

(١) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ (رقم ١٣٥٨) ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل

ففي فطرته يجد دافع التدين، وفي عقله يجد الأدلة، والبراهين على توحيد الله تعالى وعظمته والافتقار إليه. وحيث إن الإنسان ليس له القدرة على رسم التصورات العليا، والمنهج الذي يشبع هذا الدافع، ويرضي العقل؛ لعدم إدراكه أسرار المسائل المتعلقة به من فعالياته الحياتية فضلاً عن التصورات العليا للوجود.

ولذلك فالدين ضروري للإنسان، ووجوب ربطه بالحياة، ففطرة التدين ثابتة، والدين ثابت ، وفيه يمكن إيجاد الدوافع الإيمانية التي تصون الفطرة من عوارض الانحراف، فتتكون الدوافع النابعة من الداخل، فتعمل الرقابة الذاتية للإنسان في توجيه، وتوظيف، واستثمار قدراته، وسلوكه التي تشبع دافع التدين، وترضي العقل، وتخلق الانضباط الذاتي عن يقين، واطمئنان، والذي له دور كبير في بناء الخبرات الانفعالية الإيجابية: كحب العلم، وحب الخير، ونبذ الشر، وتخلق عنده الشفافية والطهر، وتصونه من الخبرات الانفعالية السلبية: كالحقد، والحسد، والحب السلبي، والكره السلبي ليصل الإنسان إلى أعلى درجات السمو، وهي درجة الإحسان.

إن دافع التدين كأي دافع فطري إنساني ، ليس دافعاً أعمى كالدوافع عند الحيوانات والطيور، ولكنه دافع مصحوب بالوعي، والشعور الوجداني، الذي يملك الإنسان معه الاستجابة له، ويملك عدم الاستجابة له، ولكن الاستجابة له يخلق التوازن بين العقل، والفطرة، وعدم الاستجابة له يفقده الاتزان بينهما، ولذلك كان التكليف له؛ لأنه يملك الإرادة، والاختيار. فدافع التدين عنصر مما فطر الإنسان عليه، ولا تفارقه طول حياته، وإن تأثر بتلك العوامل.

وبما أن الفطرة ثابتة، والدين ثابت، وكلاهما من صنع الله تعالى، وبينهما تناسب في الطبيعة والاتجاه؛ فإنه يجب أن يكون الدين هو القيم على الحياة لاستيعابه جميع الدوافع الذاتية، والفعاليات الاجتماعية، والاقتصادية؛ لأنه هو القادر على التحكم فيها، ووضعها في إطارها العام الصحيح.

دافع الخلود: إنه من الدوافع النفسية الفطرية التي يجدها كل إنسان في أعماق ذاته، فهو اتجاه طبيعي غير منقطع، والأمل يسير به دائماً إلى الأمام في طلب المزيد من الحياة. ولقد استغل إبليس – لعنه الله – هذا الدافع القوي في الإيقاع بآدم، وزوجه في المعصية عن طريق الإيحاء لهما بأن ما أُمرا بتركه هو ما

مولود يولد على الفطرة (رقم ٢٦٥٨).

يمنحهما الخلود – حب البقاء – فاستجابا لهذا النداء، والإيحاء.

وإن الإنسان يتعلم الكثير مما يحفظ ذاته كدافع المقاتلة، والهروب، والاستغاثة.

وإن الإيمان بالله تعالى، وامتثال تشريعه هو الطاقة التي تمنح الخلود الحقيقي خلوداً مؤقتاً في الحياة الدنيوية مليئاً - بالسعادة، والطمأنينة، والرضا، والأمن - وخلوداً دائماً في الحياة الأخروية فيها النعيم المقيم، فالموت الدنيوي ما هو إلا عملية انتقال من الدار الفانية إلى الدار الباقية.

وهذا هو الدافع الذي يدفع المؤمن إلى الاستشهاد في حياته الدنيوية؛ لتحقيق مصالح المجتمع الإسلامي، والإنساني، وأهداف الإسلام، فهو يضحي في ذاته من أجل الربح الذي سيحصل عليه بعد مماته في دار الخلد الحقيقي.

قال تعالى: +﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾"[(١)]. وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد: أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: «في الجنة» فألقى تمرات في يده، ثم قاتل حتى قتل[(٢)].

وإن هذا الدافع يقوي العزيمة للجد في العمل الصالح، والإخلاص به ابتغاء لمرضاة الله تعالى، والذي يحقق الربح العظيم في ميزان الآخرة، فتتآزر المصالح الذاتية الاجتماعية مع الدوافع الذاتية.

دافع التملك:إنه من الدوافع النفسية الفطرية، وهو الذي يدفع الإنسان إلى حب التملك، والسيطرة، والظهور، وهو عام، وشائع بين البشر، وإن هذا الدافع من العوامل التي استطاع به إبليس – لعنه الله – الإيقاع بآدم، وزوجه في المعصية.

وإن الإنسان يعيش في صراع بين المتناقضات بين الخير، والشر، وبين الحسن، والقبيح وبين الهداية، والضلال، وبين الحلال، والحرام.

وإن إشباع هذا الدافع يجب أن يكون عن طريق التوازن بين المصالح الذاتية، والاجتماعية، لتحقيق

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي،باب غزوة أحد (رقم ٤٠٤٦) ومسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، (رقم ١٨٩٩)

التعادلية العادلة بين المصلحتين.

وإن إشباع هذا الدافع لا يمكن أن يكون عن طريق الفوضى، ولكن عن طريق الانضباط الذاتي من جهة، والانضباط الاجتماعي من جهة أخرى، لإشباعه وفق مبادئ سامية تربط بين المصالح الذاتية، والاجتماعية.

إن أسلوب إشباع هذا الدافع والاستثمار له أسلوب إيجابي، فالكون مسخر لخدمة الإنسان بإطار تعبدي، وهدف سام، فحب التملك ليس هدفاً في ذاته، ولكنه وسيلة لهدف أسمى، وأعظم، وهو عمارة الأرض، فتكون هذه الوسيلة هادفة إلى الخير، وراعية له، وباذلة الجد في العمل الصالح لامتلاك الخيرات، والطيبات، واستثمار الأرض، ومنافعها، وسننها، وقوانينها في التغيير، والتبديل حتى تتلاءم معه، وإن لم يقدر على ذلك عمد إلى مجاراتها.

ولذلك فإن دافع التملك موجه في وسائل تحصيله، كما هو موجه في وسائل إنفاقه، وكذلك حب السيطرة، والظهور، والاطلاع ، فهي وسيلة هادفة وموجهة، وليس عمياء، ولكن لكل شيء الأسلوب المناسب له [(1)].

فعلى الداعية الحكيم وهو يمارس عمله الدعوي أن يراعي هذه المطالب الفطرية عند المدعو، ويحاول أن يشبع جوعته فيها ولا يحاول كبتها أو القضاء عليها، بل يسعى إلى تلبية هذه المطالب وتهذيبها والحد من الغلو فيها والتمادي معها فيما يخالف روح الشريعة، فالداعي والحالة هذه يأخذ بأيدي المدعو إلى الخير والفلاح والصلاح وبالتالي ينجح في عمله الدعوي.

---

(١) انظر: الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، د/عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، مرجع سابق، ٢٦٩-٣٠١.

المطلب الثاني

مراعاة المطالب الفطرية للمدعو في الدعوة إلى الله تعالى

من المطالب الفطرية للمدعو اطمئنانه إلى مصدر الخبر، وارتياحه إلى الركون إليه، والصدور عنه، فإذا ما توافر له ذلك في شخص الداعية لم يشكل عليه الصدور عنه، والتلقي منه، خصوصاً في القضايا المهمة التي وقرت في نفسه، وثبتت في فطرته، ولعل من أبرزها إيمانه أن الكون بما فيه من خلق عظيم إنما هو من صنع الله تعالى، وإيمانه بأن من قام بهذا هو الجدير بالعبادة المستحق لها دون غيره، كما أنه لا تصديق، ولا تسليم إلا لمن بعثه هذا الخالق ﷻ للخلق، ولذا فإذا وثق المدعو بالداعية وارتاح لما يصدر عنه لم يعد لديه -بعد ذلك- إشكال فيما يلقيه عليه مما وقر أكثره في فطرته، ولعل ذلك ماثل في الحديث التالي:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يأتيه الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع فأتاه رجل منهم، فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال: «**صدق**» قال: فمن خلق السماء؟ قال: «**الله**» قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «**الله**» قال: فمن نصب هذه الجبال؟ قال: «**الله**» قال فمن جعل فيها هذه المنافع؟ قال: «**الله**» قال: فبالذي خلق السماء والأرض، ونصب الجبال وجعل فيها هذه المنافع آلله أرسلك؟ قال: «**نعم**» قال: زعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: «**صدق**» قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: «**نعم**» قال: زعم رسولك أن علينا صدقة في أموالنا؟ قال: «**صدق**» قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: «**نعم**» قال: زعم رسولك أن علينا صوم شهر في سنتنا؟ قال: «**صدق**» قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: «**نعم**» قال:« زعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا؟ قال: «**صدق**» قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: «**نعم**» قال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن شيئا. فلما قفى قال رسول الله ﷺ «**لئن صدق ليدخلن الجنة**»(1).

ومن النواحي المتصلة بفطرة المدعو نزوعه للخير، وحبه للتقرب إلى الله تعالى، وتراعى هذه السمة لديه بإثارتها لاستجلاب مكامن الورع، والتعبد لديه من خلال لفت انتباهه إلى مظانها لديه بتذكيره بما يمكن أن يفوق به غيره في مضمار السبق إلى الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام (رقم ١٢).

«والإنسان إذا ذُكِّر ذَكَر ما في فطرته... ولهذا قال الله في خطابه لموسى: +فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ"[1] ما في فطرته من العلم الذي به يعرف ربه، و يعرف إنعامه عليه وإحسانه إليه، وافتقاره إليه، فذلك يدعوه إلى الإيمان +أَوْ يَخْشَىٰ" ما ينذره به من العذاب، فذلك أيضاً يدعوه إلى الإيمان، كما قال تعالى: +ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ"[2] فالحكمة تعريف الحق، فيقبلها من قبل الحق بلا منازعة، ومن نازعه هواه، وُعِظَ بالترغيب، والترهيب...

فالعلم بالحق يدعو صاحبه إلى اتباعه، فإن الحق محبوب في الفطرة، وهو أحب إليها، وأجل فيها، وألذ عندها من الباطل الذي لا حقيقة له، فإن الفطرة لا تحب ذاك

فإن لم يدعه الحق، و العلم به خوف عاقبة الجحود، و العصيان و ما في ذلك من العذاب، فالنفس تخاف العذاب بالضرورة، فكل حي يهرب مما يؤذيه بخلاف النافع»[3].

ومن مقتضيات الفطرة لدى الإنسان نزوعه إلى الخير، وكرهه للشر.. ومراعاة هذه النزعة لديه تقتضي من الداعية استثماراً حسناً لها يؤدي إلى قبول المدعو لما يدعى إليه.

يقول الله تبارك وتعالى: +زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ" [4].

إن الإنسان مفطور بطبعه على الاستمتاع بالملذات، وحب الحياة، بل إن حب الحياة هو الدافع الأكبر في كيانه، وهو الذي يحركه لما يصدر عنه من نشاط، فالدوافع جميعها يمكن إيجازها في كلمة واحدة: هي حب الحياة. لكنها بعد ذلك تتفرع، وتتشعب فتصبح دافعاً لحفظ الذات، ودافعاً لحفظ النوع، ودافعاً للقتال عن الذات، أو النوع، ودافعاً للملك، ودافعاً للبروز، فالطعام، والشراب، والملبس، والمسكن، ورغبة الملك، والبروز، والتميز، والذود عن النفس كلها تتصل اتصالاً وثيقاً بالرغبة في حفظ الذات والاستمتاع

---

(١) سورة طه، الآية ٤٤.

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٣) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، مرجع سابق، ٢/٢٥١.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٤.

بحفظها. أما حفظ النوع فأداته الكبرى هي الطاقة الجنسية، ولكن الفروع السابقة كلها تشتبك بهذه الطاقة، فيصبح كل منها مزوداً بشعبتين: شعبة تتصل بالذات. وشعبة تتصل بالجنس.

الجوع مثلاً جزء من كيان الإنسان، ولا يمكن بأي نوع من أنواع الضغط الخارجي، إنساء إنسان جوعه، وقد يتعود الإنسان بالضغط الخارجي، أو الذاتي أن يمتنع عن الطعام فترة من الوقت، لأن هذا موجود في فطرته، ولكن لا يمكن أن يمتنع ألبتة عن الطعام مهما اشتد الضغط عليه، لأن هذا ليس من فطرته، وكذلك الدافع الجنسي.

وهنا يمتاز الإسلام بمراعاته للفطرة البشرية، وقبولها بواقعها، ومحاولة تهذيبها، ورفعها لا كبتها وقمعها، والذين يتحدثون في هذه الأيام عن الكبت، وأضراره، وعن العقد النفسية التي ينشئها الكبت، والقمع يقررون أن السبب الرئيسي للعقد هو الكبت وليس هو الضبط.. وهو استقذار دوافع الفطرة، واستنكارها من الأساس مما يوقع الإنسان تحت ضغطين متعارضين: ضغط من شعوره الذي كونه الإيحاء، أو كونه العرف، أو كونه الدين بأن دوافع الفطرة دوافع قذرة لا يجوز وجودها أصلاً، فهي خطيئة، ودافع شيطاني، وضغط هذه الدوافع التي لا تغلب ، لأنها عميقة في الفطرة، ولأنها ذات وظيفة أصيلة في كيان الحياة البشرية لا تتم إلا بها، ولم يخلقها الله في الفطرة عبثاً، وعندئذ في ظل هذا الصراع تتكون العقد النفسية فحتى إذا سلمنا جدلاً بصحة هذه النظريات النفسية، فإننا نرى الإسلام قد ضمن سلامة الكائن الإنساني من هذا الصراع بين شطري النفس البشرية بين نوازع الشهوة، واللذة، وأشواق الارتفاع، والتسامي، وحقق لهذه وتلك نشاطها المستمر في حدود التوسط والاعتدال.

لقد جاء الإسلام موافقاً لطبيعة الإنسان مراعياً رغباته غير متنكر لضروراته يكرم دوافع جسده، وإلحاحات شهوته، لا يعاديها، ولا يستقبحها، ولا يدمر نفس الإنسان، ولا يحارب فطرته باسم الروحانية، والسمو، والتطهر، والملائكية، والترفع على الشهوات الهابطة.

إن الإسلام جاء ليأخذ بيد هذه الدوافع ليجندها، ويوظفها في سبيل عمارة الأرض، وبقاء البشرية، ودوام الحياة فيعترف بإنسانية الإنسان، وبحاجاته الفطرية، ويوجهها إلى الله، ويربطها بطاعته، وهي تدرك أوطارها، وتلبي آمالها ، يجمع في آن واحد بين رغبات الجسد، وأشواق الروح، وغايات الحياة بتناسق،

وتوافق بديع [1].

ينبغي على الداعية أن يراعي مقتضى حال المدعوين، وذلك بأن يخاطب كل طائفة منهم ويحدثها بما يناسبها، و يلبس لكل حالة لبوسها الخاص بها ، ويتعامل معهم حسب قدراتهم لا حسب مقدرته، ولذلك نرى عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – يقول في قوله تعالى: +وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ" [2]. فقال: كونوا حلماء وفقهاء. وقال البخاري رحمه الله: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره. والبدءِ بصغار العلم مرجعه مراعاة العقول حتى لا تنفر من الدعوة. قال ابن حجر رحمه الله: والمراد بصغار العلم ما وضح من مسائله، وبكباره ما دق منها.

فالداعية الماهر من يعرف الطباع الغالبة على المدعوين، ويأتي إليهم من ناحيتها، فلكل جماعة من الناس خطاب يليق بحالها، ويوافق عقليتها، وكما قيل: لكل مقام مقال.

قال أفلاطون: لكل أمر حقيقة، ولكل زمان طريقة، ولكل إنسان خليقة، فعامل الناس على خلائقهم، والتمس من الأمور حقائقها، وأجر مع الزمان على طرائقه.

إن من مبدأ الأمور المهمة – التي يجب أن يراعيها الداعية، وينتبه إليها، ويحرص على تطبيقها مع المدعوين – إنزال الناس منازلهم. ومعاملتهم على حسب أقدارهم، وما ذلك إلا لتأليف قلوبهم، وجذب نفوسهم، وشدهم إلى الإسلام، لاسيما إذا كان المدعو حديث عهد بالإسلام، أو كان ذا منزلة مرموقة في الناس، أو كان ذا نعمة معروفاً بها، أو كان كافراً يرجى هدايته، أو كان ذا فسق يؤمل تقواه، أو كان ذا شيبة بلغ من الكبر عتيا.

فعلى كل مسلم بوجه عام، والداعية بوجه خاص ملاحظة مستويات الناس، وتفاوتها، وأن ينزل الناس منازلهم. فإنما يَعرف الفضلَ لأهلِ الفضلِ أهلُ الفضلِ. ولقد ضرب لنا النبي ﷺ وهو قدوة للدعاة أروع الأمثلة العملية في إنزال الناس منازلهم، ومن ذلك:

أ – **جذب القلوب إلى الإسلام بالعطاء الجزيل.** فعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين فأعطاه إياه، فأتى قومه، فقال: أي قوم أسلموا، فوالله إن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر. فقال

---

(١) دعوة الفطرة، د/ يوسف محيي الدين أبو هلالة (دار العاصمة، الرياض، سنة ١٤٠٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧٩.

أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا، وما عليها[1].

ب – إشباع حب الفخر فيمن يتطلع إليه: رُوي أن العباس ﷺ أتى النبي ﷺ بعد أن أسلم أبو سفيان، وقال: يارسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئاً. قال: «**نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن**» [2].

وقد ورد هذا في صحيح الإمام مسلم في قصة فتح مكة في حديث طويل، جاء فيه: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن**» [3][4].

إن مراعاة الداعية للمطالب الفطرية دليل على توفيق الله له ونجاحه في عمله الدعوي ودليل أيضاً على اقتفائه أثر الرسول ﷺ في دعوته لما في ذلك من جذب القلوب والتأثير على النفوس بإدخالها في حظيرة الإسلام والنجاة من الكفر والضلال والعصيان. وهذا هو المراد الأكبر من العمل الدعوي.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا. وكثرة عطائه (رقم ٢٣١٢).

(٢) انظر السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، (٤/٤٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب فتح مكة (١٧٨٠).

(٤) انظر: مراعاة أحوال المدعوين، د/ حسين محمد محمود عبد المطلب (دار الهلال، أسيوط، ١٤١٩هـ) ص١١٧-١٢٣.

المبحث الثاني

المدعو المسلــم

المطلب الأول

أحوال المدعو المسلم صحيح العقيدة

الناس في الإيمان والإسلام على ثلاث مراتب: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، فالمسلم ظاهراً وباطناً إذا كان ظالماً لنفسه فلابد أن يكون معه إيمان، ولكن لم يأت بالواجب، فالقول الجامع: إن الظالم لنفسه هو المفرط بترك مأمور، أو فعل محظور، والمقتصد القائم بأداء الواجبات، وترك المحرمات، والسابق بالخيرات بمنزلة المتقرب الذي يتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض حتى يحبه الحق(١).

قال الله تعالى: +ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ"، قال ابن عباس: يريد أمة محمد ﷺ، ثم قسمهم ورتبهم، فقال سبحانه: +فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ" (٢).

عن ابن عباس قال: السابق: المؤمن المخلص، والمقتصد: المرائي، والظالم: الكافر نعمة الله غير الجاحد لها، لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة، فقال: +جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا".

وقال بعضهم: يذكر ذلك عن الحسن، قال: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والمقتصد من استوت حسناته، وسيئاته، والظالم من رجحت سيئاته على حسناته.

وقيل: الظالم من كان ظاهره خيراً من باطنه، والمقتصد الذي يستوي ظاهره، وباطنه، والسابق الذي باطنه خير من ظاهره...

أولاً: السابق بالخيرات :

فعلى الداعية الحكيم وهو يدعو السابقين بالخيرات أن يشيد بهم ويثني عليهم بما يناسب حالهم ليلمسوا أثر استقامتهم، وسبقهم.. وبذلك يكون حافزاً لغيرهم على ترسم خطاهم حين يرون نتائج حرصهم، وإخلاصهم، ولذا فقد أشاد القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة في مواضع عدة بأهل السبق في

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ١٦١/٥، ١٦٠.

(٢) سورة فاطر، الآية ٣٢.

مضمار التقرب إلى الله تعالى.. وكان لذلك أثره لكونه قام على نظرة بصيرة لحالهم، تم بها استجلاب رضاهم، وزرع الطمأنينة في قلوبهم والشد على أيديهم للمضي في مسلكهم، بل والزيادة فيه، مع أمن وقوعهم في الزهو لحالهم، والاغترار بمستواهم، ونلمس ذلك التشجيع والإشادة والثناء في قوله ﷺ: «**الإيمان يمان والحكمة يمانية..** »[1] فالظاهر أن المراد اليمن، وأهله حقيقة، ثم إنه وصفهم بما يقتضي كمال إيمانهم، لأن من اتصف بشيء، وقوي قيامه به نسب ذلك الشيء إليه، إشعارا بتميزه به، وكمال حاله فيه[2].

ومن صفات السابقين بالخيرات: الصدق، والأمانة، والإخلاص، والوفاء، والعدل، والصدقة، والكرم، والسخاء، وتوقير الآخرين، واحترامهم. فينبغي أن يقابل ذلك من الداعية بالتشجيع، والثناء، والاحتفاء.. لاسيما إن كان لمن يستأهل ذلك منه كالعلماء، والدعاة فقد قام رسول الله ﷺ يصلي من الليل، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: فقمت، وتوضأت أصلي خلفه، فأخذ بيدي فجعلني حذاءه فخنست، فقمت خلفه، فانصرف رسول الله ﷺ فقال: «**ما لي كلما جعلتك حذائي خنست؟**» قال: فقلت له: لا ينبغي لأحد أن يصلي حذاك، وأنت رسول الله! الذي أعطاك الله. فأعجبته، فدعا الله أن يزيدني فهماً وعلماً. [3].

ومن صفاتهم الصبر: الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك، فإنه على الأيام يسلو.

ومن صفاتهم أيضاً: الحرص على معرفة الحق، وتلمسه، وتقبله، ثم الأخذ به فحين يلمس الداعية ذلك من المدعو فيجب أن يراعي في إشباع طلبه ما يناسب حاله مما يتهيأ له مباشرته، ويجب أن لا يدور في خلد الداعية أن شدة الإقبال من المدعو سبب للزيادة عليه، إذ لا يُؤْمَنُ أن يخف إقباله، ويزول حماسه، وقد ألفى نفسه أمام ما لا قبل له به، فيدور موقفه بين المغالبة، والعنت، أو الانصراف، والإعراض:

ومن صفاتهم: التقرب إلى الله —تعالى- بفعل الطاعات، واجتناب المعاصي، والمنكرات.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب (رقم ٣٤٩٩) وكتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن (رقم ٤٣٨٨) ومسلم، كتاب الإيمان، باب فضل أهل اليمن (رقم ٥٢).

(٢) انظر: الديباج على صحيح مسلم، أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، مرجع سابق، ٦٨/١.

(٣) أخرجه أحمد (٣٣٠/١) والبيهقي في شعب الإيمان، مرجع سابق، ٢/ ١٩٨.

قال الله تعالى: +ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ"[1] لما يرجون، ويؤملون من رحمته، ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الفجار.

ومن صور التعامل مع السابق بالخيرات: قول عثمان بن عفان ﷺ عندما دخل المسجد يوم الجمعة وعمر بن الخطاب يخطب على المنبر فقال: فلم أزد على أن توضأت، أي لم أشتغل بشيء بعد أن سمعت النداء إلا بالوضوء. وهذا يدل على أنه دخل المسجد في ابتداء شروع عمر في الخطبة. وأنكر عليه عمر بقوله: والوضوء أيضا؟!. فيه إشعار بأنه قبل عذره في ترك التبكير، لكنه استنبط منه معنى آخر، اتجه له عليه فيه إنكار ثان، مضاف إلى الأول، أي: والوضوء أيضا اقتصرت عليه، أو اخترته دون الغسل. والمعنى ما اكتفيت بتأخير الوقت، وتفويت الفضيلة حتى تركت الغسل، واقتصرت على الوضوء وفي هذا الحديث من الفوائد: القيام في الخطبة، وعلى المنبر، وتفقد الإمام رعيته، وأمره لهم بمصالح دينهم، وإنكاره على من أخل بالفضل، وإن كان عظيم المحل، ومواجهته بالإنكار ليرتدع من هو دونه بذلك[2].

«ومما يُخاطب به الملتزم السابق إلى الخير ما فيه لفت انتباهه إلى ما يقع من الفتن، ومسبباتها ليحذر منها، ويتوقاها: فعن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»[3].

قال الله تعالى: +وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ"[4] فثبت بذلك أن أخص أوصاف المؤمنين، وأقواها دلالة على صحة عقيدتهم، وسلامة سريرتهم هو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر» [5].

ومن صور مراعاة السابق بالخيرات إكرامه إكراماً يريحه، ويحفز غيره على اللحاق به، وترسم خطاه في مضمار الصلة بالله تعالى: فعن أبي الدرداء ﷺ قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «**أما صاحبكم فقد غامر فسلم**» وقال: إني كان بيني

---

(1) سورة الزمر، الآية ٢٣.

(2) انظر: فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٢/٣٦٠.

(3) أخرجه الترمذي، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (رقم ٢١٦٩)، وقال: هذا حديث حسن.

(4) سورة التوبة، الآية ٧١.

(5) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مرجع سابق، ٨٥/٦.

وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه، ثم ندمت فسألته أن يغفر لي، فأبى عليَّ، فأقبلت إليك فقال: «**يغفر الله لك يا أبا بكر** » ثلاثا، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النبي ﷺ فسلم فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله والله أنا كنت أظلم. مرتين، فقال النبي ﷺ: «**إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي**» مرتين فما أوذي بعدها» [1].

وعلى الداعية الحكيم أن يعرِّف السابقين من أهل الخير أنَّ من كان فيه من الصفات الفاضلة، والأخلاق الكريمة، والشيم الطيبة، لا يخزى أبداً، فإن الأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، والشيم الشريفة، تناسب أشكالها من كرامة الله، وتأييده، وإحسانه، ولا تناسب الخزي، والخذلان، وإنما يناسبه أضدادها، فمن ركبه الله على أحسن الصفات، وأحسن الأخلاق، والأعمال إنما يليق به كرامته، وإتمام نعمته عليه[2].

ثانياً: المقتصد :

لعل من هذه الفئة الإعرابي الذي سأل الرسول ﷺ عن الإسلام وفق ما جاء فيما يلي:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يأتيه الرجل من أهل البادية فيسأله، ونحن نسمع، فأتاه رجل منهم فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال: «**صدق**» وفيه قال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن، ولا أنقص منهن شيئا. فلما قفى قال رسول الله ﷺ: «**لئن صدق ليدخلن الجنة**»[3] .

ومن مظاهر الاقتصاد إحجام المدعو المسلم عن بعض الواجبات التي تسقط عنه لكونها من فروض الكفاية.. ولا يدعوه إليها إلا مُرغب يحدوه إلى ترك تقصده، والمسارعة –بمغالبة نفسه– إلى ما يترتب على هذه الأعمال من أجر كبير وجزاء جزيل:

ومما يعين المقتصد على الخير مراعاة حال الكسل لديه بفتح أبواب الفرص أمامه ليختار منها ما

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً. (رقم ٣٦٦١)

(٢) انظر: زاد المعاد، ابن القيم، مرجع سابق، ١٧/٣.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام (رقم ١٢).

يناسبه: فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(1). وفي لفظ أن رسول الله ﷺ قال: «**من رأى منكم منكرا فغيره بيده فقد برىء، ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برىء، ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برىء، وذلك أضعف الإيمان**»(2).

وعن أبي كثير السحيمي عن أبيه قال: سألت أبا ذر قلت: دلني على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة؟ قال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ قال: «**تؤمن بالله واليوم الآخر**» قلت: يا رسول الله إن مع الإيمان عملا؟ قال: «**يرضخ مما رزقه الله**» قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان فقيرا لا يجد ما يرضخ به؟ قال: «يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر» قال: قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان عيياً لا يستطيع أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؟ قال: «**يصنع لأخرق** » قلت: أرأيت إن كان أخرق! أن يصنع شيئاً قال: «**يعين مغلوباً**» قلت: أرأيت إن كان ضعيفا لا يستطيع أن يعين مغلوبا؟ قال: «**ما تريد أن يكون في صاحبك من خير؟ يمسك عن أذى الناس**» فقلت: يا رسول الله إذا فعل ذلك دخل الجنة؟ قال: «**ما من مسلم يفعل خصلة من هؤلاء إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة**»(3) (4).

ثالثاً: الظالم لنفسه

إن الظلم ثلاث مراتب: الشرك، ثم الظلم للخلق، ثم ظلم النفس.

من مراعاة أحوال المدعو الظالم لنفسه الذي يقع في الكذب دلالته على كل صور الكذب التي لا يدور في باله أنها منه، وكذا لفت انتباهه إلى ما قد يُجَرِّأه عليه من مقدماته: كالظن، والزعم، وعدم التثبت(5). ومن صفات الظالم لنفسه تهاونه في الغيبة، والنميمة وسائر جرائم اللسان.

فهي حرام بإجماع المسلمين، و قد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب و السنة، قال

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب النهي عن المنكر من الإيمان (رقم ٤٩).

(2) أخرجه النسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، باب تفاضل أهل الإيمان (رقم ٥٠٠٩).

(3) أخرجه ابن حبان (٩٦/٢ رقم ٣٧٣) والحاكم (١٣٢/١) والطبراني في الكبير (١٥٦/٢) رقم ١٦٥٠)

(4) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، (٥٤/١٣).

(5) عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مرجع سابق، ٢١٤/١٣.

الله تعالى: +وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ"[1] وفي الصحيحين أن رسول الله × قال: «**لا يدخل الجنة نمام**» [2]و في الحديث أن رسول الله × مر بقبرين قال: «**إنهما ليعذبان و ما يعذبان في كبير، أما إنه كبير. أما أحدهما فكان لا يستبرىء من بوله، و أما الآخر فكان يمشي بالنميمة**» ثم أخذ جريدة رطبه فشقها اثنتين و غرز في كل قبر واحدة، وقال: « **لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[3].

ومن صفات الظالم لنفسه جرأته على الزنى، ودواعيه :

ومن دواعي الزنا الخلوة، والتساهل بها خصوصاً مع أقارب الزوج.. والحال الخاصة بالمدعو التي تتطلب المراعاة من الداعية حين قيامه بالدعوة هي حال الخلوة، وما يكتنفها من مغريات الشيطان، وتزيينه، إضافة إلى سهولة حصولها لبعد الشبهة عنها بخلاف الخلوة مع البعيد.

ومن صفات الظالم لنفسه أكل الأموال بالباطل مثل: (السرقة، الربا،الغلول، الرشوة..)

قال تعالى: +وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"[4] وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، وقد وردت السنة بالنهي عن ذلك أيضاً في أحاديث متعددة...فعن أبي مالك الأشجعي ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**أعظم الغلول عند الله ذراع من الأرض، تجدون الرجلين جارين في الأرض أو في الدار فيقطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعاً، فإذا اقتطعه طوقه من سبع أرضين إلى يوم القيامة**»[5].

وعن عمر بن الخطاب ﵁، قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا:

(**١**) سورة القلم، الآيتان ١٠، ١١.

(٢) أخرجه البخاري بلفظ: "قتات" كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة (رقم ٦٠٥٦) ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة (رقم ١٠٥).

(**٣**) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، (رقم ٢١٨) وكتاب الجنائز، باب الجريد على القبر (رقم ١٣٦١) ومسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول (رقم ٢٩٢).

(**٤**) سورة آل عمران، الآية ١٦١.

(٥) أخرجه أحمد (١٤٠/٤، ٢٠٢) (٣٤١/٥، ٣٤٤) والطبراني في الكبير (٢٩٩/٣رقم ٣٤٦٣) وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٠٥/٥) وعزاه إلى ابن أبي شيبة

فلان شهيد، وفلان شهيد، حتى أتوا على رجل، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ «**كلا إني رأيته في النار في بردة غلها – أو عباءة –**» ثم قال رسول الله ﷺ «**يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون**». قال: فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون[1] [2].

ومن صفات الظالم لنفسه الغش، والاحتيال، والمكر: إن الله ﷻ ينهى عن نقص المكيال، والميزان إذا أعطوا الناس، ثم أمرهم بوفاء الكيل، والوزن بالقسط آخذين، ومعطين، ونهاهم عن العثو في الأرض بالفساد، وقد كانوا يقطعون الطريق.

ومن صفات الظالم لنفسه الشح، والبخل. وهذه السمة لا يتهيأ انتزاعها من نفس المدعو إلا بإحداث ما هو أقوى من سببها، ودافعها في نفسه، ألا وهو حب الزيادة في المال، ونماؤه الذي لا يحصل -حسب ظنه- إلا بادخاره، والإحجام عن إنفاقه، فكان وعده بالربح، والزيادة بتمثيل يقرب الصورة له، ويزيد من تسليمه بها هو الأجدى في حق من هذه صفته، وفي حديث الرسول ﷺ بهذا الشأن ما يبين ذلك، ويجليه...

عن أبي هريرة قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**ما تصدق عبد بصدقة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا طيبا، ولا يصعد إلى السماء إلا طيب، إلا كأنما يضعها في يد الرحمن، فيربيها له كما يربي أحدكم فلوه وفصيله، حتى إن اللقمة أو التمرة لتأتي يوم القيامة مثل الجبل العظيم**»[3].

ومن صفات الظالم لنفسه السخط، وعدم الصبر: فالسخط حرام، ولا خلاص عنه إلا بالرضا، وما لا خلاص عن الحرام إلا به فهو واجب. وقد قال رسول الله ×: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**»[4] وفي الأثر: «من لم

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الغلول (رقم ١١٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١/٥٥٦.

(٣) أخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب النعوت، باب المعافاة والعقوبة (رقم ٧٧١١) وفي كتاب التفسير، باب سورة التوبة (رقم ١١١٦٣)، وانظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي،١/٥٠٤.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (رقم ٢٣٩٦) وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (رقم ٤٠٣١) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

يصبر على بلائي، ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سواي» [1].ومن صفات الظالم لنفسه التكبر، والمماراة. يقول الله سبحانه: +سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ"[2] يصرفهم بسبب الكبر، ويكون صرفهم بتعطيل ملكات العثور على هذه الآيات، والاهتداء إليها.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط حتى ينزع** »[3] وعن أبي أمامة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدال** » ثم تلا +مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا"[4] الآية وقال ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم، وجدال منافق في القرآن، ودنيا تقطع أعناقكم**»[5].

«ومن صور المماراة ما بدر من بني إسرائيل حين أُمِروا بذبح بقرة.. وكان المسلك المناسب لمراعاة حالهم التي طغى عليها المراء، والعمد إلى التعجيز الإتيان بما عمدوا إليها من التعجيز؛ لينالوا جريرة ما هموا بإيذاء الداعية به» [6].

ومن صفات الظالم لنفسه الغلو في الدين : وهو أمر وارد يقع فيه المدعو لعدة دوافع يكتنفها قلة الفقه، والعلم بالدين.. ومن هذه الدوافع الحرص على الخير، وتلمس الدرجات العُلى من الأجر، وكذا الخوف من التقصير، والشعور بعدم الوفاء بما جاء في أوامر الله —تعالى– ونواهيه، ولذا فقد كان الهدي الدعوي لرسول الله ﷺ آخذاً في الاعتبار ما قد ينشط من هذه السمة لدى بعض المدعوين.

---

(١) قال الهيثمي في المجمع (٢١٠/٧): روه الطبراني وفيه سعيد بن زياد بن هند وهو متروك، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٥٠٥): ضعيف جداً.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٦.

(٣) أخرجه بنحوه عن ابن عمر –رضي الله عنهما– كل من أبي داود، كتاب الأقضية، باب فيمن يعين على خصومة (رقم ٣٥٩٧) وابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من ادعى ماليس له، وخاصم فيه (رقم ٢٣٢٠) وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٥٥٤١) وقد صح معناه كما في صحيح الجامع (رقم ٦١٩٦).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الزخرف (رقم ٣٢٥٣) وابن ماجه، في المقدمة، باب اجتناب البدع، والجدل (رقم ٤٨) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٦٣٣).

(٥) أخرجه الطبراني في الصغير بلفظ قريب (رقم ١٠٠٣) وقال فيه الهيثمي في المجمع (١٩١/١): رواه الطبراني في الثلاثة وفيه الحكم بن منصور وهو متروك الحديث.

(٦) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٣٣٧/١.

ومما يجب أن ينتبه له في مراعاة الظالم لنفسه عدم التشنيع عليه والتشهير به:

قال الله تعالى: +إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[١]. وقال رسول الله ﷺ في الذي تزني أمته «**فليجلدها ولا يثرب**»[٢]، فصح أن التثريب على الزاني حرام، وأن إشاعة الفاحشة حرام، ولا يحل بلا خلاف أذى المسلم بغير ما أمر الله –تعالى– أن يؤذى به

فصح من هذا أن من سب مسلما بزنى كان منه، أو بسرقة كانت منه، أو معصية كانت منه وكان ذلك على سبيل الأذى لا على سبيل الوعظ والتذكير الجميل سرا لزمه الأدب لأنه منكر[٣].

«عن عائشة –رضي الله عنها– أن النبي ﷺ قال: «**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود**»[٤]... وأقيلوا هنا مأخوذ منها، والمراد هنا موافقة ذي الهيئة على ترك المؤاخذة له، أو تخفيفها. وفسر الشافعي ذوي الهيئات بالذين لا يعرفون بالشر فيزل أحدهم الزلة.

وحكى الماوردي في ذلك وجهين: أحدهما: أنهم أصحاب الصغائر دون الكبائر. والثاني: من إذا أذنب تاب. وفي عثراتهم وجهان: أحدهما الصغائر. والثاني أول معصية يزل فيها مطيع[٥].

قد يكون من أشكال المراعاة لحال المدعوين مسألة التمهيد لقبول الحق بإسقاط الباطل، وهدمه، حتى تخلو النفس منه، وتتخلص مما بها من باطل مما يحول دون قبول الحق.

وهذه المسألة فيها ضابط وهو الحرص على تخليص النفس مما تعلقت به من الباطل حتى تركن بيسر لما يعرض عليها من الحق.

والداعي إلى الله –تعالى– يعمل مع هؤلاء العصاة مثل الطبيب الخبير، فيكشف أصل الداء، ثم يشعر المريض بالمرض الذي ابتلي به، ثم يدفعه لتناول الدواء الذي يصفه لإنقاذ نفسه من التهلكة ، ويستعيد صحته، ثم يتعهد بحالة مريضه حيناً فآخر حتى يتأكد من مراعاته لإرشاداته، ونجاته من زلاته.

---

(١) سورة النور، الآية ١٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب بيع العبد الزاني (رقم ٢١٥٢).

(٣) المحلى، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مرجع سابق، ٢٨٢/١١.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الحدود، باب في الحد يشفع فيه (رقم ٤٣٧٥) والنسائي في الكبرى، كتاب الرجم، باب التجاوز عن زلة الهيئة (رقم ٧٢٥٣).

(٥) انظر:سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، الأمير الصنعاني، مرجع سابق، ٣٨/٤.

والداعي إلى الله ينظر إلى العصاة نظرة إشفاق، ورحمة، فهو يراهم كالواقفين على حافة خطر يخشى عليهم من الهلاك، ويعمل جهده لتخليصهم، وإنقاذهم، وهو في سبيل هذه الغاية يتجاوز عن تجاوزاتهم على حقه إن كانت معصيتهم في حقه، ولا يعيرهم، ولا يشمت بهم، ولا يحتقرهم افتخاراً بنفسه عليهم، وإدلالاً بطاعته، ولكن له أن يستصغرهم لمعصيتهم، وتجاوزهم حدود الشرع،وأن يغضب لهذا التجاوز. قالت عائشة –رضي الله عنها–: ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط، ولا نيل منه شيء فانتقم لنفسه إلا أن تنتهك محارم الله، فإذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله»[1].

وعلى الدعاة إلى الله –تعالى– أن يدعوا جميع العصاة إلى التوبة، والإنابة، والرجوع إلى دين الله، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، وإخبارهم بأن الله –تبارك وتعالى– يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها، ورجع عنها وإن كثرت، وكانت مثل زبد البحر، قال تبارك وتعالى: +﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ" [2].

وقال تعالى: +وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا" [3].

وإن للدعاة إلى الله –تعالى– مع العصاة أساليب حكيمة في تبغيض المعصية، والترغيب في الطاعة، وإن من أفدح أنواع الخطأ إسلامياً، وتربوياً أن يعير العاص بمعصيته، أو يشهر بها، فإن هذا وذاك مما نهى عنه الإسلام، ومما لا يتفق مع أساليب الدعوة، ولا مع العلاج المفيد[4].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسروا، ولا تعسروا (رقم ٦١٢٦)، ومسلم كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام، واختياره من المباح أسهله (رقم ٢٣٢٧).

(**٢**) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(**٣**) سورة الفرقان، الآيات ٦٨-٧٠

(٤) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٤هـ) ١٠٨-١١٠.

المطلب الثاني

أحوال المدعو المسلم منحرف العقيدة

إذا كان المدعو ممن ينكر الصفات، ويقر بالأسماء كالمعتزلي الذي يقول: إنه حي عليم قدير، وينكر أن يتصف بالحياة، والعلم، والقدرة.

يقال له: لا فرق بين إثبات الأسماء، وإثبات الصفات، فإنك إن قلت إثبات الحياة، والعلم، والقدرة يقتضي تشبيها، أو تجسيما، لأنَّا لا نجد في الشاهد متصفا بالصفات إلا ما هو جسم قيل لك، ولا نجد في الشاهد ما هو مسمى حي عليم قدير إلا ما هو جسم، فإن نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد إلا للجسم فانف الأسماء، بل، وكل شيء لأنك لا تجده في الشاهد إلا للجسم.

فكل ما يحتج به من نفى الصفات يحتج به نافي الأسماء الحسنى، فما كان جوابا لذلك كان جوابا لمثبتي الصفات.

وإن كان المخاطب من الغلاة نفاة الأسماء، والصفات وقال: لا أقول هو موجود، ولا حي، ولا عليم، ولا قدير، بل هذه الأسماء لمخلوقاته، إذ هي مجاز، لأن إثبات ذلك يستلزم التشبيه بالموجود الحي العليم.

قيل له: وكذلك إذا قلت: ليس بموجود، ولا حي، ولا عليم، ولا قدير كان ذلك تشبيها بالمعدومات، وذلك أقبح من التشبيه بالموجودات.

فإن قال: أنا أنفي النفي، والإثبات؟ قيل له: فيلزمك التشبيه بما اجتمع فيه النقيضان من الممتنعات، فإنه يمتنع أن يكون الشيء موجوداً معدوماً. (١)

ولهذا كان المتكلمة الصفاتية كابن كلاب، والأشعري، وابن كرام خيراً وأصح طريقا في العقليات، والسمعيات من المعتزلة، والمعتزلة كانوا خيراً وأصح طريقا في العقليات، والسمعيات من المتفلسفة، وإن كان في قول كل من هؤلاء ما ينكر عليه وما خالف فيه العقل، والسمع، ولكن من كان أكثر صوابا، وأقوم قيلا كان أحق بأن يقدم على من هو دونه تنزيلا وتفصيلا

ولا ريب أن المعتزلة خير من الرافضة، ومن الخوارج، فإن المعتزلة تقر بخلافة الخلفاء الأربعة، وكلهم

---

(١) انظر: المحلى، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مرجع سابق، ٥/١.

يتولون أبا بكر، وعمر، وعثمان، وكذلك المعروف عنهم أنهم يتولون عليا، ومنهم من يفضله على أبي بكر، وعمر، ولكن حُكي عن بعض متقدميهم أنه قال فسق يوم الجمل إحدى الطائفتين، ولا أعلم عينها، وقالوا: إنه قال لو شهد علي، والزبير لم أقبل شهادتهما لفسق أحدهما لا بعينه، ولو شهد علي مع آخر ففي قبول شهادته قولان، وهذا القول شاذ فيهم، والذي عليه عامتهم تعظيم علي

ومن المشهور عندهم ذم معاوية، وأبي موسى، وعمرو بن العاص لأجل علي، ومنهم من يكفر هؤلاء، ويفسقهم بخلاف طلحة، والزبير، وعائشة، فإنهم يقولون: إن هؤلاء تابوا من قتاله، وكلهم يتولى عثمان، ويعظمون أبا بكر، وعمر، ويعظمون الذنوب، فهم يتحرون الصدق كالخوارج لا يختلقون الكذب، كالرافضة، ولا يرون أيضا اتخاذ دار غير دار الإسلام كالخوارج، ولهم كتب في تفسير القرآن، ونصر الرسول، ولهم محاسن كثيرة يترجحون على الخوارج، والروافض، وهو قصدهم إثبات توحيد الله، ورحمته، وحكمته وصدقه، وطاعته[1].

وأما الخوارج فإنهم يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، فعلم أنهم المارقون، ولأنه لو قتلهم قبل المحاربة له لربما غضبت لهم قبائلهم، وتفرقوا على علي ﷺ، وقد كان حاله في حاجته إلى مداراة عسكره، واستئلافهم كحال النبي ﷺ في حاجته في أول الأمر إلى استئلاف المنافقين.

وأيضا فإن القوم لم يعترضوا لرسول الله ﷺ، بل كانوا يعظمونه، ويعظمون أبا بكر وعمر، ولكن غلوا في الدين غلوا جاوزوا به حده، لنقص عقولهم، وعلمهم، فصاروا كما تأوله علي فيهم من قوله ﷻ: +قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا"[2].

وأوجب ذلك لهم عقائد فاسدة ترتب عليها أفعال منكرة، كفَّرهم بها كثير من الأمة، وتوقف فيها آخرون، فلما رأى النبي ﷺ الرجل الطاعن عليه في القسمة الناسب له عدم العدل بجهله، وغلوّه، وظنه أن العدل هو ما يعتقده من التسوية بين جميع الناس دون النظر إلى ما في تخصيص بعض الناس، وتفضيله من مصلحة التأليف، وغيرها من المصالح، علم أن هذا أول أولئك، فإنه إذا طعن عليه في وجهه فهو على

---

(١) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ٣/١٤٤.

(٢) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.

سنته بعد موته وعلى خلفائه أشد طعنا[1].

فكل عمل يعمله على البدعة فكما لو لم يعمله، ويزيد على تارك العمل بالعناد الذي تضمنه ابتداعه، والفساد الداخل على الناس به في أصل الشريعة، وفي فروع الأعمال، والاعتقادات، وهو يظن مع ذلك أن بدعته تقربه من الله، وتوصله إلى الجنة.

وقد ثبت بالنقل الصحيح الصريح بأنه لا يقربه إلى الله إلا العمل بما شرع، وعلى الوجه الذي شرع وهو تاركه، وأن البدع تحبط الأعمال وهو ينتحلها.

وأما أن البدع مظنة إلقاء العداوة، والبغضاء بين أهل الإسلام، فلأنها تقتضي التفرق شيعاً، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم حسبما تقدم في قوله تعالى: +وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ"[2] وقوله: +وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ"[3]، وقوله: +وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ"[4]، وقوله: +إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ"[5] وما أشبه ذلك من الآيات في هذا المعنى.

وقد بين عليه الصلاة والسلام: أن فساد ذات البين هي الحالقة، وأنها تحلق الدين[6] هذه الشواهد تدل على وقوع الافتراق، والعداوة عند وقوع الابتداع.

وأول شاهد عليه في الواقع قصة الخوارج إذ عادوا أهل الإسلام حتى صاروا يقتلونهم، ويدعون الكفار كما أخبر عنه الحديث الصحيح، ثم يليهم كل من كان له صولة منهم بقرب الملوك، فإنهم تناولوا أهل السنة بكل نكال، وعذاب، وقتل أيضاً، حسبما بينه جميع أهل الأخبار.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة بدون) ٦٧/٢، ٧٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(٤) سورة الروم، الآيتان ٣١، ٣٢.

(٥) سورة الأنعام، الآية ١٥٩.

(٦) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة (رقم ٢٥٠٨، ٢٥٠٩).

ثم يليهم كل من ابتدع بدعة، فإن من شأنهم أن يثبطوا الناس عن اتباع الشريعة، ويذمونهم، ويزعمون أنهم الأرجاس الأنجاس المكبين على الدنيا، ويضعون عليهم شواهد الآيات في ذم الدنيا، وذم المكبين عليها، كما يروى عن عمرو بن عبيد أنه قال: لو شهد عندي علي، وعثمان، وطلحة، والزبير على شراك نعل ما أجزت شهادتهم...

ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً، وغير ذلك من الأحاديث.

وإذا ثبت أن كل بدعة تبتدع فلا تزداد على طول الزمان إلا مضياً . حسبما تقدم . واشتهاراً، وانتشاراً، فعلى ذلك يكون إثم المبتدع لها، كما أن من سن سنةً حسنةً كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، وأيضاً فإذا كانت كل بدعة يلزمها إماتة سنة تقابلها، كان على المبتدع إثم ذلك أيضاً، فهو إثم زائد على إثم الابتداع، وذلك الإثم يتضاعف تضاعف إثم البدعة بالعمل بها، لأنها كلما تجددت في قول، أو عمل تجددت في قول إماتة السنة كذلك.

واعتبروا ذلك ببدعة الخوارج فإن النبي ﷺ عرفنا بأنهم: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[1] الحديث إلى آخره. ففيه بيان أنهم لم يبق لهم من الدين إلا ما إذا نظر فيه الناظر شك فيه وتمارى. هل هو موجود فيهم أم لا؟ وإنما سببه الابتداع في دين الله، وهو الذي دل عليه قوله: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**»[2]، وقوله: «**يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم**» فهذه بدع ثلاث، أعاذنا الله بفضله.

وأما أن صاحبها ليس له من توبة، فلما جاء من قوله عليه الصلاة والسلام «**إن الله حجر التوبة على كل صاحب بدعة**»[3].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: + وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا" (رقم ٣٣٤٤)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (رقم ١٠٦٤).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (رقم ٣٧) والطبراني في الأوسط (رقم ٤٣٦٠) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/١٨٩) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٦٢٠)

وعن يحيى بن أبي عمرو الشيباني قال: كان يقال يأبى الله لصاحب بدعة بتوبة، وما انتقل صاحب بدعة إلا إلى أشر منها، وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: ما كان رجل على رأي من البدعة فتركه إلا إلى ما هو شر منه.

وعن أيوب قال: كان رجل يرى رأياً فرجع فأتيت محمداً فرحاً بذلك أخبره، فقلت: أشعرت أن فلاناً ترك رأيه الذي كان يرى؟ فقال: انظر إلام يتحول؟ إن آخر الحديث أشد عليهم من الأول، وأوله: «يمرقون من الدين» وآخره: «ثم لا يعودون» وهو حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «**سيكون من أمتي قوم يقرؤون القرآن، ولا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة**»(١).

وسبب بعده عن التوبة أن الدخول تحت تكاليف الشريعة صعب على النفس لأنه أمر مخالف للهوى، وصاد عن سبيل الشهوات، فيثقل عليها جداً لأن الحق ثقيل، والنفس إنما تنشط بما يوافق هواها لا بما يخالفها، وكل بدعة فللهوى فيها مدخل، لأنها راجعة إلى نظر مخترعها لا إلى نظر الشارع.

والمبتدع لا بد له من تعلق بشبهة دليل ينسبها إلى الشارع، ويدَّعي أن ما ذكره هو مقصود الشارع، فصار هواه مقصوداً بدليل شرعي في زعمه، فكيف يمكنه الخروج عن ذلك، وداعي الهوى مستمسك بحسن ما يتمسك به؟ وهو الدليل الشرعي في الجملة.

ومن الدليل على ذلك ما روي عن الأوزاعي قال: بلغني أن من ابتدع بدعة ضلالة آلفه الشيطان العبادة، أو ألقى عليه الخشوع، والبكاء كي يصطاد به. وقال بعض الصحابة: أشد الناس عبادة مفتون. واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام: «يحقر أحدكم صلاته في صلاته، وصيامه في صيامه» إلى آخر الحديث...

وقد حكم العلماء بكفر جملة منهم كالباطنية، وسواهم، لأن مذهبهم راجع إلى مذهب الحلولية القائلين بما يشبه قول النصارى في اللاهوت، والناسوت، والعلماء إذا اختلفوا في أمر: هل هو كفر أم لا؟ فكل عاقل يربأ بنفسه أن ينسب إلى خطة خسف كهذه بحيث يقال له: إن العلماء اختلفوا: هل أنت كافر أم ضال غير كافر؟ أو يقال: إن جماعةً من أهل العلم قالوا بكفرك، وأنت حلال الدم.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب الخوارج شر الخلق والخليقة (رقم ١٠٦٧).

وأما أنه يخاف على صاحبها سوء الخاتمة، والعياذ بالله. فلأن صاحبها مرتكب إثماً، وعاص لله تعالى حتماً، ولا تقول الآن: هو عاص بالكبائر، أو بالصغائر، بل نقول: هو مصر على ما نهى الله عنه، والإصرار يعظم الصغيرة إن كانت صغيرة حتى تصير كبيرة، وإن كانت كبيرة فأعظم. ومن مات مصراً على المعصية فيخاف عليه، فربما إذا كشف الغطاء، وعاين علامات الآخرة استفزه الشيطان، وغلبه على قلبه، حتى يموت على التغيير، والتبديل، وخصوصاً حين كان مطيعاً له فيما تقدم من زمانه، مع حب الدنيا المستولي عليه...

وعن سفيان الثوري: من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنةً لغيره، وإما أن يقع بقلبه شيء يزل به فيدخله النار، وإما أن يقول: والله لا أبالي ما تكلموا به، وإني واثق بنفسي. فمن يأمن بغير الله طرفة عين على دينه سلبه إياه.

وعن يحيى بن أبي كثير قال: إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق آخر.

وعن أبي قلابة قال: لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمروكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون[1].

وعن إبراهيم قال: لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تكلموهم، فإني أخاف أن ترتد قلوبكم.

فاعلموا أن البدعة لا يقبل معها عبادة من صلاة، ولا صيام، ولا صدقة ولا غيرها من القربات. ومجالس صاحبها تنزع منه العصمة، ويوكل إلى نفسه، والماشي إليه وموقره معين على هدم الإسلام، فما الظن بصاحبها، وهو ملعون على لسان الشريعة، ويزداد من الله بعبادته بعداً؟! وهي مظنة إلقاء العداوة، والبغضاء، ومانعة من الشفاعة المحمدية، ورافعة للسنن التي تقابلها، وعلى مبتدعها إثم من عمل بها، وليس له من توبة، وتلقى عليه الذلة، والغضب من الله، ويبعد عن حوض رسول الله ﷺ، ويخاف عليه أن يكون معدوداً في الكفار الخارجين عن الملة، وسوء الخاتمة عند الخروج من الدنيا، ويسود وجهه في الآخرة يعذب بنار جهنم، وقد تبرأ منه رسول الله ﷺ، وتبرأ منه المسلمون ويخاف عليه الفتنة في الدنيا زيادة إلى عذاب الآخرة.

فأما أن البدعة لا يقبل معها عمل، فقد روي عن الأوزاعي أنه قال: كان بعض أهل العلم يقول: لا

---

(١) انظر: الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي، مرجع سابق، ١/٩٠.

يقبل الله من ذي بدعة صلاةً، ولا صياماً، ولا صدقةً، ولا جهاداً، ولا حجاً، ولا عمرةً، ولا صرفاً، ولا عدلاً.

فإذا كان المدعو ينتحل بدعة من البدع، سواء أكانت مما كان لها أصل أو بدعة مستحدثة، فعلى الداعية الحكيم أن يركز معه في دعوته على إبطال ما عليه من انحرافات عقدية، فمثلاً: ممن كان على بدعة الاعتزال أو الخروج فالحكمة في دعوته بيان بطلان ما كان عليه المعتزلة والخوارج، وليس من الحكمة أبداً الكلام معه في إبطال بدعة الإرجاء أو التجهم، فلكل مقام مقال، ولكل طائفة طريقة تناسبها. وليس من الحكمة أيضاً الحديث مع الجهمي أو القدري عن قبح الكبائر الحسية والمادية من ارتكاب الفواحش وشرب الخمور مثلاً وترك الحديث معهم عما هم مبتلين به من البدعيات المهلكات من إنكار صفات الباري وتعطيلها أو نفي أقدار الله عز وجل.

أما: المدعو الواقع في الشرك الأصغر، أو الخفي:

قال الله ﷻ +إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ " (1). وقال الخليل ؑ: +وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ " (2).

وفي الحديث: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» فسئل عنه فقال: «**الرياء**»(3). وعن ابن مسعود ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار**» (4) رواه البخاري، ولمسلم عن جابر ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «**من لقي الله وهو لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار**» (5).

وأما الشرك الأصغر: فهو جميع الأقوال، والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك: كالغلو في المخلوق

---

(1) سورة النساء، الآيتان ٤٨، ١١٦

(2) سورة إبراهيم، الآية ٣٥.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤٢٨/٥، ٤٢٩) والطبراني في معجمه الكبير (٢٥٣/٢ رقم ٤٣٠١).

(٤) أخرجه البخاري،كتاب التفسير، باب قوله: +وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ " (رقم ٤٤٩٧).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة... (رقم ١٥٢/٩٣).

الذي لا يبلغ رتبة العبادة: كالحلف بغير الله، ويسير الرياء ونحو ذلك [1].

واعلم أن ضد التوحيد الشرك، وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي.

ثم ذكر النوع الأول وهو الشرك الأكبر ثم قال:

والنوع الثاني: شرك أصغر، وهو الرياء، والدليل عليه قوله تعالى: +فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا " [2].

والنوع الثالث: شرك خفي، والدليل عليه قوله ﷺ: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفاة السوداء في ظلمة الليل» وكفارته قوله ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم**»[3] [4].

أما قول الشيخ تقي الدين بن تيمية شدد في أمر الشرك تشديداً لا مزيد عليه. فالله هو الذي شدد في ذلك لقوله سبحانه: +إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ "[5] في موضعين من كتابه، وقال على لسان المسيح لبني إسرائيل: +إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ "[6] الآية وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: +وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ "[7] الآية، وقال: + وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ "[8] وقال سبحانه: +فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ "[9] وفي السنة الثابتة عن النبي ﷺ من التحذير من

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد، الشيخ عبد الرحمن السعدي، دار القبس، الرياض، سنة ١٤٢٦هـ، ص٨٢-٨٣.

(٢) سورة الكهف، الآية ١١٠.

(٣) صححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٧٣١).

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد القاسم، سنة ١٤١٣ (٧٠/٢) ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية أشرف على جمعها عبد السلام برجس، سنة ١٤٠٩، الرياض، دار العاصمة (٦٦٢/١).

(٥) سورة النساء، الآية ٤٨.

(٦) سورة المائدة، الآية ٧٢.

(٧) سورة الزمر، الآية ٦٥.

(٨) سورة الأنعام، الآية ٨٨.

(٩) سورة التوبة، الآية ٥.

الشرك، والتشديد فيه مالا يحصى، وغالب الأحاديث التي يذكر فيها ﷺ الكبائر يبدأها بالشرك، ولما سئل: أي الذنوب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**» (١).

إذا عرف ذلك تعين على كل مكلف معرفة حد الشرك، وحقيقته، لا سيما في هذه الأزمنة التي غلب فيها الجهل بهذا الأمر العظيم (٢).

ولا ينفك أمر، أو توجيه من التأكيد على سلامة المقصد، وحسن النية، وضرورة الإخلاص حتى يكون العمل مرضياً من الله –تعالى– يثيب عليه من أتى به، وحين يأتي الخطاب للمدعو المسلم فإن هذا الخطاب لا يغيب عنه هذا التأكيد لهذا الأمر، لكون قلب الإنسان لا ينفك من دواخل الرياء، ومسبباته:

أما المدعو الواقع في الشرك الأكبر :

ومن ذلك ما وقر لدى البعض من معتقدات تتصل بإسناد ما لله تعالى إلى غيره من مخلوقاته مما يحدث في الكون، وعلى الإنس، وكان المدعو بحالته تلك بحاجة إلى من يزيح عنه هذه الأفكار بمراعاة حكيمة لأحواله، تفضي إلى تصديقه، واطمئنانه، وتجرده من الخوف، والفزع، والركون إلى غير الله تعالى، فهو الذي يملك الأمر كله...

فأما الشرك الأكبر فهو أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه، أو يرجوه، أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة، فهذا الشرك لا يبقى مع صاحبه من التوحيد شيء، وهذا المشرك الذي حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار.

ولا فرق في هذا بين أن يسمي تلك العبادة التي صرفها لغير الله عبادة، أو يسميها، توسلاً، أو يسميها بغير ذلك من الأسماء، فكل ذلك شرك أكبر، لأن العبرة بحقائق الأشياء، ومعانيها دون ألفاظها وعباراتها.

فإذا كان الشرك ينافي التوحيد، ويوجب دخول النار، والخلود فيها، وحرمانه الجنة إذا كان أكبر، ولا تتحقق السعادة إلا بالسلامة منه كان حقًّا على العبد أن يخاف منه أعظم خوف، وأن يسعى في الفرار

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: + فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ" (رقم ٤٤٧٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده (رقم ٨٦).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، أشرف على جمعها عبد السلام برجس، مرجع سابق، (٥/٤٦٦-٤٦٧).

منه، ومن طرقه، ووسائله، وأسبابه، ويسأل الله العافية منه، كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء، وخيار الخلق.

وعلى العبد أن يجتهد في تنمية الإخلاص في قلبه، وتقويته، وذلك بكمال التعلق بالله تألهاً، وإنابة، وخوفاً، وطمعاً، وقصداً لمرضاته، وثوابه في كل ما يفعله العبد ، وما يتركه من الأمور الظاهرة والباطنة، فإن الإخلاص بطبيعته يدفع الشرك الأكبر والأصغر، وكل ما وقع منه نوع من الشرك فلضعف إخلاصه[1].

وأما الشرك في الشرع: فقد عرفه الذهبي بقوله: هو أن تجعل لله نداً، وهو خلقك، وتعبد معه غيره.

وعلى هذا فالشرك في الشرع: هو أن يصرف العبد شيئاً من أنواع العبادة لغير الله –تعالى– من أصنام، أو أوثان، أو أشجار، أو أحجار، أو إنس، أو جن، أو قبور، أو أجرام سماوية، أو قوى طبيعية، أو غير ذلك.

وقد بين النبي × حقيقة الشرك، وعظم جرمه، وأنه أكبر الكبائر، وأعظم الذنوب، لأنه تنقص برب العالمين، وانتهاك لحقه تبارك وتعالى ، ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ×: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**» [2] الحديث.

وفي الصحيحين عن أبي بكرة عن أبيه ، قال: كنا عند رسول الله × فقال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» ثلاثاً: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور**» [3] الحديث.

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول ×: «**يا معاذ هل تدري ما حق الله على العباد؟** » قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً..** ». [4]

والبشرية كلها تنحط فكرياً تميل إلى الماديات، والمحسوسات، وهنا يكون التخبط العقلي، فتارة تتصور معبودها في صورة شمس، وتارة في صورة حيوان، وتارة في صورة حجر، ومرة في صورة شجر، ومرة في صورة

---

(١) انظر: القول السديد، عبد الرحمن السعدي، مرجع سابق، ص٨٢-٨٦.

(٢) سبق تخريجه ص٣٩٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور (رقم ٢٦٥٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (رقم ٨٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار (رقم ٢٨٥٦) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (رقم ٣٠).

جن، وأخرى في صورة قبر.. وهكذا.

وقد كان أكثر العرب في الجاهلية ومن بينها قريش وثنية تؤمن بآلهة متعددة منبثة في مظاهر الطبيعة، وفي الكواكب. وقد كان لأهل كل دار في مكة صنم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر تمسح به، وإذا قدم من سفره تمسح به [1].

وسئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: إذا أتينا أهل بادية فوجدناهم يذبحون لغير الله، ويتحاكمون إلى أشياخهم، ولا يعرفون من أحكام الطهارة إلا القليل فما الأهم ثم المهم في دعوتهم؟

فأجاب بقوله – رحمه الله -: الأهم أن تدعوهم إلى التوحيد، ونبذ الشرك لقول النبي × حينما بعث معاذاً إلى اليمن: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**» [2] وفي لفظ: «**إلى أن يوحدوا الله**». هذا قبل كل شيء، ثم بعد هذا تدعوهم إلى الصلاة، وإلى الزكاة، وإلى الصوم، وإلى الحج، وإلى غيرها من شعائر الدين.

وسئل أيضاً – رحمه الله -: إذا أردت دعوة أهل قرية فوجدت في مسجدهم قبراً يتبرك به، أو يدعى من دون الله ، فهل يجوز لي أن أمكث في المسجد، وأصلي فيه، ثم أدعو أهله؟ فإن كان الجوب بلا فإنه فاتت مصلحة عظيمة، وهي هداية أهل القرية، ودعوتهم إلى الله.

فأجاب الشيخ رحمه الله: الجواب بنعم ليس بلا. ولا ينبغي للسائل أن يستبق الجواب. الجواب: نعم يبقى، ويدعوهم إلى الله ﷻ، ويحذرهم من هذا الشرك، ويأمرهم بهدم المسجد إن كان قد بني بعد القبر، وبناء مسجد آخر بدلاً عنه، وإن كان المسجد سابقاً عن القبر فإنه ينبش القبر، ويدفن مع الناس في المقابر [3].

فعلى الداعية الحكيم أن يتعامل مع من وقع في الشرك، سواء أكان من الشرك الأصغر أو الشرك الأكبر، فيعامل كل واحد على حسب ما وقع فيه وارتكبه فليس الحديث مع من يحلف بغير الله كمن

---

(١) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د/ حمود بن أحمد الرحيلي، مرجع سابق، ص٥٥-٥٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (رقم ١٣٩٥) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (رقم ١٩).

(٣) الصحوة الإسلامية، محمد بن صالح العثيمين، إعداد علي بن حسين أبو لوز، دار القاسم، الرياض، سنة ١٤١٦هـ ص١١٤-١١٥.

جرت على لسانه هذه العادة، فليس الحديث معه كالحديث مع من يذبح لغير الله أو يطوف بقبره، فلكل واحد مقال يناسبه وحديث يلائمه. ولابد لكي ينجح العمل الدعوي من معرفة حجم الذنب الواقع فيه المدعو ومن ثم بيان خطورته والعمل على إبطاله وهدمه من أساسه ودعوته إلى التوحيد الخالص الذي لا تشوبه شائبة أو يدنسه أدنى شيء.

أما المدعو المرتد عن الإسلام

الردة هي جماع الرجوع من الحسنات إلى السيئات، ولهذا لا يحبط جميع الحسنات إلا الردة عن الإيمان، ولهذا يذكر الفقهاء في باب الردة، والإسلام انتقال الرجل كأحد الزوجين من دين إلى دين آخر انتقال إلى دين خير من دينه، أو دون دينه، أو مثل دينه. فيقولون: إذا صار الكتابي مجوسيا، أو مشركا فقد انتقل إلى شر من دينه، وإذا صار المشرك، أو المجوسي كتابيا فقد انتقل إلى خير من دينه، وإذا تهود النصراني، أو بالعكس، فقد انتقل إلى نظير دينه، والتمجس يقر عليه بالاتفاق، وأما الإشراك فلا يقر عليه إلا بعض الناس عند بعض العلماء، والصابئة نوعان عند المحققين، وعلى قولين عند آخرين، ومعرفة مراتب الأديان محتاج إليها في مواضع كثيرة لمعرفة مراتب الحسنات.

والفقهاء يذكرون ذلك لأجل معرفة أحكامهم، وتناكحهم، وذبائحهم وفي دمائهم، وقتالهم وإقرارهم بالجزية المضروبة عليهم ونحو ذلك من الأحكام التي جاء بها الكتاب، والسنة في أهل الملل، والأحزاب [(١)].

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[(٢)] ولم يذكر فيه استتابته إلا أنه يجوز أن يكون محمولا على أنه قد استحق القتل، وذلك لا يمنع دعاءه إلى الإسلام، والتوبة لقوله تعالى: +ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ "[(٣)] الآية، وقال تعالى: +قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ "[(٤)] فأمر بالدعاء إلى دين الله –تعالى– ولم يفرق بين المرتد وبين غيره، فظاهره يقتضي دعاء المرتد إلى الإسلام كدعاء سائر الكفار، ودعاؤه إلى الإسلام هو الاستتابة، وقال تعالى: +قُل

---

(١) انظر: الاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ٤٦٣/١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله (رقم ٣٠١٧).

(٣) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٤) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ"[1] وقد تضمن ذلك الدعاء إلى الإيمان، ويحتج بذلك أيضا في استتابة الزنديق لاقتضاء عموم اللفظ له، وكذلك قوله: +إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ "[2] لم يفرق فيه بين الزنديق وغيره، فظاهره يقتضي قبول إسلامه، فإن قيل قوله تعالى: +قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ "[3] لا دلالة فيه على زوال القتل عنه، لأننا نقول هو مغفور له ذنوبه، ويجب مع ذلك قتله، كما يقتل الزاني المحصن، وإن كان تائباً، ويقتل قاتل النفس مع التوبة[4].

وعن أبي بردة قال: بعث رسول الله ﷺ أبا موسى، ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مخلاف قال: واليمن مخلافان، ثم قال: «**يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا**»[5] فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه كان قريبا من صاحبه أحدث به عهدا فسلم عليه فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه، وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس، وإذا رجل عنده قد جمعت يداه إلى عنقه، فقال له معاذ: يا عبد الله بن قيس أيم هذا؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه. قال: لا أنزل حتى يقتل. قال: إنما جيء به لذلك فأنزل قال ما أنزل حتى يقتل فأمر به فقتل، ثم نزل فقال: يا عبد الله كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفوقه تفوقاً قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»[6].

المرتد: هو الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر بفعل، أو قول، أو اعتقاد، أو شك ، قال تعالى: +وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ

---

(١) سورة الأنفال، الآية٣٨.

(٢) سورة النساء، الآية ١٣٧.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٣٨.

(٤) أحكام القرآن، الجصاص ٢٧٥/٣.

(٥) أخرجه البخاري، باب من لا يثبت على الخيل، (رقم ٢٨٧٣)، ١١٠٤/٣.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، (رقم ٤٣٤١، ٤٣٤٢).

وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ" [1].

وقال ×: «**من بدل دينه فاقتلوه** » [2]

وقال ×: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**». [3]

فمن ارتد عن الإسلام من الرجال والنساء وكان بالغاً عاقلاً استتيب ثلاثة أيام، فإن تاب رجع وإلا قتل بالسيف [4].

وهناك أمور لابد من بيانها ، فقد يظن أنها تتعارض مع الحرية،ومن ذلك: الشبهة الثالثة: وهي القول بأن قتل المرتد عن الإسلام يعارض الحرية. وهذا أيضاً من تأثير الاستشراق، وإلا فالنصوص قد دلت على قتله كما في الآيات العديدة التي تأمر بقتال الكفار، كما قال تعالى: +فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ"[5]. وكما ثبت عن النبي ﷺ في صحيح البخاري قوله: «**من بدل دينه فاقتلوه**» وقد قاتل الصديق، والصحابة –رضي الله عنهم– المرتدين ومانعي الزكاة[6]. كما أحرق أحرق علي ؓ زنادقة مرتدين فأنكر عليه ابن عباس الإحراق وقال: لو كنت أنا لقتلتهم[7].

وهذا القول هو الموجود في كتب المذاهب الأربعة المشهورة. لا خلاف فيه إلا أن المرتدة عند الأحناف لا تقتل، وإنما تسبى، بل ولا نجد خلافاً مطلقاً في قتل المرتد بل هو مما أجمع عليه أئمة الدين.

(**١**) سورة البقرة، الآية ٢١٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم (رقم ٦٩٢٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: +أن النفس بالنفس والعين بالعين.." (رقم ٦٨٧٨) ومسلم كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم (رقم ١٦٧٦).

(٤) انظر: المغني لابن قدامة، مرجع سابق، (٢٦٤/١٢) ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، (٩٩/٣٥-٢٠٦-٢٠٦) وانظر الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى د/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مرجع سابق، ص٥٦٣.

(**٥**) سورة التوبة، الآية ٥.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول الفرائض (رقم ٦٩٢٥) ومسلم،كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (رقم ٢٠).

(٧) أخرجه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد والمرتدة (رقم ٦٩٢٢).

فلا يجوز أن ندع هذا الحكم الصريح الذي دل عليه الكتاب، والسنة، وأجمع عليه أئمة الدين لشبهة زائفة لا سند لها، ولا دليل[1].

فعلى الداعية الحكيم أن يتعامل مع من وقع في الردة بما يناسب حاله، فمن ارتد مثلاً بفعل معين كأن يعتنق النصرانية وينتحل هذه الملة فالحكمة في دعوته والصواب في رده إلى حظيرة الإسلام دعوته من هذا الباب ورده إلى الحق من خلال الباب الذي خرج منه. فلا يعد الداعية ناجحاً في دعوته أن يجعله يصلى مثلاً أو يصوم وهو ما يزال على معتقد أهل التثليث، فقبل دعوته إلى الصلاة والصيام لابد من هدم عقيدة النصارى التي انتقل إليها وإن لم يصل أو لم يصم فالتركيز معه يكون على هدم ما هو عليه من العقائد الباطلة.

(١) انظر الحوار مع أهل الكتاب، خالد بن عبد الله القاسم، (دار المسلم، الرياض، سنة ١٤١٤هـ) ص٦٩-٧٤.

المبحث الثالث
المدعو غير المسلم

تمهيد:

هناك جملة من الإجراءات الدعوية التي تتم بها المراعاة لغير المسلمين على اختلاف مللهم وطوائفهم، حيث يشترك الجميع فيها، ولعلها تنحصر في البدايات الأولى لعرض الدعوة على غير المسلمين، باعتبارهم يشتركون في كونهم من غير المسلمين، الذين لا يؤمنون ببعثة خاتم الأنبياء محمد ابن عبدالله ﷺ، ولابما جاء به من رسالة الإسلام، الذي لا يسع أحد إلا الإيمان به.

فعن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**»[1] قال أبو حاتم: تفرد به شعبة، وفي هذا الخبر بيان واضح بأن الإيمان أجزاء، وشعب، تتباين أحوال المخاطبين فيها لأنه ﷺ ذكر في هذا الخبر: «**حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**» فهذا هو الإشارة إلى الشعبة التي هي فرض على المخاطبين في جميع الأحوال، ثم قال: «**ويقيموا الصلاة**» فذكر الشيء الذي هو فرض على المخاطبين في بعض الأحوال [2].

كما أن الدعوة إلى الله، ورسوله جهاد بالقلب، وباللسان، وقد يكون أفضل من الجهاد باليد.

ولما كانت الدعوة إلى الباطل مستلزمة، ولا بد للطعن في الحق كان دعاؤهم إلى دينهم، وترغيبهم فيه طعنا في دين الإسلام، وقد قال تعالى: +وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ " ولا ريب أن الطعن في الدين أعظم من الطعن بالرمح، والسيف، فأولى ما انتقض به العهد الطعن في الدين، ولو لم يكن مشروطا عليهم فالشرط ما زاده إلا تأكيداً، وقوة[3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: +فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ" (رقم ٢٥) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا الشهادتين (رقم ٢٢).

(٢) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، ، مرجع سابق، ٤٠١/١.

(٣) أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ١٢٥٤/١، ١٢٥٥.

أما المدعو الكافر: فقد قال النبي ﷺ: «**إلى هرقل عظيم الروم**»[1] فلم يقل: ملك الروم، لأنه لا ملك له، ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام، ولا سلطان لأحد إلا لمن ولاه رسول الله ﷺ، أو ولاه من أذن له رسول الله ﷺ بشرط، وإنما ينفذ من تصرفات الكفار ما تنفذه الضرورة، ولم يقل: إلى هرقل فقط، بل أتى بنوع من الملاطفة، فقال: عظيم الروم، أي الذي يعظمونه، ويقدمونه، وقد أمر الله تعالى بإلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام، فقال تعالى: +ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ"[2] وقال تعالى: +فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا"[3] وغير ذلك استحباب البلاغة، والإيجاز، وتحري الألفاظ الجزلة في المكاتبة، فإن قوله ﷺ: «**أسلم تسلم**» في نهاية من الاختصار، وغاية من الإيجاز، والبلاغة، وجمع المعاني مع ما فيه من بديع التجنيس، وشموله لسلامته من خزي الدنيا بالحرب، والسبي، والقتل، وأخذ الديار، والأموال، ومن عذاب الآخرة[4].

فأما بيان المعاملة مع المشركين فنقول: الواجب دعاؤهم إلى الدين، وقتال الممتنعين منهم من الإجابة، لأن صفة هذه الأمة في الكتب المنزلة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبها كانوا خير الأمم، قال الله تعالى: +كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ" [5]. الآية ورأس المعروف الإيمان بالله تعالى فعلى كل مؤمن أن يكون آمرا به داعيا إليه، وأصل المنكر الشرك، فهو أعظم ما يكون من الجهل والعناد لما فيه من إنكار الحق من غير تأويل، فعلى كل مؤمن أن ينهى عنه بما يقدر عليه

وقد كان رسول الله ﷺ مأمورا في الابتداء بالصفح، والإعراض عن المشركين، قال الله تعالى +فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ" [6]. وقال تعالى: +وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ" [7]. ثم أمر بالدعاء إلى الدين

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (رقم ٧) ومسلم، كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل (رقم ١٧٧٣).

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٣) سورة طه، الآية ٤٤.

(**٤**) صحيح مسلم بشرح النووي، ، مرجع سابق، ١٢/١٠٨.

(**٥**) سورة آل عمران، الآية ١١٠

(**٦**) سورة الحجر، الآية ٨٥.

(**٧**) سورة الحجر، الآية ٩٤.

بالوعظ، والمجادلة بالأحسن، فقال تعالى: +ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ" [١]. ثم أمر بالقتال إذا كانت البداية منهم، فقال تعالى: +أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ" [٢]. أي أذن لهم في الدفع، وقال تعالى: +فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ" [٣]. وقال تعالى: +۞وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا" [٤]. ثم أمر بالبداية بالقتال، فقال تعالى: +وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ" [٥]. وقال تعالى: +فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ" [٦]. وقال رسول الله ﷺ: « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**»[٧] فاستقر الأمر على فرضية الجهاد مع المشركين، وهو فرض قائم إلى قيام الساعة، قال النبي ﷺ: «**الجهاد ماض منذ بعثني الله –تعالى- إلى أن يقاتل آخر عصابة من أمتي الدجال**»[٨] وقال ﷺ: «**بعثت بالسيف بين يدي الساعة، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، والذل والصغار على من خالفني، ومن تشبه بقوم فهو منهم** »[٩][١٠].

عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رسول الله × كان إذا بعث سرية، أو جيشا أمر عليهم قال: «**إذا لقيت عدوا من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو ثلاث خلال**» شك علقمة «**ادعهم إلى**

---

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٢) سورة الحج، الآية ٣٩.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٩١.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٦١.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٩٣.

(٦) سورة التوبة، الآية ٥

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب +فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ" (٢٥) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا الشهادتين (رقم ٢٢).

(٨) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الغزو مع أئمة الجور (رقم ٢٥٣٢).

(٩) أخرجه أحمد (٢/٥٠) وجوّد إسناده ابن تيمية في الفتاوى (٢٥/٣٣١) وذكر الحافظ ابن حجر له شاهداً مرسلاً بإسناد حسن. انظر الفتح (٦/٩٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٨٣١).

(١٠) المبسوط، أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي (دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦) ١٠/٢، ٣.

الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن أجابوك فاقبل منهم، وأخبرهم أنهم إن فعلوا أن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما عليهم، وإن اختاروا المقام في دارهم أنهم كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله ﷻ، كما يجري على المسلمين، وليس لهم في الفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن لم يجيبوك إلى الإسلام فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن فعلوا فاقبل منهم ودعهم، فإن أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم»(1).

وقاتلهم»(1).

وأما بيان ما يجب على الغزاة الافتتاح به حالة الوقعة، ولقاء العدو فنقول وبالله التوفيق: إن الأمر فيه لا يخلو من أحد وجهين: إما إن كانت الدعوة قد بلغتهم وأما إن كانت لم تبلغهم، فإن كانت الدعوة لم تبلغهم فعليهم الافتتاح بالدعوة إلى الإسلام باللسان لقول الله تبارك وتعالى: +ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ"(2)، ولا يجوز لهم القتال قبل الدعوة، لأن الإيمان وإن وجب عليهم قبل بلوغ الدعوة بمجرد العقل فاستحقوا القتل بالامتناع، لكن الله –تبارك وتعالى– حرم قتالهم قبل بعث الرسول –عليه الصلاة والسلام– وبلوغ الدعوة إياهم، فضلا منه ومنة، قطعا لمعذرتهم بالكلية، وإن كان لا عذر لهم في الحقيقة، لما أقام ﷻ من الدلائل العقلية التي لو تأملوها حق التأمل، ونظروا فيها لعرفوا حق الله –تبارك وتعالى– عليهم، لكن تفضل عليهم بإرسال الرسل –صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين– لئلا يبقى لهم شبهة عذر، فيقولون +رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ"(3) وإن لم يكن لهم أن يقولوا ذلك في الحقيقة لما بينا، ولأن القتال ما فرض لعينه، بل للدعوة إلى الإسلام، والدعوة دعوتان: دعوة بالبنان؛ وهي القتال، ودعوة بالبيان وهو اللسان، وذلك بالتبليغ. والثانية أهون من الأولى، لأن في القتال مخاطرة الروح، والنفس، والمال، وليس في دعوة التبليغ شيء من ذلك، فإذا احتمل حصول المقصود بأهون الدعوتين لزم الافتتاح بها.

هذا إذا كانت الدعوة لم تبلغهم، فإن كانت قد بلغتهم جاز لهم أن يفتتحوا القتال من غير تجديد

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث (رقم ١٧٣١).

(2) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(3) سورة طه، الآية ١٣٤.

الدعوة، لما بينا أن الحجة لازمة، والعذر في الحقيقة منقطع، وشبهة العذر انقطعت بالتبليغ مرة، لكن مع هذا الأفضل أن لا يفتتحوا القتال إلا بعد تجديد الدعوة لرجاء الإجابة في الجملة

وقد روي أن رسول الله ﷺ لم يكن يقاتل الكفرة حتى يدعوهم إلى الإسلام فيما كان دعاهم غير مرة، دل أن الافتتاح بتجديد الدعوة أفضل، ثم إذا دعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا كفوا عنهم القتال لقوله عليه الصلاة والسلام: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**»(١).

وقوله عليه السلام: «**من قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه**»(٢) فإن أبوا الإجابة إلى الإسلام دعوهم إلى الذمة إلاّ مشركي العرب، والمرتدين، فإن أجابوا كفوا عنهم، وإن أبوا استعانوا بالله سبحانه وتعالى على قتالهم، ووثقوا بعهد الله سبحانه وتعالى النصر لهم بعد أن بذلوا جهدهم، واستفرغوا، وسعهم، وثبتوا، وأطاعوا الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، وذكروا الله كثيرا على ما قال تبارك وتعالى: +يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ"(٣) ولهم أن يقاتلوهم، وإن لم يبدؤوا بالدعوة لقول الله تعالى: +فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ"(٤) وسواء كان في الأشهر الحرم، أو في غيرها، لأن حرمة القتال في الأشهر الحرم صارت منسوخة بآية السيف وغيرها من آيات القتال.

ولا بأس بالإغارة والبيات عليهم، ولا بأس بقطع أشجارهم المثمرة، وغير المثمرة، وإفساد زروعهم، لقوله تبارك وتعالى: +مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَـٰسِقِينَ"(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة (رقم ٢٥)، ١٧/١. ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا الشهادتين (رقم ٢٢).

(٢) أخرجه البخاري، باب قتل من أبى قبول الفرائض، (رقم ٦٥٢٦)، ٢٥٣٨/٦.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٤) سورة التوبة، الآية ٥.

(٥) سورة الحشر، الآية ٥.

أذن ﷻ بقطع النخيل في صدر الآية الشريفة ونبه في آخرها أن ذلك يكون كبتا، وغيظا للعدو بقوله تبارك وتعالى: +وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ" ولا بأس بإحراق حصونهم بالنار، وإغراقها بالماء، وتخريبها، وهدمها عليهم، ونصب المنجنيق عليها لقوله تبارك وتعالى: +يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ"(١) ولأن كل ذلك من باب القتال لما فيه من قهر العدو، وكبتهم، وغيظهم، ولأن حرمة الأموال لحرمة أربابها، ولا حرمة لأنفسهم، حتى يقتلون، فكيف لأموالهم، ولا بأس برميهم بالنبال، وإن علموا أن فيهم مسلمين من الأسارى، والتجار لما فيه من الضرورة، إذ حصون الكفرة قلما تخلو من مسلم أسير، أو تاجر فاعتباره يؤدي إلى انسداد باب الجهاد، ولكن يقصدون بذلك الكفرة دون المسلمين، لأنه لا ضرورة في القصد إلى قتل مسلم بغير حق.

ولقد كان من هدي النبي ﷺ الرفق، والنهي عن الفحش والتفحش، ولعن الكفار، وسبهم:

فعن عائشة –رضي الله عنها– أن يهوداً أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم. فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله، وغضب الله عليكم. قال: «**مهلا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش**» قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: «**أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيَّ**»(٢).

إن العلاقة بين المسلمين، وغيرهم علاقة تعارف، وتآلف وتعاون، وتآزر، وبر، وعدل، وإحسان، قال الحكيم العليم –جل وعلا– مبيناً نتائج التعارف، وما يفضي إليه من تعاون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٣). ويقول جل وعلا موصياً ببرهم والإحسان إليهم ومعاملتهم بالعدل والإنصاف: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(٤). فبين أن البر، والإحسان للكفرة الذين لم يقاتلونا، ولم يعاونوا على إخراجنا من ديارنا أمر

---

(١) سورة الحشر، الآية ٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي فاحشاً ولامتفحشاً، (٦٠٣٠).

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٤) سورة الممتحنة، الآية ٨.

غير منهي عنه. وهذه العلاقة تقتضي تبادل المصالح، واطراد المنافع، وتقوية الصلات الإنسانية.

وموالاة الكافرين، إما أن تكون بمعنى المسالمة، والمعاشرة الجميلة، والمعاملة بالحسنى، وتبادل المصالح، والتعاون على البر، والتقوى فهذا مما دعا إليه الإسلام.

وإما أن تكون بمعنى المحالفة، والمناصرة ضد المسلمين، والرضا بما هم فيه من كفر، فهذا يحظره الإسلام ويمنعه، لأن في مناصرة الكافرين على المسلمين ضرراً بالغاً بالكيان الإسلامي، وإضعافاً لقوة الجماعة المؤمنة.

ومن الموالاة المنهي عنها قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[1]. ففي هذه الآية الكريمة التحذير من الموالاة، والمناصرة للأعداء لما فيها من التعرض للخطر، إلا في حالة الضعف، والخوف من أذاهم، فتجوز الموالاة ظاهراً ريثما يعدون أنفسهم لمواجهة الذي يتهددهم. ومن هنا يتضح أن التعاون مع أعداء المسلمين خيانة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، لا يكسبهم إلا الخزي، والعار.

لقد قرر الدين الإسلامي المساواة بين الذميين، والمسلمين في بعض الأمور، فلهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، وكفل لهم حريتهم الدينية، وتتمثل فيما يأتي:

عدم إكراه أحد منهم على ترك دينه، أو إكراهه على عقيدة معينة. قال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [2].

لأهل الكتاب ممارسة شعائر دينهم، فلا تهدم كنائسهم، ولا يكسر لهم صليب، وقد أخبر الرسول ×: «عن كسر عيسى ابن مريم عليهما السلام عند نزوله - صلبان النصارى وأوثان المشركين وقتل خنازير الكل، وليس المراد من هذه الترجمة الإشارة إلى جوز كسر صليب النصارى، وقتل خنازير أهل الذمة، فإنا أمرنا بتركهم وما يدينون»[3].

---

(1) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

(2) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(3) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمد بن أحمد العيني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبعة)

وأباح لهم الإسلام جميع ما أباحه لهم دينهم من الطعام، وغيره، فلا يقتل لهم خنزير، ولا تراق لهم خمر، ما دام ذلك جائزاً عندهم، ولهم الحرية في قضايا الزواج، والطلاق، والنفقة، ولهم التصرف كما يشاءون فيها دون أن توضع لهم حدود أو قيود.

كما حمى الإسلام كرامتهم، وصان حقوقهم، وجعل لهم الحرية في الجدال، والمناقشة، في حدود العقل، والمنطق مع التزام الأدب، والبعد عن الخشونة، والعنف. قال تعالى: +۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ" (1).

أحل الإسلام طعامهم، والأكل من ذبائحهم، والتزوج بنسائهم قال تعال: +ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ"(2).

أباح الإسلام زيارتهم، وعيادة مرضاهم، وتقديم الهدايا لهم، ومبادلتهم البيع، والشراء، ونحو ذلك من المعاملات، فمن الثابت أن رسول الله ﷺ توفي، ودرعه مرهونة عند يهودي في دين له عليه، وكان بعض الصحابة إذا ذبح شاة يقول لخادمه: ابدأ بجارنا اليهودي.

سوى في الحرمان من الميراث بين المسلم، والذمي، فلا يرث الذمي قريبه المسلم، ولا يرث المسلم قريبه الذمي، لوجود أحد موانع الإرث،وهو اختلاف الدين، وسوى بينهم، وبين المسلمين في العقوبات على رأي بعض المذاهب.

كما ترك لهم الإسلام جميع ما أباحه لهم دينهم من الطعام، وغيره، فلا يقتل لهم خنزير، ولا تراق لهم خمر، ما دام ذلك جائزاً عندهم، لهم الحرية في قضايا الزواج، والطلاق، والنفقة، ولهم التصرف كما يشاءون فيها دون أن توضع لهم حدود، أو قيود، وحمى الإسلام كرامتهم، وصان حقوقهم، وجعل لهم

.٢٧/١٣

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٢) سورة المائدة، الآية ٥.

الحرية في الجدال، والمناقشة، في حدود العقل، والمنطق مع التزام الأدب، والبعد عن الخشونة، والعنف. قال تعالى: +﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ"[1].

والجدير بالالتفات، والتنويه أن سابقي هذه الشعوب، والأمم إلى الإسلام –الذين أسلموا إثر اطّلاعهم على كتب النبي ﷺ إلى كبار ملوك العجم، أو سماعهم لنصها حين تلي في مجالس ملك هؤلاء الكبار، و معرفتهم بمحتواها بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة- كانوا هم كبار علماء الكتب السماوية في هذه الشعوب، ومثقفوهم، ومفكروهم، وأصحاب الرأي فيهم، مثل الملوك، والأساقفة والوزراء، والقضاة، والكتاب، والحُجَّاب، وهم الفئات العليا من الشعب، الذين بلغتهم الدعوة الإسلامية، عند مكاتبة النبي ﷺ للملوك؛ نظراً لاطلاعهم على مجريات الأحداث، والأمور، وقربهم من هؤلاء الملوك الذين كاتبهم النبي ﷺ؛ إذ كان جميع هؤلاء العلماء والمثقفين عارفين بورود البشارة بمبعث النبي ﷺ بصفته، ونعته، وإعلام، ودلائل نبوته في التوراة والإنجيل.

إن في هذه المكاتبة –في هذا الوقت المبكر من نشوء دولة الإسلام على الرغم من قوة الملوك، وضعف دولة الإسلام- مظهر مهم للمراعاة تمثل في: ١- الإعذار والتنبيه.. ٢- الإيذان لمن بلغهم من الكتب السماوية بخروج محمد ﷺ، وبعثته حتى يلتحقوا به، وينضموا في ركاب المسلمين.. ٣- إتاحة الفرصة –قدر الإمكان- لوصول صوت الإسلام عبر هذه الكتب للناس.

ولاشك أن من نتيجة هذه المراعاة دخول هؤلاء في الإسلام، وما كان لهم ذلك دون إجراء يراعي أحوالهم، التي تتسم بالبعد عن مصدر الإسلام، وتعذر سماعهم لصوته بغير هذه الطريقة، التي سلكها الرسول ﷺ، فراعى بها هذا الحال لديهم.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

المطلب الأول

المدعو الملحد

الإلحاد: هو الميل عن الحق، والانحراف عنه بشتى الاعتقادات، والتأويل الفاسد. والمنحرف عن صراط الله، والمعاكس لحكمه يسمى ملحداً، قال تعالى: +وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ" [1].

والمراد بالملحدين هنا: هو المعنى المصطلح عليه في هذا العصر، وهم من أنكر وجود رب خالق لهذا الكون،متصرف فيه يدبر أمره بعلمه، وحكمته، ويجري أحداثه بإرادته، وقدرته، واعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة، وقوانينها، واعتبار الحياة –وما تستتبع من شعور، وفكر حتى قمتها الإنسان– من أثر التطور الذاتي في المادة.

والإلحاد بمعنى إنكار وجود الله –تعالى– لم يكن ظاهرة منتشرة في الزمن القديم، وإنما الذي كان شائعاً هو الشرك مع الله تعالى في العبادة، مع الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المالك.

أما الإلحاد في العصر الحديث فهو إنكار لوجود الله –تعالى– أصلاً، وقد انتشر على أيدي اليهود انتشاراً واسعاً في بلاد أوروبا، وأصبح له حكومات تحرسه ودول تحميه كما أن الإلحاد الحديث يزعم بأنه يقوم على سند من العلم، وتأييد البحث.وصار هؤلاء الملاحدة ينكرون الدين، ويكفرون بعالم الغيب، وبكل ما دعا إليه الأنبياء، والمرسلون بحجة أن العلم يأباها، وشنوا حملة ضد الإيمان عامة، وضد الإسلام خاصة. وانتشر الإلحاد في الناس خلال القرنين التاسع عشر، والعشرين الميلاديين، فكان له سبيلان، اتخذهما اليهود، وأجراؤهم، ووكلاؤهم، والمنظمات الخاضعة لهيمنتهم، أو السائرة في مخططاتهم.

السبيل الأول: رفع شعار العقلانية، والعلمانية الذي سيطر بقوة على الفكر الغربي بعد التمهيد لذلك بإطلاق مبادئ الحريات الفكرية، والسلوكية، وبعض الحريات السياسية، والاجتماعية الأخرى.

السبيل الثاني: نشر الماركسية بكل فلسفتها، وشعاراتها، وبرامجها الاقتصادية، وألوان مكرها، وكيدها التي قد بنيت بناءً كلياً على الإلحاد بالله –تعالى– ومقاومة كل الأديان.

ولاشك أن الإلحاد المنتشر في الأرض اليوم لا سند له من العلم، ولا دليل عليه من العقل، مهما

---

(1) سورة الأعراف، الآية ١٨٠.

ادعى أصحابه، أو جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق.

وإليك كيفية الدعوى إلى الله –تعالى– مع هؤلاء الملحدين المارقين فيما يلي:

أهم أساليب دعوة الملحدين:

ويمكن أن نجمل أهم أساليب دعوة هؤلاء الملحدين الماديين الطبيعيين، والدهريين فيما يلي:

أولاً: الاستدلال بالأدلة الفطرية:

فيستدل الداعية بقول الرسول ×: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**» [1] ثم يقول أبو هريرة ﷺ: واقرأوا إن شئتم: +فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ" [2].

وعليه أن يسلك في دعوته مع الملحدين الأدلة الفطرية، فيوضح لهم أن المولود يولد على الجبلة، والطبع المتهيئ لقبول الدين. وقد مثل شيخ الإسلام ابن تيمية –يرحمه الله– الفطرة مع الحق، فقال: ومثل الفطرة مع الحق مثل ضوء العين مع الشمس، وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب لرأى الشمس. والاعتقادات الباطلة العارضة من تهويد وتنصر وتمجس مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس، وكذلك كل ذي حس سليم يحب الحلو إلا أن يعرض في طبيعته فساد يحرفه حتى يجعل الحلو في فمه مرًّا.

فلو خلى المولود من غير معارض، ومن غير مغير لما كان إلا مسلماً، ولم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من ارتضاع اللبن حتى يصرفه عنه صارف، ومن ثم شبهت الفطرة باللبن، فهي تستلزم معرفة الله، ومحبته، وتوحيده. وكل مولود يولد على معرفة الله، والإقرار به، فلا تجد أحداً إلا وهو يقر بأن له صانعاً، وإن سماه بغير اسمه، أو عبد معه غيره، وإنما يعدل من يعدل عن هذه الفطرة بسبب آفة من الآفات اتباعاً لشياطين الإنس، أو شياطين الجن.

وقد أخبر الله –تعالى– أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم: أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، قال تعالى: +وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (رقم ١٣٥٨) ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار، وأطفال المسلمين (رقم ٢٦٥٨).

(٢) سورة الروم، الآية ٣٠.

أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا"[1].

ثانياً: ضرب البراهين والأدلة العقلية:

ويمكن تقديم هذه البراهين، والأدلة العقلية لهؤلاء الملاحدة في المسالك الآتية:

١-**التقسيم العقلي**: وهو إما أن توجد هذه المخلوقات بنفسها صدفة من غير محدث، ولا خالق خلقها، وهذا محال ، تجزم العقول ببطلانه ضرورة. وإما أن تكون هذه المخلوقات هي الخالقة لنفسها ، وهذا محال أيضاً بضرورة العقل، لأن الشيء قبل وجوده معدوم، فكيف يكون خالقاً؟!

فإذا بطل هذان القسمان عقلاً، وفطرة، وبان استحالتهما، تعين أن هذه المخلوقات بأجمعها علويها، وسفليها لابد لها من محدث، ينتهي إليه الخلق، والملك، والتدبير، وهو الله الخالق لكل شيء، المتصرف في كل شيء، المدبر للأمور كلها، قال تعالى: +خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ" [2].

٢-ومن القواعد العقلية التي ينبغي للداعية أن لا يغفلها في دعوته مع الملحدين قاعدة: العدم لا يخلق شيئاً. فالعدم الذي لا وجود له لا يستطيع أن يصنع شيئاً، لأنه غير موجود، وإذا تأمل العاقل في المخلوقات التي تولد في كل يوم من إنسان، وحيوان، وتفكر في كل ما يحدث في الكون من رياح، وأمطار، وليل، ونهار، وما يجري من حركات منتظمة للشمس، والقمر، والنجوم وغير ذلك مما يجري في الوجود في كل لحظة لجزم بأن هذا كله ليس من صنع العدم، وإنما هو من صنع الخالق الموجود سبحانه وتعالى.

٣-**الطبيعة الصماء لا تملك قدرة**. وفاقد الشيء لا يعطيه، وبيان ذلك أنه من المعلوم عند جميع العقلاء أن الذي لا يملك مالاً لا يسأل الناس منه المال، والجاهل لا يأتي منه العلم، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

فمن زعم أن الطبيعة، أو المادة خلقته، أو خلقت شيئاً فقد خالف العقل، لأن الكون يشهد أن خالقه حكيم عليم،خبير بصير، هاد، رازق، حافظ رحيم، والطبيعة، أو المادة الجامدة لا تملك مثقال ذرة

(**١**) سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

(**٢**) سورة الطور، الآيات ٣٥-٣٧.

من ذلك.

٤-**الصدفة العمياء لا تملك حياة**، ومثل من يقول، أو يعتقد أن هذا النظام، والإبداع، والإتقان وجد بطريق الصدفة لا غير كمثل من وضع حروف الهجاء: أ ب ت في صندوق ثم جعل يحركه طمعاً منه أن تتألف هذه الحروف من تلقاء نفسها، فيتركب منها قصيدة بليغة أو كتاب دقيق في الهندسة، أليس ذلك من السفه المبين، ونقص العقل؟ فإنه لو داوم على تحريك هذا الصندوق السنين والدهور لم يحصل إلا على حروف.

فهل يصدق عاقل بهذه العملية؟ إن ذلك لا يمكن على الإطلاق، لأنه من قبيل المستحيل، الذي لا تقبله العقول، ولا تقره، فكيف يصدق عاقل أن يكون الكون كله بما فيه من إبداع، وتنظيم في كل ذرة من ذراته وجد بطريق الصدفة؟ قال تعالى: +أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ" (١).

٥-**مبدأ السببية**: وذلك أن الواقع، والعقول السليمة تشهد أن الإنسان منذ فتح عينيه لم يشاهد أن حادثاً حدث من غير سبب، أو أن شيئاً وجد من غير موجد حتى أصبح هذا المعنى بحكم الواقع لا يتصور العقل خلافه، ولا يأبى الإقرار به إلا عقل مفقود، أو مريض، كشأن المعتوهين، أو عقل قاصر كشأن الطفل الذي يكسر الإناء ثم يقول: إنه انكسر بنفسه؟!.

ولذلك أدرك الأعرابي هذه السببية عندما سئل: ما الدليل على وجود الرب؟ فقال: إن البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ليل داج، ونهار ساج، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير؟

٦-**ومن القواعد التي يرد بها على الملحدين قاعدة**: التفكر في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع، لأن كل شيء يوجد في المصنوع يدل على قدرة، أو علم، أو خبرة، أو حكمة عند الصانع. ومن هنا فإنه يقال لمن أنكر وجود الخالق تعالى: تفكر في نفسك، وهي أقرب شيء إليك. قال تعالى: +وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ" (٢).

انظر مبدأ خلقك من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً، فكسيت العظام لحماً، حتى صرت بشراً

(١) سورة إبراهيم، الآية ١٠.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٢١.

كامل الأعضاء الظاهرة، والباطنة، أما يدلك هذا التفكر إلى الاعتراف بالرب القادر على كل شيء، المحيط علمه بكل شيء ، الحكيم في كل ما خلقه، وصنعه، وأتقنه؟ قال تعالى: +أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ" [1]. وقال تعالى: +وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ" [2].

ثالثاً: الاستدلال على وجود الله –تعالى- بالأدلة الحسية، التي يشاهدها الناس، ويلمسونها بأنفسهم، وهي على نوعين:

الأول: إجابة الله تعالى للدعوات في جميع الأوقات، فكم خرج المؤمنون يطلبون بقلوب وجلة تائبة من ربهم أن يسقيهم الغيث، فكانت الإجابة على الفور في كثير من الأحيان، وكم رأى المضطرون تفريجاً لحالة الكرب بدعائهم، قال تعالى: +أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ" [3]. فمن الذي سمع دعاء المستغيثين فأجابهم، فأنشأ السحاب، وأنزل المطر، هل هو وثن لا يقدر على فعل شيء؟ أم طبيعة صماء لا تملك إرادة، ولا تدبيراً؟ أم أن العدم الذي أنشأ، وصمم وأوجد، وكوّن، وقدر، وأتقن، وسمع فأجاب، وهو العدم الذي لا وجود له؟

والحقيقة أن ذلك كله شاهد يتحدث إلى العقول البشرية أن لها رباً حكيماً قادراً سميعاً بصيراً مجيباً رازقاً.

الثاني: معجزات الأنبياء الحسية: وهي من أعظم البراهين القاطعة على وجود مرسلهم، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر يجريها الله –تعالى- تأييداً لرسله، ونصراً لهم. ومن أمثلة ذلك آية موسى عليه السلام حين أمره الله –تعالى- أن يضرب بعصاه البحر فضربه، فانفلق اثنى عشر طريقاً يابساً، والماء بينها كالجبال، قال تعالى: +فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ

---

(١) سورة الواقعة، الآيتان ٥٨-٥٩.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات ١٢-١٤.

(٣) سورة النمل، الآية ٦٢.

ٱلۡعَظِيمِ" [1].

ومن آيات عيسى عليه السلام أنه كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله قال تعالى: +وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ" [2]. +وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ" [3].

ومن آيات محمد × انشقاق القمر، فقد طلبت قريش منه آية، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين، فرآه الناس حقيقة في عهده ×، قال تعالى: +ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ" [4].

رابعاً: الاستدلال بالأدلة الشرعية:

إن طريق الهداية الكاملة هو ما جاء عن الله تعالى، أو عن رسله عليهم الصلاة والسلام، وهي تجمع بين الأدلة النقلية، والعقلية، وهي من أعظم الأدلة التي تهدي إلى معرفة الله تعالى، والإيمان به ﷻ، والكتب السماوية كلها تنطق بأن الله –تعالى– هو الخالق لكل شيء، المستحق للعبادة وحده دون سواه، ويمكن أن نقتصر في الأدلة الشرعية التي تثبت وجود الله –تعالى– على ذكر طريقين:

الطريق الأول: توجيه الله –تعالى– الأنظار إلى ما في هذا الكون من مخلوقات عجيبة تبهر العقول، وهي تدل دلالة واضحة على كمال قدرته، وعظيم تدبيره، وإتقان صنعه، تتمثل في خلق الإنسان، والعناية به، وما في الكون من سماء، وأرض، وشمس، وقمر، وليل، ونهار، ونجوم، وما فيه من رياح، وسحاب، ومطر، وبحار، وأنهار، وحر، وبرد، وما في عالم الحيوان، وعالم النبات، وما في ذلك كله من آيات عظيمة تدل على عظمة الخالق سبحانه.

قال تعالى: +إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٦٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٤٩.

(٣) سورة المائدة، الآية ١١٠.

(٤) سورة القمر، الآيتان ١، ٢

كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" [1].

وقال تعالى: +أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ"[2].

والقرآن الكريم يزخر بالأدلة على هذا النوع.

الطريق الثاني: معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك أن الله تعالى قد أيد الرسل الكرام -عليهم السلام- بالمعجزات الباهرة للعقول، والخارقة لسنن الكون، وقوانين الحياة كما تقدم، ليستدلوا بها على صدق نبوتهم، وإثبات رسالتهم فإذا ثبتت نبوة الرسل بقيام المعجزات علم أن هناك مرسلاً أرسلهم، لأن ثبوت الرسالة يستلزم ثبوت المرسل، والعلم بالإضافة يستلزم العلم بالمضاف إليه. فالمعجزات نفسها يعلم بها صدق الرسول المتضمن لإثبات من أرسله، والآيات الباهرات التي يستدل بها على إثبات الخالق تدل على المعجزة كدلالتها، وأعظم [3]

ومما يستفاد منه في مراعاة أحوال الملحدين المنكرين لوجود الخالق ﷻ أو بعضاً من قدرته. ما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام حين طلب من الله –تعالى- أن يريه كيف يحيي الموتى:

اختلف الناس في هذا السؤال هل صدر من إبراهيم عن شك أم لا؟ فقال الجمهور: لم يكن إبراهيم عليه السلام شاكا في إحياء الله الموتى قط، وإنما طلب المعاينة، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به، ولهذا قال عليه السلام: «**ليس الخبر كالمعاينة**»[4] رواه ابن عباس ولم يروه غيره قال أبو عمر: قال الأخفش: لم يرد رؤية القلب، وإنما أراد رؤية العين. وقال الحسن، وقتادة، وسعيد بن جبير، والربيع: سأل ليزداد يقينا على يقينه. قال ابن عطية: وترجم الطبري في تفسيره فقال: وقال آخرون: سأل ذلك ربه لأنه

(**١**) سورة البقرة، الآية ١٦٤.

(**٢**) سورة الغاشية، الآيات ١٧-٢١.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ١١/ ٣٧٧ ودرء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، مرجع سابق، ٣٠٢/٧-٣٠٧، ٤٠/٩، ٤١، ٤٣. نقلاً عن أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د/حمود بن أحمد الرحيلي، مرجع سابق، ص٨٤-٩٥. وانظر أيضاً: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى (مرجع سابق) (ص٣٤١-٣٦٢).

(**٤**) أخرجه أحمد (٢٧١/١) والطبراني في الكبير (٤٥/١٢ رقم ١٢٤٥١) والحاكم (٣٢١/٢) وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٣٧٣).

شك في قدرة الله تعالى، وأدخل تحت الترجمة عن ابن عباس قال: ما في القرآن آية أرجى عندي منها، وذكر عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس، فقال: رب أرني كيف تحيي الموتى، وذكر حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « **نحن أحق بالشك من إبراهيم**» الحديث ثم رجح الطبري هذا القول قلت: حديث أبي هريرة خرجه البخاري، ومسلم عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي**»(1) قال ابن عطية: وما ترجم به الطبري عندي مردود، وما أدخل تحت الترجمة متأول، فأما قول ابن عباس: هي أرجى آية فمن حيث فيها الإدلال على الله تعالى، وسؤال الإحياء في الدنيا، وليست مظنة ذلك، ويجوز أن يقول: هي أرجى آية لقوله: +**أَوَلَمْ تُؤْمِنْ**" أي إن الإيمان كاف لايحتاج معه إلى تنقير وبحث، وأما قول عطاء: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فمعناه من حيث المعاينة على ما تقدم، وأما قول النبي ﷺ: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**» فمعناه أنه لو كان شاكاً لكنا نحن أحق به، ونحن لانشك، فإبراهيم عليه السلام أحرى ألا يشك، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم، والذي روي فيه عن النبي ﷺ أنه قال: ذلك محض الإيمان إنما هو في الخواطر التي لا تثبت، وأما الشك فهو توقف بين أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر، وذلك هو المنفي عن الخليل عليه السلام وإحياء الموتى إنما يثبت بالسمع، وقد كان إبراهيم عليه السلام أعلم به، يدلك على ذلك قوله +رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ"(2) فالشك يبعد(3).

وقال الله تعالى: +وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ"(4) وهذا استفهام إنكار متضمن للنفي، أي لا أحد يحيي العظام وهي رميم، فإن كونها رميما يمنع عنده إحياءها،

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب +وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ" (رقم ٤٥٣٧) ومسلم، كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب (رقم ١٥١).

(2) سورة البقرة، الآية ٢٥٨.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٢٩٧/٣.

(4) سورة يس، الآية ٧٨.

لمصيرها إلى حال اليبس، والبرودة المنافية للحياة، التي مبناها على الحرارة، والرطوبة، ولتفرق أجزائها، واختلاطها بغيرها، ولنحو ذلك من الشبهات، والتقدير هذه العظام رميم ولا أحد يحيي العظام وهي رميم، فلا أحد يحييها، ولكن هذه السالبة كاذبة، ومضمونها امتناع الإحياء.

وبين سبحانه إمكانه من وجوه ببيان إمكان ما هو أبعد من ذلك وقدرته عليه، فقال: +يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ" وقد أنشأها من التراب، ثم قال: +وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ"[1] ليبين علمه بما تفرق من الأجزاء واستحال

ثم قال: +ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا"[2] فبين أنه أخرج النار الحارة اليابسة من البارد الرطب، وذلك أبلغ في المنافاة، لأن اجتماع الحرارة، والرطوبة أيسر من اجتماع الحرارة، واليبوسة، فالرطوبة تقبل من الانفعال ما لا تقبله اليبوسة

ثم قال: +أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم"[3] وهذه مقدمة معلومة بالبديهة، ولهذا جاء فيها باستفهام التقرير الدال على أن ذلك مستقر معلوم عند المخاطب، كما قال سبحانه: +وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا"[4] ثم بين قدرته العامة بقوله: +إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ"[5][6].

فعلى الداعية وهو يدعو الملحد أن يركز على إنشاء الإيمان في قلبه، وأن يزرع في نفسه الطمأنينة بوجود الله عز وجل وهيمنته على كل شيء وأن يوقظ فطرته التي غطاها بإلحاده ويسلك معه كل سبيل من أجل رده إلى الإيمان وإبطال كل دليل بل كل شبهة يستمسك بها.

---

(١) سورة يس، الآية ٧٩.

(٢) سورة يس، الآية ٨٠.

(٣) سورة يس، الآية ٨١.

(٤) سورة الفرقان، الآية ٣٣.

(٥) سورة يس، الآية ٨٢.

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ابن تيمية، مرجع سابق، ٣/٣٠٠.

المطلب الثاني
المدعو المشرك

إن الشرك، والكفر أعظم أمراض القلوب، فأمر المؤمن بقول يوجب في قلبه من البراءة من الشرك ما لم يكن في قلبه قبل ذلك، و كلما قاله ازداد براءة من الشرك، و قلبه شفاء من المرض، +قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ"(١) أي أنا ممتنع من هذا تارك له، ثم قال: +وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ"(٢) أي أنا بريء من هذا منزه عنه، مزك لنفسي منه، فإن الشرك أعظم ما تنجس به النفس، وأعظم تزكية النفس، وتطهيرها، تزكيتها منه، وتطهيرها منه، فما أنا عابد قط ما عبدتم في وقت من الأوقات(٣).

وألا ترى كيف قال إبراهيم: +قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ"(٤) قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون فليس أحد يشرك به به إلا وهو مؤمن به، ألا ترى كيف كانت العرب تلبي تقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه، وما ملك. المشركون كانوا يقولون هذا.

والرياء يقال له الشرك الأصغر، فهو محرم إجماعا، سواء الرياء الخالص، وهو إيقاع القربة لقصد الناس فقط، ورياء الشرك، وهو العمل لوجه الله، والناس، وإن كان الثاني أخف من الأول، وهذان يقال لهما الشرك الأصغر، ويبطلان العبادة كما عرفت. وأما الشرك الأكبر فهو كفر، لأنه الذي يجعل فيه الشخص مع الله إلها غيره، والحاصل أن الإخلاص فرض عين على كل مكلف، وهو قصد وجه الله تعالى وحده بالعبادة قولية، أو فعلية ظاهرة، أو خفية، فإن شمل الرياء جميع العبادة بطلت إجماعا(٥).

وإن أثبتم وسائط بين الله، وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك، ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون

---

(١) سورة الكافرون، الآيتان ١، ٢.

(٢) سورة الكافرون، الآية ٤.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق،١٦/٥٦٠.

(٤) سورة الشعراء، الآيات ٧٥ – ٧٧.

(٥) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي (دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ)٢/٢٩٨-٣٠٠.

.٣٠٠

الى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي عباده، ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم، وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك، لكونهم أقرب الى الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا لله أندادا، وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لم تتسع له هذه الفتوى فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة:

إما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه، ومن قال: إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بتلك بعض الملائكة، أو الأنبياء، أو غيرهم فهو كافر، بل هو سبحانه يعلم السر، وأخفى، لا تخفى عليه خافية في الأرض، ولا في السماء، وهو السميع البصير.

الوجه الثاني: أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته، ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه، فلا بد له من أنصار، وأعوان لذله، وعجزه، والله سبحانه ليس له ظهير، ولا ولي من الذل، قال تعالى: +قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ"(١) وقال تعالى: +وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا"(٢).

والوجه الثالث: أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته، والإحسان إليهم، ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج، فإذا خاطب الملك من ينصحه، ويعظمه، أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت إرادة الملك(٣).

قوله تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟" الآية ولو كان النطق بالشهادتين عاصما لم يكن للتثبت معنى، يدل على ذلك قوله تعالى: +فَإِن تَابُوا۟" أي عن الشرك وفعلوا

---

(١) سورة سبأ، الآية ٢٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية ١١١.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ١٢٧/١.

التوحيد +وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ"[1] فدل على أن القتال يكون على هذه الأمور، وفيه أن لله –تعالى- حقوقا في الإسلام من لم يأت بها لم يكن مسلما: كإخلاص العبادة له، والكفر بما يعبد من دونه، وفيه بعث الإمام الدعاة إلى الله، كما كان النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون يفعلون، وفيه تعليم الإمام أمراءه، وعماله ما يحتاجون إليه[2].

عن زيد بن خالد الجهني قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس قال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب، ومؤمن بالكوكب كافر بي. فأما من قال: مطرنا بفضل الله، وبرحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»[3].

وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر: الرياء**»[4] وقد ذمه الله في كتابه، وجعله من صفات المنافقين في قوله +يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا"[5] وقال +فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا"[6] وقال +فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾"[7] وورد فيه من الأحاديث الكثيرة الطيبة الدالة على عظمة عقاب المرائي، فإنه في الحقيقة عابد لغير الله. وفي الحديث القدسي «**يقول الله تعالى: من عمل عملاً أشرك فيه غيري فهو له كله، وأنا عنه بريء، وأنا أغنى**

(**1**) سورة التوبة، الآية ٥.

(**2**) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ص ١١١.

(**3**) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم (رقم ٨٤٦) ومسلم، كتاب الإيمان، باب من قال: مطرنا بالنوء (رقم ٧١).

(٤) أخرجه أحمد (٤٢٨/٥، ٤٢٩) والطبراني في الكبير (٢٥٣/٤ رقم ٤٣٠١) وانظر: الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام بتحقيق الألباني (ص٨٦، ٩٤).

(٥) سورة النساء، الآية ١٤٢.

(٦) سورة الكهف، الآية ١١٠.

(٧) سورة الماعون، الآيات ٤ – ٦.

الأغنياء عن الشرك»[1].

وعن ابن عباس في قوله: +وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ"[2] قال: سلهم من خلقهم ومن خلق السموات، والأرض؟ فسيقولون الله، فذلك إيمانهم، وهم يعبدون غيره. وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ عن عطاء في قوله: +وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ" قال: كانوا يعلمون أن الله ربهم، وهو خالقهم، وهو رازقهم، وكانوا مع ذلك يشركون[3].

فاقتضت هذه الأوصاف التي وصف بها رسول الله ﷺ في حق أمته أن أنذرهم، وحذرهم الشرك الذي هو أعظم الذنوب، وبين لهم ذرائعه الموصلة إليه، وأبلغ في نهيهم عنها، ومن ذلك تعظيم القبور، والغلو فيها، والصلاة عندها، وإليها[4]، وهذا يدعو إلى استقصاء أهم أساليب دعوة المشركين في القرآن الكريم وهي:

إقامة الأدلة على صدق الرسول محمد ×: من أقوى الأدلة التي أقامها القرآن الكريم على الناس عموماً، والمشركين خصوصاً ثبوت صدق النبي × وأنه مرسل من ربه –تبارك وتعالى– ثبوتاً لا يحتمل الشك، ولا المراء من وجوه عدة، منها: شهادة الله له، قال تعالى: +قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ" [5]. وجود صفته في كتب أهل الكتاب قال تعالى: +ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ"[6]. وشهادة اليهود له: وقد كان اليهود يستفتحون بالرسول × على المشركين من العرب قبل البعثة، قال تعالى: +وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ" [7]. وشهادة النصارى له: وكذلك كان النصارى يترقبون مبعثه ×، وقد أخبر الله ﷻ أن المسيح ابن مريم

(**١**) أخرجه مسلم بلفظ قريب، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله (رقم ٢٩٨٥).

(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٦.

(**٣**) فتح القدير،الشوكاني، مرجع سابق، ٨٤/٣.

(**٤**) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ٢٤٢/١.

(**٥**) سورة الأنعام، الآية ١٩.

(**٦**) سورة البقرة، الآية ١٤٦.

(**٧**) سورة البقرة، الآية ٨٩.

عليه السلام قد بشر بني إسرائيل ببعثه ×. وشهادة مشركي العرب له بالصدق، والأمانة: فقد كانوا يلقبونه بالصادق الأمين.. عندما صعد النبي × الجبل، وجعل ينادي بطون قريش حتى اجتمعوا، وقال لهم: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟**» قالوا: نعم؛ ما جربنا عليك إلا صدقاً [(١)].

وشهد بصدقه أبو سفيان قبل أن يسلم أمام هرقل [(٢)]. كما شهد أمية بن خلف، وزوجته قائلاً كل منهما: فو الله ما يكذب محمد إذا حدَّث» [(٣)] وإخبار الجن عنه ×، كما جاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما–[(٤)].

طرح الأسئلة لإفحامهم: فمن الحجج التي أقامها القرآن الكريم على المشركين استجوابهم عن أمور لا يمكنهم إنكارها: كالرزق، والحواس، وأحوال الموت، والحياة، وشئون التدبير، قال تعالى: +قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ" [(٥)].

الاحتجاج عليهم باعترافهم بتوحيد الربوبية، وإقرارهم بتوحيد الإلهية عند الشدائد: وبيان ذلك أنه إذا كان الله –تعالى– هو المستقل بخلق، وتدبير ما في الكون كما جاء عنهم هنا الاعتراف، والإقرار في آيات كثيرة، فلماذا يعبدون غيره معه، وهم مع ذلك يعترفون أن تلك المعبودات لا تملك لهم منعاً، ولا عطاءً، ولا تملك لأنفسها ضرًّا، ولا نفعاً، ولا موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً، فكيف تملك ذلك لغيرها؟!

ضرب البراهين العقلية على وحدانية الله: ومن ذلك قوله تعالى: +ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: +مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ" (رقم٤٩٧٢) ومسلم، كتاب الإيمان باب في قوله تعالى: +وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ" (رقم ٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ٦ (رقم ٧) ومسلم، كتاب الجهاد، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل (رقم ١٧٧٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (رقم ٣٦٣٢).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه (رقم ٣٨٦٦).

(٥) سورة يونس، الآيتان ٣١، ٣٢.

ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (1).

الاستدلال بالمتقابلات: بين خالق المخلوقات العظيمة خاصة ما له تأثير على حياة الناس، ومنافعهم، وبين ما يعتقد فيه المشركون أن له شيئاً من التأثير: كدفع ضر، أو جلب نفع، وهو مخلوق حقير لا يستطيع أن يجلب لنفسه نفعاً، ولا يرفع عنها ضراً، فضلاً عن نفع، أو إضرار غيره، ومن ذلك قوله تعالى: +أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ" (2).

ضرب الأمثال: ومن الأمثال التي ضربها الله –تعالى– للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله تعالى يعبدونها، ويرجون نفعها تشبيههم بالعنكبوت اتخذت بيتاً لا يغني عنها في حر، ولا برد، ولا مطر، ولا أذى، قال تعالى: +مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ" (3).

وضرب الله تعالى مثلاً آخر في بيان عجز معبودات المشركين، وتفاهتها بالذباب الحقير، فقال تعالى: + يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ" (4).

كما ضرب الله –تعالى– مثلاً واقعياً من أنفسهم، وهو أنه إذا كان أحدهم لا يرضى أن يكون عبده، ومملوكه شريكاً له في ماله الذي رزقه الله تعالى، فكيف يرضى لله شريكاً له في العبادة، وهو في الأصل مخلوق لله، وعبد له؟

ومن ضرب الأمثال للمشركين، وإقامة الحجة عليهم ما ضربه الله لهم في قوله تعالى: +ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

---

(1) سورة يوسف، الآيتان ٣٩، ٤٠.

(2) سورة النحل، الآية ١٧.

(3) سورة العنكبوت، الآية ٤١.

(4) سورة الحج، الآية ٧٣.

يَعْلَمُونَ" (١).

دعوتهم إلى الاعتبار بالسابقين: فقد لفت القرآن الكريم أنظار المخاطبين إلى مصير الأمم المكذبة، وما تلقوه من الضربات القاصمة، جزاء مروقهم، وتمردهم على أنبياء الله تعالى، ويرشدهم إلى النظر، والتدبر في ديار الأمم السابقة +قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ" (٢).

وتذكيرهم بالنعم، وتحذيرهم من النقم: فقد ذكرهم القرآن بأنواع من النعم الكثيرة، التي امتن بها عليهم، وعلى عباده، والتي لا يستطيع أحد من خلقه أن يأتي بشيء منها. قال تعالى: +وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ"(٣).

وفي مجال تحذيرهم من النقم، قال تعالى: +وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ" (٤).

بيان أن الشرك خرافات وأوهام: وبيان ضعف الشركاء، ومهانة الآلهة المدعاة. قال تعالى: +أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ" (٥).

وقال تعالى: +وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ"(٦). وتسفيه، وتهجين عقول المشركين: يتوجه القرآن الكريم إلى مكنونات عقول المشركين، وإلى فطرهم السليمة، ويضع أيديهم على مفاتيح الحق، ويشد

---

(١) سورة الزمر، الآية ٢٩.

(٢) سورة الروم، الآية ٤٢.

(٣) سورة النحل، الآية ٧١.

(٤) سورة النحل، الآية ١١٢.

(٥) سورة الأعراف، الآيتان ١٩١، ١٩٢.

(٦) سورة النحل، الآيات ٢٠-٢٢

بأبصارهم إلى أنوار البصيرة: كيف يرضى عاقل مدرك الوعي، والشعور أن يمرغ جبهته أمام حجر أصم، أو إنسان ضعيف عاجز، أو كوكب تسيره القدرة الإلهية، أو ميت هو في حاجة ماسة إلى عفو ربه، ورحمته وغفرانه؟ كيف ينزل العقل الإنساني إلى هذا الدرك الأسفل من التخلف العقلي مع اعترافه بأن للوجود رباً خالقاً رازقاً، ولم يتوجه إلى هذا الخالق العظيم مباشرة، وهو القائل +وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" [(١)].

لقد وجه القرآن الكريم حملة عنيفة على من يعترف بآلهة أخرى مع الله تعالى، أو يجعل له وساطات يتقرب بها إليه، ويُظْهِر القرآن فساد هذه الآلهة المدعاة، وعجزها الشنيع، وفقرها البالغ، وحاجتها الماسة لمن يدبر أمرها، ويتوجه بحاجتها فضلاً عن أن تعبد، أو تقدم لها الفروض، والقربات.

وبيان أضرار الشرك في الدنيا والآخرة: أما أضرار الشرك في الدنيا فإن الإسلام حينما يتصدى لمهاجمة الشرك، ومحاربته بجميع أشكاله، وألوانه صغيره، وكبيره فإن غايته من ذلك هو تحرير الإنسان من الخضوع، والخنوع لأي مخلوق على ظهر هذه الأرض.

إن الحياة التي يهيمن عليها الشرك حياة بهيمية تعافها النفوس الزكية، وتأنفها الطبائع الإنسانية. فالشرك زيادة على كونه تنقص لرب العالمين، وصرف العبادة لمن لا يستحقها من المخلوقين، فإنه وليد الخرافة، والجهل، لأنه يجلب من المساوئ للمجتمع ما لا يجلبه شيء آخر، فهو إلى جانب مناقضته للعقل، والمنطق فإنه يجعل الأذهان طيعة لقبول الأوهام، والخرافات، والأساطير.

وأما أضرار الشرك في الآخرة فتتمثل في إحباط الأعمال، والعذاب النفسي، والخلود في نار جهنم[(٢)].

وإن مما يحفز المشرك على الاستكانة للحق، والتوبة معرفته بمصير من مات من أمثاله على الشرك: فعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**إذا مررتم بقبورنا، وقبوركم من أهل الجاهلية فأخبروهم أنهم في النار**»[(٣)].

فعلى الداعية أن يسعى إلى قلع جذور الشرك من نفس المدعو وأن يرده إلى حظيرة التوحيد والإسلام

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٦.

(٢) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، مرجع سابق، ص٥٩-٧٩.

(٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، مرجع سابق، ١٢٧/٣.

بتؤدة وعلى مهل حتى يصل به إلى بغض الشرك وكراهية الكفر بلا قسر ولا إكراه، فيصير من أعوان الإسلام والمسلمين ضد الشرك والمشركين، وهذه النقلة تحتاج إلى صبر وأناة وحكمة من الداعية لكي يحقق هذا النجاح في عمله الدعوي.

المطلب الثالث
المدعو من أهل الكتاب

اليهود كان لهم شأن طويل كائد مع الدعوة، لكن هدي الرسول ﷺ في تعامله مع فئات المدعوين احتوى -بكل حكمة- كل ما صدر عنهم، فلم يبق بحوزتهم إلا التسليم، أو المكابرة، والإعراض، ومن مماحكتهم، ومماراتهم سؤالهم الرسول ﷺ عن الروح: فعن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل؟ فقالوا: سلوه عن الروح. فسألوه، فأنزل الله تعالى +وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡـرِ رَبِّي"[1].

ويروى «**ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما بقتله**» رواه الثعلبي، وابن مردويه، وابن حبان في الضعفاء عن أبي هريرة مرفوعا، وفي رواية ابن حبان «**يهودي**» و«**هم**» بالإفراد، وأخرجه الديلمي بلفظ: «**ما خلا قط يهودي بمسلم إلا حدث نفسه بقتله**»[2]، وقد أطال الكلام عليه السخاوي في بعض الحوادث فأقول: ويؤيد ذلك ما ذكره شيخنا المرحوم يونس المصري أنه كان يقرأ على يهودي يوما في المنطق، فقال له، وقد انفرد به: لا تأتني إلا ومعك سكين، أو نحوها، لأن اليهودي إذا خلا بمسلم، ولم يكن معه سلاح لزمه التعرض لقتله، وقال النجم: واشتهر في كلام الناس أنه ما خلا قط رافضي بسني إلا حدثته نفسه بقتله، وهي من الخصال التي شاركت الرافضة فيها اليهود[3].

لما أصاب رسول الله قريشا يوم بدر فقدم المدينة جمع يهود في سوق بني قينقاع، فقال: «**يا معشر**

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٨٥.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٣١٦/٨) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٥٠٦٢).

(٣) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ) ٢٤٤/٢.

يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا» فقالوا: يا محمد لا تغرنك نفسك، إنك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تأت مثلنا. فأنزل الله ﷻ في ذلك من قولهم +قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ" إلى قوله+لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ"[1][2].

يقول تبارك وتعالى منكرا على اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله ﷺ بالمدينة، وما كانوا يعانونه من القتال مع الأوس، والخزرج، وذلك أن الأوس، والخزرج، وهم الأنصار كانوا في الجاهلية عباد أصنام، وكانت بينهم حروب كثيرة، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير حلفاء الخزرج، وبنو قريظة حلفاء الأوس. فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه، فيقتل اليهودي أعداءه، وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر، وذلك حرام عليهم في دينهم، ونص كتابهم، ويخرجونهم من بيوتهم، وينتهبون ما فيها من الأثاث، والأمتعة، والأموال، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها استفكوا الأسارى من الفريق المغلوب عملا بحكم التوراة، ولهذا قال تعالى: +أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ"[3] ولهذا قال تعالى: +وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ"[4][5].

ولهذا قال قتادة في قوله: +ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ"[6] قال: هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه، ووعوه. وقال مجاهد: الذين يحرفونه، والذين يكتمونه هم العلماء منهم. وقال أبو العالية: عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد ﷺ فحرفوه عن مواضعه. وقال السدي: وهم يعلمون، أي أنهم أذنبوا. وقال ابن وهب قال ابن زيد في قوله: يسمعون كلام الله، ثم يحرفونه قال: التوراة التي أنزلها الله عليهم، يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما، والحرام فيها حلالا، والحق فيها باطلا، والباطل فيها حقا. إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم

(**١**) سورة آل عمران، الآيتان ١٢، ١٣.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الخراج والإمارة الفيء، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة (رقم ٣٠٠١).

(٣) سورة البقرة، الآية ٨٥.

(٤) سورة البقرة، الآية ٨٤.

(**٥**) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٢١/١.

(٦) سورة البقرة، الآية ٧٥.

المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب، فهو فيه محق، وإذا جاءهم أحد يسألهم شيئا ليس فيه حق، ولا رشوة، ولا شيء أمروه بالحق، فقال الله لهم +﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"[1][2].

حكي أن ابن عباس لقيه رجل من اليهود، فقال اليهودي: ممن أنت؟ قال: من قريش فقال: أنت من القوم الذين قالوا: +ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ"[3] الآية فهلاَّ عليهم أن يقولوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ! إن هؤلاء قوم يجهلون، قال ابن عباس: وأنت يا إسرائيلي من القوم الذين لم تجف أرجلهم من بلل البحر الذي أغرق فيه فرعون، وقومه، وأنجى موسى وقومه، حتى قالوا: +ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ"[4] فقال لهم موسى: إنكم قوم تجهلون فأطرق اليهودي [5].

إن من الحكمة في إبقاء أهل الكتاب بالجزية، إذ عندهم من الشواهد، والدلائل على نبوة محمد ﷺ، وعندهم من الشواهد على ما أخبر به من الإيمان بالله، واليوم الآخر ما يبين أن محمداً ﷺ جاء بالدين الذي بعث به الرسل قبله، وأخبر من توحيد الله، وصفاته بمثل ما أخبرت به الأنبياء قبله، قال تعالى: +قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ"[6] وقوله: +قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ"[7] وقال تعالى: +فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ"[8]. والنبي ﷺ لم يشك ولم يسأل، ولكن هذا حكم معلق بشرط، والمعلق بالشرط يعدم عند عدمه، وفي ذلك سعة لمن شك، أو أراد أن يحتج، أو يزداد يقينا.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٤٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١١٦/١.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٣٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٣٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٣٩٨/٧.

(٦) سورة الأحقاف، الآية ١٠.

(٧) سورة الرعد، الآية ٤٣.

(٨) سورة يونس، الآية ٩٤.

فهذه الطريقة بينة في مناظرة أهل الكتاب، وأما إن كان المخاطب لا يقر بنبوة نبي من الأنبياء لا موسى، ولا عيسى، ولا غيرهما، فللمخاطبة طرق:

منها: أن نسلك في الكلام بين أهل الملل، وغيرهم من المشركين، والصابئين، والمتفلسفة، والبراهمة وغيرهم نظير الكلام بين المسلمين، وأهل الكتاب.

والله تعالى يقول: +﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾"[١] فمتى ظلم المخاطب لم نكن مأمورين أن نجيبه بالتي هي أحسن، بل قال أبو بكر الصديق ﷺ لعروة بن مسعود بحضرة النبي ﷺ لما قال: إني لأرى أوباشا من الناس خليقا أن يفروا، ويدعوك: امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه، وندعه[٢].

وإن غرفة بن الحارث الكندي، وكانت له صحبة من النبي ﷺ سمع نصرانيا شتم النبي ﷺ، فضربه فدق أنفه، فرفع ذلك إلى عمرو بن العاص فقال له: إنا قد أعطيناهم العهد. فقال له غرفة: معاذ الله أن نعطيهم العهد على أن يظهروا شتم النبي ﷺ، وإنما أعطيناهم العهد على أن نخلي بينهم وبين كنائسهم، يعملون فيها ما بدا لهم، وأن لا نحملهم على ما يطيقون، وإن أرادهم عدو قاتلنا دونهم [٣].

وعن أبي هريرة: قال بينما يهودي يعرض سلعة له، أعطي بها شيئا كرهه، أو لم يرضه، شك عبد العزيز، قال: لا والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر. قال: فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه، قال: تقول: والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟! قال: فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم إن لي ذمة، وعهداً وقال: فلان لطم وجهي. فقال رسول الله ﷺ: «**لم لطمت وجهه؟**» قال: قال يا رسول الله والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر وأنت بين أظهرنا. قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى عرف الغضب في وجهه، ثم قال: «**لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله**» قال: «**ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث أو في أول من بعث، فإذا موسى عليه السلام آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب**

(**١**) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(**٢**) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ٢٥٢/٣ . ٢٥٤.

(**٣**) الصارم المسلول على شاتم الرسول، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ٣٨٦/٢.

بصعقته يوم الطور، أو بعث قبلي، ولا أقول: إن أحداً أفضل من يونس بن متى ‎‎عليه السلام‎»[1].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**»، وفى رواية، «**إلى أن يوحدوا الله – فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك. فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم. فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم. واتق دعوة المظلوم. فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[2].

وقد أورد أبو عبيدة في كتابه، نموذجاً، ومثالاً لحرص النبي ﷺ ومن بعده الخلفاء الراشدين على تطبيق هذا المبدأ العظيم، وهو حرية العقيدة تجاه أهل الذمة من أهل الكتاب، فقد أخرج بسنده عن وسق الرومي، قال: «كنت مملوكاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان يقول لي: أسْلِم، فإنك إن أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين، فإنه لا ينبغي لي أن أستعين على أمانتهم من ليس منهم. قال: فأبيتُ، فقال: لا إكراه في الدين، قال: فلما حضرته الوفاة أعتقني، وقال: اذهب حيث شئت. قال أبو هلال الطائي: رأيت الذي أعتقه عمر، وكان نصرانياً»[3].

لقد حاور النبي × اليهود في المدينة، وكانوا يكتمون ما أنزل الله، ويلبسون الحق بالباطل، كما حاور نصارى نجران، ودعاهم إلى المباهلة فرفضوا.

ولموضوعات الحوار أهمية كبرى إذ إنها ركن من أركانه لا يتم إلا بها، فلابد من توضيحه وبيانه، كما أن موضوعات الحوار تنطلق من الأهداف السامية التي شرعها الله لمحاورة أهل الكتاب.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى + وإن يونس لمن المرسلين " (رقم ٣٤١٤) ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى، (رقم ٢٣٧٣)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء (رقم ١٤٩٦) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (رقم ١٩).

(٣) علق أبو عبيدة على هذا الخبر بقوله: (فأرى عمر أنه تأول هذه الآية في أهل الكتاب، وهو أشبه بالتأويل، والله أعلم) انظر كتاب الأموال، أبو عبيد، مرجع سابق، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، خبر ٧٨، ص٣٥. وانظر سيرة عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

وسأذكر أبرز الموضوعات التي وردت في القرآن الكريم، والسنة المشرفة، لأنها بلاشك هي المحققة للأهداف المشروعة، فيجب على الدعاة الأخذ بها، والانطلاق منها، وأبرز تلك المواضيع هي:

أولاً: بيان التوحيد، وأهميته، وأنه لا نجاة لأحد إلا به، فيدعوهم إليه، ويحذرهم من الشرك بأنواعه المختلفة.

ثانياً: دعوتهم إلى الإيمان بمحمد ×، وبالكتاب الذي أنزل إليه، وبالدين الذي جاء به، وهو دين الإسلام، ويحذرهم من الكفر به خاصة، وقد بشرت به كتبهم، وعلموا أنه رسول من عند الل،ه كقوله تعالى: +يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ" [(١)].

ثالثاً: بيان تحريفهم لكتبهم رغبة في المال، وطمساً لحقائق التوحيد، والبشارة بمحمد ×، وقد ذكر القرآن أن الكتب السابقة وقع فيها جميع أنواع التحريف، وهي التبديل، والزيادة، والنقص.

رابعاً: الرد على شبهاتهم، وادعاءاتهم، وافتراءاتهم، وهذا من المواضيع التي اهتم بها القرآن، فهو يفند شبه أهل الكتاب المختلفة، كما يرد ادعاءاتهم، وافتراءاتهم الباطلة حتى يتضح الحق، ومن ذلك:

١-دعوى كل طائفة منهم أن إبراهيم عليه السلام منها، فرد عليهم الله عز وجل بقوله: +يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ"[(٢)].

٢-دعوى كل طائفة أنها وحدها على الحق، ولن يدخل الجنة سواهم، كما قال تعالى: +وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ" [(٣)].

٣-دعواهم أنهم أبناء الله، وأحباؤه، وأولياؤه، كما قال تعالى: +وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ"[(٤)].

---

(١) سورة المائدة، الآية ١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٦٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ١١١.

(٤) سورة المائدة، الآية ١٨.

٤-افتراؤهم على الله بقولهم: إنه فقير، وأن يده مغلولة، تعالى الله عما يقولون.

٥-زعمهم بأن الله عهد إليهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار، وهذا من تعجيزاتهم، ومبرراتهم لعدم الإيمان بمحمد ×.

٦-طلبهم من محمد × الإتيان بمثل ما جاء به موسى، وأن عدم إتيانه بذلك هو المانع من إيمانهم.

٧-زعم اليهود بأن المانع من إيمانهم هو أن الملك الذي يأتي بالوحي هو جبريل، وهو عدوهم.

٨-زعمهم أن المانع من إيمانهم هو أن القرآن يحلل من الأطعمة ما حرم على بني إسرائيل: كلحوم الإبل، وألبانها، فكيف يكون مصدقاً للتوراة.

٩-تعجيزهم للنبي × بطلب الآيات فقد سألوا أن ينزل كتاباً من السماء ليؤمنوا.

١٠-تشكيك اليهود بصحة الرسالة بسبب ترك قبلتهم - وهي بيت المقدس - إلى البيت الحرام، ومحاولتهم استغلال ذلك لفتنة المؤمنين عن دينهم [١].

أهم أساليب دعوة أهل الكتاب:

الإسلام دين الله تعالى إلى الناس جميعاً، وليس مقصوراً على العرب، وحدهم ، قال تعالى: +**قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**" [٢]. وجاء في الحديث عن النبي × أنه قال: «... **وكان النبي يبعث في قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**» [٣].

وقد وجه القرآن الكريم الدعوة إلى أهل الكتاب صريحة واضحة بعدة طرق، وأساليب من أجل دخولهم في الإسلام، ومن أهم هذه الطرق، والأساليب التي استعملها القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام ما يلي:

أولاً: إقامة الأدلة لأهل الكتاب على صدق النبي ×، وتشتمل على: تنبيههم إلى ما يجدونه في كتبهم من صفة النبي ×، وأن علماءهم يعرفون أمره معرفة تامة، كما يعرف أحدهم ولده. وبين القرآن الكريم أن أهل الكتاب يعلمون حقيقة القرآن، وأن خبره مدون في كتب الأنبياء السابقين. واستفتاح اليهود

---

(١) انظر: الحوار مع أهل الكتاب ، خالد بن عبد الله القاسم، مرجع سابق، ص١٦٢-١٦٩.

(**٢**) سورة الأعراف، الآية ١٥٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التيمم، باب ١ (رقم ٣٣٥) ومسلم كتاب المساجد (رقم ٥٢١).

بالرسول ×. وتنبيه أهل الكتاب إلى أن محمداً × إنما هو الذي بشر به عيسى ابن مريم عليه السلام. وإخبارهم بأن القرآن الكريم مصدق لما سبقه من الكتب السماوية ومهيمن عليها. وإقامة الحجة عليهم عن طريق الاستشهاد بمؤمني أهل الكتاب، وتصديقهم ما جاء به الرسول × وشهاداتهم أن ما أنزل عليه هو الحق، وأنهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم.

ثانياً: دعوتهم وإرشادهم إلى أن دعوة محمد × موافقة في الأصول إلى ما دعا إليه الأنبياء السابقون: قال تعالى: +۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ" [1]. وفي الحديث الصحيح: «**نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد**»[2] فرسالة جميع الأنبياء متطابقة في أصولها، وأهدافها، وغاياتها.

ثالثاً: تنبيههم إلى أن إبراهيم ويعقوب –عليهما السلام– الذين يدعي اليهود اتباعهما قد وصيا بنيهما باتباع ملة الإسلام. وأبطل القرآن الكريم مزاعم اليهود بأنهم على ملة إبراهيم.

رابعًا: دعوتهم إلى كلمة سواء: ومن الأساليب التي وجهها القرآن الكريم لأهل الكتاب الدعوة إلى كلمة عادلة مستقيمة، يقف أمامها الجميع على مستوى واحد، لا يعلو بعضهم على بعض، ولا يتعبد بعضهم بعضا، فكلهم أمام خالقهم سواء، ليس هناك فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، والعمل الصالح.

خامساً: قطع الحجة عليهم بإرسال خاتم الرسل، وإظهاره ما يكتمون من دينهم: قال تعالى: +يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَـٰبٞ مُّبِينٞ"[3]. وقال تعالى: +يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ"[4]. وبهذه المواجهة الحاسمة لا تعود لأهل

(**١**) سورة الشورى، الآية ١٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله +وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَـٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا" (رقم ٣٤٤٢، ٣٤٤٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ابن مريم عليه السلام (رقم ٢٣٦٥).

(**٣**) سورة المائدة، الآية ١٥.

(**٤**) سورة المائدة، الآية ١٩.

الكتاب حجة من الحجج في أن محمداً × لم يرسل إليهم.

سادساً: أسلوب الترغيب: وذلك بترغيبهم في أنهم لو حققوا منهج الله في التوراة، والإنجيل ما أنزل إليهم من التعاليم بدون تحريف، ولا تبديل، ثم آمنوا بما أنزل على محمد ×، واتبعوه فيما جاء به من عند الله ﷻ، لصلحت حياتهم في الدنيا، وفاضت عليهم الأرزاق، والخيرات، ولأكلوا من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، ولكفَّر الله عنهم سيئاتهم، ولأدخلهم جنات النعيم في الآخرة.

سابعاً: تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم: ومع كون الرسالة الإسلامية دعوة إلى الناس جميعاً غير أن العناية التي أولاها القرآن الكريم لأهل الكتاب كانت في غاية الخطورة، فإن القرآن يلح في مخاطبة بني إسرائيل مؤكداً الرغبة في انضوائهم في الصف الإسلامي؛ ليفوزوا بالسعادة، والرضا في العاجل، والآجل.

ثامناً: تأنيبهم على عدم إسلامهم: ومن أساليب القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب إلى الدخول في الإسلام ذمهم، وتأنيبهم، وتوبيخهم على عدم إسلامهم. قال تعالى: +يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ" [1].

تاسعاً: أسلوب التهديد والإنذار بالعقوبة: وكما استعمل القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب إلى الحق، واتباع نور الإسلام الكثير من أساليب اللين، والترغيب، فقد وجه إليهم الدعوة إلى الإيمان بما أنزل مصدقاً لما معهم، مستعملاً أسلوب التهديد، والوعيد، والتحذير من شدة عذاب الله، ونقمته بسبب كفرهم، وعنادهم، وعدم انصياعهم للحق مع علمهم، ومعرفتهم له رجاء أن يفيقوا من غفلتهم، ويرعووا عن تكبرهم، وعنادهم، ويسلكوا الطريق الحق الذي اتفقت عليه جميع الرسالات السماوية.

عاشراً: إخبارهم بأن القرآن الكريم يقص عليهم الحق في خلافاتهم: وذلك ليفتحوا قلوبهم، وينقادوا إلى هديه، فيقيهم من الاختلاف، والضلال، ويرشدهم إلى الحق، وإلى الطريق المستقيم.

الحادي عشر: إخبارهم بأن اختلافهم في الدين سببه البغي، والحسد. قال تعالى: + إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن

---

(1) سورة آل عمران، الآية ٧٠.

يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ" [1].

فقد أثبت القرآن الكريم لأهل الكتاب أن اختلافهم في الدين، وعدم دخولهم في الإسلام لم يكن إلا بعد أن علموا بالأدلة القاطعة، والآيات الواضحة ، حقيقة الأمر الذي لا محيد عنه، فلم يكن كفرهم، واختلافهم عن جهل، أو شبهة، أو خفاء، وإنما كان عن عناد، واستكبار، وحسد تأصل في نفوسهم[2].

فعلى الداعية الحكيم تقصي أسلوب القرآن والسنة في دعوة أهل الكتاب ولا يزيد عليهما ولا ينقص منهما ففيهما الكفاية والغنية من أجل إنجاح العمل الدعوي. ومن يوفق إلى الاهتداء بهدي الوحيين في دعوة أهل الكتاب فسوف يوفق بفضل الله في عمله الدعوي وفي إدخال الناس في دين الله أفواجاً كما دخلوا من قبل أفواجاً وزرافات.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٢) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د.حمود بن أحمد الرحيلي، مرجع سابق، ص٣٧-٥٤.

المطلب الرابع

المدعو من أهل الديانات غير السماوية (الوثنية)

الوثني هو الذي يتدين بعبادة الوثن، وهو التمثال سواء كان من خشب، أو حجر، أو نحاس، أو فضة أو غير ذلك، وقد كان الوثنيون يزعمون أن عبادته تقربهم إلى الله تعالى كما بين سبحانه ذلك عنهم بقوله: + مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ " (١) .

ويقال: رجل وثني، وقوم وثنيون، واسم الوثن يتعادل كل معبود من دون الله سواء كان ذلك المعبود قبراً، أو مشهداً، أو صورة، أو غير ذلك.

فكل من دعا نبياً، أو ولياً، أو ملكاً، أو جنياً، أو صرف له شيئاً من العبادة فقد اتخذه إلهاً من دون الله، وهذا هو حقيقة الشرك الأكبر الذي قال الله تعالى فيه + إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾"(٢).

لقد أصبح الشرك هو دين العرب العام بعد قيام عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي –على قول أكثر المؤرخين– بتغيير دين إسماعيل عليه السلام، فنصب الأوثان، وسيَّب السوائب، ووصل الوصيلة، وبحر البحيرة، وحمى الحامية، بعد أن نازع جرهماً على ولاية البيت، وظفر بهم، وتولى حجابة البيت، ثم إنه مرض مرضاً شديداً، فقيل له: إن بالبلقاء من الشام حمة إن أتيتها برأت فاستحم بها فبرأ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام، فقال: ما هذه؟ فقالوا: نستسقي بها المطر، ونستنصر بها على العدو. فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا، فقدم بها مكة، ونصبها حول الكعبة.

روى البخاري عن عائشة –رضي الله عنها– عن النبي × قال: «**رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب**»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله × يقول لأكثم بن الجون الخزاعي: «**يا أكثم رأيت عمرو**

(**١**) سورة الزمر، الآية ٣.

(**٢**) سورة النساء، الآية ٤٨.

(**٣**) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب قصة خزاعة (رقم ٣٥٢١) ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون (رقم ٢٨٥٦).

بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به ولا بك منه» فقال أكثم: عسى أن يضرني شبهه يارسول الله؟ قال: «**لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غيَّر دين إسماعيل ، فنصب الأوثان، وبحَّر البحيرة، وسيَّب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي**»(1).

وقد هوت بهم عبادة تلك الأصنام إلى الحضيض في الجهل، والخرافة، والانحراف عن طريق الهدى، حتى عبدوا الأشجار، وقطعوا الحجارة، وتلال الرمل بعد أن يحلبوا عليها ، روى البخاري عن أبي رجاء العطاردي قال: كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه ألقيناه، وأخذنا الآخر فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب، ثم جئنا بالشاء فحلبناها عليه، ثم طفنا به (2).

وهكذا ما إن كثرت لديهم الأصنام، وتنوعت طقوس عبادتها حتى أصبحت جزءاً من حياتهم، وأضحت من الكثرة بحيث يصعب حصرها، أو عدها. ولم يزل الأمر يستفحل فيهم، ويقوى أمره مع إمعانهم في الجاهلية حتى انغمست كل الأمة في الوثنية، وأصبح لكل قبيلة، وناحية صنم (3).

لقد وجه النبي الكريم × الدعوة إلى المجوس كذلك، ومما يدل على ذلك مارواه البخاري عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن رسول الله × بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي ﵁ فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى فلما قرأه كسرى مزقه — فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله × أن يمزقوا كل ممزق(4).

ومن البراهين القطعية التي ينبغي على الدعاة إلى الله تبيينها، وتوضيحها لمن اتخذ من دون الله آلهة أخرى قوله تعالى: + أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾" (5). فقد أنكر سبحانه على

---

(1) قال الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٤٣/٤): أخرجه ابن أبي عاصم في الأوائل (ق٢/٩ رقم الحديث ١٩٢– منسوختي) وهذا إسناد حسن، فهو شاهد قوي لحديث الترجمة.

(2) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال (رقم ٤٣٧٦).

(3) انظر: أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد الأموي، عبد الله بن محمد آل موسى، مرجع سابق، ص٩٦-٩٩.

(4) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة (رقم ٦٤).

(5) سورة الأنبياء، الآيات ٢١-٢٣.

من اتخذ من دونه آلهة من الأرض سواء كانت أحجاراً، أو خشباً، أو غير ذلك من الأوثان التي تعبد من دون الله، ومن المعلوم عند جميع العقلاء أن كل ما عبد من دون الله من الآلهة ضعيف من كل الوجوه، وعاجز، ومخذول، وهذه الآلهة لا تملك لنفسها، ولا لغيرها شيئاً من ضر، أو نفع، أو حياة، أو موت، أو إعطاء، أو منع، أو خفض، أو رفع، أو عز، أو ذل، ولا تملك كشف الضر عن عابديها، ولا تحويله إلى غيرهم، وقد أوضح الله سبحانه، وبيّن أن ما عُبِدَ من دونه قد توفرت فيهم جميع أسباب الفجر، وعدم إجابة الدعاء من كل وجه فإنهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات، ولا في الأرض لا على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له.

إن من عرف صفات الآلهة الباطلة، وأنها لا تملك لنفسها، ولا لغيرها ضرّاً ولا نفعاً فهي لا تستحق العبادة، وإنما الذي يستحق العبادة وحده هو الله الذي يملك القدرة على كل شيءٍ، والإحاطة بكل شيء، وكمال السلطان، والغلبة، والقهر والهيمنة على كل شيء، والعلم بكل شيء، ويملك الدنيا، والآخرة.

فالداعي إلى الله عز وجل وهو يدعو الوثنيين لا بد له أن يوضح لهم خطأ ما هم عليه وانحرافهم عن جادة الصواب، وأن مآلهم والعياذ بالله إلى الجحيم إن ماتوا على ذلك ولم يسلموا وجوههم لربهم عز وجل، وعليه أيضاً أن يهدم عقيدتهم في هذه الأوثان ويبين لهم بطلان عبادتهم إياهم وأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرًّا فضلاً عن أن يملكوها لغيرهم، ويستخدم معهم كل الوسائل والأساليب التي تحببهم في التوحيد والإسلام وتبغض إليهم الوثنية والشركيات. ويصبر عليهم خاصة إذا كانوا على هذه العقيدة والعبادة منذ سنين بعيدة، فالنقلة مما هم عليه إلى دين التوحيد قد تستغرق زمناً فعلى الداعية أن يتزرع بالصبر والحلم والرفق حتى يستطيع أن يأخذ بأيدي هؤلاء إلى النجاة والفوز والفلاح وينجح في عمله الدعوي فيقدم الخير لنفسه وللآخرين.

المبحث الرابع
المدعو المنافـق

النفاق: هو ستر الكفر، وإظهار الإيمان، ومخالفة الباطن للظاهر، وإظهار الخير، وإسرار الشر، وأنواعه: اعتقادي كفري، وعملي وهو من أكبر الذنوب، ومن علاماته: الخيانة، الكذب، الغدر، الفجور، وتنطوي نفسياتهم على عقد، وأدواء، وعلل خطيرة، وهو أسوأ من الكافر الذي يظهر الكفر.

ومن أعمالهم: الإفساد في الأرض، واتهام المؤمنين بالسفه، واللدد في الخصومة، وموالاة الكافرين، والتربص بالمسلمين، وكراهيتهم، والخداع، والتعامل بالربا، والسخط، والكذب، وخلف الوعد، والخيانة، وعدم الوفاء، والتحاكم إلى الطاغوت، والإفساد بين المسلمين، والأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف، والسخرية بالمؤمنين، والتواصي بترك الجهاد...

وينقسم إلى النفاق الأكبر: وهو عبارة عن إظهار الإيمان بالله، وملائكته... الخ وإبطان ما يناقض ذلك، وهذا ما كان على عهد الرسول ﷺ. والنفاق الأصغر: وهو نفاق العمل.

وهو أن يحدث بحديث، وهو كاذب. وإذا وعد أخلف بمعنى أن يعد، وفي نيته أن لا يفي، أو أن يعد، وفي نيته أن يفي لكن يبدو له عدم الوفاء فيما بعد، وإذا خاصم فجر، فيحيل الحق باطلاً، أو الباطل حقاً، وإذا عاهد غدر. ويرجع النفاق الأصغر إلى اختلاف السريرة والعلانية.

المنافق العليم: الذي يتكلم بالحكمة، ويعمل بالجور، أو المنكر، والذي يصف الإيمان، ولا يعمل به، والذي يثير الشُّبَه، ويقوم بالدعوة ضد الإسلام.

أما موقف الناس من النفاق من حيث خوفهم منه: فالمؤمن يخاف من الوقوع فيه، ويعمل على اجتنابه.. ولا يأمن النفاق إلا منافق.

ومن ظهرت فيه أوصاف النفاق العملي فهو منافق نفاقاًً أصغر لا يخرجه من الملة، ولكن يخشى عليه من سوء الخاتمة.

ومن أعظم خصال النفاق: أن يعمل الإنسان عملاً ظاهره قصد الخير، وقصده الفعلي الوصول إلى غرض له سيئ عن طريق هذه الخديعة.

وقد شرع سبحانه في بيان أحوال من لم تحصل له الهداية إلى الصراط المستقيم، فقال: +وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا" وهؤلاء هم المنافقون الذين يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر، ويقولون

بأفواههم ما ليس فى قلوبهم، فإنهم كما حكى الله عنهم هاهنا ينسبون إلى أنفسهم الإيمان بالله وبالرسول والطاعة لله ولرسوله نسبة بمجرد اللسان لا عن اعتقاد صحيح، ولهذا قال: +ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم" أي من هؤلاء المنافقين القائلين هذه المقالة +مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ" أى من بعد ما صدر عنهم ما نسبوه إلى أنفسهم من دعوى الإيمان والطاعة، ثم حكم عليهم سبحانه وتعالى بعدم الإيمان، فقال: +وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ"(١) أى ما أولئك القائلون هذه المقالة بالمؤمنين على الحقيقة، فيشمل الحكم بنفي الإيمان جميع القائلين، ويندرج تحتهم من تولى اندراجا أوليا...

ثم وصف هؤلاء المنافقين بأن فريقاً منهم يعرضون عن إجابة الدعوة إلى الله، وإلى رسوله في خصوماتهم، فقال: +وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ"(٢) أى ليحكم الرسول بينهم...

ثم قسم الأمر في إعراضهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم، فقال: +أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ" وهذه الهمزة للتوبيخ والتقريع لهم، والمرض: النفاق، أى أكان هذا الإعراض منهم بسبب النفاق الكائن في قلوبهم +أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ" وشكُّوا في أمر نبوته -صلى الله عليه وآله وسلم- وعدله في الحكم +أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ"(٣) (٤).

وقد أخبر تعالى رسوله -صلوات الله وسلامه عليه- أن في أحياء العرب ممن حول المدينة منافقين، وفي أهل المدينة أيضاً منافقون +مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ" أي مرنوا، واستمروا عليه، ومنه يقال: شيطان مريد، ومارد ويقال: تمرد فلان على الله، أي عتا وتجبر، وقوله: +لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ"(٥) لا ينافي قوله تعالى: +وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ"(٦) لأن هذا من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها، لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق، والريب على التعيين، وقد كان

---

(١) سورة النور، الآية ٤٧.

(٢) سورة النور، الآية ٤٨.

(٣) سورة النور، الآية ٥٠.

(٤) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٤/٤٤، ٤٥.

(٥) سورة التوبة، الآية ١٠١.

(٦) سورة محمد، الآية ٣٠.

يعلم أن في بعض من يخالطه من أهل المدينة نفاقاً، وإن كان يراه صباحاً ومساء[1].

وقد أمر الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ بالجهاد من حين بعثه، وقال: +وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا" [2]. فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار، بالحجة، والبيان، وتبليغ القرآن، وكذلك جهاد المنافقين، إنما هو بتبليغ الحجة، وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام، قال تعالى: +يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" [3]. فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار، وهو جهاد خواص الأمة، وورثة الرسل، والقائمون به أفراد في العالم...

وأما قوله تعالى: +وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ"[4] وهذه صفة المنافقين منهم أنهم يصانعون المؤمنين في الظاهر، وقلوبهم منطوية على الكفر، ولهذا قال: +وَقَد دَّخَلُوا" أي عندك يا محمد (بالكفر)، أي مستصحبين الكفر في قلوبهم، ثم خرجوا، وهو كامن فيها لم ينتفعوا بما قد سمعوا منك من العلم، ولا نجعت فيهم المواعظ، ولا الزواجر، ولهذا قال: (وهم قد خرجوا به) فخصهم به دون غيرهم، وقوله تعالى: +وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ" أي والله عالم بسرائرهم، وما تنطوي عليه ضمائرهم، وإن أظهروا لخلقه خلاف ذلك، وتزينوا بما ليس فيهم، فإن الله عالم الغيب والشهادة أعلم بهم منهم، وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء، وقوله: +وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ"[5] أي يبادرون إلى ذلك من تعاطي المآثم والمحارم، والاعتداء على الناس، وأكلهم أموالهم بالباطل، بالباطل، +لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" ، أي لبئس العمل كان عملهم، وبئس الاعتداء اعتداؤهم[6].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٢/٥٠٦.

(٢) سورة الفرقان، الآيتان ٥١-٥٢.

(٣) سورة التوبة، الآية ٧٣.

(٤) سورة المائدة، الآية ٦١.

(٥) سورة المائدة، الآية ٦٢.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٢/١٠١.

وقوله تعالى: +تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ"[1] قال مجاهد: يعني بذلك المنافقين. وقوله +لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ" يعني بذلك موالاتهم للكافرين، وتركهم موالاة المؤمنين التي أعقبتهم نفاقاً في قلوبهم، وأسخطت الله عليهم سخطاً مستمراً إلى يوم معادهم؛ ولهذا قال +أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ" وفسر بذلك ما ذمهم به، ثم أخبر عنهم أنهم +وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ" يعني يوم القيامة[2].

أما بيان الأساليب العلاجية في مواجهة كيد المنافقين فيجب على المؤمنين أن يجاهدوهم بما قد ينفعهم، أو ينفع بعضهم، ويردهم عن غفلتهم وغيهم، رجاء هدايتهم إلى الحق، وصدهم عن الباطل، وإنقاذهم من النار.

وقد عرفت مما تقدم عن ذكر صفاتهم: أنهم أناس داؤهم حب الدنيا، والتماس شهواتها عند العباد؛ وأن هذا نتيجة عدم يقينهم، أو ضعفه في الله ﷻ، وفي صدق رسول الله ×، وفي وجود يوم أخير فيه الحساب والجزاء والثواب والعقاب. لذلك فقد كان أسلوب القرآن الكريم في مواجهة قلوب المنافقين المريضة هو التركيز على مواضع غفلتهم بما يلي:

١-تذكيرهم بما سيكون لهم من العذاب الشديد في اليوم الآخر، الذي يربو على عذاب الكفار المجاهرين مع التبيين لهم أن باب التوبة مفتوح لهم قبل انتهاء أجلهم في هذه الحياة الدنيا، قال ﷻ: +إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا" [3].

وقال سبحانه في تهديد المنافقين، وبيان ما ينتظرهم من الذل والهوان والعذاب:

+يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ

(١) سورة المائدة، الآية ٨٠.

(٢) المرجع السابق ١١٣/٢.

(٣) سورة النساء، الآيات، ١٤٥-١٤٧

وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ" [1].

٢-تذكيرهم بعلم الله الشامل المحيط بما تكنه صدورهم من النفاق، وأن الله -وإن استطاع المنافقون ستر نفاقهم عن المؤمنين- علام الغيوب مطّلع على سرائرهم، وما يخفون في قلوبهم من الكيد والمكر والخبث ، فقد قال -سبحانه وتعالى- في المنافقين: +أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ" [2].

٣-تذكيرهم بقضاء الله وقدره ، وأن الأمر بيده سبحانه لا بأيديهم، وأن خططهم، ومكائدهم، ومكرهم لن ينجيهم من قدر الله ﷻ، ولن يثمر إلا ما يأذن به الله، وأن ما كتب عليهم لن يوقف عنهم ذلك المكر والكيد ، فقد قال لهم الله ﷻ رداً على ما قالوا بعد غزوة أحد: +قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ" [3].

٤-الغلظة عليهم في معاملتهم في الحياة الدنيا، وعدم التساهل معهم، وزجرهم بشدة في كل مرة تظهر عليهم علامة من علامات النفاق، وإقامة الحدود عليهم، وإظهار عدم الرضى منهم ، فقد قال الله ﷻ: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ" [4]. وقال سبحانه وتعالى: +يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ" [5]. ومن لا يرضى عنه ربه لا ينبغي أن يكون محل رضى المؤمنين.

وقد روي عن قتادة في معنى قوله تعالى: +جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ" أنه قال: جهاد المنافقين بإقامة الحدود عليهم، وعن ابن مسعود ﷺ أنه قال في تلك الآية: جاهد المنافقين بيدك،

---

(١) سورة الحديد الآيات، ١٣-١٥

(٢) سورة التوبة، الآية ٧٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٥٤.

(٤) سورة التوبة، الآية ٧٣.

(٥) سورة التوبة، الآية ٩٦.

فإن لم تستطع فبلسانك، فإن لم تستطع فاكفَهِرَّ في وجوههم، وروي عن الضحاك أنه قال في معناها: جاهد الكفار بالسيف، واغلظ على المنافقين بالكلام، وهو مجاهدتهم[1].

ويرى ابن جرير الطبري، والعماد ابن كثير أن المنافقين يجاهدون بالسيوف إذا أظهروا النفاق،

ولاشك أن جهاد المنافقين بالسيف لا يكون إلا بعد قيام دولة الإسلام، ولمن ظهرت عليه علامات واضحة تدل على نفاقه وكفره.

٥-ومن أساليب تأديب المنافقين، والضغط عليهم التي أشار إليها القرآن الكريم حرمانهم من الفرص التي يحققون بها شهواتهم، ويشبعون بها نزعاتهم المادية، وعدم الاكتفاء بتكليفهم بما يطلبون من الأمور السهلة، التي يكون غنمها أكبر من غرمها بكثير، فقد قال سبحانه في الأعراب المتخلفين عن عمرة الحديبية +سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا" [2].

وهكذا ينبغي أن لا يمد المؤمنون الحبل للمنافقين، وأن لا يداروهم، ولا يمكنوهم من تحقيق مآربهم بأسهل التكاليف، بل ينبغي أن يزجوهم في الامتحانات الشاقة، فإنها هي التي تعرف على صدقهم، أو على كذبهم ونفاقهم [3].

ولقد قام النبي الكريم × بدعوة المنافقين، ومن شواهد ذلك ما يلي:

أ- الانطلاق إلى عبد الله بن أبي:

روى الشيخان عن أنس ﷺ قال: قيل للنبي ×: لو أتيت عبد الله بن أبي. فانطلق إليه النبي × وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه، وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي × قال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك. فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله × أطيب ريحاً منك. فغضب لعبد الله رجل من قومه، فشتما، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد، والأيدي،

---

(١) انظر أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص، مرجع سابق، ٣٤٩/٤ ومابعدها.

(٢) سورة الفتح، الآية ١٥.

(٣) الجهاد ميادينه وأساليبه، د/ محمد نعيم ياسين، (مكتبة الأقصى، عمان الأردن، سنة ١٤٠١هـ)، ص١٥٥-١٥٩.

والنعال، فبلغنا أنها أنزلت +وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا"[1][2].

وقد ترجم الإمام النووي على حديث مسلم بقوله: باب في دعاء النبي × وصبره على أذى المنافقين.

ب-نهي المنافقين عن إيذاء المسلمين.:

روى الإمامان الترمذي، وابن حبان عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: صعد رسول الله × على المنبر فنادى بصوت رفيع، قال: «**يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله**»[3]

ففي الحديث خاطب × المنافقين، ونهاهم عن إيذاء المسلمين، وتعييرهم وتتبع عوراتهم. قال العلامة الطيب في شرح الحديث: وقوله ×: «**لا تؤذوا المسلمين**» صريح في أن الإسلام عبارة عن مجموع التصديق، والأعمال الصالحة، كأنه قيل: يا من أفرد الإسلام، ولم يضم إليه التصديق لا تؤذ من جمع بينهما [4].

فعلى الداعية الحكيم وهو يدعو المنافق أن يبين له خطر النفاق وأنَّ ما يكنه المنافق ويضمره لن يغنيه من عذاب الله شيئاً، وعليه أيضاً أن يُبغض إليه النفاق ويكرهه في خصال المنافقين، وأن يدعوه بحكمة وصبر ورفق حتى يقتلع جذور النفاق من قلبه وأن يحبب إليه الأعمال الصالحة ويرغبه في الإخلاص والعمل لوجه الله الكريم وأن يدعو إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة ويبين له ثمرة ذلك كله في الدنيا وفي الآخرة.

---

(١) سورة الحجرات، الآية ٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس (رقم ٢٦٩١) ومسلم، كتاب الجهاد والسير (رقم ١٧٩٩).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن (رقم ٢٠٣٢) وابن حبان (رقم ٥٧٦٣) وقال الألباني: حسن صحيح.

(٤) ركائز الدعوة إلى الله، د. فضل إلهي، مرجع سابق، ص١٣٥-١٣٧.

المطلب الأول

أقسام المنافقين باعتبار نوع نفاقهم

أولاً: أصحاب النفاق الاعتقادي (النفاق الأكبر)

النفاق هو الداء العضال الباطن، الذي يكون الرجل ممتلئاً منه، وهو لا يشعر، فإنه أمر خفي على الناس – وكثيراً ما يخفى على من تلبس به، فيزعم أنه مصلح، وهو مفسد وهو نوعان: أكبر وأصغر.

فالأكبر يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل، وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به.

وقد هتك الله –سبحانه– أستار المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن. وجلى لعباده أمورهم؛ ليكونوا منها ومن أهلها على حذر.

وذكر طوائف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية؛ لكثرتهم، وعموم الابتلاء بهم، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جداً، لأنهم منسوبون إليه، وإلى نصرته، وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة. يخرجون عداوته في كل قالب، يظن الجاهل أنه علم وإصلاح، وهو غاية الجهل والإفساد.

فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه! وكم من عَلَمٍ له قد طمسوه! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه! وكم ضربوا بمعاول الشُّبَهُ في أصول غراسه ليقلعوها! وكم عموا عيون موارده بآرائهم؛ ليدفنوها، ويقطعوها.

فلا يزال الإسلام، وأهله منهم في محنة وبلية، ولا يزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية، ويزعمون أنهم بذلك مصلحون +أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ"[1]. +يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ"[2][3].

---

(1) سورة البقرة، الآية ١٢.

(2) سورة الصف، الآية ٨.

(3) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ) (٣٤٧/١).

يقول تعالى: +أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ "[1]، ومن بنى مسجدا ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، فإنما يبني هؤلاء بنيانهم على شفا جرف هارٍ أي طرف حفيرة في نار جهنم +وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ" أي لا يصلح عمل المفسدين، قال جابر بن عبد الله: رأيت المسجد الذي بني ضراراً يخرج منه الدخان على عهد رسول الله ﷺ. وقال ابن جريج: ذكر لنا أن رجالا حفروا فوجدوا الدخان يخرج منه، وكذا قال قتادة، وقال خلف بن ياسين الكوفي: رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله تعالى في القرآن، وفيه حجر يخرج منه الدخان، وهو اليوم مزبلة [2].

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال ﷺ: «**لا تقولن للمنافق سيد فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم**»[3] السيد هو المستحق للسؤدد، وهو الأسباب العالية التي يستحق بها ذلك: كسعد بن معاذ، الذي قال فيه رسول الله ﷺ لقومه: «**قوموا إلى سيدكم**»[4] وقال ﷺ لبني سلمة: «**من سيدكم**»[5].

ثانياً: أصحاب النفاق العملي (النفاق الأصغر)

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: قوله ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر**» [6] وفي رواية: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا**

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر الطبري، مرجع سابق، ٩٦/٧.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك ربي وربتي (رقم ٤٩٧٧) والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٧٦٠) والنسائي في عمل اليوم والليلة (رقم ٢٤٢) وابن السني في عمل اليوم والليلة (رقم ٣٨٥) وقال المنذري في الترغيب (٢١/٤): رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٧١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إذا نزل العدو على حكم رجل (رقم ٣٠٤٣) ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم (رقم ١٧٦٨).

(٥) المعتصر من المختصر من الآثار، أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي (عالم الكتب ومكتبة المتنبي، بيروت والقاهرة، الطبعة بدون) ٣٧٦/٢.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق (رقم ٣٤) ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق (رقم ٥٨).

اؤتمن خان» [1] هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلاً من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك، وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقاً بقلبه، ولسانه، وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر، ولا هو منافق يخلد في النار، فإن أخوة يوسف ﷺ جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف، والعلماء بعض هذا أو كله، وهذا الحديث ليس فيه -بحمد الله تعالى- إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون، والأكثرون وهو الصحيح المختار أن معناه: أن هذه الخصال خصال النفاق، وأصحابها يشبهون المنافقون في هذه الخصال، ويتخلقون بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدثه، ووعده، وائتمنه، وخاصمه، وعاهده من الناس، لا أنه منافق في الإسلام فيظهره، وهو يبطن الكفر، ولم يرد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار.

وقوله ﷺ: «**كان منافقاً خالصاً**» معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال. قال بعض العلماء: وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه، فأما من يندر ذلك منه فليس داخلاً فيه، فهذا هو المختار في معنى هذا الحديث[2].

وعن صفوان بن عسال المرادي قال: كنا مع النبي ﷺ وسلام في سفر، فأقبل رجل، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال: «**بئس أخو العشيرة**» أو «**بئس الرجل**» فلما دنا منه أدنى مجلسه، فلما قام وذهب قالوا: يا رسول الله حين أبصرته قلت: بئس أخو العشيرة، أو بئس الرجل ثم أدنيت مجلسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنه منافق أداريه عن نفاقه، وأخشى أن يفسد عليَّ غيره**»[3]..

قال ابن بطال: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق (رقم ٣٣) ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق (رقم ٥٩).

(**٢**) صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ٤٦/٢-٤٨.

(**٣**) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، الحافظ ابن أبي الدنيا، الحافظ نور الدين الهيثمي (مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ) ٧٩٢/٢. وأصل الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: «بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة. فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه. فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا؟ ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه؟ فقال رسول الله ﷺ: يا عائشة متى عهدتني فحّاشا، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره. وهو عند البخاري (رقم ٦٠٣٢) ومسلم (رقم ٢٥٩١).

لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة، وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة، فغلط، لأن المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة، والفرق أن المداهنة من الدهان، وهو الذي يظهر على الشيء، ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه، حيث لا يظهر ما هو فيه.

والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه، ونحو ذلك، ثم ذكر حديثين تقدما: أحدهما حديث عائشة استأذن على النبي ﷺ رجل فقال «**ائذنوا له فبئس ابن العشيرة**»[1] وقد تقدم بيان موضع شرحه في باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد، والنكتة في إيراده هنا التلميح إلى ما وقع في بعض الطرق بلفظ المداراة، وهو عند الحارث بن أبي أسامة من حديث صفوان بن عسال نحو حديث عائشة، وفيه فقال: «**إنه منافق أداريه عن نفاقه، وأخشى أن يفسد عليَّ غيره**»[2].

فينبغي على الداعية الحكيم أن يفرق في دعوته بين المنافق نفاقاً اعتقادياً كأن يظهر الإسلام ويبطن الكفر وكراهية الإسلام والمسلمين ويظهر من خلال أقواله وأفعاله بعض علامات النفاق وبين من يأتي ببعض خصال النفاق العملي (النفاق الأصغر) فلكل واحد منهما أسلوب وطريقة تختلف عن الآخر. ويحرص الداعية على أن يحقق النجاح في عمله الدعوي بأن يدعو المنافقين إلى ترك نفاقهم وإسلام وجوههم لله رب العالمين وموافقة ظواهرهم لبواطنهم وأن يدعوهم إل ترك خصال المنافقين والتحلي بصفات المؤمنين وبيان خطورة النفاق في الدنيا والآخرة ويحرص أيضاً على أن يقتفي أثر الرسول في دعوته لمثل هذه الأصناف.

---

(١) حديث عائشة أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً (رقم ٦٠٣٢) ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب مداراة من يتقى فحشه (رقم ٢٥٩١)

(٢) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ١٠/ ٥٢٨.

المطلب الثاني

أحوال المنافقين المرتبطة بصفاتهم

قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: +وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ"[1] نزلت في قوم من المنافقين، تكلموا في الذين قتلوا في غزوة الرجيع: عاصم بن ثابت، وخبيب وغيرهم، وقالوا: ويح هؤلاء القوم، لا هم قعدوا في بيوتهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم، فنزلت هذه الآية في صفات المنافقين..

وقال قتادة، ومجاهد، وجماعة من العلماء: نزلت في كل مبطن كفراً، أو نفاقاً، أو كذباً، أو إضراراً، وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك، فهي عامة، وهي تشبه ما ورد في الترمذي، أن في بعض كتب الله تعالى: إن من عباد الله قوما ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، يشترون الدنيا بالدين، يقول الله تعالى: أبي يغترون، وعليَّ يجترئون، فبي حلفت لأتيحن لهم فتنة تدع الحليم منهم حيران[2].

ومن صفات المنافقين: الكذب، والشك، وعدم اليقين: وذلك أن المنافق يعمل على شك، فعمله يذهب باطلا، وغناؤه يضمحل فيصير هباء، وهو بشكه يعمل على وناء وضعف، ولو عمل على بصيرة لاكتسب بعمله أجرا، ولكان له عند الله ذخر، وكان على عمله الذي يعمل أقوى لنفسه، وأشد تثبيتا لإيمانه بوعد الله على طاعته، وعمله الذي يعمله[3].

ومن صفاتهم: إخلاف الوعد والفجور: قال تعالى: +وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا"[4] الآية هذه صفة المنافقين، والمعنى أنهم لم ينتفعوا بشيء مما سمعوه، بل دخلوا كافرين، وخرجوا كافرين، والله أعلم بما يكتمون، أي من نفاقهم[5].

وقال رسول الله وهو يبين صفات المنافقين: «**وإذا خاصم فجر**»[6].

---

(١) سورة الهمزة، الآية ١.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد (رقم ٢٤٠٤) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٦٤١٩).

(٣) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ١٦١/٥.

(٤) سورة المائدة، الآية ٦١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٢٣٧/٦.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق (رقم ٣٤) ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق (رقم ٥٨).

ومن صفاتهم: الغدر، وعدم الوفاء، والخيانة في الأمانة، والإفساد في الأرض، والتربص بالمسلمين فعن قتادة قوله: +هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ"[1] فوالله إن المؤمن ليحب المنافق، ويأوي له ويرحمه، ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المؤمن منه لأباد خضراءه[2].

ومن صفاتهم: الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف:

ومن صفاتهم: تثبيط المسلمين، والتواصي بترك الجهاد: فعند النداء للجهاد يُراعى ما قد يُخلِّفه هذا التثبيط في نفوس المسلمين، كما يراعى ما في قلوب المنافقين من مرض، وذلك بنداء أهل الإيمان بوصفهم بخيل الله، فيبادر من يتصف بذلك فعلاً، ويشهر المنافقون المثبطون لغيرهم أن أمرهم معلوم، وكيدهم مفضوح، فيزيد غيظهم لشعورهم بفوات النصر، والسبق عليهم، واستئثار المسلمين الصادقين به دونهم...

ومن صفاتهم: الحنق، والغيظ عند نصرة المسلمين، وأمن النفاق، وعدم الخوف من الوقوع فيه، والسعي لإحراج الدعاة، وتعجيزهم بإلقاء الأسئلة عليهم، ومطالبتهم بما يصعب تحقيقه

وفيما يتصل بالأسئلة، فهم يتلمسون ما فيه الإحراج مما يظنون افتقار الداعية إلى إجابة شافية عنه.. وفي المنهج الدعوي للإسلام ما يكفي، ويشفي في تحقيق المراعاة المناسبة لتلك الفئة من المدعوين، بحيث يخلف ذلك لديهم قناعة بسوء مسلكهم، وبنجاعة ما ركن له الداعية في تعامله معهم، وألقاه عليهم من مضمون...

وقال ابن جريج: +۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ"[3] أهل الكتاب، والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة، ويدعون العمل بما يأمرون به الناس، فعيَّرهم الله بذلك، فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة. وقال محمد بن إسحاق عن محمد عن عكرمة أو سعيد ابن جبير عن ابن عباس +وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ" أي تتركون أنفسكم +وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ" أي تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة، والعهد من التوراة، وتتركون أنفسكم، أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي، وتنقضون ميثاقي، وتجحدون ما تعلمون من كتابي، وقال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية:

---

(1) سورة آل عمران، الآية ١١٩.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٦٥/٤.

(3) سورة البقرة، الآية ٤٤.

يقول: «أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد ﷺ وغير ذلك مما أمرتم به من إقام الصلاة، وتنسون أنفسكم»[١].

ومن صفات المنافقين أن المنافق إذا صلى لا يصلي إلا رياء وسمعة

قال الله تعالى +وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ"[٢] قال ابن زيد: هم المنافقون لولا الرياء ما صلوا. وأما قوله: +وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا" إنما معناه ولا يذكرون الله إلا ذكرا رياء، ليدفعوا به عن أنفسهم القتل، والسباء، وسلب الأموال، لا ذكر موقن مصدق بتوحيد الله مخلص له الربوبية، فلذلك سماه الله قليلا، لأنه غير مقصود به الله، ولا مبتغي به التقرب إلى الله، ولا مرادا به ثواب الله، وما عنده، فهو وإن كثر من وجه نصب عامله، وذاكره في معنى السراب، الذي له ظاهر بغير حقيقة ماء...

وقال تعالى: +مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا"[٣] عنى بذلك أن المنافقين متحيرون في دينهم، لا يرجعون إلى اعتقاد شيء على صحة فهم: لا مع المؤمنين على بصيرة، ولا مع المشركين على جهالة، ولكنهم حيارى بين ذلك...

وعن ابن عمر –رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ قال: «**مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، لا تدري أيتهما تتبع**»[٤].

وعن السدي: +مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ" يقول: ليسوا بمشركين، فيظهروا الشرك، وليسوا بمؤمنين. وعن قتادة +مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ" يقول: ليسوا بمؤمنين مخلصين، ولا مشركين مصرحين بالشرك[٥].

وكيفية دعوتهم تتم بأساليب من أهمها:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٨٦/١.

(٢) سورة النساء، الآية ١٤٢.

(٣) سورة النساء، الآية ١٤٣.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (رقم ٢٧٨٤).

(٥) جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٣٣٥/٥، ٣٣٦.

ا- استعمال الأسلوب الحكيم في دعوتهم، والذي يقوم على:

أ-أساس الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

ب-مراعاة أحوالهم، وطباعهم، وتقاليدهم، وعاداتهم، وثقافتهم، وتقديم الدعوة لهم بما يتناسب مع أحوالهم وكرامتهم.

ج-ملاحظة الشعور العام عندهم، وعدم الاصطدام به، وتهيئة الأمور قبل إعلان الحكم.

د-مراعاة الأدب في دعوتهم، وتأليف قلوبهم باللطف، والمال إذا اقتضى الأمر، والعفو عنهم، والحرص على جمع قلوبهم حول الإسلام.

٢-بيان خطر النفاق، وضرره في الحياة الدنيا والآخرة، وبيان الصفات التي وصفهم الله -تعالى- بها أو العقوبة لهم عند الله. قال تعالى +بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا" [(١)]. وقال في بيان عذابهم في الآخرة: +إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ" [(٢)].

وأما صفاتهم فقد بين الله صفاتهم في أوائل سورة البقرة، وفي سورة براءة، وفي سورة المنافقون يرجع إليها.

٣-بيان الأمثال التي ضربها الله في وصفهم لبيان شؤم النفاق وخطره. قال تعالى: + مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ" [(٣)]. وقال أيضاً: +أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ" [(٤)]. فالمولى يضرب مثلين للمنافقين بحسب حالهم: الأول منهما «نارياً». والثاني: «مائياً». لما في النار، والماء من الإضاءة، والإشراق، والحياة. أما النار مادة النور، والماء مادة الحياة، وقد جعل الله الوحي الذي أنزل من السماء متضمناً لحياة القلوب واستنارتها ، ولهذا أسماه روحاً ونوراً وجعل قابلية الحياة في النور.

---

(١) سورة النساء، الآية ١٣٨.

(٢) سورة النساء، الآية ١٤٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٩.

٤-معالجة الأسباب التي تدفعهم إلى النفاق، وذلك عن طريق إبعادهم عن مجالس السوء، والعمل على تقوية الإيمان في قلوبهم، والتعهد الدائم المستمر لهم.

٥-بيان قدرة الله عليهم، وبأنها أعظم من قدرتهم [١].

وقال تعالى في نعت المنافقين: +أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا"[٢].

وفي هذه الآيات أنواع من العبر للدلالة على ضلال من يحاكم إلى غير الكتاب والسنة، وعلى نفاقه، وإن زعم أنه يريد التوفيق بين الأدلة الشرعية، وبين ما يسميه هو عقليات من الأمور المأخوذة عن بعض الطواغيت، من المشركين، وأهل الكتاب، وغير ذلك من أنواع الاعتبار.

فعلى الداعية الحكيم التبصر بأحوال المنافقين ومن ثم معالجة ما هم عليه ودعوتهم إلى ترك النفاق والتخلص من صفات النفاق وأن هذا أنفع لهم في الدنيا والآخرة وأن استمرارهم على النفاق فيه أشد الخسارة عليهم في الآخرة عندما يفاجؤون بما لم يكونوا يحتسبون. وعلى الداعية أيضاً أن يحرص في دعوته لهذا الصنف من المدعوين أن يبين لهم عاقبة الكذب والشك وإخلاف الوعد والفجور والغدر والخيانة وعدم الوفاء بالعهود والعقود، وأن عليه أيضاً أن يدعوهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن ذلك من صفات المؤمنين ويدعوهم كذلك إلى التحلي بصفات أهل الإيمان وترك صفات المنافقين.

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والإرشاد، محمد أمين حسن محمد بني عامر، مرجع سابق، ص٣٣٩.

(**٢**) سورة النساء، الآيات: ٦٠ . ٦٣.

الفصل الثاني

المدعو باعتبار ذاتـه

المبحث الأول: المراد بذات المدعو . وبيان الأحوال المتعلقة بها
المبحث الثاني: الصفات العقلية للمدعو.
المبحث الثالث: الصفات والخصائص النفسية للمدعو
المبحث الرابع: المطالب الجبلية للمدعو
المبحث الخامس: موقف المدعو من الدعوة

المبحث الأول

المراد بذات المدعو وبيان الأحوال المتعلقة بها

المطلب الأول

الصفات الشخصية الثابتة لدى المدعو، وأهمها:الجنس (ذكر، أنثى)

ينبغي على الداعية أن يراعي حال الداعي، فالحديث مع الرجل غير الحديث مع المرأة فإن لكل منهما طريقة تخصه، وأسلوباً يتلائم مع صفاته وسماته، فلابد أن يراعي الداعية هذه الفروق وينظر في كل ما يخص كل طائفة من المشارب، والعادات، والأخلاق، والتربية، والغنى، والفقر، والوظيفة، والمستوى الاجتماعي، وغير ذلك من الفروق البشرية.

ومما لاشك فيه أن مخاطبة الناس على قدر عقولهم يعد من أبرز عوامل نجاح الدعوة إلى الله تعالى، فينبغي على الدعاة، والقادة، والمربين مراعاة هذه القاعدة حتى يكتب الله لهم التوفيق، والقبول، والنجاح في دعوتهم، وإذا كان هذا الأمر عاماً يتمثل مع جميع الناس فإن النساء لهن معاملة خاصة وأمور ينبغي مراعاتها عند دعوتهن، والتعامل معهن. فهاهو رسول الله ﷺ يضع الخطوط العريضة في دعوة النساء حيث ورد عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو في فطر إلى المصلى، فمر على النساء، فقال: «**يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار**» فقلن: وبم يارسول الله؟! قال: «**تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل العاقل من إحداكن**» قلن: وما نقصان ديننا، وعقلنا يارسول الله؟ قال: «**أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟**» قلن: بلى. قال: «**فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟**» قلن: بلى. قال: «**فذلك من نقصان دينها**»(1).

وعن عطاء بن يسار –رحمه الله– عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنه قال: قال رسول الله ﷺ «**أريت النار فإنما أكثر أهلها النساء يكفرن**» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «**يكفرن العشير، ويكفرن**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم (رقم ٣٠٤) ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ككفر النعمة والحقوق (رقم ٧٩).

الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المرأة كالضلع إن ذهبت تقيمها كسرتها، وإن تركتها استمتعت بها على عوج**» وفي لفظ: «**استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء**». [2]

إن المرأة ليست كالرجل فهي معوجة لا تستقيم أبداً لضعف جسمها، وعقلها، ودينها، فمن حاول حملها على الاستقامة التي تخالف خلقتها، وفطرتها كسرها، وكسرها طلاقها، ومن انتفع بها واستمتع بها، وهي على ما هي عليه كان له ذلك.

من أجل ذلك جاءت الوصية بالنساء، ومعاملتهن بالرفق، وتحمل النقص الذي في خلقتهن، ومعاملتهن على قدر عقولهن، ودينهن، والصبر على ما لا يستقيم من أخلاقهن والصبر عليهن في الدعوة إلى الاستقامة على ما شرعه الله ﷻ وسنة الرسول ﷺ. فالمرأة لها ظروفها، وأحكامها الخاصة التي تدور عليها جملة من الإجراءات الدعوية التي تكفل مراعاة ملائمة لأحوالها الخاصة.

أما مسألة تعليم النساء ودعوتهن : فيروى عن عبد الله بن قيس قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة، ثم قال: «**على مكانكم اثبتوا**» ثم أتى الرجال، فقال:«**إن الله ﷻ يأمرني أن آمركم أن تتقوا الله تعالى، وأن تقولوا قولا سديداً**» ثم تخلل إلى النساء فقال لهن:«**إن الله ﷻ يأمرني أن آمركن أن تتقوا الله وأن تقولوا قولا سديدا**» قال: ثم رجع حتى أتى الرجال: فقال:«**إذا دخلتم مساجد المسلمين وأسواقهم ومعكم النبل فخذوا بنصولها لا تصيبوا بها أحداً فتؤذوه أو تجرحوه**»[3].

وكان من هدي النبي ﷺ أنه يدعو النساء ألا يحتقرن غيرهن من المؤمنات أن تهدي لجارتها شيئاً

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب كفران العشير وكفر بعد كفر (رقم ٢٩) ومسلم، كتاب الكسوف، ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (رقم ٩٠٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (رقم ٣٣٣١) ومسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء (رقم ١٤٦٨) (٥٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٣٩١/٤) والبزار (رقم ٣٢١٧) وبنحوه الطيالسي (رقم ٥٢٠) وقال الهيثمي في المجمع (٢٣٣/١٠): وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجال أحمد رجال الصحيح

يسيراً فقال رسول الله ﷺ: «**يا نساء المؤمنات لا تحقرن إحداكن لجارتها ولو كراع شاة محرق**»[1].

ومن صور التعامل مع المرأة بما يوافق حالها عدم ارتياد مواطن الريبة، والزلل معها، وسد كل ما من شأنه أن يؤدي إلى المحظور معها.. فكان الرسول ﷺ لا يصافح النساء.. وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ النساء من المشي في طريق الرجال، والاختلاط بهم في الطريق، فعلى ولي الأمر أن يقتدي به في ذلك

ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة، والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا ، وهو من أسباب الموت العام، والطواعين المتصلة

ولقد كان الوحي ينزل في القضايا المستجدة في زمن الرسول ﷺ، وكثيراً ما كان الوحي ينزل إجابة عن سؤال، أو إيضاحاً، أو بياناً لنازلة من نوازل المسلمين. ولكننا نلحظ أن عدداً من القضايا ينزل بها الوحي فيما يتعلق بامرأة من المسلمين.

فمثلاً: خديجة بنت خويلد –رضي الله عنها–، نجد أن أبا هريرة ﷺ يقول: أتى جبريل ﷺ النبي ﷺ فقال: «**يارسول الله، هذه خديجة قد أتتك ومعها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ﷻ ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لاصخب فيه ولانصب**»[2].

وقصة الإفك قصة معروفة نزلت فيها آيات تتلى تبرئ عائشة –رضي الله عنها– مما قيل فيها. تقول عائشة –رضي الله عنها– كما في صحيح البخاري: ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى. إلى أن قالت: وأنزل الله +إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ"[3].

ولا يقولن قائل: إن هذه في أمهات المؤمنين فحسب، فقد نزلت آيات تتلى في كتاب الله في شأن

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الهبة، باب فضل الهبة (رقم ٢٥٦٦) ومسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بالقليل ولا تمتنع من القليل لاحتقاره (رقم ١٠٣٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضائلها رضي الله عنها (رقم ٣٨٢٠) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها (رقم ٢٤٣٢).

(٣) سورة النور، الآية ١١.

امرأة من المسلمين، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﻷ: +قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا"(١) إلى آخر الآية. وفي صحيح البخاري معلقاً قال الأعمش عن تميم عن عروة عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ +قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا" (٢)

لقد سمع الله -سبحانه وتعالى- كلام خولة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- وبعضه يخفى على عائشة أثناء شكواها من زوجها، وهي تقول: أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت وانقطع ولدي ظاهر مني. فما برحت مكانها حتى نزل جبريل ؊ بهذه الآيات. فأي تكريم للمرأة بعد هذا التكريم يوم أن نزل جبريل ؊ بجواب من رب العالمين عن شكوى هذه العجوز المسكينة.

إن امرأة بمثل هذا السن وهذه الحالة في غير الإسلام لا تجد من يلتفت إليها، أو يأبه بها، وخير ما قدمت لها تلك المجتمعات الغربية أن ترمى في دار من دور العجزة إن لم تكن على قارعة الطريق.

أما في الإسلام فجبريل ؊ يحمل وحياً من الرب -سبحانه وتعالى- يتلى إلى يوم القيامة في قضية امرأة من المسلمين ليعلمنا أن المرأة في هذا الدين ذات شأن مكين(٣).

أما لون المدعو فلم يكن في يوم من الأيام مدعاة لقبوله، أو رفضه، أو مدحه، أو ذمه، فهاهو بلال بن رباح ؓ وهو أسود اللون كان مقرباً إلى النبي ﷺ وكان محبباً إليه بعكس أبو لهب القرشي الوضيء الجميل فهو من أهل النار، والعياذ بالله. ويقرر ذلك رسول الله ﷺ في الحديث: «**لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى**» (٤)

فعلى الداعية أن يدعو إلى الله ولا يفرق في دعوته بين جنس وآخر أو بين لون وآخر، بل يدعو إلى الله عز وجل: الرجل يدعو الرجال والمرأة تدعو النساء. ولا يتحيز لجماعة أو لفئة من أجل لونها أو نسبها

---

(١) سورة المجادلة، الآية ١.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى +وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا".

(٣) كيف أنصف الإسلام المرأة، د.زيد بن عبد الكريم الزيد (دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٢هـ، ص ١٤-١٨.

(٤) أخرجه أحمد (٤١١/٥) وقال الهيثمي في المجمع (٢٦٩/٣): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وجنسها، بل يدعو إلى الله سبحانه مخلصاً له الدين، ولا يثنيه شيء أو يعوقه أمر يتعلق بذات المدعو أو جنسه أو لونه أو نسبه.

المطلب الثاني
الصفات الشخصية المتغيرة لدى المدعو

وأهمها: السن والسمات الخاصة بكل فئاته

إذا كان المدعوون من الشباب، ومن هم في سن الفتوة فينبغي على الدعاة أن يولوهم عناية خاصة فيبثون في أنفسهم ما يعينهم على الثقة بأنفسهم، وقيامهم بالمسؤولية الاجتماعية على الوجه المطلوب كما كان رسول الله ﷺ يشاور الشباب، ويحترم آداءهم، ويوكل إليهم بعض المسؤوليات المهمة في المجتمع، فبعث أسامة بن زيد إلى الشام على رأس جيش به كبار الصحابة، وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب يوم خيبر، وأرسل معاذاً إلى اليمن، ومصعب بن عمير إلى المدينة.

كما كان من منهج الرسول ﷺ في دعوته للشباب الثناء عليهم، لأن الثناء على النفوس له تأثير كبير يحرك الهمم، ويدفع إلى المعالي فها هو رسول الله ﷺ يثني على عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قائلاً: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**» فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً [(١)]. وأثنى على علي بن أبي طالب يوم خيبر في قوله: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله**» [(٢)].

وكان من هدي النبي ﷺ مع الشباب تقديرهم واحترام حقوقهم، فهاهو رسول الله ﷺ يؤتى بشراب، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ، فيقول للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا والله يا رسول الله لا أوثر من نصيبي منك أحداً» [(٣)].

وهذا أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ يصف معاملة النبي ﷺ طيلة عشر سنوات قائلاً: خدمت

(**١**) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن عمر (رقم ٣٧٣٩).

(**٢**) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب (رقم ٣٧٠٢).

(**٣**) أخرجه البخاري، كتاب الأشربة، باب هل يستأذن الرجل من عن يمينه (رقم ٥٦٢٠).

رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف. ولا: لم صنعت؟ ولا ألا صنعت [1].

ولعل من فئات المدعوين وفق ذلك من هم في سن الشباب.. الذين من أهم سماتهم التطلع إلى الحركة، والتغيير، وعدم الصبر على حال واحدة، وعدم الصبر مدة طويلة عن الأهل والزوجات.. فكان العمل على مراعاة هذه السمات لديهم بصورة لبقة حكيمة ليس فيها إحراج لهم، من أهم متطلبات العمل معهم، وحين ينال أولئك من الداعية ما يحقق لهم متطلبات تلك السمات يشعرون بشيء من الانفراج، والارتياح لشخص الداعية، ويكونون في حال نفسية منشرحة تتقبل برحابة ما يلقى عليها في ضوء هذا الجو الفرح، الذي هيأه الداعية لهم حين حقق مطالب مرحلتهم العمرية، ومن شواهد ذلك:

في رواية عن أبي قلابة قال: حدثنا مالك أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا، أو قد اشتقنا سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه قال: «**ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم**» وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها: «**وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم**» [2].

وحين سُئل الرسول ﷺ من عدد من أصحابه بأن يوصيهم ويرشدهم تباينت إجابته عليه السلام بما يناسب حال السائل، ويحقق الفائدة والخير له..

وفي الحديث التالي نلحظ إجابة الرسول ﷺ للسائل قد اشتملت على أمور، دارت حول السماحة والتواضع، والبعد عن الكبر والخيلاء:

عن سليم بن جابر الهجيمي قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو محتب في بردة له، وإن هدبها لعلي قدميه، فقلت: يا رسول الله أوصني. قال: «**عليك باتقاء الله، ولا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي، وتكلم أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الإزار، فإنها من المخيلة، ولا يحبها الله، وإن امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه منه، دعه يكون**

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق (رقم ٦٠٣٨).

(2) أخرجه البخاري كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة (رقم٦٣١) ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة (رقم ٦٧٤).

وباله عليه وأجره لك، ولا تسبن شيئاً» قال: فما سببت بعده دابة، ولا إنساناً[(١)] قال أبو حاتم -رضي الله تعالى- عنه: قوله ﷺ **«عليك باتقاء الله»** أمر فرض على المخاطبين كلهم أن يتقوا الله في كل الأحوال، وإفراغ المرء الدلو في إناء المستسقي من إنائه، وبسطه وجهه عند مكالمة أخيه المسلم فعلان قصد بالأمر بهما الندب، والإرشاد قصداً لطلب الثواب[(٢)].

السابقون إلى الاسلام من الرجال والنساء والصبيان

لما دعا ﷺ إلى الله ﷻ، استجاب له عباد الله من كل قبيلة، فكان حائز قصب سبقهم، صديق الأمة، وأسبقها إلى الإسلام، أبو بكر رضي الله عنه، فآزره في دين الله، ودعا معه إلى الله على بصيرة، فاستجاب لأبي بكر: عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد ابن أبي وقاص.

وبادر إلى الاستجابة له ﷺ صديقة النساء: خديجة بنت خويلد، وقامت بأعباء الصديقية، وبادر إلى الإسلام على بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان ابن ثمان سنين، وقيل: أكثر من ذلك، وكان في كفالة رسول الله ﷺ، أخذه من عمه أبي طالب إعانة له في سنة محل.

وبادر زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ، وكان غلاماً لخديجة، فوهبته لرسول الله ﷺ لما تزوجها.

ولما قدم أنس بن رافع مكة، ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم فقال لهم: **«هل لكم إلى خير مما جئتم له ؟»** قالوا: وما ذاك قال: **«أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله لا يشركوا به شيئاً وأنزل عليّ كتاب»** ثم ذكر الإسلام وتلا عليهم القرآن، فقال إياس بن معاذ وكان غلاما حدثا: أي قوم هذا والله خير مما جئتم له. قال: فأخذ أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها في وجه إياس بن معاذ، وقام رسول الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج قال ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك قال محمود بن لبيد فأخبرني من حضره من قومي عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله، ويكبره، ويحمده، ويسبحه حتى مات فما كانوا يشكون أن قد مات

(١)أخرجه ابن حبان في صحيحه (رقم ٥٢١) وأحمد (٦٣/٥) والبغوي في شرح السنة (رقم ٣٥٠٤) وانظر: موارد الظمآن (رقم ١٢٢١).

(٢) انظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، مرجع سابق، (٢٨٠/٢).

مسلماً لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع» [1]. وكذا كان للأطفال تعامل خاص تمثلت فيه المراعاة لمستواهم.

إن الناس يحبون أن ينادوا بأحب الأسماء إليهم: يا محمد. يا أبا فلان. وكان الرسول ﷺ ينادي أصحابه بأحب الأسماء إليهم حتى الأطفال الصغار كان يكنيهم أحياناً. يقول: «**يا أبا عمير ماذا فعل النغير؟**»[2] وأبو عمير هذا طفل صغير. ويرجع البعض نجاح بعض القادة من الرؤساء وغيرهم إلى أنهم كانوا يحفظون أسماء الناس أحياناً، وهذا له أثر عند الناس. وقد لا يعرف المرء أسماء الناس، أو ينساها، ولكن السيء ألا يسألهم عنها إذا قابلوه، وهذا يدل على عدم الاهتمام. والسؤال عن الاسم يدل على تمام الاهتمام[3].

الصحة والسقم

أما الحديث مع المرضى أو من يخالطهم من الأصحاء يجب أن لا تغيب عنه المراعاة التي يطيب بها خاطر كل منهما، وتكون سبباً في راحته، وركونه لما يلقى عليه من أمر ونهي، لما وجده في شخص الداعية من فهم لواقعه، وحكمة في تعامله معه:

فقد روي عن جابر أن النبي ﷺ أخذ بيد مجذوم فوضعها في القصعة، وقال: «**كل ثقة بالله وتوكلاً عليه**»[4] فعلى تقدير ثبوته فليس فيه أنه ﷺ أكل معه، وإنما فيه أنه وضع يده في القصعة... وفي طريق الجمع بين هذا الحديث وحديث: «**لا عدوى**» [5]. مسالك أخرى: أحدها نفي العدوى جملة، وحمل الأمر بالفرار من المجذوم، على رعاية خاطر المجذوم لأنه إذا رأى الصحيح البدن السليم من الآفة تعظم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤٢٧/٥) وقال الهيثمي في المجمع (٣٩/٦): رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس (رقم ٦١٢٩) ومسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه... (رقم ٢١٥٠).

(٣) فن التعامل مع الناس، د.عبدالله الخاطر، مرجع سابق، (كتاب المنتدى، لندن، ١٤١٣هـ) ص ٦١-٦٢.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الطب، باب في الطيرة، (رقم ٣٩٢٥) والترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل مع المجذوم (رقم ١٨١٧) وابن ماجه، كتاب الطب، باب الجذام (رقم ٣٥٤٢) وابن حبان في صحيحه (رقم ٦٠٨٧) وفي الموارد (رقم ١٤٣٣) وأبو يعلى في مسنده (رقم ١٨٢٢) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٤١٩٥)

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الجذام (رقم ٥٧٠٧) ومسلم، كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر... (رقم ٢٢٢٠).

مصيبته، وتزداد حسرته...

كما أن المجتمع الإسلامي كان يهتم برعاية المعوقين، فقد ذكر ابن عساكر: أنه أُعطي لكل مُقعد خادماً، وكل أعمى قائداً. وذكر بعضهم أن الوليد لما ولَّى إسحاق بن قتيبة الخزاعي ديوان الزَّمنى بدمشق قال: لأدعن الزَّمِن (أي المعوق) أحب إلى أهله من الصحيح، وكان يؤتي بالزَّمِن حتى توضع في يده الصدقة. ولم يغفل المجتمع الرعاية الطبية لهم، فقد كان الأطباء العرب هم أول من عالج الأمراض العقلية بطريقة إنسانية، ففي كل مستشفى كبير كان يوجد قسم خاص بهذه الأمراض، وكان الحاكم في المجتمع المسلم يهتم بأمورهم، ويزورهم. ويحكى أن المنصور كان يزور هؤلاء المرضى كل يوم جمعة، ويتفقد أحوالهم، ولم ينقطع من زيارتهم إلا بعد أن أوذي من أحدهم، فاكتفى بعد ذلك بالسؤال عن أحوالهم.

أما عن حال من دخل المستشفى من هؤلاء، فيصوره ما جاء في صك وقف إحدى المستشفيات في حلب من أن كل مجنون يخص بخادمين يخدمانه فينزعان عنه ثيابه كل صباح، ويحمِّمانه بالماء البارد، ثم يلبسانه ثياباً نظيفة، ويحملانه على أداء الصلاة، ويسمعانه قراءة القرآن، يقرؤه قارئ حسن الصوت ثم يفسحانه في الهواء الطلق. وقد استمر الخلفاء يتنافسون في رعاية أهل البلاء، فقد أمر المأمون ببناء مآوٍ للعميان والأيتام والنساء العاجزات لا في بغداد فحسب، بل في كل المدن الكبيرة في الدولة الإسلامية.

ومن الجوانب التي حث المنهج الإسلامي فيها المجتمع على الاهتمام بالمعوق، والعطف عليه رعاية المريض، وزيارته لاسيما المريض بأمراض مزمنة، أو طويلة الأمد كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله ﷻ يقول يوم القيامة: ياابن آدم مرضت فلم تعدني. قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده**»[1][2].

ينبغي للمريض أن يشتغل بنفسه، وما يعود عليه ثوابه من قراءة، وذكر، وصلاة، واسترضاء خصم وزوجة وجار،وكل من بينه وبينه علقة، ويحافظ على الصلوات، واجتناب النجاسات، ويصبر على مشقة ذلك، ويتعاهد نفسه بتقليم أظفاره، وأخذ عانته ونحو ذلك، ويعتمد على الله فيمن يحب ويوصي للأرجح

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض (رقم ٢٥٦٩).

(٢) حقوق المعاقين في التربية الإسلامية، د. علي بن إبراهيم الزهراني، (دار البخاري، المدينة، ١٤١٨هـ) ص٣١-٣٢.

في نظره.

ويكره الأنين، لأنه يترجم عن الشكوى ما لم يغلبه، ويكره تمني الموت لضر نزل به، وكذا إن لم ينزل به ضر... ولا يكره تمني الموت لضرر بدينه، وخوف فتنة، لقوله ﷺ «**وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**» (١) وتمني الشهادة ليس من تمني الموت المنهي عنه.

ويذكره العائد التوبة لأنها واجبة على كل حال والمريض أحوج إليها من غيره. قال ﷺ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**» (٢) أي تبلغ روحه إلى حلقه، ويذكره الوصية لقوله ﷺ: «**ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي به يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده**» (٣)

ويذكره الخروج من المظالم، لأنه شرط لصحة التوبة، ويدعو العائد للمريض بالصلاح والعافية...ولا بأس برقاه لما في الصحيحين: أنه كان يعود بعض أهله، ويمسح بيده اليمنى، ويقول في دعائه: «**أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً**». (٤)

ويستحب أن يقرأ عنده فاتحة الكتاب، لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**وما يدريك أنها رقية**» (٥) وأن يقرأ عنده سورة الإخلاص، والمعوذتين(٦).

إن منهج الإسلام راعى الإنسان المعوق، حيث أولاه من الشفقة، والرحمة، والعطف ما يدل على اهتمام الإسلام بهذا الجانب، بل لقد عفا عنه بعض الطاعات، والعبادات التي تكون بها عليه شاقة ومرهقة فقال سبحانه: +وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة (ص) (رقم ٣٢٣٣) (ورقم ٣٢٣٥) وقال في الموضع الثاني: هذا حديث حسن صحيح. ومالك، كتاب القرآن، باب العمل في الدعاء (رقم ٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ٩٨ (رقم ٣٥٣٧) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب الوصايا (رقم ٢٧٣٨) ومسلم، كتاب الوصية (رقم ١٦٢٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ (رقم ٥٧٤٣) ومسلم، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض (رقم ٢١٩١).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب (رقم ٢٢٧٦) ومسلم، كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار (رقم ٢٢٠١).

(٦) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ) ٢/٨٠، ٨١.

أَسۡلِحَتَكُمۡۗ" [1].

ففي هذه الآية رخصة لترك الجهاد لمن كان مريضاً، وهذا أيضاً يوافق ما جاء في السنة، حيث ثبت أن عبد الرحمن بن عوف لما مرض رخص له في ترك السلاح، وعدم التأهب للعدو بعذر المرض.

وأوجب الإسلام عيادة المريض، والتخفيف عنه، والتنفيس له، وحسن معاملته، والتلطف معه.

وقد حذر الشرع الحنيف من تعيير المعوق بما فيه من إعاقة أو السخرية به، ومناداته بإعاقته على سبيل السخرية والتندر. وهذا حرام، ومنكر من القول. والواجب على المسلم إذا رأى مبتلى بمرض أن يدعو الله له بالعافية، وعاجل الشفاء. وعلى الداعي أن يستغل مرض المعوق، وانكساره في تَعَبُّدِه لله، وخضوعه له سبحانه، ويملأ قلبه أملاً ورجاء في موعود الله في الجنة إن هو صبر ورضي بما قدره الله عليه.

القوة والقدرة الجسمية:

ينبغي على الداعية أن يراعي أحوال الناس في هذا الباب، فرب رجل تكون له قوة على سكنى الكهوف، والغيران في الجبال، وهي أرفع الأحوال، لأنها الحالة التي اختارها الله لنبيه ﷺ في بداية أمره، ونص عليها في كتابه مخبراً عن الفتية، فقال: + وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ"[2] ورب رجلٍ تكون العزلة له في بيته أخف عليه وأسهل، وقد اعتزل رجال من أهل بدر، فلزموا بيوتهم بعد قتل عثمان، فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم، ورب رجلٍ متوسط بينهما، فيكون له من القوة مايصبر بها على مخالطة الناس، وأذاهم، فهو معهم في الظاهر ومخالف لهم في الباطن، وقد قيل: إن كل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معنى الجبال، والشعاب، مثل الاعتكاف في المساجد، ولزوم السواحل للرباط، والذكر، ولزوم البيوت فراراً عن شرور الناس. وإنما جاءت الأحاديث بذكر الشعاب، والجبال، واتباع الغنم والله أعلم؛ لأن ذلك هو الأغلب في المواضع التي يعتزل فيها، فكل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معناه كما ذكرنا، والله الموفق وبه العصمة. وروى عقبة بن عامر قال: سمعت رسول ﷺ يقول: «**يعجب ربك من راعي غنم في رأس شظية الجبل، يؤذن بالصلاة ويصلي فيقول الله ﷻ: انظروا**

---

(1) سورة النساء، الآية ١٠٢.

(2) سورة الكهف، الآية ١٦.

إلى عبدي يؤذن ويقيم الصلاة، يخاف مني، قد غفرت لعبدي، وأدخلته الجنة»[1].

خرج الإمام أحمد بإسناده عن رجل من باهلة، قال: أتيت رسول الله ﷺ لحاجة مرة، فقال: «**من أنت؟**» قلت: أما تعرفني؟ قال: «**ومن أنت؟**» قلت: أنا الباهلي الذي أتيتك عام أول فقال: «**إنك أتيتني وجسمك ولونك وهيئتك حسنة فما بلغ بك وما أرى؟**» قلت: والله ما أفطرت بعدك إلا ليلاً قال: «**من أمرك أن تعذب نفسك، من أمرك أن تعذب نفسك؟**» - ثلاث مرات - «**صم شهر الصبر**» قلت: إني أجد قوة، وإني أحب أن تزيدني قال: «**صم يوماً من الشهر**» قلت: إني أجد قوة، وإني أحب أن تزيدني، قال: «**فيومين من الشهر**»، قلت: إني أجد قوة، وإني أحب أن تزيدني قال: «**ثلاثة أيام من الشهر**» قال: ألح عند الرابعة فما كاد فقلت: إني أجد قوة، وإني أحب أن تزيدني قال: «**فمن الحرم وأفطر**»[2]، وفي رواية: «صم الحرم وأفطر». في هذا الحديث دليل على أن من تكلف من العبادة ما يشق عليه حتى تأذى بذلك جسده فإنه غير مأمور بذلك، ولذلك قال النبي ﷺ له: «**من أمرك أن تعذب نفسك**»، وأعادها عليه ثلاث مرار، وهذا كما قاله لمن رآه يمشي في الحج، وقد أجهد نفسه: «**إن الله لغني عن تعذيب هذا نفسه، فمروه فليركب**»[3] وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص حيث كان يصوم النهار، ويقوم الليل، ويختم القرآن في كل ليلة، ولا ينام مع أهله فأمره: أن يصوم ويفطر ويقرأ القرآن في كل سبع، وقال له «**إن لنفسك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، فآت كل ذي حق حقه**» [4]. ولما بلغه عن بعض الصحابة أنه قال: أنا أصوم ولا أفطر، وقال آخر منهم: أنا أقوم ولا أنام، وقال آخر منهم: لا أتزوج النساء، فخطب وقال: « **ما بال رجال يقولون: كذا وكذا: لكني أصوم**

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب صلاة السفر، باب الأذان في السفر (رقم ١٢٠٣) والنسائي، كتاب الأذان، باب الأذان لمن يصلي وحده (رقم ٦٦٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٨١٠٢).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصوم، باب في صوم أشهر الحرم (رقم ٢٤٢٨) والنسائي في الكبرى (رقم ٢٧٤٣) وابن ماجه، كتاب الصوم، باب صيام أشهر الحرم (رقم ١٧٤١) وعبد بن حميد (رقم ٤٠٠).

(٣)أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية (رقم ٦٧٠١) ومسلم، كتاب النذر، باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة (رقم ١٦٤٢).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم (رقم ١٩٧٥)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو لم يفطر العيدين... (رقم ١١٥٩).

وأفطر، وأقوم وأنام، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» [1]. وسبب هذا: أن الله –تعالى– خلق ابن آدم محتاجاً إلى ما يقوم به بدنه من مأكل، ومشرب، ومنكح، وملبس، وأباح له من ذلك كله ما هو طيب حلال تقوى به النفس، ويصح به الجسد، ويتعاونان على طاعة الله ﷻ، وحرم من ذلك ما هو ضار خبيث، يوجب للنفس طغيانها وعماها وقسوتها وغفلتها وأشرها وبطرها، فمن أطاع نفسه في تناول ما تشتهيه مما حرمه الله عليه فقد تعدى وطغى، وظلم نفسه، ومن منعها حقها من المباح حتى تضررت بذلك فقد ظلمها ومنعها حقها، فإن كان ذلك سبباً لضعفها، وعجزها عن أداء شيء من فرائض الله عليه، وحقوق الله ﷻ، أو حقوق عباده كان بذلك عاصياً، وإن كان ذلك سبباً للعجز عن نوافل هي أفضل مما فعله كان بذلك مفرطاً مغبوناً خاسراً. وقد كان رجل في زمن التابعين يصوم ويواصل حتى يعجز عن القيام فكان يصلي الفرض جالساً، فأنكروا ذلك عليه حتى قال عمرو بن ميمون: لو أدرك هذا أصحاب محمد ﷺ لرجموه. وكان ابن مسعود يقل الصيام ويقول: إنه يضعفني عن قراءة القرآن، وقراءة القرآن أحب إلي. وأحرم رجل من الكوفة فقدم مكة، وقد أصابه الجهد، فرآه عمر بن الخطاب وهو سيء الهيئة، فأخذ عمر بيده، وجعل يدور به الحلق، ويقول للناس: انظروا إلى ما يصنع هذا بنفسه، وقد وسع الله عليه. فمن تكلف من التطوع ما يتضرر به في جسمه كما فعل هذا الباهلي، أو يمنع به حقاً واجباً عليه كما فعل عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره ممن عزم على ترك المباحات في عهد النبي ﷺ فإنه ينهى عن ذلك. ومن احتمل بدنه ذلك، ولم يمنعه من حق واجب عليه لم ينه عن ذلك إلا أن يمنعه عما هو أفضل من ذلك من النوافل، فإنه يرشد إلى عمل الأفضل. وأحوال الناس تختلف فيما تحمل أبدانهم من العمل. كان سفيان الثوري يصوم ثلاثة أيام من الشهر فيرى أثر ذلك عليه، وكان غيره في زمنه يصوم الدهر فلا يظهر عليه أثره، وكان كثير من المتقدمين يحملون على أنفسهم من الأعمال ما يضر بأجسادهم، ويحتسبون أجر ذلك عند الله، وهؤلاء قوم أهل صدق وجد واجتهاد، فيحثون على ذلك، ولكن لا يقتدى بهم، وإنما يقتدى بسنة رسول الله ﷺ فإن خير الهدي هديه، ومن أطاعه فقد اهتدى، ومن اقتدى به، وسلك وراءه وصل إلى الله ﷻ. وقد كان النبي ﷺ ينهى عن التعسير، ويأمر بالتيسير،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (رقم ٥٠٦٣) ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه... (رقم ١٤٠١).

ودينه الذي بعث به يسر، وكان يقول: «**خير دينكم أيسره**»[1] فإذا رأى الداعية إلى الله من المدعو قوة، وقدرة جسمية يستطيع أن يوظفها الداعي في خدمة الدين، ونشر الدعوة ويحث خطاه إلى ما فيه مرضاة الله ﷻ ونصرة دينه، فكثير ممن لديهم قوى وقدرة جسمية يوظفونها في قوافل العبادات، والطاعات مما قد يؤثر على أدائهم الفرائض، والواجبات. كما أن الداعي الحكيم يستطيع أن يوظف إمكانات المدعو المتعلقة بقوته، وقدرته على تحمل المشاق في سبيل نشر الدعوة ومحاربة أعداء الله ﷻ من الكفار، ومساعدة الضعفاء، والمرضى، وأصحاب العاهات مما يكون له الأثر الفعال في نشر العدل والخير والسلام بين الناس.

وعلى الداعي الحكيم أيضاً أن يوجه المدعو الذي يتمتع بصحة وقوة، وقدرة جسمية إلى أن يحمد الله على هذه النعمة وأن يستعملها في طاعته، ويحذره أن يستخدمها في أمر يغضب الله، أو يجلب عليه نقمته.

الضعف والعجز

إن الضعف والعجز قد يكون ابتلاء من الله ﷻ لمن أصيب بهما لينظر الله ﷻ ماذا يفعل العاجز والضعيف: هل يصبر على قدره، أم يسخط ويتبرم، ويذهب يميناً وشمالاً يشكو ضعفه وعجزه للمخلوق العاجز الضعيف. وهو أيضاً ابتلاء للقادرين، وأصحاب العافية لينظر الله ﷻ إليهم هل يعاملون إخوانهم العجزة، والضعفاء برفق وعطف ورحمة أم يعاملونهم بقسوة وشدة.

وعلى الداعي الحكيم أن يتلطف في دعوته للضعفاء والعاجزين وأن يوظف ضعفهم وعجزهم في استمالة قلوبهم، وهدايتهم. وأن يركز معهم على أن العجز هذا ليس عيباً، وإنما العيب في خور النفس، وخستها أما العجز ا لذي لا حيلة في دفعه فيعذر الإنسان فيه، ويبعث الداعية في نفس العاجز الأمل أنه مأجور بإذن الله، فما يصيب الإنسان من شوكة فما فوقها إلا وله بها أجر. أما الضعف فإن كان هناك سبيل إلى إزالته فليسعى المسلم إلى إزالة الضعف؛ لأن الله ﷻ يحب المؤمن القوي، وفضله على المؤمن الضعيف، وفي كل منهما خير.

إذن على الداعي الحكيم أن يراعي حال المدعو في حالة صحته وقوته، وفي حال عجزه وضعفه،

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم ٣٤١) الطيالسي (رقم ١٢٩٦) وأحمد بن حنبل (٣٣٨/٤) (٣٢/٥).

فيخاطب كلاً بما يناسب وضعه وحاله، ويستطيع أن يجعل من كل منهما داعية في محيط أسرته وعمله وجيرانه.

وعلى الداعي أيضاً أن يحرص على المحافظة على نفسية الضعيف، والعاجز فلا يعيره بضعفه وعجزه، بل إن بدر من أحد ما يعيب الضعيف العاجز، فعلى الداعية أن ينكر ذلك، ويغلظ له، ويقف مع العاجز والضعيف موقف النصير والمعين، فقد ورد عن المعرور بن سويد قال: رأيت أبا ذر الغفاري ﷺ وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألناه عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلاً فشكاني إلى النبي ﷺ فقال لي النبي ﷺ: «**أعيرته بأمه؟**» ثم قال: «**إن إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم**»[1].

وعن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رجل: يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان. فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضباً من يومئذ، فقال: «**أيها الناس إنكم منفرون، فمن صلى بالناس فليخفف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة**»[2]. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تجاوزوا في الصلاة، فإن خلفكم الضعيف والكبير وذا الحاجة**» [3]. وعن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**والله إني لأسمع بكاء الصبي وأنا في الصلاة فأخفف، مخافة أن تفتتن أمه**» [4]. إن عثمان بن أبي العاص قال: يا رسول الله اجعلني إمام قومي قال: «**أنت إمامهم، واقتد بأضعفهم،**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العتق، باب قول النبي ﷺ «العبيد إخوانكم... » (رقم ٢٥٤٥) ومسلم، كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل... (رقم ١٦٦١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى مايكره، (رقم ٩٠) ومسلم، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام (رقم ٤٦٦).

(٣) أخرجه أحمد (٤٧٢/٢) وأبو نعيم في الحلية (٣٩٤/٧) والخطيب البغدادي في تاريخه (٤٢٥/٧) والطبراني في معجمه الكبير (١٧/١٢ رقم ١٢٣٣٨) وقال الهيثمي في المجمع (٧٦/٢): رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٩١٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الإيجاز في الصلاة وإكمالها (رقم ٧٠٨) ومسلم، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام (رقم ٤٧٠) (١٩٢).

واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجرا» [1].

فعلى الداعية الحكيم أن يراعي حال المدعو: في صحته ومرضه، ومن كان في مرحلة الشباب والفتوة والقوة والجلد، فلكل من هؤلاء له سماته فيراعي الداعية هذه السمات ويوظف قدرات المدعو لما فيه المنفعة للجميع ولإنجاح العمل الدعوي.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب أخذ الأجر على التأذين (رقم ٥٣١) والنسائي، كتاب الأذان، باب اتخاذ المؤذن الذي لا يأخذ على أذانه أجراً (رقم ٦٧٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٤٨٠).

المطلب الثالث

الصفات الشخصية الطارئة على المدعو

الإعاقات والعاهات الجسدية..

إن الإعاقة في حقيقة الأمر مصيبة وابتلاء، فقد قال تعالى: +وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ "[(١)].

فهذا قدر، وينبغي على من أصيب بشيء من ذلك أن يؤمن بقدره، ويرضى، ويستسلم له فلا يسخط، فيخسر الدنيا والآخرة فليس للمعوق حيلة في دفع الإعاقة عن نفسه إلا أن يشاء الله عز وجل فينبغي عليه أن يتكيف نفسياً مع إعاقته، ويتعامل معها على أنها شيء لا ينفك عنه، ولا حيلة له في دفعه، وإزالته، ويمرن نفسه على الرضى حتى يتعايش مع هذه الإعاقة بما يرضي الله عز وجل وتطمئن نفسه لما كتب الله عليه فيعود ذلك عليه بالخير، والطمأنينة، والسعادة في الدنيا، والجزاء الحسن والثواب الجميل بصبره في الآخرة في جنات النعيم.

وعلى الداعي أن يكثر على المعوق تلاوة الآيات التي فيها تسلية للمصاب وينشر على مسامعه أحاديث رسول الله ﷺ التي فيها الرجاء والأمل والدعوة إلى الرضا والتسليم للمقدور. فيتلو عليه قوله تعالى: +مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ"[(٢)]. +وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾"[(٣)]. ويعلمه أحاديث رسول الله ﷺ: «**ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كُفِّر به من سيئاته**»[(٤)].

فالمصائب كفارات إذا صبر عليها أثيب على صبره، فالثواب والجزاء إنما يكون على العمل، وهو الصبر وليس على المصيبة ذاتها لأنها ليست من فعله، وإنما هي من فعل الله عز وجل، وهي جزاء الله للعبد على

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٥.

(٢) سورة التغابن، الآية ١١.

(٣) سورة البقرة، الآيات ١٥٥-١٥٧.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه..، (رقم ٢٥٧٣)، ١٩٩٢/٤.

ذنبه، وتكفيره ذنبه بها.

فعل الداعية الحكيم أن يراعي حالة المعوق، ويوظف حالته في استجابته للحق، ودعوته للالتزام بهذا الدين، بل ويدعو ليشارك الدعاة في عملهم وأجرهم.

عن أبي قتادة أن عمرو بن الجموح أتى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت إن قاتلت حتى أقتل في سبيل الله تراني أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ فقال «نعم» وكانت عرجاء، زاد عمر: فقتل يوم أحد رحمه الله [1].

لا تجوز غيبة المعوق، ومن الجائز تعريف المشايخ بألقابهم، حيث لا يتميزون إلابها نحو الأعور والأعرج والأفطس والأصم، ولم يتخذ بوصفهم تنقيصهم وإلا حرم.

أما قصة الثلاثة الذين أنعم الله –تعالى– عليهم بالعافية، والشفاء، والرزق..

فقد قال الكرماني ما محصله: كان مزاج الأعمى أصح من مزاج رفيقيه؛ لأن البرص مرض يحصل من فساد المزاج، وخلل الطبيعة، وكذلك القرع بخلاف العمي، فإنه لا يستلزم ذلك، بل قد يكون من أمر خارج، فلهذا حسنت طباع الأعمى، وساءت طباع الآخرين، وفي الحديث جواز ذكر ما اتفق لمن مضى؛ ليتعظ به من سمعه ولا يكون ذلك غيبة فيهم، ولعل هذا هو السر في ترك تسميتهم، ولم يفصح بما اتفق لهم بعد ذلك، والذي يظهر أن الأمر فيهم وقع كما قال الملك، وفيه التحذير من كفران النعم، والترغيب في شكرها، والاعتراف بها وحمد الله عليها، وفيه فضل الصدقة والحث على الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم مآربهم، وفيه الزجر عن البخل لأنه حمل صاحبه على الكذب، وعلى جحد نعمة الله تعالى[2].

فعلى الداعية أن يوظف الإعاقة والعاهة الجسدية عند المدعو في خدمة العمل الدعوي بمعنى أن الداعية يستطيع أن يخفف من وطأته المرض والإعاقة عندما يخبر المدعو بثواب ذلك وأجره عند الله إنه هو صبر واحتسب، ولا يكلفه من التكاليف ما يشق عليه بل يقدم له الرخص ويحمله على اليسر والرحمة والشفقة ما يحببه في الطاعات وعمل الصالحات، حتى يصل بالمدعو المعاق أن يرضى بما هو عليه ولا

---

(١) أخرجه أحمد (٢٩٩/٥) وانظر: فتح الباري، ابن حجر، ١٧٩/٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٥٠٣/٦.

يرضى بوضع آخر يكون فيه سليم الجسد معافى وهو فاقد الدين وليس عنده إيمان. فيرضى بإعاقته وإيمانه ولا يرضى بصحته وسلامة جسده مع فقد الإيمان.

المبحث الثاني

الصفات العقلية للمدعو

المطلب الأول

الصفات العقلية الإيجابية للمدعو

إن الإسلام دين العقل أي أنه يخاطب العقل بقضاياه ومقرراته، ولا يقهره بخارقة لا مجال له فيها إلا الإذعان. ويخاطب العقل أي يكل إليه فهم مدلولات النصوص، ولا يفرض عليه أن يؤمن بما لا يفهم مدلوله، ولا يدركه. وليس للعقل الحكم على المقررات، وليس له الإذن في قبولها أو رفضها، ولكنه ملزم بقبول مقررات الدين متى بلغت إليه عن طريق صحيح.

إن رسالة الإسلام تخاطب العقل، وتوقظه، وتوجهه، وتقيم له المنهج الصحيح، والنظر السليم. فوظيفة العقل أن يفهم ما يتلقاه عن الله ورسوله ﷺ ويتدبر دلائل الهدى، وروحيات الإيمان في الأنفس والآفاق.

إن الإسلام يربي العقل الإنساني تربية تتفق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ويحوطه بسياج من العناية، والرعاية لأن العقل مناط التكليف، وعليه المعول في فهم الشريعة وتطبيقها، فإذا ما اختل العقل سقطت التكاليف عن صاحبه جملة.

وإذا تعرف العقل على ربه، وآمن به، وخضع لإرادته، ونفذ شرعه دعاه منهج الإسلام ليتعرف على معلومة جديدة، ثم يدعوه ليتعرف على نفسه، وإدراك بعض أسرار ذاته، ثم يدعوه ليتعرف على الكون حوله ليقوم بأداء حق الخلافة فيه.

إن العقل البشري طاقة من أكبر الطاقات، ونعمة من أكبر النعم، والإسلام يحترم الطاقات البشرية كلها، ويعطيها أقدارها الصحيحة، ولا يبخسها قدرها ولا يعطيها فوق قيمتها، ويستغلها جميعاً إلى أقصى طاقتها لفائدة المخلوق البشري.

والإسلام يبدأ التربية العقلية بتحديد مجال النظر العقلي، فيصون الطاقة العقلية أن تتبدد وراء الغيبات التي لا سبيل للعقل البشري أن يحكم فيها.

والإسلام يوجه الطاقة العقلية أول ما يوجهها إلى التأمل في حكمة الله، وتدبيره، وهو أمر أقرب ما يكون إلى الروح.

ويوجه الإسلام الطاقة العقلية إلى النظر في حكمة التشريع المنزل من عند الله، ويوجهها كذلك لضمان سير الأمور في المجتمع على منهج صحيح، ويوجه القرآن الطاقة العقلية إلى النظر في سنة الله في الأرض، وأحوال الأمم والشعوب على مدار التاريخ. ويوجه القرآن العقل البشري إلى استخلاص الطاقة المادية، وتذليلها لخدمة الإنسان. وتهتم التربية الإسلامية بهذا الجانب الهام للشخصية الإنسانية، فالعقل أهم وسيلة للوصول إلى معرفة الله ﷻ من خلال آياته المتلوة والمشهودة، فالحفاظ على العقل من ضرورات الدين؛ لأنه مناط التكليف.

وقد حث الإسلام على العناية بتزكية العقل، وتحريره من الخرافة، وعدم تعطيله، بل تربيته على التفكير، والتدبر السليم لأن عدم ذلك يعني فساد الفطرة لدى الإنسان، الذي كرمه الله بالعقل، وميّزه به على سائر المخلوقات، وقد عاب الله تعالى الذين لا يُعْمِلون عقولهم، وساروا في حياتهم سيرة أسلافهم، الذين قالوا: +إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ" [(١)].

والعقل له مظهران عند الإنسان: عقل غريزي فطري، وعقل مكتسب، حيث يولد الإنسان مزوداً بالعقل الفطري، ثم يبدأ الآخر في البروز حسب المسار الذي يمر به الإنسان. ويمكن للقدرات العقلية أن تبلغ أقصى حد لها من الجودة، والإتقان، والكمال إذا وجدت الاهتمام الواعي، والعناية السليمة وإذا هيئ لها الجو النفسي، والتعليمي، والتربوي، والاجتماعي الصالح.

ويعتبر العقل وسيلة تحصيل المعرفة الشمولية، وبدونه لن تحدث عملية التعليم والتعلم؛ ومن هنا تأتي أهمية الرعاية للإنسان، والحفاظ على عقله، والعمل على تنميته، وزيادة قدراته بالوسائل المتاحة والمشروعة.[(٢)]

ومن الصفات الإيجابية للعقل: الذكاء والقدرة على الفهم، والاستيعاب، والاستبصار.

وهذه المزية حين توافرها لدى المدعو يجب أن يوظفها الداعية في إعانة المدعو على تلمس الحق ومعرفته.. ولعل من سبل ذلك إثارة الأسئلة التي تنتج عن واقع اللقاء بينه وبين المدعو، كما حصل في

---

(١) سورة الزخرف، الآية ٢٣.

(٢) حقوق المعاقين في التربية الإسلامية، د. علي بن إبراهيم الزهراني، مرجع سابق، ص٣٦-٣٧.

قصة تكسير إبراهيم عليه السلام للأصنام:

ومن الصفات الإيجابية للعقل: الفطنة والفراسة: هو ما يوقعه الله في قلوب أوليائه، فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات، وإصابة الحدس، والنظر، والظن، والتثبت. وما يحصل بدلائل التجارب، وقال المناوي: اتقوا فراسة المؤمن أي اطلاعه على ما في الضمائر بسواطع أنوار أشرقت على قلبه، فتجلت له بها الحقائق، فإنه ينظر بنور الله أي يبصر بعين قلبه المشرق بنور الله تعالى.

إن العقل من أعظم النعم على الإنسان، وهو ميزته على سائر المخلوقات، به يفكر، ويفهم ويدرك، ويتصور، وعلى هذه يعرف الحق، ويعلم الصواب، ويصل إلى الحكمة، وقد عنت الشريعة بالعقل فأعطته قدره، وأحاطته بما يوفر له القيام بوظائفه. وقد وصل تقدير الإسلام للعقل أن تركه وحده يفكر، ويؤمن، ولم يشغله بالمعجزات الحسية، وناداه بأن يترك تقليد السابقين، واتباع الكهان لأن التقليد، والاتباع مضاد للعقل. ولأن الإسلام أعطى للعقل حقه في النظر، والتدبر في كافة الشئون الدينية والمعاشية، وترك له الاجتهاد، وينطلق به إلى كافة الجوانب يعلمها، ويصل بها إلى الصواب.

ولقد صان الإسلام العقل وأعطاه الحرية؛ لكي يقوم بوظائفه حسب طاقته بلا قهر ولا جبر فضمن له المرتبة الدينية بقوله تعالى: +لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ "[1].

وعلى الداعية أن يوظف إمكانيات المدعو العقلية من أجل أن يحقق له النجاة من عذاب الله في الآخرة، ويحقق لنفسه النجاح في العمل الدعوي، وعليه أيضاً أن يضع هذه الإمكانيات والقدرات موضعها لكي تؤتي ثمارها ونتائج طيبة في محيط عمله ودعوته وينفع بها الإسلام والمسلمين.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

المطلب الثاني

الصفات العقلية السلبية للمدعو

لقد دعا الإسلام إلى إعمال العقل، ونعى، وعاب على الذين لا يستعملون عقولهم في حدود ما سمع به، وجعل الإسلام العقل مناط التكليف، فإذا ذهب العقل ذهب التكليف بالكلية، فالمجنون لا يسأل ولا يحاسب، وكذلك إذا أصاب العقل خلل، أو مرض، أو وصف بصفات سلبية مثل الغباء وعدم القدرة على الفهم، والقدرة على التمييز بين النافع والضار

ومن مظاهر ذلك عدم قبول الحق، والإمعان في المماراة والانتباه لما فيه الخير.. ولذا فإن المراعاة لأولئك تقتضي الصبر عليهم، وعدم العجلة في مؤاخذتهم على إعراضهم، وتمكينهم من النظر في حالهم، والتأمل في واقعهم إلى أن يمن الله تعالى عليهم بالهداية..

ومن شواهد ذلك طلب المدعو من الداعية أموراً معجزة، مثل طلب كفار قريش من النبي ﷺ المعجزات وفق ما أخبرهم به من معجزات موسى وعيسى عليهما السلام:

كلم رسول الله ﷺ قريشاً فقالوا: يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصاً يضرب بها الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة، فأتنا بشيء من الآيات حتى نصدقك، فقال النبي:ﷺ أي شيء تحبون أن آتيكم به؟ قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً، فقال لهم: فإن فعلت تصدقوني؟ قالوا: نعم، والله لئن فعلت لنتبعك أجمعون. فقام رسول الله ﷺ يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال: لك ما شئت إن شئت أصبح ذهباً، ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك لنعذبنهم، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم. فقال: بل يتوب تائبهم. فأنزل الله تعالى +وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ" إلى قوله +يَجْهَلُونَ"[1].

ومما يعالج به بطء الفهم لدى المدعو الحديث إليه بعبارات سهلة واضحة، وبإلقاء متأنٍ يعينه على المتابعة، وإدراك المعاني: فعن عائشة –رضي الله عنها– أن النبي ﷺ كان يحدث حديثاً لو عده العاد

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١١١.

لأحصاه[١].

وعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه[٢].

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً، يفهمه كل من سمعه[٣].

ومن الصفات العقلية السلبية: البلادة والسذاجة واغترارهم بما يقوله لهم أهل الضلال، فكان من مقتضى المراعاة الحكيمة لهم أن يبصروا بما يلحقهم بسبب تصديقهم، واتباعهم، وكونهم لا يقدرون على تخليص أنفسهم من عذاب الله، ناهيك عن غيرهم ممن اغتر بهم وصدقهم.

ومن أوجه المراعاة للسذاجة الحد من افتتان الناس بشيء معين، وإظهاره على حقيقته، وتخليص الأذهان مما علق بها حوله من مبالغة في علو شأنه، ونفاذ أثره، وقوته على سامعيه[٤].

ومن الصفات العقلية السلبية: النسيان، والغفلة، وعدم الانتباه والتركيز وهي واردة على كل أحد، إذ لم يكن من قدرة العقل تذكر كل شيء واحتواؤه، ولذا كان من مظاهر المراعاة للمدعو الانتباه لهذه الخصلة، ووضعها في الاعتبار، وقد ورد في ذلك ضمن تشريع الإسلام وتنظيمه ما يدرأ عن الناس ما ينجم عن النسيان من نقص وخلل، فتجاوز الله -تعالى- برحمته وحكمته عن الناس ما يصير منهم من ذلك، قال الرسول ﷺ: «**عفي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[٥].

وعن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال «**إني لأنسى أو أنسى لأسن**»[٦] ومعنى ذلك أنسى أنا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، (رقم ٣٥٦٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه (رقم ٩٤، ٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، (رقم ٤٨٣٩).

(٤) تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي × والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص٢٥٦.

(٥) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطلاق باب طلاق المكره والناسي (رقم ٢٠٤٣) والطبراني في الكبير (٩٧/٢ رقم ١٤٣٠) والحاكم (١٩٨/٢) وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٧٣١).

(٦) أخرجه مالك، كتاب السهو، باب العمل في السهو (رقم ٢).

قال ابن عبد البر: لا أعلم هذا الحديث روي عن النبي ﷺ مسنداً ولا مقطوعاً من غير هذا الوجه. وهو أحد الأحاديث الأربعة التي في الموطأ، التي لا توجد في غيره مسندة، ولا مرسلة. ومعناه صحيح في الأصول.

أو ينسيني الله تعالى.

لفت انتباه المخاطبين بإثارتهم بمقدمة أو فعل مناسب يهيئهم لمتابعة الذي سيطرح عليهم:

عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ وهو في بعض أسفاره، وقد تفاوت بين أصحابه السير رفع بهاتين الآيتين صوته + يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ"[1] حتى بلغ آخر الآيتين، قال: فلما سمع أصحابه بذلك حثوا المطي، وعرفوا أنه عند قول يقوله، فلما تأشبوا[2] حوله قال: «أتدرون أي يوم ذاك؟» قال: «ذاك يوم ينادى آدم فيناديه ربه تبارك وتعالى: يا آدم ابعث بعثا إلى النار. فيقول: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين في النار، وواحد في الجنة[3].

ومن الصفات العقلية السلبية: الحمق والسفه وهو مرض عقلي قد يصيب المدعو في أية فترة من فترات حياته، فينبغي على الداعية الحكيم أن يتعامل مع هذا الأحمق السفيه بما يتلائم مع روح الشريعة ومنهج الإسلام. فلا يكلف بشيءٍ الإسلام جعل له فيه سعة، ولا يعاقب على شيء هو فيه غير مكلف به.

وينبغي على الداعية الحكيم أن يستخدم مع هذا المدعو بأسلوب الترغيب وبيان محاسن الإسلام، وفضل الصبر على البلاء والأمراض، وجزاء الصابرين.

---

(١) سورة الحج، الآيتان ١، ٢.

(٢) تأشبوا: أي اجتمعوا والتفوا.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: + وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ" (رقم ٣٣٤٨) ومسلم، كتاب الإيمان، باب قول الله لآدم: أخرج بعث النار (رقم ٢٢٢) والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحج (رقم ٣١٦٩) واللفظ له وأحمد (٤/٤٣٥) والطيالسي (رقم ٨٣٥) والحاكم (٤/٥٦٧) والطبراني في الكبير (١٨/١٤٥ رقم ٣٠٨) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

المبحث الثالث
الصفات والخصائص النفسية للمدعو

المطلب الأول
الصفات النفسية الإيجابية للمدعو

ومن هذه الصفات النفسية الفرح الذي ينتاب المدعو في مواقف شتى، لكل منها إجراء دعوى يتحقق به للمدعو جو رحب، يجعله يقبل على ما يعرض عليه.

فإن كان المدعو ممن يتسم بصفة الفرح؛ فينبغي على الداعي الحكيم أن يراعي هذه الحالة ويوظفها في خدمة العملية الدعوية. ويذكر المدعو دائماً بأن الفرح فرحان: فرح محمود وهو الفرح بفضل الله ونعمه، كما قال تعالى: +قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ"(١) وفرح مذموم قال الله تعالى: +ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ"(٢). وقال سبحانه: +إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾" (٣).

فعلى الداعي الحكيم أن ينظر إلى المدعو الذي يتسم بالفرح هل هو الفرح المحمود الذي يغبط عليه المدعو، ويوظف في مصلحته، أم هو الفرح المذموم الذي ينبغي على الداعية أن يحذّر منه المدعو.

أما قوله ﷺ: «**للصائم فَرْحَتان، يفرحهما إذا أفطر**»(٤) فقد قال القرطبي: معناه فرح بزوال جوعه وعطشه، حيث أُبيح له الفطر، وهذا الفرح طبيعي، وهو السابق للفهم، وقيل: إن فرحه بفطره، وإنما هو من حيث إنه تمام صومه، وخاتمة عبادته، وتخفيف من ربه، ومعونة على مستقبل صومه. قلت: ولا مانع من الحمل على ما هو أعم مما ذكر، ففرح كل أحد بحسبه، لاختلاف مقامات الناس في ذلك، فمنهم من يكون فرحه مباحاً وهو الطبيعي، ومنهم من يكون مستحبًّا، وهو من يكون سببه شيئاً مما ذكره. وقوله:

---

(١) سورة يونس، الآية ٥٨.

(٢) سورة غافر، الآية ٧٥.

(٣) سورة القصص، الآية ٧٦.

(٤) أخرجه البخاري،باب من لم يدع قول الزور والعمل به، (رقم ١٨٠٥)، ٦٧٣/٢.

«**وإذا لقي ربه فرح بصومه**»[1] أي بجزائه وثوابه، وقيل: الفرح الذي عند لقاء ربه: إما لسروره بربه، أو بثواب ربه. على الاحتمالين. قلت: والثاني أظهر، إذ لا ينحصر الأول في الصوم، بل يفرح حينئذ بقبول صومه، وترتب الجزاء الوافر عليه[2].

وأما ما يغلب على الناس من الفرح، والبهجة في أيام الأعياد فإنه من المناسب أن يخاطبوا بما يناسب مقامهم بما يحافظ على صلتهم بربهم من أن تضعف في زخم هذه المناسبة [3].

ومن الصفات النفسية الإيجابية: الحب: إن النفس البشرية تحب، هكذا ركب في فطرتها، فالإنسان يحب الحياة، ويحب المال، ويحب النساء، ويحب كل ملذات الحياة، ويحب أن يكون بارزاً قوياً صاحب سلطة، ويحب أن يغلب، ويقهر، ويستحوذ، بل إنه يحب أن يعمَّر وأن يخلَّد. هذه بعض صور الحب التي تملأ نفس الإنسان فبعضها صالح ومفيد، والبعض الآخر غير صالح وغير مفيد.

والداعية الحكيم هو الذي يستطيع أن يتسلل إلى نفوس المدعوين، ويخاطب فيها هذه النزعات، والرغبات، والميول فيهذب المعوج، ولا يهدم فطرة الإنسان الذي جبل على الحب. فالإسلام يضع ضوابط الحب، ولا يكره للإنسان أن يحب نفسه فإن حب النفس دافع فطري قوي، بل هو من أكبر الحوافز على العمل، والتعمير، والإنتاج، وكل ذلك يحفل به الإسلام، ويعمل على تنشيطه.

أما حب النفس إذا كان يمثل الانجراف وراء الشهوات فهو بهذه المثابة يعد ظلماً للنفس. فحب النفس الذي يقره الدين ويحث عليه الشرع هو الحب الذي يقود صاحبه إلى أن يصور نفسه من مذلة العبودية للشهوات، ومذلة الخزي والعذاب في الآخرة، فالإسلام يدعو إلى محبة النفس في الوضع الصحيح السليم، فالذي يحب نفسه يصونها أن تتعبد لغير الله.

ويحب الإنسان المسلم إخوانه في الله، فيحب لهم الخير كما يحبه لنفسه، أما حب الأنانية فهذا مرفوض في شريعة الله ﷻ. فعلى الداعي الحكيم أن يستغل هذه الفطرة، ويوظفها في خدمة العمل

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول: إني صائم إذا شتم (رقم ١٩٠٤) ومسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام (رقم ١١٥١) (١٦٣).

(٢) انظر فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ١١٩/٤.

(٣) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مرجع سابق، ١١/٤، ١٢.

الدعوي لكي تؤتي ثمارها يانعة بإذن الله.

ومما يتصل بذلك درجات الحب، وصوره كالعشق. فإذا كان الإنسان مشغوفا بمحبة بعض المخلوقات لغير الله الذي يرضيه وجوده، ويسخطه عدمه، كان فيه من التعبد بقدر ذلك، ولهذا يجعلون العشق مراتب: مثل العلاقة، ثم الصبابة، ثم الغرام، ويجعلون آخره التتيم، والتتيم: التعبد. وتيم الله هو عبد الله، فيصير العاشق لبعض الصور عبداً لمعشوقه، وقال تعالى: +۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ"[(١)][(٢)].

ومنها: الغيرة المحمودة: وقد راعاها الرسول ﷺ وهو يخاطب أصحابه في كل موقف دعوي انساقت في ثناياه، فاستثمر ذلك مع من هي لديه تطييباً لخاطره، ومراعاة لحرصه على محارمه، وإشادة به، وحثًّا لغيره على اقتفاء أثره.. ومن شواهد ذلك: قال سعد بن عبادة ﷺ: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أتعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، واللهُ أغير مني، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحب إليه من المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الله الجنة**»[(٣)].

وعن جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه بالموقف فقال: «**ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي**»[(٤)]. إن الخطاب بهذه الصورة يشعر قريش بمدى إعراض الرسول ﷺ عنهم إلى غيرهم، ممن يرى تفوقهم عليهم في نصرته، فقد تخلوا عنه، وفرطوا في الخير الذي يجلبه إليهم بدعوته، ويعز عليهم أن يروا غيرهم يتلقف ما فرطوا فيه بصورة تثير غيرتهم، وتشعرهم بالغبن، والخسارة، فيعيدوا النظر في موقفهم، وربما اعتبر غيرهم بزلتهم تلك، فلا يكرر ما وقعوا فيه حين تعرض الدعوة عليه..

ومن الشواهد على مثيرات الغيرة لدى المدعو المقصر التنويه بمزايا، وفضائل من سبقه إلى الخير،

---

(١) سورة يوسف، الآية ٣٠.

(٢) قاعدة في المحبة، شيخ الإسلام ابن تيمية (مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة بدون) ٧٦/٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: لا شخص أغير من الله (رقم ٧٤١٦)، ومسلم، كتاب اللعان (رقم ١٤٩٩).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ٢٤ (رقم ٢٩٢٥) وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

ليحفزه ذلك على إعادة النظر في حاله السيئة، والعمل على تغييرها؛ ليلحق بمن كان تنويه الداعية بحالهم الطيبة سبباً في إثارة هذه المشاعر لديه.

ومن الصفات النفسية الإيجابية: الرجاء والأمل والاطمئنان والثقة واليقين: إن الإنسان يوم خلق خلق فيه دافع الرجاء، وركب في فطرته، فإنه يرجو الأمان والراحة والطمأنينة والدفء والاستقرار في حضن أمه وهو رضيع وبين يدي أبيه وهو صغير، ثم يكبر ويكبر معه هذا الرجاء ولكن على مستوى أعلى وأوسع، فيرجو النجاح في الحياة العلمية والعملية والاجتماعية والزوجية، ويرجو المكانة المرموقة، ويرجو الجاه العريض، ويرجو النعيم الواسع، ويرجو آمالاً شتى لا تعد، ولا تحصى، وكلما تحقق له رجاء جدَّ له رجاء آخر. فهذه هي طبيعة النفس البشرية، فعلى الداعي الحكيم أن يراعي هذه الفطرة حينما يخاطب هذا المدعو فيسعى إلى تلبية رغباته، وتحقيق آماله في الإطار المشروع فعلى قدر ما يرجوه، ونوع ما يرجوه يحدد الإنسان أهدافه، وسلوكه ومشاعره، وأفكاره، ومنهج حياته.

والداعي الحكيم يستطيع بما أوتي من مهارات أن يرى نفس المدعو، ويعالج انحرافها، ويقويها ويقومها، ويضعها في وضعها الصحيح، وينفض عنها كل رجاء منحرف.

ومن هذه سمته من المدعوين مؤهل لقبول الأمور شديدة الوطأة مما تخافه الأنفس، وتجزع منه وتتوقاه.. كإنبائه الأقدار المؤلمة، وتفضيل غيره عليه، ولعل من شواهد ذلك إقالة عمر لخالدٍ –رضي الله عنهما– من قيادة الجيوش في الشام، وأمره بتسليم القيادة لغيره، فقد تربى على ذلك، ونال به من الثقة في نفسه، واليقين بما يترتب عليه من الخير، والفضل من الله تعالى..

ومما يحقق الثقة، والاطمئنان ما يلمسه المدعو في شخص الداعية من قدرة وتأهل، وإنما يُمكن المدعو من ذلك بحديث الداعية عن نفسه في المواطن التي يسوغ فيها ذلك، وتدعو إليها حاجة المدعو:

من الصفات النفسية الإيجابية: الحلم، والأناة، والهدوء، والسكينة والرفق واللين

فعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار؟**» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «**على كل هين لين قريب سهل**» (١)

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ٤٥ (رقم ٢٤٨٨) وقال: هذا حديث حسن غريب. وأبو يعلى (رقم ٨٥٣) وابن حبان

وركبت عائشة -رضي الله عنها- بعيرا فيه صعوبة، فجعلت ترده، فقال رسول الله ﷺ:«**عليك بالرفق، فإنه لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينتزع من شيء إلا شانه**». [١]

وعن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، ولا يعطي على ما سواه**»[٢].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف**». [٣]

وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من يحرم الرفق يحرم الخير**»[٤].

ومن الصفات النفسية الإيجابية: الشجاعة والثبات: فيستطيع الداعي الحكيم من خلالها أن يصل إلى أقصى درجات النجاح في العملية الدعوية، ويستطيع أن يوظف شجاعة المدعو وثباته في خدمة هذا الدين، ورفع الظلم عن إخوانه المسلمين.

ومما يراعى به هذه الفئة أنها تنتقى للمهمات الصعبة، والأعمال الحرجة..ولذا لما بدا منهم ثلة للرسول ﷺ في بداية دعوته بمكة لما رأوه من تنكف الناس، وإعراضهم عنه طالبين منه عليه السلام أن يبايعونه على ما يعين على نصرته، وإظهار دعوته أجابهم..

عن جابر بن عبد الله قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة، وفي الموسم بمنى، يقول: «**من يؤويني؟ من ينصرني؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة**» قال فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً، حتى قدمنا عليه في الموسم، فوعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين، حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله على ما

(رقم ٣٤٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٦٠٩).

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (رقم ٢٥٩٤).

(٢) أخرج البخاري الفقرة الأولى منه، كتاب استتابة المرتدين، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ (رقم ٦٩٢٧) ومسلم واللفظ له، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (رقم ٢٥٩٣).

(٣) أخرجه أحمد (١١٢/١) والبيهقي في الشعب (رقم ٨٤١٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٧٧١).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (رقم ٢٥٩٢).

نبايعك؟ قال: «**تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة**»[1] فقمنا إليه فبايعناه.

ومن وجوه المراعاة لأهل الثبات تشجيعهم، وإظهار ذلك أمام غيرهم حثًّا لهم على اقتفاء أثرهم، فعن يزيد بن أبي عبيد قال: سمعت سلمة بن الأكوع يقول: خرجت قبل أن يؤذن بالأولى، وكانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذي قرد قال: فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف، فقال: أخذت لقاح رسول الله ﷺ. فقلت: من أخذها؟ قال: غطفان. قال: فصرخت ثلاث صرخات: يا صباحاه قال فأسمعت ما بين لابتي المدينة ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم بذي قرد، وقد أخذوا يسقون من الماء، فجعلت أرميهم بنبلي، وكنت رامياً، وأقول:

أنا ابن الأكوع والليوم يوم الرضع

فأرتجز حتى استنقذت اللقاح منهم، واستلبت منهم ثلاثين بردة. قال: وجاء النبي ﷺ والناس فقلت: يا نبي الله إني قد حميت القوم الماء وهم عطاش، فابعث إليهم الساعة فقال: «**يا ابن الأكوع ملكت فأسجح**» قال: ثم رجعنا، ويردفني رسول الله ﷺ على ناقته، حتى دخلنا المدينة[2].

ومن الصفات النفسية الإيجابية: الحرص، والحماس، والاندفاع لتحميل النفس ما لا تطيقه قد يكون المدعو ممن اتصف بالحرص والحماس، والاندفاع، فينبغي على الداعية الحكيم أن يهذب هذه الصفات، ويوظفها توظيفاً حسناً في خدمة العملية الدعوية، ومن أجل تحقيق أحسن النتائج للمدعو. بمعنى إذا كان المدعو حريصاً فليجعل حرصه هذا متعلقاً بأمور الدين، وما يكون سبباً لنجاته يوم القيامة، وإذا كان المدعو يتسم بالحماس، والاندفاع فينبغي على الداعية أن يوظف حماسه واندفاعه في خدمة الدين، ونفع المسلمين، وألا يخرجه حماسه، واندفاعه عن حدود المشروع وإلا صار حماسه، واندفاعه وبالاً عليه سواء في

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٢٢) والبزار (رقم ١٧٥٦) وابن حبان (رقم ٦٢٧٤) وأبو يعلى (رقم ١٨٨٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من رأى العدو فنادى بأعلى صوته (رقم ٣٠٤١) وكتاب المغازي، باب غزوة ذات القرد (رقم ٤١٩٤) ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، (رقم ١٨٠٦).

الدنيا أو الآخرة.

عن زيد بن ثابت ﷺ قال: احتجر رسول الله ﷺ حجيرة مخصفة أو حصيراً، فخرج رسول الله ﷺ يصلي فيها، فتتبع إليه رجال، وجاءوا يصلون بصلاته، ثم جاءوا ليلة فحضروا، وأبطأ رسول الله ﷺ عنهم، فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم، وحصبوا الباب، فخرج إليهم مغضباً، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة**» (١).

اجتمع نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فسألوا عن عمله في السر، فأخبروا بذلك، فتقالوا عمل النبي ﷺ وقالوا: إن النبي ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولكن نحن بحاجة إلى عمل أكثر ليغفر الله لنا ذنوبنا. فقال أحدهم: أنا أصوم ولا أفطر. وقال الثاني: أنا أقوم ولا أنام. وقال الثالث: أنا لا أتزوج النساء. فبلغ قولهم النبي ﷺ فقال: «**أما أنا فأصوم وأفطر، وأقوم وأنام وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(٢).

وهذا كله يدل على أنه لا ينبغي لنا بل لا يجوز لنا أن نغلو في دين الله سواء في دعاء غيرنا إلى دين الله، أو في أعمالنا الخاصة بنا، بل نكون وسطاً مستقيماً كما أمرنا الله تعالى بذلك، وكما أمر بذلك النبي ﷺ فالله ﷻ يقول: +وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ" (٣). والنبي ﷺ قال لأصحابه: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم**». (٤) وأخذ حصيات، وهو في أثناء مسيرة من مزدلفة إلى منى، أخذ حصيات بكفه، وجعل يقول: «**يا أيها الناس بأمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو في الدين**» (٥) (١)

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب مايجوز من الغضب والشدة لأمر الله، (رقم ٦١١٣) ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد (رقم ٧٨١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (رقم ٥٠٦٣)، ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه... (رقم ١٤٠١).

(**٣**) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله + واذكر في الكتاب مريم " (رقم ٣٤٤٥).

(٥) أخرجه النسائي، كتاب المناسك، باب التقاط الحصى (رقم ٣٠٥٥) وابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي (رقم

من الصفات النفسية الإيجابية:الحياء، والحرج، والخوف من العتاب، والخوف المحمود الذي يكون له مبرر ونتيجة: فإذا كان المدعو يتصف بهذه الصفات، فهذا يعني أن فيه خيراً كثيراً، فيعمد الداعية الحكيم إلى استخدام هذه الصفات في أن تكون حاجزاً عن المعايب، والمثالب، بل وتكون دافعاً قوياً إلى صناعة المعروف، وعمل الخيرات الأمر الذي يؤدي إلى نجاح العملية الدعوية، وإتيانها ثمراتها بفضل الله تعالى.

فالحياء المحمود، عده الرسول ﷺ شعبة من الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان**» [٢] وأما قوله ﷺ: «**الحياء شعبة من الإيمان**» وذلك أن الحياء جبلة في الإنسان، فمن الناس من يكثر فيه، ومنهم من يقل ذلك فيه، وهذا دليل صحيح على زيادة الإيمان، ونقصانه؛ لأن الناس ليسوا كلهم على مرتبة واحدة في الحياء، فلما استحال استواؤهم على مرتبة واحدة فيه صح أن من وجد فيه أكثر كان إيمانه أزيد، ومن وجد فيه منه أقل كان إيمانه أنقص، والحياء في نفسه هو الشيء الحائل بين المرء، وبين ما يباعده من ربه عن المحظورات، فكأنه ﷺ جعل ترك المحظورات شعبة من الإيمان بإطلاق اسم الحياء عليه على ما ذكرناه[٣].

ومن صور الخوف المحمود الذي يفيد ما تضمنه الشاهد التالي من طلب الرسول ﷺ من أبي ذر رضي الله عنه أن ينتظر في إعلان إسلامه حتى يسمع بظهور الرسول ﷺ:

قال أبو ذر: كنت رجلا من غفار، فبلغنا أن رجلا قد خرج بمكة يزعم أنه نبي... وفيه: ثم أقبلت إلى مكة فجعلت لا أعرفه، وأكره أن أسأل عنه... فمر بي علي فقال: كأن الرجل غريب؟ قال قلت: نعم... قال فقال: ما أمرك؟ وما أقدمك هذه البلدة؟ قال قلت له: إن كتمت عليَّ أخبرتك؟ قال: فإني أفعل. قال قلت له: بلغنا أنه قد خرج ها هنا رجل يزعم أنه نبي، فأرسلت أخي ليكلمه فرجع، ولم يشفني من الخبر، فأردت أن ألقاه. فقال له: أما إنك قد رشدت، هذا وجهي إليه، فاتبعني ادخل حيث أدخل....

٣٠٢٩).

(١) الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، الشيخ محمد بن صالح العثيمين (دار القاسم، الرياض، ١٤١٦هـ ص٩٣-٩٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (رقم ٩) ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها... (رقم ٣٥).

(٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي،١/٣٨٦.

فمضى، ومضيت معه حتى دخل، ودخلت معه على النبي ﷺ فقلت له: اعرض عليَّ الإسلام. فعرضه فأسلمت مكاني، فقال لي: يا أبا ذر اكتم هذا الأمر، وارجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل [١].

ومن الصفات النفسية الإيجابية:حب الاجتماع، وهو غريزة في الإنسان، فالإنسان مدني بالطبع، ويحب أن يألف، ويؤلف، ويحرص على الاجتماع بإخوانه، وبمن هم على شاكلته. فعلى الداعي الحكيم أن يشبع هذه الرغبة لدى المدعو بشرط أن يوجهها الوجهة الصحيحة، فيحثه على الاجتماع ولكن بمن يزيد بهم إيمانا على إيمانه، ويحصل منهم علماً، ويكون حضوره معهم، وجلوسه إليهم فيه فوائد عظيمة تعود بالنفع والخير على المدعو في دنياه وآخرته. أما الاجتماعات التي ليس فيها طاعة الله ﷻ بل قد يكثر فيها القيل، والقال، والكذب، والغيبة، والنميمة فهذا مما يحذر منه الداعية.

فالاجتماع الذي يزداد العبد به إيمانا فهو مشروع ومرغوب فيه، ومندوب إليه. ولابد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه فى دعائه، وذكره، وصلاته وتفكره، ومحاسبة نفسه، وإصلاح قلبه، فالعبد يحتاج في الأمور التي تخصه – ولا يشركه فيها غيره – أن ينفرد بنفسه: إما في بيته، كما قال طاوس: نعم صومعة الرجل بيته، يكف فيها بصره ولسانه، وإما في غير بيته فالمخالطة مطلقا خطأ، والانفراد مطلقا خطأ، وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا، وما هو الأصلح له فى كل حال، فهذا يحتاج إلى نظر خاص،[٢].

ومن الصفات النفسية: حب التفوق والحرص على الصدارة، والسبق، وهو جبلة في الإنسان، فقد يحرص الإنسان على التصدر، والتفوق، ولكن في مجال الشر، والسوء، وفيما يغضب الله. فعلى الداعية إذن أن يوجه هذه الغريزة الوجهة الصحيحة، ويوظف هذه الطباع للتي هي أقوم، وأحسن، وأفضل فيرشد المدعو إلى التفوق في مجال الخير، والفضيلة، وعمل الصالحات، ويوجهه إلى التصدر لأهل الخير، ويكون للمتقين إماماً، وأن يسارع، ويسابق إلى الجنات، وتحقيق الدرجات العالية.

ولعل من المثيرات القوية لهذه الصفة النفسية لدى المدعو، ذكر المكاسب المترتبة على المبادرة والحرص، وبيان مدى التفاوت، بينها، والفرق في مقدارها، فيعز عليه تفويت الخير على نفسه، ويأخذ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب قصة زمزم، (رقم ٣٥٢٢).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ١٠/٤٢٦، ٤٢٧.

نفسه على المبادرة لتحصيله، وتحقيقه، قال الله تعالى: +وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ"[(١)]. وكذلك ماجاء في حديث التبكير للمسجد يوم الجمعة وفق ما عرض له ابن حجر -رحمه الله-: قوله: «**فكأنما قرب بدنة**» [(٢)] أي تصدق بها متقربا إلى الله. وقيل: المراد أن للمبادر في أول ساعة نظير ما لصاحب البدنة من الثواب ممن شرع له القربان، لأن القربان لم يشرع لهذه الأمة على الكيفية التي كانت للأمم السالفة. وفي رواية ابن جريج المذكورة «فله من الأجر مثل الجزور» وظاهره أن المراد هو أن الثواب لو تجسد لكان قدر الجزور، وقيل: ليس المراد بالحديث إلا بيان تفاوت المبادرين إلى الجمعة، وأن نسبة الثاني من الأول نسبة البقرة إلىالبدنة في القيمة مثلا...

ومن الصفات النفسية الإيجابية: الإعجاب، والانبهار، والتأثر: فإذا كان المدعو ممن يتصف بهذه الصفات فينبغي على الداعية أن يراعي هذه الحالة لدى المدعو فتثير فيه هذه الصفات، لخدمة العملية الدعوية فيدعه يعجب، وينبهر بأمر شَرَعَهُ الله، وحث عليه ليكون سبباً في قناعته به وإيمانه به، وبالتالي يتبناه، ويكون من أنصاره، ومؤيديه

فمن وجوه المراعاة لأحوال المدعو تيسير مكان الصلاة بجعل الأرض مسجداً وطهوراً، ويكمن في ذلك - فيما يتصل بدعوة الناس والتأثير عليهم — انبهار، وإعجاب الإنسان حين يرى مثل هذه المشاهد، وذلك بتيسير عرض، وأداء هذه العبادات في كل مكان؛ ليتاح للجميع مشاهدتها..

ومن وجوه المراعاة لأحوال المدعو.. إقامة شعائر الإسلام في أي أرض، أو بلدة، فضلاً عن أنه يعد إظهاراً لدين الإسلام، وشعائره؛ فإنه - في الوقت نفسه ، - يجذب من يُشاهد من غير المسلمين - إقامة شعائر الإسلام، وصلواته - إلى الدخول في الإسلام، ويرغبه فيه، ويحببه إليه؛ لما في إقامة هذه الشعائر - وما يصاحبها من رفع الأذان، واصطفاف المُصلين خلف إمامهم، كأنهم بنيان مرصوص، يَشُد بعضه بعضاً، وخشوع المصلين بين يدي الله، وتناسق حركتهم في الأداء قياماً، وركوعاً، وسجوداً، وتلاوة آيات

---

(١) سورة، الواقعة، الآيتان ١٠، ١١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة (رقم ٨٨١) ومسلم، كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة (رقم ٨٥٠).

القرآن أثناء الصلاة – من إعلان بِعِظَمِ هذا الدين، الذي جاءت شعائر صلاته[1] ، وأركانها نظاماً بديعاً توقيفياً من عند الله، كما علمه جبريل للنبي ﷺ، وجاء كتابه قرآناً يُتلى، يُتَعَبَّدُ بتلاوته إلى يوم القيامة، ومعجزة بلاغية، وعلمية مستمرة على تعاقب السنين إلى أن يرث الله الأرض، ومن عليها، ومنهجاً وشريعة تهدي إلى الصراط المستقيم.

من صور المراعاة اتخاذ ما له أثر، وحظوة لدى المخاطبين من وسائل الخطاب، وأدوات التأثير، ولذا فقد اتخذ الرسول ﷺ له خطباء، وشعراء.[2]. ومن أوجه المراعاة استخدام هذه الوسيلة (الشعر) لما لها من أثر في نفوس العرب..

ومن الصفات النفسية الإيجابية: الرقة، والخشوع حين التعرض إلى ما يدعو لذلك كزيارة القبور: فإذا كان المدعو يتصف بالرقة، والخشوع – إذا تليت عليه آيات العذاب – فليحرص الداعية على أن يضرب على هذا الوتر في استثارة هذه العاطفة، وتوجيهها فيما يعود على المدعو بالنفع في دنياه وآخراه. فقد سمح رسول الله ﷺ بزيارة القبور؛ لما تجلبه للنفس من رقة، وخشوع، واستثارة للعواطف تهيء النفس للانكسار، والعودة للخير، فعن أبي هريرة قال: زار رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى، وأبكى من كان حوله، فقال: «**استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي**» [3] فزوروا القبور، فإنها تذكركم الموت[4].

إن هذه الصفات الإيجابية التي مرت بنا جديرة أن تكون أدوات بناء في العملية الدعوية، وبها تصلح النفوس، وتستقيم الحياة، وينجح الدعاة في نشر الخير، وبث الفضيلة الأمر الذي يدعو الدعاة إلى الاهتمام بدراسة هذه الأشياء وجعلها نصب أعينهم، وهم في طريقهم لدعوة الناس، وبذلك يتحقق مرادهم، ويكونون دعاة حق، وخير، وفلاح في الدارين.

---

(١) انظر السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ٢/٢٤٣-٢٤٥.

(٢) المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون (بيروت، ص٩).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ربه عز وجل في زيارة قبر أمه (رقم ٩٧٦).

(٤) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مرجع سابق،٣/٢٩.

المطلب الثاني
الصفات النفسية السلبية للمدعو

إن الحزن، والأسى يؤثران تأثيراً سلبيًّا على النفس البشرية، فيقعدانها عن الانطلاق نحو البناء والتفاعل السليم في المجتمع، فمن غلب عليه الحزن، وكبّله الأسى لا يُرْجى منه نفع، ولا خير. لذا وجب على الداعية الحكيم أن يسعى جاهداً لإزالة هذه السلبيات من نفسيات المدعوين، وإبدالهم مكانها الفرح والسرور الذي يُنَشِّطُ النفس، ويدفع الروح إلى البناء، والعطاء . إن الحزن قد أخذ نصيبه من المراعاة في منهج الرسول ﷺ ودعوته، وتعامله مع أمته فعن معاوية بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال: وقف رسول الله ﷺ على حمزة، وهو يدفنه وقال: «**لولا أن يتحزن لذلك نساؤنا لتركنا حمزة بالعراء لعافية الطير والسباع**» وفي رواية: وقف النبي ﷺ على حمزة وهو يدفنه يوم أحد، فلف في نمرة فلما خمروا رأسه انكشف رجلاه فأمر رسول الله ﷺ بالحرمل فوضع على قدميه ودفنه، وقال: «**لولا أن يحزن لذلك ناس لتركنا حمزة في العراء لعافية الطير والسباع**»(١).

ومع ذلك راعى النبي ﷺ هذه النفسية ولم يترك حمزة رضي الله عنه في العراء وعلل ذلك بالخشية من أن يصاب الناس بالحزن من جراء هذا الفعل.

ومن مظاهر المراعاة للمدعوين الذين تنتابهم نوبات الحزن، والأسى بسبب ما آل إليه مصير بعض أحبابهم: كالوالدين، أو الأبناء وغيرهم بسبب موتهم على غير الإسلام، أو على المعصية – تطييب خواطرهم بإخطارهم إن ذلك من مقتضيات حكمة الله تعالى وعدله، ورحمته، كذلك ما عمد إليه الرسول ﷺ من إبلاغ من هذه حالهم أنه شريك لهم فيها.. وكذا موقف الأنبياء من أقاربهم العصاة بما يقتضيه منهج الدعوة الحكيم من البراءة منهم + إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ" (٢) وحديث «**إن أبي وأباك في النار..**»(٣).

---

(١) أخرجه بلفظ قريب الحاكم (١٣١/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه وانظر: طبقات المحدثين بأصبهان، والواردين عليها، أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ) ٦٠٨/٣.

(٢) سورة هود، الآية ٤٦.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات على الكفر فهو في النار (رقم ٢٠٣).

ولما مر رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية بالأبواء قال: إن الله قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فأتاه رسول الله ﷺ فأصلحه وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ. فقيل له فقال: «**أدركتني رحمتها فبكيت**» قال أخبرنا مالك بن إسماعيل النهدي أبو غسان أخبرنا شريك بن عبد الله عن سماك بن حرب عن القاسم قال أستأذن النبي ﷺ في زيارة قبر أمه فأذن له فسأل المغفرة لها فأبي عليه [١].

ومن الصفات النفسية السلبية: الكره، واليأس، والقنوط قد تعتري النفس البشرية؛ فيصيبها خلل يعطلها عن مصالحها، ومنافعها، فنفس الإنسان التي ملئت بالكراهية، واليأس هي نفس سوداء هدامة لا تعرف النور، ولا الأمل، ولا النجاح، وهي نفس لا ترى إلا الظلام، والتشاؤم، والإحباط. فلا يرجى منها خير، ولا ينتظر معها معروف. والداعية الحكيم بحنكته، وخبرته، ومهارته يستطيع أن يزرع في نفس هذا الإنسان الكاره اليائس بذرة من نور، ويتعهدها، وينميها، ويرعاها حتى تكبر شيئاً فشيئاً فينقشع به الظلام، ويحل محله الضياء، ويهرب منها اليأس، ويخلفه التفاؤل، والآمال العريضة في النفس، وفي الآخرين.

وأما الكره فيستطيع الداعية الحكيم أن يوجهه إلى كراهية الشر، والأشرار، والفساد، والمفسدين، والكفر، والكافرين. وقد لا يستطيع الداعي، ولا غيره أن يقضي على غريزة الكره في النفس البشرية، ولكنه يستطيع أن يستخدم هذه الطاقة الفطرية في كراهية أعداء الله، وأعداء الدين، وأعداء المسلمين بجميع صوره، وجميع ألوانه في كل زمان وفي كل مكان. فالظلم والعدوان، والإفساد، ومحاربة الله، ورسوله، والصد عن سبيله كل هذه المظاهر لابد من كراهيتها، ومقاومتها، ودفعها. أما اليأس، والقنوط فلا مكان له في حياة المسلم، ولا ينبغي أبداً أن يكون في حياة المسلم يأس، ولا قنوط فإنه لا ييأس من روح الله إلا الكافرون الظالمون الفاسقون.

وينبغي مراعاة ما ينتاب الناس من يأس، أو خوف، أو تثبيط، ودرء ذلك بالفخر، وذكر مزية الإسلام، وأهله على الكفر، وأهله؛ فيكون لذلك أبلغ الأثر في الفريقين فريق الحق وفريق الباطل..

وينبغي إدخال السرور على قلب المدعو، والتسرية عنه، وتخفيف وطأة المواقف الصعبة عن كاهله وتبشيره، واستخدام أسلوب التشويق، ومن الشواهد على ذلك:

---

(١) الحديث أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ربه عز وجل في زيارة قبر أمه (رقم ٩٧٦).وانظر: الطبقات الكبرى، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري، (دار صادر، بيروت، الطبعة بدون) ١١٥/١.

روى كعب بن مالك، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا فتحت مصر، فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم رحماً وذمة**»[١]. يعني أن أم إسماعيل بن إبراهيم كانت منهم.

روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً**»[٢].

ومن إعلامه ﷺ أنه لأجل ما لقيه في غزوة تبوك سنة ٩هـ من الجهد، قال لأصحابه: « **ألا أسركم؟** » قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إن الله تعالى أعطاني الليلة الكنزين، فارس والروم، وأمدني بالملوك: ملوك حمير، يجاهدون في سبيل الله، ويأكلون فيء الله**»[٣]. فكان كذلك[٤]. وبمثل هذه النصوص عندما تلقى على مسامع المدعو تبث في نفسه الآمال بنصرة الدين، وانتشار الإسلام في مشارق الأرض، ومغاربها الأمر الذي يجعل النفس تتفاءل، وتندفع إلى الأمام من أجل العطاء والبناء.

ومن الصفات النفسية السلبية: القلق، والاكتئاب وهما من الأمراض الخطيرة التي تُقْعِدُ النفس عن كل خير، بل إن صاحب القلق، والاكتئاب سوداوي الطبع مظلم حزين قابع خلف أسوار الوهم والوهن ينتابه الخور، والجبن، والفزع فلا يصنع معروفاً، ولا يقدم خيراً. فعلى الداعية الحكيم أن يراعي نفسية المريض بالاكتئاب؛ لأنه مريض فتقل إنتاجيته، ويقل تركيزه، ويبدأ بالشعور بالنسيان، ويحتقر نفسه، والآخرين، والحياة كلها، ويتمنى الموت، ويفكر في الانتحار.

ويبدأ في سلسلة من الأوهام، ويشعر بالذنب الشديد على شيء صغير تافه يؤدي به إلى القعود عن العمل، ويحبطه.

فالداعية الحكيم مثل الطبيب الحاذق الماهر يستطيع – بفضل الله ورحمته – أن يساعد مريض الاكتئاب على شفائه، والخروج مما هو فيه. فالقرآن، والسنة ذاخران بالعلاج فعلى الداعية أن يستخدمهما

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير رقم (٦١/١٩ رقم ١١١، ١١٣)، والحاكم (٦٠٣/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وابن سعد في الطبقات (٢١٤/٨) وانظر: أعلام النبوة، ص ١١٤.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر، (رقم ٢٥٤٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٧٢) وقال الهيثمي في المجمع (٥٩/١٠): رواه أحمد وفيه أبو همام الشعباني ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح..

(٤) أعلام النبوة، الماوردي، مرجع سابق، ص ١١٩.

في علاج مريض الاكتئاب، فيتلوا عليه آيات الله التي تذهب بالقلق، والاكتئاب يقول الله تعالى: + مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ " [١].

ويقول الرسول ﷺ: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»[٢]. وفي رواية: «**واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك**»[٣].

فعندما يعلم الإنسان أن البشر كلهم لا يملكون له ضراً ولا نفعاً إلا بشيء قد كتبه الله له، وعندما يعلم أن أموره ومصيره، ورزقه بيد الله عز وجل خالقه ورازقه، وأن الإيمان والعمل الصالح هما النجاة في الدنيا والآخرة، فإنه يحس براحة النفس وبالهدوء والطمأنينة، وبالتالي يزول الحزن والقلق والاكتئاب من داخله، ويعود إلى الله بقلب خاشع وروح مطمئنة ونفس راضية.

ولعل المداعبة والممازحة المباحة مستحبة في تطييب نفس المخاطب ومؤانسته.

ومن الصفات النفسية السلبية: الهوى، والشهوة وهذه حال تراعى بسد ما يثيرها لدى المدعو.. كخلوة الرجل بالمرأة: كما في قوله ﷺ: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم**»[٤]، وحديث جابر يرفعه «**لا تدخلوا على المغيبات، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**...»[٥].

وعن أبي أمامة ﷺ قال: إن فتىً شابًّا أتى النبي ﷺ فقال: يارسول الله ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه! فقال له: «**ادنه**» فدنا منه قريباً قال: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**» قال: «**أفتحبه لابنتك؟**» قال: لا والله يارسول الله جعلني الله فداءك قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**» قال: «**أفتحبه لأختك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداءك

(**١**) سورة الحديد، الآيتان ٢٢، ٢٣.

(**٢**) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (رقم ٢٥١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(**٣**) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر (رقم ٤٦٩٩، ٤٧٠٠) وابن ماجه، المقدمة، باب في القدر (رقم ٧٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة (رقم ٥٢٣٣) ومسلم، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره (رقم ١٣٤١).

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب الرضاع (رقم ١١٧٢) وقال: هذا حديث غريب.

قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**» قال: «**أفتحبه لعمتك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**» قال: «**أفتحبه لخالتك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**» قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء [1].

فيجب على الدعاة أن يأخذوا من هذا الموقف الحكيم من النبي ﷺ في معاملته مع هذا الشاب، وكيف به استطاع أن يبغض له جريمة الزنا بأسلوب حكيم، وطريقة رفيقة، الأمر الذي جعل الشاب لا يلتفت إلى شيء مما كان يفكر فيه، أو يسعى إليه.

وقد أدرك رجال التربية المسلمون أهمية الفصل بين الجنسين فأكدوا عليه، فهذا الإمام سحنون يقول: وأكره للمعلم أن يعلم الجواري، ويخلطهم مع الغلمان، لأن ذلك فساد لهم. وهو رأي يدعم التأسي بقوله: ومن صلاحهم (أي طلبة العلم)، ومن حسن النظر لهم ألا يخلط بين الذكران، والإناث.

وإلى جانب هذا دعا رجال التربية المسلمون إلى الاحتراس من اختلاط الصبيان المتبايني الأسنان ببعضهم كما دعوا إلى حماية الصبيان من عدوان بعضهم على بعض سيما إذا كان فيهم من يخشى فساده يناهز الاحتلام، أو تكون له جرأة. [2]

ولهذا كان منهج القرآن يعمل على تشجيع الأفراد على الزواج، ويحثهم عليهم، ويصل في بعض هذه التوجيهات إلى درجة الأمر، قال تعالى: +فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً" [3]. ويقرر أن لهم أجراً في ذلك، لا يقل على أجره في أي عمل من أعمال الدنيا يؤديه، يقول الرسول ﷺ: «**وفي بضع أحدكم صدقة**» قالوا: يارسول الله أياتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**» [4]

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٦) والطبراني في الكبير (١٦٢/٨ رقم ٧٦٧٩) (١٨٣/٨ رقم ٧٧٥٩) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٣٤/١): رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن.

(٢) التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين (دار اللواء، الرياض، بدون تاريخ الطبعة). ص٨٣.

(**٣**) سورة النساء، الآية ٣.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة تقع على كل نوع من المعروف (رقم ١٠٠٦).

ومن الصفات النفسية السلبية: الحيرة والشك والظن والوسوسة هي أمراض نفسية تصيب الإنسان نتيجة ضعف الإيمان، وسيطرة الشيطان على الإنسان فيظل في حيرة من أمره متردداً بين الفعل والكف عنه، ويصاب بالهواجس، والوساوس، والشكوك، والظنون حتى ينخلع من الإيمان بالكلية، أو يكاد. فعلى الداعية الحكيم أن يراعي هذا الجانب في المدعو، فيتعامل معه كتعامل الطبيب النفسي مع المريض، فيشخص الداء أولاً، ثم يعرض له طريقة العلاج بتدرج وتمهل، ويصبر عليه حتى يخرج من أزمته بسلام، ويركز معه على بث روح الأمل فيه، وإعطائه جرعة قوية من التفاؤل. ويحرص عليه في بيان أسباب إسعاده، وإذهاب البأس عنه ويسعى جاهداً في إيصال المدعو إلى حالة إيمانية يقاوم بها ما عنده من خواطر، وهواجس شيطانية. ويدعوه دائماً إلى عمل الخيرات، وفعل الصالحات، ويلقي في روعه أن الله ﷻ رحمن رحيم يقبل التوبة، ويقيل العثرة، ويغفر الذنب، ويتوب على المذنب، ويذهب البأس، فكل هذه المعاني إذا وردت على عقله، وقلبه ربما تأثر بها، وتفاعل مع الداعية في التغيير إلى الأفضل.

وينبغي على الداعية أن يكون لديه مراعاة نزعة حب الاستطلاع، والمعرفة لدى المدعو.. ومراعاة رغبة المدعو في أن يقرن الداعية بجهده ما يعطيه الثقة فيه لدى المدعو.. ولا شك أن هذا العرض الواثق القوي من الداعية يراعي حال الشك التي تنتاب المدعو في الداعية.

وإذا أراد الداعية أن يزول الشك والتردد لدى المدعو فعلى الداعية أن يكون على حال تُرغِّب المدعو فيه، وتجعله يركن إليه، ويأنس له، ويرتاح إلى حديثه، ويضع ثقته فيه

ومن الصفات النفسية السلبية: التردد والحاجة إلى التأكد فإذا كان المدعو ممن يتصف بالحيرة، والتردد، ويسعى إلى التأكد لما يلقى على مسامعه فإن الداعية الحكيم عليه أن يراعي هذه النفسية، ويلبي له هذا المطلب، ويشبع نهمه، ويزيل عنه التردد الذي ينتابه، ويحرص على طمأنته بأن ما يلقى عليه حق لاريب فيه، ولاشك منه، ويحرص أيضاً على أن يأخذ بيد المدعو إلى بر الأمان، وساحة الاطمئنان، فلا يتضجر منه، أو يسأم من إلحاحه، أو يمل من مساعيه، وذلك حين يلح المدعو في طرح سؤاله، ويستقصي في التثبت من الداعية؛ فإن في ذلك سانحة للداعية يجب أن يستثمرها بإشباع هذا النقص لدي المدعو بإدخال الاطمئنان على قلبه بعرض جوابه عليه بما تركن إليه نفسه من سبل التأكد، ومسالك التوثق، وذلك جلي في إجابات الرسول ﷺ على أسئلة الإعرابي حول رسالته، وبعثته، وما جاء به من دين الإسلام:

من الصفات النفسية السلبية: الشعور بالظلم والغبن، فيولد في نفس الإنسان القهر، والبؤس فيدفعه إلى الانتقام إن كان قادراً، أو يقعد به القهر، ويشله إن كان عاجزاً، مما يولد عنده الحقد والإحباط . ولكن الداعية الحكيم عندما يستغل مثل هذه الحالة في ربط المدعو بالله، والدار الآخرة، ويعلمه بأن الظلم الذي أصابه إن استطاع دَفْعُه دَفَعَه، وإن لم يقدر فعليه بالصبر حتى يوافي الله ﷻ يوم القيامة فينتصف له، ويأخذ له بحقه ساعتها تطمئن نفسه، وتسكن نوازع الشر منه، ويأمل في الله العوض، سواء في الدنيا أو الآخرة.

وكذلك ينبغي على الداعية أن يذكِّرَ المدعو بقصص الصحابة التي لاقوا أصناف الظلم، والعدوان من كفار قريش، وغير ذلك من القصص التي تنزل على قلوب المظلومين كالماء البارد، فتطفئ نار الموجدة، وحرارة التشفي.

ومن الصفات النفسية السلبية: الندم والحسرة فإذا كانا على فعل مذموم فإنهما يُحمدان هنا، وهذا يعد دليلاً على الخير الكامن في نفس الإنسان، أما الندم والحسرة على فعل محمود فهذا لا ينبغي أن يكون. لأن النفس إذا غلبها الشيطان، وطفقت ترتع في المحرمات، والآثام تأتي عليها أوقات تمل فيها المعاصي، وتفر من الموبقات، فتشعر ساعتها بالحسرة على ما اقترفت، وارتكبت من المعاصي فتندم على ما فات، وتسعى جاهدة إلى الخلاص من شبح الذنوب، ولكن الشيطان اللعين يحرص على أن يثبط العزيمة، ويقتل الأمل في النفس اللوامة؛ ليقعدها عن الرجوع إلى الله، والتوبة من الذنوب، لذا وجب على الداعية الحكيم أن يستغل أوبة النفس، وندمها على ما فعلت، فيسعى ليأخذ بيد هذا الإنسان، ويضعه في بستان التوبة، ورياض الطاعة ويدل على ذلك قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد: كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم..

ولذا يجب على الداعية مراعاة حال التائب الخائف بالعفو، والتسامح، والقبول.. وهذا مرتبط بأصل التوبة في الإسلام، فهي تقوم على مراعاة حال هذه الفئة التامة.. ولاشك أن نتائج ذلك ناجعة، نراها هنا لدى ثمامة بن أُثال.. والهرمزان..

فتأمين المدعو، والعفو عنه والتجاوز عن هفواته وأخطائه سبب في تأليفه وإسلامه.وهذا الذي حدث

في فتح مكة عندما قال النبي ﷺ للمشركين «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(١).

والتوبة تصح بعد نقضها بمعاودة الذنب، لأن التوبة الأولى طاعة، وقد انقضت، وصحت وهو محتاج بعد مواقعة الذنب الثاني إلى توبة أخرى مستأنفة. والعود إلى الذَّنْبِ فهو ذَنْبٌ أقبح من ابتدائه لأنه أضاف إلى الذنب نقض التوبة، فالعود إلى التوبة أحسن من ابتدائها، لأنه أضاف إليها ملازمة الإلحاح بباب الكريم، وأنه لا غافر للذنوب سواه... ودلت الآية والحديث على عظيم فائدة الاعتراف بالذنْبِ، والاستغفار منه، قال ﷺ: إن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب إلى الله تاب الله عليه أخرجاه في الصحيحين وقال: يستوجب العفو الفتى إذا اعترف بما جنى من الذنوب، واقترف قال آخر: أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزه إن الجحود جحود الذنب ذنبان. في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم**» (٢). وهذه فائدة اسم الله تعالى الغفَّار، والتواب (٣)

ومن الصفات السلبية: الحقد والحسد، فالحقد هو طلب الانتقام وتحقيقه أن الغضب إذا كُظِمَ عن عجز رجع إلى الباطن، واحتقن فيه، فصار حقدا (٤). والحسد خلق نفس ذميمة وضيعة.. ساقطة ليس فيها حرص على الخير، فلعجزها، ومهانتها تحسد من يكسب الخير، والمحامد، ويفوز بها دونها، وتتمنى أن لو فاته كسبها حتى يساويها في العدم، كما قال تعالى: +وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ" (٥) وقال تعالى +وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ" (٦) فالحسود عدو النعمة متمن زوالها عن المحسود، كما زالت عنه هو، والمنافس مسابق النعمة متمن تمامها عليه، وعلى من ينافسه فهو ينافس غيره أن يعلو عليه،

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، (٧٨/٤) وفتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق (١٨/٨) والثقات، محمد ابن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد (دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥هـ) (٥٦/٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة (رقم ٢٧٤٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق،٢١٣/٤.

(٤) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، مرجع سابق، ١٢١/٢.

(٥) سورة النساء، الآية ٨٩.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٠٩.

ويحب لحاقه به، أو مجاوزته له في الفضل. والحسود يحب انحطاط غيره حتى يساويه في النقصان، وأكثر النفوس الفاضلة الخيرة تنتفع بالمنافسة، فمن جعل نصب عينيه شخصا من أهل الفضل، والسبق فنافسه انتفع به كثيراً، فإنه يتشبه به ويطلب اللحاق به، والتقدم عليه، وهذا لا نذمه، وقد يطلق اسم الحسد على المنافسة المحمودة، كما في الصحيح عن النبي ﷺ «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار، ورجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق**» (١) فهذا حسد منافسة، وغبطة، يدل على علو همة صاحبه، وكبر نفسه، وطلبها للتشبه بأهل الفضل(٢).

ومن الصفات النفسية السلبية: الغضب والانفعال: فإن للغضب طبيعة نارية متوقدة داخل النفس البشرية، تظهر دلالتها على وجه الغضبان مثل احمرار عينيه، وانتفاخ أوداجه. وهو من الشيطان الذي خلق من نار فيذكي الغضب في نفس الإنسان. وهو وإن كان أمراً غريزياً، وطبعاً جبليًّا فإنه يُنْشِئُ تغيرات عضوية من حرارة، وتقلص في العضلات، وإفراز غددي، واستعداد للمقاتلة والمواجهة.

إن الغضب في حال استثارته وشدته يملأ النفس، ويستولي عليها، ويأخذ بلبها، وأطرافها، ويُعَطِّلُ العقل ويعمي البصيرة، ويضعف التفكير، وتستعد النفس للغليان، والجيشان. كما أن للغضب علاقة قوية بالكبر، والاستعلاء فهو مرتبط بهما، لأن منشأه النار والشيطان. فالغضب والكبر طبيعتان مقترنتان في أكثر الأحيان تغذي إحداهما الأخرى، وذلك لما في أصل الكبر، والغضب من التصاحب، والتناسب.

إن منهج الإسلام في معالجة الغضب لم يسع إلى قلع الغضب من جذوره، والقضاء عليه مطلقاً، بل لابد من الغضب ولكن لابد أيضاً من تهذيبه، وضبطه بضوابط شرعية، وتوظيفه وظيفة شرعية أيضاً بمعنى أن الغضب لا يكون للنفس وحظوظها، بل يكون لله، ومن أجل الله فإذا انتهكت محارم الله فلابد إذاً من الغضب فهذا هو منهج رسول الله ﷺ فما كان ليغضب لنفسه بل يغضب إذا انتهكت محارم الله .

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: رجل آتاه الله القرآن». (رقم ٧٥٢٩) ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (رقم ٨١٥).

(٢) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل، ابن قيم الجوزية (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ) ٢٥٢/١.

أما علاج الغضب السلبي فيقوم على مبدأ الخضوع والانصياع لتوجيه الشرع، فها هو رسول الله ﷺ يوصي أحد أصحابه بقوله: «**لا تغضب**»[(١)].

ويتم علاج الغضب أيضاً بكظم الغيظ امتثالاً لقوله تعالى: +ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾"[(٢)].

والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وتغيير وضع الإنسان، وهيئته، والوضوء تخفف الغضب بل تمحوه.

فعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: «**اعلموا ويسروا ولا تعسروا، وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت**»[(٣)].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[(٤)].

ومن الصفات النفسية السلبية: العجلة، فإن من يتصف بصفات العجلة، والطيش يُبَيَّنُ له فضل التأني، والتؤدة، والرفق، واللين، وأن هذه أخلاق النبي ﷺ وكان أحرص الناس على التخلق بها، وتربية أصحابه على التحلي بها.

والأناة مظهر من مظاهر خلق الصبر، وهي من صفات أصحاب العقل، والرزانة بخلاف العجلة، فإنها من صفات أصحاب الرعونة والطيش، وهي تدل على أن صاحبها لا يملك الإرادة القوية القادرة على ضبط النفس تجاه انفعالاته العجولة، وهي بخلاف التباطؤ، والتواني فهما من صفات أصحاب الكسل، والتهاون بالأمور... ثم قال: والأناة عند الداعية إلى الله تعالى تسمح له بأن يحكم أموره، ويضع الأشياء في مواضعها، فهي ركن من أركان الحكمة بخلاف العجلة، فإنها تعرضه لكثير من الأخطاء، والإخفاق،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب (رقم ٦١١٦).

(٢) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/٢٨٣) (١/٣٦٥) والطبراني في الكبير (١١/٣٣ رقم ١٠٩٥١) وقال الهيثمي في المجمع (١/١٣٦): رواه أحمد والبزار وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، (رقم ٦١١٤) ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب (رقم ٢٦٠٩).

والتعثر، والارتباك، ثم تعرضه للتخلف من حيث يريد السبق، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، وبخلاف التباطؤ، والكسل فهو أيضاً يعرضه للتخلف، والحرمان من تحقق النتائج التي يرجوها.

ثم قال: وقد ذم الإسلام الاستعجال ونهى عنه، وذم التباطؤ والكسل ونهى عنه، ومدح الأناة، وأمر بها، وعمل على تربية المسلمين على الأناة والتثبت الحكيم في القيام بالأعمال، وتصريف الأمور(١). وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من يحرم الرفق يحرم الخير**» (٢).

ومن الصفات النفسية السلبية: الخوف المذموم (الجبن) والجزع فإن الخوف المركوز في النفس الإنسانية أمر طبيعي إذا لم يتجاوز حده، ويصير إلى الجزع والفزع، والرعب القاتل الذي يجعل صاحبه لا يترك، ولا يذهب، ولا يأتي، ولا يقابل الناس فيظل أسير المخاوف تأكله الهواجس، وتنهشه الوساوس، فقد رُكِّبَ في فطرة الإنسان هذا الاستعداد فيخاف الظلم، والوحدة، والسقوط، والمناظر غير المألوفة، والحيوانات المفترسة ويخاف، من المجهول. فعلى قدر ما يخاف ونوع ما يخاف يتخذ لنفسه منهج حياته.

فالذي يخاف الموت لا يقدم على شيء، والذي يخاف الفقر يجعل همه المال، والذي يخاف السلطان يتحاشى كل عمل يعرضه للصدام معه والذي يخاف الألم، والعقوبة، والهزيمة يفر من معركة الحياة وينحسر في عزلة عن المجتمع.

إن هناك مخاوف محمودة لابد منها وهناك أيضاً مخاوف مذمومة لابد من التخلص منها. فالخوف المذموم يرهق كاهل الإنسان، وليس وراءه خير أو نفع يُرْجى..

فعلى الداعية الحكيم أن يستعمل أسلوب القرآن في معالجة المخاوف السلبية المذمومة فيفصله عن النفس، ويرفع عنها إصرها؛ لينطلق في مواجهة الحياة في قوة، وعزة، واطمئنان إلى قدر الله ﷻ.

وعن أبي سعيد الخدري ؓ عن رسول الله ﷺ قال:«**لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه، ويذكر بعظيم، فإنه لا يقرب من أجل، ولا يباعد من رزق**»(٣).

---

(١) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى سعيد بن وهف القحطاني، مرجع سابق، ص ٦٨-٦٩ وانظر الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ١٤١٧هـ (٢/٣٥٢-٣٥٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، (رقم ٢٥٩٢)

(٣) أخرج الترمذي شطره الأول، كتاب الفتن، باب ما أخبر النبي أصحابه بما هو كائن (رقم ٢١٩١) وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (رقم ٤٠٠٧).

ومن الأمور المعينة للمدعو – على تجاوز مخاوفه – إيناسه بقصص من هم في مثل حاله، فكان لهم السبق والريادة.

ومما تقوم عليه حال المدعو المحب للدنيا خوفه على زوالها من يده، وتلمس كل ما يبقيها في حوزته، وتجنب كل ما يظنه سبباً في زوالها.. ولذا فإن مراعاة هذه الحال يقتضي من الداعية أن يزيل أسباب هذه المخاوف من نفسه بربطه بمن بيده إعطاء الرزق، أو حجبه عن الخلق جل شأنه.

ومن الصفات النفسية السلبية: الخجل والحرج إذا كانا يؤديان إلى مشقة، وعنت للدعو، أو يوقعه في فعل محرم، أو مكروه، أو يمنعه من فعل واجب أو مستحب فإنهما حينئذ يكونان من الصفات السلبية التي ينبغي أولاً على المدعو أن يتخلص منها، ويتحلى بأضدادها، وكذلك ينبغي على الداعية أن يراعي هذه النفسية، ويدخل إليها عن طريق إزالة هذا الخجلَ والحرج اللذين يكونان سبباً، ومعوقاً للمدعو يعطله عن فعل الخير، أو اجتناب الشر. وهذا ما نلاحظه في منهج الرسول ﷺ في معاملة هذا الصنف من الناس كأن يقول لهم: **ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا** بلا تعيين حتى يرفع عنهم الخجل والحرج الذين قد يكونان سبباً في جرأة المدعو على ارتكاب ما نُهِيَ عنه.

وقد يكون ذلك سبباً في إلقاء العنت، والضيق حين يواجه المدعو المتصف بذلك من الداعية بالتوجيه، وبالأمر، والنهي، حتى ولو كان لوحده من الداعية، ولذا فإن السُّبل غير المباشرة – في مخاطبة هذا الصنف – هي الأنجع في حقه.. ومن ذلك أحاديث الرسول ﷺ: ما بال أقوام.. وكذا ما جاء في منعه ﷺ لسبطه من أكل تمرة من الصدقة،

ومن الصفات النفسية السلبية: الصفاقة، والوقاحة، والهوج إن المدعو إذا كان متصفاً بذلك فإنه يحتاج إلى معاملة خاصة، فقد لا ينفع معه أسلوب اللين، والرفق بقدر ما ينفع معه أسلوب الحزم، والشدة، وخاصة من ولي الأمر فيوقفه عند حده، ويردعه وأمثاله عن صفاقته، ووقاحته، وخاصة إذا تعدى حدوده، وتجرأ على الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر. فهذا الصنف من الناس لا ينفع معهم الرفق، والحسنى بل لابد من ردعه، وإيقافه عند حده حتى لا يتجرأ على الدعاة، ويكون سبباً في تجرئة الآخرين عليهم.

فالمدعو الأهوج سيئ الطباع، لا تجدي معه المواجهة بالنصح، والحث على الخير، لكون ذلك قد يثير حفيظته، ويقوده إلى الإساءة في القول والفعل، وفي هذا الشأن ما أورده ابن حجر في الفتح: قوله

باب المداراة مع الناس عن النبي ﷺ قال: «**مداراة الناس صدقة**»[1].

ومن الصفات النفسية السلبية: الميل للعزلة والانطواء والكبر والغرور، والعجب، والاعتداد بالنفس، والاطمئنان إلى مصيرها، فإذا أدى ذلك إلى ترك الجمعة والجماعات وَحِلَقِ العلم فينبغي على الداعية الحكيم أن يحرص على المدعو فيبين له فضل الاجتماع، والاختلاط خاصة في حضور مجالس العلم، والمحافظة على آداب الصلوات في المساجد مع جماعة المسلمين. أما الكبر والغرور فينبغي على الداعية - إذا لاقى في دعوته من يتصف بهذه الصفات — أنْ يحرصَ أولاً على أن يبين أن هذه الصفات لا ينبغي لمسلم أن يتصف بها، بل الواجب عليه أن يفر منها فراره من الأسد، أو أشد؛ لأن الكبر مآله النار - والعياذ بالله - وعلى كل مسلم ألا يتصف بهذه الصفة المقيتة، وألا يكون لديه غرور؛ فيوقعه في شر أعماله ويكون سبباً في هلاكه، ودخوله النار والعياذ بالله.

موضوع الكبر من أخطر الأمور على الإنسان خاصة إذا عرف الحق، والكبر: هو غمط الحق، وكفار قريش عرفوا الحق لكن الكبر حال بينهم وبينه، فنعوذ بالله من الكبر. والواجب على المدعو أن لا يستكبر إذ إن الله خلق هذا الإنسان من تراب، وكان خلقه له في أحسن تقويم. والكبرياء لله. وفي الحديث الذي أورده الإمام أبو داود في سننه عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**قال عز وجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**» [2]

وقد وردت أحاديث كثيرة تذم الكبر، وتحذر المتكبرين، وتبين عاقبة أمرهم، وعاقبة الكبر يجدها المتكبر في الدنيا أولاً حيث كره الناس له، ونفورهم منه وقد أوضح القرآن الكريم بجلاء ما أعده المولى سبحانه وتعالى لهذه الفئة من خلقه.

لأن الكبر من أشنع ما يوصف به الإنسان، حيث يترك على شخصيته آثاراً قائمة؛ لأنه خلق ذميم، وآفة قاتلة لأن النفس البشرية يدمرها هذا السلوك بحيث لا تفرق بين الأمر الصحيح، والخطأ؛ لذا فإن المدعو يجب أن يحذر من الكبر حتى لا يبعده عن الصواب، ولا شك أن المدعو إذا سلم من الكبر فإنه في

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (رقم ٨٤٤٥) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٥٢٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر (رقم ٤٠٩٠) وابن ماجه، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع (رقم ٤١٧٥).

خير وعافية [١]

قد يكون من أشكال المراعاة لحال المدعوين مسألة التمهيد لقبول الحق بإسقاط الباطل وهدمه حتى تخلو النفس منه، وتتخلص مما بها من باطل يحول دون قبول الحق.

هذه المسألة فيها ضابط، وهو الحرص على تخليص النفس مما تعلقت به من الباطل، حتى تركن بيسر لما يعرض عليها من الحق..

والاعتداد بالنفس، والغرور – بما هي عليه من حال – يحتاج إلى تنبيه قوي ، وإثارة لافتة تكون سبباً في إفاقته، ويكون ذلك بتقرير المصير المحتوم الذي سيؤول إليه خيار جميع الناس ،ناهيك عن شرارهم ممن اغتروا بحالهم واطمأنوا توهماً لمآلهم:

ومن مسببات ذلك المدح، والمبالغة في الإطراء.. وتقتضي مراعاة عدم المبالغة في ذكر ذلك أمام من فيه هذه الصفات التي يستحق معها المدح، لاسيما وإن لمس الداعية منه أن ذلك يزيد في عجبه بحاله واعتداده بنفسه:

ومن الصفات النفسية السلبية: حب النفس، وعدم الإيثار (الأنانية) والطمع والجشع، فكلها صفات سلبية تصيب الإنسان، فعلى الداعية الحكيم أن يحاول قدر استطاعته تخليص النفس من هذه الأدواء فإن مآل الطمع إلى خسارة، وانتقاص ومآل الأنانية إلى زهو، وكبر، وغطرسة تهلك صاحبها، وتورده موارد النار، وبئس المصير. فعلى الداعية أن يسعى جاهداً في تخليص النفس من هذه الأمراض، وتعويضها أضدادها من حب الآخرين وإيثارهم والقناعة فإذا استطاع الداعية غرس هذه الصفات الإيجابية فإنه يكون قد نجح في عمليته الدعوية .

ولابد من الدعاة اعتبار هذا الصنف من الناس مرضى يحتاجون إلى علاج أكثر؛ لأنهم يستجيبون لدوافعهم، ورغباتهم الذاتية دون النظر إلى رغبات الآخرين ومصالحهم فهم غير متجاوبين مع الجماعة بل هم عناصر سلبية تعوق العمل، وتعطل المجتمع من التقدم والرقي والازدهار[٢].

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، الدكتور الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري، (مطابع ابن تيمية، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة) ص٤٢٦-٤٢٧.

(٢) انظر: المرهم الشافي للداء الخافي، الرسالة الثانية «في السلوك الإسلامي القويم» الإمام الشوكاني الإبن ١١٥-١١٨.

يتدرج الإسلام في بناء شخصية المسلم من صيانة الحرمات إلى الدفاع عن الشخصية إلى أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، ثم من هذه المرتبة إلى أن يؤثر أخاه على نفسه، وعندئذٍ ترتقي شخصيته الإيمانية، ويستشعر عظمة الإسلام في كل كيانه، وهي تمده بقوة روحية عالية، فيرى الوجود من حوله كأنه أسرة واحدة، يظلها الدين بسماحته، ويسره، فلا عسر، ولا حرج بعطائه وسخائه، فلا تضييق، ولا شح بأُخُوَّةٍ تشع تضامناً، وإخلاصاً، وحباً، وولاء، فلا فرقة ولا حقد، ولا بغضاء.

ومن قاعدة البذل، والتضحية ينبثق الإيثار فيطارد الأثرة، والأنانية، ويملأ الحياة بذلاً، وتعاوناً وإحساناً. إنه الفضيلة المشرقة بالتعاون، والخير، ولا يتمثل الإخلاص إلا من كان سخي اليد جواد النفس محباً مخلصاً ودودا، ويتمثله المسلم في كل جوانب الحياة فهناك إيثار بالمال، وإيثار بالنفس، وإيثار طاعة الله تعالى على كل ما عداها. فأما الإيثار بالمال فيكون بتقديم ما يحتاجه المسلم لأخيه، وقد أشاد القرآن الكريم بموقف الأنصار، وإيثارهم لإخوانهم المهاجرين في قول الله سبحانه وتعالى: +وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ" [1] [2].

ومن الصفات النفسية السلبية: الملل والسأم إذا كان المدعو ممن يمل، ويسأم من كثرة عرض الدعوة عليه فلابد للداعية الحكيم أن يراعي هذا الأمر فلا يلقي على مسامع المدعو الموعظة إلا وهو مقبل بقلبه، وكيانه عليها حتى تعمل فيه الموعظة عملها، وتؤتي ثمارها.

ومما يعين على تجاوز الداعية ذلك لدى المدعو وتخليصه من آثاره كعدم حرصه على تلقيه لمضمون الدعوة، والأخذ به – عمل الداعية على إزالة هذا السأم بمخاطبة بعض المطالب النفسية لديه، حتى يزيل ما به من توتر، ويعيد إلى نفسه انبساطها، وتوقها إلى سماع الداعية، والصدور عنه.. ولعل أشد هذه المطالب النفسية إلحاحاً – في استنفاد أغراضها – حاجته إلى الترويح، والتسلية بما يتيسر من سبلٍ شرعية لذلك:

فعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: كان ابن مسعود ﷺ يذكرنا في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا

---

(١) سورة الحشر، الآية ٩.

(٢) الإسلام وبناء الشخصية، دكتور أحمد عمر هاشم، (عالم الكتب، سنة ١٤١٧ بيروت) ص ٦٣-٦٤

عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، فقال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة، كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا بها، مخافة السآمة علينا»[1].

وعن ابن عباس قال: حدث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرار، ولا تمل الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك. يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب[2].

وعلى الداعية أن يسد ما قد يكون جالباً للسأم والملل وعدم المصابرة على ما ألزم المدعو به نفسه مما لم يفرض عليه ويتجاوز قدرته وصبره:

ومن الصفات النفسية السلبية: عدم المبالاة، والاهتمام بالغير، وبالجو المحيط، فالناس يحبون ذلك الإنسان الذي يهتم بهم، والذي يهتم بماذا يفكرون، وما الذي يشغل بالهم، وحينما يتحدثون ينصت إلى حديثهم، وينظر إليهم، يلخص ما يقولون، ويناقشهم فيه، وتلك وسائل دعوية قوية جدًّا إذا طُبِّقَتْ تطبيقاً حسناً.

وكذلك من يقضي حاجة الناس، ويقدم إليهم الهدايا، فتلك كلها من وسائل الاهتمام. وفي الحديث «**تهادوا تحابوا**» [3]. والهدية قد تكون بسيطة جدًّا في قيمتها، ولكنها تدخل سروراً، وتُظْهِرُ مدى الاهتمام...

الناس في حاجة إلى من يعرف ما الذي يشغل بالهم؟ وما هي اهتماماتهم؟ وليسوا بحاجة إلى أن تقول لهم: يجب عليكم أن تعرفوا كذا وكذا. هذا الإلقاء ليس هو المهم، ولكن المهم أن تدفعه إلى محبة ذلك الأمر، وهو سوف يسعى إلى تعلمه.

الناس يحبون من يستمع إلى حديثهم، وعما يشغل بالهم، لا أن يحدثهم عن نفسه، بل يستمع

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة (رقم ٧٠) ومسلم، كتاب صفة القيامة، باب الاقتصاد في الموعظة (رقم ٢٨٢١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب مايكره من السجع في الدعاء، (رقم ٦٣٣٧).

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل (١٠٤/٤) وأبو يعلى (رقم ٦١٤٨) والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٩/٦) وفي شعب الإيمان (رقم ٨٩٧٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٠٠٤).

إليهم، ويشجعهم على أن يحدثوه عن أنفسهم، وهذا هو الذي يسمونه: المتحدث اللبق، ويقال: إنك إن أردت أن تكون متحدثاً لبقاً فكن مستمعاً لبقاً. وهذا طبع من طباع البشر فالإنسان يريد أن يتحدث عن قضاياه التي تشغل باله، ويريد من يشاركه همومه[1].

ومما يعين الداعية على إزالة عدم المبالاة، والاهتمام لدى المدعو هو عرض الحق أمام المدعو بالحزم والجد في صور لافتة لم تكن له على بال. وقد راعى الرسول ﷺ ما جبل عليه الناس من الاختلاف وكراهة التكاليف حين تكون صعبة مرهقة، وكذلك الشعور بالغبن، والغيرة، والأثرة حين يرى بعضهم أن غيره مُيز عليه في قرب المنطقة التي أُرسل إليها.. وغير ذلك حيث عالج الرسول ﷺ ذلك بإجراء وقائي تمثل في التحذير منه بذكر ما حصل من قوم عيسى عليه السلام معه حين بعثهم دعاة للملوك.. [2].

ويمكن للداعية أن يتغلب على عدم مبالاة واهتمام المدعو، وعدم إعارته الانتباه بعقد المقارنات اللافتة بين حاله وبين حال غيره من أهل الكياسة، والفطنة الذين يميزون الحق، والخير فيصغون إليه، ويعملون به ففاقوهم بذلك ونالوا خير ذلك وفضله:

ومن الصفات النفسية السلبية: العناد، فهو صفة ذميمة يتصف بها الإنسان عندما يعرض عليه الحق، فتجده يماطل، ويعاند ويثير الشبهات، والشكوك في الحق الذي يلقى على مسامعه، فينبغي على الداعية أن يراعي هذه الصفة ويعامل صاحبها بما يليق به.

إن العناد يكون سبباً في رد الحق، وعدم قبوله.. وهذه السمة النفسية للمدعو تدعو الداعية إلى مراعاة خاصة تقوم على الإشفاق عليه مما يترتب على استمراره في إعراضه، ولذا فقد كانت التوبة من الأبواب التي أنعم الله تعالى به على عباده، ليدلفوا منها إلى رحابه تعالى متى استشرفت أنفسهم الحق، ومالت إليه، وشعرت بصحته وجدواه.

وقد يكون من أشكال المراعاة لحال المدعوين مسألة التمهيد لقبول الحق بإسقاط الباطل وهدمه؛ حتى تخلو النفس منه، وتتخلص مما بها من باطل مما يحول دون قبول الحق.

هذه المسألة فيها ضابط، وهو الحرص على تخليص النفس مما تعلقت به من الباطل، حتى تركن بيسر

---

(١) انظر فن التعامل مع الناس، دكتور عبد الله الخاطر، مرجع سابق.

(٢) انظر السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ٢/٦٠٧،٦٠٦. وانظر تاريخ الرسل، الطبري، مرجع سابق، ٢/٦٤٥.

لما يعرض عليها من الحق.

ومن الحرص على المدعو، ومصابرته، والمداومة على دعوته.. وما يترتب على ذلك من ضرورة إلمام الداعية بأهمية الوفاء بذلك في حق المدعو لكون التصديق منه، والاستجابة إنما تبنى – في كثير من أحواله – على هذا المنهج الدعوي الذي تستدعيه حاله..

ومن الشواهد على الإعراض عن الحق على الرغم من معرفته، واليقين به، وبمصدره، وذلك أن هذه الصفة من الأحوال التي تعتري المدعوين، ويلزمها مراعاة خاصة أثناء الدعوة

والمناسب في حق المعاند هو عدم الحياء منه ومجاملته لأنه بحاجة إلى خطاب لافت يثير به الداعية لديه سمة التأني، وإعادة النظر في موقفه:

ومن الصفات النفسية السلبية: الإساءة والظلم، فلا بد للداعية أن يتلطف معه عند دعوته وفي عرض الحق عليه، ولابد من مداراته حتى يتجنب الداعية إساءته وظلمه، ولابد من وعظه وبيان مغبة ظلمه وإساءته وأن عاقبة ذلك خسراناً في الدنيا والآخرة، ولابد أيضاً من تخويفه من عاقبة الظلم، وأنه ظلمات يوم القيامة، وبيان أن الله ﷻ حرمه على نفسه، وجعله بين العباد محرَّمًا، ونهاهم عن ظلم أنفسهم، وظلم إخوانهم، وبيان أن الظلم والبغي هلاك على الظالم الباغي، وأن الله ﷻ سوف ينصر المظلوم قال تعالى: +﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ"[1] وقوله: +إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ"[2] +ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ"[3] وترك إثارة الشر على مسلم، أو كافر ثم ذكر حديث عائشة في سحر لبيد بن الأعصم النبي ﷺ قال ابن بطال: فتأول ﷺ من هذه الآيات ترك إثارة الشر على مسلم أو كافر كما دل عليه حديث عائشة حيث قال ﷺ: «**أما الله فقد شفاني، وأما أنا فأكره أن أثير على الناس شراً**»[4] ووجه ذلك

(١) سورة النحل، الآية ٩٠.

(٢) سورة يونس، لآية ٢٣.

(٣) سورة الحج، الآية ٦٠.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: + ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ" (رقم ٦٠٦٣).

والله أعلم أنه تأول في قول الله تعالى: +﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ"[1] الندب بالإحسان إلى المسيء، وترك معاقبته على إساءته فإن قيل: كيف يصح هذا التأويل في آيات البغي؟ قيل: وجه ذلك والله أعلم أنه لما أعلم الله عباده بأن ضرر البغي ينصرف على الباغي بقوله: +إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ" وضمن تعالى نصرة من بُغِيَ عليه كان الأولى بمن بغي عليه شكر الله ومقابلة ذلك بالعفو عمن بغى عليه وكذلك فعل النبي ﷺ باليهودي الذي سحره وقد كان له الانتقام منه بقوله: +وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ"[2] ولكن آثر الصفح أخذا بقوله: +وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ"[3][4].

ومن الصفات النفسية السلبية: التبعية والانهزامية، فإن المدعو إذا كان يتسم بذلك كأن يكون تابعاً، ومقلداً للغير ولا يفرق بين الصالح والطالح فيتبع الآخرين من غير بصيرة، وينقاد خلف من يثق به، ويقتنع بجدواه. فإذا فينبغي على الداعية الحكيم أن يبين له خطورة ما هو عليه، وأن النبي ﷺ لا يقبل هذه الحالة لذلك قال ﷺ: «**لا يكن أحدكم أمعة**»[5]. أما تقليد الآخرين في الخير والصلاح فهذا مما لا بأس به. فليحرص الداعية على التفريق بين التقليد في الخير، والتقليد في الشر لأن الأول مرغوب فيه والثاني منهي عنه.

إن الصفات النفسية السلبية قد تكون عائقاً في العملية الدعوية، لذا فعلى الداعية الحكيم أن يراعي ذلك ويسعى جاهداً في إزالة هذه العوائق من طريقه لكي يحقق النجاح في عمله الدعوي فيحرص على إزالة هذه الأمراض من النفس البشرية وتعويضها بالصفات الإيجابية التي تقود العمل الدعوي إلى النجاح والفلاح ويأتي ثماره يانعة مباركة بإذن الله.

(**١**) سورة النحل، الآية ٩٠.

(**٢**) سورة النحل، الآية ١٢٦.

(**٣**) سورة الشورى، الآية ٤٣.

(**٤**) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، (،، هـ) ١٠/١٦٨.

(**٥**) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو (رقم ٢٠٠٧).

المبحث الرابع

المطالب الجبلية للمدعو

المطلب الأول

المطالب المعنوية، والنفسية للمدعو

الحاجة إلى الأمن، والاستقرار، والحرية

في ظل الأمن، والاستقرار، والحرية يستطيع الداعي أن يُحَوِّلُ المدعو إلى إنسان نافعٍ وينقله مما هو فيه من مخالفات، وسلبيات إلى ما هو إيجابي، فالأمن يصنع من الإنسان الخائف الخامل إنساناً متجاوباً متفاعلاً مع من حوله يعطي، ويثمر، وينتج.

فالأمن، والاستقرار، والحرية مطالب ضرورية لجعل حياة الإنسان مستقيمة هادفة، يتفاعل فيها الداعية، والمدعو من أجل حياة أفضل في ظل طاعة الله ﷻ وفي ظل التعاون البنَّاء بين عناصر المجتمع كافة.

وإذا شعر الإنسان بالأمن، والاستقرار، والحرية – وأنه في ظل شريعة الإسلام مصون ومحترم فلا تنتهك كرامته، ولا يهان، ولا يشعر بالضيم والغبن والاستذلال – فإنه والحالة هذه يتحول من عدو لدود يكره الدين، وأهله إلى صديق حميم يحب الدين وأهله، لذا وجب على الدعاة أن يُولوا هذا الجانب أهمية؛ لكي يحققوا أكثر من غرض في عمليتهم الدعوية من الإحسان إلى أنفسهم بنجاحهم في دعوتهم، والإحسان إلى غيرهم بدخولهم في هذا الدين، وانتشالهم من وهدة الكفر والضلال.

إن إشاعة الأمن، والاستقرار من واجبات الحاكم المسلم حتى يأمن الناس على أرواحهم، وأعراضهم، وأموالهم، وهذا لا يتحقق إلا بتطبيق العقوبات الشرعية، والحدود الإلهية على العابثين بأمن البلاد، والعباد المعتدين على الناس شريطة أن يكون هذا التطبيق عادلاً، ويشمل الجميع بلا محاباة أو مجاملة، فإذا طبقت الحدود، والأحكام الشرعية أمن الناس، وخاف المجرم، وتحقق الاطمئنان، ففي ذلك صيانة لمحارم الله من الانتهاك، وحفظ حقوق العباد من العبث بها، أو التعدي عليها.

فعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت: لما ضاقت علينا مكة، وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم. وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه، لا يصل إليه شيء مما يكره ما ينال أصحابه.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه**». فخرجنا إليها أرسالا حتى اجتمعنا، ونزلنا بخير دار إلى خير جار، آمنا على ديننا، ولم نخش منه ظلما. (١) وذكر الحديث بطوله....

العلاقة بين المسلمين، وغيرهم علاقة تعارف، وتآلف، وتعاون، وتآزر، وبر، وعدل، وإحسان، قال الحكيم العليم جل وعلا مبيناً نتائج التعارف، وما يفضي إليه من تعاون: +يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"(٢). ويقول جل وعلا موصياً ببرهم والإحسان إليهم ومعاملتهم بالعدل والإنصاف: +لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم"(٣).

لقد قرر الدين الإسلامي المساواة بين الذميين، والمسلمين في بعض الأمور، فلهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وكفل لهم حريتهم الدينية، وتتمثل فيما يأتي:

- عدم إكراه أحد منهم على ترك دينه، أو إكراهه على عقيدة معينة(٤).
- لأهل الكتاب ممارسة شعائر دينهم فلا تهدم كنائسهم، ولا يكسر لهم صليب.
- أباح لهم الإسلام جميع ما أباحه لهم دينهم من الطعام وغيره
- لهم الحرية في قضايا الزواج، والطلاق، والنفقة.
- حمى الإسلام كرامتهم، وصان حقوقهم
- أحل الإسلام طعامهم والأكل من ذبائحهم والتزوج بنسائهم
- أباح الإسلام زيارتهم وعيادة مرضاهم، وتقديم الهدايا لهم، ومبادلتهم البيع والشراء.
- سوى في الحرمان من الميراث بين المسلم والذمي، فلا يرث الذمي قريبه المسلم، ولا يرث المسلم قريبه الذمي.

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، (١٨٨/٧).

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٣) سورة الممتحنة، الآية ٨.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

إن إعطاء الأمان للمدعو من غير المسلمين بهذه الصورة من أبلغ صور المراعاة التي تخلف في نفس المدعو ما يدعوه إلى الاقتناع والتسليم..

فقد كتب الرسول ﷺ لأهل أيلة: بسم الله الرحمن الرحيم. هذه أَمَنَةٌ من الله، ومحمد النبي ﷺ رسول الله ليُوحَنَّةَ بن رُوبة، وأَهْلِ أَيْلَةَ لِسُفُنِهم ولِسَيَّارَتِهم، ولبَحْرِهم، ولِبَرِّهم: ذِمَّةُ الله وذِمَّة محمد النبي ولمن كان معهم من كلِّ مَارٍّ من الناس، من أهل الشام، واليمن، وأهل البحر. فمن أحدث حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طَيِّبَةٌ لِمَنْ أخذه من الناس، ولا يحل أن يُمْنَعُوا ماء يَرِدُونَهُ، ولا طريقاً يردونها من بر أو بحر [1].

فقد كان لإسلام النجاشي أصحمة، واعترافه بالإسلام ديناً معترفاً به بمملكة الحبشة، إبان الطور المكي من الدعوة، أثرٌ قوي في نفوس أهل مكة، إذ اطمأن من كانت تحدثه نفسه بالإسلام منهم، إلى وجود مُهَاجَر للمسلمين، ودار هجرة وقرار للإسلام، يأمن فيها المسلم على نفسه من أن يُفتن في دينه، أو أن يُعذب، ويُضطهد، فتشجع الكثيرون من أهل مكة على الدخول في الإسلام، واللحاق بمهاجري الحبشة[2].

ويشعر المدعو بتوافره على هذا المطلب إذا رأى من الداعية دعوة إلى العدل، والإنصاف، ثم رأى ذلك ماثلاً في تعامله، ومسلكه..

الحاجة إلى الترويح، والتسلية، وإذهاب العناء

إن النفس البشرية في سيرها في زحمة الحياة تصاب بالملل، والسأم، ويرهقها العمل المتواصل وتحتاج إلى شيء من الفسحة والترويح لتسلو ويذهب عنها العناء، والمشقة، والعنت . لذلك راعى الشارع الحكيم هذا المطلب وسعى في تحقيقه؛ ليلبي مطالب ضرورية، وملحة في حياة الإنسان.

إن من أساليب الدعوة الرجز، والإنشاد الذي يكون سبباً في الترويح عن النفس أثناء القيام ببعض الأعمال، فقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أثناء عملهم في بناء المسجد يرتجزون بهذه الكلمات:

---

(١) انظر فتوح البلدان، البلاذري، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

(٢)تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد مرجع سابق، ص٣٧.

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

قال كثير من العلماء فيه: جواز الارتجاز، وقول الأشعار في حال الأعمال، والأسفار ونحوها؛ لتنشيط النفوس وتسهيل الأعمال[1].

وبذلك يتيسر تخليص النفس مما علق بها من دواعي الملل والسأم، ويكون سبباً في تنشيطها لقبول ما يلقى عليها، كما أن مراعاة هذا المطلب لدى المدعو سبب قوي لارتياحه لشخص الداعية وفرحه برؤيته، وتطلعه لملاقاته:

ففي حديث أبي هريرة قال: قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا قال: «**إني لا أقول إلا حقا**»[2] وأخرج من حديث ابن عباس رفعه «**لا تمار أخاك ولا تمازحه**»[3] الحديث والجمع بينهما أن المنهي عنه ما فيه إفراط، أو مداومة عليه لما فيه من الشغل عن ذكر الله، والتفكر في مهمات الدين؛ ويئول كثيراً إلى قسوة القلب، والإيذاء، والحقد، وسقوط المهابة، والوقار، والذي يسلم من ذلك هو المباح، فإن صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب، ومؤانسته فهو مستحب[4].

الحاجة إلى التقدير، والقبول، والاحترام

إذا كان المدح والتقدير، والاحترام فيه مصلحة لإزالة يأس، أو خوف، أو فيه تشجيع على طاعة وثبات على بر، وخير، أو فيه حث للغير للاقتداء، والتأسي به فعلى الداعية الحكيم ألا يغفل عن ذلك بل يحرص على إشباع نهم المدعو خاصة إذا كان يحصل بذلك مصلحة كسعيه للخير، والازدياد منه والدوام عليه، أو الاقتداء به.

وبتحقيق هذا المطلب للمدعو تزداد ثقته في نفسه، ويتم إشعار المدعو بتقدير الناس له، وقبولهم واحترامهم لشخصه بعدة أمور تختلف وتتباين حسب المجتمعات، والظروف العامة المحيطة به.. ومنها: دعوته للوليمة، والزواج، والإنصات لكلامه، والاحتفاء بآرائه، وأفكاره، ومناداته بأحب الأسماء إليه، والثناء

---

(١) انظر: المفهم في شرح ما أشكل من صحيح مسلم، للقرطبي (١٤٤/١) وشرح النووي على صحيح مسلم، مرجع سابق، (٨/٥).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح (رقم ١٩٩٠) وأخرجه أيضاً في الشمائل (رقم ٢٣٧).

(٣)أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المراء (رقم ١٩٩٥).

(٤) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٥٢٧/١٠.

عليه، وبيان محاسنه، وتقديم الهدية له:

ومما كان يهيئ له ﷺ النفوس للسماع، الترحيب بالقادم، والتلطف معه، وتأنيسه، والثناء عليه، كما فعل ﷺ مع وفد عبدالقيس، حيث أثنى عليهم وأخبر أنهم خير أهل المشرق، فاستقبلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبشرهم بذلك، ثم بعد وصولهم، رحب بهم ﷺ[1] حيث قال لهم: «**مرحباً بالقوم، أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى**»[2].

فدل ذلك على أن الاهتمام بالمدعوين هو مدخل طبيعي إلى نفوسهم[3]، وله أثره في تلقي النفوس للحق، وقبوله[4]، وبالتدرج في الدعوة، تظهر أهمية مراعاة العوامل النفسية لدى المدعوين[5]، وبهذا الاهتمام، وتلك المراعاة، تتهيأ نفوسهم لسماع الحق، ومن ثم قبوله.

الحاجة إلى مخاطبة مكامن الإيجابية في نفس المدعو، وإثارة روح المسؤولية لديه:

إن النفس البشرية فيها استعداد لأن تكون إيجابية، كما فيها استعداد آخر لأن تكون سلبية، فعلى الداعي الحكيم أن ينشِّطُ فيها الإيجابية، ويُحَذِّر من السلبية؛ لأن النفس قد تنحرف، وتميل إلى السلبية إذا لم تجد من يحرك فيها الإيجابية، فلا إصلاح بلا رقابة واعية، فميل النفس إلى السلبية مرض خطير يقتل طموح النفس ويستذلها، وكذلك انحراف الإيجابية حتى تصل إلى تبجح، وعناد، وإصرار، وتشدد في فعل الشر، والقبائح، فلا بد من إيقاظ الإيجابية الفاعلة وليست الهادمة، فقد يريد الإنسان أن يثبت وجوده، ويحقق ذاتيته من خلال دافع الإيجابية؛ فيحطم كل ما يقف أمام طموحاته فلذلك يجب على الداعية الناجح أن يوازن بين هذه المطالب، والدوافع فلا يطغي جانب على آخر.

ويتحقق ذلك بأمور منها لفت انتباه المدعو إلى الأثر السيء الذي ينجم عن تخليه عن القيام بما أوكل إليه من واجب تجاه مجتمعه مثل تركه للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

---

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، ١/ ١٧٨، ١٧٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان (رقم ٥٣) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله (رقم ١٧).

(٣) انظر: وظيفة الأخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، مرجع سابق، ص٤٥٩.

(٤) انظر: المرجع السابق ص٢٥٢.

(٥) انظر: المرجع السابق ص ٢٥٧، ٢٥٨.

واستثمار ما في نفس الإنسان من موجبات النخوة، والنجدة، والتي تتأثر بنوع العادات، والتقاليد السائدة في مجتمع المدعو.

قال علي: كونوا في الناس كالنحلة في الطير، إنه ليس من الطير شيء إلا وهو يستضعفها، ولو يعلم الطير ما في أجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها، خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم، وقلوبكم، فإن للمرء ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب(١).

الحاجة إلى إحياء الأمل، والرجاء في نفس المدعو فهما الأمل والرجاء يفعلان في النفس البشرية فعل الزيت في المصباح فتشرق حياته، وتضيء في جنبات الكون؛ فيؤثر فيمن حوله خيراً وبركة ونفعاً، لأن الأمل والرجاء يحدو بالنفس نحو المعالي، وكبريات الأمور. لذا وجب على الداعية أن يبث في نفوس المدعوين كل ما يوقد شجرة الآمال، ويفتح للأنفس الآفاق، فتنطلق نحو حياة أفضل للبناء والعطاء.

فعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**»(٢).

تجنب دواعي التيئيس، والإفراط في الترهيب، إن دواعي التيئيس، والإفراط في الترهيب يقعدان النفس عن الانطلاق فتظل أسيرة الهواجس والوساوس الشيطانية، فلا تفعل الخير، ولا تنزجر عن الشر، فطالما يئس الإنسان بنفسه، أو يأسه آخرون، وأسمعوه من الترهيب، والتخويف ما يسد منافذ الخير، والأمل في نفسه؛ فيتحطم على صخرة اليأس، والترهيب؛ لذا وجب على الداعية أن يتجنب كل ما يثير الرهبة والخوف في نفس المدعو، أو يتطرق إليها اليأس إذا كان هذا المدعو ممن يتصف بهذه الصفات، أو ممن عنده استعداد لقبول هذه الصفات السلبية.

بل إنه يستحب تأنيس، وتبشير من حصلت له مخافة، أو أمر أهمه، فها هي أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها– يأتيها رسول الله ﷺ وهو مرعوب خائف من الوحي فقالت له: كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم. ففي قولها –رضي الله عنها– درس بليغ للدعاة ليسلكوه مع من شابهه في حالته

---

(١) أخرجه الدارمي، في المقدمة، باب في اجتناب الأهواء، رقم الحديث ٣١٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ: أحلت لكم الغنائم (رقم ٣١٢٠) ومسلم مختصراً، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يتمنى الرجل أن يكون مكان الميت (رقم ٢٩١٩).

هذه . فينبغي تأنيسه، وتبشيره، وذكر أسباب السلامة له فيه؛ لكي تهدأ نفسه ويدخل عليها الطمأنينة والسرور.

فينبغي مراعاة هذا الأمر عند المدعويين حتى لا تنقلب دعوتهم إلى ضدها، وهو التنفير، والتيئيس، من أجل ذلك حرص الداعي الأول ﷺ أن يراعي هذا الجانب في نفسية المدعو، فقدكان يقول: «**أنزل الله عليَّ أمانين**» أي في القرآن +وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ" +وَأَنتَ فِيهِمْ" أي مقيم بمكة بين أظهرهم حتى يخرجوك، لأن العذاب إذا نزل عم، ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها. +وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ"[(1)] حيث يقولون في طوافهم: غفرانك غفرانك. وقيل: هم المؤمنون المستضعفون فيهم.

الفضول وحب المعرفة وحب الاستطلاع، ومن مظاهر ذلك الأسئلة التي يطرحها المدعو، وهذه تحتاج من الداعية نظراً، وتمعناً لتحديد الإجابة عن المناسب منها، وتوجيه غير ذلك إلى ما فيه الحاجة مما يحقق الخير، والمصلحة للمدعو.

إن مراعاة نزعة حب الاستطلاع، والمعرفة لدى المدعو.. ومراعاة رغبة المدعو في أن يقرن الداعية بمقدار ما يقدمه هذا الداعية من جهد كبير مما يُوَلَد الثقة لدى المدعو بما يقدمه الداعية، ولا شك أن هذا العرض الواثق القوي من الداعية يراعي حال الشك التي تنتاب المدعو في الداعية.

وشاهد ذلك ما أخبر به أنس بن مالك ﷺ: أن رسول الله ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر، فلما سلم، قام على المنبر، فذكر الساعة، وذكر أن بين يديها أموراً عظاماً، ثم قال: «**من أحب أن يسأل عن شيءٍ فليسأل عنه، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا** » قال: فسأله عبدالله بن حذافة: فقال: من أبي قال: « **أبوك حذافة** »[(2)]... وذكر الحديث[(3)].

لاشك أن مراعاة نزعة حب المعرفة – والتطلع لما لدى الآخرين بطرح ما يقوم بإشباعها – هي من

(**1**) سورة الأنفال، الآية ٣٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة المسائل (رقم ٧٢٩٤) ومسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله... (رقم ٢٣٥٩).

(**٣**) تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد ، مرجع سابق، ص ٦٣١.

أنجح الوسائل في لفت نظر المدعو للاقتناع بالحق، وقبوله، ويتم مراعاة هذه النزعة: بإذاعة كل ما يعرف بدعوة الإسلام، وتيسير اطلاع المدعوين عليه، ولاشك أن الرسل هم من أبرز من يقومون بهذا البلاغ..

من الشواهد على مراعاة حال حب الاستطلاع، والتطلع للمعرفة، والتحري، هو قول الله تعالى: +حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ"[١] وقصة الصحابي الذي تم ربطه في المسجد، وهو ثمامة بن أثال [٢].

الحاجة إلى الاستقلال، والتخلص من التبعية للعادات الجاهلية، والتقاليد المخالفة للشرع: إذا كان المدعو يتصف بذلك – ولديه الرغبة في الاستقلال، والتخلص من التبعية المقيتة البغيضة للعادات الجاهلية، والأوضاع المخالفة للشرع وللعادات والقيم البائدة التي تناوئ الدين، وتعادى الشريعة – فإن الداعي لابد أن يراعي هذا المطلب في المدعو، ويحرص على إنقاذه من هذه المعضلة، ويسعى إلى توضيح الرؤيا أمامه، ويساعده على اتخاذ قراره بالتخلي عن هذه الموروثات التي نشأ عليها، واعتمد عليها ردحاً من الزمان.

وإذا كان الأمر كذلك فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه، وكان ميتا فأحياه الله، وجعل له نورا يمشى به في الناس. لا بد أن يلاحظ أحوال الجاهلية، وطريق الأمتين: المغضوب عليهم، والضالين من اليهود، والنصارى، فيرى أن قد ابتلي ببعض ذلك.

إن النافع للخاصة والعامة في هذا الشأن هو تخليص النفوس من هذه الورطات، باتباع السيئات الحسنات. والحسنات ما ندب الله إليها على لسان خاتم النبيين من الأعمال، والأخلاق، والصفات[٣].

وعلى الداعية أيضاً أن يبين للمدعو أن الهجرة من سبل تحقيق تلك الاستقلالية.. فقد قال الرسول ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإن استنفرتم فانفروا**»[٤].

ففي الهجرة مراعاة للمدعوين حين يتعرضون للخطر، ويلحق بهم الأذى، والهجرة في الإسلام وقعت على وجهين: الأول: الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن، كما في هجرتي الحبشة، وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة؛ الثاني: الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان.

---

(١) سورة التوبة، الآية ٦.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، مرجع سابق، ٣٠٥/٥-٣٠٧.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ٦٥٧/١٠.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير (رقم ٢٧٨٣) ومسلم، كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير (رقم ١٨٦٤).

ومن الملامح البارزة في حياة الإنسان المسلم استقلال شخصيته، فهو يعتنق الحق، ويسير على ضوئه، ويعمل في دائرته، دون أن يكون هناك أي تأثير خارجي عليه، لأنه يؤمن بأن جزاءه منوط بعمله فإحسانه لنفسه، وإساءته لها، وقد غرس الإسلام في نفسه أصول الحق ليتبعها + إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ" [1]. وأنار القرآن الكريم الطريق أمام المسلم مبيناً له أنه وحده الذي ينال مثوبة هدايته، وأنه وحده الذي ينال جزاء ضلالته، فلا ينجي اهتداؤه غيره، ولا يردي ضلاله سواه، وكل نفس وما حملت من وزرها، فلا تحمل وزر نفس أخرى فلكل استقلاله وجزاؤه على حدة، قال سبحانه: +مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا"[2].

واستقلال الشخصية الذي يربي الإسلام أتباعه عليه يعني المحافظة على النفس من التأثر بخصائص الغير، وأفعاله التي لا تتفق مع روح الإسلام، وتتنافى مع فضائله، أما الاستبداد بالرأي، أو التمادي في الخطأ فليس فيه من قوة الشخصية، واستقلالها أدنى علاقة، بل إن ذلك يتنافى معها تنافياً تاماً.. كما أن استقلال الشخصية لا يتنافى مع الرجوع للحق، ومع التعاون ومشاركة الجماعة الإسلامية فالمراد باستقلال الشخصية ألا يذوب سلوك الفرد في سلوك آخر، وألا تذوب الجماعة في جماعة أخرى، فلكل إنسان مقوماته، وقدراته الخاصة. [3]

الحاجة إلى الإشباع العاطفي، ومخاطبة الوجدان: تعد العاطفة ركيزة في النفس البشرية من أعظم ركائز النفس، وتمثل شيئاً جوهرياً جدًّا في حياة الإنسان لذا كان إشباع هذه العاطفة، وتلبية رغباتها من أهم وسائل الإعانة عليها فيستطيع الداعية الحكيم أن يقود نفس المدعو إلى الخير، والصلاح، والتقى في ظلال هذا المدخل فيلبي احتياجاته، ويشبع رغباته فتنقاد له النفس انقياداً سهلاً ميسوراً. فعندما يكون الإنسان ذا عاطفة جياشة، ووجدان يقبل على من يلبي نداءاته، ويشبع رغباته، ويحقق طموحاته.

ومن صور المراعاة الناجعة، الأخذ بمواساة المفجوعين والمكلومين، ورتق ما وقر من وهن في أنفسهم

---

(1) سورة الإسراء، الآية ٧.

(2) سورة الإسراء، الآية ١٥.

(3) انظر: الإسلام وبناء الشخصية، دكتور أحمد عمر هاشم، مرجع سابق، ص٣٤- ٣٧.

نتيجة للضربات المتلاحقة والموجعة، فكان هذا الرثاء، وتلك المواساة بلسماً يعيد إليهم ثقتهم، وقوتهم واعتمادهم على بارئهم، وزيادة إيمانهم بما هم عليه من الحق والخير.

ومن صور هذه المخاطبة الوجدانية ما يؤدي إلى تخفيف ما يعانيه المدعو من وطأة بعض أحواله عليه، وإشعاره أن ثمة من يشاركه في هذه المعاناة، فعن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «**في النار**» قال: فلما قفا دعاه فقال: «**إن أبي وأباك في النار**»(١).

وعن أبي رزين قال: قلت: يا رسول الله أين أمي؟ قال: «**أمك في النار**» قال: قلت: فأين من مضى من أهلك؟ قال: «**أما ترضى أن تكون أمك مع أمي**»(٢).

نزوع النفس الإنسانية للدعة، والتخفف من التكاليف: فلقد راعى الرسول ﷺ ما جبل عليه الناس من الاختلاف، وكراهة التكاليف حين تكون صعبة مرهقة، وكذلك الشعور بالغبن، والغيرة، والأثرة حين يرى بعضهم أن غيره مُيز عليه في قرب المنطقة التي أُرسل إليها.. وغير ذلك حيث عالج الرسول ﷺ ذلك بإجراء وقائي تمثل في التحذير منه بذكر ما حصل من قوم عيسى عليه السلام معه حين بعثهم دعاة للملوك.(٣).

ولقد كان من هدي الرسول الكريم للصحابة الذين بعدت بيوتهم عن المساجد ألا يتحولوا إلى بيوت قريبة منها، وأكد لهم أن آثارهم في السعي إليها ستكتب في صحيفة أعمالهم، وأن خطواتهم الكثيرة إليها لن تضيع. فعن جابر رضي الله عنه قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لهم: «**بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟**» قالوا: نعم يارسول الله، قد أردنا ذلك. فقال: «**بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم** » فقال: ما يسرنا أنا كنا تحولنا. (٤)

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجراً من الذي يصليها ثم**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات على الكفر فهو في النار (رقم ٢٠٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١١/٤) والطبراني في الكبير (٢٠٨/١٩ رقم ٤٧١) وقال الهيثمي في المجمع (١٢١/١): رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله ثقات.

(٣) انظر السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ٦٠٦/٢، ٦٠٧. وانظر تاريخ الرسل، الطبري،مرجع سابق، ٦٤٥/٢.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد (رقم ٦٦٥).

ينام»[1][2].

إن النفس البشرية تميل إلى حب الراحة والدعة وتكره التكاليف ويشق عليها الأمر، لذا كان على الداعية الحكيم أن يرغب النفس في الأجر المترتب على فعل الطاعات ويحمسها إلى عمل الخيرات ويبغض إليها الكسل والفتور ويبين لها أن عاقبة الكسل الخسران في الدنيا والآخرة، وكلما كانت النفس نشيطة ومقبلة على فعل الخير نالت الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، فينبغي على الداعية الناجح أن يلمس ذلك وينشطها إلى ترك الكسل وعمل الصالحات ويبين لها أن الأجر يعظم على كثرة المشقة وملاقاة العنت، لتتحمل النفس البشرية التكاليف وهي راضية مطمئنة لأجرها الموعود، فتقبل العمل وهي تأمل في الله العوض والأجر الجزيل.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد (رقم ٦٦٢).

(٢) شخصية المسلم، د. محمد علي الهاشمي (دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٦هـ)، صـ٢٠-٢١.

المطلب الثاني

المطالب الجسدية للمدعو

إن الإسلام اهتم بالإنسان ككل: بجسده، وروحه، وعقله، وأحاطه بسياج من العناية، والرعاية؛ وذلك من أجل الحفاظ عليه، ووضع له مناهج، وضوابط تتفق مع فطرته، وشرع له وسائل تساعده على تقويته وتدريبه حتى يتمكن من أداء رسالته من تعمير الكون، وأداء الفرائض، والتكاليف، والدفاع عن شريعة الله، ونشرها في الأرض.

ومن منهج الإسلام في تربية الجسد، والعناية به أنه حدد له أنواع الأطعمة، والمأكولات، والمشروبات التي تقويه، وتهذبه، وتطهره فلابد من كونها حلالاً وطيبة +**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا**"(١). فإن كان حلالاً غير طيب فهو فاسد غير صالح يضر الجسم، ويتلف أعضاءه، ويصيب صاحبه بالأمراض، والأوبئة. وإن كان طيباً غير حلال كأن يكون مسروقاً، أو مغتصباً أمرض القلب وباعد بينه، وبين مرضاة ربه.

ولابد للمسلم لكي يحافظ على جسمه وقوته، ويصونه من الأمراض أن يعتزل زوجته مدة الحيض لأنه أذى يضر الجسم، والصحة، وينهك القوى.

إن تلبية مطالب الجسد ضرورة ملحة لابد منها، فإن الإسلام راعى هذا المطلب، لهذا قال رسول الله ﷺ: «**فإن لجسدك عليك حقا**»(٢). وهذا الحق يتمثل في الإطعام والراحة، والنظافة، والعناية الشاملة بالجسم كله ليأخذ الإنسان بنصيب من المتاع الحسي الطيب الحلال، فقد قال تعالى: +وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ"(٣).

فالاهتمام بالرياضة البدنية جزء مهم في العملية التربوية لتقوية الجسم والاستمتاع بمباهج الحياة. والمطالب الجسدية للمدعو لا ينالها إلا بالكد والعرق، فهو في سعي حثيث وراءها، وهذه المكابدة لا شك

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٦٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم (رقم ١٩٧٥) ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر (رقم ١١٥٩).

(٣) سورة القصص، الآية ٧٧.

أنها تخلف حالاً للمدعو في حياته تحتاج إلى المراعاة حين الحديث معه.

إن المسلم الحق لا يهمل نفسه، ولا ينسى ذاته مع التكاليف العليا التي يحملها في هذه الحياة، إذ لا ينفصل في تصوره مظهر الإنسان عن مخبره، فإن الشكل النظيف المرتب الحسن أليق بالمحتوى الجليل، والجوهر النبيل، ومن هذا كله يتكون المسلم الداعية إلى الله.

فالمسلم الحق الواعي الحصيف هو الذي يوازي بين جسمه، وعقله، وروحه، فيعطي لكل حقه، ولا يغالي في جانب من هذه الجوانب على حساب جانب، مستهدياً بهدي رسول الله ﷺ المتوازن الحكيم، وذلك فيما يروي عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ علم بمغالاته في العبادة، فقال له: «**ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟**» قال: بلى يارسول الله. قال: «**فلا تفعل، صم وأفطر، ونم وقم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا**» (١) (٢).

وإن الحاجة للطعام والشراب ضرورية بالنسبة للجسم، لأن الطعام والشراب سبب توليد الطاقة التي تدفعه، وتساعده لتعمير الكون وتنظيم شؤون الحياة، وهما سبب أيضاً في إيجاد القوة للدفاع عن نفسه ضد أعداء الحياة، وأعداء الدين، والدفاع أيضاً عن شريعة الله، ونشرها في الأرض وهي أيضاً سبب في إيجاد الطاقة الجنسية لحفظ النوع الإنساني، وتكاثره، وقيام المودة، والمحبة بين الزوجين.

ولابد أن يكون الطعام حلالاً طيباً ليحقق الخير والصلاح، والتوازن، والتناسق بين الطاقات، ويسلم الإنسان من الأمراض التي تكون غالباً بسبب حرمة الطعام، أو فساده فإن الله عز وجل وهو العلم الحكيم أحل الطيبات، وحرم الخبائث.

فليحرص المسلم كل الحرص على أن يكون صحيح الجسم قوي البنية. ولهذا فهو يعتدل في طعامه وشرابه، لا يقبل على الطعام إقبال الشره النهم، وإنما يصيب منه ما يقيم به صلبه، ويحفظ عليه صحته وقوته، ونشاطه، مستهدياً بقول الله تعالى في محكم كتابه: +وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم (رقم ١٩٧٥). ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر (رقم ١١٥٩).

(٢) شخصية المسلم، دكتور محمد علي الهاشمي، مرجع سابق، ص ٣٤-٣٥.

ٱلْمُسْرِفِينَ" [1]. ويقول الرسول الكريم وهديه في الاعتدال في الطعام والشراب: «**ما ملأ آدميّ وعاء شراً من بطنه، فإذا كان لا محالة فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه**» [2]. ويقول عمر ﵁: إياكم والبطنة في الطعام والشراب، فإنها مفسدة للجسم، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما، فإنه أصلح للجسد، وأبعد من السرف، وإن الله تعالى ليبغض الحبر السمين، وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

ويجتنب المسلم المخدرات والمنبهات، بل المحرمات منها، ينام مبكراً، ويستيقظ مبكراً، ولا يتناول الدواء إلا في حالة المرض. أما فيما عداها فكل ما في نظام حياته يساعد على الصحة والنشاط الطبيعيين، والمسلم الواعي يعلم أن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، كما قرر رسول الله ﷺ، ومن ثم فهو يعمل على تقوية جسمه باتباع نظام صحي في حياته. [3]

الحاجة للجنس، والميل للجنس الآخر: ولقد فطر الله ﷻ الذكر والأنثى على حب كل منهما الآخر، والميل كل منهما للآخر، فهذه الغريزة لها دافعها الذي يدفعها إلى اللقاء الجنسي، وأن الله ﷻ لم يترك البشر سدى هكذا كالحيوانات بل حدد المنهج الذي في ظله يشبع كل منهما رغبته، وشهوته في إطار المباح الحلال، فاللقاء الجنسي بين الرجل والمرأة لقاء حياة مشتركة، وليس لقاءً عابراً ينتهى بانتهاء اللذة وإلا كان حراماً يعاقب فاعله بأشد العقوبات: إما الجلد، أو الرجم. فالعلاقة الجنسية تقوم على أساس متين من المشاعر الراقية، والآمال المشتركة.

والجنس دافع من أقوى الدوافع لدى الإنسان، وذلك لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى. وهذه الحكمة هي تعمير الكون، وإقامة الخلافة في الأرض، واستمرار الحياة فيها. والجنس في منهج القرآن ليس هو ينبوع القذارة، والخطيئة كما يدعي أصحاب بعض المذاهب، والديانات السابقة، وليس وحده الطاقة المحركة لكيان الإنسان كما يدعي فرويد، ومدرسته، وليس هو مسألة بيولوجية تؤدى على قارعة الطريق، أو

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٣١.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل (رقم ٢٣٨٠). والنسائي في الكبرى، كتاب الوليمة، باب ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل (رقم ٦٧٣٧) وابن ماجه، كتاب الأطعمة باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع (رقم ٣٣٤٩).

(٣) شخصية المسلم، د. محمد علي هاشمي، مرجع سابق، ص٣٥-٣٦.

خلسة بين اثنين كما يفعل بعض دعاة المدنية الحديثة، وليس هو رجلاً لكل النساء، أو امرأة لكل الرجال كما يفعل دعاة الشيوعية، والاشتراكية ومن سار سيرهم، وإنما هو دافع ودافع نظيف، وله وظيفة محددة، قال تعالى +نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ" [1]. وبذلك حدد منهج القرآن العلاقة الجنسية بتلك الصورة الموحية الجميلة صورة الأرض التي تُحرث لوضع البذرة وتعهدها حتى تنبت وتأتي ثمرة جديدة من نفس النوع. والجنس – بهذا التصور – وسيلة لبقاء النوع للإنسان وانتشاره، وهو وسيلة السكن، والراحة والمودة، والرحمة[2].

ويجب النكاح على من خشي الوقوع في المعصية لأن اجتناب الحرام واجب، وإذا لم يتم الاجتناب إلا بالنكاح كان واجباً، وعلى ذلك تحمل الأحاديث المقتضية لوجوب النكاح...

أقول: الحاصل أن من كان محتاجاً إلى النكاح، أو كان فعله له أولى من تركه من دون احتياج فلا ريب أن أقل الأحوال أن يكون في حقه مندوباً للأدلة الواردة فيه. ومن لم يكن محتاجاً إليه، ولا كان فعله أولى له كالحصور والعنين فقد يكون في حقه مكروها إذا كان يخشى الاشتغال عن الطاعات من طلب العلم أو غيره مما يحتاج إليه أهله. أو كانت المرأة تتضرر بترك الجماع من دون أن تقدم على المعصية. وأما إذا كان في غنية بحيث لا يشتغل عن الطاعات، وكانت المرأة لا تتضرر بترك الجماع، ولا يحصل له بالنكاح نفع فيما يرجع إلى الباءة فالظاهر أنه مباح، وإن لم يأت من الأدلة ما يقتضي هذه التفاصيل فثم أدلة أخرى تقتضيها وقواعد كلية... [3].

ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة، والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام، والطواعين المتصلة. فمن أعظم أسباب الموت العام كثرة الزنا بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال، والمشي بينهم متبرجات متجملات.

سلامة الجسد وراحته بتوفير العلاج، أو الاستشفاء، والاسترخاء، لقد اهتم القرآن الكريم بجسم

---

(1) سورة البقرة، الآية ٢٢٣.

(2) انظر: منهج القرآن في تربية الرجال، دكتور عبد الرحمن عميرة، (دار الجيل، بدون بلد النشر سنة ١٤١١هـ) ص ١٢٣-١٢٧.

(3) الروضة الندية شرح الدرر البهية صديق حسن خان، مرجع سابق، ٥/٢.

الإنسان الذي هو خليفة الله في الأرض. الإنسان الذي كرمه ربه وفضله، قال تعالى: +۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"(١) ويحوطه بسياج من العناية والرعاية بغية الحفاظ عليه، ومن أجل ذلك اشتمل على المناهج التي تتفق مع فطرته، والوسائل المشروعة التي تساعد على تقويته، وتدريبه حتى يتمكن من القيام برسالته، تلك الرسالة التي أناطه الله بها من القيام بتعمير الكون، وأداء الفرائض، والتكاليف، والدفاع عن شريعة الله.

ومن منهج القرآن في تربية الجسد أنه يحدد له أنواع الأطعمة التي يأكلها ويشترط فيها أن تكون حلالاً طيباً، قال تعالى: + يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا" (٢). وقال أيضاً: +فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ" (٣).

وإذا كان منهج القرآن يبيح للإنسان ما كان حلالاً طيباً من الأطعمة فإنه يحرم عليه أنواعاً أخرى لأنها تضعف الجسم، وتخل بتراكيب هذا الجهاز العجيب.

إن القرآن الكريم يحرم على المسلم بعض الطعام والشراب؛ ليحول بينه، وبين فساد جسمه، وتلف أعضائه من جراء تناوله لهذه المحرمات. وعلة التحريم في الحقيقة قد لا تنكشف للعقل البشري في كثير من الأحيان، وعلى العقل أمام هذا أن يلتزم ويطيع.

ويقدم منهج القرآن وصاياه، وتوجيهاته، ويطالب المسلم بالالتزام بها حتى يحتفظ جسمه بقوته، ويكون بمنأى عن إصابته بالأمراض والأوبئة(٤).

والمسلم الحق نظيف في ثوبه، وجوربه، يتفقد ثيابه وجوربه بين الحين والحين، فلا يرضى أن تفوح من أدرانه، أو قدميه رائحة منفرة، ويستعين على ذلك بالطيب أيضاً، فلقد حكي عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: «من أنفق ثلث ماله في الطيب ما كان مسرفاً».

ويتعهد المسلم الواعي فمه، فلا يشم أحد منه رائحة مؤذية، وذلك بتنظيف أسنانه يومياً بالسواك،

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٨.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٦٩.

(٤) انظر: منهج القرآن في تربية الرجال، د. عبد الرحمن عميرة، مرجع سابق، ص٥٣-٥٩.

والفرشاة، والمطهرات، والمنظفات، ويتفقد فمه، فيعرضه على طبيب الأسنان مرة في كل سنة على الأقل، وعلى غيره من أطباء الفم، والحنجرة، والبلعوم إن احتاج الأمر إلى ذلك بحيث يبقى فمه نقياً معطر الأنفاس.

فالإسلام يريد منهم أن يكونوا نظيفين دوماً، تضوع ثيابهم بالطيب، وتفوح من أجسامهم الروائح النظيفة العطرة الزكية، وهذا ما كان عليه رسول الله ﷺ فيما رواه الإمام مسلم بإسناده عن أنس بن مالك ﷺ قال: ما شممت عنبراً قط، ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ.[1]

ومن هدي الرسول العظيم أمره ﷺ برعاية الشعر، وإصلاحه، وتجميله التجميل المشروع في الإسلام. وإكرام الشعر في الذوق الإسلامي يكون بتنظيفه، وتمشيطه، وتطييبه وتحسين شكله، وهيئته.

والمسلم الحق يعني بلباسه، وهندامه، ولذلك تراه حسن الهيئة أنيق المظهر من غير مغالاة، ولا سرف ترتاح لمرآه العيون، وتأنس به النفوس، لا يغدو على الناس، في هيئة مزرية قميئة مهلهلة، بل يتفقد نفسه دوماً قبل خروجه على الناس فيتجمل لهم باعتدال فقد كان رسول الله ﷺ يتجمل لأصحابه، فضلاً عن تجمله لأهله.

والمسلم يفعل هذا كله وفق نظرية الإسلام الوسط في الأمور كلها وهي نظرية الاعتدال التي لا إفراط فيها، ولا تفريط +وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا" [2] [3].

فعلى الداعية الحكيم أن يراعي المطالب الجسدية للمدعو حين دعوته، فيلبي رغباته ويشبع تطلعاته، سواء ما يتعلق بطعامه وشرابه أو حاجته الجنسية أو راحته وصحته وعلاجه، وكل ما يعينه على حياة طيبة في ظل طاعة الله عز وجل.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين ملبسه..(رقم ٢٣٣٠).

(**٢**) سورة الفرقان، الآية ٦٨.

(٣) انظر: شخصية المسلم، د. محمد علي هاشمي، مرجع سابق، ص٣٧-٤٢.

المطلب الثالث

المطالب الدنيوية للمدعو

ومنها: حب الحياة، وطول الأمل، وحب الريادة، والرئاسة، والسيطرة، والميل للصراع، والمنافسة.

إن حب الحياة، وطول الأمل، وحب الريادة، والرئاسة، والسيطرة أمور جبلية لا تنفك منها النفس، بل وتحرص أشد الحرص على تحقيقها في واقع الحياة، وقد يرتكب الإنسان ما هو محرم في الشرع من أجل أن يحيا، ويسود؛ لذلك وجب على الداعية الحكيم أن يراعي هذه الفطرة، ويحقق لها آمالها، وطموحاتها مالم تخالف الشرع، أو تصطدم مع مصالح الآخرين، فإن هذه الرغبات لو لم يوجد لها ضابط يكبح جماحها لانقلبت الحياة إلى جحيم من الصراعات، والحروب يأكل القوي فيها الضعيف.

من الشواهد على قوة دوافع حب الدنيا، والرياسة، والتي قد تكون سبباً في صرف المدعو عن قبول الحق على الرغم من اقتناعه به.. ما حصل لأبي طالب عم النبي ﷺ..، وكذا ما حصل من قيصر عندما عُرضت عليه دعوة الإسلام... وتصديقه بنبوة النبي ﷺ، ودعوته للروم في مجلس ملكه إلى الإسلام؛ ثم تراجعه عن ذلك بعد أن هموا بقتله، وخلعه عن عرشه: ومما يقوي أن هرقل آثر ملكه على الإيمان، واستمر على الضلال حتى أنه حارب المسلمين في غزوة مؤتة سنة ٨هـ بعد هذه القصة بدون السنتين(١).

وهنا نكات هامة تتصل بطبيعة النفس الإنسانية، ونزوعها إلى مآربها على حساب الدين.. بشأن قول هرقل: لا أستطيع أن أفعل، إن فعلت ذهب مُلكي، وقتلني الروم. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: ولا عذر له في هذا، لأنه قد عرف صدق النبي ﷺ، وإنما شح بالملك، فطلب الرياسة، وآثرها على الإسلام(٢).

والفرق بين حب الرياسة، وحب الإمارة للدعوة إلى الله هو الفرق بين تعظيم أمر الله، والنصح له وتعظيم النفس، والسعي في حظها، فإن الناصح لله المعظم له المحب له يحب أن يُطاع ربه فلا يعصى، وأن تكون كلمته هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، وأن يكون العباد ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه، فقد ناصح الله في عبوديته، وناصح خلقه في الدعوة إلى الله، فهو يحب الإمامة في الدين، بل يسأل ربه أن يجعله

---

(١) انظر فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٤١/١.

(٢) انظر إنسان العيون، البرهان الحلبي، ٣٣٨/٣.

للمتقين إماما يقتدي به المتقون، كما اقتدى هو بالمتقين، فإذا أحب هذا العبد الداعي إلى الله أن يكون في أعينهم جليلا، وفي قلوبهم مهيبا، وإليهم حبيبا، وأن يكون فيهم مطاعا، لكي يأتموا به، ويقتفوا أثر الرسول على يده لم يضره ذلك، بل يحمد عليه، لأنه داع إلى الله، يحب أن يطاع، ويعبد، ويوحد، فهو يحب ما يكون عوناً على ذلك موصلاً إليه(١).

فالواجب اتخاذ الإمارة دينا وقربة يتقرب بها إلى الله، فإن التقرب إليه فيها، بطاعته، وطاعة رسوله من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال كثير الناس لابتغاء الرياسة، أو المال بها. وقد روى كعب بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال، والشرف لدينه**» (٢).

فكم ممن يريد العلو، ولا يزيده ذلك إلا سفولا، وكم ممن جُعِلَ من الأعلين وهو لا يريد العلو ولا الفساد، وذلك لأن إرادة العلو على، الخلق ظلم، لأن الناس من جنس واحد،فإرادة الإنسان أن يكون هو الأعلى ونظيره تحته ذلك ظلم، والناس يبغضون من يكون كذلك، ويعادونه

فالواجب على المسلم أن يجتهد في ذلك حسب وسعه، فمن ولي ولاية يقصد بها طاعة الله – وإقامة مايمكنه من دينه، ومصالح المسلمين،وأقام فيها،ما يمكنه من ترك المحرمات – لم يؤاخذ بما يعجز عنه، فإن تولية الأبرار خير للأمة من تولية الفجار(٣).

حب الحياة الدنيا، والميل لما فيها من المال، والأولاد، والخيل، والترف، والرفاهية، إن حب الحياة وما فيها من مظاهر النعيم (الأولاد والأموال) وغير ذلك من أنواع الرفاهية، وحب الحياة ونعيمها مطلب متأصل في النفس البشرية، والإسلام لم ينكر ذلك، ولم يحجره، بل أباحه في حدود، ودعا إلى تهذيبه، وتقويمه.

وإذا لم تكن الحياة الدنيا، وزينتها هي كل شيء فإنما هي متاع يستمتع به الإنسان، إذ إن طبيعة الإنسان، وتركيبه الفطري يجعله يميل إلى شهوات الدنيا، وهذا واقع لا حاجة إلى إنكاره، أو استنكاره، فهو ضروري للحياة

---

(١) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ٢٥٢/١.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد (رقم ٢٣٧٦) والنسائي في الكبرى، كتاب الرقائق (رقم ١١٧٩٦).

(٣) السياسة الشرعية،، ابن تيمية ٢١٧/١.

البشرية. إلا أن هذا الاستعداد للميل لشهوات الدنيا يقابله أيضاً في نفس الإنسان ميل آخر نحو التسامي، والاستعلاء على الدنيا، وشهواتها، لئلا تستغرق حياة الإنسان، وهمومه كلها.

يقول سبحانه: + زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ"[١] وهنا يمتاز الإسلام بمراعاته للفطرة البشرية، وقبولها بواقعها، ومحاولة تهذيبها، ورفعها لا كبتها وقمعها، كما يتحدث بعض المتحذلقين.

ويعد الزهد في الحياة الدنيا نجاة منها، والأخذ من الدنيا بأوفر نصيب تجارة لن تبور، يضاعف الله سبحانه ثوابها إلى أكثر من سبعمائة ضعف، لذلك كانت الدنيا مزرعة الآخرة[٢].

إن الأولاد قرة عين الإنسان في حياته، وبهجته في عمره، وأنسه في عيشه، بهم تحلو الحياة، وعليهم تعلق الآمال، وببركتهم يستجلب الرزق، وتتنزل الرحمة، ويضاعف الأجر. بيد أن هذا كله منوط بحسن تربية الأولاد، وتنشئتهم النشأة الصالحة التي تجعل منهم عناصر خير، وعوامل بر، ومصادر سعادة. فإن توافر للإنسان في أولاده هذا كله كانوا بحق زينة الحياة الدنيا، كما وصفهم الله ﷻ بقوله: +ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا" [٣]. وبهذا كان من دعوات النبي ﷺ الصالحات لمن يحب الإكثار من المال، والولد، فقد روى أنس ﷺ أنه دخل على النبي ﷺ ومعه أمه، وخالته فصلى بهم النبي ﷺ ثم دعا لهم بكل خير. فقالت أم أنس: يارسول الله خويدمك، ادع الله له. فدعا له بكل خير، وقال في آخر دعائه: «**اللهم أكثر ماله وولده وبارك فيه**»[٤] [٥].

وإن هذا المال وديعة وإذا استعمل في وجوه الخير ولم يجاوز به حد الاعتدال في التمتع، والإنفاق من

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤.

(٢) التصور الإسلامي والحياة والإنسان، عثمان جمعة ضميرية، دار الأرقم، الكويت ٦٧-٦٨.

(٣) سورة الكهف، الآية ٤٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب قول الله تعالى: +وَصَلِّ عَلَيْهِمْ" (رقم ٦٣٣٤) ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الجماعة في النافلة والصلاة على حصير (رقم ٦٦٠).

(٥) شخصية المسلم ، د. محمد علي الهاشمي، مرجع سابق، ص٩٣.

مأكل، ومشرب، أو ملبس، أو سكن، أو أثاث، أو مركب إلى غيرها من صنوف التمتع فإنه يكون خيراً لصاحبه وللناس أجمعين – فهو خير لصاحبه؛ لأنه اتَّبعَ هدي الرحمن، وابتعد عن ضلالات الشيطان، واتَّبع سبيل الهدى، وأعرض عن سبل الضلال، وراعى حق الله فيه في العنصرين السابقين في تمتعه، وإنفاقه، وسلك مسلك الصالحين في ترك الإسراف في الإنفاق، والأكل، والشرب: قال الله تعالى +وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟" [1]. وقال: +وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا" [2]. فبهذا يحصل له الامتنان من الرب سبحانه وتعالى، وتشمله بركاته، ويسلمه الله من الجوائح المهلكة، والبوائق الماحقة، والعكس بالعكس فإن كان هذا المال خيراً كما كان في العنصر السابق بسبب اعتدال مالكه، فإنه يكون سبباً في الطغيان إذا جانب صاحب سلوك طريق الحق، ونسى أن الله هو المنعم، وأنه الواهب له، فمن ثم أنساه الله نفسه فهذا المتاع يكون وبالاً، وعقاباً على صاحبه، فهو يهلك نفسه في طلبه الدنيا، ويشغل به عن أهله وولده، وقبل ذلك عن ربه.. وهكذا يضع القرآن أيدينا على أول مواطن الداء الدوي، ومكمن المرض العضال: + وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا" [3]. هاهنا رأس كل خطيئة، هاهنا رأس كل دنيئة، إنه مرض ذو شعبتين: شعبة تنخر في نفسية الفرد، وشعبة تنخر في كيان الأمة، والدولة فالإسراف في حب المال إذا نبت في قلب امرئٍ أذل عنق صاحبه، وهوّن عليه كل مهانة في سبيل طلبه، وقعد به عن كل مكرمة في أسلوب إنفاقه، فأصبح هو السيد المالك، وأصبح هو العبد المملوك.

من زرع الحرص حصد التنافس، والتحاسد، ثم الشقاق، والخصام، ثم تقطيع الأرحام، ثم سفك الدماء، ثم ما شئت من محن تتوارثها الأجيال. والشح مرض وبائي سريع العدوى.[4]

إن المطالب الدنيوية من حب للحياة وطول الأمول وحب الريادة والرئاسة والسيطرة وحب المال والأولاد، كل هذا إذا وظف توظيفاً طيباً حسناً واستخدم في طاعة الله عز وجل وجعل منها الداعية

---

(1) سورة الأعراف، الآية ٣١.

(2) سورة الفرقان الآية ٦٧.

(3) سورة الفجر، الآية ٢٠.

(٤) انظر: الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم، ناصر بن عبد الله العمار صـ١٦–٢٠

الحكيم محوراً في حديثه مع المدعو ودخل إليه من خلال تلبيتها وإشباعها يستطيع أن يكسب المدعو، ويؤثر فيه تأثيراً حسناً ويضمه إلى ركب الطائعين الصالحين، ومن ثم انخراطه في سلك الدعوة والدعاة، وهذا هو الغرض الأول والأساس من العملية الدعوية.

المبحث الخامس
موقف المدعو من الدعوة

تمهيد:

إن مما لاريب فيه أن المدعو قد حباه الله، وأكرمه يوم أن يسر له داعياً يدعوه إلى الحق، وصراط الله المستقيم، فإن من أعظم النعم، وأجل المنن أن يسوق الله إلى المدعو داعياً يدعوه إلى النجاة، ويحذره من غضب الله، وسخطه، ويباعد بينه، وبين دار الهوان، فكان لزاماً على المدعو أن يقابل هذا العطاء، وهذا الفضل بشكر المنعم جل في علاه، وأن ينقاد للداعية، ويستسلم لما يدعوه إليه من الخير، ولا يستكبر ويتعاظم، بل يلين، وينقاد للداعي، ويحاول أن يكافئ الداعي على دعوته، ويسدي إليه المعروف؛ لأنه هو السبب في هدايته، وإنقاذه من النار، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، كما ثبت عن نبي الهدى ﷺ.

المطلب الأول

الاستجابة

إن المدعو عندما ييسر الله له داعياً ليأخذ بيديه إلى الهدى، وإلى صراط مستقيم، ومن ثم يكون مصيره إلى جنات الخلد فإنه لحري به أن يقابل الداعي بالاحترام، والتبجيل، وأن يشكر الله ﷻ الذي هيّأ له أسباب السعادة، ويستجيب لداعي الهدى، وينخرط في ركب الهداة ينعم بهم، ويهتدي بهداهم.

فعلى المدعو أن يستجيب إذا ما دعي إلى الله، لأنه يدعى إلى الخير والحق، ويستجيب لنداء ربه جل وعلا ويترتب على المدعو بعد أن آمن بالله ما يلي:

العمل على تطبيق منهج الإسلام، وذلك أن المدعو بعد أن آمن بالله، وانقاد إلى الخير والحق، فإنه لزاماً عليه أن ينخرط في سلك العاملين بهذا الدين المطبقين لمنهجه، ونظامه في كل مجالات الحياة، ومفهوم تطبيق منهج الإسلام يعني أن يلتزم الإنسان بالإسلام عقيدة، وشريعة وسلوكاً، ومنهج حياة، يمارس ذلك في نفسه، وفي مجال بيته، وفي مجتمعه. وقال ﷻ +وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ

وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ" [(١)].

التحول إلى ممارسة الدعوة إلى الله تعالى: إن المدعو الذي هداه الله تعالى إلى الانصياع إلى الحق، ثم قام بتطبيق منهج الله لا يتم إيمانه، ولا يكمل إلا بأن يتحول إلى داعية إلى الله تعالى، يدعو غيره من الناس إلى عبادة الله وحده، واتّباع ما جاء به محمد ﷺ، وهكذا يكون العمل للإسلام، والدعوة إليه حلقة محكمة البناء يتحول المسلم فيها من مدعو إلى داع لغيره، ثم يتحول هذا المدعو إلى داع وهكذا.

إن المدعو بعد أن وفق إلى الحق، والخير فإن عليه أن يسأل، ويستوضح عن كل ما لا يعرفه، أو يشكل عليه من أمور العقيدة، والعبادات، وأمور المعاملات، وطرق الخير، وأبواب البر، وعن كل شبهة ترد عليه في دينه حتى يعبد الله، وقد خلص قلبه، وعقله من كل الشبهات.[(٢)]

فالعباد مأمورون بالاستجابة لله تعالى الذي يدعوهم من خلال هذه الرسالات التي أكرم الحق تبارك وتعالى بها عباده، إذ أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه؛ ليعبدوه، ويوحدوه سبحانه وتعالى، فكل أمة لها رسول تفضلاً من الله وكرماً حتى لا يكون للعباد عذر، ومقابل هذا الفيض الكبير يطلب منهم سبحانه وتعالى وهو الغني عن العالمين – أن يقبلوا، ولا يشركوا به أحداً.

والإنسان العاقل الواعي لا يملك إذا سمع قول الله تعالى إلا أن يقول، سمعت، وأطعت، لأن نداء الله عظيم، وهو الذي خلق الخلق، وصرف أمورهم، وبيده الملك، وهو على كل شيء قدير. واستجابة العبد لنداء خالقه، ومولاه جل وعلا شرف له، ورفعة ينال جزاءها الجنة، وما أعده سبحانه وتعالى لأهلها من أجر عظيم، ومقام رفيع.

ومن الواجبات التي أنيطت بالمدعو أن يقبل هذه الدعوة المباركة التي تنقذه من النار، وغضب الله تعالى؛ لأنها دعوة له ففيها خير، ومحتاج إليها، ففيها حياته، وفيها حريته، وفيها عزه ومنعته، فيها خيري الدنيا والآخرة.

والإنسان العاقل المدرك لعواقب الأمور سريع القبول، وعلى المدعو أن يدرك أن المراد من دعوته هو إنقاذه من النار ولا شيء غير ذلك.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

(٢) انظر: مراعاة أحوال المدعوين في ضوء الكتاب والسنة، د. حسن محمد محمود عبد المطلب، مرجع سابق، ص٥٣-٥٦.

ومن أهم الواجبات التي يجب على المدعو أداؤها – إذا بلغته دعوة الإسلام – أن يحقق الإسلام في حياته كلها، لأن معناه الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك فيقيم جميع أمور حياته على هدي هذا الدين، كي يترجم هذا القبول إلى واقع عملي ليكون القبول قولاً ينطق الشهادتين، وعملاً بالتزام منهج الإسلام في حياته كلها.

العمل على إبلاغ هذا الدين للناس أجمعين: هذا الواجب نتيجة طبيعية لالتزام المدعو بما دعي إليه، وإقامة حياته على منهج الله تعالى، وذلك لأن من ذاق حلاوة الإيمان يحرص على الدوام على أن يتذوقها إخوانه في الإنسانية لعلمه بأن هذا الدين للناس أجمعين فيقوم بإبلاغه لهم، ودعوتهم إليهم. إن من ذاق طعم الإيمان، واستقرت في نفسه الرغبة فيما عند الله سبحانه وتعالى لا يملك إلا أن يدعو بهذا الحق، ويسعى على الدوام إلى إبلاغه للناس أجمعين، لأنه يحس بأن هذا من الواجبات عليه نحو هذا الدين، وهذه النعمة الكبرى. وقد ذكر العلماء أن الدعوة لهذا الدين نتيجة طبيعية لإيمان العبد بخالقه، ومولاه جل وعلا وقيامه بتكاليف الإسلام [1]

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، الدكتور الشريف حمدان راجح المهدي الهجاوي، مرجع سابق، ص٤٢٢-٤٣١.

ودرجات الاستجابة، ومظاهرها لدى المدعو:

إن درجات الاستجابة تختلف من شخص إلى آخر، فمن المدعوين من يستجيب سريعاً، وينقلب حاله إلى الأفضل بمجرد سماع الآيات، والحجج، والبراهين، والأدلة، وينضم إلى ركب الصالحين، لأن بداخله استعداداً لتقبل الهدى، واستجابة لداعي الله ﷻ.

ومنهم من يتلكأ ويتأخر بعض الوقت ريثما يفكر في أمره، وفيما يعرض عليه من تكاليف وواجبات.

فمن المدعويين من يستجيب بإسلام جوارحه لله، والتزامه بأركان الإسلام. ومنهم من تكون استجابته أقوى فيسلم، ويؤمن، ويجمع بينهما باستجابة جوارحه لله، ورسوخ الإيمان في قلبه. ومنهم من تكون استجابته أقوى وأقوى فيسلم، ويؤمن، ويحسن، ويحقق أركان الإسلام، والإيمان، والإحسان.

أما مظاهر الاستجابة فتتمثل في الانفعال لهذا الدين، والحرص عليه، وعلى التمسك بسننه، وآدابه، والغيرة عليه، والدفاع عنه وغير ذلك مما ينم عن مدى إيمان المدعو، وإسلامه لله رب العالمين.

لقد كان من فضل الله على الدعاة، والمدعوين أن العامة أكثر الناس استجابة لما يعرض عليهم من الدعوة، وأكثرهم سليمو الفطرة أنقياء السريرة إلى حد كبير، وهذا مما يُهَوِّنُ الله به على الدعاة مشقات العمل الدعوي، ويبعث في نفوسهم الأمل لمستقبل زاهر في مجال الدعوة، قال تعالى: +فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ"(١).

فإن الفطرة السوية تهدي إلى التوحيد، والتوحيد هو أساس الإيمان، ولبه، وجوهره، وإذا صح صحت سائر الأعمال وقبلت وإذا لم تصح لم تقبل الأعمال، لذا كان على الداعية أن يستغل هذا الرصيد المركوز داخل المدعو من سلامة الفطرة الذي في الغالب يؤدي إلى سرعة الاستجابة، فإن هذا يمثل رصيداً هائلاً، وضخماً من الخير عند المدعوين يجب أولاً أن يحمدوا الله عليه، ويجب على الداعية ثانية أن يوظف هذه الاستجابة في خدمة الدعوة، وهذا ما يجعل العمل الإسلامي بحاجة ملحة إلى انتهاز الفرص، واستغلالها.

وعلى الدعاة أيضاً أن يقوموا بترشيد هذه الاستجابة، وتوظيفها لصالح العمل الإسلامي، وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

المطلب الثاني

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

الإعـراض

إن الإعراض آفة تعرض للمدعو فتكون سبباً في هلاكه، وخسارته الفادحة، إذ إن المعرض ينوء بجانبه، ويترك الحق، وأهله، ويعرض عنهم بوجهه: إما استكباراً، وإما جهلاً وكلاهما ضلال بعيد، ولذا على الداعية أن لا يمل من ملاحقة المعرض وعرض الدعوة عليه بأساليب شتى لعله يتذكر، أو يخشى.

إن المدعوين المدعوون أصناف كثيرة، وطبقات مختلفة: ومنهم المعرض عن الحق المشتغل بغيره فمثل هذا يحتاج إلى الموعظة الحسنة بالترغيب، والترهيب، والتنبيه على ما في التمسك بالحق من المصالح العاجلة، والآجلة، وعلى ما في خلافه من الشقاء، والفساد، وسيء العواقب، ولعله بهذا يستجيب إلى الحق، ويترك ما هو عليه من الباطل. ولاريب أن هذا المقام مقام عظيم يحتاج الداعي فيه إلى مزيد من الصبر، والحلم، والرفق بالمدعو تأسياً بإمام الدعوة، وسيدهم وهو محمد بن عبد الله ﷺ [(١)].

وأما المعرض عن الدين فإنه يستولي عليه الحرص الذي لا يزال يطمع به إلى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق، فعيشه ضنك، وحاله مظلمة. ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة، والمسكنة بسبب كفره، كما قال تعالى: +وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ" [(٢)]. الآيات. وذلك من العيش الضنك بسبب الإعراض عن ذكر الله. ويبين في مواضع أخر أنهم لو تركوا الإعراض عن ذكر الله، فأطاعوه تعالى لكان عيشهم واسعاً رغداً لا ضنكاً. [(٣)]

إن إعراض المعرضين له درجات:. فمنهم المكذبون المستهزئون، الذين يصدون عن سبيل الله، وقد يكون الإعراض بسبب الإهمال بغير قصد، وقد يكون الإعراض بقصد، ويتوقع من أصحابه القيام بعمل ضد الدعوة. كما حدث من مشركي مكة: الأمر بعدم سماع القرآن، واللغو فيه. وكما حدث من أهل الكتاب: الأمر بالإيمان أول النهار، والكفر آخره.

ومن مظاهر الإعراض: التعنت، وعدم الرغبة في التعرف على الحق. فإن بعض المعرضين يستمع إلى

---

(١) من أقوال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز في الدعوة، إعداد زياد السعدون، (دار الوطن، ١٤١٣هـ ص٥٢

(٢) سورة البقرة، الآية ٦١.

(٣) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، مرجع سابق، ٤١٢/٤ – ٤١٣.

الحق لا لفهمه، والاهتداء به، وإنما التماس السبيل للطعن فيه، والسخرية منه. والبعد عن سماع القرآن بقصد، وبغير قصد لدى المسلمين. وظهوره بمظهر الباحث عن الحق المستند إلى برهان في الوقت الذي يُبْطِنُ فيه خلاف ذلك.

ومن أساليب المعرضين: أنهم يطلبون الآيات لا للإيمان بها، والتصديق، وإنما تعنتاً، وعناداً لأسباب صرفتهم عن النظر إلى الآيات نظر استدلال، واستهداء.

ومن أساليب المعرضين الضغط النفسي، وكسب الوقت من خلال طلب الآيات بحجة البحث عن الحق، بينما يعرفون من أنفسهم أن القصد الضغط على صاحب الدعوة، وتعنيته، والتأثير عليه وعلى أتباعه من خلال الأيام بعدالة مطالبهم.

ومن أسباب الإعراض: الكبر، وكفران النعم، وعدم الشكر، والتقليد والهوى، وعدم توفر الظرف الاتصالي المناسب لاختلاف اللغة وغير ذلك، وجميع الأسباب تعود إلى الشك أو الشبهة.

ومن سمات المعرضين، وأوصافهم: اختلاف الشبهات، وتشويه وجه الحقيقة غرساً للريب، وحملاً على الوقوف في وجه الحق، وعجز المعرض عن مواجهة الحق ورده، وحصر وسائلهم في مواجهة الحق للسيطرة على النفوس في الشبهة، والشهوة، وصم عن التلقي، وعمي عن التبصر، ويتصفون بقلة العلم، وعدم الفهم.

ومن أهم سمات انصرافهم الإرادي عن الحق فقدهم الاستعداد الفطري للاستجابة، والقبول.

ومن صور الإعراض تنصل المدعو، ومحاولة هروبه مما يعرض إليه بما يعمد إليه من التضييق على الداعية وإحراجه، كما سألت قريش الرسول ﷺ عن حقيقة الروح(١)، طلباً لإحراجه:

عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل. فقالوا: سلوه عن الروح؟ فسألوه، فأنزل الله تعالى +وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡـرِ رَبِّي" (٢).

وللإعراض صور عدة تبدأ من التوقف، وعدم إبداء الاعتراض على ما يلقيه الداعية، وتنتهي بالتكذيب، وإلحاق الأذى بالداعية، ومضمون الدعوة نفسها.. ولكل درجة منها ما تتطلبه من المراعاة،

---

(١) سألوا عن الروح بناءً على مشورة اليهود عليهم بذلك حين طلبوا منهم أن يقولوا لهم ما يسألوا الرسول ﷺ عنه.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٥.

التي تحقق لفت انتباه المدعو إلى ما يلقى عليه، والكف عما يدور في خلده من الشك والتردد، أو التكذيب والإعراض..

ويستحسن مخاطبة المعرض بالعبارة الرقيقة التي تُشعره بلين الداعية في حقه، وحرصه على مصلحته، والإشفاق عليه من الشقاء.

ولعل من صور الإعراض ما تضمنه الشاهد التالي: عن عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما- أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر. فأبى عليه، فاختصما عند النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ للزبير: «**أسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك**» فغضب الأنصاري فقال: أنْ كان ابن عمتك! فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال: «**اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر**» فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك +فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ"[1] [2] .

من صور الإعراض، وصبر الداعية عليه أملاً في الاستجابة

فقد ظل النبي ﷺ منذ جهر بالدعوة في العام الرابع للنبوة، يدعو الناس إلى الإسلام عشر سنين، يُوافي المواسم كل عام، يتبع الحاج في منازلهم في المواسم بعكاظ، ومَجَنّة، وذي المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه، وله الجنة، فلا أحد ينصره، ولا يجيبه، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتذل لكم العجم، وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة**» وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابئ كاذب، فيردون على رسول الله ﷺ أقبح الرد، ويؤذونه ويقولون: أسرتك وعشيرتك أعلم بك، حيث لم يتبعوك، ويكلمونه، ويجادلونه، ويكلمهم، ويدعوهم إلى الله، ويقول: «**اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا**»[3].

ومن أشكال المراعاة لحال المدعوين مسألة التمهيد لقبول الحق بإسقاط الباطل، وهدمه حتى تخلو

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المساقاة، باب سكر الأنهار، (رقم ٢٣٥٩، ٢٣٦٠) ومسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب اتباعه ﷺ (رقم ٢٣٥٧).

(٢) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٣) أخرجه أحمد (٣٧١/٥) والدارقطني (٤٤/٣ رقم ١٨٦) والحاكم (٦١/١) وانظر الطبقات، ابن سعد (٢١٦/١).

النفس منه، وتتخلص منه ، وهذه المسألة فيها ضابط وهو الحرص على تخليص النفس مما تعلقت به من الباطل حتى تركن بيسر لما يعرض عليها من الحق، وحتى يتم الوصول إلى ذلك لابد من القيام، بحملة على الفئة الموغلة في الإعراض وبيان فسادها وضلالها وإنهاك نزعة الكبر والاستهتار لدى هذه الفئة، وبيان مكامن الضعف فيهم، والإخبار بشكل معجز بمصيرهم وهلاكهم، فإن ذلك يوهن كيدهم ويردعهم، ويردهم إلى مراجعة حالهم، وتأمل موقفهم، ويقيناً أن ذلك يخلف تغيراً في قناعتهم وفي موقفهم [1].

ثم في النهاية الدعاء على المدعو حين يوغل في الإنكار، والإعراض، ويكون لدى الداعية علم بأنه سبق في علم الله تعالى أنه لا يستجيب[2]، ومن ذلك ماجاء في القرآن الكريم على لسان نوح ﷺ: +رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا " [3].

وبلا شك إن الإنسان – الذي يخالجه بعض من مشاعر العلو والزهو والترفع عن قبول الحق – يحتاج إلى من يذكره بأصل خلقته وتكوينه.

وأما أسلوب التعامل مع أهل الظلم والجرأة من المدعوين الذين لايترددون في إيذاء الدعاة وأهل الحق، فهو أسلوب التخويف وبيان ما حصل لأشباههم ممن تسببوا في إيذاء الحق، وأهله، ومن ذلك ما أصاب جهجاه الغفاري[4] بإيذائه عثمان ﷺ،

---

(١) انظر السيرة النبوية، ابن هشام، المجلد الأول، في الفصول الأولى منه عند الحديث عن دلائل نبوة النبي ﷺ والبشارات بمبعثه ﷺ له على لسان الكهنة وعلماء أهل الكتاب.

(٢) وفي هذا الشأن أوحى الله تعالى إلى نوح ﷺ: +وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ" سورة هود: الآية ٣٦. كما ورد فيما رواه ابن عباس عن رسول ﷺ أنه قال: « لما أغرق الله فرعون قال: + ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ" فقال جبريل يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة » أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة يونس (رقم ٣١٠٧) والإمام أحمد في مسنده، رقم ٢٦٨١، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

(٣) سورة نوح: الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٤) هو جهجاه الغفاري مدني، هو ابن مسعود ويقال ابن سعيد بن سعد بن حرام بن غفار، يقال: إنه شهد بيعة الرضوان تحت الشجرة، وكان شهد مع رسول الله ﷺ غزوة المريسيع وكان يومئذ أجيراً لعمر بن الخطاب وكان حليفاً لبني عوف بن الخزرج. وروي

فقد أنكر الله تعالىً على المشركين عدم تفهمهم للقرآن العظيم، وتدبرهم له، وإعراضهم عنه مع أنهم قد خصوا بهذا الكتاب الذي لم ينزل الله على رسول أكمل منه ولا أشرف لا سيما آباؤهم الذين ماتوا في الجاهلية حيث لم يبلغهم كتاب ولا أتاهم نذير، فكان اللائق بهؤلاء أن يقابلوا النعمة التي أسداها الله عليهم بالقبول والقيام بشكرها وتفهمها، والعمل بمقتضاها آناء الليل، وأطراف النهار كما فعله النجباء منهم ممن أسلم، واتبع الرسول ﷺ، ورضي عنهم[1].

ولمواجهة هذه الفئات السافرة في عدائها ومواجهتها لابد من: العمل على صدها بقوة بما يليق بها، ومن ضروب هذا الصد، وتلك المواجهة الهجاء الذي طلبه الرسول ﷺ من حسان بن ثابت رضي الله عنه لكفار قريش..))[2].

ولابد من تهيئة النفوس للسماع بالتدرج في الدعوة، فالحجة لا تقوم على المدعوين إلا بالسماع[3]، ولذا أمر الله تعالى رسوله ﷺ بإجارة المستجير من المشركين، لأن إجارته تهيئة لنفسه للسماع، فقال تعالى: +وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ" [4].

وقد كان ﷺ يهيئ نفس أصحابه للسماع، فقد روى البخاري عن جرير أن النبي ﷺ قال له في حجة الوداع: استنصت الناس فقال: «**لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»[5].

فدل الحديث على أنه ﷺ استنصت أصحابه قبل أن يعظهم ليهيئ نفوسهم لسماع كلامه، ثم حفظه ثم العمل به، ونشره، وقد ذكر ابن حجر حكمة عظيمة بين فيها التدرج في تلقي العلم، وأن أوله الاستماع فقال: قال سفيان الثوري وغيره: أول العلم الاستماع، ثم الإنصات، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم

أن جهجاه هذا هو الذي تناول العصا من يد عثمان وهو يخطب، فكسرها يومئذ فأخذته الأكلة في ركبته. وكانت عصا رسول الله ﷺ. مات بعد عثمان رضي الله عنه بيسير. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، مرجع سابق، (رقم ٣٥٩).

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٣٣٤/٣.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، مرجع سابق، ٣٤٤/١.

(٣)التفسير الكبير، ابن تيمية مرجع سابق، ٣٣/٦.

(٤) سورة التوبة، الآية ٦.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، (رقم ١٢١) ومسلم، كتاب الإيمان، باب لا ترجعوا بعدي كفاراً (رقم ٦٥)..

النشر[١].

إن النفوس المستمعة أصناف، منها المعرض الممتنع، ومنها من سمع، ولم يفقه المعنى، ومنها من فقه، ولم يقبل، ومنها من سمع سماع فقه، وقبول[٢]. وهذا الأخير هم الذين تتهيأ نفوسهم للقبول، وقد ذكرهم الله بقوله: +وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ"[٣].

وبشَّرهم، وأثنى عليهم بقوله سبحانه: +فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ"[٤] وبشرهم ﷺ وأثنى عليهم بقوله: «**نضّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه، حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه، إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه، ليس بفقيه**»[٥]. هذا الصنف المستمع سماع فقه وقبول، هم الذين تدرج الشارع في دعوتهم، فكانت التشريعات الإلهية، والتوجيهات النبوية، تتدرج في تهيئة نفوسهم للقبول شيئاً فشيئاً.

لاشك أن الحكمة في هذا التدرج الحكيم، تهيئة النفوس للقبول، وإلى ذلك يشير ابن حجر في قوله:... فلما اطمأنت النفوس على ذلك، أنزلت الأحكام، ولهذا قالت: أي عائشة –رضي الله عنها–: ولو نزل أول شيء لاتشربوا الخمر لقالوا: لاندعها[٦]. وذلك لما طبعت عليه النفوس، من النفرة عن ترك المألوف[٧].

إن قبول النفوس للحق، واتعاظها بالمواعظ يؤدي لاشك إلى رسوخها في الحق، وثباتها عليه، يدل

(**١**)فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ١/٢٩٤.

(**٢**) انظر: التفسير الكبير ابن تيمية، مرجع سابق، ٦/٣١٢.

(**٣**) سورة المائدة، الآية ٨٣.

(**٤**) سورة الزمر، الآية ١٧.

(**٥**) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم (رقم ٣٦٦٠) والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (رقم ٢٦٥٦) وقال: حديث حسن. والنسائي في الكبرى، كتاب العلم، باب الحث على إبلاغ العلم (رقم ٥٨١٦) وابن ماجه، المقدمة، باب من بلغ علماً (رقم ٢٣٠).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن (رقم ٤٩٩٣).

(**٧**)فتح الباري، ابن حجر ، مرجع سابق، ١٠/٤٨.

على ذلك قوله ﷻ: +وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا "[١].

فمن الواجبات على المدعو أن يستجيب للداعي، ويخضع للحق، بل ويسرع إلى الخير الذي يُدعى إليه، فإن الله قد أعطى هذا الإنسان عقلاً يميز به بين الحق، والباطل، والخير، والشر، والنافع والضار، والهدى، والضلال. لذا كان لزاماً على المدعو أن يستجيب لداعي الخير باتباع هذه الشريعة، والإيمان بهذا الدين، والاستجابة لهذا النبي ﷺ ولمن يخلفه في دعوته وإن على المدعو أن يدخل في دين الإسلام إن كان على غير ملة الإسلام وهو مطالب إن كان مسلماً على معصية بأن يكف عن معصيته ويخرج من إثمها، وذلها، بل يفر منها، ويدلف إلى رياض الطاعة، ويتنسم أريج الإيمان. ومطالب أيضاً إن كان من المسلمين المتقين أن يستمر على طاعته، وتقواه، وأن يستزيد منها ومن عمل الخيرات.

فالمدعو مطالب أن يستجيب، وينصاع إلى الحق، فهذا هو الواجب المتعلق بذمته، ولا محيد عنه. فلابد من آداء هذا الواجب، وإلا تحمل عاقبة تفريطه، وإعراضه.

إن المدعو ليس مخيراً بين الاستجابة، وعدمها، بل هو مطالب بالاستجابة إن أراد لنفسه النجاة والفوز، والفلاح في آخرته، ودنياه.

إن المدعو مطالب، وملزم بالخضوع للحق، والمسارعة إلى الخير، وليعلم أنه لا يعفيه من المساءلة والمؤاخذة عذر طالما أنه سمع الداعي إلى الله، فليس له حجة بل عليه أن يسأل ويستوضح، ويستفسر إذا خفي عليه شيء من الدين صغر، أم كبر، فلا بد من العلم، والتعليم حتى يعبد الله على بصيرة ويكون على بينة من أمر دينه. ومن أجل ذلك أوجب الله على الدعاة والعلماء أن يبينوا، ويوضحوا، ويزيلوا الشبة والشكوك، والأوهام عن كل ما يمس الحق بصلة، ومن لم يفعل أو ينتهي فقد عرّض نفسه للعقوبة، والمؤاخذة فعلى العلماء، والدعاة تبيين الحق للناس، وعدم كتمانه، أو كتمان شيء منه.

وليس للمدعو عذر في أن يترك مجالاً يقول فيه: لا أعلم رأي الإسلام في ذلك. فالأصل في المسلم أن يعلم ثم يعمل بعد العلم، ومن أجل ذلك كان لزاماً على المدعو إذا علم واستجاب لداعي الحق والخير أن ينظم إلى هذا الركب المبارك لكي يقوم بدور الداعي إلى الله، فيتحول من مدعو إلى داعٍ، وهذه منة عظيمة من المنن الربانية على المسلم فقد كان بالأمس مدعواً تلقى على سمعه الآيات، والأحاديث التي

---

(١) سورة النساء، الآية ٦٦.

تدعوه إلى الدخول في الإسلام إن كان كافراً، أو تدعوه إلى الطاعة إن كان عاصياً، أو تدعوه للتقوى إن جاء على ضلالة، أو تدعوه للسنة إن كان على بدعة ثم إنه اليوم يقوم بدور الداعي فيدعو غيره لينقذه من الضلال، والكفر، والنار؛ ليدخله في حظيرة الإسلام، ودوحة القرآن، وجنة الخلد بإذن الملك الديان كان بالأمس تلميذاً يدعى فهو اليوم مدرساً يدعو غيره، ويعلم سواه فينخرط في سلك الدعاة، وينال الخيرية التي نالت الداعية إلى الله ﷻ.

وليست العبرة للداعي والمدعو في أن يستوعب الإسلام نظرياً، ويعرف مبادئه، وقيمه، وآدابه معرفة نظرية ثم لا يعمل بها، بل لابد من التطبيق العملي، فإن الإيمان لا يكون إيماناً إلا إذا صدقه العمل، فليس الإيمان بالتمني، ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب، وصَدّقه العمل.

الفصل الثالث

المدعو باعتبار مجتمعه

المبحث الأول: طبيعة مكان وزمان المدعو

المبحث الثاني: الرصيد المعرفي والثقافي للمدعو

المبحث الثالث: لغة المدعو

المبحث الرابع: العادات والأعراف والتقاليد في مجتمع المدعو

المبحث الخامس: مكانة المدعو في مجتمعه.

المبحث السادس: الروابط والعلاقات الاجتماعية للمدعو

المبحث الأول
طبيعة مكان وزمان المدعو

المطلب الأول
طبيعة مكان المدعو

إن المكان الذي يقطنه المدعو له أثره البالغ في تكوينه، ورسم طباعه، إذ البيئة الغالبة على مكان المدعو لها سمات ليس بوسع المدعو الانفكاك منها

فأهل المدينة دعوتهم تختلف عن دعوة أهل الريف، وكذلك أهل البادية الذين يعيشون في الصحراء لهم دعوة تخصهم، وتليق بهم فلكل من هذه الأماكن تأثيره الخاص على الساكنين فيه، حتى إن من يعيش مع الغنم ليس كمن يعيش مع الإبل، فإن الأولين رقاق القلوب فيهم لين وسهولة بعكس الآخرين ففيهم غلظة، وقسوة، وشدة، فينبغي على الداعية أن يراعي أحوال كل طائفة بما يتناسب مع البيئة، والمكان الذي يعيش فيه.

من وجوه المراعاة لأحوال المدعو تيسير مكان الصلاة بجعل الأرض مسجداً وطهوراً... ويكمن في ذلك – فيما يتصل بدعوة الناس، والتأثير عليهم – انبهار، وإعجاب الإنسان حين يرى مثل هذه المشاهد.. وذلك بتيسير عرض وأداء هذه العبادات في كل مكان ليتاح للجميع مشاهدتها..

"إن اتخاذ المكان الذي يجمع الداعية بالمدعو ويكون مأرزاً يجذب الناس إليه من أهم ما راعاه الهدي الدعوي للإسلام، وذلك باتخاذه المساجد وجعلها من أول اهتماماته... ولعل ذلك جلي في هدي الرسول ﷺ فيما يلي:

إن كل قبيلة تدخل في الإسلام تبني لنفسها مسجداً في حَيِّها وسط ساحتها"(١)، وكان النبي ﷺ قد أقام المُصَلات، وبنى المساجد بمكة، بعد فتحها، وتحطيم ما كان داخل الكعبة وفوقها وحولها من الأصنام، وإن جميع عمال النبي ﷺ على الصدقات قد قاموا ببناء المساجد في

---

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن محمد بن منيع البصري، مرجع سابق، ، ١/٣١٦، ٣١٧.

ساحات منازل، وأحياء، وديار هذه القبائل، وتولوا بأنفسهم تحفيظ أهل هذه القبائل، والبلدان القرآن، وتفقيههم في الدين.

ومن نتائج المراعاة لكثرة أماكن المدعوين، وتنوعها انتشار الدعوة في أكبر بقعة ممكنة"[١].

فقد أحرزت الدعوة الإسلامية عند عودة وفود هذه القبائل وحجيجهم إلى بلادهم، ومنازلهم وديارهم بعض النجاحات مثل ما حدث في بلاد اليمن في ديار قبيلة همدان التي عاد وافدها من مبايعته للنبي ﷺ في موسم الحج بنبأ مبعث النبي ﷺ وأمر دعوة الإسلام، فاستجاب له بعض أبناء قبيلة همدان "[٢].

وكان النبي ﷺ يتتبع منازل الحجيج، في المنازل المرتبطة بمناسك الحج، مثل منى، والعقبة والموقف[٣]؛ وأيضاً في منازلهم المرتبطة بأسواق العرب المجاورة، والمحيطة بمكة، وهي: عكاظ، ومَجَنّة، وذي المجاز؛ فكأنه ﷺ لم يدع مجتمعاً تجتمع فيه وفود العرب في الموسم، إلا قصده".

جاء عرض النبي ﷺ نفسه على قبائل العرب في موسم الحج، بأحسن النتائج في تاريخ الدعوة الإسلامية، وهي دخول أهل يثرب من قبيلتي الأوس والخزرج في الإسلام ومبايعتهم للنبي ﷺ في موسم الحج. وأصبح موسم الحج – بعد تمام فتوح الإسلام زمن الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية – مؤتمراً عالميًّا للدعوة الإسلامية، فمكة هي مهوى أفئدة جميع المسلمين من شعوب العرب، والعجم على السواء.

فلابد من وجود دار تيسر وصول الدعوة للمدعوين. فقد حققت دار الدعوة بالحبشة عدة نجاحات؛ كان من أهمها دخول عدد من أهل الحبشة في الإسلام في فجر الدعوة"[٤].

"ثم ما لبث نبأ مبعث النبي ﷺ أن طار أيضاً من أرض الحبشة إلى بلاد الشام، فقدم بعض

---

(١) انظر المرجع السابق، ٢١٧/١، والبداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، ١٤٦/٣.

(٢) انظر السيرة النبوية، ابن هشام، ٥٦٠/٢،٥٥٩.

(٣) انظر تاريخ الإسلام، الذهبي، مرجع سابق، ١٦٦/١، ١٦٧. وانظر الطبقات، محمد بن محمد بن منيع البصري، مرجع سابق، ٢١٧/١ – ٢٢١.

(٤) انظر تاريخ الرسل والملوك، الطبري، مرجع سابق، ٣٦٦/٢.

أهل الشام إلى الحبشة، للتثبت من هذا النبأ" [١].

أما ما يتعلق بطبيعة الأرض من جبالها، وقفارها، وبحارها، ونباتها، وحيواناتها فهي تدلهم على توحيد الله سبحانه، وأنه الخالق لذلك، الرزاق له المحيى، والمميت، ولكن أكثر الناس يمرون على هذه الآيات غير متأملين لها، ولا مفكرين فيها، ولا ملتفتين إلى ما تدل عليه من وجود خالقها، وأنه المتفرد بالألوهية

إن أحوال الناس تختلف، فرب رجل تكون له قوة على سكنى الكهوف، والغيران في الجبال وهي أرفع الأحوال، لأنها الحالة التي اختارها الله لنبيه ﷺ في بداية أمره، ونص عليها في كتابه مخبرا عن الفتية فقال: +وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ" [٢] **. ورب رجل تكون العزلة له في بيته أخف عليه، وأسهل، وقد اعتزل رجال من أهل بدر، فلزموا بيوتهم بعد قتل عثمان، فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم، ورب رجل متوسط بينهما، فيكون له من القوة مايصبر بها على مخالطة الناس، وأذاهم، فهو معهم في الظاهر، ومخالف لهم في الباطن. وذكر ابن المبارك حدثنا وهيب بن الورد قال: جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال: إن الناس وقعوا فيما فيه وقعوا ! وقد حدثت نفسي ألا أخالطهم؟ فقال: لاتفعل ! إنه لابد لك من الناس، ولابد لهم منك، ولك إليهم حوائج، ولهم إليك حوائج، ولكن كن فيهم أصم سميعا، أعمى بصيرا، سكوتا نطوقا. وقد قيل: إن كل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معنى الجبال، والشعاب مثل الاعتكاف في المساجد، ولزوم السواحل للرباط، والذكر، ولزوم البيوت فرارا عن شرور الناس، وإنما جاءت الأحاديث بذكر الشعاب والجبال واتباع الغنم، والله أعلم، لأن ذلك هو الأغلب في المواضع التي يعتزل فيها، فكل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معناه، كما ذكرنا والله الموفق، وبه العصمة. وروى عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:** «يعجب ربك من راعي غنم في رأس شظية الجبل يؤذن بالصلاة ويصلي فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة»[٣][١].

---

(١) انظر أسد الغابة، ابن الأثير، مرجع سابق، ١/٤٤

(٢) سورة الكهف، الآية ١٦.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب صلاة السفر، باب الأذان في السفر (رقم ١٢٠٣) والنسائي، كتاب الأذان، باب الأذان لمن يصلي وحده (رقم ٦٦٤) وأحمد (٤/١٥٧) وابن حبان (٤/٥٤٥ رقم ١٦٦٠).

ومن المدعوين المتأثرين بالمكان: الأعراب: فعن أبي هريرة قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء، أو ذنوبا من ماء فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»[٢].

ومن صور التعامل مع الأعراب ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه " أن النبي ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل فصلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ، فقال: «ارجع فصل، فإنك لم تصل». فرجع فصلى كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ، فقال: «ارجع فصل، فإنك لم تصل» – ثلاثا – فقال: والذي بعثك بالحق لا أحسن غيره، فعلمني، فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا. وافعل ذلك في صلاتك كلها». [٣] الكلام عليه من وجوه:

الأول: فيه الرفق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإن النبي ﷺ عامله بالرفق فيما أمره به، كما قال معاوية بن الحكم السلمي: فما كهرني. ووصف رفق رسول الله ﷺ به. وكذلك قال في الأعرابي "لا تزرموه " **ولم يعنفه. وفيه حسن خلق النبي ﷺ. وفيه تكرار رد السلام مرارا، إذا كره المسلم، كما ورد في بعض طرقه، مع الفصل القريب[٤].**

"راجعت سنن أبي داود فوجدت في آخر الحديث ما يؤيد ما قلته، وهو قصة الأعرابي الذي جبذ رداءه ﷺ،فدعا رجلاً فأمره أن يحمل له على بعيره تمراً وشعيراً. وفي آخره: ثم التفت إلينا، فقال: انصرفوا رحمكم الله تعالى. ثم احتج النووي بعمومات تنزيل الناس منازلهم، وإكرام ذي الشيبة، وتوقير الكبير [٥].

ثبت عن أنس رضي الله عنه أنه قال : كنا نهينا في القرآن أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ، مرجع سابق، ٣٦٢/١٠.

(٢) أخرجه البخاري،كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، (رقم ٢٢٠) ومسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد (رقم ٢٨٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم (رقم ٧٥٧) ومسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة... (رقم ٣٩٧).

(٤) إحكام الأحكام، تقي الدين أبي الفتح، مرجع سابق، ٢٥٦/1.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق،٥٣/١١.

يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله، ونحن نسمع [1]، وزاد أبو عوانة في صحيحه: وكانوا أجرأ على ذلك منا، يعني أن الصحابة واقفون عند النهي، وأولئك يعذرون بالجهل، وتمنوه عاقلاً ليكون عارفا بما يسأل عنه. وظهر عقل ضمام في تقديمه الاعتذار بين يدي مسألته، لظنه أنه لا يصل إلى مقصوده إلا بتلك المخاطبة. وفي رواية ثابت من الزيادة أنه سأله: من رفع السماء، وبسط الأرض وغير ذلك من المصنوعات، ثم أقسم عليه به أن يصدقه عما يسأل عنه، وكرر القسم في كل مسألة تأكيدا، وتقريرا للأمر، ثم صرح بالتصديق، فكل ذلك دليل على حسن تصرفه، وتمكن عقله، ولهذا قال عمر في رواية أبي هريرة: ما رأيت أحداً أحسن مسألة، ولا أوجز من ضمام[2].

ومما يتصل بالمكان موقع المدعو من الداعية حين توجيه الخطاب له، ومدى تمكنه، وهو في موقعه من سماع كلام الداعية وإدراكه، مما يتطلب من الداعية أن يتبوأ مكاناً كي يتيسر له إيصال صوته لجميع سامعيه، وإلى ذلك أشار ابن حجر في استنباطه من حديث خطبة حجة الوداع:

وعن صالح بن بشير بن فديك أن فديكاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنهم يزعمون أن من يهاجر لك هلك؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا فديك أقم الصلاة، واهجر السوء، واسكن من أرض قومك حيث شئت»[3] قال أبو حاتم رضي الله تعالى عنه: قوله ﷺ: «أقم الصلاة» أمر فرض على المخاطبين في بعض الأحوال لا الكل. وقوله ﷺ: «واهجر السوء» فرض على المسلمين كلهم في كل الأحوال، لئلا يرتكبوا سوءًا بأنفسهم من المعاصي، وبغيرهم مما لا يرضى الله من الأفعال. وقوله ﷺ: «واسكن من أرض قومك حيث شئت» أمر إباحة، مراده الإعلام بأن تارك السوء على ما وصفنا لا ضير عليه أي موضع سكن، وإن لم يقصد المواضع الشريفة" [4].

ومما يتصل بالمكان الظرف المكاني الذي يتهيأ بسببه حصول المحظور: كأماكن الخلوة بين الرجل والمرأة، وقد ورد في حديث مرفوع أخرجه الترمذي من حديث جابر رفعه: «لا تدخلوا على

---

(١) صحيح مسلم، باب السؤال عن أركان الإسلام، (رقم ١٢).

(٢) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ١/١٥٣.

(٣) أخرجه ابن حبان (١١/٢٠٢ رقم ٤٨٦١) والطبراني في المعجم الكبير (١٨/٣٣٦ رقم ٨٦٢).

(٤) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، مرجع سابق، ١١/٢٠٢.

المغيبات، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» (١) **ورجاله موثقون لكن مجالد بن سعيد مختلف فيه، ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «لا يدخل رجل على مغيبة الا ومعه رجل أو اثنان»** (٢) ...

إن طبيعة مكان المدعو لها أهمية كبرى في المجال الدعوي، فلم يكن رسول الله ﷺ ليدع حشود الناس في الأسواق من غير دعوة، وبلاغ، فهو يرى ﷺ أن اجتماعهم في مثل هذه الأماكن وسيلة دعوية هامة من أجل أن يبلغ رسالة ربه فكان من هديه عليه الصلاة والسلام أن يتردد على الأسواق، ويقف على كل قبيلة، ويعرض عليهم دعوة الله عز وجل ويرغبهم في دين الله سبحانه وتعالى ويعدهم، ويبشرهم بالتمكين في الأرض، والسيادة، وبلوغ المكانة العالية في جنات النعيم. فقد كان ﷺ يوافي المواسم كل عام يتبع الحاج في منازلهم في المواسم بعكاظ، ومجنة، وذي المجاز، وكان ﷺ يسأل عن القبائل، ومنازلها قبيلة قبيلة، ويدعوهم فعن طارق بن عبد الله المحاربي رضي الله عنه قال: إني بسوق ذي المجاز إذ مر رجل عليه حلة من برد أحمر، وهو يقول: **«يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»**. ورجل خلفه قد أدمى عرقوبيه، وساقيه يقول: يا أيها الناس إنه كذاب فلا تطيعوه. فقلت: من هذا؟ قالوا: غلام بني هاشم الذي يزعم أنه رسول الله وهذا عمه عبد العزى (٣)

وكذلك ينبغي على الدعاة أن يستغلوا مثل هذه الفرص العظيمة لاجتماع الناس سواء في الأسواق، أو في موسم الحج، ففي اجتماع الناس في مثل هذه الأماكن لا يكلف الداعي مشقة السفر إلى هؤلاء المدعوين في بلدانهم، وأماكنهم، وإن المدعو في الأماكن المقدسة يكون أقرب إلى الاستجابة، فينتهز الداعية الفرصة - في مثل هذه الأماكن - ليعرض دعوته على الناس ويأمل أن تؤتي ثمارها طيبة فيستجيب الحجاج لدعوة الداعي، فعلى الداعي الحكيم أن ينتهز مثل هذه الفرص ويوظف هذه الأماكن لعرض دعوته، وبث رسالته.

---

(١) أخرجه الدارمي، كتاب الرقاق، باب الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم (رقم ٢٧٨٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها (رقم ٢١٧٣).

(**٣**) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٧٩/٨ رقم ٨١٧٥) قال الهيثمي في المجمع (٢٣/٦) فيه أبو جناب الكلبي وهو مدلس وقد وثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال الحاكم (٦١٢/٢): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

المطلب الثاني

طبيعة زمان المدعو

إن على الداعية الحكيم أن يراعي الزمن الذي يدعو فيه، ويربط المدعو بفضيلة الوقت، ويحثه على وظيفة ذلك الوقت إن كان فرضاً، أو نافلة. فزمن المدعو لا يخلو من طاعة تؤدى فيه، فإن كان وقت صلاة، أو صيام، أو حج، أو أداء زكاة حثه على القيام بوظيفة الوقت فأدى ما فرض الله عليه، وإن كان الوقت وقتاً ليس فيه فريضة تؤدى فلا يخلو من عمل صالح يملأه من صلاة نافلة، أو صيام تطوع، أو غير ذلك من أعمال البر والخير، فلقد جعل الله عز وجل في كل يوم وليلة لعباده المؤمنين وظائف لطاعته، وجعل سبحانه لبعض الأوقات، والشهور فضلاً على بعض، فقال سبحانه وتعالى: +مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ"[1] وقال سبحانه: +ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ"[2] وقال عز وجل: +شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ"[3] كما جعل سبحانه بعض الأيام، والليالي، أفضل من بعض، وجعل ليلة القدر خيراً من ألف شهر، وأقسم سبحانه بالعشر، وهي عشر ذي الحجة.

فليس هناك وقت، أو زمن إلا وفيه لله طاعة يتقرب بها العبد إلى مولاه، فعلى الداعية الحكيم أن يستغل هذه المواسم، ويتعرض لهذه النفحات، لعل الله عز وجل أن يصيبه من نفحاته ولطائفه بفضله ورحمته. فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور، والأيام، والساعات، وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من الطاعات، والوظائف، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد بها سعادة، لا شقاء بعدها أبداً. فكم من قائم لله في الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حضرته، وكم من نائم في الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله عز وجل للعابدين غداً، فاغتنموا الساعات، والليالي، والأيام، فإنما الليالي والنهار مراحل، ينزلها الناس مرحلة مرحلة، حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

إن تجمع الناس في أوقات المناسبات الخاصة، مثل: يوم الجمعة، الأعياد، الصيام، الحج، الكسوف والخسوف.. الخ، وعنايتهم بما يحدث فيها وتهيؤ نفوسهم لما يلقى عليهم فيها يعد من المناسبات الزمانية الخاصة، التي يجب أن لايغفلها الداعية، ويحرص على اغتنامها للتأثير في مخاطبيه، ومن ذلك الكسوف، أو الخسوف وما شُرع فيهما من صلاة رُغِب في التجمع لها وأدائها[1].

وقد كان النبي ﷺ يَؤُمّ المسلمين، ويُجَمِّع بهم ويخطب فيهم، في المواسم، والأعياد، والمناسبات الدينية، التي صارت من شعائر، وسنن، ومناسك الإسلام؛ مثل: خطبة العيدين، وخطبة استقبال شهر رمضان المعظم، التي كان النبي ﷺ يخطبها في آخر ليالي شهر شعبان[2]... ومن خطب الموسم، خطبه ﷺ في مناسك الحج بمنى وعرفات في حجة الوداع سنة ١٠هـ، وذلك بعد فتح مكة، وتطهير الكعبة من الأصنام، والأوثان، ودنس المشركين.

ومما يُراعى به المدعو – حين تقدم جيوش الفتح الإسلامي بلدة فاتحة لها، الخطابة[3] ؛انتهازاً لهذه المناسبة التي يغلب على الناس فيها التأثر، والانبهار بما يدور في ساحتهم، فيكون لهذه الخُطب أثرها الفاعل، إذا ضمنها الداعية ما يناسب الحال، ويلابس المقام.

تأثر أحوال الناس، وتغيرها بمرور الزمان: وقد عارض بعض العلماء قوله ﷺ: «**خير الناس قرنى**»[4] بقوله ﷺ: «**خير الناس من طال عمره، وحسن عمله، وشر الناس من طال، عمره، وساء عمله**»[5] قال أبو عمر: فهذه الأحاديث تقتضي مع تواتر طرقها، وحسنها التسوية بين أول هذه الأمة، وآخرها، والمعنى في ذلك ما تقدم ذكره من الإيمان، والعمل الصالح في الزمان الفاسد الذي يرفع فيه من

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٥٣٣/٢.

(٢) أخرجه ابن خزيمة رقم (١٨٨٧) ١٩١/٣ قال: باب فضائل شهر رمضان – إن صح الخبر.

وقال ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال رقم (١٤٣٢) ٢٩٣/٥ عبد العزيز بن عبد الله هذا عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات.

(٣) انظر تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد السيد، مرجع سابق، ص ٢٣٧-٢٣٩.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (رقم ٢٦٥٢) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (رقم ٢٥٣٣) (٢١٢).

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب منه (رقم ٢٣٣٠) والدارمي، باب أي المؤمنين خير (رقم ٢٧٤٢) والحاكم (٤٨٩/١) وأحمد (١٨٨/٤) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

أهل العلم والدين، ويكثر فيه الفسق والهرج، ويذل المؤمن، ويعز الفاجر، ويعود الدين غريبا كما بدأ، ويكون القائم فيه كالقابض على الجمر، فيستوي حينئذ أول هذه الأمة بآخرها في فضل العمل إلا أهل بدر، والحديبية، ومن تدبر آثار هذا الباب تبين له الصواب، والله يؤتي فضله من يشاء "(١).

ومن الأحوال المشتركة للمكان والزمان: الحر والسموم: فعن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: إنما نزل القرآن على قدر معرفتهم، ألا ترى إلى قول الله تعالى ذكره +وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا" (٢) وما جعل لهم من السهول أعظم، وأكثر، ولكنهم كانوا أصحاب جبال. ألا ترى إلى قوله: +وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ"(٣) وما جعل لهم من غير ذلك أعظم منه، وأكثر، ولكنهم كانوا أصحاب وبر وشعر. ألا ترى إلى قوله: +وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ" (٤) يعجبهم من ذلك وما أنزل من الثلج أعظم، وأكثر، ولكنهم كانوا لا يعرفون به. ألا ترى إلى قوله: +سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ" (٥) وما تقي من البرد أكثر، وأعظم، ولكنهم كانوا أصحاب حر.

إن الناس تتغير أحوالهم وأمزجتهم بالهواء "المناخ" وبالمناطق وطبيعتها " والبرد والصقيع، والريح والعواصف، والبرق، والرعد، والأمطار، والقحط، والجدب. فينبغي على الداعية الحكيم أن يراعي أحوال المدعوين وهم في تلك الحالات، وأن يستغل هذه الظواهر، ويوظفها في خدمة هؤلاء المدعويين، وتنبيههم على فضل الله، ورحمته، وتخويفهم من عذاب الله، وعقابه، وربط قلوبهم بخالقهم سبحانه وتعالى.

فعلى الداعية الحكيم أن يربط قلوب المدعوين بالظواهر الطبيعية التي تعرض له مثل برد الشتاء وزمهريره، فيربط بين زمهرير الشتاء وزمهرير جهنم – والعياذ بالله – فيوجب على المدعو الاستعاذة منها والعمل على ما ينجيه من بأسها. ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن، ، مرجع سابق، ٤/١٧٣.

(٢) سورة النحل، الآية ٨١.

(٣) سورة النحل، الآية ٨١.

(٤) سورة النور، الآية ٤٣.

(٥) سورة النحل، الآية ٨١.

«إن لجهنم نفسين: نفساً في الشتاء ونفساً في الصيف. فأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها، وأشد ما تجدون من الحر من سمومها» [1] .

فيربط الداعية بين ما يحدث في الكون من حر وبرد وغيرها وما يكون في الآخرة؛ ليكون المدعو أقرب للاستجابة، وأحرى للطاعة، فإن شدة الحر تذكر بما في جهنم من الحر، والنار، والجحيم - والعياذ بالله - ويكون ذلك مدعاة للإقلاع عن الذنب، والحرص على الطاعة وفعل الخير.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر (رقم ٥٣٧) ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة (رقم ٦١٧).

المبحث الثاني

الرصيد المعرفي، والثقافي للمدعو

المطلب الأول

المستوى العلمي للمدعو

إن المستوى العملي، والمعرفي لدى المدعو له تأثير كبير في استجابة المدعو، أو عدم استجابته فمن المدعوين – من يكون عالي الثقافة ملماً بالمعارف، فإذا تليت عليه الآيات والأحاديث، وفهم المراد منها – استجاب سريعاً، ومنهم من يجادل ويحاور ويراوغ، فيكون علمه وثقافته وبالاً عليه، والعياذ بالله . ومن الأميين – ومن ليس له ثقافة، أو علم، أو معرفة إذا سمع الحق فإنه يستجيب، ويؤمن وينقاد، وإن لم يستوعب ما يلقى عليه كاملاً، فمجرد أن يلامس الحق شغاف قلبه يسارع إلى الانقياد والاستسلام لكل ما يلقى عليه من الحق.

وإن مما يتصل بالمستوى العلمي للمدعو ما يترتب على الإبهار الذي يقع المدعو فيه مما يلحظه في الداعية، وعمله، ونتائج ذلك العمل، مما يملك عليه عقله، ولبه، ويدفعه إلى التأثر بما يراه، والإيمان به.

إن المدعو الأمي قد يكون فيه سلبيات وإيجابيات: أما السلبيات التي قد تعترض الداعية في عمله هي عدم الفهم، وعدم الفقه لما يلقي عليه فيجد الداعية صعوبة في إيصال الحق إليه، وقد يتجرأ المدعو الأمي على المعصية، وعدم تعظيم شعائر الله نتيجة الجهل والأمية التي يتصف بها؛ لذا كان لزاماً على الداعية الحكيم أن يسعى جاهداً لإزالة الأمية والجهل عن المدعو. أما الإيجابية التي قد تكون موجودة في المدعو الأمي أن يكون سهل القيادة، فينقاد للداعية من أقرب طريق، فليس لديه مقررات سابقة تمنعه من الخضوع للحق، وليس عنده شكوك وشبهات، تحول بينه وبين الحق الذي يعرض عليه.

فينبغي على الداعية أن يراعي حال المدعو الأمي: سواء كانت هذه المراعاة للسلبيات، والإيجابيات لدى المدعو، والأمي يحتاج إلى إفهام يناسب حاله، ويعينه على الفهم، وإدراك المقصود، ومن سبل ذلك وميسراته تقريب المعاني، والصور بأشباهها الحاضرة في ذهنه كضرب المثل.

أما المدعو المتعلم فله طريقة خاصة تتناسب مع حاله ووضعه، من حيث العلم الذي عنده، فإن كان لديه علم نافع يعينه على الفقه في الدين فهذا خير إلى خير، ونور على نور ومن ثم يجب على الداعية الحكيم أن ينتهز الفرص، ويوظف ما لدى المدعو من علم في خدمة ونجاح العملية الدعوية.

أما إذا كان لدى المدعو علم ليس بنافع، بل قد يكون ضرره أكثر من نفعه، أو ليس فيه نفع أصلاً كعلم الكلام، والفلسفة، والسحر، والنجوم، فعلى الداعية حينئذٍ مراعاة حال هذا المدعو بما يتناسب معه في دحض ما لديه من شبه، وشكوك، وإزالة الخرافات العالقة بذهن المدعو. ومن هنا يكون العبء ثقيلاً على الداعية مع هذا الصنف من الناس.

وينبغي على الداعية بيان درجة هذا المتعلم، وعلمه.. وبيان المراعاة الدعوية لتلك الدرجات:

إن الداعية الرفيع في علمه يجب أن لا يستنكف عن أخذ العلم عمن هو أقل منه رتبة، وهنا يتحقق مطلب مهم وهو إحساس وشعور المخاطبين بتواضع الداعية لهم واعتباره لما لديهم من علم يفرح بأخذه عنهم، فيتيسر بهذه المعاملة إشعار المدعو بمدى نفعه، وجدوى علمه وبركة جهده، فيكون ذلك سبيلاً لتشجيعه على المضي في مسلكه، والاستمرار فيه، والصبر على ما يلاقيه بسببه من عنت وجهد.

إن المتعلم في أي درجة من ذلك يعينه على التلقي، والقبول، ويحقق له الارتياح ما يجده من الداعية من حسن عرضه لموضوعاته، وترتيبها والربط فيما بينها بصورة منسقة سهلة.

ومقدار ما لدى المدعو من معرفة يجب أن يكون في اعتبار الداعية مهما كان قليلاً، إذ هذا القليل هو التكئة التي ليس بوسع الداعية الاعتماد على غيرها مما لدى المدعو، وعلى الرغم من تواضعها فإنها – بحسن مراعاة الداعية لها– كافية لإفهام المدعو وإقناعه.

إن الداعية الحكيم مطالب بأن يراعي حال المدعو سواء أكان أميًّا، أو متعلماً، وعليه مع كل صنف من هؤلاء أن يسلك مسلك المستبصر بمواقع كلامه، فيدعو الأمي بطريقة سهلة بعيدة عن التكلف، والخوض في مسائل تشكل عليه. بل يطرح عليه الحق سهلاً ميسوراً، لا غموض فيه، ولا تعقيد، ففي مثل هذه الحالة غالباً تكون النتيجة إيجابية، وفرصة استجابة هذا المدعو تكون سهلة المنال.

أما المدعو المتعلم فيحتاج إلى طريقة تخالف طريقة دعوة الأمي، حيث إن المتعلم يحتاج

إلى التفصيل، والإيضاح، والبسط ما يزيل الشبه، والعوائق في طريقة استجابته للحق، وقد يكون من الحكمة على الداعية أن يحجب بعض مسائل العلم عن المدعو خوف حدوث الفتنة، أو عدم التصديق بها إن كانت من غرائب العلم. كما أن الداعية الحكيم قد يؤجل إظهار بعض حقائق العلم، ودقائقه إلى حين يصل المدعو إلى وضع يقبل فيه هذا الحق، ولو عرض هذا الحق في غير وقته لأدى ذلك إلى رده، أو تكذيبه، وكلا الأمرين فيه خطورة على المدعو، وعلى الداعية، والعملية الدعوية.

فمن الحكمة مراعاة مثل هذه الأمور لكي يتحقق نجاح العمل الدعوي، ويؤتي ثماره في أقرب فرصة، وعلى أوسع نطاق.

المطلب الثاني

نوع وتوجه الرصيد المعرفي والثقافي للمدعو

إن المدعو إذا كان لديه حصيلة علمية، ومعلومات ثقافية يجعل الداعية على أهبة الاستعداد لأن يلقي عليه شبهاً وشكوكاً تجعل الداعية حريصاً على التسلح بسلاح العلم الذي يدرأ به كل عاتية من عواتي المجادلين الذين يحرصون على إلقاء الدعاة في لجج العنت، والمشقة.

لذا فيجب على الداعية أن يتعرف على نوع الرصيد المعرفي والثقافي الذي عند المدعو لكي يستطيع أن يزيل عنه الشبه، والاعتراضات التي قد يثيرها المدعو، أو من يحرضون المدعو للوقوف في وجه الدعاة.

ومما لا ريب فيه أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيماناً ﷺ عاماً مجملاً، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرض على الكفاية، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله، وداخل في تدبر القرآن، وعقله، وفهمه، وعلم الكتاب، والحكمة، وحفظ الذكر، والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهو واجب على الكفاية منهم

وأما ما يجب على أعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قدرهم، ومعرفتهم، وحاجتهم، وما أمر به أعيانهم فلا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم، أو عن فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك، ويجب على من سمع النصوص، وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي، والمحدَّث، والمجادل ما لا يجب على من ليس كذلك "[1].

والمدعو لا يكلف عناءً قبل أن يأتيه الداعية بمضمون الدعوة الإسلامية، ولا يحاسب على شيء؛ لافتقاره لهذا المضمون، ومن حقه على الداعية أن يبادر إليه ليلقي عليه دعوة الإسلام، ولذا فدوره يكمن في تلقي ما يأتيه الداعية، وفهمه، والعمل به، وقد كفي النظر في وضع ما يرتب حياته، ويحكم صلته بالله تعالى وبالكون من حوله، فالعلم من الله تعالى، والبلاغ من الرسول ﷺ، ومن يتحمل إرثه من بعده، والعمل، والتطبيق على المدعو: قال الله ﷻ: +۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ٣/٣١٢.

إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ" (1)

اختلف في المراد بهذا الأمر، فقيل: المراد بلغ كما أنزل، وهو على ما فهمت عائشة رضي الله عنها وغيرها. وقيل: المراد بلِّغه ظاهراً، ولا تخش من أحد، فإن الله يعصمك من الناس. والثاني: أخص من الأول، وعلى هذا لا يتحد الشرط، والجزاء، لكن الأولى قول الأكثر، لظهور العموم في قوله تعالى +وَمَآ أُنزِلَ" **والأمر للوجوب، فيجب عليه تبليغ كل ما أنزل إليه والله أعلم "**(2).

قال في الآداب الكبرى: ذكر ابن هبيرة أن علم الطب فرض كفاية، وهذا غريب في المذهب، ومن المحرَّم السحر، والطلسمات بغير العربية لمن لا يعرف معناها، ومن المحرَّ التلبيسات، وعلم اختلاج الأعضاء، والكلام عليه. ومن المحرم حساب اسم الشخص، واسم أمه بالجمل، وأن طالعه كذا، ونجمه كذا.

والعلم المكروه: كالمنطق، والأشعار المشتملة على الغزل، والبطالة، أما المباح من الأشعار هو ما لا سخف فيه، وما لا يكره، ولا ينشط على الشر، ولا يثبط عن الخير. إن الشعر كالكلام حسنه حسن، وقبيحه قبيح.

ومن العلم المباح: علم الهيئة، والهندسة، والعروض، ومثله القوافي، ومنه علم المعاني، والبيان، لو قيل بأنه فرض كفاية لكان له وجه وجيه، إذ هو كالنحو في الإعانة على الكتاب والسنة"(3).

ومن أنواعه: العلوم الشرعية: فصاحب العلم الشرعي هو المقدم على غيره لرفعة ما يحمله من علم:

قال النووي: قال أصحابنا: الأفقه مقدم على الأقرأ، فإن الذي يحتاج إليه من القراءة مضبوط، والذي يحتاج إليه من الفقه غير مضبوط، فقد يعرض في الصلاة أمر لا يقدر على مراعاة الصلاة فيه إلا كامل الفقه.

ثانياً: توجه الرصيد المعرفي والثقافي للمدعو

ويدخل ضمنه: التوجه الصحيح المستقيم المقرون بالنوايا الحسنة لتحقيق الفائدة، والإصلاح، والتوجه الخاطئ

---

(1) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(2) فتح الباري ابن حجر، مرجع سابق، بهوتي ١٣/٥٠٦.

(3) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، مرجع سابق، ٣/٣٣-٣٥.

المنحرف المقرون بالنوايا السيئة.

فعلى الداعية أن يتلمس توجه المدعو بعلم، وثقافته أهو توجه إلى الخير فيحرص على نمائه، وزيادته، وتيسير السبل له، أم توجه - والعياذ بالله - إلى شر وسوء، وخبث، فيحرص الداعية على أن يبطل مساعي هذا المدعو، ويفند شبهه، وشكوكه، ويهدم باطله على أم رأسه خاصة وإن الذي معه ليس له أساس يعتمد عليه، أو يرتكز إليه.

فمعرفة توجه الرصيد المعرفي، والثقافي لدى المدعو لابد منها لإنجاح العمل الدعوي، وإدخال الناس في دين الله عز وجل إن كانوا كافرين، أو إدخالهم في طاعة الله إن كانوا عاصين؛ لهذا ينبغي على الدعاة أن يتسلحوا بالعلم النافع، والعمل الصالح، والنية الحسنة، والإخلاص لله عز وجل لكي يعينهم على مهمتهم، وينجحوا في رسالتهم، ويقدموا المعذرة إلى ربهم.

المبحث الثالث

لغة المدعو

اللغة هي الوسيلة التي يتم بها التفاهم، والتخاطب بين المدعو والداعية، كما أن لها دوراً بارزاً في حضارة الجماعة البشرية، ومظاهر ثقافتها، بل إن اللغة تتأثر بحضارة الجماعة، ونظمها، وتقاليدها، وعقائدها، ومستواها الثقافي، واتجاهاتها الفكرية، وبيئتها الجغرافية. والملاحظ أن أي تطور يطرأ على حياة الجماعة يظهر أثره على لغتها، لأنها أداة التعبير، وهي مرآة صافية تعكس التاريخ الاجتماعي، فكلما تحضرت أمة، وتعددت مظاهر حضارتها، وسما تفكيرها نهضت لغتها، وتنوعت فنونها، ودقت مفرداتها، وكثرت المصطلحات الفنية فيها؛ لذا تجد أن لغة الأمة التي تنهض فيها الصناعة، والزراعة هي أغزر ثروة من لغة بلد ينهض على الزراعة وحدها، كذلك تتأثر اللغة بالنظام الطبقي، لأن كل طبقة تعبر عن نفسها بأسلوب يختلف عن غيرها.

فإذا كان للغة هذا الشأن، وذاك الخطر في حياة الجماعات البشرية – الشعوب والقبائل كما يسميها القرآن الكريم – فإن اللغة العربية تعتبر بحق أعلى اللغات شأناً، وأرفعها قدراً، وأعظمها خطراً. أليست هي لغة القرآن الكريم ودستور البشرية من لدن العليم الحكيم سبحانه وتعالى (١)

لقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لم يبعث الله تعالى نبيًّا إلا بلغة قومه» (٢)

لذا ينبغي على الداعية الحكيم أن يحدث الناس على قدر عقولهم، وباللغة التي يتحدثون بها، ويفهمون معانيها، فإن فعل ذلك استطاع أن يفهم أحوال المدعو، واستطاع المدعو أيضاً أن يفهم ما يريد الداعية، ويعرف المطلوب منه، لهذا أرسل ربنا عز وجل كل رسول بلسان قومه؛ لكي يفهموا عنه مراد الله عز وجل. من أجل ذلك حرص النبي ﷺ فوجه أصحابه لتعلم لغة اليهود، فقد صح عنه ﷺ أنه أمر أصحابه بتعلم اللغة العبرية من أجل مخاطبة اليهود ودعوتهم، لأنهم كانوا مجاورين له في المدينة المنورة، وقد ورد عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود. وكان يكتب للنبي ﷺ كتبه، ورسائله لليهود، وكان يقرأ كتب اليهود ورسائلهم التي بعثوها للنبي ﷺ، لهذا كان عمر الفاروق رضي الله عنه يقول: من تعلم لغة قوم أمن شرهم.

---

(١) انظر: الإسلام والبيئة، عبد الواحد إسماعيل القاضي، مرجع سابق، ص٦٠-٦١.

(٢) أخرجه أحمد (١٥٨/٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥١٩٧)

ولاشك أن تعلم لغة القوم أفضل بكثير من وجود المترجمين الذين يقل لديهم الأمانة في نقل، وترجمة ما يعرض على المدعوين. كما أن المترجم لا يستطيع أن يوصل المعنى المراد توصيله للمدعو.

المطلب الأول

اللغة العربيـة

لاشك أن اللغة العربية تبوأت مكانة عظيمة مرموقة من بين لغات الدنيا جميعاً، وما كان لها أن تستمد هذا الشرف، وتحوز هذه المنزلة إلا بالقرآن العظيم، فيكفي اللغة العربية شرفاً، وسؤدداً أن القرآن الكريم كلام الله العظيم نزل على رسوله الكريم باللغة العربية، وهذا في حد ذاته يجعل اللغة العربية أعلى اللغات شأناً، وأرفعها قدرًا، وأعظمها خطراً، وأكثرها فصاحة وبلاغة وأوضحها بياناً.

لذا وجب على الداعي الحكيم أن يعتني بلغته العربية، ويحافظ على آدائها محادثة، وكتابة، فليحرص الداعية على تنمية قدراته في اللغة أداءً، وإنشاء، ويجتهد في تحصيل، وإثراء قاموسه اللغوي، وينظر في كتب اللغة، والنحو، والصرف، والبلاغة ويدرسها دراسة عميقة بعد حفظه لكتاب الله عز وجل والإلمام بسنة رسوله ﷺ وعلى الداعية أيضاً النظر في ديوان العرب (الشعر) فيكثر من قراءته وحفظ ما تيسر له والاهتمام بأساليب البلاغة وعلومها

وينبغي على الداعية أيضاً تناول الجوانب المختلفة للغة العربية التي تناولت الأوجه العديدة للتعبير، والبيان، والبديع، حيث حققت بذلك مستويات رفيعة من الخطاب مع الناس وصلت بها إلى أرفع درجات الإقناع، والإبهار، وتماشت برصيدها اللغوي والبياني الثري مع كل ظروف الخطاب التي تكتنف حالات المدعوين؛ لتحقق لكل منها ما يناسبه من حصول المقصود في حق المدعو نفسه:

فكان إذا خطب ﷺ احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه نذير جيش، يقول: «**صبحكم ومساكم**»، ثم يقول: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»[1] ويقرن بين أصابعه السبابة والوسطى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت بجوامع الكلم[2] ونصرت بالرعب، فبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي» **قال أبو هريرة: وقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: بعثت أنا والساعة كهاتين (رقم ٦٥٠٣-٦٥٠٥)، ومسلم، كتاب الفتن، باب قرب الساعة (رقم ٢٩٥٠، ٢٩٥١).

(٢) جوامع الكلم: فصاحة اللسان وملاءمة البيان، بحيث تجمع معان كثيرة بألفاظ يسيرة.

تنتثلونها[(١)][(٢)].

قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله: وبلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد، والأمرين، أو نحو ذلك" [(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بيّن فصل، يحفظه من جلس إليه. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث الزهري [(٤)].

وفي قصة إسلام أبي ذر ﷺ جملة الأمور المتصلة ببعض أحوال المدعوين.. منها مراعاة الأحوال بالحديث بلسان المدعوين.. لغة القرآن التي فاقت ما عرفه العرب من فصاحة، وبلاغة في كلامهم في صوره الشعرية، والنثرية.

فقال تعالى: +وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ"[(٥)].

وعلى الرغم من أهمية اللغة في قضية البلاغ إلا أن العملية الدعوية بما تقوم عليه أكبر من ذلك. قال تعالى: +وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ.. ". [(٦)]

ومما يتصل باللغة العربية أسلوب الإجابة على أسئلة المدعو، وإبداء الاهتمام بها، وإجابتها بما يناسب حال السائل ومستوى إدراكه:

---

(١) تنتثلونها: تستخرجونها.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: نصرت بالرعب مسيرة شهر، (رقم٢٩٧٧) ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (رقم ٥٢٣).

(٣) ذكره البخاري ، في كتاب التعبير، باب المفاتيح في اليد، (رقم ٧٠١٣)

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم (رقم ٣٥٦٨) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي هريرة رضي الله عنه (رقم ٢٤٩٣) والترمذي، كتاب المناقب ، باب في كلام النبي ﷺ، (رقم ٣٦٣٩) واللفظ له.

(٥) سورة إبراهيم، آية ٤.

(٦) سورة النحل، آية ٤٤.

قال الله تعالى: +﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ"(١)، لم يصف ذلك بالإجرام وإنما بالعمل، وسبب الخطاب بهذا الأسلوب: لأنهم أهل مكانة وكبر، فيكون من الصعب عليهم الانقلاب على موروثات من آبائهم يعتقدون أنهم بها على حق مع إيمانهم بالله فهم يرون عملهم غير شرك.

وقال تعالى:+وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ"(٢)، قال الرسول ﷺ: «**لا تعينوا الشيطان عليه**»(٣)، وقوله تعالى: +فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ"(٤).

"وذلك أن هؤلاء المعارضين إذا لم يخاطبوا بلغتهم واصطلاحهم فقد يقولون: إنا لا نفهم ما قيل لنا، أو أن المخاطب لنا، والراد علينا لم يفهم قولنا، ويلبسون على الناس بأن الذي عنيناه بكلامنا حق معلوم بالعقل، أو بالذوق، ويقولون أيضا: إنه موافق للشرع إذا لم يظهروا مخالفة الشرع، كما يفعله الملاحدة من القرامطة، والفلاسفة، ومن ضاهأهم، وإذا خوطبوا بلغتهم، واصطلاحهم مع كونه ليس هو اللغة المعروفة التي نزل بها القرآن فقد يفضي إلى مخالفة ألفاظ القرآن في الظاهر.

فإن هؤلاء عبروا عن المعاني التي أثبتها القرآن بعبارات أخرى ليست في القرآن، وربما جاءت في القرآن بمعنى آخر، فليست تلك العبارات مما أثبته القرآن، بل قد يكون معناها المعروف في لغة العرب التي نزل بها القرآن منتفيا باطلا نفاه الشرع، والعقل، وهم اصطلحوا بتلك العبارات على معان غير معانيها في لغة العرب، فتبقى - إذا أطلقوا نفيها - لم تدل في لغة العرب على باطل، ولكن تدل في اصطلاحهم الخاص على باطل، فمن خاطبهم بلغة العرب قالوا إنه لم يفهم مرادنا، ومن خاطبهم باصطلاحهم أخذوا يظهرون عنه أنه قال ما يخالف القرآن، وكان هذا من جهة كون تلك الألفاظ مجملة مشتبهة "(٥).

"ومعلوم أنه ﷺ كان من أفصح الناس، وأحسنهم بيانا، واللغة التي خاطب بها أتم اللغات، وأكملها بيانا، وقد

---

(١) سورة سبأ، الآيتان ٢٤ و ٢٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب الضرب بالجريد والنعال (رقم ٦٧٧٧).

(٤) سورة طه، الآية ٤٤.

(٥) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، مرجع سابق، ٢٢٣/١.

امتن الله عليهم بذلك، كما في قوله تعالى: +الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ" [(١)] وقال تعالى +إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ" [(٢)] وقال تعالى: +وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ" [(٣)] وقال تعالى +نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ" [(٤)] وقال تعالى +لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ" [(٥)] وأمثال ذلك.

قال الشافعي: فأقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه جل ثناؤه كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه، فقال تبارك وتعالى +وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ"[(٦)].

وقال +وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ" [(٧)] .

فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح والتشهد، وغير ذلك [(٨)].

لغة المدعو: **ولما كان النبي ﷺ قد بُعث للناس كافة، وللعرب خاصة؛ ولما كان مبعث النبي، ﷺ وظهور دعوة الإسلام قد اقترن بظهور مُلك العرب المُوَحَّد، الذي عبر عنه قيصر الروم، هرقل بـ مُلك المختتنين**[(٩)]**؛ ولما كان القرآن قد نزل بلسان العرب، وكانت اللغة العربية هي التي اختارها الله ﷻ وعاءً للوحي، ولرسالته الخاتمة؛ فقد كان العرب هم أول المُخاطبين بدعوة الإسلام، وكان**

---

(١) سورة يوسف، الآيتان ١، ٢.

(٢) سورة الزخرف، الآية ٣.

(٣) سورة إبراهيم، الآية ٤.

(٤) سورة الشعراء، الآيات ١٩٣– ١٩٥.

(٥) سورة النحل، الآية ١٠٣.

(٦) سورة النحل، الآية ١٠٣.

(٧) سورة فصلت، الآية ٤٤.

(٨) الرسالة، أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بدون بلد النشر (، القاهرة، ١٣٥٨هـ) ٤٧/٢، ٤٨.

(٩) انظر: صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب بدء الوحي، (رقم ٧) ، وانظر تاريخ الرسل، الطبري، مرجع سابق، حوادث سنة ٦هـ، ٦هـ، ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك، ٦٤٦/٢، ٦٤٧.

الإعجاز اللغوي، والبياني للقرآن حجة على العرب، وكان إدراكهم، وتسليمهم بالإعجاز البياني للقرآن حجة على العجم[1].

هذه هي مكانة اللغة العربية، وشأنها، علو، وشموخ، ورفعة. ولكن للأسف الشديد أصاب اللغة العربية الوهن، والضعف لما تخلت الشعوب الإسلامية عن دينها، وفرطت فيه، وتمزقت وحدتها، وصارت دويلات صغيرة ولم تستطع دفع عدوان أعدائها، واستسلمت للغزاة، وخضعت لأحكامهم، ودانت لهم. فأظهروا الثقافات الغربية على البلاد، والدين، واللغة فتقلص تعليم اللغة العربية، وتوسعوا في تعليم لغاتهم الأجنبية حتى فشا الجهل، وتأخرت الفصحى وتراجعت، وتسيدت العامية، وذاعت بين المفكرين، والمثقفين حتى إن بعضهم صار يكتب بالعامية إما ضعفاً من الكُتَّاب، أو مجاراةً، وهبوطاً إلى مستوى العامة الذين يكتبون لهم.

وصار الأمر جد خطير وصار الداعية – اليوم – إذا تحدث بالفصحى لا يفهمه أكثر المستمعين، بل قد لا يفهمه أيضاً بعض المتعلمين؛ لأنهم ضعفاء في اللغة أيضاً، لذا وجب على الداعية الحكيم أن يجمع بين الفصاحة، والسهولة، فيستخدم أسلوباً ميسراً، وكلمات فصيحة، ولكنها قريبة المعنى سهلة المأخذ يستطيع أن يستوعبها العامة، وأنصاف المتعلمين، وبعض المتعلمين الذين لم يحصلوا على قدر كاف من اللغة العربية، وخاصة الذين كانوا حريصين على تعلم اللغات الأجنبية.

إن غياب اللغة العربية الفصحى يمثل مشكلة كبرى في العمل الدعوي حيث تنقطع الصلة بين المدعو، وبين تراث الأمة، ودينها، ومقدساتها بكل ما في ذلك ثراء، وعظمة. نلحظ ذلك من انحطاط قدرات الأجيال المتأخرة في قراءة القرآن الكريم، وفهم معانيه، وتدبر آياته.

ولكن الأمل في الله كبير أن تنهض الأمة بكل مقدراتها (دعاة ومدعوين) وتنشط، وتتضافر الجهود، سواء في أجهزة التربية والتعليم، ووسائل الإعلام على إعطاء اللغة العربية حقها والاهتمام بها، والرقي بشأنها إذا كنا نرجو المجد، والعز والشرف، والسؤدد في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: إعجاز القرآن، الباقلاني، وانظر البيان والتبيين، الجاحظ، فقد جاء فيهما ما يشير بالتفصيل لذلك..

المطلب الثاني

اللغات غير العربية

إن من يتحدث بغير العربية من المسلمين وغيرهم أكثر عدداً من المسلمين الناطقين بالعربية، ولاينتظمهم دين واحد، أو ثقافة واحدة، أو بيئة اجتماعية، أو فكرية واحدة، وهم في الوقت نفسه ممن تجب دعوتهم، ونقل مضمون الإسلام إليهم، ولن يؤتي الجهد الدعوي ثماره معهم إلا إذا راعى القائمون عليه أحوالهم المتصلة بلغاتهم، ولهجاتهم، وما تقوم عليه تلك اللغات من عقيدة، وفكر تؤثر في مبانيها، وبالتالي في معانيها، ومراداتها.

وتتبع ذلك وتقصيه واضح جلي في سيرة الرسول ﷺ وهو يتعامل مع الناس، فعن أم خالد بنت خالد، قالت: قدمت من أرض الحبشة، وأنا جويرية، فكساني رسول الله ﷺ خميصة لها أعلام، فجعل رسول الله ﷺ يمسح الأعلام بيده، ويقول: «**سناه سناه**» يعني حسن حسن(١).

وهذا المسلك في المخاطبة حسن له نتيجة اقتضتها الحاجة إلى إفهام المخاطب، وفي ذلك يقول ابن تيمية: "لم يكن بذلك بأس فإنه يجوز ترجمة القرآن، والحديث للحاجة إلى الإفهام، وكثير ممن قد تعود عبارة معينة إن لم يخاطب بها لم يفهم، ولم يظهر له صحة القول، وفساده، وربما نسب المخاطب إلى أنه لا يفهم ما يقول، وأكثر الخائضين في الكلام، والفلسفة من هذا الضرب ترى أحدهم يذكر له المعاني الصحيحة بالنصوص الشرعية فلا يقبلونها لظنهم أن في عباراتهم من المعاني ما ليس في تلك، فإذا أخذ المعنى الذي دل عليه الشرع وصيغ بلغتهم، وبين به بطلان قولهم المناقض للمعنى الشرعي خضعوا لذلك وأذعنوا له: كالتركي، والبربري، والرومي، والفارسي الذي يخاطبه بالقرآن العربي، ويفسره فلا يفهمه حتى يترجم له شيئا بلغته، فيعظم سروره، وفرحه، ويقبل الحق، ويرجع عن باطله، لأن المعاني التي جاء بها الرسول أكمل المعاني وأحسنها، وأصحها لكن هذا يحتاج إلى كمال المعرفة لهذا، ولهذا كالترجمان الذي يريد أن يكون حاذقا في فهم اللغتين"(٢).

وذكر ابن تيمية رحمه الله أيضاً قول أبي خلدة(٣):

---

(١) المستدرك على الصحيحين، أبوعبدالله محمد بن عبدالله الحلكم النيسابوري، مرجع سابق، (رقم ٤٢٤٨)، ٦٨١/٢.

(٢) منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ٦١٢/٢.

(٣) هو خالد بن دينار أبو خلدة التميمي السعدي البصري الخياط، روى الحديث عن أنس وأبي العالية، وروى عنه بن مهدي ومسلم، وهو ثقة. انظر معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث، أحمد بن عبدالله بن صالح العجلي الكوفي، تحقيق: عبد العليم عبد

كلمني أبو العالية[١] بالفارسية، كما ذكر سؤال رجل لمحمد ابن الحنفية عن الخبز، فقال: يا جارية اذهبي بهذا الدرهم فاشتري به تنبيزاً، فاشترت به تنبيزاً ثم جاءت به يعني الخبز، قال شيخ الإسلام: "وفي الجملة فالكلمة بعد الكلمة من العجمية أمرها قريب، وأكثر ماكانوا يفعلون: إما لكون المخاطب أعجمياً، أو قد اعتاد العجمية يريدون تقريب الأفهام عليه...، وأما اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الإسلام، ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر، وأهله، ولأهل الدار، وللرجل مع صاحبه، ولأهل السوق، أو للأمراء، و لأهل الديوان أو لأهل الفقه فلا ريب أن هذا مكروه، فإنه من التشبه بالأعاجم، وهو مكروه كما تقدم، وإنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية حتى يتلقنها الصغار في الدور، والمكاتب، فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب، والسنة، وكلام السلف، بخلاف من اعتاد لغة ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب عليه، واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخلق، والدين تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة، والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل، والدين، والخلق"[٢].

وقد جاء عن زاذان[٣] قال: قلت لابن عمر حدثني بما نهى عنه النبي ﷺ من الأشربة بلغتك وفسره لي بلغتنا، فإن لكم لغة سوى لغتنا، فقال: نهى رسول الله ﷺ عن الحنتم، وهي الجرة، وعن الدباء[٤] وهي القرعة، وعن المزفت[١]

العظيم البستوي (مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ) ، ٣٣٠/١. وانظر الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، أحمد بن محمد بن الحسين البخاري، تحقيق: عبد الله الليثي (دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ) ٢٢٤/١.

(١) هو أبو العالية الرياحي بكسر الراء بعدها تحتانية مثناة خفيفة مولاهم اسمه رفيع بفاء ثم مهملة مصغرا بن مهران أدرك الجاهلية ويقال إنه قدم في خلافة أبي بكر ودخل عليه فذكر البخاري في تاريخه من طريق مسلم بن قتيبة عن أبي خلدة قال: سألت أبا العالية هل رأيت النبي ﷺ ؟ قال: أسلمت في عامين من بعد موته. ويقال إنه دخل على أبي بكر رضي الله عنه وصلى خلف عمر رضي الله عنه قال بن أبي داود ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية، وقال العجلي تابعي ثقة من كبار التابعين، قال أبو خلدة مات سنة تسعين وقيل سنة ثلاث وتسعين. انظر تقريب التهذيب، ابن حجر، مرجع سابق، ٦٥٣/١. وانظر الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ٢٩٦/٧،٢٩٧.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، مرجع سابق، ٢٠٦/٢، ٢٠٧.

(٣) هو زاذان أبو عمر الكندي مولاهم الكوفي البزاز الضرير، أحد العلماء الكبار ولد في حياة النبي ﷺ، وشهد خطبة عمر بالجابية، روى الحديث عن عمر وعلي وسلمان وابن مسعود وعائشة وحذيفة وجرير البجلي وابن عمر والبراء بن عازب وغيرهم رضي الله عنهم، وحدث عنه أبو صالح السمان وعمرو بن مرة وحبيب بن أبي ثابت والمنهال بن عمرو وعطاء بن السائب ومحمد بن جحادة وآخرون، وكان ثقة صادقا روى جماعة أحاديث، قال النسائي ليس به بأس. انظر سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مرجع سابق، ٨٠/٤.

(٤) الدباء: القرع وهنا إناء يصنع من القرع.

وهو المقير[٢]، وعن النقير[٣]، وهي النخلة تنسح نسحاً[٤]، وتنقر نقراً، وأمر أن ينتبذ[٥] في الأسقية[٦].

وهذا مما يندرج ضمن "مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم، ولغتهم، فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك، وكانت المعاني صحيحة كمخاطبة العجم من الروم، والفرس، والترك بلغتهم وعرفهم، فإن هذا جائز حسن للحاجة، وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه...، وكذلك يترجم القرآن، والحديث لمن يحتاج إلى تفهيمه إياه بالترجمة، ولذلك يقرأ المسلم مايحتاج إليه من كتب الأمم، وكلامهم بلغتهم، ويترجمها بالعربية، كما أمر النبي ﷺ يزيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود؛ ليقرأ له، ويكتب له ذلك، حيث لم يأمن من اليهود عليه، فالسلف، والأئمة لم يكرهوا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة، كلفظ الجوهر، والعرض، والجسم وغير ذلك، بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة، والأحكام ما يجب النهي عنه"[٧].

والحرج في ذلك لايأتي لمجرد استخدام لغة غير العربية، ولكن حين تغيب الفائدة من ذلك، ولذا فإن الذي يلزم تتبعه، وتقصيه مع المدعو الحرص على أن يُدرك المعنى المراد؛ ليستفيد مما يُعرض عليه من مضمون الدعوة، وقد جاء مما يخفف الأمر في تلك المسألة لدى البخاري حيث أوردها في باب من تكلم بالفارسية، وساق ضمنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي تضمن قول الرسول ﷺ للحسن «كخ كخ» حين وضع شيئاً من تمر الصدقة في فيه[٨]، "وهي كلمة تقال

---

(١) المزفت: إناء يطلى بالزفت، أو القار.

(٢) المقير: إناء يطلى بالزفت، أو القار.

(٣) النقير: جذع الشجر ينقر، ويتخذ وعاء.

(٤) تنسح نسحاً: تقشر، ثم تنقر فتصير نقيراً.

(٥) الانتباذ: الإلقاء، والطرح لتصير نبيذاً.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الأشربة، باب النهي عن الانتباذ في المزفت، والدباء، والحنتم، والنقير، رقم الحديث ٣٧١٦.

(٧) الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ١٢٧/١.

(٨) ونص هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الحسن بن علي أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي ﷺ بالفارسية: «كخ كخ أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة» . رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي (رقم ١٤٩١) وفي كتاب الجهاد والسير باب من تكلم بالفارسية (رقم ٣٠٧٢) ومسلم، كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله وعلى آله (رقم ١٠٦٩).

لردع الصبي عند تناوله ما يستقذر، قيل عربية، وقيل أعجمية"[١]، وكذا قوله ﷺ الذي مر الذكر عليه : «**سنا سنا** **سنا**»[٢] للجارية، أي حسن وجيد.

وفيما يتصل **بلغات ولهجات الشعوب غير المسلمة، أو اللغات التي يتحدث بها غير المسلمين، فإن الذي يدعو إلى إفرادها بمعالجة خاصة هو الاختلاف في طبيعة دلالة ألفاظها، وتراكيبها، ومصطلحاتها عن اللغات التي يتكلم بها المسلمون، وضابطها الذي يفرقها عن اللغات الإسلامية كونها في بيئات يتبع أهلها لأديان، وملل غير إسلامية، وبالتالي فإن السائد في هذه البيئات من العقائد، والأفكار، وصلة الناس بالحياة، وفهمهم لها، والتعامل مع مافيها يرتكز في مجمله على هذه الخلفية الفكرية، والثقافية، وليس لدين الإسلام أثر يُذكر على هذا التكوين الفكري، والثقافي لتلك المجتمعات، وبالتالي فإن الخلفية التي يرتكز عليها الناس في فهمهم، وإدراكهم، وتعاطيهم للحياة يجب أن تُراعى أثناء التخاطب معهم، فليس لدلالة الألفاظ في لغات غير المسلمين –حين يُخاطبون بها– نفس المعاني المُرادة بها في دين الإسلام، ويتجلى ذلك في استخدام اللفظ لأداء معنى معين لدى الداعية لكنه حين يصل المدعو يُدرك بفهم آخر أثر في تكوينه الخلفية الثقافية، والفكرية لديه، فهي التي كونت للألفاظ، والمصطلحات معانيها المعتمدة لديهم، ومن شواهد ذلك على سبيل المثال، كلمة (الصلاة) لدى أهل العربية وهي لغة الإسلام، ووعاؤه، وكلمة (نماز) لدى أهل اللغات الفارسية، وأهل لغات أسيا الوسطى كالأوزبكية، والتتارية، وكلمة (Prayer) لدى الشعوب المتحدثة بالإنجليزية، فدلالتها لدى أهل العربية، والفارسية، والأوزبكية، والتتارية تنصرف إلى فريضة الصلاة التي يؤديها المسلمون خمس مرات في اليوم، والليلة بصفتها، وهيئتها المعروفة، ولاينصرف هذا اللفظ عن هذا المعنى إلا بقرينة واضحة، كما في قول الله تعالى: +أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ"[٣]، فالصلوات هنا ليست الصلوات المعروفة، لأن "الصلاة من الله سبحانه المغفرة، والرأفة، وجمعها للتنبيه على كثرتها، وتنوعها،**

(١) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٣/٣٥٥.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة البقرة، آية ١٥٧.

والجمع بينهما وبين الرحمة للمبالغة"[1]، فسياق المعاني في هذه الآية يدل على أن المعنى المذكور آنفاً للصلوات هو المراد، وليس فريضة الصلاة، وجاء أيضاً معنى آخر للصلاة دلت عليه القرينة، وذلك في قول الله تعالى: +إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا"[2]، **فقد جاء عن كعب بن عجرة، قال: لما نزلت:** +إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا"، **قال: قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال:** «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[3]، **وصلاة الله تعالى على نبيه ﷺ هي ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، وقال ابن عباس: يصلون: يبركون[4].**

إذا المعنى المراد للصلاة لدى هذه الفئة لاينصرف عن (فريضة الصلاة) إلا إذا دل السياق على ذلك، بخلاف غيرهم من متحدثي اللغة الإنجليزية، فكلمة الصلاة (Prayer) لديهم تطلق ويُراد بها شيء غير معناها لدى متحدثي اللغات الإسلامية، وفي الغالب يريدون بها الدعاء، والابتهال، وكثيراً مايتردد بينهم إذا أرادوا هذا المعنى، قولهم: سأصلي لأجلك.

ولو أردنا أن نسترسل في ذلك لوجدنا الكثير من الألفاظ، والمصطلحات الفقهية التي لها دلالتها الخاصة لدى أهل اللغات الإسلامية الذين تأثرت لغاتهم، ولهجاتهم بعقيدة، وفقه، وفكر الإسلام، لكنها لاتفهم على هذه المعاني لدى غيرهم من المتحدثين باللغات غير الإسلامية، وهذا يستوجب من الداعية حين يُخاطب تلك الفئات أن يقرن تلك الألفاظ، والمصطلحات بمرادها في الإسلام، ويجليها بالصورة الواضحة حتى يصل مضمون الكتاب، والسنة لهذا النوع من المخاطبين وفق مراد الله تعالى، ومراد رسوله ﷺ منها.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، مرجع سابق، ١/١٨١.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٥٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم، باب يزفون: النسلان في المشي (رقم ٣٣٦٩) ومسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي × بعد التشهد (رقم ٤٠٥).

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، مرجع سابق، ٣/٥٠٧.

المطلب الثالث

اللهجات المحلية أو العامية

من مراعاة أحوال المدعو مراعاة فارق اللهجات، فإن الله عز وجل بعث أنبياءه بألسنة أقوامهم قال الله تعالى : +وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ"[1] وقال رسول الله ﷺ: **"لم يبعث الله نبياً إلا بلغة قومه"**[2].

فالحكمة في ذلك واضحة جلية، ليتمكن المدعو من فهم، وإدارك ما يلقى عليه، فلو كان الرسول ملكاً لتعللوا بأنه ليس من جنسهم. فلابد من الداعية أن يعرف لهجات الناس ليتمكن من مخاطبتهم، وهذا هو هدي رسول الله ﷺ فلم تكن مخاطبته مع قريش الأنصار كمخاطبته لغيرهم من ملوك اليمن، وأقبال حضرموت، فقد كان يستعمل ألفاظاً هي من لغتهم، وقد كان أصحابه يسألونه عن شرح كلامه هذا.

فينبغي على الداعية الذي يخالط الناس، ويحادثهم، ويدعوهم أن يعرف لهجات المدعوين ليتمكن من مخاطبتهم، والتأثير فيهم، وقبولهم الحق الذي يدعوهم إليه ، فقد كان من هدى رسول الله ﷺ أن يخاطب كل قوم بلغاتهم ولهجاتهم. ولم تكن مخاطبته ﷺ لقريش في مكة والأنصار في المدينة بمثل مخاطبته لأهل حضرموت، فقد استعمل ألفاظاً، وكلمات، وعبارات كانوا يستعملونها في مخاطبة بعضهم البعض فعن عروة بن محمد بن عطية قال: حدثني أبي أن أباه أخبره قال : قدمت على رسول الله صلى اله عليه وسلم في أناس من بني سعد بن بكر، وكنت أصغر القوم فخلفوني في رحالهم، ثم أتوا رسول الله ﷺ فقضى من حوائجهم ثم قال: "**هل بقي منكم من أحد؟**" قالوا: نعم غلام معنا خلفناه في رحالنا. فأمرهم أن يبعثوا إليَّ فأتوني فقالوا: أجب رسول الله ﷺ. فأتيته، فلما رآني قال: «**ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئاً، فإن اليد العليا هي المنطية، واليد السفلى هي المنطاة، وإن مال الله تعالى لمسئول ومنطي**». قال : فكلمني رسول الله ﷺ بلغتنا[3].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٤.

(٢) أخرجه أحمد (١٥٨/٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥١٩٧).

(٣) أخرجه الحاكم (٤ / ٣٦٣) وصححه ووافقه الذهبي.

وينبغي كذلك على الداعية، والخطيب، والمبلغ أن يبتعد عن الكلمات الغريبة، ويستخدم الألفاظ الواضحة المستعملة . لأن الكلمات الغريبة تجعل السامع ينصرف إلى التفكير فيها، وفي غرابتها مما ينتج عنه الانصراف عن سماع بعض أجزاء الخطبة ، وما فيه من أفكار وأهداف.

مثال ذلك: بدلاً من أن يقول الخطيب : تفاقمت. يقول : اشتدت، أو اتسعت، أو زادت.

وبدلاً من أن يقول : يعروري. يقول : يركب أو يصعد.

وبدلاً من أن يقول : عرّد . يقول : فرَّ أو هرب .

والبعد عن الكلمات المبتذلة الركيكة، والألفاظ العامية الممجوجة، مثل كلمة : كمش التي بمعنى : أمسك [1]

إن عمل الداعي لا ينتهي بمجرد الإفصاح عن الحقيقة، بل يجب عليه أن يجعلها من الوضوح بمكان يذوقها الكبار، ويستطيع العوام أن يستسيغوها دون جهد، وعناء، ثم يجب أن تكون تجلية هذه الحقيقة بأسلوب رشيق جداً حتى يقبلها كل من لديه ميل لقبول الحق.

والمخاطبون ليسوا سواء ، فمنهم : الحضري الذي هذَّب لسانه، ومعهم سكان البادية الذين أكسبتهم البداوة قوة، ورصانة.

وإذا كان المخاطبون كذلك فإن الموضوعات التي يقصدها إليهم المتكلم ليست سواء كذلك، ومما يحسن بالداعية العناية به أمور منها :

١- التحدث باللغة العربية الفصيحة: **يرجع ذلك إلى أن مادة الدعوة وموضوعها يقومان على القرآن الكريم، والقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، كما وضح ذلك القرآن الكريم ، قال تعالى :** +وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَـرَبِيٌّ مُّبِينٌ"[2] **وقال تعالى :** +وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾"[3].

٢- الابتعاد عن التفاصح: **فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان كلام النبي القرآن الكريم**

---

(١) انظر: الإلقاء الخطابي في الدعوة إلى الله تعالى، د/ خالد بن عبد الرحمن القرشي، (دار العاصمة الرياض ١٤٢٢هـ) .

(٢) سورة النحل، آية ١٠٣

(٣) سورة الشعراء، الآيات، ١٩٢-١٩٥

فصلاً يفقهه كل أحد لم يكن يسرده سرداً .(١)

إن على الداعية أن يبتعد كل الابتعاد عن التنطع بالكلام، والتشدق بالحديث، والثرثرة باللسان، والتكلف بالفصاحة (٢) ، فالدعوة إلى الله ينبغي أن تعرض على نحو يوائم طباع الناس، وباللغة التي يفهمونها على لسان رجل منهم، يخاطبهم بما يلامس أفئدتهم، ويوافق أغراضهم؛ لتحقيق الغاية من وجودهم.

فعندما أراد رسول الله ﷺ قومه حين أمر ببلاغ دعوته صعد على الصفا ثم نادى : " **يا صباحاه**" فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه، وبين رجل يبعث رسوله.

ومع أن هذه الكلمة : يا صباحاه. اصطلاح جاهلي وعرف إسلامي، إلا أن رسول الله ﷺ خاطبهم باللغة التي يألفونها ، وليس ذلك من المداهنة في شيء ، بل هي من مخاطبة الناس بما يعرفونه، بل هي دليل على استخدام الأسلوب المناسب في الدعوة (٣)

والأصل في الداعية أن يتكلم باللغة العربية الفصحى باعتبارها لغة القرآن، وشعار الإسلام، وهي لسان الإفصاح والبيان، فإذا كان الأمر كذلك فعلى الداعية إذا وجد بين قوم يحسنون فهم اللغة العربية ألا يعدل عنها إلى لغة أخرى، أو إلى لغة عامية محلية لا تمت إلى العربية الأصلية بصلة، ولا نسب. ولكن ماذا يصنع الداعية إذا كان في بيئة لا تعرف التفاهم بالفصحى ؟

نقول في الجواب: إذا استطاع أن يبسط حديثه بشكل يفهم الناس عنه فليقل، وإن لم يستطع فيجد نفسه مضطراً أن يتكلم معهم باللهجة، أو اللغة التي يفهمونها فلا بأس من باب: أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم، فيخاطب الداعية المدعو على قدر فهمه وإدراكه " فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره" (٤).

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام (رقم ٤٠٥١) والترمذي، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم (رقم ٢٨٧٨) ..

(٢) انظر : صفات الداعية، د. حمد العمار (دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٧هـ) ص ١٠١ — ١٠٣.

(٣) انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة ، د. حمد العمار (دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٦هـ)، ص ٦١٦ —٦١٧ .

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، (دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ الطبعة) ١/ ٥٧.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال "**إن أبغضكم إلَيَّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون**"[1].

وكم يكون الداعية ممجوجاً لدى مستمعيه حين يتحدث إليهم وعليه أمارات التشدق، وظواهر التفاصح، وعلامات الثرثرة، والتكلف [2].

وتحقيقاً للمبدأ الذي نادى به القرآن الكريم +وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ"[3] ولا يمكن للداعية أن يؤثر في بيئة إذا لم يكن متقناً للغة أهلها، فاهماً للهجات قبائلها، عالماً بما يخاطب به عوامها ومثقفيها.

فالتخاطب على أساس لغة البلد إذن هو عامل كبير من عوامل نجاح الداعية، ومن مقومات تأثيره في البيئة التي يدعو إلى الله فيها.

فمن الجمود للغة القرآن أن يعدل القادر على النطق بها إلى لغة أخرى، أو يتكلم من يحسن الفصحى بلغة عامية محلية لا تمت إلى العربية الأصلية بصلة، ولا نسب [4].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق (رقم ٢٠١٨) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) انظر: مواقف الداعية التعبيرية، عبد الله ناصح علوان، (دار السلام ، ١٤٠٥ هـ) ، ص ١٠ - ١١.

(٣) سورة إبراهيم، الآية ٤.

(٤) انظر: كيف يدعو الداعية، عبد الله ناصح علوان ، (دار السلام ، ١٤٠٥ هـ ص ٣٠ – ٣٣.

المطلب الرابع

لغات التفاهم غير الكلامية

لقد كان من منهج رسول الله ﷺ الاكتفاء بالتعريض والإشارة في تعليم ما يُسْتَحى منه، فقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : إن أسماء بنت شكل سألت النبي ﷺ عن غسل المحيض فقال ﷺ : " تأخذ إحداكن ماءها، وسدرتها فتطهر فتحس الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكاً شديداً حتى تبلغ شؤون رأسها، ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها ". فقالت أسماء: وكيف تطهر بها ؟ قال : " **سبحان الله تطهرين بها**" فقالت عائشة –رضي الله عنها– وكأنه أخفى ذلك : تتبعي أثر الدم. (1)

ففي هذا الحديث استحباب استخدام الكنايات عند تعليم ما يتعلق بالعورات، وكذلك الاكتفاء بالتعريض والإشارة في الأمور المستهجنة، والتي يستحيا التصريح بها " .

وتقوم الإشارة مقام النطق، قال ابن قدامة رحمه الله : إن خرس أحدهما – أي أحد المتبايعين – قامت إشارته، مقام لفظه، فإن لم تفهم إشارته أو جُنَّ، أو أغمي عليه قام وليه من الأب، أو وصيه، أو الحاكم مقامه. (2)

وكذلك يسقط عن الأخرس التكبير بلسانه، وتكفي فيه الإشارة، وإذا فهمت إشارة الأخرس صح ضمانه ، لأنه يصح بيعه وإقراره، وتبرعه فصح ضمانه كالناطق، ولا يثبت الضمان بكتابة منفردة عن إشارة يفهم بها أنه قصد الضمان ، ومن لا تفهم إشارته لا يصح منه الضمان، لأنه لا يدري بضمانه (3) وكذلك تصح وصية الأخرس إذا فهمت إشارته فلا حكم لها، وهذا قول أبي حنيفة، والشافعي وغيرهما. وقد ورد عن النبي ﷺ أنه صلى وهو قاعد فأشار إلى أصحابه لكي يقعدوا ففهموا إشارته، وقعدوا (4).

---

(1) أخرجه مسلم، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك، حديث (رقم ٣٣٢)، ٢٦١/١.

٢) انظر: آراء ابن قدامة حول الإعاقة، عبد الإله بن عثمان الشايع ، (دار الصميعي، (الرياض ، ١٤٢٠هـ) ص ٥١.

(٣) المرجع السابق ص ٥٦.

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب الأذان إنما جعل الإمام ليؤتم به (رقم ٦٥٧) .

ولا يقع الطلاق بغير لفظ الطلاق إلا في موضعين: أحدهما : من لا يقدر على الكلام كالأخرس إذا طلق بالإشارة طلقت زوجته، وبهذا قال مالك، والشافعي، وأصحاب الرأي ، ولا نعلم عن غيرهم خلافهم، وذلك لأنه لا طريق له إلى الطلاق إلا بالإشارة فقامت إشارته مقام الكلام من غيره فيه كالنكاح، فأما القادر فلا يصح طلاقه بالإشارة كما لا يصح نكاحه بها، فإن أشار الأخرس بأصابعه الثلاث إلى الطلاق طلقت ثلاثاً ، لأن إشارته جرت مجرى نطق غيره. ولو قال الناطق : أنت طالق. وأشار بأصابعه الثلاث لم يقع إلا واحدة . لأن إشارته لا تكفي . وإن قال : أنت طالق هكذا. وأشار بأصابعه الثلاث ، طلقت ثلاثاً ، لأن قوله : هكذا تصريح بالتشبيه بالأصابع في العدد وذلك يصلح بينا، كما قال النبي ﷺ: " الشهر هكذا، وهكذا، وهكذا " (١) **وأشار بيديه مرة ثلاثين، ومرة تسعة وعشرين.**

إن الداعي إذا استخدم في طريقة دعوته مع القول الإشارة كانت نتائجها أعمق تأثيراً، وأكثر رسوخاً من القول المجرد عن الإشارة، فهذا هو منهج رسول الله ﷺ في دعوته فعن أنس رضي الله عنه **قال: قال رسول الله ﷺ:** « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو» **وضم أصابعه وفي رواية:** «من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين » **وأشار بأصبعيه**(٢).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**» قال: بأصبعه السبابة والوسطى (٣) .

ويستطيع الداعية الحكيم أيضاً أن يستخدم أساليب أخرى في دعوته مع القول، فيمكنه أن يستخدم الرسم، والشكل في دعوته كما كان يفعل رسول الله ﷺ، فقد رسم خطاً مستقيماً وعلى يمينه، وشماله

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب الصوم ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتم الهلال فصوموا (٤٩٩٦) ومسلم ، كتاب الصيام ، باب وجوب صوم رمضان لرؤيته الهلال (رقم ١٠٨٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات (رقم ٢٦٣١) والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النفقات على البنات والأخوات (رقم ١٩٨١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيماً (رقم ٦٠٠٥).

خطوطاً أخرى، وأخبر أن الخط المستقيم دلالة على سبيل الله المستقيم والخطوط الأخرى هي سبل الشيطان.

وفعل ذلك مرة أخرى ﷺ حينما أراد أن يشرح لأصحابه الإنسان، وأمله، وأجله فرسم مستطيلاً ويمر منه خط مستقيم، وعلى جنبتيه خطوط صغيرة، وأوضح لأصحابه أن هذا هو الإنسان، وهذا أجله، وهذه آماله.

بل إن الداعي الحكيم يتفاعل مع بكاء الطفل إذا كان في الصلاة، ويفعل ما كان يفعله رسول الله ﷺ فقد كان رسول الله ﷺ يسمع بكاء الصبي مع أمه، وهو في الصلاة فيقرأ السورة الخفيفة، أو السورة القصيرة. وكان يقول ﷺ: «**إني لأدخل الصلاة أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي، فأخفف من شدة وجد أمه به**» [1].

ففي هذا الفعل من النبي الكريم ﷺ فيه مراعاة لحال الطفل، وأمه، واستجابة لمطالب الطفل، وتلبية لحاجته، وشفقة على الأم لانشغال قلبها بولدها. وهكذا ينبغي على الدعاة أن يهتدوا بهدي رسولهم الكريم ﷺ، وفي مثل هذه المواضع تبدو الصورة جلية للمراعاة في الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) صحيح مسلم، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، (رقم ٤٧٠).

المبحث الرابع

العادات والأعراف والتقاليد في مجتمع المدعو

إن العادات، والتقاليد، والأعراف لها أثرها الكبير في حياة الناس، وسلوكهم، ولابد للداعية الحكيم لكي ينجح في عمله الدعوي من الوقوف على العادات، والتقاليد، والأعراف التي يعيش بها وعليها المدعو؛ فإن معرفة الداعية بهذا الجانب في حياة المدعو كفيل بنجاحه في دعوته. وينبغي أيضاً على الداعية أن يعلم أن هذه العادات، والتقاليد إنما ترسبت في قلوب، وعقول الناس عبر سنين عديدة مما جعل في نفوسهم الميل الشديد لها، والتعصب من أجلها، بل ومعاداة من يقف في طريقهم، وهدم ما اعتادوه، وتعارفوا عليه، وصار من تقاليدهم.

من هنا وجب وتعين على الداعية الحكيم أن يعالج هذا الأمر بتؤدة، ورفق، ولين، ويتسلل إلى نفس المدعو بأناة، وعلى مهل، ومن غير أن يجرح مشاعره، أو يصطدم مع موروثاته، وينسفها دفعة واحدة، فهذا مما لا تقبله نفس المدعو أو إشعاره بأنَّ ما هو عليه تافه، وحقير.

وليعلم الداعية الحكيم أن كثيراً من الأحكام في النصوص التشريعية قد بنيت على مراعاة أعراف الناس، وتقاليدهم، وعاداتهم مالم تخالف الهدي النبوي.

إن العادات، والتقاليد عندما تترسخ في حياة الناس، وسلوكياتهم تشكل جانباً خطيراً له أهميته وثقله. الأمر الذي يجعل العبء ثقيلاً على كاهل الداعية؛ فيترتب على ذلك مراعاة خاصة في التعامل مع هذا الصنف من المدعوين.

ولكي ينجح الداعية في مهمته الدعوية لابد له من الاهتداء بهدي النبي ﷺ في كل صغير، وكبير. فهاهو رسول الله ﷺ يتعامل مع أناس لهم عاداتهم، وتقاليدهم، وأعرافهم التي نشأوا عليها، وورثوها كابراً عن كابر، وتشكل في حياتهم حجماً ضخماً، بل إن هذه الأمور ترسخت في قلوبهم، وعقولهم، ونفوسهم وأخذت حيزاً كبيراً من حياتهم ومع ذلك بفضل الله عز وجل استطاع رسول الله ﷺ أن يقتلع هذه العادات، والتقاليد من أنفس، وقلوب، وعقول أصحابها في فترة وجيزة، فماذا فعل إذن لكي يهتدي بهديه الدعاة، وهم سائرون في عملهم الدعوي.

أقول: إن أول شيء فعله النبي ﷺ هو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل. وهو في هذا المجال لم يتنازل عن أقل شيء في سبيل نشر التوحيد، ودعوة الناس إليه مع ما حدث له من مؤثرات، ومحاربات فليس هناك مجال للمحاباة، أو المجاملة، أو المراعاة على حساب هذا المبدأ العظيم

ومن أجل ترسيخ هذه العقيدة.

بل إن أي مطلب ولو صغر لا يستجيب له طالما أن فيه خللاً يصيب هذا المبدأ أو يؤثر في هذه القضية، وهذه بعض الأمثلة لتوضيح هذا الموضوع:

عرض عليه ﷺ بعض من أسلم، وأرادوا أن يأخذوا منه وعداً بتوليها الأمر من بعده. فرفض ﷺ هذا المبدأ بشدة، وأعلمهم أن الأمر لله يؤتيه من يشاء. فعل ذلك رسول الله ﷺ وهو في أمس الحاجة لمساعدة هؤلاء له خاصة، وهو في أول دعوته وبداية الطريق، ومع ذلك رفض المساومة في مبدأ لا تجوز فيه المساومة. فالحكم لله – عز وجل – فليس له أن يهب هذا الأمر وهذا الحكم لغيره من البشر.

أمر آخر: جاءه بعض كفار قريش، وطلبوا منه أن يترك لهم اللات ليعبدوها مدة من الزمن، فأبى بشدة ورفض طلبهم. طالما أن الأمر يخص التوحيد والعقيدة فليس هناك مجال للمساومة والمجاملة.

ولقد حرص الداعية الأول ﷺ على أن يصبغ العادات والتقاليد السائدة في مجتمعه بالصبغة الإسلامية، فكان يقر العادات الصالحة، ويغير العادات الفاسدة.

فكان من عادات بني عبد المطلب سقاية الحاج فأقرهم على ذلك، وقد مر عليهم وهم يسقون، فقال: انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم. فناولوه دلواً فشرب منه. وأذن لعمه العباس بن عبد المطلب أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقاية الحجيج.

ولما أراد علي بن أبي طالب أن يأخذ مفتاح الكعبة، ويسند إليه سدانة البيت رفض رسول الله ﷺ ذلك، وأبى أن يعطيه المفتاح، وأكد أن عثمان بن طلحة آل شيبة هم أحق بالمفتاح والسدانة.

إن مراعاة الأعراف، والتقاليد عند دعوة المدعوين أمر هام جدًّا، مالم يكن فيه مخالفة للشريعة، وبذلك كان ﷺ يسكّن النفوس، ويشوقها للقرب منه، والتعرف على دعوته. ومن المراعاة في ذلك ما فعله النبي ﷺ حينما أراد مراسلة ملك الروم، وأخبر بأنهم لا يقرءون كتاباً إلا مختوماً فاتخذ ﷺ خاتماً من فضة، ونقش فيه (محمد رسول الله) وكان في اتخاذه للخاتم إشارة إلى ما اعتادوا عليه في حياتهم الاجتماعية، وما يتطلبه العمل الدعوي من تأليف الناس، والتقرب إليهم بما لا يضر.

ومن ثم فينبغي على الداعية الحكيم أن يبين للمدعوين بأن العادات، والتقاليد، والأعراف إن كان لها أصل ديني فهي عبادة، وقربة يتقربون بها إلى الله عز وجل وإن لم يسموها عبادة. فإن كان هذا لا يخالف الشرع فعلى الداعية أن يقرهم على ذلك حتى لا يدعوا ما هم عليه من أجل عادات وتقاليد جديدة ظناً منهم أنهم لا يجوز لهم ذلك. فإذا عرفوا أن ما هم عليه هو دين فلا يجوز التخلي عنه وتركه لشيء آخر. وإذا كان باطلاً أو ناشئاً عن دين منحرف، فينبغي على الداعية أن يتمهل في نقض ما هم عليه، ويصبر عليهم حتى يألفوه، ويثقوا برأيه، وعقله، وحرصه عليهم، ويطمئنوا له فإذا علم منهم الثقة، والطمأنينة شرع في هدم ما هم عليه ببيان ضرر ما اعتادوه، وألفوه، ويأتي لهم بالبديل الصحيح من الشرع الحنيف، وذلك على مراحل، وليس دفعة واحدة حتى تعتاده النفوس وتألفه الطباع، ويتدرج معهم حتى ينقلهم من العادات، والتقاليد المخالفة إلى ما شرعه الله عز وجل بطريقة بطيئة فلا يشعروا بتغيير مفاجئ يكون له ردة فعل غير مقبولة لدى المدعوين.

المطلب الأول

العادات والأعراف والتقاليد الموافقة للشرع

إن للعادات، والأعراف، والتقاليد أثراً كبيراً في حياة الناس لا يمكن بحال من الأحوال إهمال هذا الأثر أو التقليل من شأنه.

ولذا وجب على الداعية الحكيم أن ينظر في هذه الموروثات إن كانت تخالف الشرع، ودين الله عز وجل فعليه نقضها، وهدمها، ولكن بطرق لا تُنَفِّرُ، ولا تأتي بنتائج سلبية عكسية على غير مراد الداعية. فيعرفهم أن ما هم عليه دين باطل منسوخ، أو محرف، وإن سموه عادة، وأعرافاً، وتقاليد، فهذه المسميات لا تغير من حقيقة ما هم عليه. ويتدرج في دعوته معهم حتى يستطيع أن ينقلهم من الباطل إلى الحق، ومن الضار إلى النافع. ولا يصطدم معهم في البداية حتى يقدر على مهمته الدعوية، وهي انتشال هؤلاء من باطلهم إلى الحق الذي يحمله لهم، فيتدرج معهم رويداً رويداً حتى يألفوه، ويألفوا ما يلقيه عليهم، لأن الحق قد يكون في هذه الصورة ثقيلاً لا تقبله النفوس، إلا بعد مراودة، فإذا قبلته النفوس وصار دينهم بذلوا له النفيس، والأرواح، والأموال من أجل الحفاظ عليه، والدفاع عنه وهذا ما حدث للنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم حينما نقلهم من الباطل الذي كانوا عليه إلى الحق الذي أتاهم به من عند ربه ضحوا من أجله، وقدموا أنفسهم وأرواحهم رخيصة من أجل الحفاظ على دينهم، ومقدساتهم.

أما إذا كانت العادات، والتقاليد، والأعراف لا تخالف الشرع بل تتوافق معه فينبغي للداعية أن يُقرها ويُعرّف المدعوين بأن هذه الموروثات لا تخالف الدين بل توافقه حتى لا يفرطوا فيها أمام محدثات جديدة فيظنون أن لهم الحق في استبدال القديم بالجديد، فإذا عرفوا أن ماهم عليه دين، وله أصل من الشريعة تمسكوا به، وحافظوا عليه، وتقربوا به إلى الله عز وجل واعتبروه من الدين الذي لا يقبل التنازل أو التفريط.

إن الانطلاق في خطاب المدعو مما وقر في نفسه – ودان له من الأعراف التي تأخذ الطابع الديني، وأخذ إقراره عليها كمقدمة يبني عليها ما تقتضيه ويلزم صاحبها التسليم به، والأخذ بمقتضاه –.. يُعد منحىً مناسباً، لتقريب الصورة في ذهن المدعو، وتسليمه بما يلقى عليه. وهذا ماثل في هدي الرسول ﷺ وهو يخاطب الناس في خطبة الوداع، ففيها الدلالة على جواز تحمل الحديث لمن لم يفهم معناه، ولا فَقِهَهُ إذا ضبط ما يحدث به، ويجوز وصفه بكونه من أهل العلم

بذلك، وفيه مشروعية ضرب المثل، وإلحاق النظير، بالنظير، ليكون أوضح للسامع، وإنما شبه حرمة الدم، والعرض، والمال بحرمة اليوم، والشهر، والبلد؛ لأن المخاطبين بذلك كانوا لا يرون تلك الأشياء، ولا يرون هتك حرمتها، ويعيبون على من فعل ذلك أشد العيب، وإنما قدم السؤال عنها تذكاراً لحرمتها، وتقريراً لما ثبت في نفوسهم، ليبنى عليه ما أراد تقريره على سبيل التأكيد"[١].

ومما تقوم عليه العادات الالتزام الأدبي بالعهود والمواثيق، ولذا فهي مدخل مناسب للخطاب مع المدعو وإقناعه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الروم قال قالوا: إنهم لا يقرءون كتابا إلا مختوماً، قال: فاتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة، كأني أنظر إلى بياضه في يد رسول الله ﷺ نقشه محمد رسول الله[٢]،وفي رواية عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أراد أن يكتب إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي، فقيل، إنهم لا يقبلون كتاباً إلا بخاتم. فصاغ رسول الله ﷺ خاتماً حلقته فضة، ونقش فيه محمد رسول الله[٣].

كذا من العادات الاجتماعية ما شاع في قريش من حفظ للقرابة وصلة للرحم، فكان ذلك منطلقاً للخطاب معهم لموقع الرسول ﷺ منهم، وحين قال المشركون عن محمد ﷺ: لعله يطلب أجراً على ما يقوم به من الدعوة، نزل قول الله تعالى: +لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ"[٤].

الصحيح الذي دلت عليه هذه الآية: أمر المخاطبين بأن يوادّوا أقارب النبي ﷺ. وابن عباس حملها على أن يوادوا النبي ﷺ من أجل القرابة التي بينهم وبينه. فعلى الأول الخطاب عام لجميع المكلفين. وعلى الثاني الخطاب خاص بقريش، ويؤيد ذلك أن السورة مكية، وقد قيل: إن هذه الآية نسخت بقوله: +قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ"[٥] .

إن الحفاظ على العهود، والمواثيق، والتزامها من الأعراف السائدة في بعض مجتمعات المدعوين فيكون من

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٥٧٦/٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان (رقم ٦٥) ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب في اتخاذ النبي ﷺ خاتماً لما أراد أن يكتب إلى العجم، (٢٠٩٢) (٥٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب في اتخاذ النبي ﷺ خاتماً لما أراد أن يكتب إلى العجم، (٢٠٩٢) (٥٨).

(٤) سورة الشورى، الآية ٢٣.

(٥) سورة الفرقان، الآية ٥٧.

المناسب مراعاة هذه الأعراف الحسنة بالاستفادة منها في إبرام الاتفاقات والعهود التي من شأنها الإلزام بمضمون الدعوة، والدفاع عنها:

ومن العادات التي يجمل مراعاتها ما يرتاح له الناس، ويمثل مصدراً لاعتزازهم، وافتخارهم، وثقتهم حين يكون صاحب الريادة، وتولي الدعوة، والإصلاح منهم، قال تعالى: +وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ"[١] وذلك أقرب، وأسرع إلى فهم الحجة، وأبعد من المحك، واللجاجة، وهذا يقتضي مدحاً لنسب النبي ﷺ، وأنه من صميم العرب.

إن من المراعاة تلمس ما يؤدي إلى إيصال مضمون الحق للمدعو من الكلام، أو الكتابة، وأن ما أدى إلى ذلك، وحققه فهو بمنزلة النطق، إذ الهدف التيقن أن المدعو قد بلغه مضمون الحق. ومن ذلك اتخاذ النبي ﷺ لخاتم يختم به كتبه، لما أراد ﷺ أن يكتب للملوك يدعوهم إلى الإسلام؛ وبيان سبب اتخاذه ﷺ لهذا الخاتم[٢].

فليس في ذلك مخالفة شرعية من اتخاذ الخاتم، بل يعد أمراً مشروعاً لأن فيه مراعاة لعادات وأعراف الملوك الذين لا يقبلون كتاباً إلا مختوماً، وفيه أيضاً تأليفاً لهم وتعريفاً بما عليه رسول الله ﷺ من الدين الحق، وهذا ليس فيه ضرر لا في دين ولا في دنيا.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٤٤٨/٦، ٤٤٩.

المطلب الثاني
العادات والأعراف والتقاليد المخالفة للشرع

لاريب أن العادات، والتقاليد، والأعراف المخالفة للشرع والدين يجب رفضها وإنكارها، بل وهدمها من جذورها، وتخليص النفوس من بقاياها حتى لا يكون فيها متعلق يشدها إليه، أو يؤثر فيها سلباً. ولذا على الداعية الحكيم أن يتسلل إلى النفوس برفق ولين وحكمة، لكي يقلع ما وقر فيها واستقر في جنباتها، ويخلصها من هذه المألوفات التي قد تكون سبباً في هلاكه، وعذابه يوم القيامة

وقد يكون هذا أمر شاق على الداعية، ولكن له في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فقد عاش ﷺ في وسط مجتمع جاهلي، أعطى لكل ما توارثوه من آبائهم وأجدادهم أهمية كبرى، وعناية عظمى، فعندما أراد أن ينقلهم مما هم عليه، وبيَّن لهم أن ما كان عليه آباؤهم باطل، ولم يلق منهم قبولاً واستجابة، ولكنه صبر، واستمر في دعوته حتى أتت أكلها بإذن ربه عز وجل، واستجاب له أصحابه، وصاروا عوناً له على هدم كل ما اعتادوه في الجاهلية من باطل، وأقرَّ ما هم عليه من حق يوافق الفطرة والدين من أخلاق، وعادات طيبة.

ولاشك أن سوق أفكار الإنسان، ومفهوماته، ومعتقداته، وعاداته الثابتات تعتبر في مشاعره الباطنة، حتى عمق وجدانه أحيانا بمثابة أجزاء من ذاته وكيانه، الذي يفتخر به، ويحرص عليه، ويدافع عنه، وينصره من أي مخالف خارج عنه مضاد له، فهو تلقائيا يرفض التنازل عن شيء من سوابق أفكاره، ومفهوماته، ومعتقداته، وعاداته الثابتات المتأصلات في كيانه، كما لا يتنازل عن جزء من أساسيات جسده إلا عند الضرورة، كالخوف على باقي أجزاء جسده من الهلاك.

فكم من سوابق أفكار، ومفهومات، ومعتقدات في فكر الإنسان، أو في وجدانه هي قضايا باطلة، وكم من سوابق عادات ثابتات متأصلات في سلوكه هي عادات سيئات يجب إلغاؤها، أو إصلاحها، أو التعديل فيها.

فهذا هو حال كثير من الناس حتى العلماء، والمثقفين منهم، ومنابعه في النفس الأنانية من وراء الشعور مع استكبار الإنسان عن أن يتقبل الاتهام بأنه كان ذا مفاهيم خاطئة وكان مقتنعا بها وعاملا

بمقتضاها حقبة من عمره، وإذا تم إشعاره بأنه كان فاسد الاعتقاد، أو فاسد السلوك، فإنه يرى هذا إهانة لكرامته، وشتيمة لجزء من ذاته، وهو الجزء الذي كان عليه طوال حقبة عمره.

وهذا أحد الأسباب التي يتولد عنها مرض التعصب للذات في حدود الأنانية الفردية، أو الأنانية الجماعية، ومن الأنانية الجماعية يظهر ما يلي:

١- التعصب المذهبي.

٢- التعصب الحزبي.

٣- التعصب القومي، والعرقي، وأشباهها.

ولذا كان من اليسير جدا اقتلاع سوابق الأفكار، والمفهومات، والمعتقدات، والعادات الثابتات لدى كثير من الناس، ولو كانت باطلات أو فاسدات أو قبيحات لتحرير أرضية نفوسهم منها، وغرس بدائل من الحق، أو الخير، أو الفضيلة، أو الجمال.

فعلى حامل رسالة الدعوة، أو رسالة النصح، والإرشاد أن يؤهل نفسه لمواجهة هذه العقبة فيمن يوجه له رسالته، وأن يصبر صبراً طويلا؛ لاجتيازها وتحرير أرضية نفسه من السوابق الباطلة، أو الفاسدة، أو القبيحة، وتهيئتها لتقبل غرس البدائل الصحيحة، أو الصالحة النافعة، أو الجميلة الحسنة. ولابد لاجتياز هذه العقبة من اتخاذ الأساليب الحكيمة الناجحة، والتحلي بالصبر الطويل، والتدرج الكثير البطيء[1].

وإن كثيراً من العادات، والتقاليد في بعض البلاد العربية، والإسلامية تعتبر من الثوابت، والحقائق التي لا تقبل النقاش، بل ويتربى الأشخاص عليها منذ صغرهم، وهذه العادات، والتقاليد تسير بالفرد في طريق يعاكس التربية، والدعوة الإسلامية مثل: تعليق التمائم، والأحراز، تخويف بعض الأمهات لأبنائهن بشيء من الخيالات، ولبس الأسود عند المصيبة، ولعبة أي شيء من جماد، أو حيوان، أو إنسان، والحلف بالطلاق، وتساهل بعض المسلمين بدخولهم على غير المحارم، وعدم رؤية الخاطب لخطيبته قبل العقد، وتساهل بعض المسلمين بحضور الأماكن التي لا تخلو من المنكرات، وتصديق المنجمين، والكهان، واستعمال آنية الذهب، والفضة، وغيرها[2].

---

(١) للاستزادة انظر: فقه الدعوة وفقه النصح والإرشاد، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (دار القلم، دمشق، ١٤١٧هـ).

(٢) انظر: الإبداع في مضار الابتداع، علي محفوظ، (دار الاعتصام، القاهرة ١٣٧٥هـ)، والأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، خالد بن عبد الكريم الخياط، (دار المجتمع، ، جدة، ١٤١٢هـ).

وقد تكون العادات فردية، أو قد تكون جماعية، وهي عبارة عن مجموعة من الأفعال، وألوان من السلوك تنشأ بصفة تلقائية؛ لتحقيق أغراض ذات صلة بمظاهر سلوك الناس اليومي المعتاد من مأكل، وملبس، وعمل، وترويح.

ومن العادات ما هو ضار ويمثل حالات مرضية تصيب المجتمع، وتعوق نموضه بما تشيعه من فرقة بين أفراده، وهي عادات من شأنها أن تنتشر على نطاق واسع بين بعض طبقات المجتمع مثل: زيارة الأضرحة، والمقابر، وأكل ألوان معينة من الطعام في الحدائق العامة أيام شم النسيم، وتهريج العوام في الأعياد، وتعاطي المخدرات، والخمور، والتداوي بالسحر، والرقى وما إلى ذلك.

والعادات تمثل دعامة جوهرية ما استطال عمره منها يحظى بقدر من الاحترام، والتقديس يزيدها ثباتا، واستقرار، وذيوعا، وانتشاراً.

ويستطيع الإنسان دائما التغيير فيها بالنقص، أو الإضافة استجابة لما حدث من تغيير في منهج حياته بسبب تغيير أحواله الثقافية، والاقتصادية. ومن المسائل التي تعمل على التغيير في العادات تقدم وسائل المواصلات التي يسرت الاتصال بين الشعوب المختلفة في ثقافتها، ووسائل معيشتها، ومظاهر حضارتها، ومنها استحداث أساليب جديدة في مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية.

إن هذا التغيير – والتطور اللذين تتعرض لهما العادات – أدى إلى ضعف هيبتها، وضياع جلالها، وقدسيتها التقليدية إلى حد ما، فلم يعد الأفراد في الوقت الحاضر يحفظون لها في قلوبهم ما كان يحفظه السلف لها من التقدير والاحترام، لاسيما هؤلاء الذين يعيشون في بيئات متحررة، أو في مجتمعات متطورة، غير أن هذا لا يعني أن العادات قد فقدت كل مظاهر السيادة على الأفراد، فإنه لا يزال هناك قدر منها يمس النواحي الهامة الدقيقة التي تمتاز بمبلغ حساسيتها الاجتماعية التي تمنحها القدرة على غلبة التطور، وضبط الحرية. حتى إن أي شخص يتبرم بهذه العادات الهامة، يقابل بمقاومة وعنف من باقي أفراد الجماعة.

أما التقاليد فهي عبارة عن طائفة من قواعد السلوك الخاصة بطبقة، أو طائفة معينة، أو بيئة عملية محدودة، وتنشأ التقاليد من الرضا، والاتفاق الجماعي على إجراءات، وأوضاع معينة خاصة بالمجتمع المحدود الذي تنشأ فيه، ولذلك فهي تستمد قوتها من قوة المجتمع الذي ارتضاها، وتفرض سلطتها على الأفراد باسمه، فالتقاليد كالعادات، والعرف عبارة عن مصطلحات اجتماعية مزودة بصفة الجبر، والالتزام، وهي

على ذلك صفة مميزة للطبقة التي تأخذ بها، واحترامها علامة مؤكدة على مبلغ تضامن هذه الطبقة، وحرصها على تحقيق قوتها الذاتية.

وأما العرف فعبارة عن مجموعة من الأفكار والآراء والمعتقدات التي تنشأ في جو الحياة الجماعية وتنعكس على ما يزاوله الأفراد من أعمال، وما يلجأون إليه في كثير من مظاهر سلوكهم الجماعي ويضطر الأفراد إلى الخضوع لهذه المعتقدات؛ لأنها تسمد قوتها من مفاهيم الجماعة، وعقائدها، فلا يستطيعون الخروج على ما تفرضه عليهم إلا في حدود ضيقة، بل إن الذي يحاول أن يتصدى لما يفرضه العرف من مظاهر السلوك، أو من المعتقدات، والمفاهيم يقابل برد فعل من الجماعة يتناسب مع قوة تمسكها بالعرف الذي خرج عليه، وقد يبدو هذا أكثر وضوحا في الإصلاح: (لقد جرى العرف على ذلك)، الذي يستخدم الأفراد فثبات سلامة بعض آرائهم، وتصرفاتهم.

ومن أمثلة العرف في بعض المجتمعات: عدم كنس المنازل ليلا، ويوم السفر، للاعتقاد بأن ذلك يجلب التعاسة، ويسبب حوادث مؤلمة، والتشاؤم من نعيق البوم، وعدم ذبح بعض الحيوانات، وعدم أكل لحوم بعض الطيور لارتباطها بأصول مقدسة، أو بأفكار، وتصورات خارقة، فالمجتمع الأمريكي لا يأكل لحوم الخيل بينما يأكلها الأوروبيون. والمجتمع المصري يأكل لحوم الأبقار، وفي الصين لا يأكلونها.

ويعتبر العرف وما يتصل به من عقائد شعبية، ومفاهيم أهم جزء في دستور الأمة غير مكتوب. وقد ترقى بعض أحكامه إلى درجة القواعد القانونية، والعرف يختلف عن العادات في أنه مرتبط بالعقائد، والمفاهيم العقلية، بينما العادات معظمها أفعال وأعمال.

وأخيرا فإن كثيرا من المفكرين لا يفرقون بين العادات، والتقاليد، والعرف باعتبار أنها جميعها تعبر عن مظاهر السلوك، وأساليب العامة في التفكير، والعمل، ولكنهم متفقون جميعا على أن هذه الأمور هي الأصول التي استمدت منها النظم، والقوانين مادتها، وأنها الدعائم الأولى التي قام عليها التراث في كل بيئة اجتماعية، وهي إلى هذا تعتبر القوى الموجهة لأعمال الأفراد، والمؤثرة فيها (1).

ولقد راعى الإسلام أعراف الناس، وعاداتهم الاجتماعية، فلم يبطلها إلا إذا كانت تؤثر في أسسه بالإضعاف، أو بالإحباط فأبطل عبادة البشر، والأصنام، وأبطل بعض العادات القائمة على الفواحش،

---

(١) انظر: الإسلام والبيئة، عبد الواحد إسماعيل القاضي، مرجع سابق، ص٦٢-٦٥.

ولكنه أبقى على بعض العادات الأخرى غير الضارة، وتدرج في تحريم العادات التي لم يصل ضررها إلى العقيدة كعادة التبني، والظهار، وإرث ذوي الأرحام، وشرب الخمور، ونكاح المتعة، وأكل بعض اللحوم التي صارت محرمة بعد اكتمال حلقات التشريع في عصر النبوة، كل ذلك لكي لا يشعر المدعو بأن الإسلام يطالبه بالتنازل عن عرفه، وعاداته التي صارت جزءا من سلوكه الإرادي، وغير الإرادي، فأبقى الإسلام على ديات القتلى، بل شرعها في أحكام منزلة في القرآن الكريم: +وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟"[(١)].

كما أن أحكام التعزير في الإسلام تخضع للعرف الاجتماعي، فلا يعزر الشريف المتبع في قومه إن أخطأ فيما دون الحد بما يعزر به ناقص المروءة، والمجاهر بالفسق الذي لا يبالي بالناس، ولا يحزن لما يقولون عنه، ويرمونه به، وكان النبي ﷺ يراعي الأصول الاجتماعية للمدعوين؛ فلا يكلفهم رهقا ولا يطالبهم بالتمرد على العادات، وقلب التقاليد، بل يعدل سلوكهم تعديلا، ويوجه إلى مسار الإسلام توجيها [(٢)].

وأُوَجِّهُ النظرَ إلى طائفةٍ من أهم الأساليب الحكيمة الناجمة لاجتياز عقبة سوابق الأفكار، والمفهومات، والمعتقدات، والعادات، فعلى حامل الرسالة أن يختار منها ما يلائم حالة من يوجهه له رسالته:

١- الصبر الطويل في اتخاذ الوسائل التي يكتسب بها ثقة من يوجه له رسالته بأخلاقه، وعلمه.

٢- اتخاذ الطريق غير المباشرة، أو المباشرة اللطيفة لهدم ما لديه من سوابق الأفكار والمفهومات والمعتقدات، والعادات بصورة تدريجية، ومن الخير البدء بالجذور الفكرية.

٣- اتخاذ أسلوب الإقناع العلمي، والمنطقي؛ لكشف بطلان ما يريد اقتلاعه، أو التغيير، والتعديل فيه.

٤- التلطف في غرس البدائل التي يراد غرسها بدءا بالجذور الأساسية، ثم الأقرب إليها فالأقرب.

٥- الاهتمام بالتركيز على منطق الحق، والحجة، والبرهان، والتجريبات العلمية.

٦- الإقناع بضرورة التحرر من المؤثرات العاطفية التي لا صلة لها بإثبات المعارف، أو نفيها، ولا صلة لها بتحديد الحق والباطل.

---

(١) سورة النساء، الآية ٩٢.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله تعالى على ضوء الكتاب والسنة، حسن مسعود الطوير، (دار قتيبة، بيروت، ١٤١٣هـ) ص١٤٣-١٤٤.

٧- الابتعاد عن إثارة النعرات الأنانية (الشخصية، الأسرية، العرقية، القبلية، القويمة، العنصرية، ونحو ذلك).

٨- قد يحسن، عند العناد الشديد، والإصرار على الباطل - الهجوم الصاعق لكشف بطلان الأفكار، والمفهومات، والعقائد، والعادات التي يلتزم بها من توجه له الرسالة[١].

إن من أهم ما يميز المسلم الحق الواعي إخضاعه كل عادة مألوفة في مجتمعه لمقاييس الإسلام، ومن ثم تكون قيمه الاجتماعية مستمدة كلها من تصور الإسلام، ومفاهيمه، ومنطلقاته الأصلية المتميزة.

وهو لا يتبع ما يسمى اليوم بالموضة في تقاليد الخطبة، والزواج مما أخذناه عن الغرب كالعمي، أو الببغاوات التي تقلد دونما تفكير، وتروٍّ، وتبصر كلبس خاتم الخطبة في اليد اليمنى، ثم نقله ليلة الزفاف إلى اليد اليسرى، ولا يسمح بدخول مصور غير محرم يلتقط له ولزوجه الصور التذكارية لليلة الزفاف وغير ذلك مما ألفه الناس في مجتمعاتنا التي منيت بالغزو الفكري، والنفسي فأضحت صورة مشوهة عن المجتمعات الغربية، وهي تحسب أنها لا تزال تنتمي إلى الإسلام الانتماء الكامل.

ومن تلك العادات التي يسقطها المسلم الواعي من حياته الاجتماعية عادة تعليق الصور، ونصب التماثيل في البيوت، واقتناء الكلاب في البيت إلا للحراسة، فقد اشتد الإسلام في محاربة هذه العادات، وجاءت نصوصه القاطعة تحرم ذلك على المؤمنين تحريما لا مجال للترخص فيه[٢].

إن للعرف، والعادة أثرهما الكبير، ومفعولهما الخطير الذي لا يمكن أن يقلل من شأنه في حياة الناس، وسلوكهم.

ومن العوامل التي تعين على إقناع الجماعة، والتأثير بها معرفة عاداتها، وتقاليدها، وطبائعها، فهذه الأمور ترسبت في قلوب الناس عبر أزمنة مديدة مما يطبع في نفوسهم التعصب لها ومعاداة من يعتدي عليها من بعيد أو قريب.

ولذا على الداعية الفطن اللبق أن يتسلل إلى نفوس المدعوين دون جرح أحاسيسهم أو إشعارهم بالبلادة، والتفاهة إزاء مواقفهم من هذه التقاليد البالية. بل لعل تهور بعض الدعاة خاصة في أفريقيا،

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (مرجع سابق) ١/٥٥٥-٥٥٧.

(٢) انظر: شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، د/ محمد علي الهاشمي، ص٣٠٤-٣٠٧.

وبعض بلدان آسيا بمهاجمة أعراف وتقاليد المسلمين هناك مما أفقد دعوتهم من إحداث الأثر الفعال المطلوب[1].

فعلى الداعية الحكيم إذن الإفادة من تجارب السابقين، فيأخذ أحسن ما عملوا، ويدع الشيء الذي لا يأتي بخير.

---

(١) انظر: دوافع إنكار دعوة الحق، عبد الرحمن بن يوسف الملاحي، مرجع سابق،ص٣٤٩.

المبحث الخامس : مكانة المدعو في مجتمعه

المدعو شخص من المجتمع الذي يعيش فيه الداعية، والمجتمع يحتوي على أصناف عديدة، وفئات مختلفة، لكل منهم مكانته، وقدره، وهم طبقات متباينة، منهم الأمراء، والحكام، وذوو السلطة، والمكانة العالية المرموقة، ومنهم العلماء، والفضلاء أصحاب المراكز الهامة في المجتمع، ومنهم العقلاء النبلاء، والباحثون عن الحق والحقيقة، ومنهم العامة الذين لم يبلغوا منزلة السابقين، ولا هم من المعاندين الذين يحاربون الدعوة، أو يقفون حجر عثرة في وجه الدعاة، ومنهم المعاندون الذين لا يرضيهم صنيع الدعاة، ولا يقبلون منهم الحق الذي يعرضونه عليهم.

إذن على الداعية الحكيم أن ينزل كل فئة من فئات المجتمع منزلته التي يستحقها، ويتعامل معهم بما يلائم مستواهم، ومكانتهم. فخطاب الداعية، مع الأمراء والحكام يختلف عن الخطاب مع العامة أو المعاندين، أو العقلاء فلابد من إنزال كل طبقة منزلته التي يستحقها.

ويدل على ذلك قدوم وفد من الحبشة على النبي ﷺ وعددهم اثنان وسبعون رجلاً، قال لهم الرسول ﷺ: « انتسبوا »، فقال أحدهم وهو ذو مهدم:

على عهد ذي القرنين كانت سيوفنا ... صوارم يفرقن الحديد المذكرا

وهذا أبونا سيد الناس كلهم ... وفي زمن الأحقاف عزاً ومفخرا

فمن كان يعمى عن أبيه فإننا ... وجدنا أبانا العذملى المذكرا

وهذا الوفد " أسلم ببلاد الحبشة في فجر الإسلام، وشهد مع النبي ﷺ غزوة أحد، ثم صحبوا جميعاً رسول الله ﷺ، ولازموه إلى حين وفاته ﷺ، ورووا عنه الحديث.."[1].

إن سؤال النبي ﷺ عن النسب هاهنا فيه مراعاة لحال الناس من اهتمامهم بالنسب، ورعايتهم للانتساب، كما أن الانتساب فيه إذكاء لما يقوم عليه، ويترتب به، فيضع المنتسب في حسبانه أن نتيجة عمله، وثمرة جهده ليست محسوبة عليه، أو له فقط، وإنما يتعدى أثر ذلك ونتيجته إلى

---

(١) أسد الغابة، ابن الأثير، مرجع سابق، ١٤٤/٢، ١٤٥. " ولعل هذا الوفد الحبشي، هو الذي جاء عنه في صحيح البخاري، (باب قصة الحبشة وقول النبي ﷺ يا بني أرفدة)، أنهم كانوا يلعبون في المسجد النبوي يوم عيد الأضحى بالحراب، انظر فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٣٦٤/٧.

قبيلته.

المطلب الأول

أصحاب المكانة الرفيعة (الملأ)

هم ذوو المكانة من الكبراء، والسادة، والأشراف من الناس[1]، وهم الملأ الذين أشار الله تعالى إليهم في غير ما موضع من كتابه الكريم.

وهؤلاء كأقارب الملوك، والوزراء، وأهل الرأي، والأثرياء وممن له شأن ومكانة، ويأتي في مقدمتهم امرأة فرعون التي لم يصدها الجاه، والمكانة العالية عن الاستجابة للحق، والدخول في دين موسى عليه السلام، وأسلمت لله رب العالمين.

ومن الملأ المسلمين مؤمن آل فرعون، فقد كان صاحب شأن، ومكانة في قومه. ومنهم عروة ابن مسعود رضي الله عنه فقد كان سيداً مطاعاً في قومه. وكذلك سعد بن معاذ رضي الله عنه سيد بني الأشهل، وعمير بن وهب الجمحي كان وجيهاً من وجهاء مكة، وضمام بن ثعلبة كان ذا شأن، ومكانة. وثمامة بن أثال كان سيد أهل اليمامة، والطفيل بن عمرو الدوسي كان سيداً مطاعاً، وعمرو بن مرة الجهني كان سيداً في قومه، وزيد بن الحارث الصدائي كان سيداً مطاعاً في قومه.

وقد حث الله الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم لهذا الصنف على الرفق، واللين، والتلطف، والتدرج، في بيان الحق لهم، قال تعال مخبراً عن موسى، وهارون عليهما السلام: +ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ**"[2] فأمرهما الله بدعوة فرعون، بكلام رقيق لين سهل، ليكون أوقع في النفوس، وأبلغ وأنجح[3]، ولما في ذلك من التأثير في الإجابة[4]. ذلك أن الكلام الذي فيه شدة، وخشونة بادئ ذي بدء من أعظم أسباب النفرة، وعدم الاستجابة، والتصلب في الكفر[5]، لاسيما إذا كان المدعو من الكبراء، الذين تغلب عليهم صفة الكبر والتجبر[6]. وبعد تعرفه ﷺ على المدعوين، كان يولي ذوي المكانة منهم عناية خاصة، بل لقد كان** يولي كبراء قومه

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، مرجع سابق، ٢٤٣/٣.

(٢) سورة طه، الآيتان ٤٣، ٤٤.

(٣)تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٥٣/٣.

(٤) انظر: فتح القدير، الشوكاني، مرجع سابق، ٣٦٦/٣.

(٥) انظر التفسير الكبير، الفخر الرازي، مرجع سابق، ٥٨/٢٢ وانظر: فتح القدير، الشوكاني، مرجع سابق، ٣٦٦/٣.

(٦) انظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي، مرجع سابق، ٥٨/٢٢.

عناية خاصة، لمكانتهم في قومهم، ومما يدل على ذلك ما ذكره ابن كثير:"اجتمع علية من أشراف قريش... فبعثوا إليه إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدو، وكان حريصاً يحب رشدهم، ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم"(١).

وهكذا كان موقفه ﷺ مع عمه أبي طالب، وهو كبير قريش، حيث كان يقول له:"... وأنت أي عم، أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه، وأعانني عليه"(٢).

وهكذا كان موقفه ﷺ مع عتبة بن ربيعة، وهو أحد سادات قريش، فقد أظهر ﷺ من العناية به، والتلطف في دعوته، ما جعله يعود بغير الوجه الذي جاء به، ومما يدل على مكانته في قريش، قولهم: صبا أبو الوليد لتصبون قريش كلها(٣).

بل كان يبدأ بعرض الدعوة على ذوي المكانة من الأشراف، والسادة، يقول ابن إسحاق:"لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم فدعاهم إلى الله"(٤).

ثم لما عاد ﷺ إلى مكة، كان لا يسمع بقادم يقدمها من ذوي المكانة، والشرف إلا تصدى له، فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده(٥).

ثم بدأ يعرض دعوته على وفود العرب، في موسم الحج، وأسواق العرب، وكانت مناسبات هامة للالتقاء بذوي المكانة، من رؤساء العرب، وكان يصطحب معه نسابة قريش أبا بكر الصديق رضي الله عنه (٦)، ليقوم بمهمة تعريفه بذوي المكانة والشرف من هؤلاء الوفود، فيبدأهم بعرض الدعوة عليهم(٧).

وكذلك الحال مع مصعب بن عمير وهو أحد تلامذته ﷺ، ومبعوثه إلى يثرب، ليقوم بمهمة الدعوة والتعليم، هذا الداعية أظهر عناية عظيمة بذوي المكانة، من الأشراف، والسادة في المجتمع المدني، فقد

---

(١) السيرة النبوية، ابن كثير، مرجع سابق، ٤٧٨،٤٧٩/١.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ٢٢٩/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٣٣٩/١٥.

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ٤٧،٤٨/٢.

(٥) انظر السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ٥٢/٢.

(٦) انظر السيرة النبوية، ابن كثير ، مرجع سابق،٤٣٧/١.

(٧) انظر: وقفات دعوية في رحلة سفير الدعوة الأول مصعب بن عمير إلى المدينة، د. زيد بن عبدالكريم الزيد، مرجع سابق، ص٣٦.

استفاد من أسعد بن زرارةﷺ وهو من ذوي المكانة، في قومه، حيث نزل ضيفاً عليه، وأخذ يصطحبه في جولاته الدعوية(١)، ليقوم بمهمة تعريفه بذوي المكانة والشرف ليوليهم عناية خاصة في الدعوة، فحينما دخلا حائط بني عبد الأشهل، وأقبل عليهما أسيد بن حضير لزجرهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه، قد جاءك، فاصدق الله فيه(٢).

وحينما أسلم أسيد بن الحضير، وانضم إلى سلك الدعوة، قال لهما مبيناً مكانةسعد بن معاذ في قومه: إن ورائي رجلاً، إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد ابن معاذ (٣) فلما أقبل سعد، قال أسعد بن زرارة لمصعب: أي مصعب، جاءك والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان (٤).

فكان لهذه العناية بهذين الرجلين الأثر البالغ؛ حيث أسلم بإسلامهما جميع دور بني عبد الأشهل(٥).

الأشهل(٥).

ويبين ﷺ الحكمة في العناية بذوي المكانة بقوله: «**لو آمن بي عشرة من اليهود، لآمن اليهود**»(٦). **يقول ابن حجر:"والذي يظهر أنهم الذين كانوا حينئذ رؤساء في اليهود، ومن عداهم كان تبعاً لهم"**(٧).

فهؤلاء العشرة الذين هم من علماء اليهود، ورؤسائهم، والذين يقتدي بهم اليهود، لو أسلموا لقادوا سائرهم إلى الإسلام(٨). **وتأمل موقفه ﷺ مع سيد أهل اليمامة ثمامة بن أثال ﷺ يتبين لك مدى عنايته ﷺ بذوي المكانة من الأشراف، والسادة، الذين يرجى بإسلامهم إسلام أتباعهم.**

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٢٧ ،٢٨.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ٥٩/٢.

(٣) المرجع السابق ٥٩/٢.

(٤) المرجع السابق، ٥٩/٢.

(٥) المرجع السابق، ٦٠/٢.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة (رقم ٣٩٤١) ومسلم، كتاب صفات المنافقين، باب نزل أهل الجنة (رقم ٢٧٩٣).

(٧) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٦٩٥/٧.

(٨) انظر: الفتح الرباني، أحمد البنا، مرجع سابق ١٠٢/١.

يقول ابن حجر، مبيناً فائدة جليلة في عناية الرسول ﷺ بثمامة:"وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه، إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولاسيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه"[١].

وفي هذا الصدد يعلق النووي قائلاً:"هذا من تأليف القلوب، وملاطفة لمن يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير"[٢].

وقد صلى عليه الصلاة والسلام، على رأس المنافقين عبدالله بن أبي، واستغفر له، إلى أن نهي عن ذلك بقوله تعالى: +وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ**"[٣]. فما السر في عنايته ﷺ ﷺ بهذا الرجل، وهو من أكبر أعداء الدعوة، في عهدها المدني؟**

يشير ابن حجر إلى السر في ذلك بقوله:"قال الخطابي: إنما فعل النبي ﷺ مع عبدالله بن أبي ما فعل، لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين، ولتطييب قلب ولده عبدالله الرجل الصالح، ولتألف قومه من الخزرج لرياسته فيهم"[٤].

ولو تأملت رسائله ﷺ في الدعوة إلى الإسلام لوجدتها تصدر لمن لهم المكانة، والتعظيم من قبل أقوامهم:"من محمد رسول الله ﷺ إلى عظيم الروم"[٥] والمراد من تعظمه الروم، وتقدمه للرياسة للرياسة عليها.[٦]

فدل على عنايته ﷺ بذوي المكانة، والرياسة، وتقديمهم في الدعوة، والمخاطبة، ويشير ابن تيمية إلى نكتة في هذا الشأن فيقول:"وطالب الرئاسة -ولو بالباطل- ترضيه الكلمة التي فيها تعظيمه، وإن كانت باطلاً، وتغضبه الكلمة التي فيها ذمه، وإن كانت حقاً"[٧].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٤٢١/٨.

(٢) شرح النووي صحيح مسلم، مرجع سابق، ٨٩/١٢.

(٣) سورة التوبة، الآية ٨٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٢٣٥/٩.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: +قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ" (رقم ٤٥٥٣) ومسلم كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعو إلى الإسلام (رقم ١٧٧٣).

(٦) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٨٦/٩.

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق ٥٩٩/١٠.

ومما يدل على عنايته ﷺ بهذا الصنف من المدعوين، أنه كان يجزل العطاء لبعض ضعفاء الإيمان، ممن لهم المكانة في أقوامهم، ويعلل ذلك بقوله: «إنه رأس قومه، فأنا أتألفهم به»[1].

وهكذا فعل النبي ﷺ في حنين، وقد دانت له العرب فقد أجزل العطاء لبعض ذوي المكانة من الأشراف، والسادة، فقد روى البخاري –رحمه الله– عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال:"لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة: فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب، فآثرهم يومئذ في القسمة..."[2]. فآثر ﷺ هؤلاء السادة بهذا العطاء، ترغيباً لهم، ولأقوامهم في الإسلام، لما لهم من مكانة، وسيادة، تجعل أقوامهم تبعاً لهم[3] ، ونعرض لأبرز أصناف الملأ:

أولاً: أهل الولاية والسلطة:

وهم على أنواع في تصرفاتهم، ومسالكهم، فكان لكل مسلك لهم في سلطتهم ما يناسبه من قبل الدعاة، وأشباههم؛ ليكون في تلك المراعاة لهم ما يحقق الخير، والمصلحة لهم، ولعامة الرعية.

وللتعامل مع مخالفات الولاة مسلك، يقوم على مراعاة أحوالهم المراعاة التي تكفل إظهار الحق وإعلانه، وتحقيق المصلحة باستجلاب مواطن الخير لدى المدعو، والابتعاد عما قد يثير حفيظته بواسطة هذه المراعاة:

كما حدث مع أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة فهو مروان فقد قام إليه رجل، فقال: الصلاة قبل الخطبة، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه. قال النووي: قد يقال: كيف يتأخر أبو سعيد عن إنكار هذا المنكر حتى سبقه إليه هذا الرجل؟! وجوابه أنه يحتمل أن أبا سعيد لم يكن حاضراً أول ما شرع مروان، فأنكر عليه الرجل، ثم دخل أبو سعيد وهما في الكلام، ويحتمل أنه كان حاضراً ولكنه خاف حصول فتنة بإنكاره، أو أنه هم بالإنكار فبدره الرجل، فعضده

---

(١) انظر فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ١/١٤٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، رقم (٣١٥٠) ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام... (رقم ١٠٦٢).

(٣) انظر الفتح الرباني، أحمد البنا، مرجع سابق، ٩/٦٢. وللمزيد حول دعوة الملأ، انظر دعوة الملأ إلى الإسلام في الكتاب والسنة، د. عبدالله المجلي، رسالة دكتوراة مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود، غير منشورة.

أبو سعيد. قال: مع أن في رواية تأتي في العيد: أن أبا سعيد هو الذي جبذ يد مروان حين رآه يصعد المنبر، فرد عليه مروان بمثل ما رد على الرجل، فيحتمل أنهما قضيتان إحداهما لأبي سعيد والأخرى للرجل بحضرته انتهى، وبه جزم ابن حجر[١].

مناداة أهل الولاية والسلطة ب السيد ونحوها، وما تقتضيه المراعاة الخاصة بهم وفق ذلك:

ولذا فمن المداخل المناسبة لحسن الدعوة لهذه الفئة العناية بما تقتضيه مقاماتهم ومنازلهم، وقد جاء في ذلك عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من سيدكم يا بني سلمة؟» **قالوا: جد بن قيس. فذكر الحديث، فقال:** «سيدكم بشر بن البراء بن معرور»[٢].

ويراعى أيضاً: مخاطبتهم، ومناداتهم بأحب الأسماء لهم. وإخلاص النصيحة لهم، ودحض الشبه العالقة والراسخة في عقولهم، وقلوبهم. ومطالبة الحكام بردع أهل البدع، والخصوم، والعاصين، والمخطئين. وتحذيرهم من الانزلاق عن الطريق القويم. ومطالبتهم بعدم اتهام الصالحين بالسوء، وإحسان الظن فيهم.

وينبغي أيضاً أن يراعي الدعاة إلى الله أن صلاح الرعية بصلاح أميرها. وأن يتقبلوا الهدية من السلطان، لأن هذا أدعى لتقبل النصيحة كما أن مسؤولية الإنكار على عاتق العلماء، والأمراء، ويلزم أن يراعوا البدء بالأهم، ثم المهم في نصيحة ولاة الأمور مع لين الجانب في الأسلوب.

ومن صور المراعاة للملأ النظر في حالهم من حيث العدل، وتحريه، أو ركونهم للظلم، والبطش وغمط الحق، فإن كان من النوع الأول كالنجاشي كان الأنسب معه المقارعة بالحجة، وعرض الحق جلياً دون تورية للعلم بأنه يسعى إليه، وإن كان من النوع الثاني كفرعون فالمسلك المناسب معه: +فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ"[٣].

فينبغي لمن وعظ سلطاناً أن يبالغ في التلطُّف، ولا يواجهه بما يقتضي أنه ظالم. فإن السلاطين حظهم التفرد بالقهر، والغلبة، فإذا جرى توبيخ لهم كان إذلالاً، وهم لا يحتملون ذلك.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، الإمام النووي، مرجع سابق، ٢٢/٢. وانظر الديباج على صحيح مسلم، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مرجع سابق، ٦٥/١.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٥/٩): رواه الطبراني والبزار وفيه سعيد بن محمد الوراق وهو متروك.

(٣) سورة طه، الآية ٤٤.

وينبغي أن يمزج وعظه بذكر شرف الولاية، وحصول الثواب في رعاية الرعايا، وذكر سير العادلين من أسلافهم، ثم لينظر الواعظ في حال الموعوظ قبل وعظه. فإن كانت سيرته حميدة زاد في وعظه ووصيته، وإن رآه ظالماً – لا يلتفت إلى الخير، وقد غلب عليه الجهل، – اجتهد في ألا يراه، ولا يعظه؛ لأنه إن وعظه خاطر بنفسه، وإن مدحه كان مداهناً. فإن اضطر إلى موعظته كانت كالإشارة، وقد كان أقوام من السلاطين يلينون عند الموعظة، ويحتملون الواعظين حتى أنه قد كان المنصور يواجه بأنك ظالم فيصبر، وهذا المسلك لدى بعض الملأ من أهل الولاية والسلطة لا يسوغ بسببه التخلي عما يجب لهم من احترام ومراعاة للمقام والمنزلة.

ثانياً: العلماء:

وهم العالمون بالله عز وجل المتفقهون في دينه والعاملون، وهم الذين رفع الله شأنهم، وأعلى مكانتهم، فهم الأئمة وأصحاب الفضل، والشرف، والمكانة العالية، قرن الله اسمهم باسمه، واسم ملائكته في الشهادة على أجل وأعظم مشهود ألا وهو توحيد الله عز وجل. منحهم الحكمة، وهم أحد صنفي ولاة الأمر الذين أمر الله عز وجل بطاعتهم، والالتزام بقولهم.

والعلماء إذا أقاموا كتاب الله – وفقهوا ما فيه من البينات، التي هي حجج الله، وما فيه من الهدى الذي هو العلم النافع، والعمل الصالح، وأقاموا حكمة الله التي بعث بها رسوله ﷺ وهي سنته – لوجدوا فيها من أنواع العلوم النافعة ما يحيط بعلم عامة الناس، ولميزّوا حينئذ بين المحق والمبطل من جميع الخلق بوصف الشهادة التي جعلها الله لهذه الأمة، حيث يقول ﷻ +جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ" [1] واستغنوا بذلك عما ابتدعه المبتدعون من الحجج الفاسدة، التي يزعم الكلاميون أنهم ينصرون بها أصل الدين، وعن الرأي الفاسد الذي يزعم القياسيون أنهم يتمون بها الدين[2].

وينبغي حسن الظن بأهل العلم من السلف الصالح والتماس الأعذار لهم، واستحباب مشاورة أهل العلم، والرأي فى الأمور الحادثة، وتقديم أهل السابقة فى ذلك، وتنزيل الناس منازلهم، وتقديم أهل الفضل على غيرهم، والابتداء بهم فى المكارم.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ٢/٢٨١.

ومن صور التعامل مع العلماء:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر لما دخل أحد الصحابة: لِمَ تحتبسون عن الصلاة؟ وفي رواية مسلم: فعرض عنه عمر، فقال: ما بال رجال يتأخرون بعد النداء. والذي يظهر أن عمر قال ذلك كله فحفظ بعض الرواة ما لم يحفظ الآخر، ومراد عمر التلميح إلى ساعات التبكير التي وقع الترغيب فيها، وأنها إذا انقضت طوت الملائكة الصحف.

وهذا من أحسن التعريضات، وأرشق الكنايات، وفهم عثمان ذلك فبادر إلى الاعتذار عن التأخر قوله: إني شغلت بضم أوله، وقد بين جهة شغله في رواية عبد الرحمن بن مهدي حيث قال: انقلبت من السوق فسمعت النداء. والمراد به الأذان بين يدي الخطيب، قوله: فلم أزد على أن توضأت لم أشتغل بشيء بعد أن سمعت النداء إلا بالوضوء. وهذا يدل على أنه دخل المسجد في ابتداء شروع عمر في الخطبة قوله: والوضوء أيضا؟! فيه إشعار بأنه قبل عذره في ترك التبكير، لكنه استنبط منه معنى آخر اتجه له عليه فيه إنكار ثان مضاف إلى الأول، وقوله: والوضوء؟ في روايتنا بالنصب، وعليه اقتصر النووي في شرح مسلم، أي والوضوء أيضا اقتصرت عليه، أو اخترته دون الغسل؟ والمعنى: ما اكتفيت بتأخير الوقت، وتفويت الفضيلة حتى تركت الغسل واقتصرت على الوضوء ...

وفي هذا الحديث من الفوائد القيام في الخطبة، وعلى المنبر، وتفقد الإمام رعيته، وأمره لهم بمصالح دينهم، وإنكاره على من أخل بالفضل، وان كان عظيم المحل، ومواجهته بالإنكار؛ ليرتدع من هو دونه بذلك "[(١)].

وينبغي على الداعي في دعوته لأهل العلم، أن يحرص على النصيحة لهم بالإخلاص في العلم والتحذير من الجدل، وأن يهتموا بزجر الخطباء الذين يذكرون أحاديثاً لا يتثبتون منها، وعدم تحبيذ مكاتبة العلماء المنحرفين، ومراسلة العلماء لمعرفة حالهم وحال، وأخبار الخصوم للتأكد والتثبت منهم.

وينبغي توقير العلماء، والكبار، وأهل الفضل، وتقديمهم على غيرهم، ورفع مجالسهم، وإظهار مرتبتهم، فعن ميمون بن أبي شبيب رحمه الله أن عائشة رضي الله عنها مر بها سائل، فأعطته كسرة، ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة، فأقعدته فأكل فقيل لها في ذلك؟ فقالت: قال رسول الله ﷺ:

(١) فتح الباري،٠ ابن حجر، مرجع سابق، ٣٦٠/٢.

أنزلوا الناس منازلهم" [١] رواه أبو داود. لكن قال: ميمون لم يدرك عائشة.

وقد ذكره مسلم في أول صحيحه تعليقاً فقال: وذكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم" [٢] . وذكره الحاكم أبو عبد الله في كتابه "معرفة علوم الحديث" وقال: هو حديث صحيح[٣].

قال الله تعالى: +قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ" [٤].

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً، ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه**" [٥] رواه مسلم.

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد يعني في القبر، ثم يقول: «**أيهما أكثر أخذاً للقرآن؟**» فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد. [٦]

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**"[٧]

ثالثاً: الموسرون من أهل المال والثروات

"قال الله تعالى: +وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ"[٨] الآية هؤلاء هم القسم الثالث من رؤوس الناس، فإن الناس عالة على العلماء، وعلى العباد، وعلى أرباب الأموال، فإذا

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم (رقم ٤٨٤٢).

(٢) أخرجه مسلم، المقدمة (٦/١).

(٣) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ) ١١٨/١.

(٤) سورة الزمر، الآية ٩.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة (رقم ٦٧٣).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد (رقم ١٣٤٣).

(٧) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم (رقم ٤٨٤٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢١٩٩).

(٨) سورة التوبة، الآية ٣٤.

فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس، كما قال ابن المبارك:

وهل أفسد الدين إلا الملوك   وأحبار سوء، ورهبانها

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين، وما كان ظاهراً لاتؤدى زكاته فهو كنز. وقد روي هذا عن ابن عباس، وجابر، وأبي هريرة رضي الله عنهم موقوفا، ومرفوعا، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه نحوه: أيما مال أديت زكاته فليس بكنز، وإن كان مدفونا في الأرض، وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه، وإن كان على وجه الأرض. وروى البخاري تعليقا من حديث الزهري عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر رضي الله عنه فقال: هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما نزلت جعلها الله طهرة للأموال.[١] وكذا قال عمر بن عبد العزيز، وعراك بن مالك نسخها قوله تعالى: +خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً"[٢] الآية[٣].

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول» [٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: «جهد المقل وابدأ بمن تعول» [٥]

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: أمرنا رسول الله ﷺ يوما أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أَسْبِقُ أبا بكر إن سبقته يوما، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: « **ما أبقيت لأهلك؟**» فقلت: مثله قال فأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال رسول الله ﷺ : «**ما أبقيت لأهلك؟**» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله فقلت: لا أسابقك إلى شيء أبدا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: +يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ" (رقم ٤٦٦١).

(٢) سورة التوبة، الآية ١٠٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٣٥١/٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى (رقم ١٤٢٧) ومسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح (رقم ١٠٣٤).

(٥) أخرجه ابن حبان (١٣٤/٨ رقم ٣٣٤٦) وأحمد (٣٥٨/٢) وأبو داود، كتاب الزكاة، باب الرخصة في ذلك (رقم ١٦٧٧) .
وقال المنذري في الترغيب (١٣/٢ رقم ١٣٠٩) : رواه أبو داود وابن خزيمة في صحيحه والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

".[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إن رجلاً لم يعمل خيراً قط، وكان يداين الناس، فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز، لعل الله تعالى أن يتجاوز عنا. فلما هلك قال الله ﷻ له: هل عملت خيراً قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام، وكنت أداين الناس، فإذا بعثته ليتقاضى قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز، لعل الله يتجاوز عنا. قال الله تعالى: قد تجاوزت عنك**» [2].

وقد وصَّى عليٌّ بن أبي طالب أولاده، وأهل بيته بعد ما طعنه عبد الرحمن بن ملجم وأشرف على الموت قائلاً لهم:الله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب ﷻ ،والله الله في الفقراء، والمساكين، فأشركوهم في معايشكم، والله الله في القرآن فلا يسبقنكم بالعمل به غيركم، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم، وأنفسكم، والله الله في بيت ربكم ﷻ لا يخلون ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا، والله الله في أهل ذمة نبيكم ﷺ فلا يظلمن بين ظهرانيكم، والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ﷺ قال: «**ما زال جبريل يوصيني بهم حتى ظننت أنه سيورثهم**» [3]، والله الله في أصحاب نبيكم ﷺ فإنه وصى بهم، والله الله في الضعيفين نسائكم، وما ملكت أيمانكم، فإن آخر ما تكلم به ﷺ أن قال: «**أوصيكم بالضعيفين: النساء وما ملكت أيمانكم**». [4] الصلاة الصلاة، لا تخافن في الله لومة لائم يكفكم من أرادكم، وبغى عليكم، وقولوا للناس حسنا كما أمركم الله[5].

فعلى الداعية الحكيم وهو يدعو أصحاب الأموال والأغنياء أن يحثهم على فضل الصدقات ويرغبهم في المكرمات، ويدعوهم إلى التخلق بمعالي الأخلاق ويسمعهم من الآيات والأحاديث من يخرج مكنون صدورهم ومدخراتهم، فإن أشرف ملابس الدنيا وأزين حللها وأجلبها لحمد وأمنعها لذم وأسترها لعيب كرم طبيعة، يتحلى بها

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الزكاة، باب الرخصة في ذلك (رقم ١٦٧٨) والترمذي، كتاب المناقب، باب ١٦ (رقم ٣٦٧٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه ابن حبان (٤٢٢/١١ رقم ٥٠٤٣) والنسائي، كتاب البيوع، باب حسن المعاملة والرفق في المطالبة (رقم ٤٦٩١) وأحمد (٣٦١/٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار (رقم ٦٠١٤، ٦٠١٥) ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه (رقم ٢٦٢٤، ٢٦٢٥).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٢/١ رقم ١٦٨).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٩٧/١-١٠٢ رقم ١٦٨) وقال الهيثمي في المجمع (١٤٨/٩) : رواه الطبراني وهو مرسل وإسناده حسن. حسن.

السمح السري والجود السخي، ولو لم يكن في الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تعالى تسمَّى بها، فهو الكريم عز وجل، ومن كان كريماً من خلقه فقد تسمى باسمه واحتذى على صفته، قال تعالى: +**لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ**"[1] وقال سبحانه: +**وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ**"[2] وقال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: أنفق أُنفق عليك**»[3] وقال ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: الله أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**»[4] وقال ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها، كما يرى أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل**»[5].

بل على الداعية الحكيم أن يستغل هؤلاء الأغنياء ويوظف أموالهم في خدمة الإسلام وعمل مشاريع خيرية، يعود ريعها على أوقاف المسلمين ورعاية الفقراء والأيتام والأرامل وأصحاب الحاجات وعمل مدارس للتحفيظ ومستشفيات لعلاج المرضى ودور للعجزة والمنقطعين وتغطية احتياجات شريحة كبيرة من المجتمع المسلم، كل ذلك رجاء ثواب الله عز وجل في الآخرة، وبذلك يتحقق التكافل الاجتماعي ويعيش الجميع في ظل الأخوة الإيمانية والمحبة الربانية أخوة متحابين.

رابعاً: أهل التميز، والشهرة في مجالات الحياة المختلفة (الرفيع منها والوضيع).

إن بعض المجتمعات يكون فيها لبعض الظواهر شيوع مؤثر، ومن ذلك اهتمام بعضها بالخوارق للعادة كالمعجزات، أو السحر، ولمن يباشر ذلك لديهم اعتبار، ويتلقون ما يصدر عنه بتقدير، واحتفاء، وقد حبى الله تعالى بعض رسله بجملة من المعجزات لما لها من اعتبار لدى أقوامهم، فمنح الله موسى عليه السلام من ذلك ما غالب به سحرة فرعون، وكان سبباً في إشعارهم بما هم فيه من الباطل حين لمسوا الفارق بين المعجزات الحقيقية الخارقة التي أجراها الله تعالى على يد موسى عليه السلام وبين سحرهم المتهافت الذي يقوم على الدجل، والباطل: وكذلك ما أيد الله تعالى به عيسى عليه السلام من معجزات حيرت قومه، وألزمتهم

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٩٢.

(٢) سورة سبأ، الآية ٣٩.

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٤٦٨٤) ومسلم (رقم ٩٩٣).

(٤) أخرجه البخاري (رقم ١٤٤٢) ومسلم (رقم ١٠١٠).

(٥) أخرجه البخاري (رقم ١٤١٠) ومسلم (رقم ١٠١٤).

بحجته على صدق دعواه، فمنها تكليمه إياهم في المهد، قال الله تعالى: +وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ"(١). ومنها ما جاء في قول الله تعالى: +وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ"(٢)، وقول الله تعالى: +وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي"(٣) فقد تضمنت هذه الآيات الكريمة ما مكن الله تعالى منه عيسى عليه السلام من المعجزات التي بهر بها قومه، وأحدث بها في قلوبهم زلزلة لما فيها من معتقدات منحرفة، وأفكار سقيمة، فبالإضافة إلى تكليمه إياهم في المهد، كان منه إيجاد الحياة – بإذن الله تعالى – في الجمادات، حيث يشكل من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيها، فتصير طيراً بإذن الله تعالى، ومنها إخباره لقومه عن ظهر الغيب – بما أطلعه الله تعالى عليه – حيث يخبر أحدهم بما أكل، وما ادخر في بيته.

إن أهل التميز في بعض النواحي يعدون سنداً للدعوة، وأنصاراً لها.. وفي المراعاة الصحيحة لأحوالهم يكمن تحفيزهم لبذل ما لديهم لنصرة الدعوة، وفي الشاهد التالي نرى هدي الرسول ﷺ في خطاب أولئك، وتمكنه عليه السلام بهذا الخطاب من جلبهم إلى صف الدعوة:

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم بأقوالهم، وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم، وأن يستجيبوا لله، ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى، حين قال: +مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ" أي من معيني في الدعوة إلى الله عز وجل +قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ" وهم أتباع عيسى عليه السلام +نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ"(٤) أي نحن أنصارك على ما أرسلت به، وموازروك على ذلك، ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين، واليونانيين، وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج: «**هل من رجل يحملني إلى قومه**

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٤٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٤٩.

(٣) سورة المائدة، الآية ١١٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٥٢.

حتى أبلغ رسالة ربي، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي»[1] حتى قيض الله ﷻ له الأوس والخزرج من أهل المدينة، فبايعوه، ووازروه، وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وفوا له بما عاهدوا الله عليه، ولهذا سماهم الله ورسوله الأنصار، وصار ذلك علما عليهم ﷺ وأرضاهم "[2].

ومن أهل التميز الفئة التي امتازت على سائر الناس بقربها من السلطان، فكان لها بذلك هيمنة ونفوذ.

فعلى الداعية الحكيم أن ينتهز الفرصة عندما يجد أحداً من أهل التميز في خدمة الدعوة، ويوظف مكانته وشهرته وتميزه في إيصال الحق والخير للعامة وخاصة إذا كان من النوع الرفيع. أما الوضيع فيسلك معه الداعية مسلكاً آخر في دعوته، ولا يمنعه وضعه من دعوته والحرص عليه وإنقاذه من الضلال والغي وعذاب الله عز وجل.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث (رقم ١٥٢٢٩)، ٣٩٠/٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٣٦٣/٤.

المطلب الثاني

عامة الناس

إن عامة الناس ينقسمون إلى ثلاثة أصناف، وينبغي على الداعية الحكيم أن يعامل كل صنف بما يناسبه:

الخصوم والمعارضون للدعوة : فينبغي على الداعي التثبت من كلامهم قبل الرد عليهم، كما ينبغي أيضاً الاهتمام بالدراسة، والعلم بضروب الضلال، والانحراف التي ينتهجها الخصوم والمعارضون.

أما المنهج مع العوام: فيكون عبارة عن توبيخ جاهلهم بما يناسبه. وعدم التفصيل في المسائل العظيمة خشية ألا يفهموها. لأن هذه الفئة يسهل التلاعب بها، وخداعها لقلة علمها وخبرتها .

ومما تتطلبه أحوال تلك الفئة لفت انتباهها لأفكار السوء المنحرفة، وتحذيرها منها، وممن يتبناها، ويتكلم بها من دعاة الضلال:

ومن سمات العامة: عدم قدرتهم على معرفة الباطل حين يبطن بثوب الحق، فيخدعهم أهله، ويروجوه بينهم، وهذا يستدعي مراعاة خاصة حين الخطاب معهم:

فإن عامة الناس هم الجمهور وهم أتباع الرسل، والذي يدل على ذلك أن هرقل لما سأل أبا سفيان عن أخبار الرسول ﷺ، قال له: أشراف الناس يتبعونه، أم ضعفاؤهم؟ فقال أبو سفيان: بل ضعفاؤهم. فقال هرقل: هم أتباع الرسل.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أقرئ رجالا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى، وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها، إذ رجع إليَّ عبد الرحمن، فقال: لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول: لو مات عمر لقد بايعت فلانا، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت. فغضب عمر، ثم قال: إني – إن شاء الله – لقائم العشية في الناس فمحذرهم، هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم. قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس، وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم، فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم

المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه، وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكنا، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها. فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة"[1].

فعلى الداعية الحكيم أن يراعي أمر العامة في دعوته، فلا ينشر على مسامعهم من الأدلة ما لا يفهمونها أو يفهمونها على غير مراد الشارع الحكيم، فما كل حديث صحيح تحدث به العامة، والدليل على ذلك ما رواه الشيخان عن معاذ رضي الله عنه قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار، فقال: «يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده؟ وما حق العباد على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» قلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا»[2].

وروى البخاري تعليقاً عن علي رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[3] ومثله قول ابن مسعود: «ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[4].

فيجوز إمساك بعض العلوم التي لا حاجة إليها للمصلحة أو خوف المفسدة، ويجوز أيضاً منع التبشير العام إذا خيف أن يسمع هذا الكلام من ليس لديه خبرة ولا علم عنده فيغتر ويتكل. فلا يجوز أن تشاع أحاديث الرخص في العامة، لئلا يقصر فهمهم عن المراد بها. فيتركوا التكاليف ويضيعوا الفرائض ويستهينوا بالأوامر.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، (رقم ٦٨٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٢٨) ومسلم (رقم ٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ١٢٨).

(٤) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (ص٢٣).

المطلب الثالث

أصحاب المكانة الوضيعة

وهم من يقابلون من الفئتين السابقتين في الغالب بالامتهان، والاحتقار كأصحاب المهن الدنيا والفقراء وغير المنتسبين للقبائل المعروفة كالعبيد، والعجم..

هم أصحاب الحرف (كالزراع والتجار والخدم والعبيد وغيرهم) وينبغي في دعوتهم أن يراعي الداعي الحكيم نفسيات كل طائفة، ويهتم بتلبية حاجات كل جماعة، ويعرض عليهم الداعية دعوته بما يلائم وضعهم الاجتماعي، والنفسي فدعوة الزراع ترتكز على إبراز أهمية إصلاح نيته في عمله ويلقي على مسامعه قول رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة إلا كان له به صدقة**» [(١)]

ودعوته إلى إخراج زكاة الزروع عند حصادها وتوزيعها على المستحقين، وتعليمهم أحكام الزكاة، وكل ما يتعلق بها. وتحذيرهم من منع الزكاة، وتذكيرهم بجزاء من يمنع زكاة زرعه، ويضرب لهم مثلاً بقصة أصحاب الجنة الذين جحدوا نعمة الله، ومنعوا حقوق الفقراء، والمساكين. مع بيان أجر من يؤدي زكاته، وفضله، ومكانته عند الله عز وجل.

وأما دعوة الصناع والتجار فترتكز على تعليمهم ما فرض الله عليهم في تجارتهم، وصناعتهم حتى لا يكون فيها شبهات، أو محرمات، وكذلك تعليمهم أحكام البيع، والشراء؛ ليعرف الحلال من الحرام، ويحذرهم من الربا، ويعلمهم أحكام القرض، والرهن، والسلم، والإجارات وغيرها من المعاملات. وتحذيرهم من الغش، والكذب، والخلف في المواعيد، والخداع، ودعوتهم إلى المحافظة على الفرائض، وعدم الاشتغال بالتجارة، والصناعة عن أداء الصلوات المفروضة، وترك الجماعات. وتحذيرهم من كثرة الحلف بالله عز وجل وترويج السلعة بالحلف الكاذب وإرشادهم إلى بيان عيوب السلعة فلا يحل لمسلم أن يبيع بيعاً لأخيه، وفيه عيب إلا بينه. وتحذيرهم أيضاً من الاحتكار، وتطفيف الكيل والميزان.

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الحرث والمزارعة، باب فضل الزرع والغرس (رقم ٢٣٢٠) ومسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (رقم ١٥٥٣).

أما الخدم والعبيد فدعوتهم ترتكز على بيان حق الله عز وجل، وحق سيدهم وأن من يقوم بأداء الحقين كان على خير كثير، ويرجى له النجاة والسلامة في الآخرة. وهكذا كل طائفة لها ما يناسبها من المضمون الدعوي الذي ينبغي أن يقف عليه، ويتعلمه، ويعمل به.

ومن الشواهد على المراعاة الصحيحة للضعفاء، والفقراء مارواه الإمام البخاري –رحمه الله– بشأن الثلاثة الذين منَّ الله تعالى عليهم بالشفاء، والرزق..

قال الكرماني ما محصله: كان مزاج، الأعمى أصح من مزاج رفيقيه، لأن البرص مرض يحصل من فساد المزاج وخلل الطبيعة، وكذلك القرع بخلاف العمى فإنه لا يستلزم ذلك، بل قد يكون من أمر خارج، فلهذا حسنت طباع الأعمى، وساءت طباع الآخرين. وفي الحديث جواز ذكر ما اتفق لمن مضى ليتعظ به من سمعه، ولا يكون ذلك غيبة فيهم، ولعل هذا هو السر في ترك تسميتهم، ولم يفصح بما اتفق لهم بعد ذلك، والذي يظهر أن الأمر فيهم وقع كما قال الملك. وفيه التحذير من كفران النعم، والترغيب في شكرها، والاعتراف بها، وحمد الله عليها. وفيه فضل الصدقة، والحث على الرفق بالضعفاء، وإكرامهم، وتبليغهم مآربهم. وفيه الزجر عن البخل، لأنه حمل صاحبه على الكذب، وعلى جحد نعمة الله تعالى"(١).

ومن صور خطاب المعدمين والفقراء

قال الله تعالى: +وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ"(٢).

يقول تعالى لنبيه ﷺ: كما آتيناك القرآن العظيم فلا تنظرن إلى الدنيا وزينتها، وما متعنا به أهلها من الزهرة الفانية، لنفتنهم فيه، فلا تغبطهم بما هم فيه، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات: حزناً عليهم في تكذيبهم لك ومخالفتهم دينك، +وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ"(٣) أي ألن لهم جانبك،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٦/٥٠٣.

(٢) سورة الحجر، الآيتان ٨٧، ٨٨.

(٣) سورة الشعراء، الآية ٢١٥.

كقوله: +لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ"(١)(٢).

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إخوانكم جعلهم الله فتنة تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه من طعامه، وليكسه من لباسه، ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه»(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «اللهم من رفق بأمتي فارفق به، ومن شق عليهم فشق عليه»(٤).

فعلى الداعية الحكيم أن يُذَكِّرَ أهل الفقر، والضعف، والمسكنة بأن الابتلاء سنة كونية يختبر الله بها عباده لينظر كيف يعملون فمن قابل قضاء الله، وقدره بالصبر، والرضا كان له أجر الصابرين، وفاز بالأجر الجزيل، قال الله تعالى: +إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ"(٥) وقال رسول الله ﷺ: **«من يرد الله به خيراً يصب منه»**(٦) وقال رسول الله ﷺ: **«إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»**(٧)

وكذلك ينبغي على الداعية الحكيم أن يعلم الفقراء بأن الفقر ليس عيباً، فلقد كان النبي ﷺ شطراً كبيراً من حياته فقيراً ليس عنده ما يكفيه، بل كان يمر عليه الهلال تلو الهلال لا يوقد في بيته نار. وكان هو وأزواجه التسعة يعيشون على التمر، والماء ولم يشبع ﷺ من خبز الشعير حتى مات.

وينبغي على الداعية الحكيم أن يعلم الفقراء أن الله عز وجل يتفضل على الفقراء يوم القيامة فيدخلهم الجنة قبل

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٢/٧٣٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية... (رقم ٣٠) ومسلم، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس... (رقم ١٦٦١).

(٤) أخرجه بلفظ قريب مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل.. (رقم ١٨٢٨) وأحمد واللفظ له (٦/٦٢).

(٥) سورة الزمر، الآية ١٠.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض (رقم ٥٦٤٥).

(٧) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في الصبر على البلاء، (رقم ٢٣٩٦).

الأغنياء بنصف يوم – خمسمائة عام – . وأن يعلمهم بالأجر العظيم الذي أعده الله للمبتلى الصابر الراضي بقضاء الله وقدره.

ومن أولئك الرقيق، أو العبيد:

قال الله تعالى: +وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ" [1] هذا مثل آخر ضربه الله تعالى لنفسه وللوثن، فالأبكم الذي لا يقدر على شيء هو الوثن، والذي يأمر بالعدل هو الله تعالى. قاله قتادة وغيره ... وقيل: الأبكم أبو جهل، والذي يأمر بالعدل عمار بن ياسر العنسي ... وكان أبو جهل يعذبه على الإسلام، ويعذب أمه سمية، وكانت مولاة لأبي جهل. وقال لها ذات يوم: إنما آمنت بمحمد لأنك تحبينه لجماله. ثم طعنها بالرمح في قبلها فماتت، فهي أول شهيد مات في الإسلام ... وقيل: إن الأبكم الكافر، والذي يأمر بالعدل المؤمن جملة بجملة "[2].

وقال نبي الله ﷺ: «**إنما نصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم**»[3] ومعناه أن عبادة عبادة الضعفاء ودعاءهم أشد إخلاصاً لجلاء قلوبهم من التعلق بزخرف الدنيا، وجعلوا همهم واحدًا فأجيب دعاؤهم وزكت أعمالهم.[4].

وقوله: «**ولا تكلفوهم ما يغلبهم**» أي عمل ما تصير قدرتهم فيه مغلوبة، أي ما يعجزون عنه لعظمه أو صعوبته، والتكليف تحميل النفس شيئا معه كلفة، وقيل: هو الأمر بما يشق قوله: «**فإن كلفتموهم**» أي ما يغلبهم، وحذف للعلم به، والمراد أن يكلف العبد جنس ما يقدر عليه. فإن كان يستطيعه وحده، وإلا فليعنه بغيره. وفي الحديث النهي عن سب الرقيق وتعييرهم بمن ولدهم، والحث على الإحسان إليهم، والرفق بهم، ويلتحق بالرقيق من في معناهم من أجير وغيره. وفيه عدم الترفع على المسلم، والاحتقار له. وفيه المحافظة على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإطلاق الأخ على الرقيق "[5].

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**على كل مسلم صدقة**» قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال:

---

(1) سورة النحل، الآية، ٧٦.

(٢)الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق،١٥٠/١٠.

(٣) أخرجه النسائي، كتاب الجهاد، باب الاستنصار بالضعيف (رقم ٣١٧٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٣٨٨).

(٤) انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مرجع سابق، ١٨٤/٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ١٧٥/٥.

«**يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق**» قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «**يعين ذا الحاجة الملهوف**» قال قيل له: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «**يأمر بالمعروف، أو الخير**» قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: «**يمسك عن الشر فإنها صدقة**» (١)

إن معرفة الداعية بتفاوت المدعوين في مكانتهم، وأقدراهم، ومنزلتهم في غاية الأهمية، فالمدعوون طبقات متفاوتة، وأصناف متباينة، فيهم الملوك، والرؤساء، والأمراء، والعلماء، والأشراف، والأكابر، والعظماء، والسوقة، والضعفاء، والأتباع؛ فلذا يجب على الداعية الحكيم أن يعرف لكل طبقة مكانتهم ومنزلتهم، وينزل كل طائفة المنزلة التي يستحقها، فها هو رسول الله ﷺ يخاطب الملوك بألفاظ فيها التعظيم، والتبجيل كما ثبت أنه كتب إلى هرقل عظيم الروم وغيره. لأن في ذلك مدخلاً مناسباً لمراعاة نفسياتهم من أجل استجابة المدعو، وقبوله دعوة الهدى، ومن أجل تأليف قلبه، ومراعاة لمكانته.

فللناس أقدار متفاوتة، وليسوا بمنزلة، واحدة، فلكل قوم منزلة ومكانتة تخصه، فها هو عدي ابن حاتم الطائي – الذي كان يضرب بأبيه المثل في الجود والكرم – لما قدم على النبي ﷺ عامله معاملة تليق به. ولما أسلم على يديه ﷺ بدا الفرح على وجهه. وقد أكرمه، وأجلسه على وسادة من أدم حشوها ليف.

فينبغي على الدعاة أن يراعوا مثل هذه الفوارق التي بين المدعوين لكي تأتي النتائج مبشرة، وناجحة في مجال الدعوة؛ فتعود بالخير، على الجميع على المدعو والداعية والمضمون الدعوي بإعلاء كلمة الله عز وجل في الأرض ونشر الخير والعدل بين العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة، فمن لم يجد فليعمل بالمعروف (رقم ١٤٤٥) ومسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (رقم ١٠٠٨).

المبحث السادس

الروابط والعلاقات الاجتماعية للمدعو

المطلب الأول

موقع وحالة المدعو في مجتمعه

إن المدعو يختلف من شخص إلى آخر، فلكل واحد حالة تخصه، ووضع يليق به، فقد يكون المدعو متزوجاً، وقد يكون غير متزوج، وقد يكون أباً، أو أمًّا، أو زوجاً، أو زوجة، أو جارًا، أو زميل عمل، أو مهنة، أو ابناً، أو ابنة، أو فرداً منعزلاً، فلكل واحد من هؤلاء طريقة في دعوته لا تصلح لغيره، فعندما يدعو الداعية أباه، أو أمه فليست طريقة دعوته إياهما كمثل دعوته زميله في العمل، أو جاره أو ابنه، أو زوجته. من أجل ذلك وجب على الداعية الحكيم أن يراعي حال المدعو، ويستخدم معه الأسلوب الأمثل الذي يأتي بالنتائج الطيبة، ولا يتعداها إلى غيرها فتأتي بالسلبيات غير المرغوب فيها.

إن صلة المدعو بمن حوله من القرابة، وغيرهم تقوم على عاطفة جياشة يصعب تجاهلها أثناء الخطاب معه، بل إن عدم الاهتمام بها مما يوغر صدره، ويصرفه عن الداعية، ودعوته..

ومن الجوانب المهمة التي يقوم عليها التعامل مع المدعو باعتبار مجتمعه الذي يعيش فيه: النظر إلى مدى قرابته بالداعية، ودرجة هذه القرابة، وقد حوى القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة جملة ضافية من التعامل مع المدعوين وفق هذا الاعتبار، فمن النماذج على ذلك: دعوة الوالد لابنه: كدعوة كل من نوح، وإبراهيم، ويعقوب، وداود، ولقمان عليهم السلام لبنيهم، ودعوة الولد لوالده كدعوة إبراهيم عليه السلام لوالده، ودعوة الأخ لأخيه كدعوة أحد ابني آدم عليه السلام لأخيه (وهي دعوة بالقدوة، والتذكير بالعاقبة)، ودعوة الزوج لزوجته كدعوة نوح، ولوط عليهما السلام لزوجتيهما، حيث لم تستجيبا إلى ما دعيتا إليه، ودعوة الزوجة لزوجها كدعوة امراة فرعون له، بالقدوة في الإيمان، والصبر على ما ينالها في سبيل ذلك.

فإذا كان المدعو بنتًا فله أسوة حسنة في دعوتها، كما كان رسول الله ﷺ يدعو ابنته فاطمة رضي الله عنها: فعن علي قال: كانت عندي فاطمة بنت النبي ﷺ فَجَرَّتْ بالرحى حتى أثرت بيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت في عنقها، وقمت البيت حتى أغبرت ثيابها. وفي رواية له: وخبزت حتى تغير وجهها.

قوله: فأتت النبي ﷺ تسأله خادما أي جارية تخدمها، ويطلق أيضا على الذكر، وفي رواية السائب: وقد جاء الله أباك بسبي، فاذهبي إليه فاستخدميه، أي اسأليه خادماً ...

وقال القرطبي: إنما أحالهما على الذكر، ليكون عوضاً عن الدعاء عند الحاجة، أو لكونه أحب لابنته ما أحب لنفسه من إيثار الفقر، وتحمل شدته بالصبر عليه، تعظيماً لأجرها. وقال المهلب: علَّم ﷺ ابنته من الذكر ما هو أكثر نفعاً لها في الآخرة. وآثر أهل الصفة لأنهم كانوا وقفوا أنفسهم لسماع العلم، وضبط السنة على شبع بطونهم، لا يرغبون في كسب مال، ولا في عيال، ولكنهم اشتروا أنفسهم من الله بالقوت.

وأخرج الطبري في تهذيبه من طريق أبي مريم: سمعت عليا يقول: إن فاطمة كانت تدق الدرمك[(١)] بين حجرين حتى مجلت يداها. فذكر الحديث، وفيه: فأتانا وقد دخلنا فراشنا، فلما استأذن علينا تخششنا لنلبس علينا ثيابنا، فلما سمع ذلك قال: «**كما أنتما في لحافكما**» [(٢)] ودفع بعضهم الاستدلال المذكور لعصمته ﷺ، فلا يلحق به غيره، ممن ليس بمعصوم. وفي الحديث منقبة ظاهرة لعلي، وفاطمة عليهما السلام. وفيه بيان إظهار غاية التعطف، والشفقة على البنت، والصهر، ونهاية، الاتحاد برفع الحشمة، والحجاب حيث لم يزعجهما عن مكانهما، فتركهما على حالة اضطجاعهما، وبالغ حتى أدخل رجله بينهما، ومكث بينهما حتى علمها ما هو الأولى بحالها من الذكر، عوضاً عما طلباه من الخادم، فهو من باب تلقي المخاطب بغير ما يطلب إيذانا بأن الأهم من المطلوب هو التزود للمعاد، والصبر على مشاق الدنيا، والتجافي عن دار الغرور[(٣)].

أما إذا كان المدعو زوجا، فينبغي على الزوج أن يستخدم معها الحكمة، ويرفق بها، ويعاملها بلطف، ويسعى في تعليمها أمور دينها، وما ينفعها في دنياها، وآخرتها، وما ينفع أولادها من أساليب التربية النبوية، ويعلمها أمور الحجاب، والتستر، والطهارة، وما تصح به العبادة

عن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماء الله» **فجاء عمر**

---

(١) الدرمك: الدقيق، انظر كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مرجع سابق، ٤٢٩/٥.

(٢) كنز العمال، أدب النوم وأذكاره، (رقم ٤١٩٧١) ٢١٢/١٥، وفتح الباري، قوله باب التكبير والتسبيح ١٢٤/١١.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١٢٥/١١.

بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقال: قد ذئرن على أزواجهن؟ فرخص في ضربهن، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير، يشكون أزواجهن. فقال النبي ﷺ «لقد طاف بآل محمد نساء كثير، يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم»(١).

جاء في الحديث «**فدارها تعش بها**» وقال النجم: ليس بحديث، وإنما هو شعر، وتمامه: وأرضهم، ما دمت في أرضهم. قال: وروى الأصبهاني في الترغيب عن جابر «**مداراة الناس صدقة**» وعن زيد بن رفيع «**أمرت بمداراة الناس كما أمرت بالصلاة المفروضة**» وعن سعيد بن المسيب: رأس العقل بعد الايمان مداراة الناس. وأخرجه البيهقي عن أبي هريرة بلفظ: «**رأس العقل المداراة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة**»(٢).

أما إذا كان المدعو جاراً، أو من القرابة فينصح له، ويتعاهده كل فترة، ويأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، ويسعى في إزالة الأذى عنه، ويدعوه برفق ولين، ويأخذ بيديه إلى المسجد، ويحرص عليه، وعلى مصلحته؛ لأن له حقاً عظيماً.

فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه»(٣) . **الحديث وقع في لفظ مسلم بالشك في قوله:** «لأخيه أو لجاره». **ووقع في البخاري** «لأخيه» **بغير شك. الحديث دليل على عظم حق الجار، والأخ، وفيه نفي الإيمان عمن لا يحب لهما ما يحب لنفسه. وتأوله العلماء بأن المراد منه نفي كمال الإيمان، إذ قد علم من قواعد الشريعة أن من لم يتصف بذلك لا يخرج عن الإيمان، وأطلق المحبوب، ولم يعين. وقد عينه ما في رواية النسائي في هذا الحديث بلفظ:** «حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه» **قال العلماء: والمراد من الطاعات، والأمور المباحة. قال ابن الصلاح: وهذا قد يعد من الصعب الممتنع، وليس كذلك، إذ معناه لا يكمل إيمان أحدكم حتى**

---

(١)أخرجه أبو داود، كتاب النكاح، باب في ضرب النساء (رقم ٢١٤٦) وابن ماجه، كتاب النكاح، باب ضرب النساء (رقم ١٩٨٥) والحاكم (٢٠٨/٢) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وله شاهد بإسناد صحيح.
وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥١٣٧، ٧٣٦٠).

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، مرجع سابق، ٤٧٩/١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (رقم ١٣) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير (رقم ٤٥).

يحب لأخيه في الإسلام ما يحب لنفسه من الخير. والقيام بذلك يحصل بأن يحب له مثل حصول ذلك من جهة لا يزاحمه فيها، بحيث لا تنقص النعمة على أخيه شيئاً من النعمة عليه، وذلك سهل على القلب السليم، وإنما يعسر على القلب الدغل. عافانا الله، وإخواننا أجمعين"(١).

إن حفظ الجار من كمال الإيمان، وكان أهل الجاهلية يحافظون عليه، ويحصل امتثال الوصية به بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة: كالهدية، والسلام، وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله، ومعاونته فيما يحتاج إليه، إلى غير ذلك، وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه: حسية كانت، أو معنوية. وقد نفى ﷺ الإيمان عمن لم يأمن جاره بوائقه، وهي مبالغة تنبيء عن تعظيم حق الجار، وأن إضراره من الكبائر. قال: ويفترق الحال في ذلك بالنسبة للجار الصالح، وغير الصالح، والذي يشمل الجميع إرادة الخير له، وموعظته بالحسنى، والدعاء له بالهداية، وترك الإضرار له، إلا في الموضع الذي يجب فيه الإضرار له بالقول، والفعل، والذي يخص الصالح هو جميع ما تقدم، وغير الصالح كفه عن الذي يرتكبه بالحسنى على حسب مراتب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويعظ الكافر بعرض الإسلام عليه، ويبين محاسنه، والترغيب فيه برفق، ويعظ الفاسق بما يناسبه بالرفق أيضا، ويستر عليه زلله عن غيره، وينهاه برفق، فإن أفاد فبه، وإلا فيهجره، قاصدا تأديبه على ذلك مع إعلامه بالسبب ليكف(٢).

أما إذا كان المدعو زميل العمل، أو المهنة، فينبغي على الداعية الحكيم أن يتعاهد زميله، ويراعي حاله ويرفق به، ويدعوه إلى كل خير، ويحذره من كل شر، وأن يتعاون معه على إقامة المعروف، والدعوة إليه وهدم المنكر، والتحذير منه.

أما إذا كان المدعو منفرداً، أو منعزلاً فيراعي الداعية حالته هذه، ويحاول أن يعرف سبب انفراده، وانعزاله، ويحاول معالجة أمره إذا كان معوجاً، أو رده إلى الجماعة إن كان فيها خير له في الدنيا، والآخرة، ويحذره من الخروج على الإمام، ومفارقة الجماعة.

ففي حديث ابن عمر رفعه: «**من خلع يدا من طاعة لقي الله ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**» (٣) ، والمراد بالميتة الجاهيلة، وهي بكسر الميم: حالة الموت: كموت أهل الجاهلية على ضلال، وليس له إمام

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي المباركفوري، ١٨٤/٧. وسبل السلام، الصنعاني (،، هـ) ١٦٥/٤.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٤٤٢/١٠، ٤٤١.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن... (رقم ١٨٥١).

مطاع، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافراً، بل يموت عاصياً، ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره ومعناه: أنه يموت مثل موت الجاهلي، وإن لم يكن هو جاهليا، أو أن ذلك ورد مورد الزجر، والتنفير، وظاهره غير مراد، ويؤيد أن المراد بالجاهلية التشبيه. قوله في الحديث الآخر: «**من فارق الجماعة شبرا فكأنما خلع ربقة الإسلام من عنقه**»(١) قال ابن بطال: في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار، وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب، والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء، وتسكين الدهماء، وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها .."(٢).

أما إذا كان المدعو جماعة أو قبيلة فيسلك الداعية فيهم كما كان يسلك النبي ﷺ دعوته لعشيرته، وأقاربه قال تعالى آمراً لرسوله ﷺ أن ينذر عشيرته الأقربين أي الأدنين إليه، وأنه لا يخلص أحدا منهم إلا إيمانه بربه ﷻ ، وأمر أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين، ومن عصاه من خلق الله كائنا من كان فليتبرأ منه، ولهذا قال تعالى: +فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعْمَلُونَ" (٣) **وهذه النذارة الخاصة لا تنافي العامة، بل هي فرد من أجزائها، كما قال تعالى:** +لِتُنذِرَ قَوْمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ"(٤) **وقال تعالى:** +وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ"(٥) **وقال تعالى:** +وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ"(٦) **وقال تعالى:** +لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا"(٧) **وقال تعالى:** +لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ"(٨) **كما قال تعالى:** +وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ"(٩).

فخص جل ثناؤه قومه، وعشيرته الأقربين في النذارة، وعم الخلق بها بعدهم، ورفع بالقرآن ذكر

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة (رقم ٢٨٦٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وأبو داود، كتاب السنة، باب الخوارج (رقم ٤٧٥٨) والحاكم (١/٢٠٣)، وأحمد (٥/١٨٠).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٧/١٣.

(٣) سورة الشعراء، الآية ٢١٦.

(٤) سورة يس، الآية ٦.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٩٢.

(٦) سورة الأنعام، الآية ٥١.

(٧) سورة مريم، الآية ٩٧.

(٨) سورة الأنعام، الآية ١٩.

(٩) سورة هود، الآية ١٧.

رسول الله، ثم خص قومه بالنذارة، إذ بعثه فقال: +وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ" [1] **. وزعم بعض أهل العلم بالقرآن أن رسول الله قال:** «يا بني عبد مناف إن الله بعثني أن أنذر عشيرتك الأقربين، وأنتم عشيرتي الأقربون»[2].

أما إذا كان المدعو قريباً غير ما ذكر فيدعوه الداعية، ويحرص على إيصال النفع إليه من غير محاباة، فعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه حدث أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرِّح الماء يمر. فأبى عليه، فاختصما عند النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ للزبير :«أسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك» **فغضب الأنصاري، فقال: إن كان ابن عمتك! فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال:** «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر» **فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك:** +فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ"[3][4].

فالداعية الحكيم يظل يدعو ليل نهار، ويدعو القريب والبعيد، ويدعو كل من يلقاه، ويحرص على نفع الجميع، وإيصال الخير إليهم، ويسعى إلى تحقيق المصالح، والمكاسب في العملية الدعوية، سواء ما يتعلق بنفع المدعو، أو نفع نفسه، أو نشر الحق، والخير، والهدى؛ تقرباً إلى الله عز وجل وخدمة لدين الله تعالى، ونفعاً للناس أجمعين.

---

(١) سورة الشعراء، آية ٢١٤.

(٢) الرسالة، أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، مرجع سابق، ١٣/٢-١٥.

(٣) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المساقاة، باب سكر الأنهار، (٢٣٥٩، ٢٣٦٠) ومسلم، كتاب الفضائل باب وجوب اتباعه صلى الله عليه عليه وسلم (رقم ٢٣٥٧).

المطلب الثاني

الأوضاع الاجتماعية الخاصة للمدعو

قد يكون المدعو مطلقاً، أو أرملة، أو يتيماً، أو ابن سفاح، أو مجهول النسب، أو مصاباً بمرض، أو بلاء، أو تعرض لأزمة، أو نكبة، أو نزلت به نازلة، فلكل واحد من هؤلاء جميعاً له مراعاة خاصة وطريقة في دعوته، كل على حسب حالته.

فمن مقتضيات المراعاة حين يتوسع المجتمع، وتكبر الدولة، وتكثر المتغيرات، والنوازل، أن يُساير الداعية ذلك بما يوائمه مما يلبي حاجة المجتمع والدولة، حيث تشتد الحاجة لتكثيف الإنباء، والأخطار لخاصة الناس، وعامتهم.

ومع ازدياد التطور، والنمو السياسي لدولة الإسلام بالمدينة المنورة؛ أصبحت خطب النبي ﷺ أيام الجمع، أو عند النوازل السياسية، والحربية التي تحل بأمة الإسلام، ودولته بالمدينة المنورة، أو لمواجهة المشكلات الاجتماعية التي يواجهها المجتمع الإسلامي؛ أصبحت الخطابة وسيلة من وسائل الإعلام؛ إذا صح استعارة هذا التعبير، أو الاصطلاح المعاصر، للدلالة على أحوال دولة الإسلام النبوية الناشئة بالمدينة المنورة، في حياة النبي ﷺ، وتحت زعامته، وتوجيهه، وإرشاده، وهديه ﷺ.

فينبغي على الداعية الحكيم إدخال السرور على قلب المدعو، والتسرية عنه، وتخفيف وطأة المواقف الصعبة عن كاهله، وتبشيره، واستخدام أسلوب التشويق، ومن الشواهد على ذلك:

ما رواه كعب بن مالك رضي الله عنه، أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا فتحت مصر، فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم رحماً وذمة »(١). **يعني أن أم إسماعيل بن إبراهيم كانت منهم.**

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً »(٢).

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/٦٠٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والطبراني في معجمه الكبير (١٩/٦١ رقم ١١٢، ١١٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر (رقم ٢٥٤٣) وابن حبان (١٥/٦٨ رقم ٦٦٧٦).

ومن أعلامه ﷺ أنه لأجل ما لقيه في غزوة تبوك سنة ٩هـ من الجهد، قال لأصحابه: « ألا أسركم؟ » **قالوا: بلى يا رسول الله، قال:** « إن الله تعالى أعطاني الليلة الكنزين: فارس والروم، وأمدني بالملوك: ملوك حمير، يجاهدون في سبيل الله، ويأكلون فيء الله »(١). **فكان كذلك**(٢).

قال الماوردي: " ومن إعلامه: أنه رأى ذراعي سُراقة بن مالك بن جعشم دقيقتين أشعرين، فقال: كيف بك إذا لبست بعدي سواري كسرى؟ فلما فُتحت فارس دعاه عمر، وألبسه سواري كسرى، وقال له: قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة بن جعشم "(٣).

كذلك فإن رسول الله ﷺ تنبأ في مستهل الطور المدني من الدعوة الإسلامية لأهل الصفة – بأن الله سوف يفتح على المسلمين بلاد الفرس والروم، ويغنمهم كنوزها، فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: " قام رسول الله ﷺ فقال: « الفقر تخافون أو تهمكم الدنيا؟! ؛ فإن الله فاتح لكم أرض فارس والروم، وتصب عليكم الدنيا صباً حتى لا يزيغكم بعدي إن زغتم إلا هي»(٤).

ومن الشواهد التي تساق لليتيم لما فيها من مراعاة أحواله، وتطييب خاطره:

"عن ابن عباس دخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا: كان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب فلما بلغ ست سنين خرجت به إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم به، ومعه أم أيمن تحضنه، وهم على بعيرين، فنزلت به في دار النابغة، فأقامت به عندهم شهرا، فكان رسول الله ﷺ يذكر أمورا كانت في مقامه ذلك، لما نظر إلى أطم بني عدي ابن النجار عرفه، وقال: كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذا الأطم، وكنت مع غلمان من أخوالي نطير طائرا كان يقع عليه. ونظر إلى الدار فقال: هاهنا نزلت بي أمي. وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله بن عبد المطلب، وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه، فقالت أم أيمن: فسمعت أحدهم يقول: هو نبي هذه الأمة، وهذه دار هجرته. فوعيت ذلك كله من كلامه، ثم رجعت به أمه إلى مكة، فلما كانوا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/٢٧٢).

(٢) أعلام النبوة، الماوردي، مرجع سابق، ص ١١٩.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٥، وانظر المرجع السابق، ص ١١٤-١١٨.

(٤) أخرجه أحمد (٦/٢٤) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٢٤٨) : رواه الطبراني والبزار بنحوه ورجاله وثقوا إلا أن بقية مدلس وإن كان ثقة. وانظر: دلائل النبوة، أبو نعيم، ٢/ ١٩٧-١٩٩، ٣/١٩٨، ١٩٩.

بالأبواء توفيت آمنة بنت وهب، فقبرها هناك، فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدموا عليهما مكة، وكانت تحضنه مع أمه، ثم بعد أن ماتت فلما مر رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية بالأبواء قال: «**إن الله قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه**». فأتاه رسول الله ﷺ فأصلحه وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ فقيل له فقال: «**أدركتني رحمتها فبكيت**» عن سماك بن حرب عن القاسم قال: أستأذن النبي ﷺ في زيارة قبر أمه فأذن له، فسأل المغفرة لها فأبى عليه .

عن بريدة قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة أتى جذم قبر فجلس إليه، وجلس الناس حوله، فجعل كهيئة المخاطب، ثم قام، وهو يبكي، فاستقبله عمر، وكان من أجرأ الناس عليه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ فقال: «**هذا قبر أمي سألت ربي الزيارة فأذن لي، وسألته الاستغفار فلم يأذن لي، فذكرتها فرققت فبكيت**» فلم ير يوماً كان أكثر باكياً من يومئذ(١).

ومن صور التعامل مع النوازل

مما تظهر المراعاة فيه اهتمام الإسلام بالمناسبات، والنوازل، فقد وُضِع لكل منها ما تتطلبه، فيتخلص الناس من الحيرة، والتردد إزاء هذه النوازل، فقد كُفوا مؤونة التعامل معها اعتماداً على الجهد الذاتي، فتستغل كل نازلة أو مصيبة وتوظف في خدمة العمل الدعوي وإنجاحه، وذلك من خلال الأزمة التي يمر بها المدعوون وذلك في خطبة الجمعة، وفي خطبة العيدين، وفي دعائه في صلاة الاستسقاء، وفي صلاة الكسوف وخطبة الحاجة؛ لأن هذه الخطب المرتبطة بالمواسم، والنوازل، والأعياد الدينية، عُدّت في الواقع من صميم شعائر، ومناسك الإسلام.

فعلى الداعية الحكيم أن يوظف هذه الأحداث في ربط المصابين بربهم وإقبالهم عليه واغتنام هذه المواقف لرد المدعوين إلى الحق والخير والفلاح.

إن مراعاة أحوال المدعوين، كل حسب حاله، ووضعه الاجتماعي جديرة بأن تؤتي ثماراً طيبة يانعة، لذا وجب على الدعاة أن يراعوا ويهتموا بالمدعوين، وأوضاعهم الاجتماعية الخاصة بهم، وأن يحرصوا على ربط المدعوين بما يقع من حولهم من نوازل، ومناسبات، وأن يرفعوا ما استطاعوا عنهم الهموم والأحزان، وأن ينتهزوا الفرص المواتية، ويوظفوا ما يقع من بلاء، ومصائب لخدمة

---

(١) أخرجه بمعناه مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ربه عز وجل في زيارة قبر أمه (رقم ٩٧٦).

العملية الدعوية، ومن أجل استقطاب أكثر عدد ممكن من المدعوين، وضمهم إلى ركب الهداية الذي يسيرون فيه ومن ثم يحولونهم إلى دعاة يشدون أزرهم ويكونون سواعد معينة على نجاحهم ونجاح الدعوة ويصيرون دعاة خير في طريق الدعوة المباركة.

الباب الثالث

ضوابط مراعاة أحوال المدعو في ضوء الكتاب والسنة

تمهيد

الفصل الأول : الضوابط المتعلقة بالموضوع

الفصل الثاني : الضوابط المتعلقة بالمنهج

تمهيد

المبحث الأول

أهمية مراعاة أحوال المدعو وضرورتها للعمل الدعوي

إن اكتساب الداعية لمهارة معرفة المدعو، والقدرة على تشخيص حاله، إنما يتم له باستعراض النماذج العديدة للمدعوين باستقراء صفاتهم وأحوالهم في نصوص القرآن والسنة التي عرضت للأعمال الدعوية لأئمة الهدى والتقى من الرسل -عليهم السلام- ومن سار على نهجهم، والمشاركة الوجدانية مع المدعو، والقرب النفسي والجسدي منه قدر الإمكان، وتأمل الداعية في أحوال الناس في بيئته ومجتمعه، وتلمس مواطن تأثرهم بذلك وتأثيرهم فيه، والاستفادة من أهل الخبرة والممارسة الموثوقين ومشاورتهم.

وهذه الصورة الرفيعة للتعامل مع أحوال المدعو إنما تُصان وتضبط بجملة من الأمور التي تحافظ على هذه المراعاة في مسارها الصحيح، ولذا فنحن في هذا الموضع من تلك الدراسة بين يدي ضوابط تهدف إلى إكساب الداعية القدرة على إجراء اتصال دعوي فاعل، يتمكن به من التأثير في المخاطبين وإقناعهم استناداً على بصيرته بواقع المدعو وحاله، وتوظيف ذلك مع مابين يديه من مضمون الدعوة ووسائلها وأساليبها في التفكير في العملية الدعوية وتصميمها ومن ثم بنائها وتنفيذها بصورة محكمة، وفق الكيفيات الصحيحة لهذا البناء، والإلمام بأسسه وأصوله.

وإذا كانت المراعاة لأحوال المدعوين تقتضي الأخذ بأيديهم إلى مافيه سلامتهم وسعادتهم، ولكن بعد الوقوف على واقعهم بكل مافيه من متطلبات فطرية وجبلية ومكتسبة، وفق ضوابط الشرع وأحكامه، فإن من أهم خصائص هذه المراعاة في جهد الدعاة، كونها مراعاة فاعلة مفيدة، يسعى الداعية بها إلى الوصول بالمدعو إلى أفضل النتائج الممكنة، وإلى أعلى درجات الصلاح والاستقامة، على ضوء فهم وتبصر بأحواله، وليست المراعاة السيئة التي تتنازل عن بعض مصالحه، تمشياً مع هذه الأحوال.

وهذا المراد للمراعاة قائم على المعنى اللغوي لها: فهي في اللغة تقوم على الملاحظة والمراقبة ومراعاة الحقوق، تقول: رعى الأمر: أي راقب مصيره ونظر في عواقبه، وحفظه وأبقى عليه، وجمع بينه وبين مايناسبه، وكان الراعي كل من ولي أمراً بالحفظ، وسعى به إلى الكمال ما أمكنه ذلك[1].

---

(١) انظر لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة (رعى).

إذاً فالحكمة أثناء مراعاة الداعية للمدعوين تهدف إلى إصلاح شأن الـمُرَاعَى (المدعو) والوصول به -على ضوء حاله- إلى الكمال الممكن.

وخلاصة القول: أن أهمية العملية الدعوية، تقتضي العناية بما يحفظها في جميع أركانها التي تقوم عليها، مما يسيء إليها بسبب عدم تأهل من يباشرها، ويحقق ذلك بعون الله ماأشير إليه من ضوابط تُلزم باحترام التخصص وتقطع الطريق أمام الأدعياء غير المؤهلين، باعتبار ذلك من أسباب ضرورة قيام الدعوة على أساس علمي، ويدعو في الوقت نفسه إلى توزيع الأدوار على أهل الدعوة كل بحسبه، لأن في ذلك ضمان لحسن الأداء من خلال تكامل مهام الدعوة ووظائفها، فالرجل الذي يقوم بجميع الأدوار لامكان له في عملية دعوية يُراد لها النجاح في التأثير على المدعو بعد رسول الله ﷺ الذي تقسطت هذه الأدوار على من بعده من الدعاة، لافتقارهم إلى ملكته ﷺ وقدرته وصبره[1]، وليس في ذلك منع عن الدعوة، وتضييق على الناس عند مباشرة التناصح فيما بينهم، لكنه التحري لكل مايحمي ميدان الدعوة ويمنع إلحاق الضرر به، فالمطلوب من كل مسلم، أن يدعو إلى الله عز وجل حسب علمه واستطاعته، وأن يبتعد كل البعد ويحذر كل الحذر، مما لايدخل تحت نطاق قدرته وعلمه، ويؤدي إلى مفاسد وخيمة.

---

(١) انظر الإشارة الوافية حول ذلك لدى ابن تيمية رحمه الله، في مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ١٥/١٦٦.

المبحث الثاني

المراد بضوابط مراعاة أحوال المدعو

المطلب لأول

المعنى اللغوي للضابط

الضَّبْط لزوم الشيء وحبسه، ولزوم شيء لايفارقه في كل شيء، وضَبَطَ الشيء حفظه بالحزم، والرجل ضَابِطٌ أي حازم، والأضْبَطُ هو الذي يعمل بيديه جميعاً، يعمل بيساره كما يعمل بيمينه، والضَابِطُ القوي على عمله، ويقال لايَضْبِطُ عمله إذا عجز عن ولاية ماوليه، وضبط الشيء ضبطاً لزمه وقهره وقوى عليه(١).

المطلب الثاني

المعنى الاصطلاحي لضوابط مراعاة أحوال المدعو

إذا تأكد أن من سمات مراعاة أحوال المدعو حاجتها إلى سعة في الاطلاع والمتابعة وتجديد مستمر لذلك، ودراية بجملة من العلوم والمعارف، واتقان لما يحتاجه ذلك من قدرة وخبرة(٢)، وبناء على ماتقرر من معان في اللغة للضابط يُمكن إجمالها في دقة الإلمام بالعمل وحسن الأداء له، وقوة الضبط لأركانه، ليستمر على وتيرة صحيحة في مساره المرسوم له، فإن الضوابط الموضوعة لمراعاة أحوال المدعو يجب أن تتصف بذلك، لكي تسير تلك المراعاة وفق الهدي الدعوة الصحيح، المفضي للنتجة المرادة بحق المدعو، وحيث أن حال المدعو وواقعه يدلان على مايقع منه أو عليه بالفعل، وحين يقع ذلك فإنه يقع باعتباره فطرياً أو جبلياً أو مكتسباً، وحيث الحاجة ماسة إلى مايكفل مضي العمل الدعوي على الوجه الصحيح لكون الصواب لايخالفه دائماً فلا بد له من ضوابط شرعية وفق ماجاء به الإسلام مما يناسب ذلك ويتفق معه.

---

(١) انظر مادة (ضبط) في لسان العرب المحيط، ابن منظور، وفي الأفعال، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي، وفي العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، وفي تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري.

(٢) انظر فقه الواقع مقوماته وأثاره ومصادره، د. ناصر العمر (دار الوطن، الرياض، ١٤١٢هـ) ص ٢٨-٣٠.

فتأتي تلك الضوابط، لتستوعب كل ماتقوم عليه المراعاة من انتباه واعتبار لمطالب المدعو وحاجاته الفطرية والجبلية والمكتسبة، في العمل الدعوي وفق ضوابط شرعية.

وهذا الانتباه ينساق في كل معانيه مع البصيرة التي هي عماد العمل الدعوي الراشد وقوامه، ومنها يستمد الداعية صفة الحكمة، التي تعني "قوة القلب المنور بنور القدس ترى حقائق الأشياء وبواطنها بمثابة البصر للنفس، ومنه أدعوا إلى الله على بصيرة أي معرفة وتحقق" [1]، وعليه يُمكن أن نحمل المعنى الاصطلاحي لضوابط مراعاة أحوال المدعو بأنها: جملة القواعد والحدود التي تُعين الداعية على تلمس أحوال المدعو وإدراكها على حقيقتها، ومن ثم تيسر له مباشرة الدعوة بطريقة تنساق معها، لتدفع المدعو إلى محبة مايُعرض عليه والأخذ به.

تلك الأحوال التي تعني: ماعليه حال الإنسان من خير، أو شر، مما هو ذو تأثير على أمر الدعوة، سواء مايتعلق بالداعي، أو الموضوع، أو الوسيلة والأسلوب، ويفهم من معناها التحول وعدم الاستقرار، وتمثل هذه الأحوال في مجملها مايقوم عليه واقع المدعو في شتى جوانبه المتعلقة بطبيعته، وحاجته للدعوة، وموقفه منها، وهي جوانب لابد أن تسترعي نظر الداعية وسمعه.. وتستدعي الالتفات منه والإصغاء.. لما تتطلبه من مراعاة انطلاقاً من الإشفاق على المدعو والحرص عليه حرصاً يتجاوز مجرد تمني الخير له إلى البصيرة الملازمة لهذا الحرص، إذ هي علمٌ على المصطفى ﷺ، ولازمة من لوازم الدعاة من بعده، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [2].

بقيت الإشارة إلى أن التماس هذه الضوابط، يأتي من التأمل في جهد الدعاة والمحتسبين، وذلك أن البلاغ إذا كان يهدف إلى الإقناع، ليتم تحويل المخاطب من حال إلى أخرى، اعتماداً على زرع القناعة والإيمان في داخله بضرورة هذا التحويل وجدواه، وإذا كانت أهداف البلاغ تتجاوز مجرد أداء المضمون وإعلام المخاطب به ولفت انتباهه إليه، إلى أحداث هذه القناعة نشداناً للتغيير المطلوب، فإنه لافرق هاهنا بين البلاغ من الداعية والبلاغ من المحتسب، فكلاهما يسعى بهذا البلاغ إلى إقناع المخاطب، ولو تأملنا فيما يقوم عليه بعض نشاط المحتسب من أسلوب الأخذ على اليد بالقوة، -وهذا مثار الجدل في هذه

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبدالرؤوف المناوي، مرجع سابق، ١٣٣/٢.

(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

الناحية- لوجدنا أن ذلك أيضاً ضرب من أساليب الإقناع، التي تقوم على لفت الانتباه، ووضع المحتسب عليه، في مقام يستوجب منه معاودة التفكير في حالة، وتقييم موقفه والتأمل في قناعاته أو أهواءه وشهواته.

وعليه فإن كل مايتصل بالدعوة والاحتساب مما جاء في مصادر الإسلام يُعد معين أثرى كل صور وأشكال البلاغ وباب واسع لكل مايعين على الإقناع والتأثير، ومن ذلك نظفر بكل أشكال المراعاة المناسبة لكل حال للمدعوين المخاطبين يتصل بأي صنف من أصنافهم، ونظفركذلك بما يضبط ذلك ويبقيه في قناته الصحيحة.

المطلب الثالث

المراد بالموضوع والمنهج

جاء في اللغة قولهم: موضع رأيي، وجمل عارف الموضع أي يعرف التوضيع لأنه ذلول فيضع عند الركوب رأسه وعنقه[1]، وفي هذه المعاني إشارة إلى المكمن الذي يُودع فيه الشيء، والوعاء الذي يحوي المراد، فجاء إطلاق اسم (الموضوع) على مواضع المعاني ومكامن الدلالات.

أما المنهج: فمنه طريق نهج أي بين واضح، والمنهج والمنهاج الطريق الواضح، واستنهج الطريق صار نهجاً، أي أبانه وأوضحه، ونهج لي الأمر أوضحه[2]، وهو بتلك الصورة ينصرف إلي الكيفيات والطرق الواضحة الجلية، حين تُعالج المسائل والإشكالات بها.

وأما المراد الاصلاحي لكل من (الموضوع والمنهج) -حين يردا في سياق الحديث عن الضوابط، ضمن هذا الباب-، فعلى النحو التالي:

يُراد بالموضوع كل ماله صلة بالمعاني والأحكام والدلالات والوصف، كما يراد به كل مايتطلبه ذلك عند الاختيار والجمع والتثبت وتحديد مواطن الاستشهاد والاستدلال، ويدخل في ذلك الاطمئنان إلى

---

(١) انظر أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، مادة (وضع) ١/ ٦٨٠.

(٢) انظر لسان العرب المحيط، ابن منظور. وانظر العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي. وانظر انظر معجم مقاييس اللغة، ابن فارس. مادة (نهج).

أصالة ومصداقية مصدر مادة الدعوة، ولذا فإن ضوابط المراعاة الخاصة بالموضوع تنصرف إلى ذلك، لتبقيه على الوضع الصحيح، فلا يعاريه النقص أو الخلل.

ويراد بالمنهج، كل ماله صلة بالطرق والكيفيات التي يسلكها الداعية في تعامله مع المدعو، حين يقوم بمراعاته، لكي تبقى هذه المراعاة على وضعها الصحيح، الذي يحقق المراد في حق المدعو، والمنهج بذلك له مجاله المهم في الدعوة إلى الله تعالى، لأنه الطريقة المنظمة التي يباشر الداعية بها المراعاة، فتكون قد بنيت على أسس وقواعد علمية مدروسة، وتنضبط بضوابط شرعية محددة، قال الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [(١)]. وهذه هي السمة الأظهر في دعوة الإسلام، لأنها تنطوي على منهج للمراعاة يستوعب كل حال للمدعو، وفق طريق واضح ومسلك بين.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٤٨.

الفصل الأول

الضوابط المتعلقة بالموضوع

المبحث الأول: أصالة ومصداقية مصدر التلقي

المبحث الثاني: التثبت عند توظيف النصوص وسياق معانيها

المبحث الثالث: خضوع المراعاة لقواعد الدين وأصوله

المبحث الرابع: المحافظة على مقام الدعوة وهيبتها

المبحث الخامس: التحقق من إيجابية المراعاة وتحقيقها لمقاصد الدعوة

المبحث السادس: الانطلاق من القدرة على استيعاب كل حال للمدعو

المبحث السابع: قيام المراعاة على ترتيب الأولويات والتدرج

المبحث الثامن: اعتماد مبدأ الاعتدال والتوسط في المراعاة

المبحث التاسع: التحقق من قدرة المدعو على فهم مضمون الدعوة وإدراكه

المبحث العاشر: ارتباط نوع وكم المضمون بدرجة إيمان واستقامة المدعو

المبحث الحادي عشر: إدراك أن النفس الإنسانية موضع للصراع بين الخير والشر

المطلب الأول

معرفة من يُعتد بقولهم من أئمة العلم والهدى

حين يأتي الكلام في ذلك، يرد على الذهن السلف الصالح، الذين أوصى الإسلام بالصدور عنهم والأخذ منهم، وليكون ذلك جلياً، كانت العناية ببيان المراد بذلك، فالسلف في اللغة: المتقدم[1]، واصطلاحاً: القرون الأولى المفضلة، وهم الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين، لقوله ﷺ : «**خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[2]، ويلحق بهم كل من سار على نهجهم، كالأئمة الأربعة ومن على شاكلتهم، وأهل الحديث كالبخاري ومسلم وأهل السنة وغيرهم.

والمعول في ذلك، القدوة الصالحة، فيضع الداعية في اعتباره أن لايكون ممن يمقتهم الله سبحانه، فيكون ممن يأمرون فلا يأتمرون وينهون فلا ينتهون ويفعلون ماينهون عنه، قال سبحانه، يعتب على بني إسرائيل: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3]، والقدوة ظاهرة بين الداعي وبين الناس، وهذا جلي حين يحب الناس الداعية، واستشعار ذلك من الداعية ناله منه هيبة ورزانة، ولذا أثره المكين في السلوك والتقويم والتوجيه، ولذا فقد كمل الله سبحانه خلق الرسول ﷺ وجمل سيرته، فانعقدت القلوب على حبه، واقتفاء أثره.

ولابد حينئذٍ أن تظهر شمائل الإسلام وآدابه وأخلاقه ورحمته وبره، من خلال أقوال الداعي وأفعاله وسائر تصرفاته، ولذا كان الحديث عن ما يسمى بالدعوة الصامتة، وهي التأدب بآداب الإسلام والتخلق بأخلاقه ودعوة الناس بالأفعال قبل دعوتهم بالأقوال.

ولذا فمن اتسم بذلك، يذكر سنن الرسول ﷺ، من خلال أقواله وأفعاله وسائر سلوكه، وهكذا الشأن في رسول الله ﷺ، حيث ارتسم ذلك كله لديه، فكان محبوباً مقبولاً لدى الجميع، مؤثراً في الناس،

---

(١) لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة (سلف).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، حديث (رقم٣٤٥٠)، ١٣٣٥/٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ٤٤.

قال جرير بن عبدالله: «ماحجبني النبي ﷺ، ولا رآني إلا تبسم في وجهي»(١)، وعن أنس ﷺ قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته، لم صنعته، ولا لشيء تركته، لم تركته، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً، كان أطيب من عرق النبي ﷺ»(٢)، وهذا من صغار الناس، وأما بالنسبة لأهله وزوجه، فقد روى أبو هريرة ﷺ قال: «ما عاب النبي ﷺ طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه»(٣)، فكان مراعياً للمشاعر، إماماً يقتدى من كل أئمة العلم والهدى.

والسلف الأئمة إجماعهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة، وكان عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– يقول: مايسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالاً، وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا ورجل بقول هذا كان في الأمر سعة، ولهذا ذكر العلماء المصنفون إن مثل هذه المسائل الاجتهادية، لاتنكر باليد، وليس لأحد أن يلزم الناس باتباعه فيها، ولكن يتكلم فيها بالحجج العلمية، فمن تبين له صحة أحد القولين تبعه، ومن قلد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه(٤).

والسلف ومن في حكمهم ماض فيهم قول الله تعالى: +كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ"(٥)، وهذا يقتضي أنهم يوجبوا كل ما أوجبه الله ورسوله ﷺ، ويحرموا كل ماحرمه الله ورسوله ﷺ، وحينئذٍ فيمتنع أن يوجبوا حراماً ويحرموا واجباً بالضرورة (٦).

وقد قال الله تعالى: +ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" وليس من الأحسن أن يُدفع الباطل بالباطل، أو أن نرد ماعلمناه بالفطرة والضرورة، لظننا أن المبطل يدفع

---

(١) صحيح البخاري، باب التبسم والضحك....، حديث (رقم٥٧٣٩)، ٢٢٦٠/٥.

(٢) أخرجه الترمذي، باب ماجاء في خلق النبيﷺ، حديث (رقم٢٠١٥)، ٣٦٨/٤. وقال، هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري، باب ماعاب النبيﷺ طعاماً، حديث (رقم٥٠٩٣)، ٢٠٦٥/٥.

(٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ٨٠/٣٠.

(٥) سورة أل عمران، الآية ١١٠.

(٦) منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ٣٤٥/٨.

به الحق، ومن أعظم ماذم به السلف والأئمة أهل الكلام والجدل، وإن جادلوا الكفار وأهل البدع، أنهم يجادلون بالباطل في الحجج وفي الأحكام(١)، وهذا من أظهر صور المصداقية في التعامل مع المدعو.

وفي هذا المقام، فإن من ألزم نفسه آداب السنة، نور الله قلبه بنور المعرفة، ولامقام أشرف من متابعة الحبيب ﷺ، في أفعاله وأمره وأقواله وأخلاقه، قال أبو حمزة البغدادي(٢): لادليل على طرق الله، إلا بمتابعة الرسول ﷺ في أفعاله وأمره وأقواله وأحواله(٣).

والحاصل في من يقتدى هديه من أئمة العلم والهدى، قائم على أن النبي ﷺ قد شرع الشرائع وبين الأحكام، وأظهر لنا الحلال والحرام، ثم الصحابة المهديون -لاسيما الخلفاء الراشدون-، صرفوا سعيهم في إقامة المشروعات، وإيضاح الأحكام بالحجج الواضحات، ثم انتقل إرث العلم إلى طبقة التابعين، ثم إلى من بعدهم إلى زماننا هذا، وممن اشتهر مذهبهم ودونت الكتب على مسلكهم الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، والشافعي، ومالك، وأحمد، ومذاهب باقي المجتهدين قد اندرست، لايوجد لها أثر، ولا يرى بها خبير يستفسر(٤).

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ١/١١٣، ١١٤.

(٢) هو أبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي البزاز، صحب السري بن المغلس السقطي وبشرا الحافي، كان يتكلم ببغداد في مسجد الرصافة، قبل كلامه في مسجد المدينة، وكان عالما بالقراءات، وتكلم يوماً في جامع المدينة فتغير عليه حاله وسقط عن كرسيه ومات في الجمعة الثانية ومات قبل الجنيد، وكان أحمد بن حنبل إذا جرى في مجلسه شيء من كلام القوم يقول لأبي حمزة ما تقول فيها يا صوفي، ودخل البصرة مرارا توفي سنة تسع وثمانين ومائتين، انظر طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاج دار النشر (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ) ١/٢٢٧.

(٣) أيقاظ همم أولي الأبصار، صالح بن محمد بن نوح العمري (دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ) ٢/٩٢.

(٤) الجامع الصغير وشرحه النافع الكبير، ابو عبد الله محمد بن الحسن الثيباني (عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ) ١/٧.

المطلب الثاني

الاستفادة من خبرة وتجارب السابقين

وذلك أن أهل العلم والخبرة، قد كفونا -بما مَنَّ الله تعالى به عليهم- مؤونة التأمل في كثير من أحوال المدعوين، فيعين ذلك على تحديد مايناسبها عند القيام بدعوة أصحابها، وفي سير السلف الصالح من ذلك، مالايمكن استقصاؤه والإتيان عليه، فمنهم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، فقد كان لجهده في الدعوة انتشار وفاعلية، قال ابن كثير في شأنه: وكان أهل البصرة مغبوطين به، يفقههم ويعلم جاهلهم ويعظ مجرمهم ويعطي فقيرهم، فلم يزل عليها، حتى مات عليٌّ رضي الله عنهما[1].

ويدخل في ذلك أهل الخبرة بكل مكان أو زمان، اتَّسما بصفة ووضع خاص، فيستعان على معرفته ومعرفة الناس فيه، بمن عاش فيه وفهمه وأدرك طبيعته وطبائع أهله.

المطلب الثالث

الاعتماد في القبول على اتصاف المضمون بأنه الحق

إن اتصاف المضمون بكونه حقاً، كافٍ لأن يُقبل، دون النظر في مصدره، حتى لو أتي ممن هو الأدنى في فهمه وعلمه، وعلى الداعية أن يصدر في تلقيه عن من هو دونه في العلم والرتبة، إذا وجد لديه مايريده، ليستعين به في اتصاله بالمدعوين، كما يجب الحرص على أن لايحول تفوق الداعية على غيره، دون الصدور عنه والتلقي، فيما يخدم الدعوة والمدعوين، وبمجانبة ذلك يضيع جانب مهم تقوم عليه المراعاة الصحيحة للمدعوين.

وهذا جلي في سيرة الأئمة من السلف، حين بان لهم فضل التابع على المتبوع، فقد أخذ الثوري وشعبة عن الأعمش وأشباهه من المحدثين، ومالك بن أنس عن عبد الله بن دينار وأشباهه، قال الحاكم: وقد رأيت أنَّا في زماننا من هذا النوع مايطول ذكره، كان شيخنا وإمامنا أبو بكر بن إسحاق، يروى عن

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق ٤/٣٠٧.

أبي الحسن أحمد بن محمد الطائفي، وربما توهم المبتدىء أنه أستاذه، وكان فقيه عصرنا أبو الوليد، يحدث عن أبي الطيب الذهلي، فلا ينبغي أن يخفى[1].

والمراعاة في صورتها الصحيحة المثمرة، تحتاج من الداعية أن يتتبع مصادر دعوته من العلوم النافعة، ويصدر عن من هي لديهم، حتى ولو كان أقل منه في علمه ومعرفته، واستنكاف الداعية عن ذلك يُفَوِّت عليه زاداً مهماً، يطوع له الاتصال المثمر بالمدعو والتكيف مع حاله بما يجلبه إليه ويقنعه.

---

(١) انظر معرفة علوم الحديث، محمد بن عبدالله النيسابوري، (المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٣٩٧هـ) ص ٤٨. وانظر علوم الحديث، عثمان بن عبدالرحمن الشهروزي، (دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٠٦هـ) ص ٣٠٧.

المبحث الثاني: التثبت عند توظيف النصوص وسياق معانيها

المطلب الأول: فقه توظيف نصوص القرآن والسنة أثناء مخاطبة المدعو بها

لابد للداعية من النظر في نصوص الكتاب والسنة، فإن وجد بغيته فيهما قدمهما على غيرهما، فإن لم يجده أخذ بالظواهر منهما ومايستفاد بمنطوقهما ومفهومهما، فإن لم يجد نظر في أفعال النبي ﷺ، قال الإمام الشافعي في ذلك: "أنها إذا وقعت الواقعة للمجتهد، فليعرضها على نصوص الكتاب، فإن أعوزه عرضها على الخبر المتواتر، ثم الآحاد، فإن أعوزه لم يخض في القياس، بل يلتفت إلى ظواهر الكتاب، فإن وجد ظاهراً نظر في المخصصات من قياس وخبر، فإن لم يجد مخصصاً حكم به، وإن لم يعثر على ظاهر من كتاب ولا سنة نظر إلى المذاهب، فإن وجدها مجمعاً عليها اتبع الإجماع، وإن لم يجد إجماعاً خاض في القياس، ويُلاحِظ القواعد الكلية أولاً، ويقدمها على الجزئيات، فإن عدم قاعدة كلية، نظر في المنصوص ومواقع الإجماع، فإن وجدها في معنى واحد ألحق به، وإلا انحدر به القياس، فإن أعوزه تمسك بالشبه" (١).

وربما أمكن نظم ذلك مسلسلاً، في العمد إلى النصوص، ثم إلى الضوابط الشرعية، ثم إلى المقاصد العامة للإسلام، والله أعلم.

ومما يرد في هذا المقام من ضوابط مهمة، للتعامل مع النصوص والوقائع المروية، واعتمادها لفهم حال المدعو ومراعاته:

التأكد من صحة الحدث أو الواقعة التاريخية، حتى يصح الاستدلال بها، وذلك أن السيرة النبوية جزء من السنة النبوية، التي هي أحد مصادر الأحكام الشرعية، فلا بد من التثبت من صحة الحادثة، ونجد العلماء يسلكون في منهج التوثيق لأحداث السيرة النبوية، منهج علماء الحديث النبوي، لكنهم يفرقون في النتيجة بين الأحداث والوقائع التي تبنى عليها أحكام شرعية واعتقاديه، وبين الأحداث التي لاتؤخذ منها الأحكام مثل الفضائل، وأخبار الحضارة والعمران، فيتشددون فى الأولى ويتساهلون في النوع الثاني من الأخبار، كما رُوي ذلك عن الإمام أحمد وابن مهدي وابن المبارك (٢).

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، مرجع سابق، ١/٣٨١.

(٢) انظر الكفاية في علم الرواية، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (المكتبة العلمية، المدينة المنورة، بدون تاريخ الطبعة)،

ومما يرد على ذلك عدم التعويل على دقة وسلامة طروحات المستشرقين وأرائهم فيما يتعلق بالدعوة الإسلامية، لعدم درايتهم باللغة العربية، وهي لغة القرآن والدعوة الأصلية، وكذلك اختلاف تاريخ وطبقات الاستشراق والمستشرقين تبعاً لاختلاف الأطوار التاريخية للدعوة الإسلامية، حيث اتسمت علاقة الاستشراق بالدعوة بسمة وتوجه هذا الاختلاف والتنوع(١).

ومن الضوابط، بذل الجهد في جمع الأخبار الواردة في الموضوع الواحد، حتى يحيط الداعية بجميع الأخبار الواردة في ذلك، ولكي يخرج بحكم صحيح وتصور واضح، ويعرف المتقدم من المتأخر، والعام والخاص، ويتمكن من تفسير النصوص بالنصوص، وبهذا يمكن الجمع بين النصوص والأخبار المتعارضة، أو ترجيح أحدها على الآخر على وجه صحيح.

ويتضح ذلك بقول البعض بعدم جواز الدعاء على الكفار، لأن الرسول ﷺ لما قال له بعض الصحابة ﵃: أدع على ثقيف؛ قال: «**اللهم أهد ثقيفاً**»(٢)، واحتج البعض بأنه لايجوز الدعاء للكفار بل يدعى عليهم؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**اللهم أشدد وطأتك على مضر، وأجعلها عليهم كسني يوسف**»(٣)، والجمع بين الأمرين، إن الحديث الأول على الرغم من تضعيف بعض أهل العلم لإسناده، إلا أن لمعناه شاهد من حديث أبي هريرة ﷺ عند مسلم، قال: قدم الطفيل وأصحابه، فقالوا: يا رسول الله إن دوساً قد كفرت وأبت، فأدع الله عليها، فقيل: هلكت دوس. فقال: «**اللهم أعد دوساً وائت بهم**»(٤)، وبهذا نلجأ إلى الجمع بين الخبرين، فيقال: إنه يجوز في بعض الأحوال الدعاء للكفار الذين ترجى هدايتهم، ومن لاترجى هدايته مع كثرة أذاه للمسلمين فيُدْعى عليه(٥).

ص٢١٢.

(١) انظر المستشرقون وشبهاتهم حول المصدر الأول للدعوة الإسلامية وتفنيدها، أ د. حسين مجد خطاب (مكتبة الأزهر الحديثة، طنطا، ١٩٩٦م).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، (رقم ٣٩٤٢)، وقال حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٣٤٣/٣.

(٣) أخرجه البخاري، باب يهوي بالتكبير حين يسجد.. حديث(رقم ١٧٧١)، ٢٧٧/١.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، (رقم ٢٥٢٤).

(٥) ورد ذلك ضمن محاضرة علمية بعنوان فقه التعامل مع النص، أ د. زيد بن عبدالكريم الزيد، ألقيت في جامع الجوهرة بنت إبراهيم بالرياض.

ويرد في هذا المقام مايعمد إليه البعض من الاقتباس، بتضمين بعض القرآن في النظم والنثر، وقد سئل ابن عقيل عن ذلك، فقال: تضمين القرآن لمقاصد تضاهي مقصود القرآن لابأس به تحسيناً للكلام، كما يضمن في الرسائل إلى المشركين آيات تقتضي الدعاية إلى الإسلام، فأما تضمين كلام فاسد، فلا يجوز ككتب المبتدعة[١]، وقد جاء في الشعر:

ويخزهم وينصركم عليهم   ويشف صدور قوم مؤمنيناً[٢]

ولم ينكر على الشاعر ذلك، لما قصد مدح الشرع وتعظيم شأن أهله، وكان تضمين القرآن في الشعر سائغاً لصحة القصد وسلامة الوضع[٣].

المطلب الثاني: الانتباه للمسائل التي هي موضع للخلاف المعتبر

إذا كان الحديث مع المدعو في مسائل يجري فيها الاجتهاد، فإنه لايسوغ للداعية مباشرة مسائل يرد فيها الخلاف بصورة جلية، وهذا يرد كثيراً مع المدعو المسلم، فيجد الداعية نفسه في خلاف على ضوء مافي المذاهب الفقهية، وربما استدعى ذلك أن يراعي من يخالفه في المذهب إذا كان عمله مسايراً لمقتضى مذهبه فيها، أما إذا كان الموضوع في مسألة فيها خلاف لايُعتد به، لكونها من الأصول المتفق عليها، ولم يمضي الخلاف فيها لدى الثقات من أهل العلم الراسخين فيه، فإنه ماض لاإشكال فيه، لكون مخالفته لما في الكتاب والسنة الصحيحة واضحة بينة، مثل: إنكار البعث، وحدوث العالم، والقول بخلق القرآن، وجواز الربا، وغير ذلك[٤]، وعلى الداعية أن يضع نصب عينيه مصلحة المدعو، حتى لو تطلب ذلك إرجاء الحديث معه في مسألة الخلاف، إلى أن يتهياء لاحقاً لقبول الحديث فيها، وتقبلها وفق عرضها عليه

---

(١) ومثله الاقتباس في المجون والفحش، ومنه ماهو إهانة ظاهرة لاتسوغ بحال، وفي بعض كتب البديع والأدب المتداولة وغيرها، قديماً وحديثا أمثله سيئة على ذلك.

(٢) ديوان الشاعر العباسي دعبل بن علي، ٢٧٨/١.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعيه، محمد بن مفلح المقدسي، مرجع سابق، ٢/ ٢٧٧.

(٤) انظر نظام الحسبة في الإسلام، عبدالعزيز بن محمد المرشد (مطبعة المدينة، الرياض، الطبعة الأولى) ص ٨٩ ومابعدها.

من قبل الداعية.

وهناك اختلاف بين المذاهب الفقهية في بعض المسائل التي لها أسباب علمية اقتضتها، فهو سائغ لا إشكال فيه، ولله سبحانه في ذلك حكمة بالغة، ومنها "الرحمة بعبادة، وتوسيع مجال استنباط الأحكام من المنصوص، ثم هو بعد ذلك نعمة وثروة فقهية تشريعية تجعل الأمة الإسلامية في سعة من أمر دينها وشريعتها، فلا تنحصر في تطبيق شرعي واحد حصراً لامناص لها منه إلى غيره، بل إذا ضاق بالأمة مذهب أحد الأئمة الفقهاء في وقت ما أو في أمر ما، وجدت في المذاهب الأخرى سعة ورفقاً ويسراً، سواء أكان ذلك في شؤون العبادات أم المعاملات، على ضوء الأدلة الشرعية، فهذا الاختلاف الفقهي ليس نقيصة، ولا تناقضاً دينياً، ولا يمكن أن لايكون، فلا يوجد أمة فيها نظام تشريعي كامل بفقه واجتهاد ليس فيها هذا الاختلاف الفقهي الاجتهادي"(١).

وقد جاء عن عون بن عبدالله، قال: ما أحب أن أصحاب النبي ﷺ لم يختلفوا فإنهم لو اجتمعوا على شيء، فتركه رجل ترك السنة، ولو اختلفوا، فأخذ رجل بقول أحد أخذ بالسنة(٢).

ومن مقتضيات المراعاة في هذا الشأن، الانتباه لموضوع الدعوة حتى يبتعد عن الغلو في الدين، أو أن ينال منه أهل السوء والهوى، فيصفوه بما ليس فيه ظلماً وافتراءً، وضابط ذلك هدم مالدى المدعو، ثم تقديم الحق البديل وإقناعه بهذا الحق(٣).

---

(١) الدورة العاشرة للمجمع الفقهي بمكة المكرمة المنعقدة في صفر ١٤٠٨هـ رئاسة الشيخ ابن باز وتوقيع ١٢ عالماً.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، باب اختلاف الفقهاء، رقم ٦٢٩، ١/١٥٩.

(٣) ومن أبرز صور ذلك قيام بعض أعداء الدين والحاقدين عليه بذلك عبر أجهزة إعلامهم الموجهة، حيث صوّرته على أنه دين الشهوانية والدم، وحين يُواجه المسلمون بهذه الشبه، يقف بعضهم في موقف حرج، فيعمد إلى مناورة حوارية ليست من الدعوة في شيء، ليخرج من حرجه، كأن يقول في موضوع التعدد بأنه مشروط بالعدل، والعدل محال، وماعلق بالمحال فهو محال، إذاً فهو ممنوع، وقد يجد في بعض المسائل رأياً شاذاً فيعتمده، ويكون همه تلطيف الحوار، فيسيء للمضمون من حيث أراد حمايته.

المطلب الأول

احترام الأحكام وحدود التعامل معها عند عرضها على المدعو

الحكم الشرعي الثابت بالكتاب والسنة، ليس من حق أحد -أياً كان- أن يحوّر فيه أو يزيد أو ينقص، خجلاً أو رغبة أو رهبة، والداعية حين يتدخل في الحكم، فيخبر بخلاف الحق يكون غاشاً للمدعوين، إذ الأمر هنا متصل بشأن من شؤون الألوهية، وهو موضوع الحكم والتشريع.

أما المسائل الاجتهادية المترددة، فهذه يَعرضُها الداعية عرضاً معتدلاً متجرداً، حسبما يلائم الحال والموقف؛ فليس من الحكمة أن يختار أشد الأقوال وأحدّها ليقدمه على أنه هو دين الإسلام، وهو يتحدث لأقوام في حال تأليف وتليين لقلوبهم واستمالة لمشاعرهم.

ويحرص الداعية على إقناع المدعو بقبول الحكم، بأن يستخدم جميع إمكانياته العقلية والعلمية، ويوظف جميع معلوماته لإثبات صحة هذا الحكم وأنه الحق؛ ليستثمر مثلاً: مسألة الإعجاز العلمي، والإحصائيات، والتجارب البشرية المختلفة، والأوضاع القائمة، والجدل العقلي، إلى آخر مايستطيع أن يحشده لإقناع المدعو بالإسلام.

يجب أن نغرس في نفوس الشباب الثقة المطلقة بالإسلام: كلياته وجزئياته، عقائده وأحكامه، وأن نحول دون تسرّب أي شعور بالضعف أو النقص إلى نفوسهم، من جرّاء الحصار الذي يحاول ضربه عليهم بعض المجادلين.

إننا لانقدم شيئاً ذا قيمة لدعوة الإسلام، إذا أوهمنا المدعوين، أن الإسلام شيء قريب مما يعيشونه، وأن الحياة الإسلامية لاتختلف كثيراً عن حياتهم، وأن نظام الإسلام يشبه نظامهم، فمرد ذلك زهدهم في الإسلام وإعراضهم عنه، لكونهم منصرفين -أساساً- عن بيئتهم وفكرهم.

ولذا فلا أحسن من عرض الإسلام بتميّزه ووضوحه واختلافه الواسع العميق عن جميع ماعرفوا ويعرفون، حتى ندعوهم إلى التفكير فيه، ولنقدم لهم الإسلام من خلال منطق قوي أخّاذ، وحجة ظاهرة، وفهم عميق، وعند هذا الحد تكون الدعوة قد أُديت وفق المراد، كما أدَّاها الرسل عليهم السلام، قال الله

تعالى: ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾[2]، وقال: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾[3].

فالمهم هنا أن لانتصوّر أن الأمم كلها ستتحوّل على أيدينا إلى الإسلام، وعلينا أن ندرك أننا مطالبون بالحرص على هداية الناس، وأن نتقن عرضنا لهذا الدين، ونقدم لهم القيم الإسلامية العليا كالحرية والعدالة والكرامة الإنسانية، وأن نكون في سلوكياتنا وأخلاقنا وأنماط حياتنا مثلاً أعلى لهم، وما أظهر ذلك في ماجاء عن عائشة رضي الله عنها، أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ، فقال: «**ائذنوا له فلبئس أخو العشيرة أو بئس رجل العشيرة**» فلما دخل عليه، ألان له القول، قالت عائشة: فقلت يا رسول الله، قلت له الذي قلت، ثم ألنت له القول. قال: «**ياعائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من وَدَعَه أو تركه الناس اتقاء فحشه**»[4]. وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مداراة الناس صدقة**»[5].

والمداراة هنا تختلف عن المداهنة، إذ المداراة تكون صدقة للمداري، وهي تَخَلُّق الإنسان الأشياء المستحسنة، مع من يُعاشِر، مالم يشبها بمعصية الله، والمداهنة هي استعمال المرء الخصال التي تستحسن منه في العشرة، وقد يشوبها مايكره الله جل وعلا[6].

المطلب الثاني

معرفة أحكام الدين ومايُتاح للدعاة من ذلك في باب الاجتهاد

إن حاجة العباد لمعرفة أحكام الدين فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، كيف لا

---

(١) سورة الشورى، الآية ٤٨.

(٢) سورة الرعد، الآية ٤٠.

(٣) سورة الغاشية، الآيتان ٢١، ٢٢.

(٤) أخرجه مسلم، باب مدارة من يتقي فحشه، حديث (رقم ٢٥٩١)، ٢٠٠٢/٤.

(٥) أخرجه ابن حبان، باب ذكر كتبة الله الصدقة للمداري أهل زمانه من غير ارتكاب...، حديث (رقم ٤٧١)، ٢١٦/٢، ومن رجال سنده من أدرجه صاحب الكامل في ضعفاء الرجال، ٢٣٥/٢.

(٦) انظر صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، مرجع سابق، ٢١٦/٢.

ويتحقق لهم بذلك معرفة الرب المعبود، ويتمكنون من السعي فيما يقربهم إليه دون غيره من سائر خلقه.

ومن المحال في ضوء ذلك أن تستقل العقول بتلك المعرفة، فاقتضت حكمة الإله جلَّ وعلا، بعث الرسل مبشرين ومنذرين، ليدعوا العباد لمعرفة المعبود سبحانه، بأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تقوم حياة العباد في كل شأنها، ولهذا "سمى الله ماأنزله على رسوله روحاً، لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونوراً لتوقف الهداية عليه"[(١)]، قال الله تعالى: ﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[(٣)]، ولاتحقق لذلك إلا بما جاء به الرسول ﷺ.

وفيما يتصل باستقصاء مسائل الدين على التفصيل فهو فرض كفاية، لكونه داخل في تبليغ مابعث الله به رسوله، وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه، وأما مايجب على الأعيان، فهذا يتنوع بتنوع قدرهم، وحاجتهم ومعرفتهم، ولا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيقه، مايجب على القادر على ذلك، ويجب على من سمع النصوص، وفهمها من علم التفصيل مالا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والمحدث والحاكم مالا يجب على من ليس كذلك[(٤)]، ويقيناً فإن الداعية إلى الله مندرج معهم في ذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه، أن لايضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة[(٥)]، وقد جاء فيما رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون فتن**» قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «**كتاب الله، فيه نبأ ماكان قبلكم، وخبر مابعدكم،**

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، علي بن محمد بن ابي العز الحنفي، مرجع سابق، ٦٩/١.

(٢) سورة غافر، الآية ١٥.

(٣) سورة الشورى، الآيتان ٥٢، ٥٣.

(٤) انظر المرجع السابق، ٦٩/١.

(٥) تفسير آيات من القرآن، محمد بن عبد الوهاب، سورة طه، (مطابع الرياض، الرياض، الطبعة الأولى) تحقيق، د. محمد بلتاجي ٢٦٥/١.

وحكم مابينكم، وهو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لاتزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء ولا يخْلَقُ على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: +إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ" **من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي الى صراط مستقيم»**(1) ،

ومضى على ماكان عليه الرسول ﷺ خير القرون، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان، يوصي به الأول الآخر ويقتدي فيه اللاحق بالسابق. وهم في ذلك كله بنبيهم محمد ﷺ مقتدون، وعلى منهاجه سالكون(2).

ومن المقاصد العليا لمعرفة الأحكام، مايكتنف نفس الداعية من روح رحيمة مشفقة، استمدت ذلك من روح الإسلام ونَفَسِه، الذي يسعى لإنقاذ البشرية وإنقاذها من الشقاء والهلاك، فكان من لوازم ذلك التحذير من نار جهنم، بتعليم الناس كل حكم ذا صلة بذلك(3)، فتكون الخشية حاضرة محفزة، ولايطغي الأمل المثبط عن العمل والسعي، قال الله تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ"(4)، وقد جاء عن النعمان بن بشير، قوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنذرتكم النار أنذرتكم النار**» حتى لو أن رجلاً كان بالسوق، لسمعه من مقامي هذا، حتى وقعت خميصة كانت على عاتقة عند رجليه(5)، وعن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا النار**» قال: ثم أعرض وأشاح، ثم قال: «**اتقوا النار**»، ثم أعرض وأشاح ثلاثاً، حتى ظننا أنه ينظر إليها، ثم قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة**

---

(1) أخرجه الترمذي، باب ماجاء في فضل القرآن، حديث (رقم ٢٩٠٦)، ١٧٢/٥.

(2) شرح العقيدة الطحاوية، علي بن محمد بن ابي العز الحنفي، مرجع سابق، ٦٩/١.

(3) التخويف من النار، أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، مرجع سابق، ٢١/١.

(4)سورة التحريم، الآية٦

(5) أخرجه أحمد في مسنده، حديث (رقم١٨٤٢٢)، ٢٧٢/٤.

طيبة»[1]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إنما مثلي ومثل أمتي، كمثل رجل استوقد ناراً، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقتحمون فيها وفي رواية لمسلم مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ماحولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها قال: فذلكم مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني وتقتحمون فيها**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، باب من نوقش الحساب عذب، حديث (رقم٦١٧٤)، ٢٣٩٥/٥. ومسلم، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبتها، حديث (رقم١٠١٦)، ٧٠٤/٢.

(٢) أخرجه مسلم، باب شفقته على أمته ومبالغة في تحذيرهم مما يضرهم، حديث (رقم٢٢٨٣)، ١٧٨٨/٤.

المبحث الرابع: المحافظة على مقام الدعوة وهيبتها

المطلب الأول

القوة في عرض الحق والثقة في مضيه مع حال المدعو مهما كان مزرياً

إن الركون إلى قوة الحق في عرض مضمون الدعوة، وإضفاء الهيبة عليه، دون إلحاق الأذى بالمدعو، أو ازدرائه، من المطالب المهمة التي تتحقق بها المراعاة وفق المراد لها، إذ لاقيمة -لدى المدعو- لمضمون متهافت في أصل مادته أو طريقة عرضه.

ويظهر ذلك في أمور، من أهمها، تلمس الحق واتباعه، والدعوة إليه، وإظهار الحق وإعلانه، فبه نواري الباطل ونرده، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾(1)، والتربية على محبة الحق، والحرص على الوصول إليه، وهذا أمر يدركه فئة أنعم الله تعالى عليها بالعلم والتمكن من أسبابه، قال الله تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾(2)، وعن أبي أمامة الباهلي قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان، أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: «**فضل العالم على العابد، كفضلي على أدناكم**» ثم قال رسول الله ﷺ : «**إن الله وملائكته، وأهل السموات والأرضين، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير**»(3).

ووطأة العالم على الشيطان قوية مزرية، ولذا فقد فاق العالم العابدَ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾(4)، فالخوف على الذي يسلك الطريق، وليس معه مايعينه على اجتيازه من العلم بالحق والاهتداء إليه. ومن صور القوة في عرض الحق، والثقة في مضيه، ماذكره الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف، في قول

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٩.

(٢) سورة الزمر، الآية ٩.

(٣) رواه الترمذي، في كتاب العلم، (رقم ٢٦٠٩).

(٤) سورة الصافات، الآية ١٧٣.

الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1]، لمن احتج بهذه الآية، على جواز دعاء الشهداء وسؤالهم، حيث بين أن الاحتجاج سائغ، لو كانت الكلمة في الآية: يَرْزِقُون، ولكنها يُرْزَقُون، وهي بهذا الوجه دليل عليه لا له[2].

ومما يقوي هذا الجانب ويجليه، الحرص على رد الأمور إلى أهلها من أهل الشأن فيها، كما قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3]، وهي مسألة سرعان مايبين أثر غيابها من منهج الناس، فعن جابر قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر، فشجه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: مانجد لك رخصة، وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي ﷺ، أخبر بذلك، فقال: «**قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده**»[4].

ويضاف إلى ماسبق من مسوغات القوة في التعامل مع المضمون الدعوي، عدم المسارعة بتصديق كل كلمة تقال، ورأي يُطرح، بل لابد من التأني في الصدور عمن قال بها، وتلمسها لدى مصادرها، التي يجب أن تؤخذ منها، وله شاهد في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[5]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[6]، وقد قال على

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

(٢) استمعت إلى هذه المسألة في مناقشة علمية، ولم يتيسر لي العثور عليها ضمن مؤلفات أئمة الدعوة، وهي -على الرغم من عدم عزوها- شاهد في مكانه على مانحن بصدده، والله أعلم.

(٣) سورة النحل، الآية ٤٣.

(٤) رواه أبو داود، في كتاب الطهارة، (رقم ٢٨٤).

(٥) سورة الحجرات، الآية ٦.

(٦) سورة النساء، الآية ٨٣.

على بن أبي طالب ﷺ: وأكثر الناس همج رعاع أتباع كل ناعق[1].

ومما يُحمد كذلك، الإعراض عن الباطل، حين يُساق للناس بصورة حسنة للإيهام به، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[2]، وعن جابر بن عبد الله ﷺ، أن عمر بن الخطاب ﷺ، أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه النبي ﷺ، فغضب فقال: **أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لاتسألوهم عن شيء، فيخبروكم بحق، فتكذبوا به، أو بباطل، فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى ﷺ كان حياً ماوسعه إلا أن يتبعني**»[3].

ومما يرد في هذا المقام، ضرورة التمكن من التفكير السديد المحكم، لأنه لازم حتى يُلْقِي صاحبه القول السديد، والعبادة وحدها لاتكفي، وكم المعلومات مهما كثر لايكفي، طالما غاب عن ذلك تفكير سديد، وهاهم الخوارج لم يعب أحد عليهم في دينهم أو نيتهم، ومع ذلك خرجوا من الإسلام كما يخرج السهم من الرَّمية، فقد افتقروا إلى المنهج الصحيح، ففكروا تفكيراً خاطئاً، فانحرفوا عن الإسلام، وكذلك كل صاحب فكر ضال، ومنهج منحرف كالمعتزلة وغيرهم، ومن سار في نفس المسلك، ممن ظهر ويظهر في عصرنا الحاضر.

والحاجة لتنوير من هذا القبيل، أمر لازم حتي يحوز الناس معايير موثوقة، يبنون عليها القبول أو الرفض، لما بين يديهم من معلومات هائلة، في كمها ونوعها، وبهذا يكون عند أهل الهدى -وحدهم- فرقاناً، يَمِيْزُون به بين الطيب والخبيث.

ولاريب بأن المراعاة الصحيحة للمدعوين، التي ينتج عنها إصلاح حالهم، وتقويم إعوجاجهم، لايكون إلا بالفكر السديد في حجته وبرهانه وجمال عرضه، ويظهر ذلك، حين يُشْعَر المدعو بالجدية، بواسطة عرض مهيب، فيه موعظة بترغيب وترهيب، دون العمد إلى إيذائه، بالاعتداء على مقامه، أو حق

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر، مرجع سابق، ٢٩/١.

(٢) سورة النساء، الآية ١٤٠.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، (رقم ١٤٦٢٣). والدارمي، في مقدمة سننه، (رقم ٤٣٦).

من حقوقه.

وهذا المنحى يتأكد، إذا علمنا أن النبي ﷺ لم يُقاتل في أغلب مغازيه، وأن سيره على رأس جيشه إلى القبائل المعادية والمخالفة، كان القصد منه إرهاب هذه القبائل لاقتالها، لذا نجد الإشارة تتكرر دائماً في كتب السيرة والمغازي النبوية، عند الحديث عن مغازيه ﷺ، بشأن عودته ﷺ دون قتال، أو ملاقاة كيد، حيث لم يدخل في حرب، ولم يجد من ينصب له القتال(١).

المطلب الثاني

حاجة المراعاة لجانب قوة يتمها ويحافظ عليها ويحفز عليها

إن دعوة الحق بحاجة إلى حماية ودعم لرجالها، وأحوال المدعوين تتأثر بميزان القوة والغلبة، وهاهنا شاهد يؤكد ذلك يظهر في إصرار أبي بكر ﷺ على تسيير جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه وإنفاذه(٢)، بعد وفاة الرسول ﷺ، على الرغم من تغير الظروف في عاصمة الخلافة الإسلامية، وحاجتها للحماية والمنعة، وظهور الحاجة لمعالجة أمر المرتدين.

ومما يوفر ذلك للمراعاة، القيام باستحثاث للعواطف وشحذ للعزيمة وتحريك للنخوة، لمن يتوجه الداعية لهم بالخطاب، وهو بهذا يُفَعِل مكامن الفاعلية لديهم بهذه الاستثارة، وهذا هو العنصر الرئيس الذي تحتاجه المراعاة، وتتذرع به لتنطلق من عقالها.

وهذا جلي في حرص النبي ﷺ على عرض نفسه على قبائل العرب، طالباً منها الحماية له من القتل حتى يُبلغ ماأرسل به من عند الله، وبذل المنعة لصحابته ودعوته، حتى يؤدي رسالة الإسلام إلى الناس كافة؛ بعد موت أبي طالب عم النبي ﷺ وزوجته خديجة(٣)، ومجاهرة قريش له ﷺ ولصحابته ودعوته بالعداوة والاضطهاد، ومحاولتهم النيل من النبي ﷺ وقتله؛ فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ٦٠٨/٢، ٦٠٩. وجوامع السيرة، ابن حزم الأندلسي، مرجع سابق، ص ١٠٠-١٠٦.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب صلح الحديبية، عند ابن حجر، فتح الباري ٤٤٤/٨ – ٤٦٣، وباب فتح مكة.

(٣) انظر تاريخ الإسلام، الذهبي، مرجع سابق، ١٦٦/١، ١٦٧. وانظر جوامع السيرة، ابن حزم الأندلسي، مرجع سابق، ص ٦٧.

بالموقف، فيقول: «**هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي**»(١).

وحين رفضت قبيلة ثقيف قبول النبي ﷺ وحماية دعوة الإسلام؛ قام عليه الصلاة والسلام بتكريس جل جهوده في الدعوة إلى الله، في التصدي لوفود قبائل العرب في موسم الحج، عارضاً عليهم قبول بذل الحماية والمنعة له والنهوض بدعوة الإسلام(٢)، فكان ﷺ في تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم، ويكلم كل شريف قوم، لايسألهم مع ذلك إلا أن يؤوه ويمنعوه؛ فلم يقبله أحد، ويقولون: قومه أعلم به، أترون أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه، ولفظوه، فكان ذلك مما أدخر الله للأنصار(٣)، وقد فازوا بهذه النصرة لمحمد ﷺ ودعوته.

والمراعاة على تلك الهيئة لاتعني في كل حال لين الجانب مع المدعو، فاللجوء إلى الشدة المحمودة – مع المدعو– في مقامها الصحيح الذي تحتاجه، مما ينساق مع المعايير الضابطة للمراعاة، قال ابن تيمية: "المؤمن للمؤمن، كاليدين تغسل إحداهما للأخرى، وقد لاينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة مانحمد معه ذلك التخشين"(٤)، والقوة باعتبارها من وسائل الدعوة، ليست ذات أولوية من حيث البدء بها، لكن ربما ارتبط أداء المطلوب بها، فتكون من باب مايتم الواجب إلا به فهو واجب، ومسألة وجوبها ترتبط بمدى جدواها في الموضع الذي تستخدم فيه، ولذا فهي أبعد ماتكون عن السداد إن أدت إلى الإكراه، لكون إيمان المكره لايصح، كما أن كفره لايصح.

---

(١) أخرج هذا الحديث الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام، ١٦٦/١ ثم قال، أخرجه أبو داود عن محمد بن كثير عن إسرائيل، وهو على شرط البخاري.

(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي، مرجع سابق، ١٦٦/١، ١٦٧.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، ١٦٦/١، ١٦٧. مرجع سابق، ٤١٩/١-٤٢٢. وجوامع السيرة، ابن حزم الأندلسي، مرجع سابق، ص٦٧.

(٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ٥٣/٢٨. وانظر من صفات الداعية اللين والرفق، أ د. فضل إلهي، مرجع سابق.

المبحث الخامس

التحقق من إيجابية المراعاة وتحقيقها لمقاصد الدعوة

إن التأكد من تحقق المصلحة للمدعو ومضمون الدعوة، واستشعار مقاصدها، وتلمس ثمارها أثناء أدائها، مما يحفظ لها المراعاة وفق المراد، فكان من ألزم الضوابط، عدم مباشرة الداعية لأمر إلا إذا كان يحقق مصلحة راجحة، فإن كان ضرر مباشرته لذلك اشد من نفعه، أو كان مما يقبل الأخذ والرد من الموضوعات التي يسوغ فيها الخلاف فإن تركه أولى نظراً لطبيعة واقع هذه الأشياء، ومنها أن لايترتب على معرفة حال المدعو محظور ضرره أشد من نفعه كالتجسس، وانتهاك حرمات الآخرين، وهذا جلي في كل جهد دعوي، فالشارع لايعمد بهذا الجهد إلى إتلاف نفس ولا مال، وإنما هو أمر يتبع السبب المشروع، لرفع الحق وإخماد الباطل، كالجهاد ليس مقصوده إتلاف النفوس، بل إعلاء الكلمة، لكن يتبعه في الطريق الإتلاف، من جهة نصب الإنسان نفسه، في محل يقتضي تنازع الفريقين، وشهر السلاح(١).

وهكذا الشأن في اللين، الذي يقوم على المؤانسة، وتتحقق به المصلحة، كالمزاح المحمود، فإنه مما تدعو حاجة المراعاة إليه، حتى لو لم يكن به مصلحة جلية ينالها المدعو، لكن سلم من الإسفاف والغلط، "فهو المباح الذي كان رسول الله ﷺ، يفعله على الندرة، لمصلحة تطييب نفس المخاطب ومؤانسته، وهو سنة مستحبة، فإنه مما يعظم الاحتياج إليه"(٢).

ولذا فإن مما يحقق الإيجابية للمراعاة، إصرار الداعية على الاتصال بالمدعو، وعدم التخلي عنه، وقد جاء التنبيه واضحاً حين شاع -عند البعض- فهم غير صحيح، لقول الله تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ"(٣)، مفاده أن لاضير على المسلم -في حال تركه واجب الدعوة- طالما أنه سالم من الأخطاء والزلل، وقد قال النووي في معنى الآية: "إن المذهب الصحيح، في معنى الآية، أنكم إذا فعلتم ماكلفتم به، فلا يضركم تقصير غيركم، مثل قوله تعالى: +وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ"(٤)،

---

(١) الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، مرجع سابق، ٢٣٩/١.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، مرجع سابق ١٠٦/٦.

(٣) سورة المائدة، آية ١٠٥.

(٤) سورة الإسراء، آية ١٥.

فإذا لم يمتثل المخاطب، فلا عتب بعد ذلك عليه، لكونه أدى ماعليه"[1]، وهذا مايجب أن يُراعى في التعامل مع المدعو، حتى تكون الإيجابية سمة للمراعاة.

وحين كان النبي ﷺ يخرج في بعض مغازيه، ويترك خلفه من تدعو المصلحة والنفع بقاءهم، فقد راعى بذلك حالهم بالصورة الإيجابية، فقد "رجحت مصلحة خروجه، على مراعاة حالهم، وفيه بيان شدة شفقته على أمته، ورأفته بهم، والحض على حسن النية، وجواز ترك بعض المصالح لمصلحة راجحة، أو أرجح، أو لدفع مفسدة، والسعي في إزالة المكروه عن المسلمين"[2].

ويدخل في هذا الباب، التورية، وهي كتمان الشيء، وإظهار خلاف ذلك، بالتعريض، حيث يفهم المُخاطب خلاف إرادته[3]، وربما كانت التورية مما يُعين الداعية على إحكام المراعاة، لتعطي النتيجة المرادة.

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، مرجع سابق، ٣٢٤/٦.

(٢) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني، مرجع سابق، ٥٨/٣.

(٣) انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مرجع سابق، ٣٧٣/٩.

المطلب الأول

قيام الدعوة على معرفة كل فئات المدعوين ومراعاة أحوالهم

من مقتضيات مراعاة حال المدعو، التعامل مع جميع فئات المجتمع، وعدم الاقتصار على فئة بعينها، فجميع الفئات لاتفوت من المراعاة، بما فيهم أهل العناد والكبر والمماراة، ومما جاء في ذلك، ما بادر به رؤساء مكة محمداً ﷺ لإحراجه، حين قالوا له: يامحمد اجعل لنا جبال مكة ذهباً، إن كنت رسولاً، وقال آخرون: إئتنا بالملائكة يشهدوا بنبوتك، فقال: لاأقدر على ذلك، فنزل قول الله تعالى: +فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ"[1]، كأنه ﷺ لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين بالبينات الباهرة التي كانت تضطرهم إلى القبول لو كانوا من أرباب العقول، ومَثَّل حاله ﷺ بحال من يتوقع منه أن يضيق صدره، بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبليغها إليهم، فقيل إنما أنت نذير، ليس عليك إلا الإنذار، بما أوحى إليك، غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول[2]، والتعامل معهم بتلك الصورة، هو الأنسب في حقهم، فالإعراض عنهم بعد الإبلاغ، جسد المراعاة المثلى في حقهم.

وإذا كانت تلك المراعاة، في حق أهل الكبر والعناد، فهي ماضية –من باب أولى– مع من دونهم من المدعوين في الموقف مما يُعرض عليهم، ولذا يجب أن يكون ضابط الاستيعاب لكل مدعو مهما كان حاله، حاضراً في جهد الداعية، لكونه يملك المنهج الراشد الذي يُمَكِّنه من مراعاة أي حال من أحوال المدعوين.

---

(١) سورة هود، الآية ١٢.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، مرجع سابق، ١٩١/٤.

المطلب الثاني: ارتباط المراعاة في دعوة الإسلام بكونها صالحة لكل زمان ومكان

من أوجه المراعاة للمدعو تأثر الفتوى بحاله، ويقوم على ذلك ضابط مهم، لكون زمان ومكان المدعو من الأمور المعتبرة، وجاء في هذا الشأن وأيّده، عدول بعض العلماء عن ماأفتوا به، حين تحولوا من أماكنهم، مثل الإمام الشافعي -رحمه الله- بتحوله من العراق إلى مصر، وموقف المدعو من المفتي في هذا المقام ينبي عن تأثره بما يقول حين يلحظ عليه إقبالاً أو إعراضاً، والمراعاة السديدة بتلك الصورة تمثل دافعاً مهماً للإستجابة، وهي تتفق مع مالديه من نزعات فطرية وجبلية، كما أن تلك المراعاة يجب أن لاتغفل عن باقي متطلبات المدعو المتصلة بالجانب العضوي كالجنس والحاجة للغذاء، والجانب النفسي كالتدين والتملك، والجانب المكتسب كالحقد والحسد والبخل.

ويتعزز هذا الضابط، بتفهم الداعية، لمدى التعدد والتغير في مناحي الحياة، واستيعاب الدعوة لذلك، يقتضي تنوعاً في المناهج الدعوية التي تُعالج بواسطتها، فإن كانت الدعوة تعالج حالاً ما لدى المدعو، نظرت إليها من زاويتين، الأولى: من ناحية الموضوع أو المضمون المساق للمدعو، وهي هاهنا تتناوله من خلال مناهج دعوية ترتبط بالموضوع نفسه، كالمناهج العقدية والعبادية والأخلاقية والسياسية، والثانية: ترتبط بالمدعو نفسه، وتنوعها يأتي تبعاً لتنوع نواحي الإدراك لديه، وهي العقل والقلب والإحساس، ولكل منها منهجاً أو إجراءً دعوياً يناسبه وينسب إليه، فما كان منطلق الاتصال مع المدعو فيه قائماً على العقل سُمي بالمنهج العقلي، وما كان قائماً على القلب سُمي بالعاطفي، وما كان قائماً على الحس سُمي بالمنهج الحسي أو التجريبي.

وكلام الداعية مع المدعو، يتأثر بهذا الضابط، ليكون له ثمرة ونتيجة، إذ له شروطاً لايسلم المتكلم من الزلل إلا بها، ولا يسلم من النقص إلا بعد أن يستوفيها، وهي: أن يكون الكلام لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر، وأن يأتي في موضعه، ويتوخى به إصابة فرصته، وأن يقتصر منه على قدر حاجته، وأن يتخير اللفظ الذي يتكلم به[1]، وهذه صورة رفيعة تبدو بها المراعاة، لتلائم الوضع المتغير

---

(١) انظر أدب الدنيا والدين، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ)، ص ٢٦٦.

للمدعو، فتعين الداعية على التعامل معه، وإصلاحه.

ولذا فإن تلك المراعاة تقتضي التعامل دوناً معه، ويجب أن لايحول كفره أو فسقه دون ذلك، وقد جاء عن أنس ﷺ قال: وقد رهن رسول الله ﷺ درعاً عند يهودي بالمدينة، فأخذ منه شعيراً لأهله(١)، وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ، اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل، ورهنه درعاً من حديد(٢)، فلم يحل الكفر دون التعاطي مع أهله، ناهيك عمن هو دونهم، كأهل العهد، أو الفسق من المسلمين(٣).

وهذا التعاطي المحمود لدعوة الإسلام، اقتضى الاحتفاء بكل الفئات، وإعطاء كل فئة من المدعوين حقها من الجهد الدعوي، وقد جاء الأمر لمحمد ﷺ بعد طرد الأقل رتبة في مقامهم، ترضية لقريش، حين قالوا: لو طردت هؤلاء الأعبد، يعنون فقراء المسلمين، كعمار وصهيب وخباب وسلمان، جلسنا إليك وحادثناك، فقال: ماأنا بطارد المؤمنين، قالوا: فأقمهم عنا إذا جئناك، قال: نعم، فنزل قول الله تعالى : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وما أنا بطارد المؤمنين﴾(٤)(٥).

وحين تتصف المراعاة بهذا الاستيعاب الزماني والمكاني، فيجب أن لاتقف عند حد معين، ولابد من سعي الدعاة للارتقاء بها، ويمثل ذلك في التطلع دوماً إلى الإنجاز والتوسع في الدعوة، وفي التخطيط عند مباشرة الأعمال، بأن يكون من نتائجها أنها تؤدي إلى أكبر مما قُصد بها، كذلك اغتنام السوانح لتحقيق ذلك والتوسع فيه، والنبي ﷺ صاحب الريادة في ذلك، فلم تكن تسنح له فرصة، للخروج بدعوة الإسلام من النطاق المحلي إلى النطاق العالمي؛ حتى كان يُسارع باغتنامها؛ فكل انتصار سياسي أو عسكري حاسم، حققه النبي ﷺ داخل الجزيرة على قبيلة قريش صاحبة الرئاسة الدينية والسياسية، أو على جيرانها وحلفائها القدامى أهل الطائف، أو على تخوم جزيرة العرب وبلاد الشام، كان النبي ﷺ ينتهز ماصاحب

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك، حديث (رقم١٢٣٨٣)، ١٣٣/٣.

(٢) أخرجه البخاري، باب شراء النبي ﷺ بالسنيئة، حديث (رقم١٩٦٢)، ٧٢٩/٢.

(٣) قال العلماء: والحكمة في عدوله ﷺ، عن معاملة مياسير الصحابة إلى معاملة اليهود، إما بيان الجواز، أو لأنهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعام فاضل عن حاجتهم، أو خشي أنهم لايأخذون منه ثمناً أو عوضاً، فلم يرد التضييق عليهم. انظر نيل الأوطار، الشوكاني، مرجع سابق، ٢٦١/٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٥٢.

(٥) انظر تفسير البيضاوي، مرجع سابق، ٤١١/١، ٤١٢.

هذه الانتصارات من ظهور دين الإسلام ودولته، ومن أمن وأمان تحقق بغلبة ونصرة دولة الإسلام لمكاتبة ملوك الدول وولاة الولايات والأقاليم وزعماء ورؤساء القبائل والعشائر، داخل الجزيرة العربية وخارجها؛ ليدعوهم إلى الإسلام(١).

المطلب الثالث

تفاوت المدعويين من حيث حاجتهم لنوع ومدى المراعاة

ويظهر ذلك في سلسلة من الخطوات مع المدعوين، أوصى بها الرسول ﷺ قادة سراياه، في تعاملهم مع من يرسلهم إليهم، تدل على مراعاة الأحوال المتراوحة لهم، فكان ﷺ يبدأ بخطبة وعظية عامة وجيزة، ثم يكرر على مسامع قواد وجنود هذه السرايا –وجميعهم من صحابته رضوان الله عليهم– وصيته لهم، في كيفية عرض دعوة الإسلام على القبائل والشعوب والممالك، التي لم تبلغها الدعوة بعد، أو التي لم تدخل في الإسلام، وكيفية تخييرهم بين الإسلام أو الجزية أو القتال(٢)، حيث تعاقب على هذه التعاليم الخلفاء الرشدون وساروا بها لمن بعدهم، وهم ينشرون دبن الإسلام، متذرعين بالمراعاة الراشدة لكل أحوال من يدعونهم.

وهذا يدعو إلى النظر في الجانب الذي يحتاج المراعاة لدى المدعو، دون غيره، مما لاتدعو الحاجة إلى الإلتفات إليه ومراعاته، ويتحقق ذلك بالنظر في عوامل مؤثرة فيه، من أهمها، أي هذه الأحوال أكثر ظهوراً

---

(١) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص٢٩٢.

(٢) نص وصية النبي ﷺ إلى قواد بعوثه وسراياه، قبيل تسيره لهم ﷺ ، جاء فيما رواه سفيان بن بريدة، عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّرَ أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً. ثم قال: «اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تُمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال –أو خلال– فأيتهن ماأجابوك إليها فاقبل منهم؛ وكف عنهم: ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم أدعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ماللمهاجرين وعليهم ماعلى المهاجرين. فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا، فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا، فاستعن بالله وقاتلهم». حديث متفق عليه، أخرجه الستة. أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، حديث (رقم١٧٣١)، ١٣٥٧/٣.

في المدعو وأدعى لأن تراعى عند دعوته، وما مدى اشتراك أكثر من حال لدى المدعو في الأهمية ولزوم مراعاتها بنفس الدرجة، وما مدى التلازم بين الحال لدى المدعو والموضوع المطروح، إذ الموضوع يلعب دوراً في تحديد أي أحوال المدعو تراعى أكثر من غيرها لديه، وهل هناك نماذج لذلك لدى بعض المدعوين، ممن باشر الرسول ﷺ وأصحابه والتابعون دعوتهم، حيث يتم التأمل في مجموع الأحوال الموجودة في هؤلاء المدعوين، والبحث عن أيها نال المراعاة أكثر من غيره.

فالتفاوت في التعامل مع المدعوين مقتضى لازم لطبيعة التفاوت في أحوالهم وتغيرها، فجاء "الحض على مراعاة مقادير الناس ومراتبهم ومناصبهم، وتفضيل بعضهم على بعض، في المجالس وفي القيام وغير ذلك من الحقوق"(١)، ويقوم على ذلك أداء الحقوق، واحترام منازل الناس، وعدم التجاوز عليهم، وهذا سائر في انسجام مع التظام العام للإسلام، والمراعاة للمدعوين إلا جزء أصيل من هذا النظام، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إياكم ومعاداة الرجال، فإنهم لايخلون من ضربين، من عاقل يمكر بكم، أو جاهل يعجل عليكم، بما ليس فيكم، ثم أنشأ يقول(٢):

سليم العرض من حذر الجوابا　　ومن دارى الرجال فقد أصابا

ومن هاب الرجال تهيبوه　　ومن حقر الرجال فلن يهابا

وقد وصف ابن بطال ذلك، بأنه من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة، وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط لأن المداراة مندوب إليها والمداهنة محرمة، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه، من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل(٣).

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١٣١/١٣.

(٢) شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، مرجع سابق ٣٤٣/٦، ٣٤٤. وانظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مرجع سابق، ١٨٤/٨.

(٣) فتح البارئ ابن حجر، مرجع سابق، ١٠/ ٥٢٨.

المبحث السابع: اعتماد المراعاة على ترتيب الأولويات والتدرج

المطلب الأول

الترتيب في عرض الموضوعات حسب أهميتها

من المهم سرد الموضوعات على المدعو، حسب أهميتها الأهم فالمهم، وفق ترتيب محكم للأولويات، حيث يتم البدء بما بدأ به جميع الأنبياء في دعوتهم، وهو الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده، وعدم الإشراك به، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ (١)، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ (٢) ، ومن ذلك خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه، قال الله تعالى ﴿: إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾(٣)، كذلك في دعوة موسى عليه السلام، لفرعون وقومه، فقد كان ترسيخ مبدأ التوحيد لله بالعبادة، هو الأساس الذي عمد إلى وضعه وتثبيته، وكان ذلك هو المحور الذي دار عليه الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون، وهو يدعو إلى عبادة الله وحده، قال الله تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٨ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ (٤)، وسار على النهج نفسه عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾(٥)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٥.

(٢) سورة النحل، الآية ٣٦.

(٣) سورة مريم، الآية ٤٢.

(٤) سورة الشعراء، الآيات من ٢٣ إلى ٢٩.

(٥) سورة المائدة، الآية ٧٢.

﴿بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ (1).

وكان لخاتم الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ، القدح المعلّى في ترسيخ هذا المبدأ وتمكينه من قلوب المدعوين، وعليه كان خطاب القرآن الكريم يدور، وعالج الرسول ﷺ بما مكّنه الله تعالى من إعجاز القرآن وقوة بيانه، ماكتنفته حياة الناس من انحراف عن توحيد الله والإخلاص له، وعلى الرغم من ظلوع هذا الانحراف العقدي في نفوس القوم، إلا أن اتسام هذا الجانب في منهج الإسلام بأهمية بالغة جعلت له الصدارة في التناول والمعالجة، لما يترتب على ماينبني عليه من صحة وقبول، فكان له نصيبه الأوفر من حرص الرسول ﷺ وتقصيه إيّاه، ولم يثنه عن ذلك مالحظه لدى القوم من دهشة واستنكار حين عرض عليهم ضرورة توحيد الله تعالى وإفراده، حيث اكتفوا بتوحيد الربوبية وبعض مايقتضيه هذا النوع من إيمان بأن الله تعالى هو الخالق الرازق، لكنهم أشركوا مع الله غيره في العبادة، وكان منهم الاستنكار والتعجب حين دعاهم الرسول ﷺ إلى عبادة الله تعالى وحده، قال الله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾(2)، والوصف لحالهم تلك يطّرد في موضع آخر من القرآن، قال الله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ﴾(3)، وهذا الترتيب في الأولويات أمر لازم لكون المسائل الأهم بمثابة الأساس المكين الذي ينبني عليه غيره، ولاطائل من إيمان المدعو بمسالة لاحقة وأخذه بها وقد ترك مسألة سابقة أهم منها، حيث لايمكن أن يؤمر المدعو غير المسلم على سبيل المثال بالزكاة دون الشهادة، أو بالصدقة النفل دون الزكاة، ومن جهة أخرى فإن هذا الترتيب في الألوليات يؤتي الثمرة الأهم، وهي تمكين المدعو مما يُدعى إليه وترسيخ مضمون الدعوة في قلبه.

ويظهر تقديم الأهم على المهم، في توجيهات النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه، حين أرسله إلى اليمن، ففي ذلك تأكيد على هذه الناحية، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن، فقال: «**ادعهم إلى شهادة أن لاإله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد**

---

(1) سورة الزخرف، الآيتان ٦٣، ٦٤.

(2) سورة ص، الآيتان ٤، ٥.

(3) سورة يونس، الآية ٢.

افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»[١].

ويظهر ذلك أيضاً في مكاتباته ﷺ للملوك، حيث دعاهم أولاً في السنة السادسة من الهجرة، للإسلام والتوحيد والإقرار بنبوته ﷺ؛ ثم خيَّرهم في مكاتباته في السنة التاسعة، بين الإسلام أو الجزية أو القتال[٢].

وقد انتهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الإسلام المنهج الذي أمره الله به في السور المكية من القرآن، في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [٣]، ولدينا نموذجاً فريداً للطريقة التي كان النبي ﷺ يتبعها في عرض دعوة الإسلام، على الوفود في موسم الحج، حيث كان ﷺ، يبين لهم جوهر عقيدة الإسلام القائمة على التوحيد ونفي الشرك بالله، والإقرار بنبوته ﷺ وبلاغه عن الله، وتصديقه بما جاء من عند الله وما أُنزل عليه من قرآن، ويقرأ عليهم بعض آيات القرآن المكية المشتملة على لب شرائع الإسلام.

كما يتعلق بترتيب الأولويات، كضابط لمراعاة أحوال المدعوين، النظر في حال المدعو، بما يراه الداعية من جوانب هي أولى من غيرها وألزم بالمعالجة والمراعاة حتى لو كانت مغايرة لاهتمام المدعو وحاجته، ومن صور ذلك صرف أهل البدعة والخرافة، إلى تصحيح المعتقد، وتخليص الأعمال من الشرك، قبل أو مع تلبية ماسألوا عنه أو طلبوه، ويأتي في هذا المقام تفاوت الدعاة، من حيث القدرة على المعالجة، فالأمثل منهم، هم المراعون لهذا الجانب في اتصالهم بالناس، ويلحق بهم، المراعون لحاجات الناس ورغباتهم، بحيث تكون تلك الحاجة هي الموجهة لحديثهم والمحددة لطرحهم، وربما شذ فئام منهم، بتلمس مافيه تخفيف غير شرعي، نشداناً لكسب محبتهم، والشهرة بينهم، وغير ذلك من المصالح الذاتية، التي يسعى لها بعض المنتسبين للدعوة.

ولايتعارض ذلك، مع مايقتضيه مبدأ الأخذ بالأولويات، من أن يكيف الداعية جهده بما يسمح به حاله

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، مرجع سابق، (رقم ١٣٠٨)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، ، (رقم ٢٧).

(٢) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص٢٩٢.

(٣) سورة النحل، الآية١٢٥.

وواقعه وقدرته، أو أن "يترك بعض مايختاره، للرفق بالمسلمين، وأنه إذا تعارضت المصالح، بدأ بأهمها"(١).

ويلزم أن ينتبه الداعية عند المراعاة، إلى أن أول الواجبات الشرعية يختلف باختلاف أحوال الناس، فقد يجب على هذا ابتداء مالا يجب على هذا ابتداء، فيخاطب الكافر عند بلوغه بالشهادتين، وذلك أول الواجبات الشرعية التي يؤمر بها، وأما المسلم فيخاطب بالطهارة، إذ لم يكن متطهراً، وبالصلاة وغير ذلك من الواجبات الشرعية التي لم يفعلها، وفي الجملة، فينبغي أن يعلم أن ترتيب الواجبات في الشرع واحداً بعد واحد، ليس هو أمراً يستوي فيه جميع الناس، بل هم متنوعون في ذلك(٢).

ويقود ذلك الترتيب بالمدعو إلى تكوين القناعة لديه، بمزيد من التكاليف، أو بالتخلي عما هو فيه من سوء وخطأ، وكذا مع غير المسلم بقيادته إلى مافي الإسلام من محاسن تأخذه شيئاً فشيئاً إلى رحابه(٣)، ويجب الانتباه، عند ترتيب الأولويات من الانحراف عن ضوابط بعض الأصول والقواعد الفقهية، مثل، الخروج بالاستحسان والمصالح المرسلة، من كونها المصالح الشرعية، إلى المصالح التي يرتئيها المتنفذون حسب عقولهم وأهوائهم(٤)، ومثل الانحراف بنظرية العرف، أو قاعدة العادة محكمة، ليكون العرف والعادة هما الأصل الذي يُقدم على ماسواه.

وبقي في هذا المطلب، أن يعرف مُريد المراعاة -من الدعاة-، مراتب مايَطْرح على المدعو، من حيث الوجاهة وعدمها، ومن حيث الصحة والخطأ، ودرجة الحاجة وعدمها، وأولها، معرفة مراتب الحق والباطل، والحسنات والسيئات، والخير والشر، ليعرف خير الخيرين وشر الشرين، والثاني، معرفة مايجب من ذلك ومالا يجب، ومايستحب من ذلك ومالا يستحب، والثالث، معرفة شروط الوجوب والاستحباب، من الإمكان والعجز، وأن الوجوب والاستحباب، قد يكون مشروطا بإمكان العلم والقدرة، والرابع معرفة أصناف المخاطبين وأعيانهم، ليؤمر كل شخص بما يصلحه، أو بما هو الأصلح له، من طاعة الله ورسوله

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، النووي، مرجع سابق، ٢٢/١٣.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، مرجع سابق، ١٦/٨.

(٣) انظر طرائق إقناع المدعو في دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام، أ د. حسين مجد خطاب (كلية أصول الدين، طنطا، ١٤١٦هـ) ص٩٧ ومابعدها.

(٤) انظر في التحذير من ذلك الرسالة، الإمام الشافعي، مرجع سابق، ص ١١٠، ٥٠٥.

ﷺ، وينهي عما ينفع نهيه عنه، ولايؤمر بخير يوقعه فيما هو شر من المنهي عنه، مع الاستغناء عنه[١].

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام احمد بن تيمية، مرجع سابق، ١٤/٤٣٣، ٤٣٤.

المطلب الأول

الاعتدال والتوسط وعدم الإثقال على المدعو

والحديث هنا ينصرف إلى نوع وكم مايُلقى على المدعو من تكاليف، حيث تقتضي المراعاة أن يناله من ذلك مايناسب حاله، والتفاوت وارد بين المدعوين، لكن يطال الجميع جملة من القواعد، تحكم صلتهم بالتكاليف، يتم أخذها من يسر الدين وسهولته ومرونته، وعمل الداعية -وهو يراعي الناس- يجب أن يتأثر بذلك ويرتبط به.

وليس بوسع الداعية أن يتكلف مايكسر به قدرة المدعو وطاقته، كما ليس بوسعه أن يبالغ في إعفائه بما له، وإنما هي مقادير يقدرها الداعية الحصيف، يعرف كيف يُراعي بها من يقوم بدعوتهم، وقد جاء عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة**»[1].

وحين كان رسول الله ﷺ، مختف بمكة، كان إذا صلى بأصحابه، رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون، سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: +وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا" (٢) [3].

ومما جاء عن ميمون بن مهران، أن عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز، قال لأبيه: يا أبت مامنعك أن تمضي لما تريد من العدل، فوالله ماكنت أبالي لو غلت بي وبك القدور في ذلك، قال: يابني إنما أنا أروض الناس رياضة الصعب، إني لأريد أن أحيي الأمر من العدل، فأؤخر ذلك حتى أخرج معه طمعاً من طمع الدنيا، فينفروا من هذه ويسكنوا لهذه[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب الدين يسر، (رقم ٣٨).

(٢) سورة الإسراء، الآية ١١٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب تفسير القرآن، باب ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها، (رقم ٤٣٥٣).

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبدالله الأصبهاني، مرجع سابق، ٣٥٤/٥.

وأحوال الناس تختلف فيما تحمل أبدانهم من العمل، وقد كان النبي ﷺ، ينهى عن التعسير ويأمر بالتيسير، ودينه الذي بعث به يسر، وكان يقول: خير دينكم أيسره، ورأى رجلاً يكثر الصلاة فقال: إنكم أمة أريد بكم اليسر. ولم يكن أكثر تطوع النبي ﷺ وخواص أصحابه بكثرة الصوم والصلاة بل ببر القلوب وطهارتها وسلامتها وقوة تعلقها بالله خشية له ومحبة وإجلالاً وتعظيماً، ورغبة فيما عنده، وزهداً فيما يفنى، وجاء عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ، قال: إني أعلمكم بالله، وأتقاكم له قلباً، وقال ابن مسعود رضي الله عنه لأصحابه: أنتم أكثر صلاة وصياماً من أصحاب محمد ﷺ، وهم كانوا خيراً منكم، قالوا: ولم؟ قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا، وأرغب في الآخرة[1].

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «**أكره الغل وأحب القيدَ القيدُ ثبات في الدين**»[2].

وقد بان ذلك جلياً في مراعاة النبي ﷺ للناس وهو يدعوهم، تجده يتلمس أ؛والهم ويضع لها ماايناسبها، فأثنى على السمت والتؤدة، فيما جاء عن عبد الله بن سرجس المزني، أن النبي ﷺ، قال: «**السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة**»[3]، وكانت صلاته وخطبته –وهو القدوة– قصداً، أخبر بذلك جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: كنت أصلي مع النبي ﷺ، فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً[4]، وكان كذلك توجيهه ﷺ في الصدقة والإنفاق، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال: رسول الله ﷺ «**كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة**»[5].

وفي العبادة كان له التوسط الذي راعى به الناس، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: ذكر لرسول الله ﷺ، رجال يجتهدون في العبادة اجتهاداً شديداً، فقال: «**تلك ضراوة الإسلام وشرته، ولكل ضراوة شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى اقتصاد وسنة، فَلأُمٍّ ماهو، ومن كانت فترته إلى**

---

(١) انظر لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوطائف، زين الدين بن رجب الحنبلي، مرجع سابق، ٢٧٩/١.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، في كتاب تعبير الرؤيا، باب تعبير الرؤيا، (رقم ٣٩١٦).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ماجاء في التأني والعجلة، (رقم ١٩٣٣).

(٤) أخرجه النسائي في سننه، في كتاب صلاة العيدين، باب القصد في الخطبة، (رقم ١٥٦٤).

(٥) أخرجه النسائي في سننه، في كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة، (رقم ٢٥١٢).

المعاصي فذلك الهالك»[1]، وقد رأى رسول الله ﷺ، حبلاً ممدوداً بين ساريتين، فقال: **لمن هذا؟** قالوا: لحمنة بنت جحش، فإذا عجزت تعلقت به، فقال: «**لتصل ماطاقت فإذا عجزت فلتقعد**»[2]، وشبيهة لها، جاء خبرها عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان عندها امرأة من بني أسد، فدخل النبي ﷺ فقال: **من هذه؟** قالت: هذه فلانة، لاتنام، فقال النبي ﷺ : «**عليكم بما تطيقون فوالله لايمل الله حتى تملوا أحب الدين إلى الله ﷻ الذي يداوم عليه صاحبه**»[3]، وقد جاء عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**من فقه الرجل رفقه في معيشته**»[4].

وفي مجال الحب والموالاة، عن علي رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ : «**فيك مثل من عيسى، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها**» ثم قال: «**يهلك في رجلان، محب مفرط يقرظني بما ليس في، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني**»[5].

وقد أدرك العارفون ذلك، وعرفوا أن لاصحة لصلة الناس بربهم، إلا إذا تم ضبطها بما فيه المراعاة الراشدة لأحوالهم، وأشار إلى ذلك عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، فقال: القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة[6].

وورد فيمن تجاوز في ذلك بما لم يُؤمر به، ولاطاقة له به، ماجاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: لما كان من أمر عثمان بن مظعون رضي الله عنه الذي كان، من ترك النساء، بعث إليه رسول الله ﷺ، فقال: «**ياعثمان إني لم أومر بالرهبانية، أرغبت عن سنتي؟**» قال: لا يارسول الله، قال: «**إن من سنتي، أن أصلي وأنام وأصوم وأطعم وأنكح وأطلق، فمن رغب عن سنتي فليس مني، ياعثمان إن لأهلك عليك حقاً ولعينك عليك حقا**» قال سعد: فوالله لقد كان أجمع رجال من المسلمين، على أن رسول الله

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (رقم ٦٢٥٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (رقم ١٢٤٤٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (رقم ٢٤٧٥٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (رقم ٢٠٧٠٦).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (رقم ١٣٠٥).

(٦) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، (رقم ٢١٩).

ﷺ إن هو أقر عثمان على ماهو عليه، أن نختصي فنتبتل[1]. فتأمل كيف كفى الله تعالى المسلمين سوء التجاوز بتللك المراعاة الربانية الراشدة، وماكان لها أن تمضي بأثرها فيهم، إلا بعد أن استوفت الضابط المسدد، الذي جعلها في موضع التلقي والقبول.

(١) أخرجه الدارمي في سننه، في كتاب النكاح، باب النهي عن التبتل، (رقم ٢٠٧٥).

المبحث التاسع: التحقق من قدرة المدعو على فهم مضمون الدعوة وإدراكه

المطلب الأول

استخدام اللغة الواضحة الدلالة الخالية من الغموض والإيهام

والقصد أن يصل المضمون للمُخاطب كما أراده الداعية، واستقصاء ذلك وتحقيقه لايتأتى إلا بتلمس أسبابه لدى المدعو، واعتباره في الخطاب، وحين أرسل الله ﷻ الرسل بألسنة أقوامهم، حصل التيقن من إقامة الحجة وإثبات البينة، بوصول أكيد لمضمون هذه الرسالات، وهذا من اللوازم التي يدان بها المدعو، عند إنكاره وتقام به عليه الحجة، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾[1].

ويتبع ذلك، خلو الكلام مما يحتمل التأويل، فيكون فيه نجعة للمتكلم أو السامع، بالاسترسال في تحديد المراد وتوريته، فيغلب عليه الغموض ولا يكون به الغرض الذي ألقي -أصلاً- لأجله، قال الله تعالى ذامّاً من يقصد ذلك ويتعمده: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[2]، ففي ذلك نهي من الله تعالى "لليهود عما كانوا يتعمدونه من تلبيس الحق بالباطل، فنهاهم عن الشيئين معاً وأمرهم بإظهار الحق والتصريح به"[3]، وقد قال ابن عباس في هذا المعنى: "لا تخلطوا الحق بالباطل والصدق بالكذب"[4].

وفي ذلك الغموض نوع من اللبس على المخاطب، وهو "الخلط، إذا مزجت بَيّنَه بِمُشكله، وحقه بباطله"[5]، قال الله تعالى: ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾[6]، وروى سعيد عن قتادة في قول الله

---

(١) سورة ابراهيم، الآية ٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ٤٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، تفسير سورة البقرة.

(٤) المرجع السابق، تفسير سورة البقرة.

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، تفسير سورة البقرة.

(٦) سورة الأنعام، الآية ٩.

ﷻ: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: "لاتلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام، وقد علمتم أن دين الله – الذي لايقبل غيره ولا يجزئ إلا به– الإسلام، وأن اليهودية والنصرانية بدعة وليست من الله"(١)، وروي عن ابن عباس وغيره في المراد بقوله: ﴿ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ «لا تخلطوا ماعندكم من الحق في الكتاب بالباطل وهو التغيير والتبديل»(٢)، وكم أخذ أهل الباطل بذلك، ليخدعوا بباطلهم الناس، حين ألبسوه ثوباً من الحق، ليخلطوا الأمر عليهم.

ولذا فخلو الكلام من الألفاظ التي تحتمل أكثر من معنى، مطلب لازم، لابد أن يحرص عليه الداعية ويستقصيه، فيما يصوغه من تراكيب يسوقها للمدعو، إذ من طبيعة هذه الألفاظ استخدامها في الدلالة على الحق أو الباطل على حدٍ سواء، وكثيراً ماعمد أهل الهوى والباطل إلى هذا المنحى في تمرير باطلهم أو في التملص من الحق حين يُحاصروا به، ومن شواهد ذلك ماجاء من سقامة في سلوك اليهود مع الرسول ﷺ، حين يضطروا إلى تقديم مايجب له عليهم من حق، كإلقاء السلام، ففي ماروته عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ : «**مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله**»، فقلت: يارسول الله، أولم تسمع ماقالوا؟ قال: رسول الله ﷺ : «**قد قلت وعليكم**»(٣). وهكذا الشأن في ماجاء الإخبار عنه في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ (٤). إذا النهي للمؤمنين هنا عن أن يتشبهوا بمن سلكوا في حديثهم هذا المسلك الملتو، وهم اليهود الذين عمدوا إلى هذه التورية، وهم يطلبون من الرسول ﷺ، أن يسمع لهم مستخدمين لفظاً آخر، يحتوي ماقصدوه من تورية حين قالوا: راعنا يورون بالرعونة(٥).

---

(١) المرجع السابق، تفسير سورة البقرة.

(٢) المرجع السابق، تفسير سورة البقرة.

(٣) رواه البخاري، في كتاب الأدب، (رقم ٥٥٦٥)، ومسلم، في كتاب السلام، (رقم ٤٠٢٨)، والترمذي، في كتاب الاستئذان والآداب، (رقم ٢٦٢٥)، وابن ماجه كتاب الأدب، (رقم ٣٦٨٨)، والإمام أحمد في مسنده، (رقم ٢٢٦٩١)، والدارمي في سننه، في كتاب الرقاق، (رقم ٢٦٧٤).

(٤) سورة البقرة، الآية ١٠٤.

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، تفسير سورة البقرة، ١ / ١٤٨.

المطلب الثاني

أهمية اعتبار قدرة المدعو على فهم مضمون الدعوة وإدراكه

وفهم المضمون هنا، ينصرف إلى المعنى والمبنى، إذ قد تكون الفكرة سهلة العبارة لكنها مستعصية الفهم، عسيرة التناول، أو أن تكون الفكرة سهلة، في متناول العقل، لكن ملقيها حال بين سهولتها وبين من ألقاها إليها، بغرابة اللفظ، وصعوبة العبارة، وتعقيد الصياغة والتراكيب، ولذا فإدراك الداعية مدى قدرة المدعو في هذا الجانب، لامناص منه لتحقيق المراعاة الصحيحة المحمودة في نتيجتها وأثرها، وعناية السلف والخلف بهذا الأمر جد وافرة، فقد قال المروذي: سألت أبا عبدالله عن شيء من أمر العدل، فقال: لاتسأل عن هذا فإنك لاتدركه، قال ابن عقيل في الفنون: حرام على عالم قوي الجوهر أدرك بجوهريته وصفاء نحيزته علماً أطاقه فحمله أن يرشح به إلى ضعيف لايحمله ولا يحتمله؛ فإنه يفسده. ولهذا قال ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم**»[1]، وقال ابن الجوزي: ولا ينبغي أن يملي مالا يحتمله عقول العوام، وقال ابن مسعود: ماأنت بمحدث قوماً حديثاً لاتبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة[2]، وقال المقدام بن معدي كرب مرفوعاً: إذا حدثتم الناس عن ربهم، فلا تحدثوهم مايعزب عنهم ويشق عليهم[3].

ويبين بما سبق وغيره من الآثار العديدة، أهمية أن يكون كلام الداعية في مضمونه ومحتواه ولفظه وصياغته، تحت إدراك المخاطب وفهمه، ويتأتى ذلك بحرص الداعية على تلمس مستوى المدعو وتقويمه قبل الحديث معه، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله[4]، وقد قال رضي الله عنه للحارث بن حوط: ياحارث إنه ملبوس عليك، إن الحق لايعرف بالرجال، اعرف الحق

---

(١) نسبه السخاوي في المقاصد الحسنة ص/ ٩٣ إلى الديلمي من حديث ابن عباس وضعف إسناده وانظر تمام كلامه فيه.

(٢) أخرجه مسلم، في المقدمة، ص ٥.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ٢٥٤٢/٧، والبيهقي في الشعب (١٧٦٦)، والطبراني في الأوسط، كما في المجمع ١٩١/١ من طريق بقية بن الوليد -وهو مدلس، وقد عنعن-، عن الوليد بن كامل البجلي، وقد ضعفه أبو الفتح الأزدي.

(٤) ذكره الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، (رقم ١٢٤) ٤١/١.

تعرف أهله[1].

ويزيد الأمر أهمية، عند تأدية المعاني المهمة، حيث يجب الاحتراز لذلك، باختيار الألفاظ السهلة الواضحة، ومعلوم إن إفهام المخاطبين بالألفاظ أو المعاني المستعصية على الفهم، لايجوز وليس هذا من البلاغ المبين، الذي وصف الله به الرسول ﷺ، وقد وصف كتابه، بأنه بياناً للناس، وليس هذا من البيان في شيء[2].

ومن الاسترسال المريح في ذلك، إتاحة النقل عن من يتحدث بالحق ويدلي به، فجاء التوجيه من النبي ﷺ بجواز الحديث عن بني إسرائيل، بقوله ﷺ : «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»[3]، وهذا مما يعين على معرفة الواقع وتحديد ملامحه، ثم مراعاة ذلك وفق ضوابط المراعاة.

ومما يشار إليه في ذلك الاعتماد على الدلالة اللغوية للألفاظ والكلمات باعتبارها تفيد مايقع بالفعل، ولقد كانت المعجزة الأشهر للنبي ﷺ ماثلة في هذا الجانب، حين تمثلت في القرآن "لأنه ﷺ تحدى به العرب، وهم أفصح الناس لساناً وأشدهم اقتداراً على الكلام، بأن يأتوا بسورة مثله فعجزوا، مع شدة عداوتهم له وصدهم عنه، ووجوه إعجاز القرآن، من جهة حسن تأليفه، والتئام كلماته وفصاحته، وإيجازه في مقام الإيجاز، وبلاغته ظاهرة جداً، مع ماانضم إلى ذلك، من حسن نظمه، وغرابة أسلوبه، مع كونه على خلاف قواعد النظم والنثر"[4]، والقرآن بتلك الصورة لم يستعص على الفهم، سواء في معانيه، أو مبانيه، ولم يطغى اللفظ فيه على المعنى حتى أذهبه، فكساه باللبس والغموض، كما لم تَحُل قوة المعنى وثرائه، دون قدرة اللفظ على الإتيان به وبسطه للمتلقي، فيأخذ نصوص القرآن، وقد اتسمت بسلاسة العبارة وحسنها ووضوحها وبلاغتها، ونصوع المعاني وجلائها، وهكذا احتوى القرآن الكريم كل ضابط يتصل بالمراعاة في هذا الجانب.

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، تفسير سورة البقرة، آية٤٢.

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ٤٩٩/١.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، باب الحديث عن بني إسرائيل، رقم (٣٦٦٢) ٣٢٢/٣. والنسائي في السنن الكبرى، باب الحث على إبلاغ العلم، رقم (٥٨٤٨) ٤٣١/٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٥٨٥/٦.

المبحث العاشر

ارتباط الحاجة للمضمون بدرجة الإيمان والإستقامة

درجة الإيمان والاستقامة تحدد نوع وكم المضمون المطروح على المدعو، وهذا ضابط، يجب أن لايغيب عن الأداء الدعوي، حين تساق المضامين الدعوية للمدعو، فيأتيه ماليس بحاجته، أو يُحْجَب عنه ماهو بحاجته.

ولهذا الجانب صلة وثيقة بموقف المدعو مما يُلقى عليه، من حيث القبول به، أو الإعراض عنه، وهذين الموقفين ينتظمان أرفع درجات الهداية والاستقامة، وأدنى درجات الغواية والضلالة، ولكل درجات ذلك مايناسبها من موضوعات الدعوة، ومضامينها، ولاسبيل إلى اختيار تلك المضامين قبل الفراغ من معرفة حال المدعو بشأن الهداية أو الغواية.

ومما يرد من الشواهد، في هذا المقام، مايتصل بتلك الأحوال عند من لديهم في حياتهم مايؤثر على جانب الإيمان والاستقامة، كالفقر والغنى، والضعف والقوة، والصحة والسقم، ولننظر في حال أهل الصفة، وحال الرسول ﷺ في تعامله معهم، وخطابه لهم، لنقف على الهدي الدعوي السديد، في التخاطب مع هذه الفئة من المدعوين، وهو هدي يقوم في مجمله، على التخفيف، واللطف، لكون هذه الفئة من الصحابة ﭫ، في درجة رفيعة من الهداية والاستقامة، لاتحتاج معها من المضامين الدعوية إلا لما يُلقي الطمأنينة في الروع، والسمو بهم والارتقاء في درجات الإيمان، وزيادة إحسان الصلة بالله تعالى.

ونرى كيف أن الرسول ﷺ لما كثر المسلمون بالمدينة، وتعددت فئاتهم وأصنافهم، فصار منهم، مشارب شتى، تفاوتت في مستوياتها، عوَّل ﷺ على التوسع في الخطاب لتلك الفئات، وزاد من كثافته ليصل إلى أكبر قدر ممكن من الناس، فاتخذ من منبره بمسجده منبراً يُخاطب منه ﷺ أُمَّته ممثلين في من حضر بين يديه ﷺ من المصلين، وطلاب العلم الشرعي، من المهاجرين والأنصار؛ ومن القبائل العربية التي بلغتها دعوة الإسلام، فأسلم نفر من رجالاتها، وهاجروا إلى المدينة المنورة، ليكونوا حول النبي ﷺ، يحفظون منه ماينزل عليه من القرآن، ويتعلمون منه سنن وشعائر الإسلام، ويتفقهون في الدين[1].

---

(١) انظر تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص٢٢٢.

ولقد قرر الرسول ﷺ إزاء مواقف الناس وأحوالهم من درجات الإيمان، من كونها تتفاوت فيما بينهم تفاوتاً يقتضي من الداعي أن يُلقى على صاحب كل درجة منها، مايوائم حاله مع الإيمان، إذ إن سياق المضمون الدعوي، الذي يقتضي مستوى رفيعاً من الإيمان لدى المخاطب، حتى يتمكن به من تلقي ذلك المضمون وإدراك دلالته، ومن ثم قبوله والعمل به، لايناسب من افتقر إلى هذا المستوى الرفيع من الإيمان، فكان لزاماً أن يُساق من مضمون الدعوة ومحتواها، لصاحب هذا المستوى من الإيمان، مايعينه على احتوائه والتفاعل معه بصورة إيجابية، تؤدي إلى حسن تلقيه له، وقبوله والعمل به[١].

ولقد وردت صورة لتفعيل جانب من ذلك، فيما جاء عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**آمركم بثلاث، وأنهاكم عن ثلاث، آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وتعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تتفرقوا، وتطيعوا لمن ولاه الله أمركم، وأنهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[٢]، قال أبو حاتم: قوله ﷺ: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، أمر فرض على المخاطبين في كل الأحوال، وقوله: وتعتصموا بحبل الله جميعاً، أراد به كتاب الله، وهو فرض على بعض المخاطبين، الذين تقع بهم الحاجة إلى استعماله في حال دون حال، وتطيعوا لمن ولاه الله أمركم، لفظ عام له تخصيصان، أحدهما أن يُؤمر المرء بما له فيه رضي، والثاني إذا أمر ما استطاع دون مالا يستطيع[٣].

بقيت الإشارة، إلى أن ظهور أو عدم ظهور أثر للمضمون على المدعو، لايُعد القرينة الوحيدة على الإيمان والاستقامة أو عدمهما، كما أن إعراض المدعو، ليس دليلاً على خطأ المراعاة، ولذا لم يغفل الإسلام في نعامله مع المدعو هذا الجانب، ليحمله جريرة ما قد يظهر عليه من إعراض وغواية، وقد انطوى قلبه على الإيمان والهداية.

وحين جاء الحكم على من كفر بعد إيمانه، بأن عليه الغضب من الله تعالى، فقد استثني من ذلك، من أُكْرِه بلسانه، وخالفه قلبه بالإيمان، لينجو بذلك من عدوه، فلا حرج عليه، لأن الله إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم، وكذلك حين جاء النهي بأن لايتخذ المؤمن الكافر ولياً في الباطن ولا في الظاهر، إلا

---

(١) انظر صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، مرجع سابق، ٣٨٤/١.

(٢) أخرجه ابن حبان، باب طاعة الأ ئمة، حديث (رقم ٤٥٦٠)، ٤٢٣/١٠.

(٣) المرجع السابق، ٤٢٣/١٠.

للتقية في الظاهر، ويجوز أن يواليه إذا خافه، ويعاديه باطناً، ولما أنكر البعض على من له عذر في ذلك، نزلت الرخصة به، وهذا ظاهر في الآيات الصريحة في الزجر عن الكفر بعد الإيمان، ثم رخص فيه لمن أكره على ذلك، قال تعالى: +إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ" إلى قوله تعالى: +عَفُوًّا غَفُورًا"(١)، وقال تعالى: +وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا"(٢)(٣)، ومن هذه حالهم في مسائل الكفر والإيمان والموالاة، فلا شك أن غيرهم ممن هو دونهم في ذلك، أجدر بأن يمضي عليه هذا الضابط، حين المراعاة لأحواله.

---

(١) سورة النساء، الآيات ٩٧-٩٩.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٥.

(٣) انظر فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٣١٤/١٢.

المبحث الحادي عشر

إدراك أن النفس الإنسانية موضع للصراع بين الخير والشر

كل مافي الدنيا متراوح بين الحق والباطل، وهكذا الشأن لدى الإنسان، ولذا لم تخل الحياة من مذاهب شتى، واتجاهات مختلفة، فيها الحق والباطل، ﴿ألم أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾[١]، والحق والباطل بينهما صراع منذ كان آدم عليه السلام في الجنة ﴿يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾[٢]، ومنذ تلك اللحظة ابتلي الإنسان بالصراع والعداوة والخصومة مع الشيطان، وقبل ذلك كما قال ابن عباس رضي الله عنه: كان بعد أدم عشرة قرون كلهم على الهدي فاختلفوا فبعث الله النبيين[٣]، وبعد بعثة الرسل، صارت الخصومة بينهم واتباعهم، وبين أعداء الرسل من الشياطين وأوليائهم، وكذلك الشأن بالنسبة لمحمد صلى الله عليه وسلم فقد انحصرت الخصومة بينه ومن على هديه، وبين أعدائه، وأعداؤه كثير من المجرمين والأكابر، قال الله تعالى: +وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ"[٤].

والإنسان باعتباره من المدعوين، داخل في هذا السياق، فهو عرضة لهذا الصراع، من جانبين، أما أحدهما فهو الذي سبق ذكره، إذ هو طرف في صراع ما، يُمَثِل فيه جانب الحق أو الباطل، وأما الجانب الآخر فهو الصراع الدائر في داخله مع نفسه، وهو في الغالب انعكاس في جزء منه للصراع الخارجي، والمهم في ذلك، إن هذه الحال، تُمثل عنصراً مهماً في حياة المدعو، إذا أُهمل أثناء الدعوة، لم يحظ بالمراعاة الصحيحة لأحواله، لأن تلك المراعاة تمت بغياب ذلك ضابط مهم، يُعين على تفهم هذا الصراع وإدراكه.

ومن أهم مايقوم عليه ذلك، إدراك أن النفس البشرية، قابلة للخير والشر، قال تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا

---

(١) سورة يس، الآيتان ٦١، ٦٠

(٢) سورة طه، الآية ١١٧

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مرجع سابق، ١٢٢/٦.

(٤) سورة الأنعام، آية ١٢٣.

سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[2]، ولايقف ذلك عند أهل السوء، بل يمتد إلى أهل الخير والصلاح، إذ الأنفس كلها متكونة من النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، التي تعاتب صاحبها، حين يُؤلمها الذنب والزلل، وتشعر بالندم والحسرة، وفي أصحاب هذه النفس، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3]، وتجاهل تلك الفئة من المدعوين التي يحتدم الصراع في داخلها، قد يُسلمها إلى اليأس، ويساهم الشيطان في إزكاء ذلك، فيفوت من جهد الدعاة المسددين، ولعل التعامل مع مقتضيات تلك السمة، يُحتم أن يُؤخذ المدعو بما يُشعره بقيمته، وأهميته، وحرص الداعية عليه، فتسمو نفسه على ما بها من مظاهر الصراع، حين يشعر بأثر تلك المعاملة الحكيمة من الداعية.

وربما كان من مقتضيات التعامل مع أشكال هذا الصراع، الركون إلى الجدل، وحينئذٍ فلا يسلك اللدد والمراء، بل "هو من باب دفع الصائل، فاذا عارض الحق معارض، جودل بالتي هى أحسن، فما دام الرجل قابلاً للحكمة، أو الموعظة الحسنة، أو لهما جميعاً، لم يحتج إلى مجادلة، فإذا مانع، جودل بالتي هى أحسن"[4].

ومن صور التعامل مع هذا الصراع التي يتحقق فيها الضابط، كون الرسول ﷺ لايقاتل الكفرة، حتى يدعوهم إلى الإسلام، دعوة جديدة بين يدي المعركة، فإن أسلموا كفوا عنهم القتال[5]، أما المواضع التي يُقدم المسلمون فيها على الحرب، فهي محصورة، وقائمة على مصلحة راجحة، أو دفع مفسدة مؤكدة، ولاصالح من إلقاء العنت على المسلمين، وإثارة عدوهم عليهم، وإعطاؤه الذرائع للتنكيل بهم والنيل منهم،

---

(١) سورة الشمس، لآيتان ٧، ٨.

(٢) سورة الإنسان، الآية ٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٣٥.

(٤) الرد على المنطقيين، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ٤٦٧/٨، ٤٦٨.

(٥) انظر بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م) ١٠٠/٧، ١٠١. وانظر أحكام القرآن، الجصاص (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ) ٤٧/١.

وقد جاء في الحديث، «**اتركوا الحبشة ماتركوكم، فإنه لايستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة**»[1]، والعدول عن ذلك المسلك في تفهم الصراع، أوقع ويوقع المسلمين، في كثير من المصائب التي لحقتهم من أعدائهم، ولقد نال المسلمين بسبب ذلك من جنكيز خان عنتاً ونكالاً لاحد له[2]، وعصرنا الحاضر زاخر بضروب من ذلك، والله المستعان.

والحاصل إن طبيعة الصراع لابد من ضبط مراعاتها بما يثمر ويفيد، من إلحاق المدعو بركاب السعداء، وإبعاده عن مواطن الإثارة والعناد، وأن نُلم بحدود التعامل مع الناس، فيما ينبغي أن يكون عليه هذا التعامل، حيث يكون لذلك هيئة تتحقق بها المنفعة، وتندفع بها المفسدة، سواء على مستوى المدعو نفسه، أو على مستوى الدعوة ومضمونها.

---

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، حديث(رقم ٨٣٩٦)، ٥٠٠/٤، وأخرجه أحمد في مسنده، أحاديث رجال عن أصحاب النبي ﷺ، حديث (رقم ٢٣٢٠٣)، ٣٧١/٥.

(٢) حصل ذلك حين أقدم خوارزم شاه، على قتل رسل جنكيز خان، بعد أن أعطى الأمان لقوافل التجار، لكنه سمح بإيقاف بعضها، توقاً إلى المال، بحجة أنهم جاؤوا بزي التجار، وماقصدهم إلا إفساد الحال، فوردت رسل جنكز خان إلى خوارزم شاه، تقول: إنك أعطيت أمانك للتجار، فغدرت، والغدر قبيحٌ، وهو من سلطان الإسلام أقبحٌ، فإن زعمت أن الذي فعلهُ بغير أمرك، فسلمه إلينا، وإلا فسوف تشاهد مني ما تعرفني به، فحصل عند خوارزم شاه من الرعب ماخامر عقلهُ، فتجلد وأمر بقتل الرسل فقتلوا، فيالها من حركة أهدرت من دماء الإسلام، وأجرت بكل نقطة سيلاً من الدم. انظر تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ) ٢٢/٤٤.

الفصل الثاني

الضوابط المتعلقة بالمنهج

المبحث الأول: تحري الطرق الشرعية في تلمس أحوال المدعوين ومعرفتها

المبحث الثاني: قيام المراعاة على مبدأ عدم الإكراه

المبحث الثالث: الموازنة بين المصالح والمفاسد

المبحث الرابع: وضوح المراعاة وعدم الغموض فيها

المبحث الخامس: الدراية بمتطلبات المراعاة والقدرات المطلوبة لها

المبحث السادس: إجادة التكيف وارتياد حياة الناس والتفاعل معها

المبحث السابع: الحرص على نفع المدعو وتغليب جانب الإشفاق عليه

المبحث الثامن: العناية بحقوق المدعو وحفظ ماله من اعتبار ومكانة

المبحث التاسع: تقصي دوافع الإقبال والإعراض لدى المدعو

المبحث العاشر: عدم المساس بأصول الدين وشريعته بحجة المراعاة

المطلب الأول

الاحتراز مما حرمه الشرع عند استقصاء أحوال المدعو

ومن ذلك ترك التجسس، وتلمس ماتعمد الناس إخفاءه، إذ ذلك منهي عنه، حتى لو كان في مجال الإرشاد والإصلاح، قال الرسول ﷺ: « **لاتجسسوا ولا تحسسوا..** »[1]، لما في ذلك من إيراث للضغينة، وإفساح المجال للظن السيئ، وما يورثه من سخيمة، تفسد القلوب، وتزيل أسباب الود والتآلف، ولاشك أن أثر ذلك لدى المدعو ينصرف إلى مدى تأثره وقبوله، فيكون سبباً في إعراضه وانصرافه، عما يلقى عليه، وقد قيل لابن مسعود رضي الله عنه: هذا فلان تقطر لحيته خمراً! فقال: إنَّا قد نُهينا عن التجسس، ولكن إن ظهر لنا شيء نأخذ به[2]، فما كان مستوراً، وقد توارى به المخالف عن الأنظار، لايقع تحت طائلة الإنكار، لأنه لاسبيل للوقوع عليه، إلا بالتتبع والمراقبة، ويستثنى من ذلك، ماذكره أهل العلم، من حالات اقتضت المصلحة استثناءها، لتوافر جملة من الشروط فيها، أشار إليها أبو يعلى الفراء[3]، وهي: غلبة الظن في الاجتماع على المعصية، وظهور الأمارات والآثار الواضحة الدالة على المعصية، وغلبة الظن على أن الضرر بالغ وخطير إن لم يُستدرك، كمباشرة القتل وغيره، وإخبار العدل الثقة به.

ولذا كان استقصاء ذلك وتحريه، يُجنب الداعي الوقوع فيما يسئ للمدعو، ويلحق به ماليس فيه، وهذا الضابط ماثل في كل مايعرض له المسلم، في كل شؤونه ذات الصلة بأصناف الناس وأحوالهم، ويمثل ذلك بصورة جلية في منهج المحدثين، في فرع من أهم فروع علوم الحديث، وهو علم الجرح والتعديل، وجاء في ذلك، عن أهل العلم، إذا جرح من لايعرف الجرح يجب الكشف عن ذلك، ولم يوجبوا ذلك على أهل العلم بهذا الشأن[4].

---

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري، كتاب النكاح، ، (رقم ٤٧٤٧)، وصحيح مسلم، كتاب النكاح، (رقم ٢٥٣٢).

(٢) انظر فيض القدير، شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي(المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ)، ٢/٣٣٣.

(٣) انظر الأحكام السلطانية، أبو يعلى، مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٤) الكفاية في علم الرواية، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، مرجع سابق، ص ١٠٧.

وهذا الضابط يستدعي احترام خصوصية المدعو، وعدم التجسس عليه بحجة معرفة أحواله، ولذا فليس للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر -وهو صاحب شأن- البحث والتفتيش والتجسس واقتحام الدور بالظنون، بل إن عثر على منكر غيره[1]، وينبني على ذلك، الأخذ بالظاهر، وتجنب التجسس وتتبع العورات، بحيث لايبحث أحد عن عيب أخيه حتى يطلع عليه، بعد أن ستره الله، قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : حرست ليلة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة، إذ تبين لنا سراج في بيت بابه مجاف، على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن شرب، فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا مانهى الله عنه، قال الله تعالى: ولا تجسسوا، وقد تجسسنا، فانصرف عمر وتركهم[2]،

إن الاعتماد في معرفة المدعو، على الظاهر منه، وعدم استقصاء المستور لديه، مما يبني الداعية تعامله معه عليه، فالظاهر من حاله، والباد في فعله وسلوكه هو المعول في المعرفة والاستقصاء، أما ماخفي منه عنة، فليس مُطالب باستقصائه، إذ ذلك موكول إلى الله تعالى، وليس من المتاح له تقصيه، لقصور مالدية من جهد وقدرة دون سبره والوقوف عليه، فخرج بذلك من مسؤوليته، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾[3].

ومن المهم أن لايصدق الداعية ولايقبل، كل مايُنقل إليه من أفعال الناس وأقوالهم المنكرة، حتى يشاهد ذلك بنفسه، أو ينقله إليه مؤمن تقي لايُجازف، ولا يقول إلا الحق، وذلك لأن حسن الظن

---

(١) قال الماوردي: ليس له أن يقتحم ويتجسس، إلا أن يخبره من يثق بقوله، أن رجلاً خلا برجل ليقتله، أو امرأة ليزنى بها، فيجوز له في مثل هذه الحال أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث، حذراً من فوات مالا يستدركه. انظر شرح الأربعين النووية، مرجع سابق، ٨٦/١.

(٢)الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مرجع سابق، ٣٣٣/١٦.

(٣) سورة النساء، الآية ٩٤.

بالمسلمين أمر لازم، وقد كثرت بلاغات الناس بعضهم على بعض، وعم التساهل في ذلك(١).

المطلب الثاني

الدقة في الحكم على المدعو وبيان حاله لتكون مراعاته في مكانها

إن من أهم المطالب في هذه المسألة، التأني وعدم العجلة في الحكم على المدعو، وتقرير كيفية مراعاته، فوجود العجلة في الحكم على حال المدعو وتشخيصه، يؤذن بغياب ضابط مهم للمراعاة، وينتج عنه -في الغالب- ابتعاد الداعية عن واقع المدعو وحقيقة أمره، والحال هنا شبيهة بالتعامل مع الأمور غير المتثبت منها كالشائعات، التي لايمكن التسليم بها، وإنما يجب أن نتعامل مع واقع المدعو، انطلاقاً من حسن الظن به، وتحري التثبت من الحال الواقعة، وكتم تلك الحال، وقصرها على مجال الدعوة والإصلاح، والتأكد أن الاستقصاء لتلك الحال قد وكل إلى أهله العارفين به من أهل الدعوة والخبرة بها.

إن التأكد من المعرفة بحال المدعو، قبل الشروع في المراعاة، بمثابة الأمر الذي ينبني عليه جملة من الأحكام الشرعية، ويبين ذلك، حين يأتي البيان لحال بعض المدعوين، بأنه كافر، لنرى ما الذي سيترتب على هذا الوصف من أحكام ومسائل شرعية، من إلزام بالجزية أو القتال، وتحري إن كان قد سمع الدعوة واستوعب مضمونها وفهم فكرتها وان إنكاره لها وإعراضه عنها عن بينة بها ومعرفة، أو عدم إلمام وجهالة، وفي مسلك الرسول ﷺ مع ثمامة بن أثال رضي الله عنه حين ربطه في المسجد، مايؤكد ذلك، كونه ﷺ لم يباشر معه إي إجراء طيلة إيقافه في المسجد، ولازم التأني في التعامل مع وضعه وحاله، إلا أن بان أثر ذلك بدخوله في الإسلام عن رغبة وإقبال، وقد مكَّنَه ذلك من إشباع فضوله بالتأمل في حياة المسلمين وتعاملهم مع نبيهم، خلال ثلاثة أيام، والارتباط جلي بين هذا الموقف، وبين دلالة قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾(٢).

ويُراد بذلك الاستقصاء، في تحديد الأمر والحكم عليه، قبل السعي في علاجه، الأخذ على يد من يباشره، وينساق ذلك مع أصل إسلامي مهم، يحقق للمدعو كرامته ومكانته، قبل الافتئات علية، دون

---

(١) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، أبوبكر السيد البكري بن السيد محمد شطا الدمياطي، مرجع سابق، ٤/١٨٢- ١٨٤.

(٢) سورة التوبة، الآية٦.

التأكد من حاله، فعن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي قال: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به، فدعاني إلى الزكاة فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته فيرسل إلي رسول الله ﷺ رسولاً لإبان كذا وكذا ليأتيك ماجمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه، احتبس عليه الرسول فلم يأته، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله ﷻ ورسوله، فدعا بسروات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقّت لي وقتاً يُرسل إلي رسوله ليقبض ماكان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت، فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ماكان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق، فرجع فأتى رسول الله ﷺ، وقال: يارسول الله إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي، فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث، وفصل من المدينة لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة، وأردت قتله، قال: لا والذي بعث محمداً بالحق مارأيته بتة، ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي، قال: لا والذي بعثك بالحق مارأيته ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسولُ رسولِ الله ﷺ، خشيت أن تكون كانت سخطة من الله ﷻ ورسوله، قال: فنزلت ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾(١) إلى هذا المكان: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٢) (٣).

ولو أردنا أن نُمضي هذا التثبت في المخالفة المراد إصلاحها لدى المدعو، فلابد من توافر الشروط، التي بتوافرها يكون من السائغ مباشرة تغييرها لدى المدعو، وبتقصي هذه الشروط تكمن مراعاة مهمة

---

(١) سورة الحجرات، الآية ٦.

(٢) سورة الحجرات، الآية ٨.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، رقم (١٧٧٣١) ، ٢٧٩/٤.

للمدعو تتمثل في عدم إثارة حفيظته، حين يُمارس معه الأمر والنهي، وهو يشعر بشيء من التجاوز على حريته، والاعتداء على حقوقه، وهذه الشروط[1] لازمة التحقيق، وفي قول الرسول ﷺ: «**من رأى منكم منكراً**» تنطوي الرؤية على معنى يفيد أن نتأكد ونتحقق ونتثبت ولا نتعجل، ولذا قال الرسول ﷺ في الحديث الصحيح «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان**»[2]، فجمع بين أمرين: أن يرى المنكر فلا اتباع للظنون وأن يكون عليه حجة وبرهان، ولذا فيجب الانتباه من العجلة في اتهام الناس، وقد يؤدي إلى ذلك -لدى البعض- كثرة مشاهدة المنكرات، بحكم طبيعة وظروف الشخص، فتجعله يعمم الحكم بها على سائر الناس، ويراها بسبب ذلك قد شاعت في معظمهم، كالقاضي يرى ذلك بسبب مايمر عليه من كثرة جرائم الناس وفواحشهم، كرده فعل تجعله يُمضي ذلك الحكم، على أكثر الناس.

وربما وقع الداعية بسبب ذلك، في فرط التحسس للمنكرات، فيتأكد في ضوء ذلك أهمية البعد عن العجلة، حفاظاً على أعراض الناس، لأنها محرمة، حين حرمها الرسول ﷺ في خطبته في حجة الوداع.

وقد قال تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾[3]، ومن المعاني في هذه الآية، أن القليل من الظن هو الصائب، والكثير منه فيه خطورة وخلل في منهج الداعي، وضابط ذلك أن الداعي، لايقدم على تتبع شيء، إلا إذا أحاطته قرائن قوية تدل على وجوده وحصوله.

ومما يعضد ذلك ويقويه، ماحدث من عمر رضي الله عنه، حين تسلق دار رجل فوجده على معصية فأنكر

---

(١) وهذه الشروط: أن يكون منكراً، وضابط ذلك أن يكون محظور الوقوع في الشرع، وكل ماحرمه الشارع، أو كرهه يُعد داخل في ذلك. وأن يكون موجوداً في الحال، بحيث يكون حاصلاً في الوقت الراهن، وقت هم الداعية بتغييره، وحين يباشر المدعو وقد فرغ منه فليس محلاً للإنكار. وأن يكون المنكر ظاهراً دون تحري أو تجسس، فعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم» رواه أبو داود في سننه، في كتاب الأدب، باب النهي عن التجسس، (رقم ٤٢٤٤)، وعن ابن عمر قال صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع، فقال: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لاتؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» رواه الترمذي، في كتاب البر والصلة، (رقم ١٩٥٥). انظر إحياء علوم الدين، الغزالي، مرجع سابق ٢٨٥/٢. وللاستزادة حول ذلك، نظام الحسبة في الإسلام، عبدالعزيز بن محمد المرشد، مرجع سابق، ص ٨٥.

(٢) الجامع بين الصحيحين، رقم (٦٦٦)، ٤١٥/١.

(٣) سورة الحجرات، الآية١٢

عليه، فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد، فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه، فقال: وماهي؟ فقال: قد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[١] وقد تجسست، وقال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[٢]، وقد تسورت من السطح، وقال: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾[٣]، وما سلّمت، فتركه عمر وشرط عليه التوبة [٤]، وانصراف عمر رضي الله عنه دون مباشرة التغيير، لأن ظهور المنكر له كان بسبب دخوله المسكن، ولكون ذلك لايعتد به في تقرير المنكر، ومن ثم إزالته، لأنه لاوجه شرعي لهذه الكيفية في دخول المنزل[٥].

ومن أوجه التحري والدقة في استقصاء الحال، أن يكون منكراً معلوماً لاخلاف في نكارته، وما دخله شيء من ذلك فلا يعتد بالإنكار فيه، فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله الضب والضبع، ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي تناوله ميراث ذوي الأرحام، وغير ذلك مما يجري فيه الخلاف في مثل هذه المسائل الخاضعة للاجتهاد[٦].

وفي هذا السياق ثمة أمر يلزم التنبيه له، وهو قد يكون للداعي ضوابط في تغييره للمنكر، كما لو كان لديه توجيه بأن لايباشر التغيير الآن، لأجل أمور كإقامة الدلائل على مرتكب المنكر، لأنه بإزالة المنكر وتغييره ينعدم الدليل ضد فاعله، ولذا فحفظ هذا المنكر وعدم تغييره، مثل عدم تكسير آلات الموسيقى، حتى يصل للجهة المختصة، يُعد إنكاراً للمنكر لأن ذلك وسيلة إلى إزالته وتكسيره.

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٩.

(٣) سورة النور، الآية ٢٧.

(٤) أورد هذه القصة الحاكم في المستدرك، مرجع سابق ٤ / ٣٧٧، وعبدالرزاق في مصنفه، مرجع سابق ١٠/ ٢٣١، ٢٣٢ وغيرهم بنحوها.

(٥) ويُستثنى من ذلك، ما إذا كان المنكر يخشى فواته ودرء ضرره وخطره، كأن يخبره ثقة بأن رجلاً خلا بامرأة ليزني بها، وما شابه ذلك، فيجوز له حينئذٍ أن يتجسس، ويباشر الكشف والبحث ليستدرك ماقد يفوته من ارتكاب المحارم. انظر الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ) ص ٣١٤.

(٦) انظر إحياء علوم الدين، الغزالي، مرجع سابق، ٢ / ٢٨٦.

ويدخل فيما يضبط جانب الدقة، العمل على توقع مواقف المدعوين من الدعوة ومراعاة ذلك قبل مخاطبتهم، بقول ابن إسحاق: فلما بدأ رسول الله ﷺ قومه بالإسلام، وصدع به كما أمره الله، لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه، حتى ذكر آلهتهم وعابها؛ فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافه وعداوته، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام، وهم قليل مستخفون، وحَدَب علي رسول الله ﷺ عمه أبو طالب، ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله، مظهراً له، لايرده شئ(١).

ويقول ابن سعد: دعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام سراً وجهراً، فاستجاب لله من شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس، حتى كثر من آمن به وكفار قريش غير منكرين لما يقول، فكان إذا مَرّ عليهم في مجالسهم يشيرون إليه: إن غلام بني عبدالمطلب ليُكلم من السماء، فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر، فشَنِفُوا لرسول الله ﷺ وعادوه(٢).

ومما يعين على تحقيق ذلك الضابط، الاستئناس بما تضمنه قول الله تعالى: ﴿**وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ**﴾(٣)، ويتضح ذلك فيما رد به زعماء بعض القبائل، على النبي ﷺ حين إدركوا خطورة ماسوف يترتب على مبايعتهم للنبي ﷺ، على النصرة والحماية له ولدعوته، من المواجهة الحربية بينهم وبين جميع القبائل بجزيرة العرب، وأولها قريش قبيلة النبي ﷺ، التي كانت لها الزعامة الدينية على أرجاء الجزيرة العربية، لسدانتها للكعبة بيت الله العتيق، فقد قال كبير وفد حجيج قبيلة بني عامر لمن معه من قومه: لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال للنبي ﷺ: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال ﷺ: «**الأمر لله يضعه حيث يشاء**»(٤)، فقال له كبير بني عامر: أفتهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لاحاجة لنا بأمرك(٥)، ويسهل على كل ذي لب وحصافة، أن يدرك مرمى القوم، وحقيقة حالهم من لحن قولهم.

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ١/٢٦٤.

(٢) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري أبو عبد الله، مرجع سابق، ١/١٩٩

(٣) سورة محمد، الآية ٣٠.

(٤) الثقات، ذكر عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل، ١/٩٠.

(٥) السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ١/٤٢٥. تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد،

إن الحرص في هذا المقام على العلم بحال المدعو، يستدعي من الداعية أن لايغفل جانب مهم – لدى المدعو– يتوارى خلفه الكثير مما يتصل بحاله وحقيقتها، حيث ينطوي خلقه على جمله من السمات والخصائص العضوية والنفسية والعقلية، وأصول النظر الصحيح للإنسان، تحتم على الداعية عدم إغفال ذلك، وذلك أن ثمة أمور يستوي فيها سائر المدعوين، وهي لاترتبط بالجانب العقدي أو المجتمعي، وإنما بالجانب العضوي والنفسي، وتضح ذلك إذا علمنا أن المدعو المسلم سواء أكان صحيح العقيدة أو فاسدها، وسواء أكان من السابقين بالخيرات، أو المقتصدين، أو الظالمين لأنفسهم، والمدعو غير المسلم بكل فئاته، على الرغم من اختلافهم، في معتقداتهم، وتوجهاتهم، وما ينتمون إليه، إلا أنهم يشتركون في جملة الخصائص والصفات البشرية التي تتسبب عنها المواقف العقدية لهم، ولذا فحين النظر على سبيل المثال، للمدعو المشرك، والمدعو المسلم الظالم لنفسه، والمدعو من أهل الكتاب، الذين يشتركون في كون نفسياتهم تنطوي على سمة العناد والمكابرة، فإنهم سيشتركون في التعرض للمنهج الدعوي، الذي سيسعى به الداعية إلى إقناعهم، كي يغيروا من مواقفهم، التي تقوم على الإعراض وعدم الاستجابة، وحين يعالج الداعية صفة العناد والمكابرة لديهم، فإن المشرك سيوحد الله تعالى، والمسلم الظالم لنفسه سيعود ويستقيم، واليهودي أو النصراني سيسلم، وانحصر جانب الاختلاف بينهم، في نوع المضمون الدعوي الذي يقدم إليهم، كل بحسب حاله وموقفه من الدعوة.

ومما تقتضيه الدقة في الاستقصاء لأحوال المدعوين، اعتماد المراعاة على الصدور عن حال المدعو وواقعه، فتغير حال الناس إلى الحسن، لايمكن أن يكون وليد موقف، وإنما نتيجة لمراجعة نفسية وتأمل طويل، فنتج عن ذلك مراعاة الملازمة بين مقام التبليغ والوسيلة المناسبة لهذا المقام، ولذا فإن الرسول ﷺ، لم يعمد إلى الخطبة إبّان الدعوة السرية أو الفردية، وعمد إلى ذلك حين أُمر بمخاطبة جموع الناس وإعلان دعوة الإسلام فيهم، وإنما صار ذلك بعد أن علم عليه الصلاة والسلام عنهم مايعينه على اتخاذ هذا الإجراء.

سيد، مرجع سابق، ص٨٧.

المبحث الثاني

قيام المراعاة على مبدأ عدم الإكراه

من أهم سمات مضمون دعوة الإسلام، قوة منطقه وانسجامه مع منطلقات العقل والفطرة، وبالتالي فهو يحمل في باطنة قوة الإقناع، فكان أبعد مايكون عن احتياجة لمن يحمله إلى الناس بالقوة والإكراه، وقد أورد أبو عبيده في كتابه، نموذجاً ومثالاً لحرص النبي ﷺ ومن بعده الخلفاء الراشدين على تطبيق هذا المبدأ العظيم، وهو حرية العقيدة تجاه أهل الذمة من أهل الكتاب، فقد أخرج بسنده عن وسق الرومي، قال: كنت مملوكاً لعمر بن الخطاب ﷺ، وكان يقول لي: أسْلِم، فإنك إن أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين، فإنه لاينبغي لي أن أستعين على أمانتهم من ليس منهم. قال: فأبيتُ، فقال: لاإكراه في الدين، قال: فلما حضرته الوفاة أعتقني، وقال: اذهب حيث شئت. قال أبو هلال الطائي: رأيت الذي أعتقه عمر، وكان نصرانياً"[١].

ولا شك في أن مما يسيء لمشاعر المدعو أن يجد نفسه مقسوراً على مغالبة مالايؤمن به، فكان من مقتضى المراعاة السديدة لحاله تلك، أن يُعتنى بما في خلده، ويحتفى بما في فكره، ويؤخذ من داخل نفسه المتوترة، إلى أفق مريح، يُعينه على التأمل والتفكير، فإذا به ينصاع لنداء الفطرة، وهو مطمئن لقراره، وراض عن حاله، حين وجد نفسه، بين من حفظ له كرامته، واحترم عقله، ومكنه من الاختيار، ولقد تجسد هذا الموقف في حالة ثمامة بن أثال[٢]، في ماجاء عن أبي هريرة ﷺ، قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له ثمامة بن آثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، وبقي على حاله ثلاثة أيام، يرقب المسلمين، إلى أن أمر النبي ﷺ بإطلاقه، بقوله: «**أطلقوا ثمامة**» فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمد رسول الله[٣].

---

(١) علق أبو عبيد على هذا الخبر بقوله، (فأرى عمر أنه تأول هذه الآية في أهل الكتاب، وهو أشبه بالتأويل، والله أعلم) انظر كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، مرجع سابق، خبر ٧٨، ص٣٥. وانظر سيرة ومناقب عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، مرجع سابق، ٣٠٥/٥-٣٠٧.

(٣) أخرجه البخاري، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد، حديث (رقم٤٥٠)، ١٧٦/١.

ومما يعزز هذا الضابط ويرفع من فاعلية المراعاة للمدعو، تعدد الصور التي يُعرض بها مضمون الدعوة على المدعو، ولقد كانت دعوة الإسلام؛ قد بلغت مسامع كثير من القبائل العربية المتنصرة، في بلاد نجد والشام وفلسطين والأردن وشبه جزيرة سيناء، وذلك عن طريق عدة طرق لعرض وبلاغ دعوة الإسلام في حياة النبي ﷺ ؛ منها على سبيل المثال، عرض النبي ﷺ نفسه على قبائل العرب في موسم الحج، طالباً منها بذل الحماية والمنعة له حتى يُبلغ رسالات ربه؛ وذلك على مدى عشر سنوات من الطور المكي للدعوة الإسلامية[1].

ولاشك فإن المواءمة بين قدرة المدعو، وبين مايُلقى عليه من مضمون الإسلام، يصب في هذا المسار، لأن الإثقال على المدعو بمالاطاقة له به، قد يكون ضرب من الإكراه للنفس على مالا تشتهيه، ولذا يجب أن لايفوت ذلك عن الداعية، وهو يلقي تعليمات الإسلام على المدعوين، ليراعي على ضوئه المواءمة بين مايراه من قدرة المدعو واستطاعته، وبين مايلقيه عليه مضمون الإسلام حتى لايعجزه ويحرجه، لأنه بغياب هذا الأمر من عمل الداعية، ستغيب على أثره المراعاة الصحيحة، التي تحقق إقناع المدعو وجلبه إلى مضمون الإسلام، فعن عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ : «**خذوا من العمل ماتطيقون فإن الله لايمل حتى تملوا**» وأحب الصلاة إلى النبي ﷺ مادُووم عليها، وإن قَلَّت، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها[2].

---

(١) انظر دلائل النبوة، إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، مرجع سابق، ٢/١٦٠-١٦٤، والبداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، ٣/١٣٩-١٤٦، والسيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ١/٤٢٤-٤٣٥، وتاريخ الإسلام، الذهبي، مرجع سابق ١/١٦٩.

(٢) أخرجه البخاري، باب صوم شعبان، حديث (رقم ١٨٦٩)، ٢/٦٩٥.

المبحث الثالث: الموازنة بين المصالح والمفاسد

إن التعاطف مع الحق والوقوف معه شيء، لكن نصرته والشد على عضد أهله شيء آخر، كما أن الموقف من الباطل ورفضه شيء، لكن الكيفية التي يُدفع بها شيء آخر، كذلك فإن الحرص على معالجة الخطأ وتصحيحه شيء، لكن الكيفية التي يُعالج بها شيء آخر، وهذه حالات يتفق أهل الخير والإحسان في مواقفهم منها، من حيث الوقوف مع الحق ورفض الباطل وتصحيح الخطأ، لكنهم سيختلفون قطعاً، حين يعمدون إلى إجراءاتهم العملية، في تفعيل هذه المواقف على أرض الواقع.

وحين نريد الفصل في ذلك، لابد من نظام إجرائي يضبط ذلك ويسوقه، في طريق سلس إلى مايحقق المراد، من جهد الدعاة حين يتعاملون مع المدعوين، ولن نجد ذلك في غير المعين النبوي الذي رسم لنا الضوابط المحكمة، فبها يتاح بعون الله تعالى مراعاة أحوال المدعوين مراعاة صحيحة يترتب عليها المراد.

وهذا يدعو إلى الأخذ بما يحفظ المصالح ويدفع المفاسد، إذ أن الشريعة المطهرة، مبنية على ذلك، والموازنة بين أنواع المصالح وأنواع المفاسد، وتقديم الأهم منها على ماهو دونه[١]، وعلى الدعاة نشر ذلك وتأصيله، في منهج الدعوة إلى الله، وإحكام التعامل مع الآخرين من خلال جملة من القواعد، كالقاعدة المشار إليها في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾[٢]، وقد أخذ النبي ﷺ بذلك، وامتثله في كل ماكان موضعاً لإعماله، كإبقائه بناء الكعبة على قواعدها الأولى، ومثل تركه ﷺ قتل المنافقين، الذين أنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿لَا تَعۡتَذِرُوا۟ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَـٰنِكُمۡۚ﴾[٣]، وقوله: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدۡ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُوا۟ بَعۡدَ إِسۡلَـٰمِهِمۡ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمۡ يَنَالُوا۟ۚ﴾[٤]، وقد عمدوا إلى قتله ﷺ، فأبطل الله تعالى كيدهم، واقتضت المصلحة أن يُعاملوا معاملة المسلمين، بناء على ظاهرهم، مع المداومة على دعوتهم، وفي سيرة إبراهيم عليه السلام، مايُجسد

---

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني، مرجع سابق، ٢٤٣/١، ٢٤٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠٨.

(٣) سورة التوبة، الآية ٦٦.

(٤) سورة التوبة، الآية ٧٤.

ذلك، حين أسند تحطيم الأصنام إلى كبيرها، لأن المقصد الذي تتحقق به المصلحة، يكمن في إظهار عجز هذه الأصنام وسخفها، وليس الدخول معهم في خصومة لاطائل من ورائها.

والرسول ﷺ يجسد هذا المبدأ في مقامات عدة، تراوحت بين العبادات والسياسة الشرعية، والحياة الاجتماعية، وغيرها، فقد عقد الصلح مع المشركين واليهود، ويقدم التنازل في الحديبية، ويعود دون إتمام عمرته، وهو يحمل هم أصحابه وألمهم، ويقدم الأعطيات الجزلة يستميل بها القلوب، ويدفع بها الأذى، كما أن الرسول ﷺ تقلب مع صحبه ﷺ في أطوار الدعوة، حتى مكن الله تعالى لهم، وأظهرهم، ورفعهم من حال الذل والخوف، إلى حال المنعة والقوة، وماكانت هذه الثمرة لتزهو، وهي تفتقر إلى هذه الموازنة في النظر للأمور، والمراوحة بينها.

ويرد على هذا المعيار أيضاً، مباشرة أخف الضررين لدفع أشدهما عند المراعاة، وهذه قاعدة عامة، تطَّرد في كل مايعرض للناس من ضروب النشاط المختلفة، وهي ظاهرة جلية في عمل الداعية وجهده مع المدعو، حين يباشر مهمة الإصلاح والتقويم له، وإلى ذلك إشارة لطيفة لدى شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله– فهو يقول: إن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة، ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح، أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً، إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد، هو بميزان الشريعة، بحيث لايتضمن الأمر بالمعروف فوات أكثر منه، أو حصول منكر فوقه، ولايتضمن النهي عن المنكر حصول أنكر منه أو فوات معروف أرجح منه»[1].

وحين يجد الداعية أنه قد يلقى بسبب دعوته مايسؤوه، فلا ضير من درء السيئة بالحسنة، وفي الغالب فإن المخاطب لايركن بسهولة، إلى مايلقيه عليه الداعية من أمر ونهي، بل إنه –أحياناً– يُتْبِع إعراضه عن الحق إساءةً له، وأذىً يعمد إلى إلحاقه بالداعية، والتعلق بما تحبه النفس وتهواه، يغريها بالتصدي لكل مايصادم هذا الهوى، ويردع تلك المحبة، وانصياع المدعو لهذه النوازع، يجعل الانسياق وراء المواجهة، وتصعيدها في وجه الداعية، قائماً في أغلب مواقف الاتصال به، وهذه المبالغة في الإساءة، هي

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق، محمد جميل غازي(مكتبة المدني، جده، بدون تاريخ الطبعة)، ص ٢١ ومابعدها.

التي تستوجب من الداعية إجراءاً فاعلاً، في امتصاصها واحتواء آثارها، ولايكون ذلك بغير الحسنة والإحسان، فبهما ينزع الداعية من قلب المدعو دافع الإعراض، ويخلصه مما علق بقلبه من سخيمة، صرفته عن مايُلقى عليه. قال الله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾(١). وقال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾(٢). والمراد أنه "إذا سفَّه عليهم الجاهل بالقول السيئ، لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصلحون، ولا يقولون إلا خيراً، كما كان رسول الله ﷺ لاتزيده شدة الجاهل عليه إلا حلماً"(٣).

وربما تطلبت هذه الموازنة، حجب بعض الكلام عن العامة وقصر المخاطبة به على الخاصة، فعن اعن ابن عباس رضي الله عنه، قال كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى، وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها، إذ رجع إلي عبد الرحمن، فقال: لو رأيت رجلاً، أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال: ياأمير المؤمنين، هل لك في فلان، يقول لو قد مات عمر، لقد بايعت فلاناً فوالله ماكانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت فغضب عمر، ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس، فمحذرهم هؤلاء، الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم، قال عبد الرحمن: فقلت يا أمير المؤمنين لاتفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس، وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك، حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم، فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لايعوها، وأن لايضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ماقلت متمكناً، فيعي أهل العلم مقالتك ويضعونها على مواضعها، فقال عمر: أما والله -إن شاء الله- لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة(٤)، وقد أثمر هذا المسلك، حين حجب رضي الله عنه هذا الكلام عن من لايحصل بطرحه عليهم مصلحة، واستبقاه إلى أن ألقاه على من فهمه ووعاه.

---

(١) سورة فصلت، الآية ٣٤.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٦٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣ / ٣٢٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، ضمن حديث طويل، في كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، (رقم ٦٣٢٨).

وقد جاء عن أبي هريرة ﷺ، أنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعائين، أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم، وغرضهم عدم إمكان التعبير عنه وخوف مقايسة السامعين الأحوال الإلهية بأحوال الممكنات فيضلوا أو يسوء الظن في قائلها فيقابلوه بالإنكار(١).

ومما يلزم الانتباه له في باب الموازنة، الاحتراز من دفع المدعو إلى مايسيء له أو للدعوة، ويقتضي ذلك التركيز الدقيق على الفكرة المطروحة، ويتيقن من الفهم الكامل لكل الكلمات التي يستخدمها، ويتألف منها حديثه للمدعو، ويضع في اعتباره أن كل كلمة تكمل الأخرى، وكلها مجتمعة تكمل المعاني المطلوبة، وبقدر مايدرك الداعية هذه الناحية بقدر مايوفق في إيصال فكرته للمدعو، في أجلى صوره وأوضح سياق.

وحين لايتحقق للداعية شيء من ذلك، أو يناله مبتوراً، كأن يكون حديثه لايمس أحداً، ولايهم فئة معينة، أو ينشأ على غير معرفة بمن يتحدث إليه، فعليه أن يدرك أن جهده ضائع، وأن الفكرة التي يسعى بها للمدعو، ضائعة هي الأخرى.

وربما دخل في باب الموازنة، اهتمام الداعية باكتساب القدرة على المراوحة بين طرق وأساليب الحديث، مع المدعو، فيعرف كيف ومتى يلون حديثه، ومتى وأين يقف، ومتى وكيف يسترسل، وكيف يأخذ نفسه، أثناء الحديث لارتباط ذلك بالوقفات.

ومن أهم مقتضيات الموازنة، العمل على سد الذرائع، المؤدية إلى مقارفة المدعو مانُهي عنه، وممن يُخاطب بذلك المدعو، المقبل على الحق، المستكين لمضمونه، أسلوب التوجيه المباشر، لأن الداعية عرف منه القبول، والحرص على الحق والأخذ به، وأمن –في الوقت نفسه– ردة فعل منه غير متوقعه، تأتي منه على خلاف مايريد دفعه إليه من الخير، وهذا ماثل في أحاديث كثيرة، منها حديث بريدة عن أبيه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، وعليه خاتم من حديد فقال: «**مالي أرى عليك حلية أهل النار**»، ثم جاءه فطرحه، ثم جاء وعليه خاتم شَبَهٍ، فقال: «**مالي أجد منك ريح الأصنام**» فطرحه، قال: يا رسول الله من أي شيء أتخذه؟ قال: «**من ورق ولا تتمه مثقالاً**»(٢)، وهذا الأسلوب في التعامل مع صاحب الخاتم، ربما

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي، مرجع سابق، ٥٢/١.

(٢) أخرجه النسائي في المجتبى، باب مقدار مايجعل في الخاتم من الفضة، حديث (رقم٥١٩٥)، ١٧٢/٨.

لم يسغ مع غيره، ممن كانت نفسه أقل تحملاً وأسرع نفوراً.

ويدخل أيضاً في باب الموازنة، الانتباه إلى أن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب، قال سهل بن عبد الله: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجب على السلطان، وعلى العلماء الذين يأتونه، وليس على الناس، أن يأمروا السلطان، لأن ذلك لازم له واجب عليه، ولا يأمر العلماء فإن الحجة قد وجبت عليهم[1].

كما أن المنكر واجب التغيير، على كل من قدر عليه، وإذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم، الذي لايتعدى إلى الأذى، فإن ذلك لايجب أن يمنعه من تغييره، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه، ليس عليه أكثر من ذلك، وإذا أنكر بقلبه فقد أدى ماعليه إذا لم يستطع سوى ذلك، والأحاديث عن النبي ﷺ في تأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جداً، ولكنها مقيدة بالاستطاعة، قال الحسن: إنما يكلم مؤمن يرجى، أو جاهل يُعلم، فأما من وضع سيفه أو سوطه، فقال: اتقني اتقني، فما لك وله، وقال ابن مسعود: بحسب المرء إذا رأى منكراً، لايستطيع تغييره، أن يعلم الله من قلبه، أنه له كاره[2]، وعن حذيفة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «**لاينبغي للمؤمن أن يذل نفسه**»، قالوا: يا رسول الله، وما إذلاله نفسه؟ قال: «**يتعرض من البلاء لما لايطيق له**»[3].

ومن مقتضيات الموازنة، كضابط للمراعاة، أنها تحول دون إقدام المدعو، على استغلالها لمصالحه الخاصة، ولقد منع الرسول ﷺ من طلب جعلاً مقابل إسلامه، وفي هذا المسلك، منهج للتعامل مع المدعو، يقوم على عدم إعطاء الفرصة للناس ليكون ذلك مصدراً للتكسب والتزود، وإنما الحرص على أن تكون الاستجابة قائمة على القناعة والتصديق، وهذا مايفتقده أهل التنصير وغيرهم، ممن يبذلون العطايا والأموال، لجلب الناس إلى دينهم المحرف، بينما تقديم الإسلام المساعدات للمحتاجين، حاديها الأول في المنهج الإسلامي، الإحسان للناس ومعاونتهم، وليس انتهاز ضعفهم، لفرض المعتقدات عليهم.

وينبغي أن يعرف الداعية ثمرة إقدامه ونتيجتها، لأن التضحية من دون طائل، لاقيمة لها في حساب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ١٢/٧٣.

(٢) المرجع السابق ٤/٤٨، ٤٩.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، رقم (٢٢٥٤) ٤/٥٢٢.

العمل الذي سيقت فيه، ويبقى أمر العباد ونواياهم موكولة إلى خالقهم، فيحسن أن "يُعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، لاسيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته، ولا يهابن من يُنكر عليه، لارتفاع مرتبته"(١)، ولكن بعد أن يجري ذلك في قناة الموازنة، ليتأكد من إيجابية عمله ونفعه، وانتفاء ضرره.

ومن الصور اللازمة لإحكام المراعاة، تجنب الفتن والدخول فيها، وفي المسألة خلاف، حول حدود مباشرة تلك الفتن وتجنبها، ولعل الأسلم، القول بترك الدخول في جميع فتن المسلمين، وأوجب البعض أن يلزم بيته، والبعض الآخر أن يتحول عن بلد الفتنة أصلاً، ومنهم من قال يدافع عن نفسه وعن ماله وعن أهله وهو معذور إن قتل أو قتل، وذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى وجوب نصر الحق وقتال الباغين، وهو مذهب عامة علماء الإسلام، وقال الطبري: إنكار المنكر واجب على من يقدر عليه، فمن أعان المحق أصاب، ومن أعان المخطئ أخطأ، وإن أشكل الأمر، فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال فيها(٢).

ويتم أمر الموازنة التي نحفظ بها المراعاة، بتحري العدل مع المدعوين، أثناء التعامل معهم، وهو ضرورة حتى مع المخالفين، حتى لايستحكم العداء معهم، فنفقد بذلك الصور الحميدة للمراعاة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾(٣).

---

(١) تحفة الأحوذي، بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، مرجع سابق ٦/٣٢٤-٣٢٩.

(٢) نيل الأوطار، الشوكاني، مرجع سابق، ٦/٧٨.

(٣) سورة المائدة، الآية ٨

المبحث الرابع

وضوح المراعاة وعدم الغموض فيها

والمراد بذلك، أن يكون مسلك الداعية في تعامله مع المدعو واضحاً جلياً، ليس فيه مايدعو إلى الحيرة أو التردد أو الخوف، وكلما كان أداء الداعية كذلك ويتسم بالشفافية، سواء أكان انطباع المدعو عنه حسناً أم سيئاً، كلما أقدم المدعو عليه دون تردد أو وجل، وليس أدوم لطول المعاشرة واستمرار المعاملة، من الصدق في القول والعمل، وسلامة القلب، ونجد شيئاً من ذلك، في قبول النبي ﷺ هدايا المقوقس في السنة الثامنة من الهجرة، وسبب قبول النبي ﷺ لهديته أنه أقر بنوته، ولم يُظهر التكذيب بالنبي ﷺ، ولم يؤيسه من إسلامه، وقد قبل ﷺ هدايا النجاشي، ورفض هدايا قيصر، قال أبو عبيد في كتابه الأموال: أن الثابت عندنا، أنه لم يقبل هدية مشرك من أهل الحرب، وبذلك تواترت الأحاديث؛ فعن الحسن رضي الله عنه قال: كان عياض بن حمار المجاشعي، يخالط رسول الله ﷺ قبل الإسلام، فلما كان الإسلام أهدى إليه هدية، فردها، وقال: «**فإني نهيت عن زبد**[1] **المشركين**»[2]، وقد قدم عامر بن مالك -ملاعب الأسنة- على رسول الله ﷺ -وهو مشرك- فعرض عليه الإسلام فأبى، فأهدى إلى النبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «**إني لا أقبل هدية مشرك**»[3]، وعن عكرمة: أن رسول الله ﷺ أهدى إلى أبي سفيان تمر عجوة، وهو بمكة، مع عمرو بن أمية. وكتب إليه يستهديه أَدَماً. فأهداها إليه أبو سفيان قال أبو عبيد: وإنما وجه هذا عندنا: أن الهدية كانت في الهدنة، التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين أهل مكة، قبل فتحها، فأما مع المحاربة فلا، وكذلك قبول هدية المقوقس، صاحب الإسكندرية، وكان عظيم القبط. يروى أن رسول الله ﷺ لما كتب إليه مع حاطب بن أبي بلتعة، أكرم حاطباً وأحسن إليه، وكتب معه إلى رسول الله ﷺ ، وأرسل له هدية فقبلها رسول الله ﷺ، وأما النجاشي فقد أسلم، وأهدى إلى النبي ﷺ، فقبل هديته[4]. والقبول هنا والرد، قد اتسم في تعامل الرسول ﷺ بالوضوح والصدق، وكلا الأمرين، مراعاة حميدة، أثرها

---

(١) أي رفدهم. انظر لسان العرب المحيط، ابن منظور، مادة (زبد).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، باب ماجاء في قبول هدايا المشركين، رقم (١٥٧٧) ٤/ ١٤٠.

(٣) مجمع الزوائد، باب غزوة بئر معونة، ٦/ ١٢٦. وكنز العمال، باب الهدية، رقم (١٤٤٧٥) ٥/ ٣٢٦.

(٤) انظر كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، مرجع سابق، ص ٢٥٥-٢٥٨.

جلي، في من قدم تلك الهدايا، للرسول ﷺ.

ولعل العلاقة بالمدعو سواء أكان من المسلمين أو من غيرهم، هي التي تُظْهِر ضابط الوضوح، بشكل جلي، لينعكس ذلك على المراعاة لأحوالهم، ولذا يمكن القول بأن العلاقة بين المسلمين وغيرهم، علاقة تعارف وتآلف، وتعاون وتآزر، وبر وعدل وإحسان، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]، جل وعلا موصياً ببرهم والإحسان إليهم ومعاملتهم بالعدل والإنصاف: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[2]. فبين أن البر والإحسان للكفرة الذين لم يقاتلونا ولم يعاونوا على إخراجنا من ديارنا أمر غير منهي عنه. وهذه العلاقة تقتضي تبادل المصالح واطراد المنافع، وتقوية الصلات الإنسانية.

وهذا يدعو لبيان مقام موالاة الكافرين، في هذا السياق، فهي إما أن تكون بمعنى المسالمة والمعاشرة الجميلة، والمعاملة بالحسنى وتبادل المصالح، والتعاون على البر والتقوى فهذا مما دعا إليه الإسلام، وإما أن تكون بمعنى المحالفة والمناصرة ضد المسلمين، والرضا بما هم فيه من كفر، فهذا يحظره الإسلام ويمنعه، لأن في مناصرة الكافرين على المسلمين ضرراً بالغاً بالكيان الإسلامي، وإضعافاً لقوة الجماعة المؤمنة، ومن الموالاة المنهي عنها قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[3]. ففي هذه الآية الكريمة التحذير من الموالاة والمناصرة للأعداء لما فيها من التعرض للخطر، إلا في حالة الضعف والخوف من أذاهم، فتجوز الموالاة ظاهراً ريثما يعدون أنفسهم لمواجهة الذي يتهددهم، ومن هنا يتضح أن التعاون مع أعداء المسلمين خيانة لله، ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين، لايكسبهم إلا الخزي والعار[4]، وهي تختلف عن المعايشة التي يُظْهِر المسلم من خلالها دينه ودعوته، ويتعاطى الحقوق التي له أو

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٢) سورة الممتحنة، الآية ٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

(٤) الاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ٣٢٩/١، ٣٣٠.

عليه، وفق ماحدده الشرع ورسمه، وهذه المعايشة بتلك الصورة تنطوي على المراعاة الجاذبة لكل من تعايش معه المسلمون.

وأخيراً فإن من متممات هذا الوضوح في المراعاة، التبسيط والتسهيل، والبعد عن التعقيد والتعيب، وحين يقول الرسول ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»[1]، تتبين السهولة، التي تُمكن كل من عرف آية واحدة، من الدعوة والإصلاح.

(١) أخرجه البخاري، باب ماذكر عن بني إسرائيل، حديث (رقم ٣٢٧٤)، ١٢٧٥/٣.

المطلب الأول

ارتباط تحقيق المراعاة بالقدرة عليها وحدود وجوبها

والقدرة على المراعاة ترتبط في أصلها بالقدرة على الدعوة، وكل من توافرت له هذه القدرة، وجب عليه بقدرها من الدعوة، ومايحتاجه هذا القدر من المراعاة، وكلما زادت القدرة زاد معها مقدار الواجب الذي يلزم القيام به.

ومعنى عدم القدرة، عدم التمكن شرعاً من الأمر أو النهي، باليد أو باللسان، أي فيأمر وينهى بلسانه فإن لم يقدر على الأمر أو النهي بلسانه لشدة صولة من يُراد أمره أو نهيه، فبقلبه، أي فيأمر وينهى بقلبه، بمعنى أن يقول في نفسه، لو كنت أقدر على ذلك بيدي أو لساني، لفعلت، ويبغض ذلك مع ترك مخالطة المتلبس بالمنكر، إن استطاع، وإلا انتقل إلى المداراة، لأنها صدقة ومشروعة[1].

فالدعوة واجبة لمن أمكنه ذلك، بما أمكنه، مع شفقة ورأفة ورفق ورحمة ولطف ولين من القول، وقد اتفقت الأمة كلها، على الوجوب، بلا خلاف من أحد منهم[2]، لقول الله تعالى: +وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ"[3].

ثم إذا كان قادراً على التغيير باليد، كان ذلك فرضاً عليه، ولكنه يقدم الموعظة بالقول اللين، فإن لم يُؤثر ذلك، جاء بالقول الخشن، فإن لم يُؤثر ذلك، انتقل إلى التغيير باليد، ثم المقاتلة، إن لم يمكن التغيير إلا بها، فإن كان غير قادر على الإنكار باليد، أنكر باللسان فقط، وإلا أنكر بالقلب، وهذا يقدر عليه كل أحد، وهو أضعف الإيمان، وبهذا نعرف أن اشتراط ظن التأثير إنما هو في الإنكار باليد، ثم في الإنكار باللسان، وأما الإنكار بالقلب فهو فرض على كل مسلم، ولا يحتاج إلى تقييده بظن التأثير، لأنه أمر كائن

(١) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي، مرجع سابق، ٢/٢٩٨-٣٠٠.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مرجع سابق، ٤/١٣٢، ١٣٣.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٠٤.

في القلب لايظهر في الخارج ولا يحصل به تأثير(١).

وخلاصة القول في ذلك، أن القدرة على الدعوة، والأمر والنهي، ترتبط -إجمالاً- بتحقق أمرين، فالأول، علم بما يُباشر بشأنه الدعوة، والأمر والنهي، فكل من عرف مسألة من مسائل الدين، فهو عالم بها، يجب عليه الإيمان بما فيها، والعمل بها وتطبيقها، وتعليمها، والدعوة إليها، والأمر الثاني، تحقق مصلحة، وانتفاء ضرر ومفسدة، إذ المقصد تحقيق النفع، وجلب الخير للأمة في مجموعها وأفرادها، وليس الابتلاء والامتحان للناس، دون النظر في النتائج والثمار.

ومما يرتبط بالقدرة على المراعاة، الإخلاص، فهو أساس يقوم عليه الظفر بمراعاة سديدة لأحوال المدعوين، وهو قرين لكل فلاح ونجاح، كيف لا، وقد قام الحكم على صحة الأعمال وقبولها به، مع المتابعة، والمخلص يظهر أثر إخلاصه في أعماله، إذ أن من أكبر ثماره، بركة يطرحها الله تعالى في الجهد، فقد علم الله تعالى، من عبده المخلص، الصدق في التوجه، والانقطاع بكامل العمل بين يدي الرب، ولذا نجد كلمات المخلص وهو يدعو الناس بها، نافذة للقلوب، ومواعظه وأوامره محل استجابة، وهي كالغيث للقلوب، ولايزال الرجل بخير، إذا قال، قال لله، وإذا عمل، عمل لله، وكم من عمل قليل كثرته النية، وصلاحها سبب للتوفيق، قال الله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرًا﴾(٣)، ولما أخلص الأئمة والسلف، جعل الله الخير في مواعظهم ودعوتهم وكانوا مؤثرين.

ويدخل في القدرة المطلوبة على المراعاة، مغالبة حال بعض المدعوين، التي يكتنفها الظرف الصعب، والواقع المر، كحال المسلمين في مكة، قبل الهجرة، فقد دلت السنة، "على أن فرض الهجرة على من أطاقها، إنما هو على من فُتِن عن دينه بالبلد التي يُسلم بها، لأن رسول الله ﷺ أذن لقوم بمكة، أن يقيموا بها بعد إسلامهم، إذا لم يخافوا الفتنة؛ وكان يأمر جيوشه، أن يقولوا لمن أسلم: إن هاجرتم فلكم ما

---

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني، مرجع سابق، ٥٨٦/٤-٥٨٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية٢٩

(٣) سورة الطلاق، الآية ٤

للمهاجرين، وإن أقمتم فأنتم كأعراب؛ وليس يخيرهم إلا فيما يحل لهم"[1].

وفي مواسم الحج، كان النبي ﷺ يصطحب معه عند عرضه ﷺ نفسه على القبائل، أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وابن عمه على بن أبي طالب، وعمه العباس بن عبدالمطلب[2]؛ وكان أبو بكر أعلم رجالات قريش بأنساب العرب وأخبارهم ومآثرهم ومفاخرهم في الجاهلية، وبديار العرب ومنازلها وأحوالها، فكان يساعد النبي ﷺ في تَخَيّر الوفود التي يُرْتجى منها الاستجابة لدعوة الإسلام، والتي تمكنها ظروفها ومواطنها وقوتها ومنعتها من بذل الحماية والمنعة للنبي ﷺ ودعوة الإسلام؛ كما كان أبو بكر أثناء عرض النبي ﷺ نفسه على وفود القبائل، يتألفهم ويستميلهم بذكر مآثرهم ومفاخرهم وأنسابهم، كما كان أبو بكر وعلي بن أبي طالب يشاركون النبي ﷺ في دعوة رجالات الوفود وعرض أمور الإسلام عليهم ومحاورتهم حول طبيعة الدعوة. أما دور العباس عم النبي ﷺ، فيبدو أنه كان يختص بتقديم النبي ﷺ لوفود القبائل، وتعريفهم بنسبه الشريف، وما هو فيه من عشيرته من عِزّة ومنعة، والتوثق للنبي ﷺ عند مبايعته ﷺ لأحد الوفود؛ وهو الدور ذاته الذي قام به العباس عندما بايع الأنصار النبي ﷺ بيعة العقبة الأولى التي شهدها العباس، وهو بعد على دين قومه، ولكنه أراد أن يتوثق من أمر ابن أخيه ﷺ [3]، ولاشك إن الدراية بجملة المسائل التي تولاها هؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم، وهم في صحبة محمد ﷺ عند لقائه الوفود، من لوازم المراعاة ومتطلباتها.

ومن أهم المتطلبات، استقصاء ماوضعه الشرع، من متطلبات وشروط للقيام بالدعوة، وهي جملة من الأحكام والشروط والمراتب[4]، يلزم أن تُستَقصى، ويُنْتبه لها، فغيابها عن جهد الداعية، يستلزم غياب المراعاة المثلى، التي ينشدها الدعاة في أدائهم.

والأخذ بكل ماتحتاجه المراعاة ودفع الدعاة إلى إتقانه، مطلب مهم، وفي ذلك إجراءات مناسبة لأحوال المدعوين، من ثمراتها حثهم وتهيئتهم لتلقي مايُلقى عليهم، ومن صور ذلك الواضحة، ما اقترنت به

---

(١) انظر الأم، للشافعي، مرجع سابق، فصل فرض الهجرة، ٨٤/٤.

(٢) انظر البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، ١٣٩/٣، ١٤٠.

(٣) انظر السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق ٤٤١/١.

(٤) انظر القوانين الفقهية، محمد بن جزي الكلبي الغرناطي (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة بدون) ص ٢٨٢، ٢٨٣. والحسبة، ابن تيمية، ونصاب الاحتساب، عمر بن محمد بن عوض السنامي.

خطبة الجمعة، من تعليمات وأحكام، تؤدي إلى الفهم والاستيعاب، وتعين على تهيئة المخاطب لتلقي خطاب الداعية والإنصات إليه.

وقد حرصت كتب الصحاح والسنن المصنفة على أبواب الفقه، وكتب فقه السيرة، على بيان السنن والآداب الشرعية التي يجب على الخطباء، وعلى من حضر الخطب الجامعة من المسلمين، مُراعاتها والالتزام بها؛ وذلك استناداً واعتماداً على السنن القولية والفعلية للنبي ﷺ، وعلى الآثار الموقوفة عن صحابته رضوان الله عليهم، فأشارت هذه المصادر، إلى تعليم النبي ﷺ الناس كيف يخطبون[١]، وكيف كان النبي ﷺ يخطب[٢]؛ وما أرشد إليه ﷺ من وجوب تقصير الخطبة[٣]، والأمر بالخطبة قائماً[٤]، ومن كيفية الوقوف والجلوس في أثنائها[٥]، وقراءة القرآن فيها[٦]، ومتى يُقيم، ومتى يُؤذن عند الخطبة[٧]؛ وكيف كان النبي ﷺ يتحدث مع الناس أثناء الخطبة[٨]؛ وماجاء من إشارة النبي ﷺ بإحدى أصابعه أو باثنتين منهما أثناء الخطبة[٩]، وعن الكلام والقيام بعد النزول عن المنبر[١٠].

ومن ذلك، مما يضبط المراعاة، الأخذ بما يُعين على التكيف وحسن التفاعل، مع المدعوين، من سعة العلم والثقافة لكي يكون التكيف سليماً، لابد للمسلم من أن يعرف واقعه وعصره، ليعرف مواطن الالتقاء مع الناس، ومواطن الاختلاف.

وكذا التوسط في التعامل، فالغلو كفيل بإعنات صاحبه وإهلاكه، ويؤدي إلى عزلته عن الناس،

---

(١) انظر صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب حديث التعليم في الخطبة، ٥٩٧/٢.

(٢) انظر صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٥٩١/٢ – ٥٩٦.

(٣) انظر صحيح مسلم، كتاب ٧، باب ٤٧.

(٤) انظر صحيح مسلم، كتاب ٧، باب ٣٩.

(٥) انظر صحيح البخاري، كتاب ١١، باب ٢٧. وصحيح مسلم، كتاب ٧، حديث ٣٣-٣٥.

(٦) انظر صحيح مسلم، كتاب ٧، حديث ٤٩-٥٢.

(٧) انظر مسند الإمام أحمد، ثالث، ص٤٤٩.

(٨) انظر صحيح البخاري، كتاب ١١، باب ٣٢، ٣٣، وصحيح مسلم، كتاب ٧، حديث ٥٤ – ٥٩.

(٩) انظر سنن النسائي، كتاب ١٤، باب ٢٩، ومسند الإمام أحمد، رابع، ص ١٣٥، ١٣٦.

(١٠) انظر جامع الترمذي، كتاب ٤، باب ٢١.

والتفريط كفيل بالإيقاع في الانحراف عن دين الله وكلاهما تكيف خاطئ، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾[(١)].

ومن المعينات على التعاطي مع المدعوين، التواضع للخلق جميعاً، إذ التواضع خصلة جذابة، تفضي إلى حب الناس لصاحبها، وتقرب المسافات بينه وبين قلوب الآخرين، فهي من أسباب الألفة، التي تساعد على التكيف، ويلحق ذلك التسامح، وهو تحمل الرأي المخالف، والصبر عليه، والعفو عن إساءات الناس، إذا كانت تتعلق بذاته، ولكن وفق الطاقة والقدرة.

وكذا الحوار، ولا يكون مجدياً، إلا إذا كان بين معتدلين، ويقوم على الموضوعية في طرح الآراء، والتفريق بين شخص المحاور وأفكاره، واستعمال اللغة الأحسن في الخطاب، وهو أداة معينة، على سرعة التكيف الصحيح وحسن التفاعل.

المطلب الثاني

معرفة صلاحيات الداعية وحدود التعاطي مع المدعوين

من أهم المسائل في ذلك، حدود اجتهاد الداعية، ويرد في ضوء ذلك، ماعليه السلف وجمهور الفقهاء، من رأي بشأن الاجتهاد، مفاده أن لله في كل حادثة حكماً معيناً، إمَّا الوجوب أو التحريم أو الإباحة، أو عدم الوجوب والتحريم، ويرد على ذلك شواهد، منها قول النبي ﷺ: «**فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لاتدري أتصيب حكم الله منهم أم لا**»[(٢)] وقوله ﷺ لسعد: «**قضيت بحكم الله وربما قال: قضيت بحكم الملك**»[(٣)]، وهذا يدل على رجحان هذا القول، ونفي قول من خالفه، كالمعتزلة، وغيرهم[(٤)]. وعليه فإن بين يدي الداعية، حكماً لكل مايعرض له، من مسائل

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٢) أخرجه مسلم، باب تأمير الأمراء على البعوث...، حديث (رقم١٧٣١)، ١٣٥٧/٣.

(٣) أخرجه مسلم، باب جواز قتال من نقض العهد، حديث (رقم١٧٦٨)، ١٣٨٨/٣.

(٤) انظر الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، مرجع سابق، ٢١٩/٦.

الدعوة، وأحوال المدعوين، والتفصيل في ذلك واسع ومتشعب[١]، لكن يلزم الداعية أن يعرف كيف يصل لهذه الأحكام، في الكتاب والسنة، وفي أقوال السلف الصالح، من أئمة العلم، الذين حازوا أدوات الاجتهاد وتمكنوا منها.

وتوجيهات الرسول ﷺ لصحابته في أمور الدعوة، تؤكد هذا المعنى، حيث يطلق لهم الحكم في بعض المسائل، بحسن النظر وقوة التأمل، حتى يفتح الله عليهم بالرأي السديد، والحكم الصحيح، وقد مثل ذلك، في توجيهه ﷺ لمعاذ، حين بعثه إلى اليمن، يقوله: «**إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ماتدعوهم إليه، عبادة الله، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات، في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم، وترد على فقرائهم، فإذا هم أطاعوا بها، فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس**»[٢]، وجاء عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**»، فبات الناس ليلتهم: أيهم يعطي فغدوا كلهم يرجونه فقال: «**أين علي بن أبى طالب؟**» فقيل: يشتكي عينيه. فبصق فى عينيه؟ ودعا له. فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام. وأخبرهم بما يجب عليهم فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»[٣][٤].

وإجمال القول في ذلك، أن يقال "لاريب أنه يجب على كل أحد، أن يؤمن بما جاء به الرسول، إيماناً عاماً مجملاً، ولاريب أن معرفة ماجاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرض على الكفاية، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله ﷺ، وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه، وعلم الكتاب والحكمة، وحفظ الذكر والدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة

---

(١) وللاستقصاء في ذلك انظر الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، مرجع سابق، ١٢٧/١.

(٢) أخرجه البخاري، باب لاتؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، حديث (رقم ١٣٨٩)، ٥٢٩/٢. ومسلم، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث (رقم١٩٩)، ٥١/١.

(٣) أخرجه البخاري، باب فضل من أسلم على يديه رجل، حديث (رقم٢٨٤٧)، ١٠٩٦/٣.

(٤) كتاب التوحيد، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق، عبد العزيز بن زيد الرومي (مطابع الرياض، الرياض، الطبعة الأولى) ٧٧/١.

الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهو واجب على الكفاية منهم. وأما مايجب على أعيانهم، فهذا يتنوع بتنوع قدرهم ومعرفتهم وحاجتهم، وما أمر به أعيانهم، فلا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم، أو عن فهم دقيقه مايجب على القادر على ذلك، ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل مالا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والمحدث والمجادل مالا يجب على من ليس كذلك"(١).

والأمر بحمد الله على السعة، فلا كُلفة على أحد فوق طاقته، وقد أثبت الرسول ﷺ لنا ذلك، بقوله: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»(٢).

ويرد ضمن المتاح للداعية من صلاحيات مما يعزز به المراعاة، ما قد يتحرج عند مباشرته، كالمداراة التي قد تختلط لديه بالمداهنة، ومعرفة الفرق بينهما، يخرجه من الحرج، فالمداهنة في الشريعة، أن يرى منكراً، ويقدر على دفعه، ولم يدفعه، حفظاً لجانب مرتكبه، أو جانب غيره، لخوف أو طمع، أو لاستحياء منه، أو قلة مبالاة في الدين، والمداراة موافقته، بترك حظ نفسه، وحق يتعلق بماله وعرضه، فيسكت عنه دفعاً للشر ووقوع الضرر(٣).

ويدخل في نطاق أعمال الداعية وصلاحياته، أن لا يركن في إحداث القناعة لدي المدعو على الخوارق والمعجزات بحجة مراعاة أحواله، فالمعجزات التي تجري على أيدي الأنبياء عليهم السلام لإقناع أقوامهم، لم تكن ماضية في زمن النبي ﷺ كما أجراها الله تعالى على يد من سبقه من الأنبياء عليهم السلام، وذلك لأن التصديق المنشود لدى المدعو، يقوم بالدرجة الأولى، على ما يحدثه مضمون الدعوة، في نفسه، من أثر، لما يلمسه فيه، من وجاهة وشفافية، وقرب من حياته ومتطلباته، وتصوير دقيق مفهوم، لكل مايدور في عقله ويعتلج في قلبه، ويحدث في جسده، ولهذا كان القرآن الكريم، هو المعجزة الأولى، التي ساقها الله تعالى، على يد نبيه محمداً ﷺ، وبالتالي، فإنه ليس من المراعاة الصحيحة، لحال المدعو، ما يقوم

---

(١) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، مرجع سابق، ١/١٤١.

(٢) أخرجه البخاري، باب الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ، حديث (رقم٦٨٥٨)، ٦/٢٦٥٨. ومسلم، باب فرض الحج مرة في العمر، حديث (رقم ١٣٣٧)، ٢/٩٧٥.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، مرجع سابق، ٦/٣٢٤-٣٢٩.

على إحداث القناعة لديه، بالخوارق والمعجزات، التي يتلمسها الداعية بطرق شتى، حدت ببعضهم إلى سلوك الخطأ والانحراف، في التعامل مع المدعوين.

ولا بد للداعية، ضمن صلاحياته، التي يُحكم بها المراعاة، أن يتحلى بما يحقق له القبول، لدى المدعو والتأثير فيه، حيث من الضرورة التزام الداعية، بجملة من الأمور، التي لا يتأتى له التأثير في المدعو إلا بتحليه بها، ومن أهم هذه الأمور: الصبر، فهو العامل المشترك بين قيم الإسلام الذي تدور عليه، وإذا كان كل عمل يُحْكم العبد به صلته بالله ﷻ لابد أن يقترن بالصبر[1]، فإن في طليعة ذلك قيامه بواجب الدعوة إلى الله ﷻ، وكان استصحاب الدعاة له من السجايا التي نالوا عليها الثناء من الله ﷻ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2]، وفي استصحاب الداعية للصبر عضد لهمته وعزيمته في الدعوة إلى الله ﷻ، لما يَنْزرع به لدى الداعية من إيمان بالله، وشعور بما يناله بذلك من أجر ومثوبة، ونجاعة -مع المدعو- في مابذله من جهد في دعوته، قال الله ﷻ: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[3]، وفي ذلك قال الرسول ﷺ من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- : «**النصر مع الصبر..**»[4].

كما الحرص عليه والتواصي به ينيل الداعية أعلى درجات التماسك، ويقوي مكامن الضعف التي

---

(١) والشواهد على ذلك كثيرة، منها قرن الله ﷻ الصبر مع الصلاة في قوله تعالى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ سورة البقرة، الآية ١٥٣، وقرنه الصبر بالاستغفار والتسبيح في قوله، ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ سورة الطور، الآية ٤٨، وقوله تعالى، ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ سورة غافر، الآية ٥٥، وقرنه الله تعالى مع الجهاد في قوله ﷻ،﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مافُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾سورة النحل، الآية ١١٠، ومع التوكل في قول الله تعالى، ﴿الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾سورة النحل، الآية ٤٢.

(٢) سورة السجدة، الآية ٢٤.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان ١٢٥، ١٢٦.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٠٧/١، والحاكم في المستدرك ٥٤٢/٣، الطبراني في الكبير (١٢٣/١١ رقم ١١٢٤٣) وابن عدي في الكامل (٦١/٧ رقم ١٩٨٩) وأبي نعيم في الحلية ٣١٤/١.

قد تعتريه من وقت إلى آخر، فيدرء ذلك عنه –بتوفيق الله– أشكال التخاذل ومظاهر الانهزام.

ومن الأمور الهامة الداخلة في نطاق الصلاحيات، تهيؤ الداعية للتفاعل مع مايجد أمامه على ساحة الدعوة، إذ عليه أن لايحجم عن الدعوة، إذا لم يستطع أن يتصل بسائر المدعوين المكلف بدعوتهم، وإنما يباشر ذلك قدر استطاعته، بادئاً بالأهم فالمهم، وأثر ذلك، قد يتعدى إلى من لم يتمكن من الاتصال بهم، وفي ذلك بيان أن جهد الدعوة قد يتجاوز من وجهت إليه إلى من سواه كما حصل مع فَرْوَة الجُذَامي(١).

وقد أوضحت المصادر أن إسلام فَرْوَة الجُذَامي؛ جاء كرد فعل لمكاتبة النبي ﷺ لملوك الأرض الأقربين، يدعوهم إلى الإسلام؛ وكرد فعل لإسلام النجاشي، ورفض كسرى الإسلام، وإقرار قيصر والمقوقس بنبوة النبي ﷺ وتصديقهما لدلائل وأعلام نبوته ﷺ، ثم تراجعهما عن الإسلام ضناً بملكهما، وخوفاً على نفسيهما من القتل من قِبل قومهما ورعاياهما، ورفض ملكي الغساسنة بأرض البلقاء الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق وابن عمه جبله بن الأيهم الغساني صاحب بُصْرى الدخول في الإسلام(٢).

ويأتي ضمن متطلبات الداعية وقدراته، الدراية بآداب الصحبة والمعاشرة، مع أصناف الخلق أثناء الدعوة، ولا بد أن يكون الغرض من الصحبة، النفع الديني كاستفادة العلم والعمل، وكاستفادة العز والجاه، تحصنا به عن أذى من يشوش القلب، وكاستفادة المال، للاكتفاء به عن إضاعة الأوقات في طلب الأقوات، وإذا اضطر للعزلة، فلا أن يلم بآدابها ليعرف كيف تنال ثمارها، وتجتنب أضرارها(٣).

---

(١) هو فَرْوَة بن عمرو الجُذَامي، كان عاملاً لقيصر على عَمَّان من أرض البلقاء؛ وكان رسول الله ﷺ قد كتب إلى هرقل والحارث بن أبي شمر، ولم يكتب إليه؛ فأسلم فروة وكتب إلى رسول الله ﷺ بإسلامه، وبعث من عنده رسولاً يقال له مسعود بن سعد من قومه، وأهدى لرسول الله ﷺ بغلة يُقال لها فضة وحماره يعفور، وفرساً يُقال لها الظراب، وأثواباً من كتن، وقباء سندس محرضاً بالذهب؛ فقبل رسول الله ﷺ كتابه وهديته، وكتب إليه جواب كتابه، وأجاز رسوله مسعوداً بإثنتي عشرة أوقية ونش؛ وبلغ قيصر إسلام فَرْوَة بن عمرو، فبعث إليه فحبسه حتى مات في السجن، فلما مات صلبوه. انظر الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري، مرجع سابق، ٤٣٦/٢٨.

(٢) المرجع السابق، ٢٦٢/٣، ٢٨١.

(٣) انظر أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، مرجع سابق، ٤٠/١، ٣٩.

وهذا التعامل معزز، بهدي النبي ﷺ وإرشاده، فقد بعث النبي ﷺ معاذاً وأبا موسى، إلى اليمن، وقال لهما: «**يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا**»[1].

وجاء من التوجيهات في ذلك، عن كثير بن مرة، قال: لاتحدث الباطل الحكماء فيمقتوك، ولا تحدث الحكمة للسفهاء فيكذبوك، ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تضعه في غير أهله فتجهل، إن عليك في علمك حقا، كما أن عليك في مالك حقا[2]. كما جاء أن عيسى ابن مريم كان يقول: كن طبيباً رفيقاً يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع[3]. وقد قال ميمون بن مهران: إياك والخصومة والجدال في الدين، لاتجادلن عالماً ولا جاهلاً، أما العالم فإنه يَخزن[4] عنك علمه ولا يبالي ماصنعت، وأما الجاهل فإنه يَخشن[5] بصدرك ولا يطيعك[6].

ومما يجب أن يتحراه الداعية، الابتعاد عن مظاهر الترف والوجاهة، والتعالي على المدعو، وقد رفض عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- مظاهر الفخر والأبهة، ورد إلى بيت مال المسلمين، كل ماعرض عليه من مراكب وغيرها، وفي ذلك صورة لضرورة التزام الداعية، بما يدعو إليه، وهذا من الضوابط المهمة، لمراعاة أحوال المدعوين المتعلقة بمنهج الدعوة، فكانت سيرته -رحمه الله- العطرة، خير عون، لتحقيق القبول له والاستجابة، لدى الناس، فدخل ملوك السند في الإسلام، وتبعهم كثير من شعوبهم، وسارع الناس جماعات ووحداناً، إلى الدخول في الإسلام[7].

ويجب أن يلم الداعية بالأمور التي يحبها المدعوون، والأمور التي يكرهونها، فمما يكرهونه، النصيحة في العلن، وأن تقال لهم الأوامر مباشرة، وبصيغة آمرة، كإفعل أو لاتفعل كذا، ويكرهون التركيز على

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجهاد والسبر، باب مايكره من التنازع والاختلاف في الحرب (رقم٢٨١١)

(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله، (رقم ٣٨٠).

(٣) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله (رقم ٣٨١).

(٤) يخزن عنك، أي يمنعك منه ويحتفظ به دونك.

(٥) يخشن، يضيّق ويُوغر.

(٦) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب من قال العلم الخشية وتقوى الله (رقم ٣٠٤).

(٧) فتوح البلدان، البلاذري، مرجع سابق ٤٢٥، والبداية والنهاية ابن كثير، مرجع سابق، ١٨٥/٩، والطبقات الكبرى لابن سعد محمد محمد بن سعد بن منيع، مرجع سابق، ٣٨٤/٥.

السلبيات دون الحسنات، وعدم نسيان أو تناسي زلاتهم وأخطائهم، والتسرع في توبيخهم وتأنيبهم، ومن ينسب الفضل في دعوتهم لنفسه والامتنان عليهم بذلك، ومعاملاتهم باستعلاء، والتمادي معهم أثناء دعوتهم في الأخطاء رغم وضوحها.

ومما يحبونه، إظهار الاهتمام بهم، والبعد عن الجدال ، وإعطاؤهم الفرصة للتعبير عما في نفوسهم وتحقيق ذواتهم، وتصحيح أخطاءهم دون جرح مشاعرهم والإساءة لهم، والاستماع لحديثهم والاحتفاء بطرحهم، وتقديرهم واحترامهم، وشكرهم وتشجيعهم، ومناداتهم بأحب الأسماء أو الألقاب إليهم(١).

وأخيراً فإنه يتاح للداعية لتعزيز هذا الجانب، الاستفادة مما يزيد من فاعلية المراعاة ويُمَكِّن الداعية من إتقانها، ويمثل ذلك في الاستفادة من وسائل الإعلام بإنتاج برامج متفوقة في إعدادها وإخراجها، وكذلك الاستفادة من الأشكال الأدبية المؤثرة على اختلافها، وعدم الاقتصار على ماشاع في أوساط الدعاة، كالخطبة والدرس، فهذه على أهميتها وتأثيرها، إلا أن لها أصنافها المعينة، في جمهور المدعويين، والشأن في جهد الداعية أن يصل بقوله، إلى كل أذن عبر مايناسبها من الوسائل، وفي بيان طبيعة الصراع بين الحق والباطل، وصف الله تعالى ذلك، بقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾(٢)، فالكلمة الطيبة، قادرة على رد الخبيثة ودحضها، فلابد من قولها في كل ميدان، ولكل أحد، في ثوبها المناسب، لما تحمله من معاني، والموائم لحال من تلقي عليه.

المطلب الثالث

الحذر من العوائق التي قد تثبط الداعية وتذهب دعوته

---

(١) صحيح مسلم، ٣/١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٢٦.

وفي المقدمة من ذلك، عدم التأثر بالشبهات المثارة لترك الدعوة بحجة مراعاة أحوال المدعو، وهي شبه كثيرة تستند على جملة من القواعد استناداً غير صحيح، ومما يراعى به حال من يطرحها بيان وهمه والرد عليه، ومن هذه الشبه: الاهتمام بدعوة الأقربين نوع من الحيف يقوم على العصبية القبلية التي نهى عنها الإسلام، ومنها القول بأن الدعوة للأقربين والاحتساب عليهم يورث العداوة وقطيعة الرحم، ومنها أن الداعية لايمكن أن يحظى بالقبول من قرابته لكونهم من أزهد الناس في علمه وإصلاحه، ومنها أن منتديات الأقارب لايصلح فيها شيء من الدعوة والتوجيه، لكونها للالتقاء والمؤانسة.

ويأتي من العوائق أن تتحول الدعوة إلى نوع من التعصب للقبيلة، والإثارة للنعرات الجاهلية، وربما تبع ذلك، تميع الداعية، ومشاركته في المنكرات، أو السكوت عنها بحجة التأليف، ومنها الدخول في الخلافات بين الأقربين، والتحزب لبعضهم على حساب بعض.

ومن الشبه التي قد ترد على الداعية فتعيق عمله، تقاعسه عنه، لكونه يظن أنه لايفيد، أو أن كلامه لايؤثر في المخاطبين، فهذه الشبه إذا اعترت الداعية، لم تمكنه من أداء أصل العمل الدعوي، ناهيك عن إتقان المراعاة، وتُدفع هذه الشبهة، بالثقة في النفس، بعد التوكل على الله، واستحضار أن الذكرى تنفع المؤمنين، وليس الواجب عليه أن يقبل منه، بل واجبه أن يؤدي البلاغ، كما أمره الله تعالى به(١).

ويضع في حسبانه، أن هذا الواجب "لا يختص بمسموع القول، بل على كل مكلف أن يأمر وينهى، وإن علم بالعادة أنه لايفيد، فلا يسقط ذلك عن المكلف بهذا العلم، لعموم خبر من رأى منكم فليغيره بيده الخ"(٢).

وأخيراً فإن استعجال النتائج، ونفاد الصبر من العوائق، التي يجب على الداعية الاحتراز منها، إذ يعد الصبر في هذا المقام، ضرورة للداعية يلزمه التذرع بها.

إن الصبر على المدعو، وعدم اليأس من استجابته، عماد للمراعاة، فهو من الضوابط التي يجب أن

---

(١) انظر روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ) ١٠/٢١٨-٢٢١.

(٢) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، أبوبكر السيد البكري بن السيد محمد شطا الدمياطي (دار الفكر، بيروت، تاريخ الطبعة بدون) ٤/١٨٢- ١٨٤. وللمزيد بشأن هذه الشبهة، انظر أحكام القرآن، الجصاص، مرجع سابق، ٢/٣١٩، ٣٢٣. وانظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٢/١١٠، ١١١. وانظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٦/٣٤٢-٣٤٥.

تقترن بها مراعاة أحوال المدعو. ويظهر ذلك في، موقف الداعية مما يلقاه من المدعو، من أذى، حيث يجب أن يحرص على توخي السبل الملائمة لخطابه، دون استشراف ماتحول دونه قدرته، كهدايته، أو الوقوع تحت وطأة التوقع الدائم لما سيلحقه، حين يقوم بدعوته.

ولقد حدَّث أنس ﷺ عن صبر الرسول ﷺ على مالحقه من أذى، حين كسرت رباعيته يوم أحد، وشج وجهه شجة في جبهته، حتى سال الدم على وجهه، فقال: «**كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى الله**»(١).

ولم يخلو نبي من الأنبياء عليهم السلام، من أذى لحقه من قومه حين دعاهم، ولم تخلو سيرهم العطرة، من الصبر والمصابرة على ذلك، وهذا ضرب رفيع من المراعاة، ماكان ليتم -بعد عون الله- وهو مجرد من قوة الصبر والتجلد.

وفي مارواه عبد الله بن عمرو بن العاص، من الحديث الطويل(٢)، إشارة إلى شدة العناء، الذي لقيه الرسول ﷺ، من قريش بمكة، ومدى صبره عليهم، ومضيه بدعوته، متذرعاً بذلك، لتتم له المراعاة مع قومه، حتى آتت ثمارها. وقوام ذلك بعد إتقان الأداء مع المدعو، عدم استعجال النتائج والصبر على المدعو بعد استيفاء ماتحتاجه حاله من المراعاة.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة آل عمران، رقم (٢٩٢٨).

(٢) انظر الحديث بطوله، في مسند الإمام أحمد، رقم (٦٧٣٩).

المبحث السادس

إجادة التكيف وارتياد حياة الناس والتفاعل معها

المراعاة قائمة على الخلطة والتفاعل، وهما مهارة لازمة للداعية، قال الرسول ﷺ : «**المؤمن الذي يُخالط الناس، ويصبر على أذاهم، خير من المؤمن الذي لا يُخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم**»(١)، وحين نهى الرسول ﷺ صحابته، عن الجلوس في الطرقات، وذكروا له "ضرورتهم إلى ذلك، لما فيه من المصالح، من تعاهد بعضهم بعضاً، ومذاكرتهم في أمور الدين، ومصالح الدنيا، وترويح النفوس بالمحادثة في المباح، دلهم على مايزيل المفسدة من الأمور المذكورة"(٢).

وفي أصل العزلة، قال الجمهور: "الاختلاط أولى، لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية، للقيام بشعائر الإسلام، وتكثير سواد المسلمين، وإيصال أنواع الخير إليهم، من إعانة وإغاثة وعيادة، وغير ذلك، وقال النووي: المختار تفضيل المخالطة، لمن لايغلب على ظنه أنه يقع في معصية، فان أشكل الأمر، فالعزلة أولى"(٣).

وهذا الحكم في الخلطة، يدفع بالداعية أن لايتوانى عن اقتحام الميادين التي يرى أن ينتج فيها بحسن المراعاة، وأساس ذلك إجادة التكيف والقدرة على التعايش مع الناس والأخذ معهم، فيعينه ذلك القيام بواجبه، ومن مظاهر ذلك، أن ارتياد العلماء والدعاة لحياة الناس والتفاعل معها وعدم العزلة، فيه من الحضور المؤثر على الناس مايشيع بسببه، العلم والفهم والاستقامة، وقد "ترك العلماء النكير على العامة في معاملات قد تعارفوها واستفاضت فيما بينهم إجماعاً منهم على جوازه" (٤). ولم يكن ذلك ليحصل، وينال العامة منه النفع، لو غلبت العزلة على أهل العلم والدعوة، وقد قال الإمام النووي: "فضل الاختلاط بالناس، وحضور جمعهم وجماعاتهم، ومشاهد الخير، ومجالس الذكر معهم، وعيادة مريضهم وحضور

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه، باب الصبر على البلاء، رقم (٤٠٣٢) ١٣٣٨/٢.

(٢) فتح البارئ، ابن حجر، مرجع سابق، ١٢/١١.

(٣) المرجع السابق، ٤٣/١٣.

(٤) الفصول في الأصول، علي بن عبدالكافي السبكي (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٥هـ) ٣٦/٢-٣٨.

جنائزهم، ومواساة محتاجهم، وإرشاد جاهلهم وغير ذلك من مصالحهم لمن قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقمع نفسه عن الإيذاء وصبر على الأذى، واعلم أن الاختلاط بالناس على الوجه الذي ذكرته هو المختار الذي كان عليه رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وكذلك الخلفاء الراشدون، ومن بعدهم من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من علماء المسلمين وأخيارهم، وهو مذهب أكثر التابعين ومن بعدهم، وبه قال الشافعي وأحمد وأكثر الفقهاء ﷺ أجمعين. قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾[1] والآيات في معنى ماذكرته كثيرة معلومة"[2].

ومن صور ذلك المهمة، التكيف أثناء التعامل مع غير المسلمين ودعوتهم، ومعالم ذلك مع أهل الكتاب واضحة في الكتاب والسنة، رغم تقرير كفرهم، لأنهم أشركوا بالله أحبارهم ورهبانهم والمسيح بن مريم، قال الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ﴾[4]، ومع ذلك فالتعايش معهم في المجتمع الإسلامي مطلوب وهو قائم على البر والإحسان والعدل والتعاون على الخير إذا لم يظهر هؤلاء العداوة للإسلام وأهله ولم يظاهروا أعداء المسلمين سراً أو جهراً قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[5]، وقد شهد التاريخ الاسمي حسن تطبيق هذه المبادئ مع أهل الكتاب، بتسامح فريد، لم يتوفر بين طوائف النصارى أنفسهم، أو بينهم وبين اليهود، فقد وسع الإسلام هؤلاء جميعاً فعاشوا في المجتمع الإسلامي حياة تقوم على حرية الاعتقاد والعبادة والعمل مع البر والإحسان والعدل.

---

(١) سورة المائدة، الآية٢.

(٢) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، مرجع سابق، ص ١٨٣.

(٣) سورة التوبة، الآية ٣١.

(٤) سورة المائدة، الآية ٧٣.

(٥) سورة الممتحنة، الآيتان ٨، ٩.

ولم يعد هناك إشكال يُذكر، مع أصحاب الأديان الأخرى داخل المجتمع الإسلامي وخارجه، فقد وضع الإسلام منهجاً حكيماً تجلت فيه المراعاة لأوضاعهم وأحوالهم، وخلَّصت المسلمين من التوتر الذي قد ينتابهم حين يبدأون في التعامل معهم.

والواقع التاريخي يشهد للمسلم بقدرته على التكيف مع كل المستجدات ولكن بوعي إيماني وحس إسلامي يقوم على الشعور بالانتماء للإسلام والقدرة على الفرز بين الصالح والفاسد أثناء الأخذ والعطاء. وهذا يدعونا إلى عدم مجاراة الغرب في كل مسلكه ونهجه، كما عمد إلى ذلك بعض المفتونين من المحسوبين على الإسلام، فالتقليد الأعمى يؤدي إلي الشعور بالهزيمة النفسية، أمام العدو ناهيك عن مايحمله ذلك من معاني الضعف وعدم الكفاية، في مبادئ وقيم الإسلام، ليتواءم مع التقدم والحضارة المعاصرة، وجاء التحذير قوياً من تقليد الكفار، فقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [1]، وعن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه»** قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: **«فمن»**[2]، والتكيف الصحيح مع منجزات الحضارة هو التفاعل معها على ضوء الاسلام وقيمه فما كان معرضا لها تركناه وما وافق أو سكت عنه نأخذه وهو كثير.

ومما يتصل بحدود التعامل مع غير المسلمين، قال العلماء، يكره أن يستعين مسلم بذمي في شيء من أمور المسلمين مثل كتابة وعمالة وجباية خراج، وقسمة فيء وغنيمة، وحفظ ذلك ونقله إلا لضرورة، وجماع الأمر في ذلك، أن التعامل معهم أمر لازم، فلا سبيل لدعوتهم لدين الإسلام إلا بذلك، ولا وسيلة لترغيبهم فيه إلا بحسن تألفهم واللين معهم.

وأما ضبط التعامل معهم في شتى مناح الحياة فهو مبسوط من قبل العلماء، ولم يتركوا شاردة من ضروب التعاطي معهم، في العقائد والعبادات والمعاملات وسائر المعايشات، إلا وبينوها مما بينته نصوص

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان ١٠٠، ١٠١.

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب الأنبياء، باب ماذكر عن بني إسرائيل، (رقم ٣٢٦٩) ٣/١٢٧٤.

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة[1].

وآخر الأمر في هذا المقام، مما يجب أن يراعيه الداعية في جانب التكيف مع الحياة، التهيؤ لمغالبة أحوال المدعو وتفهم صعوبة التعامل معه، ويرد على ذلك النظر في مسألة استبداد المدعو وتسلطه على الدعوة والدعاة، ويتم ذلك في صورته التقليديه المعهود للظلم والكبت، أو في ظل الصورة الجديدة لهذا الظلم، وهي آخر الاستبداد القهري والمتمثلة في الهيمنة الإعلامية التي تستطيع أن تملي على الناس أي فكر ورأي تريده وتسد على الجمهور منافذ التفكير في الاتجاه الصحيح وتحرمهم من فرص التأمل والتعبير عن ما في نفوسهم متحررين في محاصرتها التي باتت قادرة على توجيه الناس إلى مباشرة النظر في مسألة والانصراف عن أخرى، وربما ينخدع بهذه الأمور من المدعويين الذين أشار الله ﷻ إليهم في قوله تعالى ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[2] وأولئك من أهم سماتهم الخواء والفراغ الروحي والعقلي فيكون الاستعداد لقبول الباطل لانعدام الوعي.

ويظهر صور أخرى لهذا الاستبداد، لكنها أقل في حجمها ووطأتها، تمثل في مواقف المدعو، من الداعية والدعوة، حين يجابهه بالإنكار والاستهزاء، وربما الإيذاء، وحتى تتم المراعاة لهذه الفئة في صورتها الصحيحة، يجب أن تخضع لضابط التجرد من الأهواء والانتصار للذات، كي لاتفقد تلك المراعاة جدواها، ومن ثم يؤدي ذلك إلي ضعف الدعوة والداعي.

وربما يرد في معرض هذه المواقف من المدعو، النظر في حدود التعريض بالمدعو من أهل السوء والتنبيه منهم ومن سؤوهم، لا ضير من ذكر أهل السوء وتحذير الناس منهم فهذا من مقتضيات تحقيق المصلحة التي يتم بها مراعاة أحوال المدعوين ومما يقوم عليها هذا الأمر لتأصيله: الحالات التي يسوغ فيها الحديث في بعض فئات الناس دون أن يدخل ذلك ضمن الغيبة أو النميمة، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام، فيمن يعرض بمحمد ﷺ ويجعله في المنزلة دون غيره: "لو كان المخاطب لنا من يفضل إبراهيم أو موسى أو عيسى، على محمد ﷺ لكانت مصيبة عظيمة لا يحتملها المسلمون، فكيف بمن يفضل رجلاً، من أمة

---

(١) للنظر في تفاصيل هذه الأحكام في التعامل مع غير المسلمين، انظر الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح المقدسي، ٢/ ٤٣٠-٤٣٧. وانظر أحكام أهل الذمة، ابن سلام.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١١٣

محمد على محمد، وعلى جميع الأنبياء والرسل، في أفضل العلوم، ويدعى أنهم يأخذون ذلك من مشكاته، وهذا العلم هو غاية الإلحاد والزندقة، وهذا المفضل من أضل بنى آدم وأبعدهم عن الصراط المستقيم، وإن كان له كلام كثير ومصنفات متعددة، وله معرفة بأشياء كثيرة، وله استحواذ على قلوب طوائف، من أصناف المتفلسفة والمتصوفة والمتكلمة والمتفقهة والعامة، فإن هذا الكلام من أعظم الكلام ضلالاً عند أهل العلم والإيمان والله أعلم"[١].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مرجع سابق، ٢/٢٤٠.

المبحث السابع: الحرص على نفع المدعو وتغليب جانب الإشفاق عليه

المطلب الأول

حب الخير للمدعو والحرص على نفعه

أن من الصور الرفيعة لذلك، تتبع المدعو حيث هو، والسعي لمراعاة أحواله، فقد بلغت دعوة الإسلام مسامع كثير من القبائل العربية المتنصرة، في بلاد نجد والشام وفلسطين والأردن وشبه جزيرة سيناء، وذلك عن طريق عدة طرق لعرض وبلاغ دعوة الإسلام في حياة النبي ﷺ ؛ تشترك جميعها في كون الرسول ﷺ، هو الساعي لهم بدعوته، العاني لهم بخيره، فقد عرض النبي ﷺ نفسه على قبائل العرب في موسم الحج، طالباً منها بذل الحماية والمنعة له حتى يُبلغ رسالات ربه؛ وذلك على مدى عشر سنوات من الطور المكي للدعوة الإسلامية[1].

وكذلك مكاتبات النبي ﷺ التي تبادلها مع ملوك ورؤساء وزعماء العرب ببلاد الشام والأردن وفلسطين وشبه جزيرة سيناء وبلاد العراق واليمامة والبحرين واليمن؛ حين كاتب كبار ملوك العجم، وكذلك بعوث وسرايا النبي ﷺ، التي سيرها ﷺ إلى تخوم بلاد الشام وفلسطين والأردن وشبه جزيرة سيناء والحوف الشرقي لمصر؛ إثر رفض قيصر الروم ونوابه على ثغر العرب الدخول في الإسلام، وشهادة التوحيد، والإقرار بنبوته ﷺ، حين كاتبهم للمرة الأولى منصرفه ﷺ من الحديبية[2].

ومع هذا التعدد في عرض الإسلام وتبليغه، فإن فيه مماشاة للمدعو ومراعاة لأحواله، ومن أساسيات المراعاة للمدعو، مبادرته بالدعوة والذهاب إليه حيث هو، وبتتبع محاولات وجهود النبي ﷺ في عرض نفسه على قبائل العرب في موسم الحج نخرج بالملاحظات التالية التي توضح هدف النبي ﷺ من عرض نفسه على هذه القبائل وتُشير إلى اقتران الدين والدولة بدعوة الإسلام، وإلى ماكان يتحراه من السؤال عن الأوضاع السياسية لهذه القبائل، ومدى منعتها وقوتها، وإلى ماحققته دعوة الإسلام من نجاحات دعائية

---

(١) انظر دلائل النبوة، إسماعيل بن محمد الفضل التميمي الأصبهاني، مرجع سابق، ٢/١٦٠-١٦٤، والبداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، ٣/١٣٩-١٤٦، والسيرة النبوية، ابن هشام، ١/٤٢٤-٤٣٥، وتاريخ الإسلام، الذهبي، مرجع سابق، ١/١٦٩.

(٢) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص ٥٨٤-٥٩٠.

وسياسية تمخضت عن تصديه ﷺ لدعوة قبائل العرب إلى الإسلام في موسم الحج.

وقد استمر عرض النبي ﷺ نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج على مدى عشرة أعوام تبدأ من العام الثالث للنبوة وهو العام الذي جهر به النبي ﷺ بالدعوة وتنتهي بالعام الثالث عشر وهو الذي هاجر فيه النبي ﷺ من مكة إلى المدينة.

وكان من نتائج المراعاة لكثرة أماكن المدعوين وتنوعها انتشار الدعوة في أكبر بقعة ممكنة، يستدل من أسماء القبائل العربية التي ذكرت المصادر أن النبي ﷺ قد عرض نفسه عليها في موسم الحج ودعاها إلى الإسلام أن منازل وديار ومضارب هذه القبائل كانت تنتشر في جميع أقاليم الجزيرة العربية (نجد– الحجاز– وادي القرى– الطائف– تهامة– اليمامة– العروض– اليمن– حضرموت) كما كانت تنتشر أيضاً على أطراف وتخوم جزيرة العرب ببلاد الشام والعراق ومصر[1].

وكان النبي ﷺ يتخير بين وفود قبائل العرب القبائل ذات القوة والمنعة وذلك لاقتران الدين والدولة في دعوة الإسلام ولعالمية دعوة الإسلام وضرورة النهوض بفريضة الجهاد وفاءاً بهذه العالمية وتحقيقاً لها لكونه ﷺ بعث للناس كافة وللأسود والأحمر من الناس فكان من القبائل ذات الملك والقوة والمنعة التي عرض النبي ﷺ نفسه عليها منذ السني الأولى للنبوة وحرص على كسب مساندتها ومؤازرتها وحمايتها وتأييدها لدعوة الإسلام[2].

كما أدرك بعض شيوخ هذه القبائل العربية وزعمائها الذين لم يحضروا موسم الحج بمكة الأهمية الدينية والسياسية العظمى لدعوة الإسلام لارتباطها بنبوة العرب وملكهم إذ حكى من شهد موسم الحج من رجالات هذه القبائل ماكان من أمر النبي ﷺ ودعوته لوفود الحجيج إلى الإسلام وبذل المنعة والحماية لدعوته حتى أن أحد شيوخ قبيلة عامر بن صعصعة الذين تخلفوا عن موسم الحج وقد كان أدركته السن حتى لايقدر أن يوافي معهم المواسم أبدى لوفد قبيلته العائد من أداء مناسك الحج أسفه على عدم استجابتهم لما دعاهم إليه النبي ﷺ ووبخهم على تفويتهم هذه الفرصة التي سنحت لهم[3]، وكل ذلك يدفع

---

(١) انظر الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري، مرجع سابق، ٢١٧/١، والبداية والنهاية، ابن كثير، ١٤٦/٣.

(٢) المرجع السابق، ١٤٠/٣ –١٤٤.

(٣) المرجع السابق، ٤٢٥/١.

المراعاة في مسارها الصحيح، طالما أنها تقوم على محبة الخير للمدعو والحرص على نفعه.

ومن المهم الحرص على كسب ود المدعو ومحبته، فذلك من الضوابط المتصلة بالمنهج، حين يكون الداعية على حال تُرغّب المدعو فيه، وتجعله يركن إليه، ويأنس له ويرتاح إلى حديثه ويضع ثقته فيه، وهذا جلي في أبي بكر الصديق ﷺ وفق ماأخبر عنه ابن اسحاق: لما أسلم أبو بكر ﷺ أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله. وكان أبو بكر رجلاً مألفاً لقومه، مُحبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر؛ وكان رجلاً تاجراً، ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته؛ فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه. فأسلم بدعائه عثمان بن عفان... والزبير بن العوام... وعبدالرحمن بن عوف... وسعد بن أبي وقاص... وطلحة بن عبيد الله... ﷺ فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له، فأسلموا وصَلّوا[1].

وأصبح المسلمون الأوائل منذ إسلامهم دعاة لدعوة الإسلام، متفانين في بلاغها وجذب الناس إليها؛ واتخذ هؤلاء الصحابة منهجين متغايرين لبلاغ الدعوة، جاء كل منهج من هذين المنهجين تعبيراً عن رأي كل من الفريقين في الطريقة التي توقع أكبر الأثر في نفوس الناس وقلوبهم. فكان أبو بكر وعثمان وسعيد بن زيد يدعون سراً، وكان عمر وأبو عبيدة وحمزة يدعون جهراً. ويبدو أنه كان هناك ثمة تنسيق بين النبي ﷺ وصحابته بعد الجهر بالدعوة، قصد إلى تقسيم مكة إلى أحياء وأقسام فيما بين الصحابة، بحيث يتولى كل منهم قطاعاً أو نطاقاً خاصاً به، ينشط في إطاره، أو في نطاقه، لدعوة سكانه إلى الإسلام؛ ولا يستبعد أن يكون كل صحابي من المسلمين الأوائل، قد تولى الدعوة إلى الله ورسوله في نطاق الحي الذي يقطنه، وتقطنه قبيلته وعشيرته وذوو قُرباه؛ إذ يقول ابن سعد: [2]. لما أظهر رسول الله ﷺ الإسلام ومن معه، وفشا أمره بمكة ودعا بعضهم بعضاً، فكان أبو بكر يدعو ناحية سراً، وكان سعيد بن زيد مثل ذلك، وكان عثمان مثل ذلك؛ وكان عمر يدعو علانية، وحمزة بن عبدالمطلب، وأبو عبيدة بن الجراح. فغضبت قريش من ذلك، وظهر منهم لرسول الله ﷺ الحسد والبغي، وأشخص به منهم رجال فبادَوه، وتستر

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام ١/٢٤٩-٢٥٢.

(٢) تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص ٢٢.

آخرون وهم على ذلك الرأي إلا أنهم يُنَزِّهون أنفسهم عن القيام والإشخاص برسول الله ﷺ[١].

ومن صور تقصي ضابط الحرص، التكرار والمعاودة في التعامل مع المدعو، وفي ذلك مايعين المدعو على تفهم مايلقيه الداعية عليه، وصحيح القول في ذلك أن المرة الواحدة كفيلة بتأدية الداعية ماعليه، ولايلزمه التكرار، إلا أن ترتفع تلك الحال التي فيها ذلك الأمر ثم تعود فإن الأمر يعود ولابد، كمرض المسلم تجب عيادته فبمرة واحدة يخرج من الفرض مادام في تلك العلة فإن أفاق ثم مرض عاد حكم العيادة أيضاً، وفك العاني متى صار عانياً وجب فكه، ولا يلزم تكرار شيء من ذلك بعد فعله في حال واحدة، والقول بالتكرار -دون حاجة- لايصح، لأنه تكليف مالايطاق أو القول بلا برهان وكلاهما باطل[٢].

ومن الصور دفع الناس إلى محبة مايلقى عليهم والحذر من إملالهم، فعن ابن عباس قال: حدث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرار، ولا تمل الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم، فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه، فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لايفعلون إلا ذلك. يعني لايفعلون إلا ذلك الاجتناب[٣].

وقال شقيق: كنا ننتظر عبد الله إذ جاء يزيد بن معاوية، فقلنا: ألا تجلس؟ قال: لا، ولكن أدخل فأخرج إليكم صاحبكم، وإلا جئت أنا فجلست. فخرج عبد الله وهو آخذ بيده فقام علينا، فقال: أما إني أخبر بمكانكم، ولكنه يمنعني من الخروج إليكم أن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السآمة علينا[٤].

أخبرنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية أن أبا فروة حدثه أن عيسى ابن مريم كان يقول لاتمنع العلم من أهله فتأثم ولا تنشره عند غير أهله فتجهل وكن طبيبا رفيقا يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع[٥]. وعن

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد محمد بن سعد بن منيع البصري، مرجع سابق، ٢/٢٠٠.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٤هـ) ٣/٣٢٩-٣٣١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الدعوات، باب مايكره من السجع في الدعاء، (رقم ٥٨٦٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الدعوات، باب الموعظة ساعة بعد ساعة، (رقم ٥٩٣٢).

(٥) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله، (رقم ٣٨١).

عبد الله قال لاتملوا الناس[1]. عن عبد الله قال إن للقلوب نشاطا وإقبالا وإن لها تولية وإدبارا فحدثوا الناس ماأقبلوا عليكم[2]. قال الحسن: كان يقال حدث القوم ماأقبلوا عليك بوجوههم فإذا التفتوا فاعلم أن لهم حاجات[3].

ومن صور الحرص على المدعو، الصبر على مايلحق الداعي من عنت ومشقة، وهذا أمر لازم للمضي في المراعاة الصحية للمدعو، فالنصر لكلمة الحق ليس غنيمة باردة، وإنما يلزم جهد وتعب وصبر وهو في حق دعاتها من أولياء الله أكد فهذا النصب والتعب يناله أيضاً دعاة السوء والباطل قال الله تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾[4].

المطلب الثاني

تغليب جانب اللين والرحمة والإشفاق على المدعو

قال الله تعالى: +وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ" يدل على وجوب استعمال اللين والرفق وترك الفظاظة والغلظة في الدعاء إلى الله تعالى، ومما اتسم به الإسلام، جانب اللين والعفو والصفح، وتلمس جوانب الرخص والتيسير، ولم يلزم الناس بقوالب جامدة من الأنظمة تفتقر للمرونة، فلا يمكن للناس أن يسايروا بها تغير الأزمنة والأمكنة، وقد قال رسول الله ﷺ: « **إن الله ﷻ فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها**»[5]. والرسول ﷺ في هذا الحديث يخاطب الصحابة ﭫ في زمن لايزال الوحي يتنزل فيه على الرسول ﷺ فيترتب على ذلك البحث والتقصي منهم فيما لم يفصح عنه زيادة في التكاليف والواجبات، فكان أن حثهم على الابتعاد عن هذا التقصي، طالما أنه ﷺ لم يبادرهم بشيء مما سألوا عنه، وفيما رواه

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب من كره أن يمل الناس، (رقم ٤٤٨).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب من كره أن يمل الناس، (رقم ٤٤٩).

(٣) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب من كره أن يمل الناس، (رقم ٤٥٠).

(٤) سورة النساء، الآية ١٠٤.

(٥) أخرجه الدار قطني، كتاب، باب، رقم الحديث، ٤/١٨٤.

أبو هُرَيْرَةَ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا**» فَقَالَ رَجُلٌ أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ ثُمَّ قَالَ ذَرُونِي مَاتَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَااسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ**»[1].

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾[2].

وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ: «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئاً**» ثم تلا هذه الآية، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [3] [4]. وترك التفاصيل في كثير من مسائل الحياة مقصد عظيم لشريعة الإسلام بتحقيقه امتازت هذه الشريعة بسمة الاستمرار والصلاحية فكانت، مرنة بصورة استوعب معطيات الزمان والمكان، واستيعاب ذلك مكفول في ضوء هذه الشريعة الكاملة فقد انطوت على مسالك مهتدية تسير وفق ضوابط الدين وأصوله، وهي ماثلة في: القياس، والاستحسان، والاستصلاح أو المصلحة المرسلة، والعُرف[5].

إن الركون إلى اللين من أظهر صور المراعاة لأحوال المدعوين، وبذلك أمر موسى وأخاه عليهما السلام حين أرسلهما الله تعالى إلى فرعون، ومن صور اللين، اللطف في الحديث مع المدعو، وتكنبته، حتى لو كان كافراً[6].

إن من مقتضيات المراعاة جعل اللين والمرونة أصل في مراعاة أحوال المدعو، يقول تعالى مخاطباً

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، (رقم ٢٣٨٠).

(٢) سورة المائدة، الآية ١٠١.

(٣) سورة مريم، الآية ٦٤.

(٤) رواه البزار، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٥/٧ رجاله ثقات، والحاكم في المستدرك ٣٤٧/٢، وقال صحيح الإسناد.

(٥) سبق بيان المراد بالقياس والاستحسان والاستصلاح والمصلحة المرسلة والعرف، انظر ص ٦٨ ومابعدها.

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع السابق، ١١/١٩٩-٢٠١.

رسوله، ممتناً عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته المتبعين لأمره، التاركين لزجره، وأطاب لهم لفظه قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[1] أي: أي شيء جعلك لهم ليناً، لولا رحمة الله وبهم، وقال قتادة ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ يقول فبرحمة من الله لنت لهم، وقال الحسن البصري هذا خلق محمد ﷺ بعثه الله به، وهذه الاية الكريمة شبيهة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، وعن أبي أمامة الباهلي، قال: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فقال يا أبا أمامة إن من المؤمنين من يلين لي قلبه، ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ والفظ الغليظ، والمراد به ههنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ أي لو كنت سيء الكلام، قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم، كما قال عبد الله بن عمرو: إني أرى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة إنه ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح[3].

وقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، وجاء في الحديث قوله: بعثت بالحنيفية السمحة، وفي الصحيح إن هذا الدين يسر وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم، [4].

وروي أن جبلة بن الأيهم، أتى عمر بن الخطاب وهو على نصرانيته. فعرض عمر عليه الإسلام وأداء الصدقة فأبى ذلك. وقال: أقيم على ديني وأؤدي الصدقة. فقال عمر: إن أقمت على دينك فأد الجزية. فأنف منها. فقال عمر: ماعندنا لك إلا واحدة من ثلاث: إما الإسلام وإما أداء الجزية، وإما الذهاب إلى حيث شئت. فدخل بلاد الروم في ثلاثين ألفاً. فلما بلغ عمر ندم. وعاتبه عبادة بن الصامت

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١/٥٥٦.

(٤) المرجع السابق، ٢/٥٣١.

فقال: لو قبلت منه الصدقة ثم تألفته لأسلم[1].

ومن صور اللين والرحمة بالمدعو، التجاوز وتغليب جانب العفو والرحمة [2]، فعن عائشة –رضي الله عنها– أن النبي ﷺ قال «**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم، إلا الحدود**»[3]، وكل ذلك، يؤسس لضوابط راسخة، تقوم عليها مراعاة أحوال المدعوين.

---

(١) انظر كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، مرجع سابق، باب أخذ الجزية من عرب أهل الكتاب، ص ٣٠، وانظر الأم، الإمام الشافعي، مرجع سابق، ٤/٩٤، ٩٥.

(٢) انظر سبل السلام، محمد بن إسماعيل الكحلاني الصغاني، مرجع سابق، ٤/٧٥.

(٣) رواه أبو داود في سننه،باب العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان، رقم (٤٣٧٥) ٤/١٣٣.

المبحث الثامن

العناية بحقوق المدعو وحفظ ماله من اعتبار ومكانة

وفي المقدمة من ذلك، عدم السفور في مواجهة المدعو بما يثيره ويصده، ويلزم الداعية في تناوله للموضوع مع المدعو، الاحتراز من أن يطرح على المدعو مايصادم معتقدة الضال بشكل سافر، فيثير ذلك حفيظته، ويؤلبه ضد معتقدات الإسلام وأهله، فقد جاء عن عبد اللّه بن حنظلة قوله: كنا مع سلمان ﷺ فى جيش فقرأ سورة مريم، قال: فسبَّها رجل وابنها، قال: فضربناه حتى أدميناه، قال: فأتى سلمان فاشتكى، وقبل ذلك ماكان قد اشتكى إليه[١]، قال: وكان الإنسان إذا ظلم اشتكى إلى سلمان، قال: فأتانا فقال: لم ضربتم هذا الرجل؟ قال: قلنا: قرأنا سورة مريم فسب مريم وابنها، قال: ولم تسمعونهم ذاك، ألم تسمعوا قول اللّه ﷻ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٢]، بما لايعلمون، ثم قال: يا معشر العرب، ألم تكونوا شر الناس ديناً وشر الناس داراً وشر الناس عيشاً فأعزكم اللّه وأعطاكم؟ أتريدون أن تأخذوا الناس بعزة اللّه؟ واللّه، لتنتهن أو ليأخذن اللّه ﷻ مافى أيديكم فليعطينه غيركم، ثم أخذ يعلمنا فقال: صلوا مابين صلاتي العشاء فإن أحدكم يخفف عنه من حزبه ويذهب عنه ملغاة أول الليل فإن ملغاة أول الليل مهدمة لآخره.[٣]

وحين تجر الشفقة الداعية على المدعو، فلا يعمد بحكم الحاجة إلى مراعاة أحواله، إلى الكذب عليه، دون اعتبار لما قد يسوغ من ذلك، قال النووي: أما الكذب فيما طريقه البلاغ عن الله تعالى فالأنبياء معصومون منه سواء كثيره وقليله، قال القاضي عياض: الصحيح أن الكذب فيما يتعلق بالبلاغ لايتصور وقوعه منهم، سواء جوزنا الصغائر منهم وعصمتهم منها أم لا وسواء قل الكذب أم كثر لأن منصب النبوة يرتفع عنه وتجويزه يرفع الوثوق بأقوالهم وأما قوله ﷺ: «**ثنتين في ذات الله وواحدة في شأن سارة**» عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، مرجع سابق، ٢٠١/١.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠٨.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، مرجع سابق، ٢٠١/١.

الله قوله (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وواحدة في شأن سارة... إلخ»[١]، فمعناه أن الكذبات المذكورة إنما هي بالنسبة إلى فهم المخاطب والسامع وأما في نفس الأمر فليست كذباً مذموماً لوجهين أحدهما أنه ورى بها فقال في سارة أختي في الإسلام[٢].

وقال ﷺ : «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً** »[٣] هذا الحديث مبين لما ذكرناه في الباب قبله ومعناه ليس الكذاب المذموم الذي يصلح بين الناس بل هذا محسن.

ويأتي في الحفاظ على حقوق المدعو، ترك ماينفر المدعو من الأوصاف أو الألقاب ومباشرة مايشعره بالرضا، وفي المقدمة من ذلك اللعن للمعين، فهو حرام بإجماع المسلمين، وإنما يجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة، كلعن الظالمين والكافرين واليهود والنصارى والفاسقين والمصورين، وأما لعن إنسان بعينه ممن اتصف بشيء من المعاصي فقد أشار الغزالي رحمه الله إلى تحريمه إلا في حق من علمنا أنه مات على الكفر كأبي لهب وأبي جهل وفرعون وهامان وأشباههم، وأما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم، كقوله ﷺ : «اللهم العن بني لحيان ورعلا وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله»[٤]، وهذه ثلاث قبائل من العرب فيجوز أنه ﷺ علم موتهم على الكفر، ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر[٥].

ومن ذلك حفظ الود للمدعو قريباً كان أم بعيداً، كالجار، فحفظه من كمال الإيمان، ويحصل امتثال الوصية به بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه وتفقد حاله ومعاونته فيما يحتاج إليه إلى غير ذلك وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه حسية كانت أو معنوية، وقد نفى ﷺ الإيمان عمن لم يأمن جاره بوائقه، فعن أبي شريح أن النبيﷺ قال: «والله لايؤمن والله لايؤمن. قيل من يا رسول الله؟ قال: الذي لايأمن جاره بوائقه»[٦]، ويفترق الحال في ذلك بالنسبة للجار

---

(١) أخرجه مسلم، باب من فضائل ابراهيم الخليل عليه السلام، حديث (رقم ٢٣٧١)، ١٨٤٠/٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، مرجع سابق، ٥/٩.

(٣) أخرجه البخاري، باب ليس الكذب الذي يصلح بين الناس، حديث (رقم٢٥٤٦)، ٩٥٨/٢.

(٤) أخرجه مسلم، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة، حديث (رقم ٦٧٩)، ٤٧٠/١.

(٥) الكبائر، الذهبي، مرجع سابق، ص١٦٦.

(٦) أخرجه البخاري، باب إثم من لايأمن جاره بوائقه...، حديث (رقم ٥٦٧٠)، ٢٢٤٠/٥.

الصالح وغير الصالح والذي يشمل الجميع إرادة الخير له وموعظته بالحسنى والدعاء له بالهداية وترك الإضرار له إلا في الموضع الذي يجب فيه الاضرار له بالقول والفعل والذي يخص الصالح هو جميع ماتقدم وغير الصالح كفه عن الذي يرتكبه بالحسنى على حسب مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويعظ الكافر بعرض الإسلام عليه ويبين محاسنه والترغيب فيه برفق ويعظ الفاسق بما يناسبه بالرفق أيضاً ويستر عليه، وينهاه برفق فإن أفاد فبه وإلا فيهجره قاصداً تأديبه على ذلك مع إعلامه بالسبب ليكف[1].

وفيما يتعلق بحدود الحديث مع المدعو عن الشر لتحذيره منه وردعه عنه، قال حذيفة: «**كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني**»[2]، وذلك أن من لم يعرف إلا الخير قد يأتيه الشر ولا يعرف أنه شر فأما أن يقع فيه وأما أن لاينكره كما ينكره الذي عرفه ولهذا قال عمر بن الخطاب ﷺ إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية[3].

قال شيخ الإسلام وهو كما قال عمر فإن كمال الإسلام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتمام ذلك بالجهاد في سبيل الله ومن نشأ في المعروف فلم يعرف غيره فقد لايكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ماعند من علمه ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ماعند الخبير بهم ولهذا يوجد الخبير بالشر وأسبابه إذا كان حسن القصد عنده من الاحتراز عنه والجهاد لهم ماليس عند غيره ولهذا كان الصحابة أعظم إيماناً وجهاداً ممن بعدهم لكمال معرفتهم بالخير والشر وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر لما علموه من حسن حال الإيمان والعمل الصالح وقبح حال الكفر والمعاصي[4].

ويرد على ذلك، أيضاً عدم التلاعب بعواطف المدعو ومشاعره تحت ذريعة تحقيق الخير له، فلا يتم

---

(١) فتح الباريء، ابن حجر، مرجع سابق، ٤٤٢/١٠.

(٢) أخرجه البخاري، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، حديث (رقم٦٦٧٣)، ٢٥٩٥/٦.

(٣) الفوائد، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣هـ) ١٠٩/١. وانظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق، محمد حامد الفقي (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ) ٣٤٤/١.

(٤) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، مرجع سابق، ص ٩٠.

الترغيب أو الترهيب إلا وفق ماجاء في المنهج الدعوي السديد(١).

ومما يتم به ذلك ذكره بالخير دون تكلف ومبالغة، وتحديد مواضع الاتفاق والاختلاف معه، وتجنب الإطالة والإسهاب والإنشاء دون حاجة تتطلبها حال المدعو، والبعد عن الانفعال الذي يوتر المدعو وبقسد الاتصال معه ويقوت ثمرته(٢)، والتحديد الدقيق لواقع المدعو، مراعاة وضع الداعية وإمكاناته لكونه ليس ملاكاً ولا يوحى إليه.

وهذا يقتضي النظر للمدعو الكافر وغيره نظرتين، نظر رحمة يقتضي الجهر معهم والتعب في الدعوة، ونظرة إلى مالديهم من معاصي يقتضي بعضهم.. لكن لايصرفنا ذلك عن دعوتهم ومحبة الخير لهم كما فعل الرسول ﷺ مع من أرسل اليهم، ولذلك يجب أن نفرق بين محبة الكافر ومحبة الخير للكافر فالأولى لاتجوز والثانية واجبة لأنها هي الدعوة وهي مقتضى لها، ولذا فإن الهم الرئيس للداعية العمل على إنقاذ المدعو من النار.

ويجب كذلك عدم التطاول على المدعو خصوصاً إن كان من الفئات الدنيا كالرقيق والصناع، وقد جاءت كراهية التطاول على الرقيق، أي الترفع عليهم، والمراد مجاوزة الحد في ذلك(٣).

كما يدخل في حفظ حقوقه، الحرص على تقصي مايناسب كل مدعو، وهذا من أشكال المراعاة، التي تحفظ بهذا الضابط، ومن ذلك الحفاظ على ماللمدعو من اعتبار ومكانة، ويحصل ذلك بالثناء للفئة التي يقوم بدعوتها، وهذا ضابط للمراعاة لفئة ما تناسب حالهم الثناء عليهم والإشادة بمستواهم يجب أن لايكون ذلك الثناء عاماً لكل من شاركهم في مكانهم أو زمانهم أو غير ذلك من عوالم الاشتراك، إذ يجب أن يكون واضحاً في كلام الداعية لما نال أولئك من الثناء والإشادة حتى يكون ذلك سبباً لنوالها لكل من

---

(١) انظر ضوابط العمل الدعوي في مجالات الموعظة والمجادلة والحكم على الآخرين، أ د. حسين مجد خطاب، كلية أصول الدين، طنطا، ١٤١٧هـ، ص ٢٤.

(٢) انظر ضوابط العمل الدعوي في مجالات الموعظة والمجادلة والحكم على الآخرين، أ د. حسين مجد خطاب، كلية أصول الدين، طنطا، ١٤١٧هـ، ص ٦٩-٩١.

(٣) فتح البارئ، ابن حجر، مرجع سابق، ١٧٩/٥.

شاركهم فيها، ومن صور الثناء، إشارة النبي ﷺ بيده إلى اليمن، وهو يقول: «**الإيمان هاهنا**»[١] [٢].

وكذلك، إنزال الناس منازلهم وماهم من المقام المناسب، كوصف النبي ﷺ هرقل في كتابه إليه بأنه عظيم الروم [٣]، ولذلك أثره العظيم في نفس المخاطب، ومن ثم في موقفه، ويجب أن يعنى الداعية، بهذا الضابط ليفضي به مع سائر الضوابط الأخرى، إلى المراعاة المطلوبة، لأحوال المدعوين.

---

(١) أخرجه البخاري، ، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن...، حديث (رقم ١٥٩٣)، ١٥٩٣/٤.

(٢) الديباج على صحيح مسلم، أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، مرجع سابق، ٦٨/١.

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ١٠٨/١٢.

المبحث التاسع

تقصي دوافع الإقبال والإعراض لدى المدعو

إن معرفة الأمور التي تدفع بالمدعو إلى أخذ مواقفه من أهم الأمور التي تنبني عليها المراعة، وكلما كان الداعية حاذقاً في التماس ذلك لدى المدعو، كلما كانت مراعاته للمدعو في مكانها المثمر مع المدعو، مما يشار إليه في ذلك الاعتماد على الدلالة اللغوية للألفاظ والكلمات باعتبارها تفيد مايقع بالفعل، ويكون ذلك باعتبار استخدامها لدى المدعو، فعليه المعول في معرفة حال المدعو، وليس على ضوء استخدام الداعية.

وكذا منطلقات اتخاذ المواقف، كالحالة الذهنية للمدعو خالي الذهن، وشاك، والعدو، والظروف الخاصة التي تحدد الاستجابة والإعراض، كالخوف من الموت والهلاك والطمع،

والمعرفة بتلك الدوافع التي تدعو إلى الفعل أو الترك، من اللوازم التي ينبغي أن يستصحبها الداعية حتى تضبط إجراءه في مراعاته لأحوال المدعوين، وقد عُنى أهل العلم في استقصاء ذلك وحصره في كل مايعرض من سلوك الناس وتصرفاتهم، فقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- في كتاب الفوائد[1]: إن أصول المعاصي لدى الإنسان ثلاثة، وهي الظلم وأعلاه الشرك، والقوة الغضبية وأعلاها القتل، والشهوة وأعلاها الزنا، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا﴾[2].

ويدخل في ذلك أن لعملية المراعاة مؤثرات، يمكن القول أنها على نوعين، مؤثرات في تكوين واقع المدعو بحيث تلعب دورها في تشكيل هذا الواقع وتعديله والتأثير فيه، ومؤثرات في عملية الداعية نفسه أثناء مراعاته لهذا الواقع.

ومن الحصافة لدى الداعية، أن يقوم بتوظيف مالدى المدعو من النزعات والدوافع، ولاضير من إثارة مالدى المدعو من مواطن الإيجابية وتحفيزة لاتخاذ الموقف الذي يريده الداعية منه.

---

(١) وانظر أيضاً تفصيل ذلك في كتابه الآخر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٦٨.

ومن النماذج على هذا المنهج النبوي للدعوة، حين دعا النبي ﷺ بني شيبان بن ثعلبة وعرض عليهم نفسه في موسم الحج: قال لهم ﷺ: «**أدعوكم إلى شهادة أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأنّي رسول الله، وأن تؤووني وتنصروني حتى أؤدي عن الله الذي أمرني به، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد**» قال له مفروق بن عمرو الشيباني: وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ﴾ (1) إلى قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (2). فقال له مفروق: وإلى ماتدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فوالله ماهذا من كلام أهل الأرض، ولو كان من كلامهم لعرفناه، فتلا رسول الله ﷺ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (3)، فقال له مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك(4).

وكذلك يمكن أن يفاد في جانب دوافع المدعو، من الجدل الديني والتاريخي مع علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والجدل الديني، الذي حدث بين النبي ﷺ، وصحابته الأوائل، وبين أهل الكتاب من اليهود والنصارى، إبان الطور المكي من الدعوة الإسلامية؛ فلدينا عدة مناظرات: تم بعضها بأرض الحبشة، بين جعفر بن أبي طالب أمير مهاجري الحبشة وبين ملكها النجاشي أصحمة، وانتهت بإسلام النجاشي؛ وتم بعضها الآخر بمكة؛ بين النبي ﷺ ووفود نصارى الحبشة ونصارى نجران اليمن، الذين قدموا عليه بمكة في فجر الإسلام، للتأكد من دلائل نبوته وصفته ونعته ﷺ كما وردت في بشارة الإنجيل بمبعثه ﷺ ولسماع القرآن وانتهت بإسلام الوفدين، وكذا مناظرة جعفر بن أبي طالب، ابن عم النبي ﷺ، وأمير الصحابة المهاجرين إلى الحبشة في مستهل الطور المكي، للنجاشي أصحمة ملك الحبشة، لدعوته إلى

(١) سورة الأنعام، الآية١٥١.

(٢) سورة الأنعام، الآية١٥١.

(٣) سورة النحل، الآية٩٠.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، ١٣٩/٣، ١٤٠.

الإسلام، وإسلام النجاشي[1].

---

(١) انظر الحديث بطوله عن أم سلمه عند أحمد بن حنبل، المسند، ٣/١٨٠ – ١٨٥، (رقم ١٧٤٠)، وانظر السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ١/٣٣٤ – ٣٣٨.

المبحث العاشر

عدم المساس بأصول الدين وشريعته بحجة المراعاة

فلا يسوغ تقديم التنازلات في هذا الجانب للمدعو بحجة مراعاة أحواله، فالاهتمام بحال المدعو، لايعني إخضاع الشريعة لذلك، أو أن نقر النظرية التبريرية التي تسعى لتبرير الواقع السيئ، وتجعل له سنداً غير وجيه.

وقد جاء في هذا الشأن، عن كعب ابن علقمة أن غرفة بن الحارث الكندي، وكانت له صحبة من النبي ﷺ سمع نصرانياً شتم النبي ﷺ فضربه، فدق انفه فرفع ذلك إلى عمرو بن العاص، فقال له إنا قد أعطيناهم العهد، فقال له غرفة: معاذ الله أن نعطيهم العهد على أن يظهروا شتم النبي ﷺ، وإنما أعطيناهم العهد على أن نخلي بينهم وبين كنائسهم يعملون فيها مابدا لهم، وأن لانحملهم على مايطيقون وأن أرادهم عدو قاتلنا دونهم[1].

فالحرص على استجابة المدعو وقبوله لاتعني التنازل عن شيء من أحكام الدين أو أصوله، فليست هذه هي المراعاة.. بل يبين له الحق بكل مافيه.. فالرسول ﷺ في هذا المقام قبل بإسلام المغيرة بن شعبة ورحب به لكنه لم يقبل مامعه مما سلبه من رفقته الذين قتلهم وبين له ﷺ أن هذا من الغدر، وذلك أنه لما قدم على الرسول ﷺ مسلماً، قال له الرسول ﷺ: « الحمدلله الذي هداك للإسلام » فقال أبو بكر: أمن مصر أقبلتم؟ قلت: نعم. قال: فما فعل المالكيون الذين كانوا معك؟ قلت: كان بيني وبينهم بعض مايكون بين العرب ونحن على دين الشرك فقتلتهم، وأخذت أسلابهم وجئت بها إلى رسول الله ﷺ، ليخمسها أو يرى فيها رأيه، فإنما هي غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدق بمحمد ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «**أما إسلامك فقبلته، ولا آخذ من أموالهم شيئاً ولا أخمسه لأن هذا غدر، والغدر لاخير فيه**» قال: فأخذني ماقرب وما بعد، وقلت: يا رسول الله، إنما قتلتهم وأنا على دين قومي، ثم أسلمت حيث

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه، باب يشترط عليهم أن لايذكروا رسول الله ﷺ إلا بما هو أهله، حديث رقم ١٨٤٨٩، ٢٠٠/٩، وانظر الصارم المسلول على شاتم الرسول، شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ٣٨٦/٢.

دخلت عليك الساعة، قال: «**فإن الإسلام يجب ماكان قبله**»[1].

وفي مقابل ذلك فليس من المراعاة مايؤدي إلى ذل الداعية وإهانته ولمز مضمون الدعوة، قال ابن العربي: ذكر الله الانتصار في البغي في معرض المدح، وذكر العفو على الجرم في موضع آخر في معرض المدح، فاحتمل أن يكون أحدهما رافعا للآخر، واحتمل أن يكون ذلك راجعا إلى حالتين: إحداهما: أن يكون الباغي معلنا بالفجور وقحا في الجمهور مؤذياً للصغير والكبير فيكون الانتقام منه أفضل، وفي مثله قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فتجترئ عليهم الفساق. الثانية: أن تكون الفلتة أو يقع ذلك ممن يعترف بالزلة ويسأل المغفرة هاهنا أفضل[2].

كما أنه لامراعاة لحال المدعو على حساب مبادئ الدعوة وخصائصها، حيث يرد هنا للقرابة مراعاة خاصة إن لم تتعارض مع المصلحة الخاصة بغيرهم أو بمضمون الدعوة، وهذا من الضوابط المنهجية للمراعاة، حيث مراعاة القرابة مطلب مهم ضمن عمل الداعية لكنها إن تعارضت مع مراعاة لغيرهم أولى منها قُدم الأولى عليها، وهذا ماثل في تقديم الرسول ﷺ مراعاة أحوال أهل الصفة على مراعاته لحال ابنته فاطمة وزوجها علي رضي الله عنهما حين طلبا منه عليه السلام خادماً.

إن صلة المدعو بمن حوله من القرابة وغيرهم تقوم على عاطفة جياشة يصعب تجاهلها أثناء الخطاب معه، بل إن عدم الاهتمام بها مما يوغر صدره ويصرفه عن الداعية ودعوته.. وشواهد الاهتمام بذلك ماثلة في قصة موت أم الرسول ﷺ وما صاحبها من تأثره عليه السلام حين مر عليه السلام بقبرها، فعن ابن عباس دخل حديث بعضهم في حديث بعض قالوا كان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب فلما بلغ ست سنين خرجت به إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم به ومعه أم أيمن تحضنه وهم على بعيرين فنزلت به في دار النابغة فأقامت به عندهم شهرا فكان رسول الله ﷺ يذكر أمورا كانت في مقامه ذلك لما نظر إلى أطم بني عدي بن النجار عرفه وقال كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذا الأطم وكنت مع غلمان من أخوالي نطير طائرا كان يقع عليه ونظر إلى الدار فقال ههنا نزلت بي أمي وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله بن عبد المطلب وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون

---

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري، مرجع سابق، ترجمة المغيرة بن شعبة، ١٥/٢٨٤-٢٨٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٣٩/١٦.

اليه فقالت أم أيمن فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامه ثم رجعت به أمه إلى مكة فلما كانوا بالأبواء توفيت آمنة بنت وهب فقبرها هناك فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدموا عليهما مكة وكانت تحضنه مع أمه ثم بعد أن ماتت فلما مر رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية بالأبواء قال ان الله قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فأتاه رسول الله ﷺ فأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ فقيل له فقال أدركتني رحمتها فبكيت قال أخبرنا مالك بن إسماعيل النهدي أبو غسان أخبرنا شريك بن عبد الله عن سماك بن حرب عن القاسم قال أستأذن النبي ﷺ في زيارة قبر أمه فأذن له فسأل المغفرة لها فأبي عليه قال أخبرنا قبيصة بن عقبة أبو عامر السوائي أخبرنا سفيان بن سعيد الثوري عن علقمة بن مرثد عن بن بريدة عن أبيه قال لما فتح رسول الله ﷺ مكة أتى جذم قبر فجلس اليه وجلس الناس حوله فجعل كهيئة المخاطب ثم قام وهو يبكي فأستقبله عمر وكان من أجرا الناس عليه فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ماالذي أبكاك فقال هذا قبر أمي سألت ربي الزيارة فأذن لي وسألته الاستغفار فلم يأذن لي فذكرتها فرققت فبكيت فلم ير يوما كان أكثر باكيا من يومئذ قال بن سعد وهذا غلط وليس قبرها بمكة وقبرها بالأبواء(١).

ويرد ضمن ذلك تأمين المدعو والعفو عنه والتجاوز سبب في تأليفه وإسلامه، قال ابن سعد في ترجمة ثمامة بن أُثال الحنفي، ملك اليمامة: كان مَرَّ به رسول لرسول الله ﷺ ؛ فأراد ثمامة قتله، فمنعه عمّه من ذلك، فأهدر رسول الله ﷺ دم ثمامة. ثم خرج ثمامة بعد ذلك معتمراً؛ فلما قارب المدينة، أخذته رسل رسول الله ﷺ، بغير عهد ولا عقد؛ فأتوا به رسول الله ﷺ ؛ فقال: إن تُعاقِب تُعاقِب ذا ذنب، وإن تَعْفُ تَعْفُ عن شاكر؛ فعفا رسول الله ﷺ عن ذنبه، فأسلم؛ وأذن له رسول الله ﷺ في الخروج إلى مكة للعمرة، فخرج واعتمر، ثم انصرف؛ فضَيَّق على قريش فلم يدع حبّة تأتيهم من اليمامة(٢).

ومن القصص على المراعاة مع ذوي الجاه والولاية، أن النبي ﷺ قد كاتب الهرمزان ملك تستر ببلاد

---

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري، مرجع سابق، ١/١١٦.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال، ٩/١٤٩-١٥١. وانظر الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري، مرجع سابق ٥/٤٠١. وانظر السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ج٢/ فصل إسلام ثمامة بن أثال.

فارس وواليها من قبل كسرى ملك الفرس يدعوه إلى الإسلام، ولكن الهرمزان، لم يدخل في الإسلام، وظل على مجوسيته، حتى فتح المسلمون تستر إبان فتوحاتهم في بلاد فارس أيام خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، ووقع الهرمزان في أسر المسلمين، فأرسلوه إلى أمير المؤمنين عمر بالمدينة المنورة؛ فاستفخمه عمر، فدعاه إلى الإسلام، فأسلم الهرمزان، وفرض له الفاروق ﷺ في ديوان العطاء، هو ومن أسلم معه من جنود الفرس، في ألفين ألفين، وشهدوا مع المسلمين بقية فتوح فارس، ثم استوطن الهرمزان المدينة المنورة[١].

قلت: تمكين رسول قيصر من التأكد من وجود خاتم النبوة، ولاشك أن ذلك في ذلك مراعاة لنزعة المدعو إلى التوثق والاطمئنان حتى يحصل الاقتناع منه، وعلى الرغم من تقديم ذلك له وإعراضه عن الإسلام فقد تركه رسول الله ﷺ وضحك، ولعل ذلك من الإيغال في مراعاته لجلبه والتأثير فيه، كما أن مراعاة الرسول ﷺ وإكرامه لهم فيه، معاملتهم بما يجب أن يُعاملوا به فهذا مبدأ الإسلام مع الرسل، وإعطاؤهم صورة صادقة ومُؤثرة تكون سبباً في إسلامهم، وحمل الإسلام إلى أقوامهم.

---

(١) انظر تاريخ الرسل، الطبري، مرجع سابق، ٤/٨٦-٨٨، وكتاب الأموال، أبو عبيد، ص١٣٨، ١٣٩.

الباب الرابع

نتائج مراعاة أحوال المدعو في الدعوة إلى الله تعالى

وفيه فصلان:

الفصل الأول: فوائد مراعاة أحوال المدعو

الفصل الثاني: مضار التقصير في مراعاة أحوال المدعو

تمهيـد

يتلخص موضوع هذا الباب في بيان النتائج الحسنة والإيجابية التي تحصل للداعية أو للدعوة ومضمونها أو للمدعو حين يوفق الداعية إلى معرفة أحوال المدعو وتشخيص واقعه، ومن ثم القيام بمراعاة حاله وواقعه وظروفه أثناء قيامه بدعوته .

وكذا بيان النتائج السيئة والسلبية التي تلحق الداعية نفسه ومضمون الدعوة والمدعو، ويحصل ذلك حين يقوم الداعية بالاتصال بالمدعو وهو لايعرفه ولا يعرف أحواله، فيسلك معه في دعوته مسلكا يكون سببا في نفرته وعدم استجابته، إضافة إلى إساءته للدعوة ومضمونها..إلخ.

إذا كان من أهم النتائج الإيجابية للمراعاة استجابة المدعو وإقباله ..ومن أهم النتائج السلبية لعدم المراعاة إعراض المدعو وعدم استجابته للداعية .فإن هناك نتائج أخرى لاتقل أهمية عن ذلك تلحق الأطراف الأخرى للدعوة: كالداعية نفسه، ومضمون الدعوة، والمدعو..وهذا ما نجده بعون الله تعالى ضمن فصلي هذا الباب.

إن الداعية الحكيم لكي ينجح في دعوته، فلابد له أن يضع نصب عينيه مراعاة أحوال المدعوين على اختلاف أنواعهم، فهم ليسوا على وتيرة واحدة، بل يتفاوتون تفاوتاً عظيماً في كل الأحوال وفي جميع الجوانب، سواء في تفكيرهم وفي تركيبهم المزاجي وفي قدراتهم ومستوى عيشهم وحياتهم، وبناء على ذلك الاختلاف يرسم الداعية الناجح خطته في دعوة كل صنف بما يتلائم معه ويتناسب معه، وهذا هو هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته، فقد كان يراعي أحوال المدعوين ويخاطبهم على قدر عقولهم وإمكانياتهم، وكان ينزل الناس منازلهم فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أمرنا رسول الله × أن ننزل الناس منازلهم [1] . وقال عليٌّ رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[2] .

وليكن على بال الداعية الناجح أن الجهد الدعوي إذا أريد له النجاح وتحقيق أعظم المطالب لابد

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة (٦/١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا (رقم ١٢٧).

أن ينطلق من دراية ومعرفة دقيقة بأحوال المدعوين، فالمدعوون مختلفون، فمنهم من فيه بقايا من الخير، فهو يعمل به، فإذا عرضت عليه الدعوة سارع واعتنق. ومنهم من هو غافل أسلم قيادته لغيره، فهو يسير خلف من يقوده. فمن قاده إلى الخير انقاد له. ومن قاده إلى الشر انقاد له ، ليس عنده برهان لا دليل، فهو لا يحسن إلا التقليد، ومنهم من يسخر من الدين وأهله وينكر عالم الغيب. ومنهم من يقدر على التفكير وإعمال العقل فيما يعرض عليه، ولكنه يؤثر الكسل فيعطل قدراته وإمكانياته، فمن المدعوين من يسارع للاستجابة، ومنهم البطيء جدًّا، ومنهم من هو بين هذين الصنفين، فالتعامل مع هؤلاء يحتاج إلى علم تام بأحوالهم ومعرفة تامة بواقعهم وتوجهاتهم.

ويتبين من صنيع الإمام البخاري في تبويبه لصحيحه، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا. فهذا التخصيص يدل على أن الدعوة ليست على مستوى واحد لجميع الناس. فالعامة لها أسلوب يخصها في دعوتهم من عرض الدعوة بيسر وسهولة وبلا تعقيد ولا تعسير قد يصرفهم عن الدعوة، والمتعلمون المثقفون لهم أسلوب يتناسب معهم، فلا بد للداعية أن يراعي منزلتهم العلمية والثقافية، فيخاطبهم على قدر ما عندهم من علم وثقافة، وكذلك الأشراف والكبراء لهم أسلوبهم الذي يتناسب معهم في دعوتهم ومخاطبتهم، وكذلك أهل الكتاب من اليهود والنصارى لهم أسلوب يخصهم ويتناسب مع ما معهم من بقايا دينهم .

وكذلك المعاندون المجادلون الذين لا ينفع معهم إلا المجادلة بالتي هي أحسن، فلا بد من أجل نجاح العمل الدعوي أن يراعي الدعاة طبائع المدعوين واختلاف مداركهم وتباين مشاربهم .

إن الاهتمام بدراسة أحوال المدعوين وفهمه ضرورة ملحة وحتمية، فكم من داعية أهمل هذا الأمر، ولم يعطه حقه من الرعاية والعناية، فأخفق في عمله الدعوي، ولم يوفق في دعوته، وخسر خسارة فادحة.

إننا إذا دعونا إلى فهم واقع المدعوين ومراعاة أحوالهم إنما ندعوا إلى ضرورة شرعية وحاجة ملحة، لكي تنجح العملية الدعوية، فإن كثيراً من الأخطاء والانحرافات في حياة المسلمين إنما يرجع إلى عدم فهم واقع المسلمين وإلى عدم تقدير الظروف المحيطة بهم وعدم تقدير حجم العدو وعدم معرفة بأساليبهم العدائية.

إن على الداعية الحكيم أن يتعرف على أحوال المدعوين لكي يحسن نهجه وتخطيطه ووسائله لتجنب

كيد الأعداء ويحذر منهم ويدافع عن حمى الإسلام.

الفصل الأول

فوائد مراعاة أحوال المدعو

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: فوائد تتعلق بالداعية

المطلب الأول: اتساع أفق الداعية ونجاحه في عمله الدعوي

المطلب الثاني: تحققه بالحكمة

المبحث الثاني: فوائد تتعلق بموضوع الدعوة

المطلب الأول: ظهور العنصر الأخلاقي

المطلب الثاني: ترشيد جهد الداعية وتحقيق التكامل في البناء الدعوي

المطلب الثالث: بيان واقعية الدعوة

المبحث الثالث: فوائد تتعلق بالمدعو

المطلب الأول: تحقيق التلاحم بين المدعو والداعية

المطلب الثاني: التوظيف الأمثل لإمكانيات المدعو

المبحث الأول

فوائد تتعلق بالداعية

المطلب الأول

اتساع أفق الداعية ونجاحه في عمله الدعوي

لمراعاة أحوال المدعو أثناء دعوته فوائد وثمرات في الدنيا والآخرة، تعود على الداعية والمدعو والمضمون الدعوي، نجملها فيما يلي:

١ـ استمطار العون والمدد الرباني في معركتنا مع الباطل أو مع الجاهلية، ذلك أننا بحولنا وقوتنا أمام جحافل وجيوش ودعاية هؤلاء ضعفاء، ولكن بحول الله وقوته أقوياء، وقد جعل الله للإمداد بهذا العون وذلك المدد سنناً ونواميس لا تتخلف، وكان من بين هذه السنن وتلك النواميس الطاعة والاستقامة +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾"[(١)]. +وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ"[(٢)]. والدعوة هي رأس الطاعة والاستقامة، لأنها تتعدى النفع إلى الغير، وذلك دليل كمال الإيمان: "**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**"[(٣)] إذن فالحاجة إلى الدعوة ماسة وملحة حتى نظفر بتأييد الله وعونه ونصره.

٢. وتنبيه الغافلين وانتشال الغارقين من الناس ولا سيما المسلمين، فإن الإنسان خلق يوم خلق فطرة بيضاء نقية، لديها استعداد للخير واستعداد للشر +وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾" [(٤)]. والبيئة التي ينشأ فيها الإنسان أو التي تحيط به هي التي تساعد في صنعه على شاكلتها، فإن كانت خيرة كان خيراً، وإن كانت شريرة كان شريراً: "**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**"[(٥)] .

---

(١) سورة محمد، الآية ٧.

(٢) سورة الحج، الآية ٤٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (رقم ١٣) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير (رقم ٤٥)

(٤) سورة الشمس، الآيتان ٧، ٨.

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس (رقم ٤٨٣٣) والترمذي، كتاب الزهد (رقم ٢٣٧٨) وقال: هذا حديث حسن غريب. وأحمد (٢/ ٣٠٣، ٣٠٤) واللفظ له.

والناس اليوم ولا سيما المسلمون يعيشون في أجواء، كثر فيها السوء وسيطر عليها الشر، وساد فيها الفساد وانتشر ، الأمر الذي أدى إلى غفلة وسقوط كثيرين، وهؤلاء لهم علينا حق التذكير والعناية والرعاية، لعلهم يتوبون أو يذكرون، سيما وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن: كقلب واحد، يصرفه كيف يشاء، وما ندري فلعله يكون من بين هؤلاء من يكون سبباً في فتح ونصر قريبين للمسلمين، لقد كانوا يقولون عن عمر بن الخطاب: لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب. وهداه الله وأسلم، وكان إسلامه فتحاً وبركة ويمناً ونصراً للمسلمين، بل كان باب حماية لهم لم يكسر ولم يلج منه العدو إلا بعد موته.

٣ـ وإقامة الحجة على المصرين والمعاندين، فإن نفراً من الناس في فطرتهم عوج والتواء وإصرار وعناد، وأمثال هؤلاء لا يفيقون إلا في وقت الشدائد والمحن، وواجبنا نحوهم التذكير والإنذار والتخويف، حتى إذا نزلت الشدائد وكان العقاب لا يقولون : لو وجدنا من أرشدنا ودلنا على الطريق، لكنا أهدى الناس وأقومهم قيلاً. ومن ثم يتوجهون إلينا بالتأنيب والتوبيخ والعتاب ويحاجون الله، وله سبحانه الحجة البالغة، ولذا قال عن حكمة بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكتاب: +يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩ " [(١)].

وقال عن حكمة إرسال الرسل عموماً : +رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ" [(٢)].

وإلى هذه الفائدة الثانية والثالثة أشار رب العزة في كتابه قائلاً: +وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤" [(٣)].

٤. وتكوين الرأي العام السليم الحر الذي له دور كبير في حراسة وحماية آداب الأمة وفضائلها وأخلاقها وحقوقها، وبناء شخصية وسلطان لها، وهو أقوى من القوة وأنفذ من القانون، بل والضغط على هذه الجاهلية أو على هذا الباطل حتى يسلم أو يزول، أو على الأقل يحجم دواعي الشر والإثم فيه، فيعمل لهذا الرأي – قبل أن يقدم على أي خطوة تطاول أو هدم – ألف حساب وحساب +وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ

---

(١) سورة المائدة، الآية ١٩

(٢) سورة النساء، الآية ١٦٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٦٤.

صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا" [1].

٥. وإننا بالدعوة يحسن سلوكنا وتستقيم أخلاقنا ، فنؤثر في عامة الناس من ناحية ونستمطر عون إخواننا العاملين معنا على الطريق من ناحية أخرى، فإن تأثير السلوك الحسن والخلق القويم أوقع وأفعل في النفس من تأثير آلاف الخطب والمواعظ.

ولعل هذا هو المراد من قوله سبحانه وتعالى: +وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾" [2].

٦. وإننا بالدعوة نفوز غداً بالجنة والرضوان +وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ" [3].

٧. وإننا بالدعوة ننجو من العقاب في الدنيا والآخرة، أو في الآخرة فقط، فإن التقصير في القيام بواجب الدعوة يؤدي إلى انتشار الشر والفساد، الذي يأتي على الأخضر واليابس، ولا يسلم منه أحد، ويكون سبباً في العقاب، والنهوض بهذا الواجب يكون سبباً في النجاة على حد قوله تعالى : +فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾" [4]. وعلى حد قوله صلى الله عليه وسلم في حديثه لعائشة: «**يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم**» قالت: قلت: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟! قال : «**يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم**»[5]

(**١**) سورة الحج، الآية ٤٠.

(**٢**) سورة فصلت، الآية ٣٤.

(**٣**) سورة التوبة، الآيتان ٧١، ٧٢.

(**٤**) سورة الأعراف، الآية ١٦٥.

(**٥**) أخرجه البخاري ، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق (رقم ٢١١٨)، ومسلم ، كتاب الفتن ، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت (رقم ٢٨٨٤) بمعناه.

وقد ضرب صلى الله عليه وسلم مثلاً لهذه الفائدة في قوله : « **مثل القائم على حدود الله والواقع فيها: كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا. فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً**»[(١)] .

٨- وإن الدعوة هي أساس بناء الشخصية المسلمة الجامعة لكل خصال الخير والمتأبية على كل خصال الشر، والمستأهلة لعون الله وتأييده ونصره، وبمعنى آخر: الشخصية المسلمة التي يساوي فيها الواحد أمة من البشر، أو الشخصية المسلمة القرآنية التي شعارها في هذه الحياة +قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ" [(٢)]. والتي هي ستار لتنفيذ قدر الله في الأرض، إذ بالدعوة يكون التبصير بالعيوب فيسهل العلاج، ويكون الانتشال من الوهدة إلى القاع لذوي الهمم الفاترة والعزائم الضعيفة والإرادات النازلة وتكون الخبرات والتجارب، ويكون القضاء على الفراغ، ومقاومة الفتور واليأس والقنوط، ويكون تفجير الطاقات وبعث القوى والإمكانات والصبر والتحمل .. الخ.

٩- وإن الدعوة هي طريق الوحدة بين المسلمين ، لأنها تثير في النفس الإحساس بمعاني الأخوة والتكامل والتعاون على البر والتقوى، واهتمام المسلمين بعضهم ببعض، وكلها معان تؤدي إلى الترابط والوحدة بين المسلمين، وبالجملة فإننا لا يمكن أن نمكن لمنهج الله في الأرض من جديد إلا بالدعوة ، إذ هي تساعد على إيجاد من يأتي بالنصر، بل من يحرس ويحافظ على هذا النصر، والإتيان بالنصر شاق، وحماية وحراسة هذا النصر أشق، على أن لنا في منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مكن لدين الله في الأرض أول مرة — الأسوة والقدوة +لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾"[(٣)]. حيث بدأ يجاهد بالدعوة والتربية، وأطال النفس في ذلك، حتى إذا استقامت النفوس وطهرت القلوب لم يحتج إلى أي لون من المجاهدة[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه (رقم ٢٤٩٣).

(٢) سورة الأنعام، الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٤) انظر: فقه الدعوة الفردية في المنهج الإسلامي، د/ السيد محمد نوح، دار الوفاء، القاهرة، ط٤ سنة ١٤١٦ ص ٢٥ — ٣٢.

ومن نتائج وفوائد مراعاة أحوال المدعو المتعلقة بأحوال الداعية أن يعلم واجبه في الدعوة إلى الله، ويعرف مكانته في قافلة الدعاة، ويحقق في نفسه الأهلية للدعوة إلى الله، التي عبر عنها القرآن الكريم بالبصيرة في قوله سبحانه وتعالى : +قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ"[1]. والبصيرة ما هي إلى معرفة وعلم وفقه وتأهل لحمل الأعباء.

ومن النتائج أيضا معرفة الداعية بطبائع المدعويين والحرص على هدايتهم وضمهم إلى القافلة السائرة نحو الهدف الكبير، وهو إقامة المجتمع المسلم، ومن ثم إقامة الدولة الإسلامية على منهاج النبوة.

وكذلك معرفة الداعية بأدوار الأمة الإسلامية ورصدها وتشخيصها ومعالجتها؛ لتأخذ الأمة الإسلامية مكانها ومكانتها الرائدة بين الأمم، كما كانت من قبل تدعو البشرية جمعاء إلى الخير والنور والهدى.

وكذلك التعرف على التيارات المعادية والمذاهب الهدامة لمقابلة هذه التيارات بما يبطل أثرها، ويحول دون تحقيقه أهدافها.

وكذلك من النتائج والفوائد التي تعود على الداعية، وهو في مجال دعوته التعرف الجيد على أهداف الدعوة إلى الله وأساليبها ووسائلها ومراحلها وأهدافها وطبيعة العمل فيها والأولويات في هذا العمل.

وهذا كله يفتح المجال أمام الداعي، ليزداد بصيرة وفقهاً ودراية، بما هو عليه من حق وعمل صالح مبرور، فتثير في نفسه البشرى، وتبعث فيها الأمل، وتنشط عنده الرغبة في المشاركة في الدعوة إلى الله، وتفتح أمامه أبواباً من أبواب الخير، يزداد بها إيماناً ويقيناً، وهو في طريقه إلى الله والدار الآخرة.

إن مراعاة أحوال المدعو تقتضي من الداعية تحليه بجملة الصفات التي تعينه على هذه المراعاة وتأديتها في صورتها الصحيحة، ومنها صبر الداعية على هذه المراعاة وإطالته النفس في تحقيقها، ولاشك بأن من ثمار ذلك وفوائده تقوية عضد همة الداعية وعزيمته في الدعوة إلى الله ﷻ لما ينزرع به لدى الداعية من إيمان بالله، وشعور بما يناله بذلك من أجر ومثوبة، ونجاح - مع المدعو - فيما بذله من جهد في دعوته، قال الله تعالى: +بَلَىٰٓۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ

---

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ"[1]، وفي ذلك قال الرسول ﷺ من حديث ابن عباس رضي الله عنه: «**النصر مع الصبر**..»[2].

كما أن الحرص عليه والتواصي به ينيل الداعية أعلى درجات التماسك، ويقوي مكامن الضعف التي قد تعتريه من وقت إلى آخر، فيدرأ ذلك عنه -بتوفيق الله- أشكال التخاذل ومظاهر الانهزام.

ومن نتائج وفوائد المراعاة لأحوال المدعو: النظر في خصائص ومزايا بعض المناهج والأساليب والوسائل الدعوية، حيث إن تلك المزايا هي في حقيقة الأمر ناتجة عن طبيعة هذه المناهج، فإذا قلنا: إن من خصائص مراعاة أحوال المدعوين كذا وكذا. فهي من نتائجها وفوائدها وثمارها، وفي هذا السياق فإن من سمات وخصائص «نتائج وثمار» المنهج العاطفي على سبيل المثال ما يلي:

- لطف أسلوبه ولين قوله وتعدد أشكاله.

- سرعة تأثر المدعوين به واستجابتهم لمن يحسن استخدامه.

- تخفيف وطأة العدو أو المخالف ودفع أذاه.

- سرعة التحول في آثاره تبعاً لتحول العواطف والمشاعر.

- سعة دائرة استعماله، لأن الطابع العاطفي في الناس أغلب من غيره.

ويجب أن نضع في الاعتبار أن كل منهج يسلكه الداعية ليتلمس به مكامن التأثير في المدعوين، يعد -في حقيقة الأمر- ضرب من ضروب مراعاة أحوال المدعوين، وعليه فإنه يمكن النظر في ضوء ذلك في نتائج وثمار وخصائص هذه المناهج على أنها فوائد لمراعاة أحوال المدعوين.

- كذلك فإن أوجه الاستفادة من مراعاة الأحوال تظهر في أكثر من ناحية، منها النظر فيها للاقتباس عند الإجراءات الدعوية الجديدة، فنعرف أن هذا الإجراء هو الفعال مع المدعو لكونه ثبت بالتجربة، فيكون ذلك نبراساً للدعاة يضيء لهم الطريق ويعرفهم المنهج، ويحسم الأمر لهم ويبعدهم عن

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان ١٢٥، ١٢٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٠٧/١، والحاكم في المستدرك ٥٤٢/٣، والطبراني في الكبير ١٢٣/١١ (رقم ١١٢٤٣) وابن عدي في الكامل ٦/٧ رقم (١٩٨٩) وأبي نعيم في الحلية ٣١٤/١. وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند الإمام أحمد (١٩/٥ رقم ٢٨٠٣).

طريق التردد والحيرة.

– من النتائج الإيجابية: سرعة استجابة المدعو لما يدعى إليه، ومنها حماية الداعية والتمكين له ولدعوته بما يستقر عنه في نفوس الناس بسبب هذه المراعاة، ودعمه مادياً ومعنوياً.

قال الله تعالى: +ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ"(١).

ومن نتائج المراعاة ما يلقى في روع الداعية بهذه الآية الكريمة من التطمين بالسلامة من التبعات، المترتبة على عدم استجابة المدعو، حتى النتائج النفسية القائمة على عاطفة حب الخير للمدعوين والحزن على عدم هدايتهم.

إن إخلاص الداعية في عمله مع المدعو إشعار له بمحبته وحرصه على منفعته.. وبتحققه من ذلك تتحقق لحاله في هذا الجانب المراعاة اللازمة حين الاتصال به، فيحصل بذلك الفوائد المرجوة لتلك المراعاة:

– الإخلاص أساس كل خير ونجاح +وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ" أي ليخلصوا ويوحدوا الله سبحانه اختار الله القلوب، ولم يختر سوى ذلك من الجسد أو الأحساب

فالداعية لله سبحانه المخلص في قوله، وعليه يحظى بالقبول، ويشرح له الصدور. وأصبحت كلماته ومواعظه وأوامره محل استجابة، وهي كالغيث للقلوب.. قال الحسن البصري: لا يزال الرجل بخير إذا قال قال لله، وإذا عمل عمل لله.. وقال بعض السلف: كم من عمل قليل كثرته النية، قال الله تعالى: +۞أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ﴿١١﴾" ، والإخلاص سبب للتوفيق +إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا" +وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا".

ولما أخلص الأئمة والسلف جعل الله الخير في مواعظهم ودعوتهم وكانوا مؤثرين.

---

(١) سورة النحل، الآيات: من ١٢٥ إلى ١٢٨.

والقائم بالدعوة والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر مرحوم برحمة الله سبحانه +وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ".

ولذا فلما أقام الإنسان حجة الله على عباده أصابته الرحمة، وأودع الله في قلبه الثبات واليقين والطمأنينة، وكان الله له معيناً وظهيراً.

ومما يناله الداعي تيسير عمله، وتسديده فيه، وتحقيق القبول له بين الناس والمحبة والمكانة، قال الرسول ﷺ «**إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه.. قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه. فيحبه أهل السماء قال: ثم يوضع له القبول في الأرض....**»[(١)].

ولهذا كان بعض العلماء يقول: إجماعهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة، وكان عمر ابن عبد العزيز يقول: ما يسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالا، وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا، ورجل بقول هذا. كان في الأمر سعة، وكذلك قال غير واحد من الأئمة: ليس للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه.

ولهذا قال العلماء المصنفون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصحاب الشافعي وغيره: إن مثل هذه المسائل الاجتهادية لا تنكر باليد، وليس لأحد أن يلزم الناس باتباعه فيها، ولكن يتكلم فيها بالحجج العلمية، فمن تبين له صحة أحد القولين تبعه، ومن قلد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه[(٢)].

قوله تعالى +وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ" يدل على وجوب استعمال اللين والرفق وترك الفظاظة والغلظة في الدعاء إلى الله تعالى، كما قال تعالى +ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ" وقال تعالى لموسى وهارون +فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾" قوله تعالى +وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ " اختلف الناس في معنى أمر الله تعالى إياه بالمشاورة مع استغنائه

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده (رقم ٢٦٣٧).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ابن تيمية، مرجع سابق،، ٨٠/٣٠.

بالوحي عن تعرف صواب الرأي من الصحابة. فقال قتادة والربيع بن أنس ومحمد بن إسحاق: إنما أمره بها تطييبا لنفوسهم، ورفعا من أقدارهم، إذ كانوا ممن يوثق بقوله ويرجع إلى رأيه. قال سفيان بن عيينة: أمره بالمشاورة لتقتدي به أمته فيها، ولا تراها منقصة، كما مدحهم الله تعالى بأن أمرهم شورى بينهم. وقال الحسن والضحاك: جمع لهم بذلك الأمرين جميعاً في المشاورة، ليكون لإجلال الصحابة، ولتقتدي الأمة به في المشاورة. وقال بعض أهل العلم: إنما أمره بالمشاورة فيما لم ينص له فيه على شيء بعينه(١).

إن الداعي الحكيم عندما يراعي أحوال المدعو يكتسب ثماراً جليلة، وفوائد عظيمة: منها اتساع أفقه، وزيادة خبرته، وكثرة تجاربه، الأمر الذي يعود بالنفع والخير على الداعية في الدنيا برؤية ثمرة جهوده المباركة في طريق الدعوة، وانشراح صدره وإقرار عينه برؤية آثار نجاحه، وانتصاره على شياطين الجن والإنس.

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ، مرجع سابق، ٣٢٩/٢.

المطلب الثاني

تحققه بالحكمة

إن مقومات الداعية الناجح هي المعدلات التي تعدل الداعية وتقيم اعوجاجه، فتجعله مستقيماً معتدلاً حكيماً منضبطاً في كل أموره، ناجحاً في دعوته، وموفقا مسدداً ملهماً بإذن الله تعالى.

فالعلم من أعظم المقومات للداعية الناجح، وهو من أركان الحكمة، ولهذا أمر الله به، وأوجبه قبل القول والعمل، فقال تعالى: +فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ "[1].

وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله تعالى لهذه الآية بقوله : باب العلم قبل القول والعمل. وذلك أن الله أمر نبيه بأمرين بالعلم ثم العمل، والمبدوء به العلم في قوله تعالى : +فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ "، ثم أعقبه بالعمل في قوله: +وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ"، فدل ذلك على أن مرتبة العلم مقدمة على مرتبة العمل، وأن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به فهو مقدم عليهما، لأنه مصحح للنية المصححة للعمل.

ولا يكون الداعية إلى الله مستقيماً حكيماً إلا بالعلم الشرعي، وقد مدح الله عز وجل أهل العلم وبين فضلهم وأثنى عليهم، قال سبحانه: +قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ"[2]. +يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ "[3]. +إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ"[4]. وبين سبحانه أن العلم نور لحامله والعامل به في الدنيا والآخرة +أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ "[5].ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[6]

(**١**) سورة محمد، الآية ١٩.

(**٢**) سورة الزمر، الآية ٩.

(**٣**) سورة المجادلة، الآية ١١.

(**٤**) سورة فاطر، الآية ٢٨.

(**٥**) سورة الأنعام، الآية ١٢٢.

(**٦**) أخرجه البخاري ، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً (رقم٧١) ومسلم،كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة (رقم ١٠٣٧)

وهذا يدل على أهمية العلم للدعاة إلى الله تعالى، وأنه من أهم المهمات وأعظم الواجبات ، ليدعوا الناس على بصيرة.

والعلم الصحيح مرتكز على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله وعليه وسلم، لأن كل علم يتلقى من غيرهما يجب أن يعرض عليهما، فإن وافقه مافيهما قبل،وإن كان مخالفا وجب رده على قائله كائنا من كان[1] .

وقد بين القرآن الكريم طرق الدعوة إلى الله تعالى، ويأتي في مقدمة هذه الطرق: الحكمة في الدعوة إلى الله عز وجل وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة، فقال: +ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ"[2]. ومن تتبع سيرة النبي صلى الله عليه وجد أنه كان يلازم الحكمة في جميع أموره وخاصة في دعوته إلى الله عز وجل، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجاً بفضل الله تعالى ثم بفضل هذا النبي الحكيم صلى الله عليه وسلم، الذي ملأ الله قلبه بالإيمان والحكمة، وهذا يثبت أن الحكمة من أعظم الأمور الأساسية في منهج الدعوة إلى الله تعالى، حيث امتلأ بها صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صاحب الدعوة مع الإيمان.

كل هذا يؤكد أن الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى أمرها عظيم وشأنها كبير، وقد قال تعالى : +وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ" [3].

ومن الناس من يظن أو يعتقد أن الحكمة تقتصر على الكلام اللين والرفق والعفو والحلم فحسب، وهذا نقص وقصور ظاهر لمفهوم الحكمة ، فإن الحكمة قد تكون:

باستخدام الرفق واللين والحلم والعفو مع بيان الحق علماً وعملاً واعتقاداً بالأدلة.

وتارة تكون الحكمة باستخدام الموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل .

وتارة تكون الحكمة باستخدام الجدال بالتي هي أحسن ، بحسن خلق ولطف ولين كلام ودعوة إلى الحق وتحسينه بالأدلة العقلية والنقلية ورد الباطل بأقرب طريق وأنسب عبارة.

---

(1) انظر: مقومات الداعية الناجح، د/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، سنة ١٤١٥ ص١٥، ١٧.

(2) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(3) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

وتارة تكون الحكمة باستخدام القوة بالكلام القوي وبالضرب والتأديب وإقامة الحدود لمن كان له قوة وسلطة مشروعة وبالجهاد في سبيل الله بالسيف والسنان تحت لواء ولي أمر المسلمين مع مراعاة الضوابط والشروط التي دل عليها الكتاب والسنة.

والحكمة تجعل الداعي إلى الله يقدر الأمور قدرها ، فلا يزهد في الدنيا والناس بحاجة إلى النشاط والجد والعمل، ولا يدعو إلى التبتل والانقطاع والمسلمون في حاجة إلى الدفاع عن عقيدتهم وبلادهم ، ولا يبدأ بتعليم الناس البيع والشراء وهم في مسيس الحاجة إلى تعلم الوضوء والصلاة.

والحكمة تجعل الداعية إلى الله يتأمل ويراعى أحوال المدعويين وظروفهم وأخلاقهم وطبائعهم والوسائل التي يؤتون من قبلها، والقدر الذي يبين لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع والتشويق في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، ويدعو إلى الله بالعلم لا بالجهل، ويبدأ بالمهم فالذي يليه، ويعلم العامة ما يحتاجونه بألفاظ وعبارات قريبة من أفهامهم ومستوياتهم ويخاطبهم على قدر عقولهم.

فالحكمة تجعل الداعية ينظر ببصيرة المؤمن، فيرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال، وبذلك ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب وتنشرح له صدورهم، ويرون فيه المنقذ الحريص على سعادتهم ورفاهيتهم وأمنهم واطمئنانهم، وهذا كله من الدعوة إلى الله بالحكمة التي هي الطريق الوحيد للنجاح (١)

وهكذا ينبغي أن يكون الداعية من تجاربه في الحياة ومعرفته بشؤون الناس ما يمكنه من اكتساب الحكمة وتحقيق قوله تعالى : +ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ " (٢).

فإذا سلك الداعية إلى الله مسلك السياسة الحكيمة في دعوته إلى الله تعالى فسيكون لذلك عظيم الأثر في نجاح دعوته واكتسابه الحكمة والوصول إلى الغاية المطلوبة بإذن الله تعالى.

والنبي صلى الله عليه وسلم هو أسوتنا وقدوتنا وإمام الدعاة إلى الله، وقد سلك هذا المسلك فنفع الله به العباد وأنقذهم به من الشرك إلى التوحيد ، وكان لسياسته الحكيمة عظيم النفع والأثر في نجاح دعوته وإنشاء دولته وقوة سلطانه ورفعة مقامه.

---

(١) مقومات الداعية الناجح د/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني (مرجع سابق) ص ٣٧ –٤١.

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٥.

فإذا قام الداعية بسلوك هذا المسلك بإخلاص وصدق عزيمة اكتسب من الحكمة في الدعوة إلى الله مكسباً عظيماً

وطرق السياسة الحكيمة في الدعوة إلى الله عز وجل كثيرة منها ما يأتي:

١- تحري أوقات الفراغ والنشاط والحاجة عند المدعوين حتى لا يملوا عن الاستماع، ويفوتهم من الإرشاد والتعليم النافع والنصائح الغالية الشيء الكثير. وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة كراهة السآمة عليهم ، فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا [(١)].

٢- ترك الأمر الذي لا ضرر في تركه ولا إثم اتقاءً للفتنة ، فقد يجد الداعية قوماً استقر مجتمعهم على أشياء لا تخالف الشريعة ولكن فعل غيرها أفضل، فإذا علم الداعية أنه سيحصل فتنة إذا دعا إلى ترك هذا الأمر أو فعله فلا حرج ألا يدعو، فقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم هدم الكعبة وبناءها على قواعد إبراهيم صلى الله عليه وسلم اجتناباً لفتنة قوم كانوا حديثي عهد بجاهلية.

وهذا يدل على أن المصالح إذ تعارضت أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدئ بالأهم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم صلى الله عليه وسلم مصلحة ، ولكن تعارضها مفسدة أعظم منها، وهو خوف فتنة بعض من أسلم قريباً، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة فيرون تغييرها عظيماً، فتركها صلى الله عليه وسلم لدفع هذه المفسدة.

٣- تأليف القلوب بالمال والجاه أحياناً، فالداعية كالطبيب الذي يشخص المرض أولاً، ثم يعطي العلاج حسب نوع المرض فإذا علم الداعية أن المدعو لم يرسخ الإيمان في قلبه رسوخاً لا تزلزله الفتن فله أن يعطيه من المال ما يستطيعه للاحتفاظ بالبقاء على الهداية بالإسلام، وقد شرع الله للمؤلفة قلوبهم نصيباً من الزكاة.

٤- التأليف بالعفو في موضع الانتقام والإحسان في مكانة الإساءة وباللين في موضع المؤاخذة وبالصبر على الأذى، فكان يقابل الأذى بالصبر الجميل، ويقابل الحمق بالحلم والرفعة، ويقابل العجلة والطيش بالأناة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا (رقم ٦٨) ومسلم ،كتاب صفة القيامة ، باب الاقتصاد في الموعظة (رقم ٢٨٢١)

والتثبيت. وهذا من أعظم ما يجذب المدعوين إلى الإسلام والاستقامة والثبات، وبمثل هذه المعاملة الحسنة جمع النبي صلى الله عليه وسلم قلوب أصحابه حوله، فتفانوا في محبته والدفاع عنه وعن دعوته بمؤازرته ومناصرته.

٥- عدم مواجهة الداعية أحداً بعينه عندما يريد أن يؤدبه أو يزجره ما دام يجد في الموعظة العامة كفاية، وهذا من السياسة البالغة في منتهى الحكمة ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يسلك هذا الأسلوب الحكيم، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «**ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه، فيتنخع أمامه، أيحب أحدكم أن يستقبل فيتنخع في وجهه؟ فإذا تنخع أحدكم فليتنخع عن يساره تحت قدمه، فإن لم يجد فليفعل هكذا**"» ووصف القاسم فتفل في ثوبه، ثم مسح بعضه على بعضه[(١)].

وقال صلى الله عليه وسلم : «**ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة**»[(٢)].

وقال صلى الله عليه وسلم: « **ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، ولكن أصلي وأنام وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[(٣)].

وهذا يدل الداعية على أن من الحكمة عدم مواجهة الناس بالعتاب ستراً عليهم ورفقاً بهم وتلطفاً.

والداعية يستطيع أن يوجه العتاب عن طريق مخاطبة الجمهور، إذ كان المدعو المقصود بينهم ومن جملتهم، وهذا من أحكم الأساليب[(٤)].

والداعية يحتاج إلى فهم أساليب الدعوة ووسائل تبليغها، حتى يكون على قدر من الكفاءة، لتبليغ الدعوة إلى الله تعالى بإحكام وإتقان وبصيرة، وذلك كالتالي:

أساليب الدعوة هي العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ وإزالة العوائق عنه. والمصادر الأساسية التي يستمد الداعية ويتعلم أساليب دعوته الحكيمة منها هي:

كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان من أهل العلم والإيمان.

وتقوم أساليب الدعوة الحكيمة الناجحة المؤثرة على الأساليب الآتية:

---

(١) أخرجه مسلم ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن البصاق في المسجد (رقم ٥٥٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة (رقم ٧٥٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (رقم ٥٠٦٣) ، مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (رقم ١٤٠١).

(٤) انظر: مقومات الداعية الناجح د/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني مرجع سابق ص ٧٩ – ٨٣.

١- تشخيص وتحديد الداء في المدعوين ومعرفة الدواء، فالداعية إلى الله تعالى هو طبيب الأرواح والقلوب، فعليه أن يسلك هذا الأسلوب في معالجة الأرواح، والداء عند الناس قد يكون كفراً وقد يكون معصية ، فعلى الداعية أن يعطي الدواء على حسب الداء.

٢- إزالة الشبهات التي تمنع المدعوين من رؤية الداء والإحساس به.

٣- ترغيب المدعوين وتشويقهم إلى استعمال الدواء والاستجابة وقبول الحق والثبات عليه وترهيبهم من ترك الدواء بكل ما يخوف ويحذر من عدم الاستجابة أو عدم الثبات على الحق بعد قبوله.

٤- تعهد المستجيبين من المدعوين بالتربية والتعليم والتوجيه لتحصل لهم المناعة ضد دائهم القديم.

٥- تقوم جميع الأساليب على أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ثم استخدام القوة للمعاندين الظالمين.

ولاشك أن وسائل الدعوة على نوعين:

الأول: وسائل خارجية تتعلق باتخاذ الأسباب لتهيئة المجال المناسب، ومنها على سبيل المثال ما يأتي :

أ . الحذر المبني على التوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب، ومعلوم أن الحذر أنواع من جهة ما يحذره الداعي المسلم، فهناك : حذره من الوقوع في المعاصي، والحذر من الأهل والولد، والحذر من اتباع الهوى والحذر من المنافقين والكفار.

ب . الاستعانة بعد الله تعالى بالغير في تبليغ الدعوة ، فالداعية يحرص على إيصال الدعوة إلى الناس، فيستعين بكل وسيلة مشروعة لتحقيق ما يحرص عليه.

ج- المحافظة على النظام المشروع: كحفظ الداعية تنظيم وقته وعدم إضاعته

الثاني : وسائل تبليغ الدعوة بصورة مباشرة:

ومن هذه الوسائل ما يأتي :

أ- التبليغ بالقول :

القول في مجال التبليغ أنواع متعددة، منها : الخطبة والدرس والمحاضرة والندوة والمناقشة والجدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والكلمة الموعظية والدعوة الفردية والنصية الأخوية والفتوى الشرعية والكتابة: كالرسالة والمقال والكتاب والنشرة.

والداعية يستعين في تبليغ دعوته بجميع الوسائل المختلفة المشروعة المفيدة ، ووسيلة التبليغ بالقول تبلغ عن طريق الوسائل الآتية:

١- اللقاءات العامة: كإقامة المحاضرات والندوات والمناقشات والدروس في المساجد والجامعات والمعاهد والمؤتمرات.

٢- اللقاءات الخاصة كالدروس الخاصة بطلاب العلم.

٣- الدعوة الفردية بالنصيحة الأخوية والهدية الرمزية.

٤- الكتابة : الرسالة والمقال والكتاب والنشرة.

٥- وسائل الإعلام الحديثة: المسموعة والمرئية والمقروءة.

٦- الوسائل الشخصية: كالمسجلات وشرائط التسجيل والهاتف.

فينبغي للداعية الحكيم أن يستغل هذه الوسائل ويشغلها بالحق ، وعن طريقها تصل الدعوة إلى أقطار بعيدة وتعم أماكن كثيرة.

ب- التبليغ بالعمل:

وهو كل فعل يؤدي إلى إزالة المنكر ونصرة الحق وإظهاره، والتبليغ بالعمل كما يكون بإزالة المنكر يكون بإقامة المعروف: كبناء المساجد والجامعات والمعاهد والمدارس الإسلامية، وإقامة المكتبات وتزويدها بالكتب النافعة وبناء المستشفيات ودور الرعاية الاجتماعية وطبع الكتب الإسلامية وتوزيعها.

ج- التبليغ بالسيرة الحسنة:

من وسائل التبليغ المهمة في تبليغ الدعوة إلى الله وجذب الناس إلى الإسلام التبليغ بالسيرة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الكريمة والتزامه بالإسلام ظاهراً وباطناً مما يجعله قدوة طيبة وأسوة حسنة لغيره، لأن التأثير بالأفعال والسلوك أبلغ من التأثير بالكلام وحده[1].

ومن الحكمة على الداعي أن ترتيب الأولويات فيبدأ بالأقربين، فقد حث الله تعالى في كتابه الكريم على دعوة الأهل وخصهم بذلك في أكثر من موضع، فقال تعالى : +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾" [1].

---

(١) المرجع السابق، ص ٩٧ - ١٠٣

يقول ابن كثير: قال الضحاك ومقاتل: حق المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه.

وقال تعالى آمراً نبيه صلى الله عليه وسلم: +وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ" (٢). فأول واجبات الداعية أن يبدأ بدعوة أهله، وهذا ما فعله عليه الصلاة والسلام، فقد ابتدأ بعرض الدعوة على زوجته خديجة، فقص عليها ما رأى من بدء الوحي. وعرض دعوته على صديقه أبي بكر رضى الله عنه فآمن به وصدق رسالته دون تردد.وعرض دعوته على ابن عمه الغلام علي بن أبي طالب ومولاه، زيد بن حارثة فآمنا وصدقا، فكان لهؤلاء الأربعة السبق إلى الإسلام. والمقصود بيانه أنه صلى الله عليه وسلم ابتدأ بعرض الدعوة على أهله أولاً فدعا زوجته وصديقه وربيبه ومولاه ثم دعا الأقربين ممتثلاً قول الله عز وجل +وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾" (٣). فأمره تعالى بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه، ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداءة ثم من يليه، وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم، ذلك لأن الاهتمام بشأنهم أولى وهدايتهم إلى الحق أقدم فهم أحق الناس بالإحسان الديني والدنيوي.

وقدم ابن القيم رحمه الله مرتبة دعوة الأقربين، فجعلها بعد النبوة مما دل على أهمية البداءة بهم وتقديم دعوتهم على الآخرين.

ومن الحكمة على الداعي أن يتعرف على المدعوين،لأن المدعوين ليسوا سواء في ملكاتهم العقلية واستعداداتهم الفطرية ولا في أخلاقهم وطباعهم وتصوراتهم ولا في مكانتهم الاجتماعية. فمن الحكمة في التعرف على المدعوين إنزالهم منازلهم، وقد أشار ابن حجر إلى هذه الحكمة بقوله : قال ابن أبي جمرة في قوله : «**من القوم؟**» دليل على سؤال القاصد عن نفسه ليعرف فينزل منزلته.

ومن الحكمة في التعرف على المدعوين تطيب نفوسهم وإزالة الوحشة عنها، وذلك بالترحيب بهم وملاطفتهم والثناء عليهم في وجوههم إذا أمنت الفتنة. ويدل على هذه الحكمة قوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس : «**مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى**»(٤).

ومن الحكمة في التعرف على المدعو إتاحة الفرصة للداعية في معرفة خصائصه وعرفه وطبائعه طرق التأثير فيها وكيفية الوصول إلى إقناعها.

---

(١) سورة التحريم، الآية ٦.

(٢) سورة طه، الآية ١٣٢.

(٣) سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان (رقم ٥٣) ومسلم، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله(رقم١٧).

ومن الحكمة على الداعية أن يعتني بذوي المكانة وهم الكبراء والسادة الأشراف، وقد حث الله الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم لهذا الصنف على الرفق واللين والتلطف والتدرج في بيان الحق لهم، قال تعالى مخبراً عن موسى وهارون عليهما السلام: +ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾"[1]. فأمرهما الله بدعوة فرعون بكلام رقيق لين سهل ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع، ولما في ذلك من التأثير في الإجابة. ذلك أن الكلام الذي فيه شدة وخشونة بادىء ذي بدء من أعظم أسباب النفرة وعدم الاستجابة.

وبعد تعرفه صلى الله عليه وسلم على المدعوين كان يولي ذوي المكانة منهم عناية خاصة لمكانتهم في قومهم. فدل على عنايته صلى الله عليه وسلم بذوي المكانة والرياسة وتقديمهم في الدعوة والمخاطبة، ويشير ابن تيمية رحمه الله إلى نكتة في هذا الشأن، فيقول: وطالب الرياسة ولو بالباطل ترضيه الكلمة التي فيها تعظيم وإن كانت باطلاً، وتغضبه الكلمة التي فيها ذمه إن كانت حقاً.

ومما يدل على عنايته صلى الله عليه وسلم بهذا الصنف من المدعوين أنه كان يجزل العطاء لبعض ضعفاء الإيمان ممن لهم المكانة في أقوامهم، ويعلل ذلك بقوله: " إنه رأس قومه فأنا أتألفهم به. وهكذا فعل صلى الله عليه وسلم في حنين، وقد دانت له العرب ، فقد أجزل العطاء لذوي المكانة من الأشراف والسادة ترغيباً لهم ولأقوامهم في الإسلام، لما لهم من مكانة وسيادة تجعل أقوامهم تبعاً لهم.

ومن الحكمة على الداعي أن يهيئ النفوس لسماع الحق، فالحجة لا تقوم على المدعوين إلا بالسماع. إذن فلا ضير من إعطاء المشركين الفرصة لكي تتهيأ نفوسهم لسماع القرآن ومعرفة هذا الدين، وقد فعل صلى الله عليه وسلم ذلك فقدكان يهيء نفوس المشركين للسماع فحينما جاءه عتبة بن ربيعة لمعارضته صلى الله عليه وسلم هيأ نفسه للسماع أولاً بقوله: «**أقد فرغت يا أبا الوليد؟**» قال : نعم. فقال : «**فاسمع مني**» [2] . ولا يخفى على أحد ما في هذه الملاطفة والتكنية من تهيئة للنفس للسماع.

ومما كان يهيء به صلى الله عليه وسلم نفوس أصحابه للسماع والفهم أنه عليه الصلاة والسلام كان يبدؤهم بالسؤال أولاً، ثم يلقي عليهم المسألة، ليكون أوقع في النفس وأبلغ في فهم المتعلم. ومما كان يهيء

(**١**) سورة طه، الآيتان ٤٣، ٤٤.

(**٢**) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/٢٠٢-٢٠٣) وأبو نعيم في الدلائل (١/٢٣٠-٢٣١/ رقم ١٨٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٢٠): رواه أبو يعلى وفيه الأجلح الكندي وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات.

به صلى الله عليه وسلم النفوس للسماع الترحيب بالقادم والتلطف معه والثناء عليه، كما فعل صلى الله عليه وسلم مع وفد عبد القيس، حيث أثنى عليهم وأخبر أن هم خير أهل المشرق.

فدل ذلك على أن الاهتمام بالمدعو عن مدخل طبيعي إلى نفوسهم وله أثره في تلقي النفوس للحق وقبوله وبالتدرج في الدعوة تظهر أهمية مراعاة العوامل النفسية لدى المدعوين وبهذا الاهتمام وتلك المراعاة تتهيأ نفوسهم لسماع الحق ومن ثم قبوله.

وينبغي على الداعي الحكيم أن يتدرج في تهيئة نفوس المدعوين لقبول الحق. فإن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تصف هذا التدرج فتقول: " إنما نزل أول ما نزل منه ـ أي القرآن ـ سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر. لقالوا: لا ندع الخمر أبداً. ولو نزل لا تزنوا. لقالوا" لا ندع الزنا أبداً"[1].

ولا شك أن الحكمة في هذا التدرج الحكيم تهيئة النفوس للقبول. ويفهم من هذا أن عدم التدرج لا يؤدي إلى القبول ، بل يؤدي إلى النفرة غالباً، وقد أشار جماعة من العلماء إلى هذا بقولهم: " إن الله تبارك وتعالى لعظم حكمته في التشريع إذا أراد أن يشرع أمراً شاقاً على النفوس كان تشريعه له على سبيل التدرج ، لأن إلزامه بغتة في وقت واحد من غير تدرج فيه مشقة عظيمة على الذين كلفوا به.

فدل على أن التدرج يهيء النفوس للقبول والتلقي. والنفوس التي سمعت ولم تقبل كان صلى الله عليه وسلم يهيئها للقبول بشيء مما تحبه النفوس: كالعطاء أو غيره [2]

وبعد أن عرفت أخي الداعية خصائص هذه الدعوة وطبيعتها ومزاياها. وبعد أن اطلعت على عالمية هذه الدعوة ومهمتها ودورها في الإنقاذ والإصلاح والتغيير. وبعد أن علمت دور الأمة الإسلامية ـ وعلى رأسها الدعاة ـ في حمل الدعوة إلى الناس وتبليغ الرسالة إلى الدنيا.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن (رقم ٤٩٩٣).

(٢) انظر: التدرج في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، إبراهيم المطلق،، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض، ١٤١٧هـ) ص ١٠١ – ١٣٢.

وبعد أن استشعرت من قرارة وجدانك فضل الداعية العظيم في القرآن الكريم ومكانته المرموقة في السنة المطهرة. وبعد أن تراءت لك مواصفات الداعية في الإعداد الروحي والتربية النفسية. وبعد أن اقتنعت معي أن الداعية لا يؤثر ولا يعطي ولا يغير إلا بالروحانية المشرقة والأخلاقية الفاضلة والثقافة الشاملة.

وإذا أدركت أن هذا كله أمر لازم وضروري في مجال تكوين الداعية وإعداده، فعليك أن تدرك أن من اللازم والضروري أيضا تعريفه بالمراحل الدعوية التي يجب أن يسلكها وإرشاده إلى الكيفية التي عليه أن يتحقق بها إن أراد أن يكون من الدعاة المرموقين الذين لهم في مجال الدعوة ذكر وفي ميدان الإصلاح والتغيير أثر.

والداعية إلى الله حين يأخذ بأفضل المراحل في هداية البشر وأحسن الكيفيات في إصلاح الناس فإنه يصل في أغلب الأحيان إلى النتائج التالية:

* لا يذهب جهده سدى ولا يتبدل أمله يأسا.

* الاستجابة تكون له أعظم ، وتأثيره في الناس يكون أبلغ.

* يكون سيره في الدعوة عن تخطيط وتبليغه للرسالة عن موضوعية.

*يعطي لمن حوله الأسوة الحسنة والنموذج الحي في نجاح الدعوة وتوفيق الداعية.

* يُري الناس من عمله وجهاده أن دعوة الإسلام في امتداد وظواهر الضلال والفسوق في انحسار.

إذا كانت هذه ثمرات الدعوة ونتائج الداعية فسوف أضع بين يديك أخي المسلم المنهج الأفضل في بيان المراحل التي على الدعاة أن يسلوكها إذا أقاموا في بلد أوحلوا في بيئة أو دعوا فرداً أو أصلحوا أمة [١].

وما قيل في طبقات المدعوين وطبائع النفوس وملاحظة المناسبات يقابله نظر آخر في المدعو إليه فلا شك أن الحكمة تقتضي النظر في متدرجات أمور الدعوة لأخذ الناس بالأول فالأول، فقضايا العقيدة وأصول الملة والديانة تأتي في المقام الأول، فهي إن لم تصح في العبد فلن يجدي فيه الصنيع الحسن والعمل

---

(١) انظر: كيف يدعو الداعية، عبد الله ناصح علوان، مرجع سابق، ص ٥ -٧.

الطيب +قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ "[(١)].

ففي الدعوة كليات وجزئيات وواجبات ومستحبات ومحرمات ومكروهات وقضايا كبرى وصغري ، كل يجب أن تعرف مواقعها وتوضع في مواضعها.

وأظن أن الأمر أوضح من أن يبسط القول فيه، وخذوا دليلاً: منهاج مندوب الدعوة ومبعوثها إلى اليمن معاذ بن جبل رضى الله عنه وقد رسم له الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المنهج حين قال له : **(إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)**[(٢)][(٣)].

لاريب أن هناك آثاراً حسنة وطيبة تعود على الداعية أثناء وبعد تأدية واجبه نحو دينه وربه ألا وهو انشراح صدره وفرحه وسروره؛ لأن المؤمن هو الذي يفرح إذا قام بأداء العبادات وأدى الطاعات. وهذا الفرح والسرور يزود الداعية بوقود يزيده قوة ونشاطاً لمواصلة عمله الدعوي.

كما أن الداعية عندما يرى ثمرة جهوده بإسلام أحد الكافرين أو طاعة أحد العاصين فإنه يفرح لذلك فرحاً عظيماً. ويرى أنه انتصر على عدوه الشيطان في معركته مع الباطل وذلك يدفعه إلى الإمام ليواصل نجاحاته الدعوية.

كما أن من الآثار الطيبة التي تعود على الداعية حصوله على الأجر العظيم الذي لا ينقطع بفضل الله عز وجل وإن مات الداعية، فإن المدعوين الذين كان الداعية سبباً في إسلامهم وهدايتهم يكونون في ميزان أعماله من غير أن ينقص من أعمالهم شيء، وهذا أيضاً يعطي الداعية قوة في مواصلة عمله الدعوي

---

(١) سورة الكهف، الآيات ١٠٣-١٠٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس (رقم ١٤٥٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (رقم ١٩١).

(٣) مفهوم الحكمة في الدعوة، الدكتور/ صالح بن عبد الله بن حميد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية ص٣٣ . ٣٤.

وتحقيق أعظم النتائج، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً »** [1]

وهذا الأمر هو الذي يهون على الداعية المشاق والمصاعب، فعندما يعلم الداعية ويوقن أن أعمال المدعوين الطيبة تحسب له في ميزاته بعد موته يخفف عنه وطأة المشقة والنصب والتعب الذي يلحق الداعية في عمله، ويجعله يحرص أشد الحرص على هداية الناس فيبذل جهده في دعوته وعمله الدعوي، وبذلك يكون الداعية تحقق بالحكمة العظيمة التي يحرص عليها كل داعية حريص على الخير والهدى والصلاح له ولمن حوله من المدعوين.

(**١**) أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (رقم ٢٦٧٤).

المبحث الثاني

فوائد تتعلق بموضوع الدعوة

المطلب الأول

ظهور العنصر الأخلاقي

من أهم الفوائد التي تعود على مضمون الدعوة في حالة مراعاة الداعية لأحوال المدعوين، هي علو كلمة الله عز وجل وانتشار الحق والخير بين الناس وظهور العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن المستقيم، وكل دواعي الخير والعدل والرحمة والعناصر الأخلاقية، التي لها علاقة بعمل الداعية: كالصبر والحلم والرفق والأناة وغيرها من الأخلاق الإسلامية العظيمة

فالصبر هو منع النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن التشويش: كلطم الخدود وشق الجيوب ونحوها.

وهو خلق فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها. وهذه القوة تمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشاق والآلام.

والصبر في الدعوة إلى الله تعالى من أهم المهمات ومن أعظم الواجبات، ولهذا أمر الله به إمام الدعاة وقدوتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: +وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ " [1].

فالله عز وجل قد أوضح للناس أنه لابد من الابتلاء والاختبار والامتحان لعباده وخاصة الدعاة إلى الله تعالى، ليظهر الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق والصابر من غيره، وهذه سنة الله في خلقه، قال

---

(1) سورة النحل، الآية ١٢٧.

سبحانه + ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾" [1].

قال عليه الصلاة والسلام: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه.. »[2].

وتبرز أهمية الصبر في الدعوة إلى الله عز وجل في عدة أمور منها:

١- أن الابتلاء للدعاة إلى الله لابد منه، فلو سلم أحد من الأذى لسلم رسل الله عليهم الصلاة والسلام، فقد أوذوا فصبروا وجاهدوا حتى نصرهم الله على أعداء الدعوة.

٢- الصبر يحتاجه الداعية إلى الله في دعوته في ثلاثة أحوال:

أ- قبل الدعوة بتصحيح النية والإخلاص وتجنب دواعي الرياء والسمعة وعقد العزم على الوفاء بالواجب

ب- أثناء الدعوة فيلازم الصبر عن دواعي التقصير والتفريط ، ويلازم الصبر على استصحاب ذكر النية وعلى حضور القلب بين يدي الله تعالى فلا ينساه في أمره.

ج- وبعد الدعوة ، وذلك من وجوه:

* أن يصبر نفسه عن الإتيان بما يبطل عمله، فليس الشأن الإتيان بالطاعة، إنما الشأن في حفظها مما يبطلها.

* أن يصبر عن رؤيتها والعجب بها والتكبر والتعظم بها.

٣- الصبر في الدعوة إلى الله عز وجل بمثابة الرأس من الجسد ، فلا دعوة لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له. لذلك قال ابن القيم رحمه الله: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له ، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له.

---

(١) سورة العنكبوت، الآيات ١-٣

(٢) أخرجه البخاري، تعليقاً كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأول فالأول والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (رقم ٢٣٩٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (رقم ٤٠٢٣).واللفظ له

٤- الصبر في الدعوة إلى الله تعالى من أعظم أركان السعادة الأربعة، قال سبحانه: +وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ "

٥- الصبر من أعظم أركان الخلق الحسن الذي يحتاجه كل مسلم عامة وكل داعية إلى الله خاصة.

٦- الصبر من أهم المهمات ولهذا ذكره الله عز وجل في القرآن الكريم في نحو تسعين موضعاً.

٧- الصبر من أعظم القربات ومن أجل الهبات، وليس من شيء يجازي ويثاب عليه العبد بغير حساب سوى الصبر، قال عز وجل +إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾"[1].

٨- الصبر في مقام الدعوة إلى الله تعالى هو وصف الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وعليه مدار نجاح دعوتهم إلى الله.

٩- والداعية إلى الله عز وجل لا يكون قدوة في الخير مطلقاً إلا بالصبر والثبات عليه ،كما قال سبحانه في صفات عباد الرحمن: +وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا" [2]وهذه الإمامة في الدين لا تحصل قطعا إلا بالصبر، فقد جعل الله الإمامة في الدين موروثة بالصبر واليقين، +وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ " [3].

١٠- بالصبر ينتصر الداعية على عدوه مع الأخذ بالأسباب وتكون العاقبة لصاحبه +وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ"[4]. +إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾" [5].

١١- الصبر من أهم المهمات للداعية ، لأنه لا يكون داعية موفقا إلا إذا كان صابراً على دعوته وما يدعو إليه صابراً على ما يعترض دعوته من معارضات صابراً على ما يعترضه من أذى.

١٢- الصبر يشتمل على أكثر مكارم الأخلاق ، فيدخل فيه الحلم: فإنه صبر عن دواعي الانتقام عند الغضب. والأناة: صبر عن إجابة دواعي العجلة. والعفو والصفح: صبر عن إجابة دواعي الانتقام.

---

(١) سورة الزمر، الآية ١٠.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٧٤.

(٣) سورة السجدة، الآية ٢٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

(٥) سورة يوسف، الآية ٩٠.

والجود والكرم: صبر عن إجابة دواعي الإمساك. والكيس: صبر عن إجابة دواعي الكسل والخمول. والعدل: صبر إذا تعلق بالتسوية بين المتماثلين وسعة الصدر: صبر عن الضجر. والكتمان وحفظ السر: صبر عن إظهار مالا يحسن إظهاره. والشجاعة : صبر عن إجابة دواعي الفرار وهذا يدل على أهمية الصبر في الدعوة على الله تعالى، وأن الداعية لا يسعه أن يستغني عنه في جميع أحواله.

١٣- الصبر نصف الإيمان ، فالإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر، قال تعالى: +إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾" [١].

١٤- الصبر سبب حصول كل كمال فأكمل الخلق أصبرهم، لأن كمال الصبر بالعزيمة والثبات، فمن لم يكن له عزيمة فهو ناقص، ومن كان له عزيمة ولكن لاثبات له عليها فهو ناقص، فإذا انضم الثبات إلى العزيمة أثمر كل مقام شريف وحال كامل.

١٥- الصبر يجعل الداعية إلى الله عز وجل يضبط نفسه عن أمور لابد له من الابتعاد عنها، ومنها: ضبط النفس عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع والسأم والملل والعجلة والرعونة والغضب والطيش والخوف والطمع والأهواء والشهوات. وبالصبر يتمكن الداعية أن يضع الأشياء مواضعها، ويتصرف في الأمور بعقل واتزان.

١٦- الصبر ذو مقام كريم وخلق عظيم، ولهذا قرنه الله بالقيم العليا في الإسلام، ومن هذه القيم التي قرنه بها ما يأتي :

قرنه باليقين +وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾"[٢]. وربطه الله تعالى بالشكر في أربع سور +إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾"[٣]. وجمعه مع التوكل +الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ "[٤]. وقرنه مع الصلاة + اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ " [٥]. وقرنه بالتسبيح والاستغفار +وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ "[٦]. وجمعه مع الجهاد +ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٥.

(٢) سورة السجدة، الآية ٢٤.

(٣) سورة إبراهيم، الآية ٥.

(٤) سورة النحل، الآية ٤٢.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٥٣.

(٦) سورة الطور، الآية ٤٨.

جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾"[1]. وربطه بالتقوى +وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٨٦﴾"[2]. وربطه بالحق +وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾"[3]. وقرنه بالرحمة +وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ "[4].

١٧- رتب الله تعالى خيرات الدنيا والآخرة على الصبر، ومن ذلك:

معية الله مع الصابرين +إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ "[5]. ومحبة الله للصابرين +وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ "[6]. وصلوات الله ورحمته على الصابرين +وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ "[7]. وضمان النصر والمدد للصابرين +بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ "[8]. والحفظ من كيد الأعداء +إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ "[9]. واستحقاق دخول الجنة +أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ "[10].

وللصبر مجالات كثيرة في حياة الإنسان منها المجالات التالية:

١- ضبط النفس عن السأم والملل عند القيام بالأعمال التي تتطلب الصبر والمثابرة خلال مدة مناسبة، قد يراها المستعجل مدة طويلة.

---

(١) سورة النحل، الآية ١١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٦.

(٣) سورة العصر، الآية ٣.

(٤) سورة البلد، الآية ٧.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٥٣.

(٦) سورة آل عمران الآية ١٤٦.

(٧) سورة البقرة، الآيات ١٥٥-١٥٧.

(٨) سورة آل عمران، الآيتان ١٢٥، ١٢٦.

(٩) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

(١٠) سورة الفرقان، الآية ٧٥.

٢- ضبط النفس عن الضجر والجزع عند حلول المصائب والمكاره.

٣- ضبط النفس عن العجلة والرعونة عند تحقيقه مطلب من المطالب المادية أو المعنوية.

٤- ضبط النفس عند الغضب والطيش عند مثيرات عوامل الغضب في النفس ومحرضات الإرادة للاندفاع بطيش لا حكمة فيه ولا اتزان في القول أو في العمل.

٥- ضبط النفس عن الخوف عند مثيرات الخوف في النفس، حتى لا يجبه الإنسان في المواضع التي تحس فيها الشجاعة وتكون خيراً، ويقبح منها الجبن ويكون شراً.

٦- ضبط النفس عن الطمع عند مثيرات الطمع حتى لا يندفع الإنسان وراء الطمع في أمر يقبح الطمع فيه.

٧- ضبط النفس عن الاندفاع وراء أهوائها وشهواتها وغرائزها كلما كان هذا الاندفاع أمراً لا خير فيه.

٨- ضبط النفس لتحمل المتاعب والمشاق والآلام الجسدية والنفسية، كلما كان في هذا التحمل خير عاجل أو آجل.

وحين يتأمل المسلم في المجالات التي تحتاج إلى صبر في حياة الإنسان يتبين له أن الصبر ضرورة لكل عمل نافع: فكسب الرزق يحتاج إلى صبر، ومعاملة الناس تحتاج إلى صبر، والقيام بالواجبات والمستحبات يحتاج إلى صبر، والكف عن المحرمات والمكروهات يحتاج إلى صبر، والجهاد في سبيل الله يحتاج إلى صبر، ومقارعة شدائد الحياة وتحمل تكاليفها يحتاج إلى صبر . والدراسة والبحث العلمي والاجتهاد في استخراج الأحكام الشرعية من مصادرها الأصلية أمور تحتاج إلى صبر جميل ، فلا يقوم بها إلا كل صابر، وكظم الغيظ والدفع بالتي هي أحسن أمور تحتاج إلى حظ عظيم من خلق الصبر. والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتربية الأسرة المسلمة تربية إسلامية أمور تحتاج إلى صبر عظيم.

فتبين بذلك أن الإنسان لا يستغني عن الصبر في حال من أحواله، لأنه بين أمر يجب عليه تنفيذه ونهي يجب عليه اجتنابه وتركه.

فالصبر ضرورة لازمة للإنسان يبلغ آماله وتنجح مقاصده، فمن صبر ظفر، فكل الناجحين في الدنيا والآخرة إنما حققوا آمالهم بالله ثم بالصبر، ولله در أبا يعلى الموصلي القائل:

وإني رأيت في الأيام تجربة للصبر على عاقبة محمودة الأثر

وقل من جدّ في أمر يحاوله ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر [1]

أما الأناة فتأتي بمعنى التبين والتثبت في الأمور، يقال: تبين في الأمر والرأي: تثبت وتأنى فيه ولم يعجل. ويأتي التبين بمعنى التبصر والتعرف والتأمل، يقال: تبصر الشيء وتأمل في رأيه: تبين ما يأتيه من خير أو شر. وعلى ضوء ما تقدم تكون الأناة مظهر من مظاهر خلق الصبر، وهي من صفات أصحاب العقل والرزانة بخلاف العجلة، فإنها من صفات أصحاب الرعونة والطيش، وهي تدل على أن صاحبها لا يملك الإرادة القوية القادرة على ضبط نفسه تجاه انفعالاته العجولة وبخلاف التباطؤ والتواني فهما من صفات أصحاب الكسل والتهاون بالأمور، ويدلان على أن صاحبهما لا يملك القدرة على دفع همته للقيام بالأعمال التي تحقق له ما يرجوه أو ليس لديه همة عالية تنشد الكمال فهو يرضى بالدنيات إيثاراً للراحة وكسلاً عن القيام بالواجب.

والإناة عند الداعية إلى الله تعالى تسمح له بأن يحكم أموره ويضع الأشياء في مواضعها، فهي ركن من أركان الحكمة بخلاف العجلة فإنها تعرضه لكثير من الأخطاء والإخفاق والتعثر والارتباك، ثم تعرضه للتخلف من حيث يريد السبق، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، وبخلاف التباطؤ والكسل فهو أيضا يعرضه للتخلف والحرمان من تحقق النتائج التي يرجوها.

والداعية بل كل مسلم مطلوب منه أن يتخلق بخلق الإناة، ولكن ما يتطلب من الأمور عملاً سريعاً فالحكمة السرعة إذن بتنفيذه، وهي لا تخرج من الإناة، فالقضية نسبية وما يتطلب من الأمور عملاً بطيئاً فالحكمة البطء إذن وهو لا يخرج عن الإناة، لأن الأمر نسبي، وليس للإناة مقادير زمنية ثابتة، ولكنها تختلف باختلاف حاجة الأشياء إلى مقدار السرعة الزمنية التي تحتاجها وتستدعيها النتائج المطلوبة، فالأشياء مربوطة بأوقاتها والعجلة فيها مع معرفة أوقاتها المطلوبة خلق مذموم يدل على ضعف خلق الصبر ونقص الحكمة، والتباطؤ فيها حلق مذموم يدل على ضعف الهمة والإخلاد إلى الراحة والكسل. أما الأناة فليست تعجلا ومسابقة لأوقات الأشياء ولا تباطؤاً وكسلاً، وكل من العجلة والتباطؤ يضيعان على أصحابهما الجهد والزمن وما بذلوه، والإناة كفيلة بإذن الله تعالى بتحقيق المطلوب وتفادي الخسارة.

---

(١) انظر: مقومات الداعية الناجح، د/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مرجع سابق ص ١٨٥-١٩٩.

وقد ذم الإسلام الاستعجال ونهى عنه وذم التباطؤ والكسل ونهى عنه ومدح الأناة وأمر بها وعمل على تربية المسلمين على الأناة والتثبت الحكيم في القيام بالأعمال وتصريف الأمور.

وأمر سبحانه عباده المؤمنين والدعاة إلى الله تعالى بالتأني في الأمور والتثبت فيها +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ "[1]. والمراد من التبين التعرف والتفحص والأناة وعدم العجلة والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر.

والدعاة إلى الله أولى بامتثال أمر الله تعالى وبالتأني والتثبت من الأقوال والأفعال والاستيثاق من مصدرها قبل الحكم عليها أو لها، وعليه أن يتدبروا الأمور على مهل غير متعجلين لتظهر لهم جلية واضحة، لا غموض فيها ولا التباس.

والداعية إلى الله تعالى إذا أبصر العاقبة أمن الندامة، ولا يكون ذلك إلا إذا تدبر جميع الأمور التي تعرض له ويواجهها، فإذا كانت رشداً وحقًّا وصواباً فليمض، وإذا كانت غياً وضلالاً وظناً خاطئاً فليقف ولينته حتى يتضح له الحق.

ولعظم أمر الأناه والتبين أمر الله بها حتى في جهاد الكفار في سبيل الله الذي هو من أعظم وسائل الدعوة إلى الله تعالى، فقال سبحانه: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾"[2][3].

والحلم بالكسر هو العقل، وحلم حلما: تأنى وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة وقوة وصفح وعقل، وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب، وهو حالة متوسطة بين رذيلتين: الغضب والبلادة، فإذا استجاب المرء لغضبه بلا تعقل ولا تبصر كان على رذيلة، وإن تبلد وضيع حقه بالهضم والظلم كان على رذيلة، وإن تحلى بالحلم مع القدرة وكان حلمه مع من يستحقه كان على فضيلة.

(**١**) سورة الحجرات، الآية ٦.

(**٢**) سورة النساء، الآية ٩٤.

(**٣**) انظر: مقومات الداعية الناجح، المرجع السابق ١٤٧-١٥٠.

وهناك ارتباك بين الحلم وكظم الغيظ، وهو أن ابتداء التخلق بفضيلة الحلم يكون بالتحلم وهو كظم الغيظ، وهذا يحتاج إلى مجاهدة شديدة، لما في كظم الغيظ من كتمان ومقاومة واحتمال، فإذا أصبح ذلك هيئة راسخة في النفس وأصبح طبعا من طبائعها كان ذلك هو الحلم.

وقد وصف الله نفسه بصفة الحلم في عدة مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى: +وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾"[1].

ونلاحظ أن الآيات التي وصفت الله بصفة الحلم قد قرنت صفة الحلم في أغلب هذه الآيات بصفة المغفرة أو العفو، ويأتي هذا الاقتران في الغالب بعد إشارة سابقة إلى خطأ واقع أو تفريط في أمر محمود، وهذا أمر يتفق مع الحلم، لأنه تأخير عقوبة، قال سبحانه: +وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ"[2].

ونجد أيضا أن عددا من الآيات التي وصفت الله بالحلم قد قرن فيها ذكر الحلم بالعلم كقوله تعالى: +وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾" [3]. وهذا يفيد – والله أعلم بمراده–أن كمال الحلم يكون مع كمال العلم، وهذا من أعظم مقومات الداعية الناجح وهو أيضا من دعائم الحكمة، فلا يكون الداعية ناجحا حتى يكون حكيما، فالحكمة تقوم على ثلاثة أركان: العلم والحلم والإناة، وكل خلل في الداعية إلى الله فسببه الإخلال بالحكمة وأركانها، فأكمل الناس أكثرهم منها نصيباً وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال أقلهم منها ميراثاً، ومعاول هدم الحكمة الجهل والطيش والعجلة، فلا حكمة لجاهل وطائش ولا عجول.

ومما يؤكد أن الحلم من أعظم مقومات الداعية ومن أركان الحكمة التي ينبغي للداعية أن يدعو بها إلى الله تعالى مدح النبي ﷺ للحلم وتعظيمه لأمره، وأنه من الخصال التي يحبها الله عز وجل: قال ﷺ للأشج: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والإناة**»[4] وفي رواية قال الأشج: يا رسول الله، أنا

(**١**) سورة آل عمران، الآية ١٥٥.

(**٢**) سورة فاطر، الآية ٤٥.

(**٣**) سورة الحج، الآية ٥٩.

(**٤**) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله (رقم ١٧).

تخلقت بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: «**بل الله جبلك عليهما**» قال: الحمد الله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله [1].

ومما يؤكد أن الحلم من أعظم أركان الحكمة ودعائمهما العظام أنه خلق عظيم من أخلاق النبوة والرسالة، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم عظماء البشر وقدوة أتباعهم من الدعاة إلى الله والصالحين في الأخلاق المحمودة كافة، وقد واجه كل واحد منهم من قومه ما يثير الغضب ويغضب منه عظماء الرجال، ولكن حلموا عليهم ورفقوا بهم، ولانوا لهم حتى جاءهم نصر الله المؤزر، وعلى رأسهم إمامهم وسيدهم وخاتمهم محمد ﷺ ولم يكن غريبا أن يوجهه الله تعالى إلى قمة هذه السيادة، حين يقول له: +خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ " [2].

وهناك أسباب تجلب الحلم وتدعو إليه من حافظ عليها واجتهد في تحصيلها كان حليما بإذن الله تعالى، ومنها على سبيل المثال:

علاج الغضب بالأدوية المشروعة: بالوقاية وهي خير من العلاج، وتحصل الوقاية من الغضب قبل وقوعه باجتناب أسبابه واستئصالها قبل وقوعها، ومن هذه الأسباب التي ينبغي لكل مسلم أن يطهر نفسه منها: الكبر والإعجاب بالنفس والافتخار والحرص المذموم والمزاح في غير مناسبة أو الهزل وما شابه ذلك.

وكذلك الاستعاذة بالله من الشيطان، قال الله تعالى: +وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ " [3]. وبالوضوء فعن عطية السعدي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**»[4].

(**١**) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في قبلة الرجل (رقم ٥٢٢٥).

(**٢**) سورة الأعراف، الآيتان ١٩٩-٢٠٠.

(**٣**) سورة الأعراف، الآية ٢٠٠

(**٤**) أخرجة أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب (رقم ٤٧٨٤).

وكذلك بتغيير الحالة التي عليها الغضبان بالجلوس أو الخروج أو غير ذلك، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**»(١).

واستحضار ما ورد في فضل كظم الغيظ من الثواب وما ورد في عاقبة الغضب من الخذلان العاجل والآجل، فعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور ما شاء**»(٢).

ولتحصيل الحلم أسباب، فمن أراد أن يزداد حلمه وتعظم حكمته فليحرص على الأسباب التي تدعو إلى الحلم فليعمل بها وهي:

١- الرحمة بالجهال، فإنها من أوكد أسباب الحلم.

٢- القدرة على الانتصار، وذلك من سعة الصدر وحسن الثقة.

٣- الترفع عن السباب، وذلك من شرف النفس وعلو الهمة.

٤- الاستهانة بالمسيء.

إذا نطق السفيه فلا تجبه   فخير من إجابته السكوت

٥- الاستحياء من جزاء الجواب، وهذا من صيانة النفس وكمال المروءة.

٦- التفضل على الساب، وهذا من الكرم وحب التألف.

٧- قطع السباب، وهذا من الحزم كما قال الشاعر:

وفي الحلم ردع للسفيه عن الأذى   وفي الخرق إغراء فلا تك أخرقا

٨- الخوف من العقوبة على الجواب، وهذا مما يقتضيه الحزم، فقد قيل: الحلم حجاب الآفات.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب (رقم ٤٧٨٢) وابن حبان كما في الموارد (رقم ٤٨٤).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب من كظم غيظا (رقم ٤٧٧٧) والترمذي، كتاب صفة القيام (رقم ٢٤٩٣) وابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحلم (رقم ٤١٨٦) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

٩- الرعاية ليد سالفة وحرمة لازمة، وهذا من الوفاء وحسن العهد، قال الشاعر:

إن الوفاء على الكريم فريضة   واللؤم مقرون بذيء الإخلاق

١٠- المكر وتوقع الفرص الخفية، وهذا من الدهاء، وقد قيل: من ظهر غضبه قل كيده. وقال بعض الشعراء:

وللكف عن شتم اللئيم تكرما   أضر له من شتمه حين يشتم

فإذا راعى الداعية الوقاية من الغضب والعلاج وهذه الأسباب العشرة كان حليما بإذن الله تعالى، وبهذا يحقق ركنا من أركان الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً[(١)].

أما خلق الرفق فهو عبارة عن اللطف ولين الجانب وهو ضد العنف، قال الله تعالى: +فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ " [(٢)]. ومعنى +لِنتَ لَهُمْۖ " أي سهلت لهم أخلاقك وكثرة احتمالك ولم تسرع إليهم بالغضب فيما كان منهم.

فإن الرفق يتضمن لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل والأيسر وحسن الخلق وكثرة الاحتمال وعدم الإسراع بالغضب والتعنيف.

ويطلق الرفق واللين على المداراة إذا كان في ذلك دفع برفق، والمداراة ليست من المداهنة، قال ابن بطال رحمه الله: المداراة من أخلاق المؤمنين وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول وذلك من أقوى أسباب الألفة.

والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولاسيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك.

وإن المداهنة مذمومة محرمة، وهي معاشرة الفاسق ومخاللته مع الرضا بما هو عليه من المعاصي وعدم الإنكار عليه، وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «**إنه من أعطي حظه في الرفق فقد**

---

(١) انظر: مقومات الداعية الناجح، د/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص ١١١-١٣٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»[1]

فقد عظم النبي ﷺ شأن الرفق في الأمور كلها، وبين ذلك بفعله وقوله بيانا شافيا كافيا، لكي تعمل أمته بالرفعة في أمورها كلها، وخاصة الدعاة إلى الله عز وجل، فإنهم أولى الناس بالرفق في دعوتهم وفي جميع تصرفاتهم وأحوالهم، فالرفق سبب لكل خير، لأنه يحصل به من الأغراض ويسهل من المطالب ومن الثواب ما لا يحصل بغيره وما لا يأتي من ضده[2].

إن نجاح الدعوة ودخول الناس في الإسلام وتركهم المعاصي والمنكرات والتزامهم بالطاعات وعمل الخيرات، يعد هذا كله آثاراً حسنة وطيبة تعود على مضمون الدعوة، إذ بذلك ترتفع رايات السنة والخير والاستقامة وتعلو معالم الهدى وترفرف ألوية الجهاد: جهاد الشيطان وجهاد الكفار وجهاد المنافقين فيندحر الباطل ويزهق ويخسأ الشيطان وأعوانه وينتصر الحق وأعوانه وتقوى الدعوة وتثبت قواعدها وتنتشر عبر مجالات أوسع وأفاق أرحب.

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٩/٦) وأبو يعلى (رقم ٤٥٣٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٥١٩).

(٢) انظر: مقومات الداعية الناجح، د/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مرجع سابق، ص ١٦٥-١٦٩.

المطلب الثاني

ترشيد جهد الداعية وتحقيق التكامل في البناء الدعوي

لقد سلك أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم طرقاً متعددة في عرضهم للدعوة، سواء كان ذلك مع الملأ أم مع العامة رغبة في استجابتهم وإقبالهم على ما يدعونهم إليه، ولنا فيهم الأسوة الحسنة +لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ "[1].

وإن الداعية اللبيب هو الذي يفيد من الدروس الدعوية التي تبرزها سور القرآن الكريم فيما يتعلق بدعوة الأنبياء لأقوامهم، وإن من المواقف الدعوية التي أبرزتها سورة يوسف ذلك الموقف الفريد لا الذي تبناه نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام مع صاحبي السجن ما جاء في قول الله تعالى: +وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾"[2].

ينبغي للداعي أن يترقب الفرصة المناسبة لنشر الدعوة ترقب الفلاحين لنزول المطر واعتدال الجو. وأنه إذا أتاح إليه له فرصة ما تلائم عرض الدعوة فلا يجوز له أن يدعها أن تضيع هدراً بل يبادر في استعمالها في أكبر غاية وأعظم هدف.

---

(١) سورة يوسف، الآية ١١١.

(٢) سورة يوسف، الآيات ٣٦-٤١.

فقد استغل يوسف عليه الصلاة والسلام هذا الموقف لكونه صاحب هدف سام ودعوة ربانية، فإن الفتيين لما تقرر عند يوسف عليه السلام أنهما رأياه بعين التعظيم والإجلال وأنه محسن معلم ذكر لهما أن هذه الحالة التي أنا عليها من فضل الله وإحسانه، حيث منّ عليّ بترك الشرك وباتباع ملة آبائي، فبهذا وصلت إلى ما رأيتما، فينبغي لكما أن تسلكا ما سلكت.

ثم صرح لهما بالدعوة: أأرباب عاجزة ضعيفة لا تنفع ولا تضر ولا تعطي ولا تمنع وهي متفرقة ما بين أشجار وأحجار وملائكة وأموات وغير ذلك من أنواع المعبودات التي يتخذها المشركون أم من له صفات الكمال في ذاته وأفعاله، فلا شريك له في شيء من ذلك، بل هو القهار الذي انقادت الأشياء لقهره وسلطانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وعلى هذا فإن الداعية ينبغي أن يكون على أهبة تامة لبذر الدعوة كلما واتته فرصة، وأن يحرص تمام الحرص على الابتعاد عن تضييع أي مناسبة صالحة لتقديم جهد مقدور لخدمة الإسلام ويحسن بالداعية أن يعنى بالأهم فالأقل أهمية، يتضح ذلك جليا في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: إن أول ما أنزل منه – أي القرآن– سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا ولو نزل: لا تزنوا. لقالوا: لا ندع الزنا أبداً[(١)]

وينبغي أن يعنى الداعية بتقديم ما هو أصل على ما هو فرع، فيقنع الناس به ويحملهم على قبوله، فإذا استقر في القلوب واستجابت له النفوس انتقل إلى ما هو دون ذلك من أمور متأسيا برسول الله ﷺ حينما أنفق ثلاث عشرة سنة من عمره في معالجة قضايا العقيدة وبعض العبادات، لينتقل بعد ذلك إلى معالجة ما هو فرع من السلوك العملي، وهذا الأمر يتجلى في وصية النبي الكريم ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن فقال: «**إنك تأتي قوما أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن (رقم ٤٩٩٣).

فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[1].

والداعية الحكيم هو الذي يراعي الأولويات من جهة، ويراعي عدم ملالة الناس من جهة أخرى، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فإنه كان يركز في دعوته وخاصة مع المدعوين الجدد على العناية بترتيب الأولويات[2].

وإنه من أهم المقاصد، وهنا نشير إلى أن الرغبة في هداية الناس وجذبهم إلى ساحة الحق من أهم الدوافع إلى دعوتهم والتضحية بالمال والنفس والوقت. كما حصل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبخاصة النبي ﷺ الذي بلغ حرصه مبلغاً عظيماً. ففي الوقت الذي كان يضحي بما يملك من أجل أن يقنع جبابرة قريش وأن يضمهم إلى صف المسلمين كان هؤلاء يواجهونه بالسخرية والتعنت والإهانة والاعتداءات المتكررة الأمر الذي سبب الهم والغم والقلق النفسي لرسول الله ﷺ ومع أن قصص النبيين كانت تتلى عليه من خلال التنزيل إلا أنه لم يقل حرصه عليه الصلاة والسلام، بل استمر فيه هذا الحرص العظيم حتى نزل عليه آيات أخرى موجهة ومسلية +وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ "[3]. +فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ"[4]. +فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ "[5]. ولذلك أصبح هذا الرسول العظيم بحق كما وصفه ربه +لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ"[6]. وأصحابه رضوان الله عليهم سلكوا المنهج نفسه في الحرص على هداية الناس والرغبة الصادقة في أن يدخلوا في دين الله أفواجاً.

(**١**) أخرجة البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (رقم ١٣٩٥) ومسلم،كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (رقم ١٩).

(٢) انظر: صفات الداعية، د/ حمد بن ناصر العمار، مرجع سابق ، ص١٠٥-١١١

(**٣**) سورة يوسف، الآية ١٠٣.

(**٤**) سورة فاطر، الآية ٨.

(**٥**) سورة الكهف، الآية ٦.

(**٦**) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

وهكذا التابعون ومن تبعهم إلى يومنا هذا كم نجد فيهم من الحرص على الناس والرغبة في تحقيق سعادتهم ومصالحهم، بل إنهم نسوا ذواتهم وصرفوا جل ما يملكون لإيصال الخير إلى الناس وتعميمه بينهم.

وهل هذه الثروة العلمية التي تركها علماؤنا إلا من أجل إفادة الناس ورفع مستواهم العلمي والفكري، بل نجد بعضهم يضحي بالنفيس في سبيل الله وإحقاق الحق[١] .

فينبغي على الداعية ألا يضيع جهده ووقته وماله فيما لا يفيد وفيما لا يأتي بخير على الداعي والمدعو والإسلام ذاته. فالخطيب مثلا الذي يلقي على السامعين خطبة رنانة قوية ولكن لا تدركها عقول السامعين فإنه يضيع وقته ووقتهم ويهدر جهده فيما لا فائدة فيه، بل قد يكون في ذلك سلبيات خطيرة ونتائج عكسية فيكذبونه ويرفضون قوله، فها هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: "**حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله**"[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفي هذا الحديث دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة خشية أن يشتبه عليهم فهمه، ومثال ذلك وضابطه: إذا كان الحديث في الظاهر يقوي البدعة وفي أصله غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بالظاهر مطلوب[٣].

إذن من مقاصد الشريعة المعتبرة في بناء العمل الدعوي أن يحرص الداعية على وقته وجهده وماله، فلا ينفق شيئاً من ذلك هدراً، لا يعود عليه ولا على المدعو ولا على المضمون الدعوي بفائدة، بل يضع كل شيء في مكانه الصحيح المناسب، فيبذل جهده وينفق ماله ويبذل وقته في خدمة الدعوة وإيصال الحق إلى المدعوين، فهو بذلك يتقرب إلى الله عز وجل ويفعل ما كان عليه هدي النبي صلى الله عليه وسلم من عدم تضييع الوقت والجهد والمال هباءً منثوراً.

فعلى الداعي الحكيم أن يستثمر جهوده ووقته وماله في نجاح العملية الدعوية، وهو بذلك يحقق مكاسب في المجال الدعوي سواء ما يتعلق به شخصياً أو ما يتعلق بالمدعو أو ما يتعلق بالمضمون الدعوي.

---

(١) انظر: فقه التعامل مع المخالف، د/ عبد الله الطريقي، مرجع سابق، ص٤٢-٤٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من خص قوما دون قوما كراهية أن لا يفهموا، (رقم ١٢٧).

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، (٢٧٢/١).

المطلب الثالث

بيان واقعية الدعوة

على الداعية الحكيم أن يتعرف على أهم مشاكل المجتمع، ويبين رأي الدين فيها وعلاجه لها، فالداعية الماهر لا ينعزل عن مدعويه، بل يتعايش معهم، ويقف على أهم مشاكلهم ويعالجها من وجه نظر الدين، ومن ثم فإنه ينبغي عليه أن يلقي إليهم مواعظه بأسلوب يتناسب مع عصرهم، لا يلقي إليهم خطباً ألفها علماء قدامى، تتناسب مع عصرهم الذي انقضى، فهذا يؤدي على انفصال الجمهور عنه، فيصبح هو في وادٍ، وهم في واد آخر، كما لا ينبغي عليه أن يركز على سلبيات المجتمع، فلا تكون موعظته كلها نقداً لاذعاً، يجرح مشاعر وأحاسيس مدعويه، بل يكون كالطبيب يضع الدواء موضع الداء، إننا نريد من الداعية أن يهتم بإصلاح المجتمع، وأن يصل الدين بالحياة، فقد جاء إليها ليصلحها، ويسعد الناس فيها[1].

إن مستلزمات حمل الدعوة كثير، ومنها: فهم حقيقة الواقع المعاصر:

في الواقع المعاصر هجوم سافر وعداء ظاهر وتخطيط ماكر ضد الإسلام والمسلمين، وهناك وسائل عديدة تستخدم لإضعاف المسلمين واستمرار بعدهم عن أسباب القوة المادية.

هناك وسائل الإعلام وما يبث فيها من تمثيل الأخلاق السافلة والمرائي الفاتنة والصور الخليعة وشبه العاريات والخطب الهدامة والمقالات الكفرية والترغيب في مشابهة الكفار في أخلاقهم وأزيائهم والاحتقار لعلماء المسلمين وأبطال الإسلام وتمثيلهم بالصور المنفرة منهم والمقتضية لاحتقارهم والإعراض عن سيرتهم وبيان طرق المكر والاحتيال والسلب والنهب والسرقة وحياكة المؤامرات والعدوان على الناس، ونحو ذلك من العظائم والدواهي.

وهناك الآن البث المباشر الذي ينقل لنا عبر الفضاء الفضائح والفظائع، وما يندي له الجبين من عري كامل وخلق سافل وفكر خبيث.

---

(١) مرعاة أحوال المدعويين في ضوء الكتاب والسنة، د/ محمد حسين محمود عبد المطلب، ص١٠٧-١٠٨.

وهناك الغزو الفكري: وهو داء عضال يفتك بالأمم ويذهب شخصيتها ويزيل معاني الأصالة والقوة فيها. وهذا الغزو يقع بواسطة المناهج الدراسية والثقافة العامة ووسائل الإعلام والمؤلفات الصغيرة والكبيرة وغير ذلك.

كل ذلك يصب على المسلمين ليخرجوا عن دينهم ويخرجوا من طاعة ربهم، ومن ذلك نرى من يخدرهم ليألفوا ويخدعهم ليقبلوا، ويدلس عليهم ليقتنعوا وينطلقوا غير شاعرين بإثم ولا مدركين لخطورة، وهذا مكر أعظم وأخطر حيث: نرى شياطين الإنس والجن يسمون الفساد إصلاحا والمؤامرات والفتن ونقض العهود تحرراً، وخيانة الله بنبذ ملة إبراهيم وطنية، وارتكاب الفواحش مدنية، والدياثة والقوادة حضارة وتطوراً، وإطراح الدين ونبذ القرآن رقياً ومسايرة للزمن، فهم ذلك كله وتصوره يجعل الداعية مدركاً لعظم مهمته وأهمية دعوته[1].

إن الداعية وهو يؤدي رسالته الدعوية لابد له من الإلمام بواقع المدعوين حتى يكون على بينة من أمره، لأن المجتمع هو ميدانه الدعوي، وهو يتكون من نسيج من الميول والاتجاهات والرغبات والإرادات، فالداعية الناجح هو الذي يفهم الجماهير فهماً يعينه على سلوك الطريق الأقوم لإقناعهم بدعوته. قال الله سبحانه وتعالى: +وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ" [2]. وفي الآية تنبيه على ضرورة وجود لسان مشترك بين الداعية والمدعو، واللسان المشترك أوسع دلالة على اللغة المشتركة، بل لابد من معرفة ما تحويه هذه اللغة من ثقافة المدعو وخصائص بيئته، وما يشكل موقفه من أفكار ومعتقدات، وما يحكم تفكيره من عادات وتقاليد حتى يستطيع غزو نفوس المدعوين.

والاهتمام بدراسة المدعو وفهمه ضرورة تحتمها حكمة الدعوة، وهو مكمل من مكملات البصيرة التي يحتاج إليها الداعية، فكم من داعية تجاهل هذا الأمر ولم يعطه حقه من العناية فاصطدم بالواقع الذي كان يجهله، ولم يوفق في دعوته، وترتب على ذلك خسارة كبيرة وتفويت لفرصة من فرص النجاح المتاحة بإذن الله، وعندما ندعو لفهم أحوال المدعو فإننا ندعو إلى ضرورة شرعية وحاجة ملحة أخذت تبرز أهميتها يوماً بعد يوم، فإن ظهور كثير من الأخطاء والانحرافات في حياة المسلمين يعود في كثير من أحواله

---

(١) انظر: مقومات الداعية الناجح، د / علي بن عمر بادحدح، (دار الأندلس الخضراء، جدة ، سنة ١٤١٧هـ ١٤٢-١٤٣.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٤.

إلى عدم فهم واقع المسلمين وإلى عدم تقدير الظروف المحيطة بهم أو عدم تقدير نشاط أعدائهم أو للإعراض عن منهج الحق القويم الذي أنزله الله.

وكل متتبع للنصوص في الكتاب والسنة والسيرة النبوية يلفت نظره وضوح هذا المعلم الدعوي المهم في العملية الدعوية، فنجد في القرآن الكريم الآيات التي تنزل لتكشف للمؤمنين واقعاً قائماً في حادثة حين غزا الفرس والروم وانتصروا عليهم، ويكشف غيبا لا يعلمه إلا الله وهو انتصار الروم على الفرس في بضع سنين، وربط ذلك كله بمنهج الله سبحانه وتعالى: +الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ" [(١)]. وقال سبحانه: +وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ"[(٢)]. فكيف تكون هذه الأمة وسطاً وشاهدة على الناس وهي غافلة لاهية لا تقوم برسالتها، ولا تدرك واقعها، وهل تصح الشهادة من غافل.

وحينما يقص الله سبحانه وتعالى في سورة النمل قصة الهدهد الذي يخبر سليمان ﷺ أنه وقف على أولئك المدعوين وخبر حالهم، وجاء ليعطي سليمان صورة عن الواقع الذي رآه في تقرير مفصل، فإنما هو تنويه بقيمة ما تعارف عليه الناس اليوم بالتخطيط الذي يبنى على دراسة معطيات الواقع، بل إن تلك الدراسة قاعدة أساسية في تخطيط الدول القوية التي تولي هذا الأمر اهتماماً كبيراً، انظر إلى قول الله سبحانه وتعالى: +وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ"[(٣)].

ومما يؤكد أهمية دراسة واقع المدعو ما نلمسه في آيات القرآن الكريم من تفصيل لمواقف البشر أمام الحق، حيث يقترب منه الضعفاء ويعارضه المستكبرون استعلاء وعناداً، وبيان مواقف المعارضين والمستجيبين للدعوة، وأن المستجيبين في الغالب هم الفقراء والدعوة الإسلامية عامة ودائمة وعليها أن تهتم

---

(١) سورة الروم الآيات، ١-٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٣) سورة النمل، الآيات ٢٠-٢٢.

بالتعرف على طبائع المدعوين والتفهم اهتماماتهم، لكي تتمكن من لفت النظر عند كل جماعة على حدة، لكي تستطيع إبلاغ الدعوة إلى الجميع، بل يقدم الكتاب العزيز تفصيلاً دقيقاً يقوم على التحليل الدقيق لموقفهم من الدعوة، ويمكن حصر النماذج البشرية في المنهج الرباني بصفة عامة في أقسام ثلاثة وهي: المؤمنون والكافرون والمنافقون.

وتلك الأصناف الثلاثة قد بين القرآن الكريم ملامحها وصفاتها بيانا يتجاوز الوصف الظاهر، لينفذ إلى دخائل النفوس وطبائعها من خلال دراسة المواقف العملية لكل صنف، وفي تأملنا في سيرة النبي ﷺ وسنته يتبين معرفته بواقع المدعوين وعاداتهم، ولعل هذا النص يكشف لنا مظهراً منها، عن أبي سعيد الخدري أن أناسا من عبد القيس قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا نبي الله إنا حي من ربيعة، وبيننا وبينك كفار مضر، ولا نقدر عليك إلا في أشهر الحرم، فمرنا بأمر نأمر به من وراءنا، وندخل به الجنة إذا نحن أخذنا به، فقال رسول الله ﷺ: «**آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: اعبدوا الله لا تشركوا به شيئا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا الخمس من الغنائم. ونهاكم عن أربع: عن الدباء، والحنتم، والمزفت، والنقير**» قالوا: يا نبي الله ما علمك بالنقير؟! قال: "**بلى، جذع تنقرونه فتقذفونه فيه من القطيعاء** قال سعيد: أو قال: "**من التمر: ثم تصبون فيه من الماء حتى إذا سكن غليانه شربتموه، حتى إن أحدكم ليضرب ابن عمه بالسيف**"(١) وفي هذا الحديث دليل على علم النبي ﷺ بأحوال المدعوين من جانبين.

الأول: حيث استغرب المدعوون علم النبي بأشياء يعلمونها في بلادهم، ولم تكن موجودة في أرضه.

الثاني: حيث اقتصر في النهي على الانتباذ في الأوعية مع أن في المناهي ما هو أشد في التحريم من الانتباذ لكنه اقتصر عليها لكثرة تعاطيهم لها.

بل إنه ﷺ كان يعرف بلاد المدعوين وأماكنهم التي يقيمون فيها، فقد سأل وفد عبد القيس، وسمى لهم بعض قراهم، حتى قال أحدهم: بأبي وأمي يا رسول الله لأنت أعلم بأسماء قرانا منا(٢).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من المغنم (رقم ٥٣) ومسلم، كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله × وشرائع الدين.. (رقم ١٧، ١٨).

(٢) أخرجه أحمد (٤٣٢/٣) وقال الهيثمي في المجمع (١٧٧/٨-١٧٨) رواه أحمد ورجاله ثقات.

ولقد فقه الصحابة رضي الله عنهم هذا المعنى جيداً فلم يكن الخلفاء الراشدون ليفتحوا أرضاً دون معرفتها. وقد نقل الكتاني: أن الخلفاء في صدر الإسلام أمروا أمراء جيوشهم وعمالهم أن يرسم كل منهم خطط البلاد التي افتتحها واستولى عليها. وفي وصف عمرو بن العاص رضي الله عنه لمصر تأكيد لذلك، حيث وصف تربتها وأشجارها ونيلها وجبالها، وكيفية استخدام الناس للمواصلات عند زيادة النيل، ووصف النبات واجتهاد الناس في الزراعة، وقد أعجب أمير المؤمنين عمر بهذا الوصف الدقيق، حتى قال: لله درك يا ابن العاص، لقد وصفت لي خبراً كأني أشاهده.

ومن هنا كان حقاً على الدعاة أن يتعرفوا على واقع المدعوين بكل شموله وجوانبه، ليخرجوا بدراسة تكون سبيلاً داعياً لتطبيق شرع الله في الواقع البشري وأساساً لحسن المنهج والتخطيط ووسيلة لتجنب كيد الأعداء والحذر منهم والدفاع عن حمى الإسلام[1].

ومعرفة الواقع أمر مهم لتحقيق النجاح للدعوة، فالسفراء الذين تبعثهم الدول لابد أن تكون لديهم المعرفة العامة بأحوال من يرسلون إليهم، والمبتعثون لمقابلة الملوك والرؤساء لابد لهم أن يكونوا على اطلاع دقيق بأحوالهم وقضاياهم وشعوبهم، لتكون مقابلتهم مكيفة على ضوء ذلك، وفي مفاوضات الحديبية يتضح لنا جليا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرف حقيبة السفراء المنتدبين من قريش، لذلك كانت معاملتهم لهم انطلاقا من معرفة عميقة وظفها لخدمة ما يدعو إليه.

فحين رأى رسول الله مكرز بن حفص بن الأخيف[2] مقبلاً، قال: هذا رجل غادر. ليحذر المسلمين منه، فلا يمكنونه من تحقيق غدره. وحين رأى الحليس بن علقمة، قال: إنه من قوم يتألهون. وأمر الصحابة أن يبعثوا الهدي في وجهه، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاما لما رأى، فقال لهم ذلك الذي شاهده، فقالوا له: اجلس، فإنما أنت أعرابي لا علم لك. ومعرفة أحوال الأشخاص، تتجلى

---

(١) انظر: داوفع الاستجابة للدعوة في الكتاب والسنة، سعد بن عبد الرحمن الجريد، رسالة دكتوراه غير منشورة ص١٦٤-١٧١.

(٢) هو مكرز بن حفص بن الأخيف بن علقمة بن عامر بن لؤي القرشي العامري ذكره ابن حبان في الصحابة، وقال: يقال له صحبه، وله ذكر في المغازي أنه هو الذي أقبل بافتداء سهيل بن عمرو يوم بدر، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ٢٠٦/٦.

واضحة في قوله لبديل بن ورقاء[1] والذي ندرك من حديث رسول الله أنه كان من المعتدلين الذين لا يريدون الحرب: يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوني وبهم قوة، فما تظن قريش؟ لقد كانت النتيجة أن عمرو بن سالم وكان أحد أعضاء الوفد تأثر بما سمع إلى درجة أنه كان يقول وهو عائد مع بديل مخاطباً قريش: والله لا تنصرون على من يعرض هذا.

إن في أسلوب الرسول ﷺ روعة بالغة حين كان يخاطب هؤلاء على ضوء معرفة دقيقة بهم، ولقد كانت خزاعة عيبة نصح رسول الله مسلمها ومشركها لا يخفون عنه شيئا كان بمكة[2].

فأرسل خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش وحمله على بعير، يقال له: الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله ﷺ، وأرادوا قتله، فمنعه الأحابيش وخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد كان رسول الله يعرف هذا الرجل، ويعرف أن له أهلا وعشيرة بمكة لهم ثقلهم، وهذا يدل دلالة واضحة على معرفة الرسول بالأشخاص المعرفة الدقيقة وتوظيفها للدعوة، لتثمر ثمراً مباركاً ومما يدخل في توظيف المعرفة لخدمة الدعوة أيضاً.

مراعاة الواقع على ألا يطغى على الحق:

فإذا أراد المسلم أن يقوم بعمل مشروع فلا بد له معرفة الواقع المحيط به، ومراعاة هذا الواقع بما لا يصادم الحق، حتى لا يؤدي ذلك إلى ضرر يلحق بالدعوة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى سعد فأتي على حمار فلما دنا

---

(١) هو بديل بن ورقاء بين عبد العزى بن ربيعة بن جزي بن عمرو بن ربيعة، كتب إليه النبي × وإلى بسر بن سفيان يدعوهما إلى الإسلام، وابنه نافع بن بديل أقدم إسلاماً من أبيه، وشهد نافع بئر معونة مع المسلمين، وقتل يؤمئذ شهيداً، وشهد بديل مع رسول الله × فتح مكة وحنين، فقد بعثه رسول الله × وعمرو بن سالم وبسر بن سفيان يستنفرهم إلى عدوهم حين أراد أن يخرج إلى تبوك، وشهدوا جميعاً تبوك، وشهد بديل بن ورقاء الوداع مع رسول الله ×.

انظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري، مرجع سابق، ابن سعد، مرجع سابق ٢٩٤/٤.

(٢) انظر البداية والنهاية، ابن كثير ، مرجع سابق، ١٦٧/٤.

من المسجد قال للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم أو خيركم**»، فقال: «**هؤلاء نزلوا على حكمك**»، فقال: تقتل مقاتليهم، وتسبي ذراريهم، قال: «**قضيت بحكم الله**» وربما قال «**بحكم الملك**».

لقد كان لبني قريظة حلف مع الأوس قبل مجيء رسول الله ﷺ المدينة، وهنا يريد رسول الله ﷺ إقامة العدل فيهم ومحاسبتهم، جزاء ما اقترفوا من غدر وخيانة، لكنه مع ذلك لم يتجاهل الواقع في تحقيقه الحق، إذ خشي أن تغضب الأنصار لحلفائها، مما يؤدي إلى ضرر بين جماعة المسلمين، فكان من بالغ حكمته عليه الصلاة والسلام أن جعل أمر هؤلاء إلى حلفائهم. ولقد كان حكم سعد حكم الأنصار جميعا لأنه سيدهم، وأيضا يوم حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قينقاع خمس عشرة ليلة نزلوا بعدها على حكم رسول الله ﷺ فأمر بهم فكتفوا، ولكن عبد الله بن أبي كلم رسول الله ﷺ فيهم وألح عليه، فوهبهم له وأمر أن يخرجوا من المدينة، ولا يجاوروه فيها أبدا.

هنا أيضا نلاحظ أن رسول الله ﷺ قام بمراعاة الواقع الذي لم يطغ على الحق وفي حديث رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «**لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لهدمت الكعبة وجعلتها على قواعد إسماعيل**".

لقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه الحق الذي يجب أن يكون لكنه لم يغفل الواقع القائم، فالقوم حديثو عهد بجاهلية وقد يترتب على التحقيق الفعلي ضرر يصيب المسلمين، فاكتفى عليه الصلاة والسلام بإثبات الحق قولا وإرجاء تحقيقه عملاً مراعاة للواقع(١).

إن دراسة واقع المخاطبين في العالم بأسره من حيث انحرافه عن المنهج الصحيح ضرورة للداعية المسلم في مجال الإعداد النفسي، وأن البشرية كلها تنقسم من حيث دين الإسلام، إلى أمة إجابة وأمة دعوة.

فلابد من معرفة حال المخاطبين وبيئاتهم داخل العالم الإسلامي، حيث يعيش العالم الإسلامي في حياة التفرق في الشمل والكلمة والضعف المستكين المزري بأمة الإسلام وصار تابعاً بعد أن كان متبوعاً وأضحى مقوداً بعد أن كان قائداً.

---

(١) انظر: الإحكام بين مراحل العمل في دعوة النبي ﷺ، د / يوسف أبو هلالة، (دار العاصمة ص٣٥-٣٩.

ولا ريب أن ذلك كله يعود بسبب البعد عن تعاليم الدين وتحكيمه في حياة المسلمين، الأمر الذي جعلهم أحزاباً وشيعاً وفرقاً متناحرة.

فالداعية إلى الله مدعو لمعرفة حال هؤلاء قبل أن يدعوهم إلى دين الله عز وجل، ليعرف كيفية دعوتهم وانتشالهم مما هم فيه من ضلال وانحراف وضياع.

وكذلك معرفة أحوال المخاطبين وبيئاتهم الذين هم خارج العالم الإسلامي وهم أمة الدعوة، فهم بحاجة ماسة لتعاليم الدين وقيمه ومبادئه، سواء في مجال العقيدة والشريعة والآداب والأخلاق، وليعلم الداعية إلى الله أن هذه الشعوب مختلفة المشارب والعقائد والتشريعات ومتعددة الملل والنحل الباطلة، وهم حريصون على نشر باطلهم بكل ما أوتوا من قوة وعدة وعتاد، بل وهم أيضا حريصون على محاربة الإسلام وأهله سواء عن طريق الجيوش والغزو العسكري أو عن طريق نشر البدع والعقائد الباطلة والغزو الفكري.

فينبغي على الدعاة إلى الله معرفة هؤلاء وكيف يفكرون وكيف يخططون، بل إن معرفة أحوال هؤلاء ضرورية للداعية لمعرفة حجم الباطل الذي سيواجهه ويدعوهم إلى امتثال الحق الذي يحمله. وليس أدل على ذلك من إرشاد النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حينما أرسله إلى اليمن فقال له: إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله. ليستعد لهم بما يحتاجون إليه من الأمور الضرورية الأهم فالمهم. وكذلك يجب على الدعاة أن يخاطبوا الناس على قدر عقولهم وثقافاتهم بما يساعد على إيصال الحق، إليهم ويدخلون في دين الله عز وجل.

المبحث الثالث

فوائد تتعلق بالمدعو

المطلب الأول

تحقيق التلاحم بين المدعو والداعية

أعظم الفوائد التي تتعلق بالمدعو، بل وأهمها وأخطرها هي إسلام المدعو إن كان كافراً، وهدايته للطاعة بعد أن كان عاصياً، واستقامته على صراط الله المستقيم بعد أن كان منحرفا ضالاً شارداً، ولا تتحقق هذه الأمنية الغالية إلا إذا سبقتها بعض الخطوات هي في حقيقة الأمر من ثمرات ونتائج مراعاة حال المدعو، وهي:

أن يذهب الداعي إلى المدعو ليدعوه إلى الله وإلى دينه القويم، ويبين له رسالة ربه، وهو في ذلك يقتفي أثر الرسول ﷺ حيث كان يذهب إلى مجالس القوم، يدعوهم إلى الله ويخرج إلى قبائل العرب في منازلهم في مواسم قدومهم إلى مكة، وكان ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب، فلم يكن ﷺ يجلس في بيته ينتظر الناس يأتون إليه. بل كان يذهب إليهم في أماكنهم رجاء أن يقبلوا دعوته والحق الذي يدعوهم إليه.

وهذا المسلك منه ﷺ فيه دلالة كبيرة على اهتمامه بالمدعوين والحرص على هدايتهم وكذلك ينبغي على كل داعٍ أن يعمل بهذه الخصلة، ويسلك هذا المسلك، ليشعر المدعو، أنه محل اهتمام الداعي.

وينبغي على الداعية إلى الله أن يتعرف على المدعو، ولا يجعل بينهما واسطة ليشعر المدعو باهتمام الداعي به، ففي الاتصال المباشر بينهما إبراز كثير من الجوانب التي تساعد في إنجاح العملية الدعوية.

كما ينبغي على الداعي أن يشفق على المدعو، ويظهر حبه له وحرصه الشديد على هدايته ونجاته من عقاب الله وعذابه، وهو في ذلك على نهج الداعية الأول محمد ﷺ، حيث كان حريصاً على هداية عباد الله جميعاً. فإذا شعر المدعو باهتمام الداعي به فإنه يسارع إلى الإجابة وإلى الطاعة.

كل هذا إنما هو اقتداء بالبشير النذير ﷺ في اهتمامه بالمدعو وشفقته ورحمته وحرصه عليه وعلاجه، لما هو فيه من بعده عن خالقه سبحانه وتعالى وتعلقه بما لا ينفع ولا يضر.

وهذا المنحى يحقق التلاحم بين الداعي والمدعو، ويكون أساساً في بناء عنصر الثقة بينهما والمحافظة عليه.

وكما ينبغي على المدعو أن يعلم ويوقن أن استجابته لنداء ربه جل وعلا شرف له ورفعه ينال أجرها وجزاءها ألا وهو الجنة وما أعده الله فيها لأهلها من النعيم والأجر العظيم والمقام العالي الرفيع. وفي استجابته أيضاً تكريم له وأي تكريم عندما يدخل جنة ربه وينال فيها النعيم المقيم.

إن من الفوائد التي تعود على المدعو كثيرة، وأهمها دخوله في دائرة أهل الإيمان الذين وعدهم الله بالخير العميم والفضل الجسيم والسعادة في الدنيا والآخرة.

كما أنه في دخوله في دائرة أهل الإيمان قد يكون سبباً لدخول غيره في الدائرة نفسها، فيحقق الخير لنفسه ولغيره، ويبقى أثره النافع بعد موته، فيضاعف له الأجر بسبب إسلامه وطاعته وبسبب إسلام غيره وطاعته.

المطلب الثاني

التوظيف الأمثل لإمكانيات المدعو

يستطيع الداعية الحصيف أن يستغل قدرات وإمكانات المدعو بعد أن يزيل العقبات التي تقف في طريقه استجابة المدعو للحق، فيجعله يستجيب لله ولرسوله ﷺ فيوظف هذه الطاقة ويستغلها في جعل المدعو يسلم إن كان كافراً ومطيعاً بعد أن كان عاصيا، فقد قال سبحانه وتعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ "[(1)]. وقال تعالى: +ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ "[(2)].وقال عز وجل: +يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ "[(3)].

فعلى المدعو أن يقبل هذه الدعوة المباركة التي تنقذه من النار، فالإنسان العاقل المدرك لعواقب الأمور يكون سريع القبول، لأن الله سبحانه قد فطر الإنسان على الحق والخير، فالمدعو إذا فكر تفكيراً سليماً بما يدعى إليه، لا يجد في نفسه إلا القبول والتسليم، لأن هذه الدعوة تلقي في داخل هذا الإنسان قبولاً، لأنها دعوة إلى الفطرة داخل كل إنسان، وهي توحيد الله عز وجل.

فإذا استجاب المدعو لهذه الدعوة المباركة فعليه أن يقيم حياته كلها على هدي هذا الدين الذي يضمن له سعادة الدارين وفوزه بجنة النعيم ونجاته من عذاب النار وبئس المصير.

ثم ينتقل المدعو من حالته هذه إلى حالة أكمل ووظيفة أعظم وأجل فينخرط في سلك الدعاة إلى الله عز وجل، وهذا الواجب الذي أنيط به نتيجة طبيعية لالتزام المدعو بما دعي إليه، وذلك لأن من ذاق

---

(1) سورة الأنفال، الآية ٢٤.

(2) سورة الشورى، الآية ٤٧.

(3) سورة الأحقاف، الآيتان ٣١، ٣٢.

حلاوة الإيمان يحرص على الدوام أن يتذوقها إخوانه في الإنسانية، لعلمه بأن هذا الدين للناس أجمعين، فيقوم بإبلاغه لهم ودعوتهم إليه.

إن من ذاق طعم الإيمان واستقرت في نفسه الرغبة فيما عند الله سبحانه وتعالى لا يملك إلا أن يدعو بهذا الحق، ويسعى على الدوام إلى إبلاغه للناس أجمعين، لأنه يحس بأن هذا من الواجبات عليه نحو هذا الدين وهذه النعمة الكبرى.

وقد ذكر العلماء أن الدعوة لهذا الدين نتيجة طبيعية لإيمان العبد بخالقه ومولاه جل وعلا وقيامه بتكاليف الإسلام، فقالوا: إن علم الإنسان بهذا الدين من خلال دعوته إليه يترتب على هذا العلم العمل به. أي السير في جميع شئون حياته على منهج الإسلام ثم الدعوة إليه. أي دعوة الناس لهذا الدين، وهذه الدعوة لها تكاليف كثيرة، وقد يتعرض القائم بها إلى متاعب ومصاعب وأذى فعليه أن يصبر ويحتسب، وهو ما أطلقوا عليه: الصبر على الأذى فيه، لعلمهم بأن رسول الهدى ﷺ الأسوة الحسنة تعرض في سبيل هذه الدعوة لكثير من الأذى، ولنا فيه عليه الصلاة والسلام الأسوة الحسنة، فقد تعرض في سبيل هذه الدعوة لكثير من الأذى، ولن يتعرض أي داعية في هذه الأمة إلى مثل ما تعرض له رسول الله ﷺ من قومه وأهله وعشيرته، بل مجتمعه لمدة ثلاثة عشر عاماً في مكة المكرمة وما تلاها من ابتلاءات عند هجرته وفي مستقره بالمدينة المنورة، حيث لحقه الأذى، لكنه صبر، فأظهره الله وأظهر دينه، ورد كيد أعدائه إلى نحورهم، وظهر الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً.

فعلى المدعو واجب عظيم نحو هذه الدعوة التي آمن بها وصدق، وإذا قام بهذا الواجب ناله أجر من دعي إلى الهدى، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ من غير أن ينقص من أجره شيئا.

إن المدعوين وهم كل الناس إذا استجابوا لله وللرسول ولما يحييهم حياة طيبة في الدنيا والآخرة فإنهم بذلك ينتقلون من أمة الدعوة إلى أمة الإجابة، وحسبك بهذا الانتقال من عمل جليل يترك أبلغ الآثار في هؤلاء المستجيبين، وأن هذه الآثار المتعددة الجوانب: منها ما يزرع في نفس المستجيب للحق طمأنينة ورضا وسعادة، كتلك التي يشعر بها حائر ضل منه طريق، ثم وجده واهتدى بمعالمه إلى غايته.

ومنها ما يغرس الأمن والأنس في نفس المستجيب للحق، لأنه بهذه الاستجابة قد انتقل من الخوف الذي تجلبه المعصية إلى الأمن التي تأتي به الطاعة.

ومنها ما يحدد للإنسان مكانه ومكانته في هذه الحياة بعد أن كان يعيش في ضياع، فيعرف بهذه الاستجابة أن مكانه في صفوف المؤمنين العاملين في سبيل الله ، إن الانتقال إلى إجابة داعي الله تحول عظيم يجعل من المدعو عنصراً هاماً من عناصر العمل من أجل هذا الدين.

إن المدعو وقد وجبت عليه هذه الأعمال الدعوية إنما هو على طريق الحق، يقطعه خطوة خطوة، ثم يمد الطريق إلى سواه من الناس، ويمهده لغيره كما مُهد له، ويعين الناس على المضي فيه كما أُعين هو من قبل غيره من الدعاة، وتلك عظمة منهج الإسلام وفاعليته وقدرته على تحويل الأفراد إلى طاقات بناءة منتجة في مجال الدعوة إلى الإسلام.

إن المدعو لكي تتكامل فيه صفات المسلم المستنير، ولكي يؤدي الواجبات الملقاة على كاهله بالصورة التي تعفيه من المسئولية أمام الله يوم القيامة وأمام نفسه وقد انصاع إلى الحق والخير، وأمام المجتمع المسلم الذي هو جزء منه، فإنه لزاماً عليه أن ينخرط في سلك العاملين بهذا الدين، المطبقين لمنهجه ونظامه في كل مرافق الحياة، وليست العبرة في أن المسلم مطالب بأن يستوعب الإسلام نظرياً ويستظهر مبادئه وقيمه وآدابه، وإنما العبرة بأن يكون هناك تطبيق وتنفيذ لهذه المبادئ والقيم والآداب، فليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل.

وهذا التحول الإيجابي الذي لا محيد عنه، بل إن ذلك من أهم إيجابيات الدين الإسلامي ومنهجه ونظامه، فإن الفرد ينتقل من مكان المدعو إلى مكان الداعي انتقال وجوب لا خيار له فيه، وليس عليه في ذلك من حرج ولا مشقة، وإنما سيقبل هو على ذلك فرحاً مسروراً.

إن المدعو إلى الله وقد انصاع إلى الحق والخير، وعلم من أمور الدين والدنيا ما ينبغي أن يعلم وانخرط في سلك المطبقين لنهج الله في شعب الحياة كلها، مؤمناً بضرورة العمل للإسلام في جماعة. إن هذا المدعو لا يتم إيمانه ولا يكمل إلا بأن يتحول إلى داعية، إلى الله، يدعو غيره من الناس فقد استكمل عدة الداعية وهي الإيمان باتباع محمد ﷺ والبصيرة بهذا الدين الذي يدعو إليه، التي أفادها من توجيه الدعوة إليه وانصياعه إلى الحق وتطبيقه المنهج.

وهكذا يكون العمل للإسلام والدعوة إليه حلقة محكمة البناء، يتحول المسلم فيها من مدعو إلى داع لغيره من الناس، ثم يتحول هذا المدعو إلى داع وهكذا.

إنها روعة المنهج وعظمة النظام وإحكامه وقدرته الفائقة على الاستمرارية وبلوغ أقصى المدى في مجال الحركة الإسلامية الفاعلة[١].

ومن الفوائد ترك الفرصة سانحة للمدعو المعرض بأن يعيد النظر في وضعه، ويراجع حاله وإمهاله حتى يعوض الله تعالى بإخراج الخير في ذريته.

فأرسل الله ﷻ جبريل ومعه ملك الجبال فقال: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين. وحينئذ يكون المراد إطباقهما عليهم بعد نقلهما من محلها إلى محل ثقيف الذى هو الطائف لأن القدرة صالحة. وعند قول ملك الجبال له ما ذكر قال النبي ﷺ : «**بل أرجو أن يخرج الله تعالى**» وفي رواية «**أستأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله تعالى لا يشرك به شيئا. وعند ذلك قال له ملك الجبال: أنت كما سماك ربك رؤوف رحيم**»[٢].

ومما يبين للعاقل حسن شريعة الإسلام وجمال طريقتها أنها مبنية على مراعاة مصالح الدنيا والآخرة وإتمام مكارم الأخلاق الحسنة.

أما بيان مصالح الآخرة فهو أن هذا الشرع يبين وجوهها، ولم يغفل شيئا منها، بل فسرها وأوضحها غاية الوضوح، لئلا يجهل شيء منها، فوعد بنعيمها وتوعد بعذابها، بخلاف الشرائع المتقدمة فإنها إنما كانت تتوعد على المخالفة بعقاب دنيوي، كما فعل بنو إسرائيل غير مرة، وتوعد بثواب دنيوي، ولم يبين لهم شيء مما بين لنا على ما يقتضيه نسق التوراة، إذ ليس فيها ذكر جنة ولا نار إلا تنبيهات قليلة، وكذلك الإنجيل ليس فيه شيء من ذلك، إلا ما ذكرناه[٣].

ومن فوائد المراعاة التوقي من شر المدعو وضرره حين يبين منه عزمه على إلقاء الأذى بالداعية.. فغياب المراعاة من دواعي إثارته وزيادة صلفه وحنقه

وتكون تلك المراعاة حسب حال المدعو المتسلط: إما بالمسايرة والمهاداة: +فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، د/ علي عبد الحليم محمود، مرجع سبابق، ص ١٠٢٥-١٠٤٠.

(٢) السيرة الحلبية في سيرة الأمين، علي بن برهان الدين الحلبي (دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ ٢/٥٨.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، القرطبي ، مرجع سابق، ص٤٤٢.

يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ"[1]. أو بإخماد سطوته وكبح إقدامه، وذلك عن طريق إيهانه وتثبيطه.

كما أن مخاطبة المدعو فيما يهتم به ويحرص عليه من صور المراعاة التي تخلف استجابة لديه فعن أبي تميمة عن رجل من قومه أنه أتى رسول الله ﷺ أو قال: شهدت رسول الله ﷺ وأتاه رجل، فقال: أنت رسول الله؟ أو قال أنت محمد؟ فقال: «**نعم**» قال: فإلام تدعو؟ قال: «**أدعو إلى الله وحده من إذا كان بك ضر فدعوته كشفه عنك، ومن إذا أصابك عام سنة فدعوته أنبت لك، ومن إذا كنت في أرض قفر فأضللت فدعوته رد عليك**» قال: فأسلم الرجل، ثم قال: أوصني يا رسول الله فقال له: «**لا تسبن شيئا**» أو قال: «**أحدا**» شك الحكم قال: فما سببت شيئا بعيرا ولا شاة منذ أوصاني رسول الله ﷺ «**ولا تزهد في المعروف ولو ببسط وجهك إلى أخيك وأنت تكلمه، وأفرغ من دلوك في إناء المستسقي، واتزر إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار، قال فإنها من المخيلة، والله لا يحب المخيلة**»[2].

ومن الفوائد أن الداعية حين إعراض المدعو عنه بعد استقصاءه معه سبل المراعاة أثناء دعوته لا يجد حرجاً في أن ينال منهم بما يناسب حالهم كالدعاء عليهم. كما قال ×: «**اللهم العن شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء**». ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا، وصححها لنا، وانقل حماها إلى الجحفة**»[3].

وعن الزهري حدثني سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الآخرة من الفجر يقول: «**اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا**» بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد. فأنزل الله +لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ" إلى قوله +فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ" وعن حنظلة بن أبي سفيان سمعت سالم بن عبد الله يقول كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت

---

(١) سورة طه، الآية ٤٤.

(٢) أخرجه أبو داود (رقم ٤٠٨٤) وأحمد (٦٥/٤) والطبراني في الكبير (٦٤/٧ رقم ٦٣٨٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل المدينة، (رقم ١٨٨٩) ومسلم مختصراً، كتاب الحج، باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها (رقم ١٣٧٦).

+لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ" إلى قوله +فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ" [(١)].

عن ابن مسعود قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وفيه:فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثا، وإذا سأل سأل ثلاثا، ثم قال: «**اللهم عليك بقريش**» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: «**اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط**» وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمدا ﷺ بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر[(٢)].

ومن الفوائد المترتبة على المراعاة ما ينتج حين يكون الداعية على حال تُرغِّب المدعو فيه وتجعله يركن إليه ويأنس له ويرتاح إلى حديثه ويضع ثقته فيه

وهذا جلي في أبي بكر الصديق ﷺ وفق ما أخبر عنه ابن إسحاق: لما أسلم أبو بكر ﷺ أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله. وكان أبو بكر رجلاً مألفاً لقومه، مُحبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر؛ وكان رجلاً تاجراً، ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته؛ فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه. فأسلم بدعائه عثمان ابن عفان والزبير بن العوام عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله ﷺ فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له، فأسلموا وصَلّوا[(٣)].

ومن فوائد مراعاة أحوال المدعوين ما يترتب على إسلامه حتى ينتشر في أسرته ومن حوله ليحفظ بذلك على نفسه دينه وسلامته، حيث إن كل فرد من المسلمين الأوائل، ما كاد يظهر إسلامه لأهل بيته وذوي قرباه، حتى يفشو الإسلام في أسرة هذا الصحابي، فيعتنقه آباؤه وإخوته وأبناؤه وبناته ومواليه؛ وكان

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم (رقم ٤٠٦٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر (رقم ٢٤٠) ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب مالقي النبي ﷺ من أذى (رقم ١٧٩٤).

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ٢٤٩/١-٢٥٢.

من دخل في الإسلام من هؤلاء السابقين يدعو أقرانه إليه، فيستجيبوا له[١].

وهكذا الشأن في القتال لم يفرض على المسلمين إلا بعد أن تمكنوا من أسبابه وتوافروا على عدته بعد انتقالهم إلى دار الهجرة، وباتت الهجرة بعد تلك المنعة واجبة على كل من أمكنته، قال الله تعالى: +وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ"[٢] [٣]. فكان فرض الهجرة تالياً لنزول الجهاد ونتيجة له[٤].

من نتائج المراعاة باتخاذ دار تيسر وصول الدعوة للمدعوين

وقد حققت دار الدعوة بالحبشة عدة نجاحات؛ كان من أهمها دخول عدد من أهل الحبشة في الإسلام في فجر الدعوة، وذيوع نبأ مبعث النبي ﷺ الذي ينتظره أهل الكتاب، على ألسن مسالمة أهل الحبشة، حتى طار هذا النبأ في الآفاق، وبلغ أسماع أهل الكتاب في بلاد اليمن المواجهة والقريبة من أرض الحبشة، فقدم وفد نصارى نجران على النبي ﷺ بمكة في مُستهل الطور المكي، فأعلن إسلامه، وعاد بخبر تثبته من دلائل وأعلام نبوة النبي ﷺ بصفته ونعته، كما جاءت في الإنجيل إلى قومهم[٥]، كذلك طار هذا الخبر أيضاً إلى قبيلتي الأوس والخزرج بالمدينة المنورة، فكان أحد دوافع قدومهم إلى مكة، ومُبايعة النبي ﷺ بيعة العقبة الأولى[٦].[٧].

ثم ما لبث نبأ مبعث النبي ﷺ أن طار أيضاً من أرض الحبشة إلى بلاد الشام، فقدم بعض أهل الشام إلى الحبشة، للتثبت من هذا النبأ، ومقابلة جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ وأمير مهاجرة الحبشة، لسماع القرآن، ومعرفة أمور الإسلام وأهم مبادئه؛ وقد أعلن هؤلاء الشاميون إسلامهم بأرض

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٧٢.

(٣) انظر فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٢٢٨/٨، ٢٢٩، وانظر الخطابي في معالم التنزيل (ربما) نقلا عن تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص٣١

(٤) انظر المرجع السابق، ص٣١

(٥) انظر السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، فصل بعنوان (أمر وفد النصارى الذين أسلموا) ٣٩١/١-٣٩٣.

(٦) انظر تاريخ الرسل والملوك، الطبري، مرجع سابق، ٣٦٦/٢.

(٧) تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د.أحمد فؤاد سيد، مرجع سابق، ص ٥٩.

الحبشة، وبايعوا جعفر بن أبي طالب، نيابة عن النبي ﷺ[1].

وظل النجاشي أصحمة ومن أسلم معه من أهل الحبشة على يد جعفر بن أبي طالب على ولائهم لدعوة الإسلام ودولته؛ رغم الضغوط التي مارستها عليهم الدولة البيزنطية المنتصرة التي كانت مملكة الحبشة آنذاك تابعة لها، وتؤدي إليها الجزية السنوية؛ إلى أن كاتب النبي ﷺ ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام منصرفه من الحديبية سنة ٦ هـ، وأرسل إلى النجاشي المسلم أصحمة رسوله عمرو بن أمية الضمري[2]، بكتابه ﷺ إليه، الذي يدعوه فيه هو وقومه وجنوده ورجال مملكته إلى إعلان دخولهم في الإسلام رسمياً، والانضواء تحت راية الدولة الإسلامية، وإرسال من عنده من صحابة رسول الله ﷺ المهاجرين بأرض الحبشة إلى النبي ﷺ بالمدينة[3].

فأظهر النجاشي أصحمة إجلاله وتعظيمه لكتاب النبي ﷺ وأكرم رسوله عمرو الضمري، وكتب إلى النبي كتاباً رسمياً يُخبره فيه أنه دخل في الإسلام هو ورجال دولته وأهل مملكته، وأنه بايع جعفر بن أبي طالب – أمير مهاجري الحبشة وصاحب دار دعوتهم – على الإسلام، وقربه هو وصحابة رسول الله ﷺ المهاجرين عنده؛ وأنه أرسل إلى النبي ﷺ صحابته من مُهاجرة الحبشة في سفينتين كبيرتين أعدهما خصيصاً لهذا الغرض؛ وأنه اتبع هاتين السفينتين بسفينة أخرى، حملت وفداً رسمياً من أهل الحبشة، على رأسهم ابنه... ليبايعوه ﷺ باسم النجاشي ومملكة الحبشة[4].[5].

وهكذا نجح جعفر بن أبي طالب أمير مهاجري الحبشة في دعوة النجاشي أصحمة إلى الإسلام، وكسب عطفه ومساندته لدعوة الإسلام منذ الطور المكي من الدعوة؛ واستمر على ولائه ومؤازرته لدعوة

---

(١) انظر أسد الغابة، ابن الأثير، ٤٤/١

(٢) عمرو بن أمية الضمري شهد بدراً وأحداً مع المشركين، ثم أسلم حين انصرف المشركون من أحد، وكان رسول الله ﷺ يبعثه في أموره، وكان من رجال الحرب نجدة وجرأة، وكان أول مشهد شهده بئر معونة. وبعثه رسول الله ﷺ بكتابه إلى النجاشي، كما أرسله رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن حرب بهدية إلى مكة. مات في خلافة معاوية. انظر: الاستيعاب (رقم ١٧٤٤) والتقريب (رقم ٥٠٢٥).

(٣) انظر أسد الغابة، ابن الأثير، عمرو الضمري، ٨٦/٤. وانظر تاريخ الرسل، الطبري، حوادث سنة ٦ هـ، ٦٥٣/٢.

(٤) تاريخ الرسل، الطبري، ٦٥٢،٦٥٣/٢، الكامل، ابن الأثير، ٢١٣/٢.

(٥) تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد،ص ٦٢.

الإسلام ودولته في الطور المدني منها، إلى أن أعلن إسلامه رسمياً سنة ٦ هـ؛ وهكذا نجحت جهود دار الدعوة بالحبشة في الدعاية للدعوة الإسلامية بالبلاد النصرانية التي تربطها علاقات سياسية ودية ببلاد الحبشة مثل بلاد اليمن وبلاد الشام(١).

فلما أسلم هذان السيدان، أسلم جميع بني الأشهل – وهم رهط أسيد وابن معاذ – في يوم واحد، الرجال والنساء إذ كان هذان السيدان من أصحاب الرأي والعقل والحكمة والكمال في قومهم، فتابعوهم على إسلامهم، واقتدوا بهم(٢).

إنه لامراعاة لحال المدعو على حساب مبادئ الدعوة وخصائصها فالرسول ﷺ لم يلتزم لهم بالدولة من بعده لمخالفة ذلك أصول دعوة الإسلام ومنهاجها.

يتضح من بعض صيغ التي رد بها زعماء هذه القبائل على النبي ﷺ إدراكهم لخطورة ما سوف يترتب عليه مبايعتهم للنبي ﷺ على النصرة والحماية له ولدعوته من المواجهة الحربية بينهم وبين جميع القبائل بجزيرة العرب وأولها قريش قبيلة النبي ﷺ التي كانت لها الزعامة الدينية على أرجاء الجزيرة العربية لسدانتها للكعبة بيت الله العتيق فقد قال كبير وفد حجيج قبيلة بني عامر لمن معه من قومه: لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال للنبي ﷺ: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال ﷺ: « **الأمر لله يضعه حيث يشاء** » فقال له كبير بني عامر: أفتهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لاحاجة لنا بأمرك(٣).

ولقد أحرزت الدعوة الإسلامية عند عودة وفود هذه القبائل وحجيجهم إلى بلادهم ومنازلهم وديارهم بعض النجاحات مثل ما حدث في بلاد اليمن في ديار قبيلة همدان التي عاد وافدها من مبايعتة

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، ص ٦٢.

(٢) انظر أُسد الغابة، ابن الأثير، ٩٢/١ (أسيد)، والاستيعاب، ابن عبدالبر، ٦٠٢/٢-٦٠٥ (سعد بن معاذ). تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد،ص٦٧

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، ٤٢٥/١. تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد،ص٨٧.

للنبي ﷺ في موسم الحج بنبأ مبعث النبي ﷺ وأمر دعوة الإسلام فاستجاب له بعض أبناء قبيلة همدان، وأخذ يتأهب للعودة في موسم الحج المقبل مع من تبعه وأطاعه من عشيرته لمبايعة النبي ﷺ ودعوته هو وصحابته رضوان الله عليهم للهجرة إلى أرض همدان ببلاد اليمن، إلا أن بعض أفراد القبائل المجاورة لقبيلة همدان – وهي قبيلة زيد – عدَى على هذا الصحابي الهمداني الذي يُعد أول من أسلم من أهل اليمن وقتله انتقاماً لبعض الثارات الجاهلية القديمة التي كانت بين هاتين القبيلتين.

ولقد جاء عرض النبي ﷺ نفسه على قبائل العرب في موسم الحج، بأحسن النتائج في تاريخ الدعوة الإسلامية، وهي دخول أهل يثرب من قبيلتي الأوس والخزرج في الإسلام ومبايعتهم للنبي ﷺ في موسم الحج عند العقبة بيعتي العقبة في موسمين متتالين، فبايعوا البيعة الأولى على الالتزام بفرائض الإسلام وتكاليفه، ولم يذكروا القتال والجهاد في سبيل الله، لذا عُرفت هذه البيعة ببيعة النساء(1)، ثم بايعوا البيعة الثانية في العام التالي مباشرة على قتال الأحمر والأسود من الناس في سبيل نصرة الدعوة(2)، فكان هذا إيذاناً بهجرة النبي ﷺ وصحابته القرشيين إلى يثرب وقيام دولة الإسلام بها وانتقال الدعوة من الطور السلمي إلى طور آخر مقرون بالسلاح والغلبة جعل شعاره كلمة الله هي العليا(3).

إن من أحوال المدعوين اللازمة اتسامهم بالتأثر بميزان القوة والغلبة، وهاهنا شاهد قوي على ذلك، وكذلك تسيير جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه من قبل أبي بكر الصديق رضي الله عنه..

ولكن أخذت قبائل العرب القاطنة بعيداً عن أقليم نجد والمدينة المنورة التي كانت تعد قصبة هذا الأقليم وعاصمته تلوم بإسلامها أي ترجئ قبولها لدعوة الإسلام والانضواء تحت لواء الدولة الإسلامية إلى حين ظهور نتيجة الصراع السياسي والحربي الذي استعر بين النبي ﷺ وقبيلة قريش وحلفائها منذ هجرته ﷺ إلى المدينة المنورة وقيام دولة الإسلام بها، إذ كانت العرب تقول: اتركوه وقبيلته، فإن ظهر عليها فهو

---

(1) انظر السيرة النبوية، ابن هشام، 1/431 – 438. تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد،ص 89.

(2) انظر السيرة النبوية، ابن هشام، 1/438 – 467. تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، ص 89.

(3) حاجة الدعوة إلى تطور جديد، عبدالوهاب سليم، ص68. تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، ص89.

نبي، وإن ظهرت عليه، فقد كُفينا أمره[1]

ومن وجوه المراعاة لأحوال المدعو تيسير مكان الصلاة بجعل الأرض مسجداً وطهوراً... ويكمن في ذلك فيما يتصل بدعوة الناس والتأثير عليهم انبهار وإعجاب الإنسان حين يرى مثل هذه المشاهد.. وذلك بتيسير عرض وأداء هذه العبادات في كل مكان ليتاح للجميع مشاهدتها..

وكذلك من وجوه المراعاة لأحوال المدعو.. أن في إقامة شعائر الإسلام في أي أرض أو بلدة، فضلاً عن أنه يعد إظهاراً لدين الإسلام وشعائره؛ فإنه في الوقت نفسه، من شأنه أن يجذب من يُشاهد من غير المسلمين، إقامة شعائر الإسلام وصلواته، إلى الدخول في الإسلام، ويرغبه فيه، ويحببه إليه؛ لما في إقامة الشعائر وما يصاحبها من رفع الأذان، واصطفاف المُصلين خلف إمامهم كأنهم بنيان مرصوص يَشُد بعضه بعضاً، وخشوع المصلين بين يدي الله، وتناسق حركتهم في الأداء قياماً وركوعاً وسجوداً، وتلاوة آيات القرآن أثناء الصلاة؛ من إعلان بعظم هذا الدين، الذي جاءت شعائر صلاته[2] وأركانها نظاماً بديعاً توقيفياً من عند الله، كما علمه جبريل عليه السلام للنبي ﷺ، وجاء كتابه قرآناً يُتلى فيتعبد بتلاوته إلى يوم القيامة، ومعجزة بلاغية وعلمية مستمرة على تعاقب السنين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومنهجاً وشريعة تهدي إلى الصراط المستقيم.

وحسبنا دلالة على عظم أثر إقامة شعائر الصلوات في تألف غير المسلمين على الدخول في الإسلام وترغيبهم فيه، ما اعترف به أحد أعلام ومشاهير المستشرقين، وأحد رواد وأعمدة الاستشراق في العصور الحديثة، وهو أرنست رينان، بقوله: إني كلما دخلت مسجداً من مساجد المسلمين، تمنيت أن أكون مسلماً[3].

العناية بذوي المكانة

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب صلح الحديبية، عند ابن حجر: فتح الباري ٤٤٤/٨ – ٤٦٣، وباب فتح مكة. تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د.أحمد فؤاد سيد، ص ٩٠.

(٢) انظر السيرة النبوية، ابن هشام، ٢٤٣/٢-٢٤٥. تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د.أحمد فؤاد سيدص١١٤.

(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، ص ١١٤.

ذوو المكانة هم الكبراء، وهم السادة والأشراف من الناس[1] وهم الملأ الذين أشار الله تعالى إليهم في غير ماموضع من كتابه الكريم.

وقد حث الله الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم لهذا الصنف على الرفق واللين والتلطف والتدرج، في بيان الحق لهم، قال تعال مخبراً عن موسى وهارون عليهما السلام: +ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ"[2] فأمرهما الله بدعوة فرعون، بكلام رقيق لين سهل، ليكون أوقع في النفوس، وأبلغ وأنجح[3] ولما في ذلك من التأثير في الإجابة[4] ذلك أن الكلام الذي فيه شدة وخشونة بادئ ذي بدء، من أعظم أسباب النفرة، وعدم الاستجابة، والتصلب في الكفر[5] لاسيما إذا كان المدعو من الكبراء، الذين تغلب عليهم صفة الكبر والتجبر[6] وبعد تعرفه ﷺ على المدعوين، كان يولي ذوي المكانة منهم عناية خاصة، بل لقد كان يولي كبراء قومه، عناية خاصة، لمكانتهم في قومهم، ومما يدل على ذلك، مارواه ابن كثير: اجتمع علية من أشراف قريش... فبعثوا إليه إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدو، وكان حريصاً يحب رشدهم، ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم[7].

وهكذا كان موقفه ﷺ مع عمه أبي طالب، وهو كبير قريش، حيث كان يقول له: وأنت أي عم، أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه[8].

وهكذا كان موقفه ﷺ مع عتبة بن ربيعة، وهو أحد سادات قريش، فقد أظهر ﷺ من العناية به، والتلطف في دعوته، ماجعله يعود بغير الوجه الذي جاء به ومما يدل على مكانته في قريش، قولهم: صبا

---

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٣/٣.

(٢) سورة طه، الآيتان ٤٣، ٤٤.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٥٣/٣.

(٤) انظر: الشوكاني، فتح القدير ٣٦٦/٣.

(٥) انظر الفخر الرازي، التفسير الكبير ٥٨/٢٢ وانظر: الشوكاني، فتح القدير ٣٦٦/٣.

(٦) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير ٥٨/٢٢.

(٧) ابن كثير، السيرة النبوية، ٤٧٩/١،٤٧٨.

(٨) ابن هشام، السيرة النبوية ٢٢٩/١.

أبو الوليد لتصبون قريش كلها[1].

بل كان يبدأ بعرض الدعوة على ذوي المكانة، من الأشراف والسادة، يقول ابن إسحاق: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم. فدعاهم إلى الله[2].

ثم لما عاد ﷺ إلى مكة، كان لايسمع بقادم يقدمها من ذوي المكانة والشرف إلا تصدى له، فدعاه إلى الله، وعرض عليه ماعنده[3].

ثم بدأ يعرض دعوته على وفود العرب، في موسم الحج وأسواق العرب، وكانت مناسبات هامة للالتقاء بذوي المكانة من رؤساء العرب، وكان يصطحب معه نسابة قريش أبا بكر الصديق رضي الله عنه، [4] ليقوم ليقوم بمهمة تعريفه بذوي المكانة والشرف من هؤلاء الوفود، فيبدأهم بعرض الدعوة عليهم[5].

ومصعب بن عمير وهو أحد تلامذته ﷺ، ومبعوثه إلى يثرب، ليقوم بمهمة الدعوة والتعليم، هذا الداعية أظهر عناية عظيمة بذوي المكانة، من الأشراف والسادة في المجتمع المدني، فقد استفاد من أسعد بن زرارة رضي الله عنه وهو من ذوي المكانة في قومه، حيث نزل ضيفاً عليه، وأخذ يصطحبه في جولاته الدعوية[6]، ليقوم بمهمة تعريفه بذوي المكانة والشرف، ليوليهم عناية خاصة في الدعوة فحينما دخلا حائط بني عبدالأشهل، وأقبل عليهما أسيد ين حضير لزجرهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه، قد جاءك، فاصدق الله فيه[7].

وحينما أسلم أسيد بن الحضير وانضم إلى سلك الدعوة، قال لهما مبيناً مكانة سعد بن معاذ في قومه: إن ورائي رجلاً، إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد ابن معاذ[8]

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٣٩/١٥.

(٢) السيرة النبوية ابن هشام، مرجع سابق، ٤٨/٢، ٤٧.

(٣) انظر المرجع السابق، ٥٢/٢.

(٤) انظر: السيرة النبوية، ابن كثير، مرجع سابق، ٤٣٧/١.

(٥) انظر: وقفات دعوية في رحلة سفير الدعوة الأول مصعب بن عمير إلى المدينة، د. زيد بن عبدالكريم الزيد، مرجع سابق، ص٣٦.

(٦) انظر: المرجع نفسه ص٢٧، ٢٨.

(٧) السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ٥٩/٢.

معاذ[1] فلما أقبل سعد، قال أسعد بن زرارة لمصعب: أي مصعب، جاءك والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان[2].

فكان لهذه العناية بهذين الرجلين، الأثر البالغ حيث أسلم بإسلامهما جميع دور بني عبد الأشهل[3].

الأشهل[3].

ويبين ﷺ الحكمة في العناية بذوي المكانة بقوله: «**لو آمن بي عشرة من اليهود، لآمن اليهود**»[4]. يقول ابن حجر رحمه الله: والذي يظهر أنهم الذين كانوا حينئذ رؤساء في اليهود، ومن عداهم كان تبعاً لهم[5].

فهؤلاء العشرة الذين هم من علماء اليهود ورؤسائهم، والذين يقتدي بهم البهود، لو أسلموا لقادوا سائرهم إلى الإسلام[6] وتأمل موقفه ﷺ مع سيد أهل اليمامة ثمامة بن أثال رضي الله عنه، يتبين لك مدى عنايته ﷺ بذوي المكانة من الأشراف والسادة، الذين يرجى بأسلامهم إسلام أتباعهم.

ويقول ابن حجر رحمه الله، مبيناً فائدة جليلة في عناية الرسول ﷺ بثمامة: وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه، إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولاسيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه[7].

وفي هذا الصدد يعلق النووي قائلاً: هذا من تأليف القلوب، وملاطفة لمن يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير[8].

وقد صلى عليه الصلاة والسلام، على رأس المنافقين عبدالله بن أبي، واستغفر له، إلى أن نهي عن

---

(١) المرجع السابق، ٥٩/٢.

(٢) المرجع السابق، ٥٩/٢.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٦٠/٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة (رقم ٣٩٤١).

(٥) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٧ص٦٩٥.

(٦) انظر: الفتح الرباني، أحمد البنا، مرجع سابق، ١٠٢/١.

(٧) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٤٢١/٨.

(٨) شرح النووي صحيح مسلم، مرجع سابق، ٨٩/١٢.

ذلك بقوله تعالى: +وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ"[1]. فما السر في عنايته ﷺ بهذا الرجل، وهو من أكبر أعداء الدعوة، في عهدها المدني؟ يشير ابن حجر إلى السر في ذلك بقوله: قال الخطابي: إنما فعل النبي ﷺ مع عبدالله بن أبي مافعل، لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين، ولتطييب قلب ولده عبدالله الرجل الصالح، ولتألف قومه من الخزرج لرياسته فيهم[2].

ولو تأملت رسائله ﷺ في الدعوة إلى الإسلام لوجدتها تصدر لمن لهم المكانة والتعظيم من قبل أقوامهم: من محمد رسول الله ﷺ إلى عظيم الروم[3] والمراد من تعظمه الروم، وتقدمه للرياسة عليها[4]. فدل فدل على عنايته ﷺ بذوي المكانة والرياسة وتقديمهم في الدعوة والمخاطبة، ويشير ابن تيمية إلى نكتة في هذا الشأن فيقول: وطالب الرئاسة —ولو بالباطل- ترضيه الكلمة التي فيها تعظيمه وإن كانت باطلاً، وتغضبه الكلمة التي فيها ذمه، وإن كانت حقاً[5].

ومما يدل على عنايته ﷺ بهذا الصنف من المدعوين، أنه كان يجزل العطاء لبعض ضعفاء الإيمان، ممن لهم المكانة في أقوامهم، ويعلل ذلك بقوله: «**إنه رأس قومه، فأنا أتألفهم به**»[6].

وهكذا فعل النبي ﷺ في حنين، وقد دانت له العرب فقد أجزل العطاء لبعض ذوي المكانة من الأشراف والسادة، فقد روى البخاري – رحمه الله — عن عبدالله بن مسعود قال: لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة: فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الأبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب، فآثرهم يومئذ في القسمة...[7]. فآثر ﷺ هؤلاء السادة بهذا العطاء، ترغيباً لهم

---

(١) سورة التوبة، الآية ٨٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٢٣٥/٩.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: + قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ" (٦٨ ح٤٢٧٨) ١٦٥٧/٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ٨٦/٩.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ابن تيمية، مرجع سابق،٥٩٩/١٠.

(٦) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ١٤٤/١.

(٧) أخرجه البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، (رقم ٣١٥٠) ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (رقم ١٠٦٢).

ولأقوامهم في الإسلام، لما لهم من مكانة وسيادة، تجعل أقوامهم تبعاً لهم[1].

الرحمة بالمتهم والجاني بدرء الحد عن المتهم والستر عليه حسب الاستطاعة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله إني أصبت حداً فأقمه علي، قال ولم يسأله عنه قال وحضرت الصَّلاةُ فصلَّى مع النبي ﷺ فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قام إليه الرجل فقال: يا رسول الله إني أصبت حداً فَأَقِمْ فِيَّ كتاب اللَّهِ قال: « **أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا** » قال: نعم قال: « **فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ**. أَو قال **حَدَّكَ** »[2].

وهذا له علاقة وثيقة بما يقترفه المسلم من أخطاء مهما كانت، فهذا الخلل يولد عند المسلم ضيقاً، وشعوراً بالذنب والخطيئة، ولو استسلم المرء لها فإنها قد تدعو إلى الاستطالة في الانحراف واليأس من رحمة الله فيقع لذلك في الألم والحرج النفسي، ومن ثم الإغراق في ارتكاب المنهيات. لذلك فإن الله سبحانه وتعالى - رحمة بعباده – فتح لهم أبواب التوبة وكفارات الذنوب، يجد فيها المسلم ملاذاً لترك حاله السيء وإبداله بآخر حسن، فيخلف ذلك له الراحة والطمأنينة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [3].

---

(١) انظر الفتح الرباني، أحمد البنا، مرجع سابق، ٦٢/٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب إذا أقر بالحد ولم يبين هل للإمام أن يستر عليه، (رقم ٦٨٢٣).

(٣) سورة النساء، الآية ١١٠.

الفصل الثاني

مضار التقصير في مراعاة أحوال المدعو

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مضار تتعلق بالداعية.

المبحث الثاني: مضار تتعلق بالمدعو

المبحث الثالث: مضار تتعلق بالمضمون الدعوي

المبحث الأول

مضار تتعلق بالداعية

لاريب أن التقصير والإخلال في معرفة أحوال المدعو ومراعاتها يؤدي إلى سلبيات وآثار سيئة تعود على الداعية والمدعو والعمل الدعوي.

إن السلبيات والآثار السيئة التي تلحق الداعية متنوعة وكثيرة، فأولها وأكثرها تأثيراً: شعوره بالفشل والإخفاق في عمله الدعوي الأمر الذي قد يصيبه بشيء من الإحباط واليأس، وهذه غاية الشيطان التي يسعى إلى تحقيقها لكي يفوز في معركته مع الإنسان.

إن الداعية عندما يقصر في معرفة أحوال المدعو ولا يهتم به ولا يشغل باله معرفة واقعه وظروفه وملابساته، لاشك أن هذا يؤدي إلى خلل كبير يصيب كل الأطراف في العملية الدعوية.

إن التقصير الحاصل من الداعية قد يكون سببه المدعو ذاته، فإن من المدعوين من يكون سبباً في نفرة الداعي عنه وعدم الاهتمام به، بل وقد يصل الأمر ببعض الدعاة إلى عدم الحرص على المدعو، الذي كان سبباً للسخرية وإيقاع الأذى بالداعية، وهذه الحالة تجعل الداعية يصرف النظر عن المدعو، بل لا يهتم به أصلاً.

إن أسلوب السخرية والاستهزاء أسلوب يستخدمه بعض المعاندين والجاهلين لإيقاع الأذى بالداعية، وهذا هو شأن الكثير من أعداء الدعوة، وقد يكون هدفهم الأول هو الضغط على الداعية لتقليل شأنه في أعين الناس ومحاولة النيل منه، ليكون مثاراً للاستهزاء والتندر والسخرية، ومن ثم لا يتأثر الناس بمواعظه وخطبه ودعوته.

إن كثيراً من الدعاة عندما يقابل هذه النوعية من المدعوين يزهد فيهم، ويزهد في العمل الدعوي، وقد ينصرف عنه بالكلية، فيفوته خير كثير.

أما لو صبر وصابر وجاهد واقتدى برسل الله وأنبيائه وجعل منهم قدوة وأسوة له لنال الأجر الجزيل والثواب الجميل، ولكنه اليأس والشيطان اللذان يقعدانه عن هذا الخير، ويصرفانه عن هذا الأجر العظيم.

ومن الآثار السلبية التي تلحق الداعية في عمله الدعوي نتيجة عدم مراعاته لحال المدعوين أنه لا يكون له تأثير على المدعوين، ولا يهتم به المدعوون، فيكون حديثه هباءً منثوراً. إن هذه السلبيات تختلف من حال إلى أخرى، فقد تكون ضخمة، وقد تكون صغيرة وقد تكون بين ذلك.

ومن الآثار السلبية التي تلحق الداعية في عمله الدعوي إضاعة وقته وجهده وماله، وتفويت فرصة اللقاء بالمدعو أو التأثير فيه، الأمر الذي يجعل فرصة اللقاء به ثانية قليلة أو نادرة. أو يكون سبباً لفتح باب الشبهات وإثارة الشكوك لدى المدعو، وقد كان بوسع الداعية أن يتجنبها ويتحاشاها بحسن مراعاته لأحوال المدعو.

ومن الآثار السلبية التي تنجم عن عدم مراعاة أحوال المدعو فتح السبيل للمدعو في الطعن في الإسلام والنيل من تعاليمه واهتمام الإسلام بتهم هو منها بريء، وهذا أمر لاشك فيه أنه يحزن الداعية، ويسبب له حرجاً نفسياً وضرراً شديداً يؤثر فيه سلباً.

قال الله تعالى: + أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ" (١) أي لا تأسف على ذلك، فإن الله حكيم في قدره، إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي، لما له في ذلك من الحجة البالغة والعلم التام، ولهذا قال: +إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ" وعن عبد الله بن الديلمي قال: أتيت عبد الله بن عمرو وهو في حائط بالطائف يقال له: الوهط. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((**إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من نوره يومئذ فقد اهتدى، ومن أخطأه منه ضل، فلذلك أقول: جف القلم على ما علم الله عز وجل** (٢) (٣)

وقال الله تعالى: + قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ " (٤)

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٨.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (رقم ٢٦٤٢) وقال: هذا حديث حسن.

(٣) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير. مختصر تفسير القرآن العظيم، الشيخ أحمد شاكر، دار الوفاء، ط٢ سنة ١٤٢٦ مصر (١٠٣/٢).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: صرح تعالى في هذه الآية الكريمة بأنه يعلم أن رسوله صلى الله عليه وسلم يحزنه ما يقوله الكفار من تكذيبه صلى الله عليه وسلم، وقد نهاه تعالى عن هذا الحزن المفرط في مواضع أخر، كقوله: + رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ"(1) الآية، وقوله: + فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ" (2) وقوله: + فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا " (3) وقوله: + لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ" (4) وهو المهلك نفسه. ومنه قول غيلان بن عقبة:

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه　　　لشيء نحته عن يديه المقادر.

وقوله: +لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ" في الآيتين يراد به النهي عن ذلك، ونظيره: + فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ" (5) أي لا تهلك نفسك حزناً عليهم في الأول، ولا تترك بعض ما يوحى إليك في الثاني(6) .

فالداعية إلى الله عندما يرى إعراضاً وفتوراً من المدعوين يصيبه الحزن ويتأسف على موقف الناس من الدعوة وإعراضهم عنها، فيصاب بالأسى ويتفطر قلبه ألماً وحسرة، وخاصة إذا كانوا من أهله وذوي أرحامه.

وهذا الضرر لا ينفك عنه في عمله الدعوي، وهذا ما حدث للداعية الأول من أجل ذلك جاءت هذه الآيات لتخفف عنه بعض الوطأة وتذهب عن نفسه بعض الألم.

قال أبو بكر رضي الله عنه: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: + يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ" أي الزموا حفظ أنفسكم عن المعاصي، فإذا حفظتم أنفسكم لم

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ٨.

(2) سورة المائدة، الآية: ٦٨.

(3) سورة الكهف، الآية: ٦.

(4) سورة الشعراء، الآية: ٣.

(5) سورة هود، الآية: ١٢.

(6) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الكتب العلمية، ط١ سنة ١٤١٧هـ، بيروت (٢-١٤٤-١٤٥).

يضركم إذا عجزتم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضلال من ضل بارتكاب المناهي إذا اهتديتم إلى اجتنابها، إنكم تقرأون هذه الآية، وتجرون على عمومها، وتمتنعون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس كذلك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس**» أي المطيقين إزالة المنكر مع سلامة العافية «**إذا رأوا الظالم**» أي علموا ظلمه وفسقه وعصيانه «**فلم يأخذوا على يديه**» أي لم يكفوه عن الظلم بقول أو فعل «**أوشك**» بفتح الهمزة والشين أي قارب أو أسرع «**أن يعمهم الله بعقاب منه**» إما في الدنيا أو الآخرة أو فيهما، لتضييع فرض الله بلا عذر.

قال أبو عبيدة: خاف الصديق أن يتأول الناس الآية غير تأويلها، فيدعوهم إلى ترك الأمر بالمعروف، فأعلمهم أنها ليست كذلك، وأن الذي أذن في الإمساك عن تغييره عن المنكر هو الشرك، الذي ينطق به المعاهدون من أجل أنهم يتدينون به وقد صولحوا عليه، فأما الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام فلا يدخل فيه.

وقال النووي: وأما قوله تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ" الآية فليست مخالفة لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية: أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به، فلا يضركم تقصير غيركم، مثل قوله تعالى: +وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ" فإذا كان كذلك فمما كلف به الأمر بالمعروف إذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك عليه لكونه أدى ما عليه.[1].

وقال ابن المبارك: قوله تعالى: +عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ" خطاب لجميع المؤمنين أي عليكم أهل دينكم كقوله تعالى: +وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ" فكأنه قال: ليأمر بعضكم بعضا، ولينه بعضكم بعضا، فهو دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يضركم ضلال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب، وهذا لأن الأمر بالمعروف يجري مع المسلمين من أهل العصيان كما تقدم، وروي معنى هذا عن سعيد بن جبير، وقال سعيد بن المسيب: معنى الآية +لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ" بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقال ابن خويزمنداد: تضمنت الآية اشتغال الإنسان بخاصة نفسه، وتركه التعرض لمعائب الناس والبحث عن أحوالهم، فإنهم لا يسألون عن حاله، فلا يسأل عن حالهم، وهذا كقوله تعالى: +كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري ، مرجع سابق، ٦/٣٢٤.

رَهِينَةٌ" + وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ" وقول النبي ﷺ: «**كن جليس بيتك وعليك بخاصة نفسك**»[1] ويجوز أن يكون أريد به الزمان الذي يتعذر فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فينكر بقلبه ويشتغل بإصلاح نفسه. وقال جابر بن زيد: معنى الآية: يا أيها الذين آمنوا من أبناء أولئك الذين بحروا البحيرة وسيبوا السوائب عليكم أنفسكم في الاستقامة على الدين، لا يضركم ضلال الأسلاف إذا اهتديتم. قال: وكان الرجل إذا أسلم قال له الكفار: سفهت آباءك وضللتهم وفعلت وفعلت. فأنزل الله الآية بسبب ذلك، وقيل: الآية في أهل الأهواء الذين لا ينفعهم الوعظ، فإذا علمت من قوم أنهم لا يقبلون بل يستخفون ويظهرون فاسكت عنهم.

وقيل: نزلت في الأسارى الذين عذبهم المشركون حتى ارتد بعضهم، فقيل لمن بقي على الإسلام: عليكم أنفسكم لا يضركم ارتداد أصحابكم. وقال: سعيد بن جبير: هي في أهل الكتاب. وقال مجاهد: في اليهود والنصارى ومن كان مثلهم يذهبان إلى أن المعنى: لا يضركم كفر أهل الكتاب إذا أدوا الجزية. وقيل: هي منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قاله المهدوي. قال ابن عطية: وهذا ضعيف ولا يعلم قائله. قلت: قد جاء عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه قال: ليس في كتاب الله تعالى آية جمعت الناسخ والمنسوخ غير هذه الآية قال غيره: الناسخ منها قوله: +إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ" والهدى هنا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والله أعلم. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعين متى رجي القبول أو رجي رد الظالم ولو بعنف ما لم يخف الآمر ضررا يلحقه في خاصته أو فتنة يدخلها على المسلمين: إما بشق عصا، وإما بضرر يلحق طائفة من الناس، فإذا خيف هذا فعليكم أنفسكم محكم واجب أن يوقف عنده، ولا يشترط في الناهي أن يكون عدلا كما تقدم، وعلى هذا جماعة أهل العلم فاعلمه[2].

ومن المضار التي تصيب الداعية في حالة تقصيره في مراعاة أحوال المدعوين أن الله عز وجل إذا أصاب هؤلاء المعاندين والمعرضين فإن العقوبة تعم الجميع وتأخذ الصالح والطالح، ولا تفرق بين المطيع والعاصي، فيصيب الداعية ما يصيب المدعو وإن كان كل منهما يبعث على نيته، كما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا**

---

(١) أخرجه بلفظ قريب الحاكم (٥٧٠/٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٣٤٤/٦.

ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم» قالت: قلت: يارسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: « **يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم»**[1].

عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا**» [2]. ففي هذا الحديث تعذيب العامة بذنوب الخاصة، وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال علماؤنا: فالفتنة إذا عملت هلك الكل، وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير، وإذا تغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها، وهكذا كان الحكم فيمن كان قبلنا من الأمم، كما في قصة السبت حين هجروا العاصين، وقالوا: لا نساكنكم. وبهذا قال السلف رضي الله عنهم، روى ابن وهب عن مالك أنه قال: تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهارا ولا يستقر فيها. واحتج بصنيع أبي الدرداء في خروجه عن أرض معاوية حين أعلن بالربا، فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها. وعن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «**إذا أنزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم**»[3]. فهذا يدل على أن الهلاك العام منه ما يكون طهرة للمؤمنين، ومنه ما يكون نقمة للفاسقين. وروى مسلم عن عبد الله بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: عبث رسول الله ﷺ في منامه، فقلت: يا رسول الله صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله؟! فقال: «**العجب إن ناسا من أمتي يؤمون هذا البيت برجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم**» فقلنا: يا رسول الله إن الطريق قد يجمع الناس؟ قال: «**نعم، فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل، يهلكون مهلكا واحداً، ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم**»[4][1].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق (رقم ٢١١٨) ومسلم بمعناه (رقم ٢٨٨٢، ٢٨٨٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه (رقم ٢٤٩٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب إذا أنزل الله بقوم عذابا (رقم ٧١٠٨).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفتن، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت (رقم ٢٨٨٤).

وعن خيثمة قال: قال عبدالله يعني ابن مسعود لامرأته اليوم خير أم أمس؟ فقالت: لا أدري. فقال: لكني أدري أمس خير من اليوم، واليوم خير من غد، وكذلك حتى تقوم الساعة.

ومن المضار التي تلحق الداعية في حالة تقصيره في مراعاة أحوال المدعوين أن يتجرأ المدعو على الداعي، ويتعرض له بالجرح والسب والإيذاء، فإن عدم المراعاة هنا قد تجعل المدعو عدواً للداعية، يصب عليه جام غضبه، وينكل به، وقد يصل الأمر إلى الأسر والحبس والضرب والقتل في كثير من الأحيان، فهذا يعد من أكثر المضار وأشدها على نفس الداعية، لذا ينبغي على الداعية أن يوطن نفسه لتلقي مثل هذه المصائب، فهذا أمر لا ينفك منه الداعية إلى الله على مر الدهور وتعاقب الأزمان.

فعن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «**لو كان المؤمن في جحر ضب لقيض إليه فيه من يؤذيه أو قال منافقاً يؤذيه**».

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيجيء أقوام في آخر الزمان تكون وجوههم وجوه الآدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين، لا يرعون عن قبح، إن تابعتهم واروك، وإن تواريت عنهم اغتابوك، وإن حدثوك كذبوك، وإن ائتمنتهم خانوك، صبيهم عامر، وشابهم شاطر، وشيخهم لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، الاعتزاز بهم ذل وطلب ما في أيديهم فقر، الحليم فيهم غاو والآمر بالمعروف فيهم متهم**»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله جل وعلا يسأل العبد يوم القيامة، حتى إنه ليقول له: ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقن الله عبدا حجته يقول: يا رب وثقت بك وفرقت من الناس. أو فرقت من الناس ووثقت بك**». [٣]

يؤمر كل رجل أن يأتي من طاعة الله ورسوله بما استطاعه، ولا ينقل من طاعة الله ورسوله بطريقته وإن كان فيها نوع نقص أو خطأ، ولا يبين له نقصها إلا إذا نقل إلى ما هو أفضل منها، وإلا فقد ينفر

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٣٩٢/٧.

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ٩٩/١١ رقم (١١١٦٩).

(٣) أخرجه ابن حبان ٣٦٨/١٦ رقم (٧٣٦٨) وأحمد ٢٩/٣.

قلبه عن الأولى بالكلية حتى يترك الحق الذي لا يجوز تركه، ولا يتمسك بشيء آخر، وهذا باب واسع ليس الغرض هنا استقصاؤه، وهو مبني على أربعة أصول :

أحدها: معرفة مراتب الحق والباطل والحسنات والسيئات والخير والشر، ليعرف خير الخيرين وشر الشرين.

الثاني: معرفة ما يجب من ذلك وما لا يجب، وما يستحب من ذلك وما لا يستحب.

الثالث: معرفة شروط الوجوب والاستحباب من الإمكان والعجز، وأن الوجوب والاستحباب قد يكون مشروطا بإمكان العلم والقدرة.

الرابع: معرفة أصناف المخاطبين وأعيانهم، ليؤمر كل شخص بما يصلحه، أو بما هو الأصلح له من طاعة الله ورسوله، وينهى عما ينفع نهيه عنه ولا يؤمر بخير يوقعه فيما هو شر من المنهي عنه مع الاستغناء عنه.

وهذا القدر الذي دلت عليه هذه الآية من أن دين من أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم هو أحسن الأديان أمر متفق عليه بين المسلمين معلوم بالاضطرار من دين الإسلام[١].

ومن المضار المترتبة على عدم المراعاة القصور الذي اعترى النظرات غير المهتدية للإنسان في سعيها لتشخيص واقعه ومعرفة أحواله، حين نظرت الدراسات النفسية الغربية إليه من زوايا، وأغفلت أخرى بدعوى أنها من مباحث الفلسفة التي لا ينبغي أن يخوض فيها علم النفس[٢]، فكان أن لحق عملية التشخيص السوي لأحوال الإنسان ضرران كبيران: الأول: جعل هذه الدراسات على غير وعي بالإنسان المتكامل ... فانحرف معظمها إلى دراسة أجزاء متفرقة منه على أنها هي الإنسان، وأدت تلك الصورة الجزئية إلى إعطاء صورة خاطئة ومشوهة عن الإنسان. كما ترتب عليها انتشار كثير من المفاهيم الخاطئة في جملة من الأمور المتعلقة بمضمار التعامل معه.

أما الضرر الثاني: عدم التمييز كثيراً بين الحالات السوية والحالات المنحرفة، لافتقارها المقياس الذي

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ابن تيمية، مرجع سابق، ٤٣٣/١٤، ٤٣٤.

(٢) دراسات في النفس الإنسانية، محمد قطب (دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ) ص ١٣.

ترجع إليه لمعرفة ذلك وتحديده، وعاملت كل شيء على أنه هو الواقع النفسي الذي تُستخلص منه النظريات والتطبيقات[1].

ضرورة العدل مع المخالفين وعدم تمكين العداء معهم أو اختلافهم الدين من عدم فهم واقعهم ومراعاته المراعاة الشرعية الصحيحة، قال الله تعالى: +وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ".

إن الاهتمام بالواقع لا يعني إخضاع الشريعة، ولا يعني أن نقر النظرية التبريرية التي تسعى لتبرير الواقع السيئ، وتجعل له سنداً من الدين.

وأن الله سبحانه جعل نواميس الكون ملائمة لفطرة الإنسان وطاقاته.

ومنها أن لا يترتب على معرفة حال المدعو محظور ضرره أشد من نفعه كالتجسس.. وغيره.

فيضع الداعية في اعتباره أن لا يكون ممن يمقتهم الله سبحانه، فيكون ممن يأمرون فلا يأتمرون، وينهون فلا ينتهون، ويفعلون ما ينهون عنه، قال سبحانه يعتب على بني إسرائيل +۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" وهذا من صوارف القبول.. والقدوة ظاهرة بين الداعي وبين الناس إذا أحبت الناس الداعي أحبته. والهيبة بالمحبة لها أثر في السلوك والتقويم والتوجيه.. ولذا فقد كمل الله سبحانه خلق الرسول ﷺ وجمل سيرته، فانعقدت القلوب على حبه والشهادة له بالخير والصلاح.

فلابد أن تظهر شمائل الإسلام وآدابه وأخلاقه ورحمته وبره من خلال أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته.. ولذا قال بعض السلف من العلماء العاملين لطلابه: ادعوا الناس وأنتم صامتون. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: تأدبوا بآداب الإسلام، وتخلقوا بأخلاقه، وادعوا الناس بأفعالكم قبل أن تدعوهم بأقوالكم..

ولذا فمن اتسم بذلك يذكر سنن الرسول ﷺ من خلال أقواله وأفعاله وسائر سلوكه.. وهكذا الشأن في رسول الله ﷺ، حيث ارتسم ذلك كله لديه، فكان محبوباً مقبولاً لدى الجميع مؤثراً في الناس. قال جرير بن عبدالله: ما لقيت رسول الله ﷺ إلا تبسم في وجهي. قال أنس رضي الله عنه: ولقد خدمت النبي ﷺ عشر

---

(١) انظر المرجع السابق، ص ١٤ وما بعدها.

سنين ما لمست حريراً ولا ديباجاً ألين من كفه، ولا قال لي يوماً قط: أف. هذا من صغار الناس وعامله هذه المعاملة: وأما بالنسبة لأهله وزوجه تقول عائشة رضي الله عنها ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً وضع بين يديه، ما كان يجرح المشاعر

إن القلوب تنتظر قبل الكلمة أن ترى الفعل + وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ".

فيقال: لا ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانا عاما مجملا، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه وعلم الكتاب والحكمة وحفظ الذكر والدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهذا واجب على الكفاية منهم(١).

إن حصول الضرر المترتب على ترك الأمر والنهي في حق المدعو لا يتمشى وما قرره المنهج الدعوي للإسلام، وهذا يؤيد ما قرره أهل العلم في تأويل قول الله تعالى: +لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ"(٢). ففيه قولان: أحدهما: لا يضركم من ضل بترك الأمر بالمعروف إذا اهتديتم أنتم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قاله حذيفة بن اليمان وابن المسيب.

والثاني: لا يضركم من ضل من أهل الكتاب إذا أدوا الجزية. قاله مجاهد.

وفي قوله + فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ" تنبيه على الجزاء.

فعلى ما ذكرنا عن الزجاج في معنى الآية هي محكمة، وقد ذهب قوم من المفسرين إلى أنها منسوخة، ولهم في ناسخها قولان:

أحدهما: أنه آية السيف .

والثاني: أن آخرها نسخ أولها، روي عن أبي عبيد أنه قال: ليس في القرآن آية جمعت الناسخ

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية ، مرجع سابق،٥١/١.

(٢) سورة المائدة، الآية ١٠٥.

والمنسوخ غير هذه، وموضع المنسوخ منها إلى قوله: +لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ" والناسخ قوله: +إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ " والهدى هاهنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١).

وعن شداد بن أوس عن رسول الله ﷺ قال: «**ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من أهل الكتاب حذو القذة بالقذة**»(٢).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع أمه لفعلتم**»(٣).

وعن المستورد بن شداد أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تترك هذه الأمة شيئاً من سنن الأولين حتى تأتيه**»(٤).

عن عبدالله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له أنت ظالم فقد تودع منهم**»(٥).

وعن عدي بن عدي الكندي حدث عن مجاهد قال ثنا مولى لنا أنه سمع جدي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله ﷻ لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة**»(٦).

وعن جابر وأبي أيوب الأنصاري قالا قال رسول الله ﷺ : «**ما من امرئ يخذل مسلما في موطن**

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، الجوزي ، مرجع سابق، ٢/٤٤٣.

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٢٥) والطبراني في الكبير ٧/٣٣٨ رقم (٧١٤٠) وقال الهيثمي في المجمع ٧/٢٦١: رواه أحمد والطبراني ورجاله مختلف فيهم.

(٣) أخرجه الحاكم ٤/٤٥٥ وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني بشواهده كما في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٤٨).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (رقم ٦٦٢٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٢١٩).

(٥) أخرجه أحمد ٢/١٩٠ والحاكم (٤/٩٦) وصححه ووافقه الذهبي. بينما ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٥٠١).

(٦) أخرجه أحمد ٤/١٩٢ وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (رقم ٢٤٣١) والطحاوي في شرح معاني الآثار (رقم ١١٧٥) والطبراني في الكبير ١٧/١٣٨ رقم (٣٤٣) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ١٦٧٥).

ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته. وما من امرئ ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»[(١)].

وعن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده**» فقلت: يا رسول الله أما فيهم صالحون؟ قال: «**بلى**» قلت: فكيف يصنع بأولئك؟ قال: «**يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان**»[(٢)].

وعن بريدة قال قال رسول الله ﷺ: «**ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم، ولا ظهرت فاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الموت، ولا منع قوم قط الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر**»[(٣)].

وأما قوله تعالى: +وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ " يدل على وجوب استعمال اللين والرفق وترك الفظاظة والغلظة في الدعاء إلى الله تعالى، كما قال تعالى: +ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ " وقوله تعالى لموسى وهارون: +فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ" وقوله تعالى: +وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ " اختلف الناس في معنى أمر الله تعالى إياه بالمشاورة مع استغنائه بالوحي عن تعرف صواب الرأي من الصحابة، فقال قتادة والربيع بن أنس ومحمد بن إسحاق: إنما أمره بها تطييباً لنفوسهم، ورفعا من أقدارهم، إذ كانوا ممن يوثق بقوله ويرجع إلى رأيه. قال سفيان بن عيينة: أمره بالمشاورة لتقتدي به أمته فيها ولا تراها منقصة، كما مدحهم الله تعالى بأن أمرهم شورى بينهم. وقال الحسن والضحاك: جمع لهم بذلك الأمرين جميعاً في المشاورة، ليكون لإجلال الصحابة، ولتقتدي الأمة به في المشاورة. وقال بعض أهل العلم: إنما أمره بالمشاورة فيما لم ينص له فيه على شيء بعينه، فمن القائلين بذلك من يقول: إنما هو في أمور الدنيا خاصة، وهم الذين يأبون أن يكون النبي ﷺ يقول شيئا من أمور الدين من طريق الاجتهاد، وإنما هو في أمور الدنيا خاصة، فجائز أن يكون النبي ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبته (رقم ٤٨٨٤) وأحمد ٣٠/٤ والطبراني في الأوسط (رقم ٨٦٣٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٦٩٠).

(٢) أخرجه أحمد ٣٠٤/٦ والطبراني في معجمه الكبير ٣٢٥/٢٣ رقم (٧٤٧).

(٣) أخرجه الحاكم ١٣٦/٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

يستعين بآرائهم في ذلك، ويتنبه بها على أشياء من وجوه التدبير ما جائز أن يفعلها لولا المشاورة واستشارة آراء الصحابة. وقد أشار الحباب بن المنذر يوم بدر على النبي ﷺ بالنزول على الماء فقبل، وأشار منه عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يوم الخندق بترك مصالحة غطفان على بعض ثمار المدينة فينصرفوا، فقبل منهم وخرق الصحيفة في أشياء من نحو هذا من أمور الدنيا. وقال آخرون: كان مأمورا بمشاورتهم في أمور الدين والحوادث التي لا توقيف فيها عن الله تعالى، وفي أمور الدنيا أيضا مما طريقه الرأي وغالب الظن، وقد شاورهم يوم بدر في الأسارى، وكان ذلك من أمور الدين، وكان ﷺ إذا شاورهم فأظهروا آراءهم ارتأى معهم، وعمل بما أداه إليه اجتهاده، وكان في ذلك ضروب من الفوائد: أحدها: إعلام الناس أن ما لا نص فيه من الحوادث فسبيل استدراك حكمه الاجتهاد وغالب الظن. والثاني إشعارهم بمنزلة الصحابة رضي الله عنهم وأنهم أهل الاجتهاد وجائز اتباع آرائهم، إذ رفعهم الله إلى المنزلة التي يشاورهم النبي ﷺ ويرضى اجتهادهم ويحريهم لموافقة النصوص[1].

إن حجم المضار التي تلحق الداعية جرّاء تقصيره في مراعاة أحوال المدعوين يتخلف بحسب حجم التقصير، فمنهم من يكون الضرر ضخماً وكبيراً ومؤثراً على الداعية فيصيبه في مقتل، ومنهم من يكون الضرر خفيفاً وسهلاً لا يشكل مصيبة في حياة الداعية، فيمر به مروراً عابراً سرعان ما يستعيد نشاطه، ويستدرك أخطاءه، ويعالج تقصيره، ويعود إلى عافيته، ويرجع إلى دعوته ووظيفته. ومنهم من يكون ما بين هذين النوعين، كل حسب ما يرتكبه من أخطاء وأضرار في عمله الدعوي.

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص، مرجع سابق، ٣٢٩/٢.

المبحث الثاني

مضار تتعلق بالمدعو

إن الداعية حينما لا يراعي أحوال المدعو أو حينما لا يعلم ما ينبغي أن يكون عليه في دعوته من معرفة أحوال المدعو وظروفه وملابسات حياته الخاصة والعامة، هذا الجهل وعدم المراعاة تؤدي إلى نتائج سلبية وأضرار مادية ومعنوية، تؤثر على المدعو تأثيراً عظيماً. فلابد من مراعاة أحوال المدعو النفسية ومعرفة الوقت المناسب لدعوته، فليس كل وقت يصلح للدعوة، لأن المدعو يعتريه بعض الضعف والعجز، وقد يكون لديه قبول أو رد، وقد يكون في حالة نشاط أو حالة كسل وفتور. فالداعية عندما لا يراعي مثل هذه الظروف يتخبط في عمله الدعوي. فالمدعو قد يكون عنده إعراض بسبب انشغاله بالبحث عن الرزق وتأمين سبل الحياة، وقد يكون وقع في مشكلة تؤرقه وتستحوذ على فكره فتصرفه عن الاستماع للحق، وبالتالي فإن مخاطبته في مثل هذه الظروف ليس من الحكمة، بل قد يكون الحديث معه في مثل هذه الحالة سبباً لنفرته وإعراضه وكراهيته للحق الذي يُدعى إليه. وكذلك الحال فليس من الحكمة مخاطبة المدعو في كل وقت وفي كل لقاء، فلا بد من مراعاة هذا الجانب لأن المدعو قد يصيبه ملل أو سآمة، من أجل ذلك كانت الوصية في اختيار الأوقات المناسبة لإلقاء الموعظة، فقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السآمة علينا» (١)

فإن عدم مراعاة مثل هذه الحالة يؤدي بالمدعو إلى النفور وكراهة الحق والإعراض عنه وعدم استجابة المدعو للدعوة ورفضه لما يعرض عليه من الخير. وهذا يعد من أخطر الأضرار التي تصيب المدعو من جراء عدم مراعاة الداعية لأحوال المدعو.

فينبغي على الداعية أن يسلك مسلك الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقد ورد عن شقيق أنه قال: كنا جلوساً عند باب عبد الله (أي ابن مسعود) ننتظره، فمر بنا يزيد بن معاوية النخعي، فقلنا: أعلمه بمكاننا. فدخل عليه فلم يلبث أن خرج علينا عبد الله، فقال: إني أخبر بمكانكم،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا (رقم ٦٨) ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب الاقتصاد في الموعظة (رقم ٢٨٢١).

فما يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملكم، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة في الأيام مخافة السآمة علينا. وهذا الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: حدِّث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرار، ولا تمل الناس هذا القرآن. ولا ألفيتك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه، فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب [1] .

إن من الأمور المهمة في نجاح العملية الدعوية أن يدرك الداعية أهمية إقبال المدعوين عليه، ولعل الصحابي الجليل ابن عباس كان يدرك طبيعة النفس البشرية من حبها للاستئثار بالحديث والتطويل، فيه فوجه رضي الله عنه الداعية إلى عدم الزيادة في مخاطبة المدعوين عن مرة واحدة في الأسبوع، فإن كان ولابد فمرتين، وألا يكثر عن ثلاث مرات حتى لا يشق على الناس، ولا يكلفهم العنت. وحذر الداعية ألا يهجم على محدثيه بمواعظه وهم في حديث غيره، فإن ذلك مدعاة لانصرافهم وإعراضهم. ففي أثر ابن عباس هذا فوائد جمة تعرض لبعضها الحافظ ابن حجر رحمه الله بقوله: "كراهة التحديث عند من لا يقبل عليه، والنهي عن قطع حديث غيره، وأنه لا ينبغي نشر العلم عند من لا يحرص عليه، ويحدث من يشتهي سماعه لأنه أجدر أن ينتفع به" [2]

وعلى هذا المنوال سار التابعون واقتفوا الأثر فهذا التابعي الجليل مسروق يقول: لا تنشر بزك إلا عند من يبغيه، وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير رحمه الله: لا تطعم مقامك من لا يشتهيه. أي لا تحدث بالحديث من لا يريده [3].

فإن مراعاة أحوال المدعو من أهم أسباب نجاح العملية الدعوية، وعدم مراعاتها من أهم أسباب فشل العملية الدعوية وخسران المدعو، بل قد ينقلب ضد الدعوة ويكون عدواً لها وقد كان من قبل يؤمل أن يكون من رجالها الحامين لحماها والمدافعين عنها.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يكره من السجع في الدعاء (رقم ٦٣٣٧).

(٢) فتح الباري، (١٣٩/١١).

(٣) انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٣٢٧/١، ٣٢٨).

ومن المضار تجرئة المدعو على الإسلام والمسلمين وتمكينه من مجاوزة الحد لتوهمه بالتساهل معه والضعف أمامه:

وذكر ابن المبارك أخبرني حرملة بن عمران حدثني كعب بن علقمة أن غرفة بن الحارث الكندي وكانت له صحبة من النبي ﷺ سمع نصرانيا شتم النبي ﷺ فضربه فدق أنفه، فرفع ذلك إلى عمرو بن العاص، فقال له: إنا قد أعطيناهم العهد. فقال له غرفة: معاذ الله أن نعطيهم العهد على أن يظهروا شتم النبي ﷺ، وإنما أعطيناهم العهد على أن نخلي بينهم وبين كنائسهم، يعملون فيها ما بدا لهم، وأن لا نحملهم على ما يطيقون وإن أرادهم عدو قاتلنا دونهم(١).

يتخير الله تعالى في كل عصر وزمان واحدا من بين خلقه، فيضفي عليه فضائل الملك ويزينه بها، ويكل إليه مصالح البلاد وراحة العباد، ويوصد به أبواب الفساد والاضطراب والفتنة، ويبث هيبته ووقاره في أعين الورى وأفئدتهم، ليقضي الناس أيامهم في ظل عدله ويعيشوا آمنين متمنين دوام ملكه .

فإذا ما بدا والعياذ بالله من العباد عصيان واستخفاف بالشريعة أو تقصير في طاعة الله تعالى واتباع أوامره، وأراد أن يعاقبهم ويجازيهم بأعمالهم – لا أرانا الله مثل هذه الأيام وجنبنا هذا الإدبار – فإنه تعالى يصب عليهم جام غضبه وخذلانه بأن يحرمهم من ملك صالح يختطفه من بينهم، فتشب الفتن وتشرع السيوف وتهرق الدماء، ويفعل الأقوياء ما يشاؤون إلى أن يهلك المجرمون والعاصون جميعا في أتون تلك الفتن ونزيف الدم، ويخلو العالم منهم ويصفو، ولا مناص من أن يهلك والحال هذه عدد من الأبرياء بجريرة المذنبين، فحين تشتعل النار في المقصبة، فإنها تلتهم اليابس كله وقسماً كبيراً من الأخضر أيضاً بالمجاورة.

ومن ثم فإن الله بقدرته الربانية يختص أحد عباده بالسعادة والملك ويمنحه ما هو أهله من ثروة ونعمة، ويهبه عقلا وعلما وحكمة يرعى بها من هم في إمرته، ويسيرهم كل بما يستحق، ثم يضع كلا منهم في المحل والمكان والعمل الذي يليق به، ويصلح له. أما الوزراء والأكفاء من الرجال فيختارهم من وسط الرعية، ويحلهم الدرجات والمنازل الرفيعة، ويعتمد عليهم في المهام الدينية والدنيوية، ليجنب الرعية التي سلكت سبيل الطاعة وانصرفت إلى شؤونها وأعمالها الخاصة المتاعب والآلام، ليقضوا حياتهم في راحة

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول، شيخ الإسلام ابن تيمية ، مرجع سابق،٢/٣٨٦.

وطمأنينة في ظل عدله. وإذا ما ظهر من أحد الوزراء والعمال تقصير وتطاول فارتدع بعد تأديبه ونصحه ومجازاته وسدر عن غيه وصحا من غفوته فلا بأس في الإبقاء عليه وألا تجب تنحيته واستبداله بآخر لائق.

وإذا لم يقدر فريق من الرعية النعمة والأمن والراحة والاستقرار حق قدرها فسولت لهم نفوسهم بالخيانة والتمرد، وتجاوزوا حدودهم وأقدارهم، فتنبغي مؤاخذتهم وتقريعهم بقدر ذنوبهم ومجازاتهم، ومعاقبتهم بقدر جرمهم، ثم العفو عنهم وغض الطرف عما حدث[١].

قال عمر بن عبدالعزيز: لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى يحكم أمر نفسه لتواكل الناس الخير، ولذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة[٢].

إن عامة الناس تفتقر حالهم إلى المراعاة المناسبة إذا غاب عنهم الولاة المصلحون والعلماء الناصحون.

عن قبيصة أن عبادة بن الصامت الأنصاري النقيب صاحب رسول الله ﷺ غزا مع معاوية أرض الروم، فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كسر الذهب بالدنانير وكسر الفضة بالدراهم، فقال: يا أيها الناس إنكم تأكلون الربا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تبتاعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل، لا زيادة بينهما ولا نظرة**» فقال له معاوية: يا أبا الوليد لا أرى الربا في هذا إلا ما كان من نظرة. فقال عبادة: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن رأيك، لئن أخرجني الله لا أساكنك بأرض لك عليَّ فيها إمرة. فلما قفل لحق بالمدينة، فقال له عمر بن الخطاب: ما أقدمك يا أبا الوليد فقص عليه القصة، وما قال من مساكنته فقال: ارجع يا أبا الوليد إلى أرضك، فقبح الله أرضا لست فيها وأمثالك، وكتب إلى معاوية: لا إمرة لك عليه، واحمل الناس على ما قال فإنه هو الأمر[٣].

عن يوسف بن ماهك قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك وما يضرك؟ قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك. قالت: لم؟ قال: لعلي أولف القرآن عليه، فإنه يقرأ غير مؤلف. قالت: وما يضرك أيه قرأت قبل؟ إنما نزل أول ما نزل منه سورة من

---

(١) سير الملوك، نظام الملك حسين الطوسي (دار الثقافة، قطر، ١٤٠٧هـ) ص ٤٦،٤٥.

(٢) البداية والنهاية، بن كثير ، مرجع سابق، ٢٠٩/٩.

(٣) أخرجه ابن ماجة، في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه (رقم ١٨).

المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر. لقالوا: لا ندع الخمر أبدا. ولو نزل: لا تزنوا. لقالوا: لا ندع الزنا أبدا. لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب +بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ" وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده. قال: فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السور[١].

وقد ينجم عن غياب المراعاة حصول الأذى من المدعو للدعوة ومن يحملها، لكون عرضها عليه سبباً في إثارته واستفزازه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى +وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا" قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به. فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: +وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ" أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن +وَلَا تُخَافِتْ بِهَا" عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا[٢].

من أشكال المراعاة لحال المدعو المتصفة بصعوبة مغالبة الصعب المحال. ففي الصحيح، عن ابن عباس أن النبي ﷺ أمَّر عبدالله بن حذافة السهمي ﷺ على سرية، فأمرهم أن يوقدوا ناراً فيدخلوها، فهموا أن يفعلوا، ثم كفوا؛ فبلغ النبي ﷺ فقال: « **إنما الطاعة في المعروف** » وفي صحيح البخاري، عن ابن عباس قال: نزلت +**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ**"[٣]؛ في عبدالله بن حذافة، بعثه النبي ﷺ في سرية[٤].

قلت: قد يترتب على إنهاك المدعو ملله وإعراضه..

والله سبحانه إنما ذكر هذه الأصناف في الآية ليبين من يسقط عنه قيام الليل من أهل الأعذار فذكر المريض والمسافر اللذين ذكرا في الحديث، وذكر المسافرين في ضربين الضاربين في الأرض يبتغون من فضل الله والمقاتلين في سبيل الله، وهم التجار والأجناد

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن (رقم ٤٩٩٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها (رقم ٤٧٢٢).

(٣) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٤) المرجع السابق، ص٦٣٣.

والمقصود هنا ان الأجناس الأربعة من المقاتلة والتجار ومن يلحق بهم من الصناع والقراء وأهل الأعذار كالمرضى ونحوهم، كل هؤلاء قد حصل فيهم من الأنواع المختلفة ما يطول وصفه.

وأمورهم ما بين حسن مأمور به وبين قبيح منهى عنه ومباح، واشتمال أكثر أمورهم على هذه الثلاثة المأمور به والمنهى عنه والمباح والواجب الأمر بما أمر الله به والنهي عما نهى عنه والإذن فيما أباحه الله

لكن إذا كان الشخص أو الطائفة لا تفعل مأمورا إلا بمحظور أعظم منه أو لا تترك مأمورا إلا لمحظور أعظم منه لم يأمر أمرا يستلزم وقوع محظور راجح، ولم ينه نهيا يستلزم وقوع مأمور راجح، فإن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو الذي بعثت به الرسل والمقصود تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان

فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستلزما من الفساد أكثر مما فيه من الصلاح لم يكن مشروعا، وقد كره أئمة السنة القتال في الفتنة التي يسميها كثير من أهل الأهواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن ذلك إذا كان يوجب فتنة هي أعظم فسادا مما في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدفع أدنى الفسادين بأعلاهما، بل يدفع أعلاهما باحتمال أدناهما، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر** _ قالوا: بلى يا رسول الله قال: «**إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**»[١].

أما الآثار السلبية التي تلحق المدعو فهو أخطرها وأعظمها،وهي حرمانه من الخير والهدى الذي عرض عليه فأباه ورفضه، فيناله الخسران المبين في الدنيا والآخرة.

(**١**) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق (رقم ٢٥٠٩).

المبحث الثالث

مضار تتعلق بالمضمون الدعوي

إن الدعاة إلى الله عز وجل إذا قصروا في مراعاة أحوال المدعويين فلا شك أن هذا يعود بسلبيات وآثار سيئة على العملية الدعوية، سواء ما يتعلق بالداعية ذاته أو المدعو أو المضمون الدعوي.

أما السلبيات التي تلحق الدعوة وتصيب المضمون الدعوي أنها تصير هينة لا قيمة لها عند الناس، فيقللون من شأنها، ويحاولون هدمها وتقويضها، ويسلكون كل سبيل من أجل القضاء عليها وصرف الناس عنها والطعن فيها ولمزها وغمزها بأن هذه الدعوة دعوة باطلة، تدعو إلى سفك الدماء ونشر الفساد في الأرض، وهذا ما حدث من قبل من ادعاء فرعون بأن موسى عليه السلام يفسد في الأرض، قال تعالى: +وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ"[1].

وكذلك اتهم الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يفرق بين المرء وزوجه والأب وابنه، وأن دينه يقطع الأرحام ويسفك الدماء.

إن جهل الداعية بأحوال المدعوين وتقصيره في معرفتها وعدم اهتمامه بأحوال وظروف وملابسات المدعوين يؤدي إلى رفض الدعوة والاستهزاء بها والتكذيب بما يعرض على المدعوين من حق وخير، قال الله تعالى: +وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا"[2] اتهموا الدعوة بأنها أساطير الأولين، وأنها سحر مبين وإفك قديم. فلم يدع المعارضون المعاندون سبيلاً ولا طريقاً إلا سلكوه من أجل الطعن في الدعوة وتشويه صورتها والنيل منها.

عندما يفشل الداعية في عمله الدعوي، ولا يراعي أحوال المدعوين ولا ينظر أو يهتم بظروفهم وواقعهم ونفسياتهم يكون جلب على نفسه آثاراً سيئة وأضراراً بالغة، تصيبه هو شخصياً، وتعود على المدعو كذلك وعلى المضمون الدعوي.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٦.

فيظن المدعوون أن هذه الدعوة ليس فيها خير، وليس فيها نفع، لأنها لم تحقق مرادهم، ولم يروا فيها الفلاح والنجاح المنشود الذي يزعمه الداعية بأنه سيتحقق على يديه إن هم استجابوا لدعوته. الأمر الذي يجعل المدعوين يقللون من شأن الدعوة وقيمتها، ويصرفون الناس عن الاستماع إليها والانشغال بها، وهذا هو دأب المعاندين في القديم والحديث، قال الله تعالى: + أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾"[1].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعداه إلى الاستهزاء والسخرية بالدعوة، وهذا ما حدث للدعوة على مر الأجيال، قال تعالى: + وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ" [2] .

وكان موقف فرعون وملئه من آيات الله الدالة على صدق موسى عليه السلام الضحك منها والاستهزاء والسخرية، كما قال تعالى: + وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ"[3] وهذا ما حدث أيضاً من الكفار في عهد النبي ﷺ حيث قال تعالى: + وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾"[4].

وتعدى ذلك إلى أن ذهب الكفار والمعاندون للدعوة بأنهم طفقوا يرجون تلك الإشاعات الباطلة والأوصاف الكاذبة تجاه الدعوة، كما حدث من فرعون وملئه عندما جاءهم موسى بالبينات من ربه، فقال تعالى: + ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا

---

(١) سورة إبراهيم، الآية : ٩.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ٤، ٥.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٤٧.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٨.

جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ"[1] وقال سبحانه: +فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ"[2].

وكذلك دأب الكفار في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فوصفوا الدعوة بأوصاف متنوعة: فمرة قالوا: إن هذا إلا أساطير الأولين. وقالوا: إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون وقالوا: ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى.

وقال سبحانه: +وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ " [3] وقال سبحانه: +وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴿٢﴾"[4] وقال عز وجل: +فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ "[5].

ومن الآثار السلبية التي تنجم عن عدم مراعاة الداعية لأحوال المدعو وما يجنيه ذلك على المضمون الدعوي وعلى العملية الدعوية أن يكون ذلك سبباً لتأخير التمكين للدعوة ويطول الطريق من أجل نصر الدعوة وتكثر التضحيات ويتأخر النصر والفوز، فقد جعل الله عز وجل الإيمان والعمل الصالح شرطاً للاستخلاف والتمكين. ولا يزال هذا الوعد إلى قيام الساعة فإن النصر والتمكين مضمون بإذن الله +وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ "[6]، ولعلم الداعية الحكيم أن مراعاة أحوال المدعوين يدخل تحت مسمى العمل الصالح الذي وعد الله عليه أن يكون هو والإيمان سبباً في التمكين والاستخلاف في الأرض.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٧٦.

(٢) سورة القصص، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣٠.

(٤) سورة القمر، الآية: ٢.

(٥) سورة المدثر، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٢٠.

الخاتمــة

وتشمل

أولا: خلاصة البحث وأهم نتائجه

ثانيا: التوصيات

أولا: خلاصة البحث وأهم نتائجه:

تم بحمد الله التوصل إلى بعض النتائج منها ما هو مقرر سابقا، وكانت هذه الرسالة تأكيدا لها، ومن أهمها:

١- إن الإسلام كرم الإنسان، وجعله في المكان اللائق به، خلافا للوضع الذي كان عليه في الجاهلية السابقة قبل الإسلام، وكذلك وضعه في الجاهلية المعاصرة، وساوى في الحقوق والواجبات وفق قواعده وضوابطه السامية، وهذا لم ينله أحد في غير دعوة الإسلام.

٢- مكانة المدعو تعني ما استقر لدى الداعية – مما قررته شريعة الإسلام له – من منزله واعتبار للحال القائمة والوضع الكائن لمن يتوجه إليهم بالدعوة وهم الناس عامة، ولا فرق في ذلك بين الحال الحسنة أو السيئة للمدعو، فقد انتبه الإسلام للمدعو بحسن النظر لحاله، ودقة التصوير لواقعه، وأرهف في ذلك إلى غايته، فنال المدعو بذلك هذه المكانة الرفيعة لدى الداعية التي اقتضت منه الانتباه لهذه الحال ومراعاتها انطلاقا مما استقر لديه من معرفة بها ودراسة بتشخيصها، واستوى بحسن نظر الداعية لهذه الحال المدعوون بسائر فئاتهم، فكلهم نال ما يستحقه وفق حاله من احتفاء ورعاية.

٣- شمولية دعوة الإسلام وكمالها، فلم تترك شأنا من شئون الحياة إلا بينته وبينت حكم الله تعالى فيه، إما عن طريق مصادر التشريع الأصلية، كالكتاب، والسنة والإجماع والقياس، أو عن طريق باقي مصادر التشريع الإسلامي، كالمصالح المرسلة، وسد الذرائع، وغير ذلك، وكان ذلك من أقوى عوامل القوة والتأثير في أوساط المدعوين.

٤- إن الإسلام لا يأمر بشيء في مجال الدعوة ويحث عليه إلا إذا كانت المصلحة في فعله واضحة جلية.

٥- إن المراعاة أثناء الدعوة استقصت كل أحوال المدعوين، وعالجت كل حال بما يحقق الخير والفائدة لأهلها من المخاطبين، لكن بدا للباحث أن ثمة أحوالاً حظيت بالعناية والتركيز مما أهلها لأن تكون في وضع خاص، يدل على أهميتها ومكانة أهلها من بين

أصناف المدعوين، لتجاوز هذه الأحوال الخاصة بالولاة والسلاطين ومن في حكمهم من ولاة الأمر، والعلماء.

٦- إن المراعاة لأحوال المدعوين الذي يعين الدعاة على إمضائها في صورتها الحسنة، هو ما انطوى عليه دين الإسلام في شريعته وتنظيمه من مزايا المرونة والثبات. وهذه الميزة التي تركت مساحة واسعة لحركة الداعية، ومكنته من إظهار ملكاته ومواهبه في خطابه للناس ودعوتهم، واضعا نصب عينيه مقاصد الإسلام ومرامي الشريعة، ولقد كان عدم الثبات في أحوال الناس وكثرة التحول والتنوع فيها معالجا بما اختصت به شريعة الإسلام من مزية المرونة.

٧- إن كل مايتصل بالدعوة والاحتساب مما جاء في مصادر الإسلام يُعد معين أثرى كل صور وأشكال البلاغ وباب واسع لكل مايعين على الإقناع والتأثير، ومن ذلك نظفر بكل أشكال المراعاة المناسبة لكل حال للمدعوين المخاطبين، يتصل بأي صنف من أصنافهم، ونظفر كذلك بما يضبط ذلك ويبقيه في قناته الصحيحة.

٨- لقد صان الإسلام حقوق المخاطبين وحمى كرامتهم، حين جعل لهم الحرية في الجدال والمناقشة، ومن ثم الرفض أو القبول في حدود ما يتطلبه ذلك من أدب الحوار وتعاطي المسائل بين المتخالفين.

٩- إن المدعو هو المحور الذي تدور عليه العملية الدعوية، ولأجله قامت جهود الدعوة، ولذا فإن غياب هذا التصور عن الجهد الدعوي يقلل من فاعليته، ويصرفه إلى غير المراد الأساسي منه.

١٠- يجب أن لا يغيب عن هذا الموضوع تمتع الناس في ظل الإسلام بحرية العقيدة وحق الحفاظ على الدين، وتنبني هذه الإرادة في الاختيار العقدي على أن الإنسان من حيث كونه إنسانا، في أي مكان وجد، قد زود بملكة التمييز وفرز الصالح عن الضار، ثم عضد بعد ذلك بمن يهديه هداية الدلالة والإرشاد إلى طريق الحق والرشاد، وأهل

بطبيعته للتحمل والجزاء، وفي ذلك تكمن نظرة الإسلام للفرد، حيث تقوم على أساس من تقدير إنسانية الناس جميعا.

١١- إن دعوة الإسلام الراشدة لا تهدر قيمة المدعو وتغفل عنه في أي موقف من المواقف، كما أنها لا ترفعه فوق منزلته، فيتحمل تبعا لذلك ما لا طاقة له به، فامتازت هذه الدعوة بذلك عما سواها، حيث يسعى غيرها إلى مخالفة الفطرة ومصادمتها، فتسلك لتحقيق ذلك مسالك التضليل والخداع وإلباس الباطل ثوبا من الحق لتخدع به، ولا تتوانى في الادعاء بالباطل في تزيين باطلها لجلب الناس إليه وتشويه صورة الحق لصرفهم عنه، متذرعة لذلك كل مسلك مهما كان فتستغل حاجات الناس وظروفهم القاسية لتملي عليهم ما تريد، وهي في نهاية المطاف لا تتوانى عن استخدام القوة والقهر في فرض باطلها حين تعجز – بوسائلها السابقة- عن إقناع المدعو وجلبه إليهم، وحينئذ يأتي الجزم بأن دعوة كتلك لا تملك رصيدا من احترام المدعو ولا تعرف كيف تنتبه لمنزلته ومكانته.

١٢- مما تقوم المراعاة لأحوال المدعوين عليه التكيف مع غير المسلمين الذين يعيشون مع المسلمين، وفق صورة واضحة المعالم في الكتاب والسنة، رغم ما هم عليه من الكفر، فالتعايش معهم في المجتمع الإسلامي مطلوب، وهو قائم على البر والإحسان والعدل والتعاون على الخير، وقد وسع الإسلام هؤلاء جميعا فعاشوا في المجتمع الإسلامي حياة تقوم على حرية الاعتقاد والعبادة والعمل مع البر والإحسان والعدل.

١٣- تبين بأن الانتشار الواسع لدعوة الإسلام كان من نتيجة المراعاة لأحوال المدعوين، وما كان لهم ذلك دون إجراء يراعي أحوالهم، التي تتسم بالبعد عن مصدر الإسلام وتعذر سماعهم لصوته بغير هذه الطريقة التي سلكتها مشكاة النبوة في التعامل مع المدعوين.

١٤- إنه لا مراعاة لحال المدعو على حساب مبادىء الدعوة وخصائصها.

١٥- إن التعاطف مع الحق والوقوف معه شيء، لكن نصرته والشد على عضد أهله شيء آخر، كما أن الموقف من الباطل ورفضه شيء، لكن الكيفية التي يدفع بها شيء آخر، كذلك فإن الحرص على معالجة الخطأ وتصحيحه شيء، لكن الكيفية التي يعالج بها

شيء آخر، وهذه حالات ثلاث يتفق أهل الخير والإحسان في مواقفهم منها من حيث الوقوف مع الحق ورفض الباطل وتصحيح الخطأ، لكنهم سيختلفون قطعاً حين يعمدون إلى إجراءاتهم العملية في تفعيل هذه المواقف على أرض الواقع، وحين نريد الفصل في ذلك لابد من نظام إجرائي يضبط ذلك ويسوقه في طريق سلس إلى ما يحقق المراد من جهد الدعاة حين يتعاملون مع المدعوين، ولن نجد ذلك في غير المعين النبوي الذي رسم لنا الضوابط المحكمة فبها يتاح بعون الله تعالى مراعاة أحوال المدعوين مراعاة صحيحة يترتب عليها المراد.

١٦- إذا كان من أهم النتائج الإيجابية للمراعاة استجابة المدعو وإقباله، ومن أهم النتائج السلبية لعدم المراعاة إعراض المدعو وعدم استجابته للداعية، فإن هناك نتائج أخرى لا تقل أهمية عن ذلك تطال الأطراف الأخرى للدعوة كالداعية نفسه ومضمون الدعوة والمدعو.

١٧- بان من هذه الدراسة أن للمنهج المتبع في التعامل مع الفتن التي تنزل بساحة الدعوة أثره الواضح في تلافي النتائج السيئة أو في زيادتها، وكلما كان مزية المراعاة الراشدة للمدعوين غائبة أثناء التعامل مع المدعوين كلما كان ذلك سبباً في زيادة الإشكالات وتفاقمها.

ثانيا: التوصيات:

١- إعادة النظر في بعض مفاهيم عناصر العملية الدعوية والتحديد الدقيق لطبيعة العلاقة بينها من الناحيتين العملية التأصلية والعملية التطبيقية.

٢- لابد من صرف جزء مناسب من الجهد المبذول في الدراسات الدعوية للدراسات المتعلقة بالمدعو وأحواله، فكلما عرفنا مع من نتحدث كل ما زادت قدرتنا في التأثير عليه.

٣- نشر موقف الإسلام من الناس عامة على أوسع نطاق، والمبادرة بما يعين على ذلك من مؤتمرات وندوات ومنتديات ومعارض متنوعة.

٤- من المهم أن يعيد المعنيون بهذا الأمر من العلماء والدعاة النظر في مواقعهم وطبيعة أدوارهم، خصوصاً في مجال تعديل المفاهيم الخاطئة وإزالة الانطباع المغلوط عن دعوة الإسلام.

٥- زيادة العناية بالأبحاث والدراسات الدعوية خصوصاً المتعلق منها بالمدعو وأحواله، وإقامة الجهات المعنية بذلك، سواء على الصعيد الرسمي أو الشخصي، وتوفير ما تحتاجه من أوجه الدعم المادي والمعنوي، ولعل التفرغ لذلك ممن برع فيه يجدي في الوصول للمطلوب بشأنه.

٦- العمل على توحيد الجهد والتنسيق بين القائمين عليه، والعمل على تلافي الازدواجية في أداء المهام ترشيداً للوقت والجهد والمال، ويتم ذلك بإقامة اللقاءات العلمية بصورها المختلفة، وتفعيل قنوات مجدية للتواصل والتبادل المعرفي والعلمي والعملي في مجال الخبرات المختلفة للاتصال بالمدعوين ومعرفة أحوالهم والتأثير فيهم.

٧- إن من سبل التعامل الرشيد مع الأزمات المتلاحقة في أوساط المسلمين تفعيل مزية المراعاة السديدة للمدعوين، ولذا فمن اللازم لفت الأنظار إلى أهميتها باعتبارها أداة مؤثرة يمتلكها المسلمون، وهم بحاجة إلى من يبين لهم مزاياها وكيفية تطبيقها.

الفهـــارس

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية والآثار

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً: فهرس المصطلحات والغريب

خامساً: فهرس الأشعار

سادساً: فهرس المراجع

سابعاً: فهرس الموضوعات

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الآيـة	السورة	رقم الآية	الصفحة
أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ	البقرة	١٢	٤٤٩
مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً	البقرة	١٧	٤٥٦
صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ	البقرة	١٨	٤٥٦
أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ	البقرة	١٩	٤٥٦
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ	البقرة	٢١	١٣١
وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ	البقرة	٢٣	٢٠٤، ٤٢٨
وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً	البقرة	٣٠	١٦٤، ١٨٦، ١٨٨
وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ	البقرة	٣١	١٧٣
وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ	البقرة	٣١	١٩٤
وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ	البقرة	٤٢	١٤١
ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق	البقرة	٤٢	٦٦٥
أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ	ال	٤٤	٤٣١

	بقرة		
أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ	ال بقرة	٤٤	٤٥٤
أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم	ال بقرة	٤٤	٦٣٢
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ	ال بقرة	٦١	٥٣٧
ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ	ال بقرة	٧٥	٤٣٠
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً	ال بقرة	٧٩	١٤٠
وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً)	ال بقرة	٨٣	٦٥
وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً	ال بقرة	٨٣	٢٥٦، ٣٠١
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ	ال بقرة	٨٤	٤٣٠
أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ ببعض	ال بقرة	٨٥	٤٣٠
يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا	ال بقرة	١٠٤	٦٦٦
وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً	ال بقرة	١٠٩	٥٠٠
وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ	ال بقرة	١١١	١٤٨
وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى	ال بقرة	١١١	٤٣٠

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ	البقرة	١١٣	١٤٩
وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ	البقرة	١١٨	١٧٧
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ	البقرة	١٢٩	٥٨٥
فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ	البقرة	١٣٢	٧٦
قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ	البقرة	١٣٣	٧٦، ٧٧
جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ	البقرة	١٤٣	٦٠٠
وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء	البقرة	١٤٣	٦٩٨
الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ	البقرة	١٤٦	١٥٠، ٤٢٤
استعينوا بالصبر والصلاة	البقرة	١٥٣	٧٦٢
إن الله مع الصابرين	البقرة	١٥٣	٧٦٣
وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ	البقرة	١٥٥	٤٧٤
وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ	البقرة	١٥٥	٤٧٤
إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى	البقرة	١٥٩	٦٤٦
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ	البقرة	١٦٤	٤١٧

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ	البقرة	١٦٨	١٣١
يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً	البقرة	١٦٨	٥٢٣، ٥٢٧
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ	البقرة	١٧٢	
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ	البقرة	١٧٣	٤١
يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ	البقرة	١٨٥	٢٨، ٤٠، ٤٣، ٤٤، ٤٥
شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ	البقرة	١٨٥	٥٥٢
وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ	البقرة	١٨٦	٢٠٤
وأتوا البيوت من أبوابها	البقرة	١٨٩	٦٨١
وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ	البقرة	١٩٠	٣٥٥
وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ	البقرة	١٩٣	٤٠٥
وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ	البقرة	١٩٧	١٣١
الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ	البقرة	١٩٧	٥٥٢
وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ	البقرة	٢١٧	٤٠٠
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ	البقرة	٢١٩	٢١٨

وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	البقرة	٢٤٤	٨٠
لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ	البقرة	٢٥٦	٨٠، ٨٤، ١٤٧، ٢٤٤، ٤٠٩، ٤٧٨، ٣٣٤
لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ	البقرة	٢٥٦	٣٣٤
أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا	البقرة	٢٥٩	٣٥٢
وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً البقرة	البقرة	٢٦٩	٣٥١
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ	البقرة	٢٧٧	٢٣٠
رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا	البقرة	٢٨٦	٤٠، ٧٤
لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا	البقرة	٢٨٦	٧٩
وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة	البقرة	١٥٥. ١٥٧	٧٦٣
إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ	البقرة	١٥٩، ١٦٠	٣٥٣
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا	آل عمران	٨	٨٠٥
وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ	آل عمران	١٠	٣٩٠
قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ	آل عمران	١٢	٤٣٠
زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ	آل	١٤	٢٣١، ٥٣١

	عمران		
زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ	آل عمران	١٤	٣٧٤
إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ	آل عمران	١٩	٤٣٧
لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ	آل عمران	٢٨	٤٢، ٩٢، ٤٠٩، ٦٩٣
لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ	آل عمران	٢٨	٤٠٩
وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ	آل عمران	٤٢	١٥٣
يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ	آل عمران	٤٣	١٥٣، ١٥٤
وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ	آل عمران	٤٦	٦٠٦
وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ	آل عمران	٤٩	٤١٧
وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ	آل عمران	٤٩	٦٠٦
إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ	آل عمران	٥٩	١٦٥
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ	آل عمران	٦٥	٤٣٤
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ	آل عمران	٧٠	٤٣٧
مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ	آل عمران	٧٩	٣٧٦

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ	آل عمران	٨٣	٣٠١
لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ	آل عمران	٩٢	٦٠٥
مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً	آل عمران	٩٧	٤٤
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ	آل عمران	١٠٢	٢
ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير	آل عمران	١٠٤	٦٩٥
وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ	آل عمران	١٠٤	٩٨
وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	آل عمران	١٠٤	٩٨، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٧، ٣٤٧، ٥٣٤
وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ	آل عمران	١٠٤	٣٤٧
كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ	آل عمران	١١٠	٦٣، ٤٠٤، ٦٣٣
كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ	آل عمران	١١٠	٤٠٤
هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ	آل عمران	١١٩	٤٥٤
وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا	آل عمران	١٢٠	٧٦١
إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا	آل عمران	١٢٠	٧٦٣
الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ	آل	١٣	٥٠٢

	عمران	٤	
والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله	آل عمران	١٣ ٥	٦٧٣
والله يحب الصابرين	آل عمران	١٤ ٦	٧٦٣
قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ	آل عمران	١٥ ٤	٤٤٦
ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم	آل عمران	١٥ ٥	٧٦٧
فبما رحمة من الله لنت لهم	آل عمران	١٥ ٩	٧١٩
فبما رحمة من الله لنت لهم	آل عمران	١٥ ٩	٧٧٠
وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ	آل عمران	١٦ ١	٣٨٢
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا	آل عمران	١٦ ٩	٦٤٦
الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ	آل عمران	١٧ ٢	٢٨٢
وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور	آل عمران	١٨ ٦	٧٦٣
لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ	آل عمران	١٨ ٦	١٣٦
وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ	آل عمران	١٨ ٧	١٤٠
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ	آل عمران	١٩ ١	١٧٧

بل إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم	آل عمران	١٢٥، ١٢٦	٧٤١
إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم	النساء	٩٧-٩٩	٦٧١
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ	النساء	١	٢
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ	النساء	١	١٧٠
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا	النساء	١	١٧٠
فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ	النساء	٣	٤٩٧
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ	النساء	٦	٤٥٧
قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ	المائدة	١٥	٢٠٢
إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ	النساء	١٧	٧٤
يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً	النساء	٢٨	٤٠، ٤٥
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ	النساء	٢٩	٢٣٣
وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ	النساء	٢٩	٢٥٠
وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً	النساء	٣٦	٦٥
إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ	النساء	٤٨	٣٩٥

إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ	النساء	٤٨	٤٣٩
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول	النساء	٥٩	٨٢٠
فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ	النساء	٦٥	٣٥٤
فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ	النساء	٦٥	٦٢٠
وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم	النساء	٦٦	٥٤٣
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً	النساء	٧١	٣٥٤
وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين	النساء	٧٥	٦٧١
أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ	النساء	٨٢	١٧٧
وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به	النساء	٨٣	٦٤٧
وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا	النساء	٨٦	٢٦٩
وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء	النساء	٨٩	٥٠٠
وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ)	النساء	٩٢	٢١٢
وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ	النساء	٩٢	٥٩٠
وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ	النساء	٩٣	٢١٩

كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ النساء	النساء	٩٤	٣٤٨
يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا	النساء	٩٤	٦٧٧
يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا	النساء	٩٤	٧٦٦
وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى	النساء	١٠٢	٤٦٨
ولا تهنوا في ابتغاء القوم	النساء	١٠٤	٧١٧
إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ	النساء	١٠٨	٢٢٨
وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً	النساء	١١٠	٥٠
ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه	النساء	١١٠	٨٠١
إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ	النساء	١١٦	٣٩٤
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ	النساء	١٣٧	٣٩٩
بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً	النساء	١٣٨	٤٥٦
وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله	النساء	١٤٠	٦٤٨
يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً	النساء	١٤٢	٤٢٣
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ	النساء	١٤٢	٤٥٥

مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء	النساء	١٤٣	٤٥٥
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً	النساء	١٤٥	٤٤٥، ٤٥٦
رسلاً مبشرين ومنذرين	النساء	١٦٥	٧٣٦
لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ	النساء	١٧٢	٢٤٠
وتعاونوا على البر والتقوى	المائدة	٢	٧٠٩
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي)	المائدة	٣	٣٠، ٣١، ٥٦
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)	المائدة	٣	٣١
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ)	المائدة	٣	٥٥
الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ	المائدة	٥	٨٦
الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ	المائدة	٥	٤١٠
مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ	المائدة	٦	٤٠، ٤٣
اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى	المائدة	٨	٢٢٧
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ	المائدة	٨	٣٢٣
ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا	المائدة	٨	٦٩١

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ)	الما ئدة	١٣	١٣٤
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ	الما ئدة	١٥	٤٣٦
أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)	الما ئدة	١٨	١٤٩
وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ	الما ئدة	١٨	٤٣٤
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا	الما ئدة	١٩	٤٣٤
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ	الما ئدة	١٩	٤٣٦
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ	الما ئدة	٣٢	٢١٩
لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً	الما ئدة	٤٨	٢٥، ٢٦
وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب	الما ئدة	٤٨	٦٣٠
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ...	الما ئدة	٥٤	١٥٢
وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا	الما ئدة	٥٨	٨٢٣
وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُوَاْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ	الما ئدة	٦١	٤٤٤
وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُوَاْ آمَنَّا	الما ئدة	٦١	٤٥٣
وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ	الما ئدة	٦٢	٤٤٤

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ	المائدة	٦٧	١١٩، ٣٠٣، ٣٥٥
يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ	المائدة	٦٧	٥٦٠
إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ	المائدة	٧٢	٣٩٥
وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم	المائدة	٧٢	٦٥٨
لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة	المائدة	٧٣	٧٠٩
تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ	المائدة	٨٠	٤٤٤
وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ	المائدة	٨٣	٥٤٢
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ	المائدة	٨٧	٤٥
لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ)	المائدة	٩٣	٧٤
فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	المائدة	١٠٠	١٣١
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ)	المائدة	١٠١	٦٦، ٢٣٩، ٧١٨
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ	المائدة	١٠٥	٢٤٩، ٦٥١
عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ	المائدة	١٠٥	٢٥٠
وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي	المائدة	١١٠	٤١٧

وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي	المائدة	١١٠	٦٠٦
يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ	المائدة	١١١	٧٧
الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ	الأنعام	١	٣٣٢
وللبسنا عليهم ما يلبسون	الأنعام	٩	٦٦٥
قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ	الأنعام	١٩	٤٢٣
لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ	الأنعام	١٩	٦١٩
وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ	الأنعام	٢٦	١٠٥
وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ	الأنعام	٥١	٢٦٨، ٦١٩
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي	الأنعام	٥٢	٦٥٥
ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ	الأنعام	٨٨	٣٩٥
أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ	الأنعام	٩٠	٦٢
أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً	الأنعام	٩٠	٣٥٥
وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى	الأنعام	٩٢	٦٢
وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا	الأنعام	٩٢	٦١٩

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ	الأ نعام	٩٣	٣٢١
الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ	الأ نعام	٩٣	٣٢١
وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ	الأ نعام	١٠ ٨	١٢٣
وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ	الأ نعام	١٠ ٨	٣٣٦
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا	الأ نعام	١٠ ٨	٧٢١
يَجْهَلُونَ	الأ نعام	١١ ١	٤٧٩
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ	الأ نعام	١١ ٢	١٢١
ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة	الأ نعام	١١ ٣	٧١١
وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها	الأ نعام	١٢ ٣	٦٧٢
قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ	الأ نعام	١٣ ٥	١٢٩
قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً)	الأ نعام	١٤ ٥	٦٨
قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا	الأ نعام	١٥ ١	٧٢٧
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ	الأ نعام	١٥ ٣	٣٩٠
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ	الأ نعام	١٥ ٣	٤٨٨

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ	الأنعام	١٥٩	٣٩٠
قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	الأنعام	١٦٢	٢٠٠
وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ	الأعراف	١٠	١٨٧
قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ	الأعراف	١٢	٢٠٣
قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ	الأعراف	٢٣	٢٠٣
يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً	الأعراف	٢٦	١٩٦
يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ	الأعراف	٢٧	١٩٧
يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ	الأعراف	٣١	١٣١
يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي	الأعراف	٣٥	١٣١، ٢٨٢، ٥٢٤، ٥٣٢
قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ	الأعراف	٦٠	٢٦٢، ٣٥٥
قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ	الأعراف	٦١	٢٩٦
قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ	الأعراف	٦٧	٢٩٦
قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ	الأعراف	١٢٣	١٤٠، ١٤٣
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ	الأعراف	١٢٨	٢٦٠

قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ	الأعراف	١٢٨	٢٦٢
اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ	الأعراف	١٣٨	٤٣١
سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ	الأعراف	١٤٦	٣٨٥
وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ	الأعراف	١٥٦	٢٩٦
يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ	الأعراف	١٥٧	٤٠
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ	الأعراف	١٥٧	٣٠٧
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً	الأعراف	١٥٨	٦٢، ١٣٠
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ	الأعراف	١٥٨	٢٦٤، ٤٣٥
وإذا قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم	الأعراف	١٦٤	٧٣٧. ٧٣٨
فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء	الأعراف	١٦٥	٧٣٩
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ	الأعراف	١٧٢	٤١٤
فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ	الأعراف	١٧٦	٢٣٧
وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا	الأعراف	١٧٩	٢٨٢
وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ	الأعراف	١٨٠	٤١٢

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا	الأعراف	١٨٩	١٧١
أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ	الأعراف	١٩١	٤٢٧
خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين	الأعراف	١٩٩، ٢٠٠	٧٦٨
إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ	الأنفال	٢٢	١٧٤، ٢٧٩
وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأسْمَعَهُمْ	الأنفال	٢٣	١٤٧
إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا	الأنفال	٢٩	٦٩٦
وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ	الأنفال	٣٠	٢٤
اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ	الأنفال	٣٢	٤٣١
وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ	الأنفال	٣٣	٥١٨
قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ	الأنفال	٣٨	٣٩٩
قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ	الأنفال	٣٨	٤٠٠
وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ	الأنفال	٤١	٢٠٤
لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ	الأنفال	٤٢	٣٢٨
إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ	الأنفال	٤٣	٣٢٩

وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً	الأنفال	٤٤	٣٢٩
ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ	الأنفال	٥٣	١٨٩
إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ	الأنفال	٥٥	٢٠٠
وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا	الأنفال	٦١	٤٠٥
فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	الأنفال	٦٩	٥٢٧
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُون	الأنفال	٤٥ ، ٤٦	٤٠٧
إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً	التوبة	٤	٢٢٦
إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ	التوبة	٤	٢٧٠
فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ	التوبة	٥	٣٩٥، ٤٠١
فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ	التوبة	٥	٤٠٥، ٤٠٧
فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ	التوبة	٥	٤٠٧
وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ	التوبة	٥	٤٢٢
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ	التوبة	٦	٢٦٤، ٢٧٠، ٥٤١
حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ	التوبة	٦	٥١٩، ٦٧٨

قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ	ال توبة	٢٩	١٣٨
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله	ال توبة	٣١	٧٠٩
مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ	ال توبة	٣٦	٥٥٢
لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم	ال توبة	٦٦	٦٨٦
وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	ال توبة	٧١	٢٥٩، ٣٨٠
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ	ال توبة	٧٣	٣٤٥
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ	ال توبة	٧٣	٤٤٦
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر	ال توبة	٧٤	٦٨٦
أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ	ال توبة	٧٨	٤٤٦
وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ	ال توبة	٨٤	٥٩٧
مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ	ال توبة	١٠١	٤٤٣
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً	ال توبة	١٠٣	٦٠٣
أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ	ال توبة	١٠٤	٧٤
أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ	ال توبة	١٠٩	٤٤٩

إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ	التوبة	١١١	١٩٢، ٣٧١
مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى	التوبة	١١٣	٣٢٨
وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ	التوبة	١٢٢	٢٤٨
وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ	التوبة	١٢٢	٣٥١
لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ	التوبة	١٢٨	٥، ٤٥، ٧٢، ٢٣١، ٢٦٣، ٦١٢، ٧١٩، ٢٩٨، ٣١٠
لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ	التوبة	١٢٨	٢٩٨
لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم	التوبة	١٢٨	٧١٩
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض	التوبة	٧١، ٧٢	٧٣٨
أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم	يونس	٢	٦٥٩
إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم	يونس	٢٣	٥١٠
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء	يونس	٥٧	٢٠١
قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ	يونس	٥٨	٤٨٢
قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ	يونس	٣١، ٣٢	٤٢٥
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ	يونس	٧٢	٧٦

	س		
ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه	يون س	٧٦	٨٢٤
فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ	يون س	٩٤	٤٣١
فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك	هو د	١٢	٦٥٣
وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ	هو د	١٧	٦١٩
فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا	هو د	٢٧	١٤٩
وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ	هو د	٢٧	٢٦٢
فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا	هو د	٢٧	٢٦٦
وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ	هو د	٣١	٢٦٦
إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ	هو د	٤٦	٤٩٣
هوأَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا	هو د	٦١	١٨٦
وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ	هو د	١٢ ١	١٢٩
وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِين	هو د	١١ ٨، ١١٩	٣٥٦
ودخل معه السجن فتيان	يو سف	٣٦ -٤١	٧٧٢

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ	يوسف	١	١٠٢
الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ	يوسف	١	٥٦٦
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ	يوسف	٢٤	٢٠٤
وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا	يوسف	٣٠	٤٨٤
أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ	يوسف	٤٠	٤٢٦
قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ	يوسف	٥٤	١٣٠
إنه من يتق الله ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين	يوسف	٩٠	٧٦١
وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ	يوسف	١٠٣	٣١٠
وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين	يوسف	١٠٣	٧٧٤
وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ	يوسف	١٠٤	٦٢
وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ	يوسف	١٠٦	٤٢٣
قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ	يوسف	١٠٨	٥، ١٠٠، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٥٦، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٩٩، ٦٢٨
أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي	يوسف	١٠٨	٣٤٧

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ	الرعد	٣	٢٣٧
لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ	الرعد	١٨	٢٠٠، ٢٧٩، ٢٨٢
فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب	الرعد	٤٠	٦٤٢
وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ	الرعد	٤٣	٤٣١
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً	نوح	٥	٥، ١٣١، ٢٦٢، ٢٧٠
ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً *ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً	نوح	٨، ٩	٥، ٦
وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ	إبراهيم	٤	١٠٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٥٦٦، ٥٧٣، ٥٧٦، ٦٦٥
إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور	إبراهيم	٥	٧٦٢
ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود	إبراهيم	٩	
أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	إبراهيم	١٠	٤١٥
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ	إبراهيم	١٩	٢٠٥
ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة	إبراهيم	٢٦	٧٠٥
وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ	إبراهيم	٣٣	١٩٣
إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ	إبرا	٣٤	٢٢٠

		هيم	
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ	إبرا هيم	٣٥	٢٩٤
هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ	إبرا هيم	٥٢	٦٢
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	الحـ جر	٩	٢٩
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ	الحـ جر	٢٩	١٨٤
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ	الحـ جر	٢٩	١٨٨
إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ	الحـ جر	٤٢	٢٠٤
نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ	الحـ جر	٤٩	٢٠٥
فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ	الحـ جر	٩٤	٣٥٧
فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ	الحـ جر	٨٥	٤٠٤
وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ	الحـ جر	٩٤	٤٠٤
وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ	الحـ جر	٨٧	٦١١
وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ	النـ حل	٥	١٩٣، ١٩٥
يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ	النـ حل	١١	١٩٣

ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	النحل	١٢	٣٠٤
وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً	النحل	١٤	٢٣٢
وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ	النحل	١٨	١٧٨، ١٩٨
وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ	النحل	٢٠	٤٢٧
فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ	النحل	٣٥	١١٩
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ	النحل	٣٦	٢٧، ٧١
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ	النحل	٣٦	٢٥٣
ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله	النحل	٣٦	٦٥٨
إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ	النحل	٣٧	٣١٠
الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون	النحل	٤٢	٧٦٢
فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ	النحل	٤٣	٦٧
فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون	النحل	٤٣	٦٤٧
وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ	النحل	٤٤	٣٤٠
وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ	النحل	٤٤	٣٤٠

وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ	النحل	٧١	٤٢٧
وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ	النحل	٧٦	٦١٣
وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ	النحل	٧٨	١٧٤
وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً	النحل	٨٠	١٩٦
وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ	النحل	٨٠	٥٥٤
وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً	النحل	٨١	٥٥٤
سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ	النحل	٨١	٥٥٤
الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ	النحل	٨٨	١٠٥
إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى	النحل	٩٠	٢٢٨
إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى	النحل	٩٠	٥١٠
إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى	النحل	٩٠	٧٢٧
وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ	النحل	١٠٣	٥٦٦
وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ	النحل	١٠٣	٥٧٤
إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ	النحل	١٠٥	٤٢

إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ	النحل	١٠٥	٣٢١
ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا	النحل	١١٠	٧٦٣
وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً	النحل	١١٢	٤٢٧
ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	النحل	١٢٥	١٢٥، ١٢٨، ٣٤٤، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٧٤، ٣٩٩، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٦٦٠
ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة	النحل	١٢٥	٦٦٠
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ	النحل	١٢٦	٥١١
واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم	النحل	١٢٧	٧٥٩
ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة	النحل	١٢٥ — ١٢٨	
سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى	الإسراء	١	٢٠٤
إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ	الإسراء	٧	٥٢٠
مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا	الإسراء	١٥	٢٦٥، ٥٢٠
ولا تزر وازرة وزر أخرى	الإسراء	١٥	٦٥٢
مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ	الإسراء	١٨	١٩٤

وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)	الإسراء	٢٣	٦٤
وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً	الإسراء	٢٦	٦٤
وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً	الإسراء	٣٤	٢٢٦
وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	الإسراء	٣٤	٣٥٢
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ	الإسراء	٦١	١٦٦
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ	الإسراء	٦١	١٨٤
وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	الإسراء	٧٠	١٦١، ١٦٤، ١٧٠، ١٨٧، ١٩١، ١٩٣، ٥٢٦
وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ	الإسراء	٧٠	١٨٧، ١٩١، ١٩٣
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً	الإسراء	٧٠	٢٠٦
وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ	الإسراء	٨٢	٢٠٨
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً	الإسراء	٨٥	٤٢٩، ٥٣٨
ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها	الإسراء	١١٠	٦٦٢
وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ	الإسراء	١١١	٤٢٢
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا	ال	١	٢٠٤

	كهف		
فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً	ال كهف	٦	٣١
وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ	ال كهف	١٦	٤٦٩، ٥٤٨
وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ	ال كهف	٢٩	٣٣٥
الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ	ال كهف	٤٦	٥٣١
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ	ال كهف	٥٠	١٨٤
قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً	ال كهف	١٠ ٣	٢٠٧
فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً	ال كهف	١١ ٠	٣٩٥، ٤٢٣
أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء	ال كهف	١٠ ٣، ١٠٤	٣٨٩
قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم	ال كهف	١٠ ٣.١٠٥	٧٥٧
وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ	مر يم	٣١	٢٥٠
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً	مر يم	٤٢	٣٠٠
إذا قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع	مر يم	٤٢	٦٥٨
يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً	مر يم	٤٥	١٣١

وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً	مر يم	٦٤	٦٨
وما كان ربك نسيا	مر يم	٦٤	٧١٨
أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً	مر يم	٦٧	١٣١
أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً	مر يم	٨٣	١٢١
لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً	مر يم	٩٧	٦١٩
قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي	طه	٢٥	٢٦٠
اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي	طه	٤٢	٢٩٢
فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى	طه	٤٤	٣٧٤، ٤٠٤، ٥٦٥، ٥٩٩
فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً	طه	٤٤	٤٠٤
قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى	طه	٥٠	١٨٧
اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى	طه	٤٣ ، ٤٤	٣٠٢، ٣٢٩
اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى	طه	٤٣ ، ٤٤	٣٢٩
اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له	طه	٤٣ ، ٤٤	٧٥٤
فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى	طه	١١ ٧	٢٣٢
يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك	طه	١١ ٧	٦٧٢
وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى	طه	١٣	٢٦٠

		۲	
وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها	طه	۱۳۲	۷٥۳
رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ	طه	۱۳٤	٤۰٦
أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ	الأنبياء	۲۱	٤٤۰
لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ	الأنبياء	۲۳	۱۷٥
وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ	الأنبياء	۲٥	۲۷، ۷۱، ۳٥۲، ٦٥۸
وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً	الأنبياء	٤۷	۲٤۲
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ	الأنبياء	۱۰۷	٥۰، ۲۹۷
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ	الحج	۱	٤۸۱
ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ	الحج	۳۲	۲٥۹
أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا	الحج	۳۹	٤۰٥
ولينصرن الله من ينصره	الحج	٤۰	۷۳٦
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع	الحج	٤۰	
إن الله لعليم حليم	الحج	٥۹	۷٦۷

ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ	الحج	٦٠	٥١٠
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ	الحج	٦٥	١٩٢
يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ	الحج	٧٣	٤٢٦
اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ	الحج	٧٥	٢٠٧
وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ)	الحج	٧٨	٣٣
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ	الحج	٧٨	٢٥٣
وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ	المؤمنون	١٢	١٦٧
إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ	المؤمنون	٢٥	٢٦٢
وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ	المؤمنون	١٢، ١٤	٤١٦
ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً	المؤمنون	٤٤	٢٥٣
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ	التكوير	٢٧	٦٢
وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ)	النور	٢	٧٢
إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ	النور	١١	٤٦١
إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	النور	١٩	٣٨٥

لا تدخلو بيوتا غير بيوتكم	النو ر	٢٧	٦٨١
وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	النو ر	٣١	٧٥
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء	النو ر	٣٩	٢٠٧
وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن برد	النو ر	٤٣	٥٥٤
وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ	النو ر	٤٧	٤٤٣
وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ	النو ر	٤٨	٤٤٣
أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ	النو ر	٥٠	٤٤٣
وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ	النو ر	٥٤	٣٥٣
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ	النو ر	٥٥	٢٨٤
لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ)	النو ر	٦١	٢٨
تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً	ال فرقان	١	٦٢
وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً	ال فرقان	٢	١٦٩
وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً	ال فرقان	٢٣	٢٠٧
وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً	ال فرقان	٣٣	٤٢٠

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً	الفرقان	٥١	٤٤٤
قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ	الفرقان	٥٧	٥٨٤
وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً	الفرقان	٦٣	٢٠٥، ٢١٥، ٣٥٢، ٦٨٨
وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا	الفرقان	٦٣	٦٨٨
وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً	الفرقان	٦٧	٥٢٨، ٤٣٢
والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرَّم الله	الفرقان	٦٨	٧٢٦
واجعلنا للمتقين إماما	الفرقان	٧٤	٧٦١
قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض	الشعراء	٢٣-٢٩	٦٥٨
وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ	الشعراء	٢١	٢٦١، ٦٢٠
فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ	الشعراء	٦١	٢٦٢
فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ	الشعراء	٦٣	٤١٧
كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ	الشعراء	١٠٥	٣٤٣
وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ	الشعراء	٦٨، ٧٠	٣٨٧
وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ	الشعراء	١٩٢	٥٧٤

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ	الشعراء	١٩٣	٥٦٦
إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ	الشعراء	٢١٢	١٢١
وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ	الشعراء	٢١٤	٣١٤، ٣١٦
وأنذر عشيرتك الأقربين	الشعراء	٢١٤	٧٥٣
وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	الشعراء	٢١٥	٦١١
فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ	الشعراء	٢١٦	٦١٩
وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد	النمل	٢٠-٢٢	٧٧٨
وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً	النمل	١٤	٢٠١
وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً	النمل	١٤	٢٧٨
أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ	النمل	٦٢	٤١٦
وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ	القصص	٣٤	١٠٢
فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر	القصص	٣٦	٨٢٤
وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي)	القصص	٣٨	١٣٩
إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ	القصص	٥٦	٨٧، ٩٥

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ	القصص	٥٦	٢٩٤، ٣٥٣
وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ	القصص	٦٠	١٣١
إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ	القصص	٧٦	٤٨٢
وَلَا تنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدنيا	القصص	٧٧	٥٢٤
الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا	العنكبوت	١ـ٣	٧٥٩
أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ	العنكبوت	٢، ٣	٣٥٥
مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ	العنكبوت	٤١	٤٢٦
وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ	العنكبوت	٤٣	١٧٨، ٢٣٧
وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	العنكبوت	٤٦	٨٦، ٩٤
وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ	العنكبوت	٤٦	٣٤٥
وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ	العنكبوت	٤٦	٤١٠/ ٤٣٢
فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ	العنكبوت	٦٥	١٩٨، ٢٧٨
فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ	العنكبوت	٦٥	٢٧٨
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ	الروم	٢٠	١٧١

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا	الروم	٢١	١٧٠
فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ	الروم	٣٠	٢٠٣
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ	الروم	٣٠	٣٦٦، ٣٦٩، ٤١٣، ٥٣٦
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ	الروم	٣٠	٣٦٩
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ	الروم	٤٢	٤٢٧
وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ	الروم	٣١ ، ٣٢	٣٩٠
أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ	لقمان	١٤	٦٤
يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ	لقمان	١٧	١٣١
أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ	لقمان	٢٠	١٩٤
الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ	السجدة	٧	١٦٧، ١٨٧
وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا	السجدة	٢٤	٧٠٢
وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا	السجدة	٢٤	٧٦١
وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا	السجدة	٢٤	٧٦٢
فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا	الأحزاب	٣٧	٣٣

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً	الأحزاب	٤٥	٦٤
إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ	الأحزاب	٥٦	٥٧٢
وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً	الأحزاب	٥٨	٢٦٩
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا	الأحزاب	٦٩	٢٦١
إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا	الأحزاب	٧٢	١٨٨
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً	الأحزاب	٧٠، ٧١	٢
قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ	سبأ	٢٢	٤٢٢
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ	سبأ	٢٨	٦٢، ٦٤، ١٣٠
وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ	سبأ	٣٤	٣٥٦
وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ	سبأ	٣٩	٦٠٥
إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ	فاطر	٢٤	٢٥٤
ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ	فاطر	٣٢	٢٣١، ٣٧٨
ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ	فاطر	٣٢	٣٧٨
ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة	فاطر	٤٥	٧٦٧

لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ	يـ س	٦	٦١٩
وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ	يـ س	٢٠	٢٠١
أَفَلَا تعْقِلُونَ	يـ س	٦٨	١٧٧
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ	يـ س	٧١	١٩٥
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ	يـ س	٧٩	٤٢٠
الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ	يـ س	٨٠	٤٢٠
أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى	يـ س	٨١	٤٢٠
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ	يـ س	٨٢	٤٢٠
ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان	يـ س	٦٠ ، ٦١	٦٧٢
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ	الـ صافات	٨٥	١٣٢
وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ	الـ صافات	١٤ ٧	٢٨٠
وإن جندنا لهم الغالبون	الـ صافات	١٧ ٣	٦٤٦
يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ	الـ صف	٨	٤٤٩
ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ	ص		٣٥٦

وعجبوا أن جاءهم منذر منهم	ص	٤، ٥	٦٥٩
اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ	ص	١٧	٢٠٤
وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ	ص	٤١	٢٠٤
وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ	ص	٤٤	١٥٤
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ	ص	٧٢	١٨٢
قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ	ص	٨٦	٣١٢
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ	ص	٨٧	٦٢
وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً	ص	١٠٦	٦٠، ٩٠
مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ	ص	١٢٣	٣٤، ٥٨
إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ	ص	٧١، ٧٢	٦، ١٦٤، ١٦٥، ١٨١
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى	الزمر	٣	٤٣٩
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ	الزمر	٩	٢٣٨، ٦٤٦
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون	الزمر	٩	٦٤٦
إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ	الزمر	١٠	٦١٢
إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب	الزمر	١٠	٧٦١
فَبَشِّرْ عِبَادِ	الزمر	١٧	٥٤٢

ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ	الزمر	٢٣	٣٨٠
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ	الزمر	٢٩	٤٢٦
قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ	الزمر	٥٣	٣٨٧
وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ	الزمر	٦٥	٣٩٥
رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً	غافر	٧	٢٩٦
يلقي الروح من أمره على من يشاء	غافر	١٥	٦٤٣
قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ	غافر	٢٩	١٤٠
وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ	غافر	٣٠	١٣١
وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ	غافر	٣٢	١٣٢
وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ	غافر	٣٦	١٤٢
ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ	غافر	٧٥	٤٨٢
وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ	فصلت	٣٣	٢٣٠، ٢٥٦، ٣٥٥
ادفع بالتي هي أحسن	فصلت	٣٤	٦٨٨
وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ	فصلت	٤٤	٢٠٨

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً	فصلت	٤٤	٥٦٦
شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ	الشورى	١٣	٢٦، ٤٣٦
قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى	الشورى	٢٣	٥٨٤
وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ	الشورى	٢٥	٧٤
وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ	الشورى	٤٣	٥١١
فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ	الشورى	٤٨	٣٥٧
إن عليك إلا البلاغ	الشورى	٤٨	٦٤٢
وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا	الشورى	٥٢ ، ٥٣	٦٤٣
إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	الزخرف	٣	٥٦٦
وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا…	الزخرف	٢٣	٤٧٧
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ	الزخرف	٢٦	١٣٢
وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ	الزخرف	٣١	١٥٢، ٢٧٦
فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ	الزخرف	٥٤	١٤٢
فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ	الزخرف	٨٩	٢٩٧

اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ	الجاثية	١٢	١٩٣، ١٩٥
وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً	الجاثية	١٣	١٩٢
وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ	الجاثية	١٣	١٩٥
ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ	الجاثية	١٨	٢٥، ٢٧
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ	الأحقاف	١٠	٤٣١
وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ	الأحقاف	٢٩	٢٠٠
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ	الأحقاف	٣٥	٢٦٣
يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم	الأحقاف	٣١ ، ٣٢	
فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ	محمد	٤	٢٢٧
يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله	محمد	٧	٧٣٦
فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك	محمد	١٩	٧٤٥
أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا	محمد	٢٤	١٧٧
وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ	محمد	٣٠	٤٤٣
ولتعرفنهم في لحن القول	محمد	٣٠	٦٨٢

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ	ال فتح	١٥	٤٤٧
يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا	الحجرات	٦	٦٤٧، ٦٧٩
وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ	الحجرات	٧	٤٥
فضلا من الله ونعمة	الحجرات	٨	٦٧٩
وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا	الحجرات	٩	٤٤٧
وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً	الحجرات	١٢	٢٣٤
اجتنبوا كثيراً من الظن	الحجرات	١٢	٦٨٠
ولا تجسسوا	الحجرات	١٢	٦٨١
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى	الحجرات	١٣	٩١
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا	الحجرات	١٣	٢٦٥، ٢٨٠، ٦٩٣
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا	الحجرات	١٣	٤٠٨
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ الحجرات	الحجرات	١١، ١٢	٣٥٣
وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ	الحجرات	٨٧	١٠٠
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ	ق	٣٧	١٧٨

وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ	الذاريات	٢١	١٦١، ٤١٥
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	الذاريات	٥٦	١٢٣، ١٩٩
أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ	الطور	٣٥ ، ٣٧	٤١٤
اصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا	الطور	٤٨	٧٦٣
وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر	القمر	٢	٨٢٤
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ	القمر	٩	٢٠٤
وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ	الواقعة	١٠	٢٣١، ٤٩١
أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ٥٨ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ٥٩	الواقعة	٥٨ ، ٥٩	٤١٦
يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ	الحديد	١٣	٤٤٦
مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ	الحديد	٢٢	٤٩٦
اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ	القمر	١، ٢	٤١٧
قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ	المجادلة	١	٤٦٢
يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات	المجادلة	١١	٧٤٥
يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ	الحشر	٢	٤٠٨

مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا	الحشر	٥	٤٠٧
وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ	الحشر	٩	١٥٤، ٥٠٧
لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ	الممتحنة	٨	٨٣، ٩١، ٢٢٧، ٢٦٤، ٤٠٨، ٥١٣، ٦٩٣، ٧٠٩
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ	التغابن	٣	١٨٣
مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ	التغابن	١١	٤٧٤
ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا	الطلاق	٤	٦٩٦
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ	التحريم	١١	٣٥٦
يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً	التحريم	٦	٦٤٤
يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا	التحريم	٦	٧٥٢
قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ	الملك	٢٣	١٦٨
وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ	الملك	١٠	١٧٧
هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ	الملك	١٥	٢٣٢، ٣٦٨
وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ	القلم	١٠، ١١	٣٨٢
وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ	القلم	٥٢	٦٢

	لم		
ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً	نوح	٨	٢٦٢
ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً	نوح	٨	٢٧٠
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراًه فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارا	نوح	٥، ٩	٣٥٤
وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً	نوح	١٩	١٩٣
وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً	نوح	٢٦	٥٤٠
وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً	الجن	٨	١٢١
قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً	الجن	١	١٢٢، ٢٠٠
وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً	الجن	١٩	١٢٢
وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً	الجن	١٩	٢٠٠
إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً	المزمل	٥	٢٥٩
أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ	القيامة	٣	١٣١
هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً	الإنسان	١	١٧٤
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً	الإنسان	٢	١٧٤

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً	الإنسان	٣	١٦١
إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً	الإنسان	٣	١٧٧
إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً	الإنسان	٣	١٨٩
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً	الإنسان	٣	٣٣٤
إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا	الإنسان	٣	٦٧٣
وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً	الإنسان	٨	٢٢٧
نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً	الإنسان	٢٨	٢٠٥
فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى	النازعات	٢٤	١٤٢
عَبَسَ وَتَوَلَّى	عبس	١	٢٦٤، ٣٥٥
عَبَسَ وَتَوَلَّى	عبس	١: ٧	٣٥٥
فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ	عبس	٢٤	١٣١
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ	التكوير	١٩	٢٠٧
يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ	الانفطار	٦	١٣١، ١٦٥
يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ	المطففين	٢٥	٢٣١

قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ	البروج	٤	١٣٧
فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ	الطارق	٥	١٣١
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ	الغاشية	٢	٢٠٧
أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَت	الغاشية	١٧ ، ٢١	٤١٨
فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر	الغاشية	٢١ ، ٢٢	٦٤٢
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً	الفجر	٢٠	٣٢
وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة	البلد	٧	٧٦٣
أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ	البلد	٨	١٧٧
وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ	البلد	١٠	١٦١، ١٧٣، ١٨٩، ٣٣٤
فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ	البلد	١١	٢٢٧
ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ	البلد	١٧	٢٦٣
ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها	الشمس	٧، ٨	٦٧٣
ونفس وما سواها	الشمس	٧، ٨	٧٣٦
وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ	الشرح	٤	٢٦٠

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ	التين	٥	٢٣٠
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ	التين	٤، ٥، ٦	٣٣٠
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ	العلق	١	٢٣٨
فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ	الزلزلة	٧	٢٢٩
إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ	العاديات	٦	٢٢٠
والعصر إن الإنسان لفي خسر	العصر	١ــ ٣	٧٦٠
إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ	العصر	٢	٢١٢، ٢٣٠
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ	العصر	٣	٢٣٠
وَالْعَصْرِ	العصر	١	٢٤٨، ٢٥٩
وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ	الهمزة	١	٤٥٣
فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ	الماعون	٤، ٦	٤٢٣
قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ	الكافرون	١، ٢	٤٢١

ثانياً: فهرس الأحاديث والآثار

الحديث	الراوي	الصفحة
ائذنوا له بئس أخو العشيرة	عائشة	٥٤
ائذنوا له فبئس ابن العشيرة	عائشة	٤٥٢
ائذنوا له فلبئس أخو العشيرة	عائشة	٦٤٢
أتأذن لي أن أعطي هؤلاء		٤٦٣
أتاكم أهل اليمن أرق أفئدة		٣٦٣
أتدرون أي يوم ذاك؟	عمران بن حصين	٤٨١
أتدري ما حق الله على العباد	معاذ	٢٩٦
اتركوا الحبشة ما تركوكم		٦٧٣-٦٧٤
أتعجبون من غيرة سعد		٤٨٤
أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه	سعد بن عبادة	٣١٢
اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها	أبو ذر	٢٩١
أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله	أبو بكر	٨٩، ٩٩
اتقوا الله عز وجل وسودوا أكبركم	قيس بن عاصم	١١٥
اتقوا النار ولو بشق تمرة	عدي بن حاتم	٦٤٤-٦٤٥
اتقوا فراسة المؤمن	أبو سعيد الخدري	٣٦١
اتقي الله واصبري	أنس	١١٦

اجتمع نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يارسول الله	أبو هريرة	٢٥٢
اجلس عليها	جرير بن عبد الله	٣١٨
أحبب حبيبك هوناً ما	أبو هريرة	٥٨
احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما	أبو هريرة	١٨٢
احتجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حجيرة مخصفة أو حصيراً	زيد بن ثابت	٤٨٨
أخبرني بأعجب شيء رأيته بأرض الحبشة	جعفر	٢٧٥
اختمه في شهر	عبد الله بن عمرو	٥٩
إخوانكم جعلهم الله فتنة تحت أيديكم	أبو ذر	٦١٢
أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر		٣٩٤، ٤٢٣
أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم		٣٨٥
أدركتني رحمتها فبكيت		٤٩٤
ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله	معاذ	٢٩٢
ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله	عبد الله بن عباس	٦٥٩-٦٦٠
أدعو إلى الله وحده من إذا كان بك ضر فدعوته كشفه عنك		٧٩٠
ادنه. أتحبه لأمك؟	أبو أمامة	٤٩٦
أدومها وإن قل	عائشة	٣٤

إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه		١٥٩
إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله فليخبره	أبو ذر	١٥٨
إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم		٧٠١
إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم	ابن عمر	٨٠٨
إذا تنازعك أمران فاحمل المسلمين على أيسرهما	عطاء	٧٢
إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم ما يعزب عنهم	المقدام بن معدي كرب	٦٦٧
إذا دخلتم مساجد المسلمين وأسواقهم	عبد الله بن قيس	١١٤-١١٥
إذا رأيت أمتي تهاب الظالم	عبد الله بن عمرو	٨١٣
إذا رأيتم أمتي لا تقول للظالم: أنت ظالم	عبد الله بن عمرو	٢٧٤
إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه	أبو هريرة	١٦٥
إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب	أم سلمة	٨١٣
إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس	أبو ذر	٧٦٩
إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيرا	كعب بن مالك	٤٩٥
إذا فتحت مصر، فاستوصوا بالقبط خيراً	كعب بن مالك	٦٢١
إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق أخرج كتاباً	ابن عباس	٢٩٦
إذا فعلت ذلك هجمت عينك ونفهت نفسك	ابن عمر	٣٥
إذا لقيت عدوا من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال	بريدة	٤٠٥

إذا مررتم بقبورنا وقبوركم من أهل الجاهلية	أبو هريرة	٤٢٨
إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده		٦٥
إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده	أبو هريرة	٥١٧
أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي		٤٦٨
اذهبوا فأنتم الطلقاء		٤٩٩
أرأيت إن قاتلت حتى أقتل في سبيل الله	عمرو بن الجموح	٤٧٥
أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي		٤٢٤–٤٢٥
أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر		٤٩٧
أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً		٤٥٠
ارجع فصل فإنك لم تصل	أبو هريرة	٥٤٩
ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم	أبو قلابة	٤٦٤
أرحم أمتي بأمتي أبو بكر	أنس	١٥٦
أرحم أمتي بأمتي أبو بكر	أنس	٣٢٤
أريت النار فإنما أكثر أهلها النساء	ابن عباس	٤٥٩–٤٦٠
استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي	أبو هريرة	٤٩٢
استنكهوه	عمر	٢٧٤
أسق يا زبير ثم أرسل الماء		٥٣٩
أسق يا زبير ثم ارسل الماء إلى جارك	عبد الله بن الزبير	٦٢٠

أسلم فإنك إن أسلمت استعنت بك	عمر	٣٣٥
أسلم فإنك إن أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين	عمر	٨١
أسلم.. الحمد لله الذي أنقذه الله من النار	أنس	٨٤، ٥٣
أشد الناس بلاء الأنبياء		٧٦٠
أصبت جراباً من شحم يوم خيبر	عبد الله بن مغفل	١١٥
أصدق الأسماء حارث وهمام		٢٨٥
أطلقوا ثمامة	أبو هريرة	٦٨٤
أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي من الأنبياء		١١٩-١٢٠
أعظم الغلول عند الله ذراع من الأرض	أبو مالك الأشجعي	٣٨٣
أعلم أمتي بالحلال والحرام		٣٢٥
اعملوا ويسروا ولا تعسروا	ابن عباس	٥٠٢
أعيرته بأمه.. إن إخوانكم خولكم		٤٧٢-٤٧٣
أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً	أبو هريرة	١٠٤
أفضل الأمرين أيسرهما	عمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة	٤٣
اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي		١٥٥
أقد فرغت يا أبا الوليد		٧٥٤

أقروا الطير على مكناتها		١٢٩
أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم		١٢٣
أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم	عائشة	٣٨٦
أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم	عائشة	٧٢٠
أكره الغل وأحب القيد	أبو هريرة	
أكره الغل وأحب القيد	أبو هريرة	٦٦٣
أكل من الشاة التي أهدتها له يهودية من خيبر		٤٨
ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار	ابن مسعود	٤٨٥-٤٨٦
ألا أسركم		٦٢١-٦٢٢
إلا أن تروا كفراً بواحاً		٦٨٠
ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم	عياض بن حمار المجاشعي	٢٠٢-٢٠٣
ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصيام والصلاة		
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثاً)		٣٩٧
ألا رجل يحملني إلى قومه	جابر بن عبد الله	٤٨٤
ألست في سبيل الله ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم أفطر	أبو الزبير	٥٩
ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل		٥٢٤

ألم أخبر أنك تصوم لا تفطر وتصلي الليل؟	عبد الله بن عمرو	٤٦
ألم أنه عن المصابيح بعد النوم	عمر	٢٧٤
إلى هرقل عظيم الروم		٤٠٤
أليس قد صليت معنا ؟ فإن الله قد غفر لك ذنبك	أنس	٨٠١
أليس قد صليت معنا؟	أنس	٥٠
أما الله فقد شفاني وأما أنا فأكره أن أثير على الناس شراً	عائشة	٥١٠
أما أن ترضى أن تكون أمك مع أمي	أبو رزين	٥٢١
أما أنا فأصوم وأفطر وأقوم وأنام		٤٨٨
أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم	ابن مسعود	٥٠٧
أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله	جابر بن عبد الله	١١١
أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب	جابر	٦٤٨
أمر بغسل آنية المشركين		٤٨
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله	ابن عمر	٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٧
أمرت بمداراة الناس كما أمرت بالصلاة	زيد بن رفيع	٦١٧
آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع		٧٧٩
آمركم بثلاث وأنهاكم عن ثلاث	أبو هريرة	٦٧٠
أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس	عائشة	١٥٦

منازلهم		
أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم	عائشة	٣١٨
أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم	عائشة	٣٥٠
أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم	عائشة	٦٠١-٦٠٢
امضِ لما أمرت به...		٨٧
أمك ثم أ مك ثم أمك	أبو هريرة	٦٥
إن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة		٥٧٦
إن أبي وأباك في النار		٤٩٣
إن أبي وأباك في النار	أنس	٥٢١
إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا	عائشة	٣٢، ٧٨
إن أصدق الحديث كتاب الله	ابن مسعود	٢
أن اصنع به خيراً أو احفظ وصية رسول الله	عمر	٢٧١
إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم		٦٦
إن أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها ممشى	أبو موسى	٥٢١
إن أقمت على دينك فأد الجزية	عمر	٨٢

إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه	أبو هريرة	٣٨، ٦٠
إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه	أبو هريرة	٦٦٢
إن الغضب من الشيطان	عطية السعدي	٧٦٩
إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً		٧٤٣
إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل		٣٢٣
إن الله أعطاني الليلة الكنزين: فارس والروم		٤٩٥
إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر : صدق		٣٨١
إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان	أبو ذر	٢٨، ٧٤
إن الله جل وعلا يسأل العبد يوم القيامة حتى إنه ليقول له		٨٠٩
إن الله حجر التوبة عن كل صاحب بدعة		٣٩١
إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض	أبو موسى	١٨٣
إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره		٨٠٤
إن الله عز وجل يأمرني أن آمركم أن تتقوا الله	عبد الله بن قيس	١١٤
إن الله عز جل يسأل العبد يوم القيامة فيقول: مالك	أبو سعيد الخدري	٢٥٥
إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها		٧١٧
إن الله عز وجل قال من آذى لي وليا	أبو هريرة	٣١٨
إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة		٨١٣
إن الله عز وجل يأمرني أن أمركن أن تتقوا الله	عبد الله بن قيس	١١٤

إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني		٤٦٧
إن الله غني عن تعذيب هذا نفسه	أنس	٣٦
إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها		٦٧
إن الله قال قد فعلت	ابن عباس	٧٩
إن الله قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه	ابن عباس	٦٢٢-٦٢٣
إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم	أبو هريرة	٢٦٧
إن الله وضع عن أمتي الخطأ		٤٢
إن الله يحب أن تؤتى رخصه	ابن عمر	٤١، ٧٢
إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه	ابن مسعود	٧٢
إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر		٤٦٨
إن المرأة كالضلع إن ذهبت تقيمه كسرتها	أبو هريرة	٤٦٠
إن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بنعيمان أو بابن نعيمان وهو سكران	عقبة بن الحارث	٥٥-٥٦
إن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى كسرى	أنس	٥٨٤
إن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى طعاماً من يهودي	عائشة	٦١
إن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل	عائشة	٦٥٥
إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى وهو قاعد		٥٧٧

إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه	عائشة	٤٧٩
أن النبي صلى الله عليه وسلم يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه	عائشة	٣٠٠
إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم		٣٦٤
إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده		٥١٣
أن تجعل لله نداً وهو خلقك		٣٩٥، ٣٩٧
إن خير دينكم أيسره		٣٨
إن دماء الناس وأموالهم وأعراضهم حرام كحرمة مكة والشهر الحرام		٢١١
إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام	ابن عباس	٦٣
إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول	ابن عباس	٢٩٩
إن رجلاً لم يعمل خيراً قط	أبو هريرة	٦٠٤
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعاماً	عائشة	١٢٦
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة	ابن عباس	٤٤٠
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ذات ليلة في المسجد	عائشة	٣٨

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة	ابن مسعود	٧١٦
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بعض أسفاره	عمران بن حصين	٤٨٠-٤٨١
إن عظم الجزاء مع عظم البلاء		٣٨٤
إن عظم الجزاء مع عظم البلاء		٦١٢
إن غرفة بن الحارث الكندي سمع نصرانياً شتم النبي صلى الله عليه وسلم		٧٢٨
إن في بعض كتب الله: إن من عباد الله قوماً ألسنتهم أحلى من العسل		٤٥٣
إن فيك خصلتين يحبهما الله		١٥٤
إن فيك خصلتين يحبهما الله		٧٦٨
إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به	عائشة	٤٦
إن لجهنم نفسين	أبو هريرة	٥٥٥
إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً	أبو جحيفة	٤٩
إن للقلوب نشاطاً وإقبالاً	ابن مسعود	٥٢
إن للقلوب نشاطاً وإقبالاً		٧١٧
إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم	أنس	٣٦١
إن لم تجدوا غيرها فارحضوها واطبخوا فيها	ثعلبة	٢١٦
إن لنفسك عليك حقا	عبد الله بن عمرو	٤٧٠

إن مما أخشى عليكم شهوات الغي		٢٩٩
إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة	أبو موسى	٦٠٢
إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم	أبو موسى	٣١٨
إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً	عبد الله بن عمرو	٣٠٠
إن ناساً من عكل وعرينة قدموا المدينة على النبي	أنس	٢٢٥
إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق	جابر بن عبد الله	٣٥
إن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها	أبو ثعلبة	٤٨
أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم	أبو هريرة	٢٧
إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم	أبو الدرداء	٥٤
أنا وكافل اليتيم في الجنة	سهل بن سعد	٥٧٨
أنت إمامهم واقتد بأضعفهم	عثمان بن أبي العاص	٤٧٣
أنت أمامهم، واقتد بأضعفهم	عثمان بن أبي العاص	٣٠٧
أنت عتيق الله من النار		١٥٥
انتسبوا		٥٩٣
أنتم أعلم بأمور دنياكم	أنس	١٨٩
أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟	أنس	٣٧، ٤٧

أنذرتكم النار أنذرتكم النار	النعمان بن بشير	٦٤٤
أنزل + عبس وتولى " في ابن أم مكتوم الأعمى	عائشة	٢٦٦
أنزل الله عليَّ أمانين		٥١٨
أنزلوا الناس منازلهم	عائشة	١٥٦
أنزلوا الناس منازلهم	عائشة	٦٠١
انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً		٢٩١
إنك تأتي قوماً أهل كتاب	ابن عباس	٣٤٩، ٤٣٣
إنك تأتي قوماً أهل كتاب		٧٥٧، ٧٧٣
إنك تقدم على قوم أهل كتاب		٦٩٩-٧٠٠
إنكم أمة أريد بكم اليسر		٣٨
إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط	أبو ذر	٢٩٣
إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط	أبو ذر	٤٩٥
إنكم ستفتحون أرضاً يُذكر فيها القيراط	أبو ذر	٦٢١
إنما الصبر عند الصدمة الأولى	أنس	١١٦
إنما كان ذلك في أول الإسلام	عبد الله بن عون	٣٢٦
إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً	أبو هريرة	٦٤٥
إنما نصر الله هذه الأمة بضعيفها		٦١٣
إنه من أعطي حظه من الرفق	عائشة	٧٧١

إنه منافق أداريه عن نفاقه	صفوان بن عسال	٤٥١، ٤٥٢
أنه نهى عن النهبة والمثلة		٢٢٥
إنها ستكون فتنة	ابن عباس	٦٤٣
إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير		٣٨٣
إني أخشاكم لله وأتقاكم له	أنس بن مالك	٧
إني كنت نهيتكم عن ثلاث: زيارة القبور فزوروها		٥٥
إني لا أقبل هدية مشرك		٦٩٢
إني لا أقول إلا حقاً	أبو هريرة	٥١٥
إني لأدخل الصلاة أريد إطالتها		٥٧٩
إني لأنسى أو أنسى لأسن	مالك	٤٨٠
أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون	أبو ذر	١١٦-١١٧
أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول الحق وإن كان مرًّا	أبو ذر	٢٥٢
أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله	أبو أمامة	٣٠٧
أوصيكم بالضعيفين		٦٠٤
أوصيكم بذمة الله فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم	عمر	٨٣
أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم	عبادة بن الصامت	١٦٢
أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء	ابن مسعود	٢٢٢

أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الأمة		١٠٠
أي شيء تحبون أن آتيكم به		٤٧٩
أي عائشة إن شر الناس من تركه الناس	عائشة	٥٤
أيا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً	عمر	٢٤١
إياك والخصومة والجدال في الدين		٧٠٣-٧٠٤
آية المنافق ثلاث		٤٥٠
الإيمان بالله والجهاد في سبيله	أبو ذر	٧٣
إيمان بالله ورسوله.. الجهاد في سبيل الله.. حج مبرور	أبو هريرة	١٠٤
الإيمان بضع وستون شعبة	أبو هريرة	٤٨٩
الإيمان هاهنا		٧٢٥
الإيمان يمان والحكمة يمانية		٣٧٩
أيها الناس إنكم منفرون	أبو مسعود	٤٧٣
أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج	أبو هريرة	٧١٨
أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا	أبو هريرة	٦٦
أيهما أكثر أخذاً للقرآن	جابر بن عبد الله	٣١٨
أيهما أكثر أخذاً للقرآن	جابر	٦٠٢
بئس أخو العشيرة	صفوان بن عسال	٤٥١

بأبي وأمي يارسول الله لأنت أعلم بأسماء قرانا منا		٧٧٩
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى عظيم فارس		١٥٧
بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه عمر بن الخطاب	عمر	٢٧٣
بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله إلى النجاشي		١٥٧
بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمنة من الله ومحمد النبي		٨٤–٨٥
بعثت أنا والساعة كهاتين	جابر بن عبد الله	١١١
بعثت بالسيف بين يدي الساعة		٤٠٥
بعثت بجوامع الكلم		٥٦٣
بل أرجو أن يخرج الله تعالى		٧٨٩
بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد	جابر	٥٢١
بلغوا عني ولو آية		٣٤٨
بلغوا عني ولو آية		٦٩٤
بني سلمة دياركم تكتب آثاركم	جابر	٥٢١
بينما يهودي يعرض سلعة له أعطي بها شيئاً كرهه	أبو هريرة	٤٣٢
تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها	عائشة	٥٧٧
تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل	جرير بن عبد الله	٤٨٧

تجاوزوا في الصلاة فإن خلفكم الضعيف	أبو هريرة	٤٧٣
تداووا عباد الله فإنه الله لم يضع داء	أسامة بن شريك	٣٤
تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم	معقل بن يسار	٢٠٥
تسمعون يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده	عبد الله بن عمرو	٨٩، ٩٨
تكف شرك عن الناس	أبو ذر	٧٣
تلك ضراوة الإسلام	عبد الله بن عمرو بن العاص	٦٦٣
تلك ضراوة الإسلام وشرته	عبد الله بن عمر	٥٩
تهادوا تحابوا		٥٠٨
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي	عائشة	٨٥-٨٦
ثلاث من جمعهن فقد استكمل الإيمان	عمار بن ياسر	٢٧٢
جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي	أنس	٣٦، ٤٧
الجهاد ماض منذ بعثني الله تعالى إلى أن يقاتل آخر عصابة		٤٠٥
جهد المقل وابدأ بمن تعول	أبو هريرة	٦٠٣
حدث الناس كل جمعة مرة	ابن عباس	٥٠٨
حدث الناس كل جمعة مرة	ابن عباس	٨١٧
حدث الناس كل جمعة مرة	ابن عباس	٧١٦

حدثوا الناس بما يعرفون	علي	٣٤٩
حدثوا الناس بما يعرفون	علي بن أبي طالب	٦٠٩
حدثوا الناس بما يعرفون	علي بن أبي طالب	٧٧٥
حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج	أبو هريرة	٦٦٨
حق المسلم على المسلم خمس	أبو هريرة	٢٧١
الحمد لله الذي أنقذه من النار	أنس	٣١٠
الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات	عائشة	٤٦٢
الحنيفية السمحة	عائشة	٣٧
خالد سيف من سيوف الله عز وجل		١٥٥
خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين	أنس	٣٠٢
خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي: أف قط	أنس	٦٣٣
خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي: أف	أنس	٤٦٣
خذوا العلم قبل أن يذهب	أبو أمامة	١٠٥
خذوا القرآن من أربعة	ابن عمر	٣٢٤-٣٢٥
خذوا من العمل ما تطيقون	عائشة	٦٠
خذوا من العمل ما تطيقون	عائشة	٦٨٥

خرج نبي من الأنبياء يستسقي فإذا هو بنخلة رافعة بعض قوائمها	أبو هريرة	١٩٩
خرجنا مع عبد الله بن عمر رضي الله عنه فقال: هذا قبل	خالد بن أسلم	٦٠٣
خطبة استقبال شهر رمضان في آخر ليالي شهر شعبان		٥٥٣
خلق حسن	أسامة بن شريك	٢٩٠
خمس صلوات في اليوم والليلة	طلحة بن عبيد الله	٧١
خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام		٣٥١
خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى	حكيم بن حزام	٦٠٣
خير الناس قرني	عبد الله بن عمر	١٧– ١٨
خير الناس قرني		٥٥٣
خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل	أبو هريرة	٦٣
خير الناس من طال عمره		٥٥٣
خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم		٦٣٢
خير دينكم أيسره		٤٧١
خيركم من تعلم القرآن وعلمه	عثمان	١٠٥
دخل عليَّ قائف والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد وأسامة بن زيد وزيد بن حارثة مضطجعان	عائشة	٢٣٦– ٢٣٧.
دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم		٦٦، ٧٩

دعوه فلو قدر	أنس	٣٠٢
دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء	أبو هريرة	٣٣
دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء	أبو هريرة	٥٤٨
دية المعاهد نصف دية الحر		٢١١
رأس العقل بعد الإيمان مداراة الناس	سعيد بن المسيب	٦١٧
رأس العقل بعد المداراة، وأهل المعروف في الدنيا	أبو هريرة	٦١٧
رأيت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه حلة	المعرور بن سويد	٤٧٢
رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار	عائشة	٤٣٩
رأيتني مع النبي صلى الله عليه وسلم بنيت بيدي بيتا	ابن عمر	١٩٦
رب أشعث مدفوع بالأبواب	أبو هريرة	١٢٤
رب أشعث مدفوع بالأبواب	أبو هريرة	٢٨٩
ربط ثمامة بن أثال وهو مشرك بسارية من سواري المسجد		٤٨
رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل	سعد بن أبي وقاص	٦٠-٦١
السلام عليكم يا صبيان	أنس	٣٠٢
السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد	عبدا لله بن سرجس المزني	٦٦٣

سمع النبي صلى الله عليه وسلم نداء صبي وهو في الصلاة	أنس	٣٠٧
سنا سنا		٥٧١
سناه سناه		٥٦٨
سيجيء أقوام في آخر الزمان تكون وجوههم وجوه الآدميين	ابن عباس	٨٠٩
سيدكم بشر بن البراء	كعب بن مالك	٥٩٩
سيكون من أمتي قوم يقرؤون القرآن ولا يجاوز حلاقيمهم		٣٩٢
شر الطعام طعام الوليمة يدعى لها الأغنياء	أبو هريرة	٢٧٢
الشهر هكذا وهكذا		٥٧٨
صبحكم ومساكم	جابر بن عبد الله	١١١
صبحكم ومساكم		٥٦٣
صدق سلمان	أبو جحيفة	٤٩
الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم		٣١١
الصلاة لوقتها.. بر الوالدين .. الجهاد في سبيل الله	ابن مسعود	١٠٤
عباد الله وضع الله الحرج إلا من اقترض	أسامة بن شريك	٣٤، ١٢٥
العبوا يا بني أرفدة تعلم اليهود	عائشة	٣٧
العجب إن ناساً من أمتي يؤمون هذا البيت	عائشة	٨٠٨

عجل شيخ فلطم خادماً له، فقال له سويد بن مقرن	هلال بن يساف	٢٧٢
عفي عن أمتي الخطأ والنسيان		٤٨٠
على رسلك حتى تنزل بساحتهم		٨١
على كل مسلم صدقة	أبو بردة	٧٣، ٧٨، ١١٧
على كل مسلم صدقة	أبو موسى	٦١٣-٦١٤
على مكانكم اثبتوا	عبد الله بن قيس	١١٤
على مكانكم اثبتوا	عبد الله بن قيس	٤٦٠
عليك باتقاء الله ولا تحقرن من المعروف شيئا	سليم بن جابر المهجيمي	٤٦٤
عليك بالرفق	عائشة	٤٨٦
عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا	عائشة	٦٦٤
فإن لجسدك عليك حقا		٥٢٣
فإني نهيت عن زبد المشركين	عياض بن حمار	٦٩٢
فزوروا القبول فإنها تذكركم الموت		٤٩٢
فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم	أبو أمامة الباهلي	٦٤٦
فعن معادن العرب تسألون؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام	أبو هريرة	٢٤٣
الفقر تخافون أو تهمكم الدنيا؟!	عوف بن مالك	٦٢٢

فكأنما قرب بدنة		٤٩١
فلا تنزلهم على حكم الله		٦٩٩
فليبلغ الشاهد الغائب		٣٤٨
فليجلدها ولا يثرب		٣٨٦
فليكن أو ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله	معاذ	٣٩٨
فوالله لأن يُهدَى بك رجل واحد	علي بن أبي طالب	٢٥٨-٢٨٠
فيك مثل من عيسى أبغضته اليهود	علي	٥٩
فيك مثل من عيسى أبغضته اليهود	علي	٦٦٤
فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله	أبو هريرة	٢٤٣
قاتل أبو بكر الصديق المرتدين		٤٠١
قاربوا وسددوا	أبو هريرة	٣٤
قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة		٥٨
قال الله عز وجل أَنفق أُنفق عليك		٦٠٥
قال عز وجل : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري	أبو هريرة	٥٠٥
قتلوه قتلهم الله	جابر	٦٤٧
قد أذهب الله عنكم عبية الجاهلية	أبو هريرة	١٧٠-١٧١، ١٨٠، ٢٤٣

قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها	العرباض بن سارية	٣٠٦
قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج	عائشة	٣٨
قد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعاً عند يهودي	أنس	٦٥٥
قد علمت لم نظر بعضكم إلى بعض إن لشيح يملك نفسه	عبد الله بن عمرو بن العاص	٥٥
قده بيده	ابن عباس	١١٦
قصة توبة كعب بن مالك وصاحبيه		٧٥
القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة	عبد الله بن مسعود	٦٠
القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة	ابن عمر	٦٦٤
قضيت بحكم الله وربما قال: قضيت بحكم الملك		٦٩٩
قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا	ابن عباس	٧٩
قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد	كعب بن عجرة	٥٧٢
قوموا إلى سيدكم		٤٥٠
قوموا إلى سيدكم أو خيركم		٧٨١
كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير	حذيفة	٧٢٣
كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة	ابن مسعود	٧٤٨، ٨١٦
كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذراً	ابن عباس	٦٨

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيقون	عائشة	٣١
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه	جابر بن عبد الله	١١١
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة وكان إذا صلى رفع صوته بالقرآن		٦٦٢
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو	سالم بن عبد الله	٧٩١.٧٩٠
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه	أنس	٤٨٠
كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض	أنس	٣١٠
كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع		٢٢٢
كان كلام النبي القرآن الكريم فصلاً يفقهه	عائشة	٥٧٤-٥٧٥
كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً فصلاً	عائشة	٤٨٠
كان يقال: حدث القوم ما أقبلوا عليك بوجوههم	الحسن البصري	٥٣، ٧٨
كانت المرأة تكون مقلاتاً فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد	ابن عباس	١٤٧
كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه	ابن مسعود	٢١٣-٢١٤

كبر الكبر	سهل بن أبي حثمة ورافع بن خديج	١٥٩
كخ كخ	أبو هريرة	٥٧١
كسر عظم الميت ككسره حيا		٢٢١
كل بني آدم خطاء	أنس	٢٨٦
كل ثقة بالله وتوكلاً عليه	جابر	٤٦٦
كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً	معاوية	٢٢٣
كل مولود يولد على الفطرة	أبو هريرة	٣٦٩
كلا إني رأيته في النار في بردة غلها	عمر	٣٨٣
كلوا وتصدقوا والبسوا	عبد الله بن عمرو بن العاص	٦٦٣
كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف	عبد الله بن عمرو	٥٩
كما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم	أنس	٥٨٤
كما أنتما في لحافكما		٦١٦
كن جليس بيتك وعليك بخاصة نفسك		٨٠٦
كن طبيباً رفيقا يضع دواءه	عيسى ابن مريم عليهما السلام	٧٠٣

كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه ألقينا	أبو رجاء العطاردي	٤٤٠
كنا نهينا في القرآن أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم	أنس	٥٤٩
كنت أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصداً	جابر بن سمرة	٥٩
كنت أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصداً	جابر بن سمرة	٦٦٣
كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة	عبد الله بن عمرو	٤٧
كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين	ابن عباس	٦٠٨-٦٠٩
كيف تجد قلبك؟ إن عادوا فعد	عمار بن ياسر	٤٢
كيف تقدم أمة لا يأخذ لضعيفها من شريفها حقه	جعفر	٢٧٥
كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم	أنس	٧٠٦
لئن صدق ليدخلن الجنة	أنس	٣٧٣، ٣٨١
لا إكراه في الدين	عمر	٩٣
لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا	أنس	٢٧١
لا تبتاعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل	معاوية	٨١٩
لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام	أبو هريرة	٢٨٨-٢٨٩
لا تترك هذه الأمة شيئاً من سنن الأولين	المستورد بن	٨١٣

	شداد	
لا تجسسوا ولا تحسسوا		٦٧٦
لا تحاسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله القرآن		١٥٢
لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا	أبو هريرة	٢٨٩
لا تحدث الباطل الحكماء فيمقتوك	كثير بن مرة	٥٢، ١١٨
لا تحدث الباطل الحكماء فيمقتوك	كثير بن مرة	٧٠٣
لا تحقرن من المعروف شيئاً	أبو ذر	٦٥
لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام	أبو هريرة	٤٦
لا تدخلوا على المغيبات	جابر	٤٩٦
لا تدخلوا على المغيبات	جابر	٥٥٠
لا تديموا النظر إلى المجذومين	ابن عباس	٢٩٠
لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض	جرير	٥٤١
لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين	أبو أمامة	٨٨-٨٩
لا تسألوني عن شيء إلا بينت لكم	أنس	٢٣٩
لا تسبن أحداً	جابر بن سليم	٢٩٠
لا تضربوا إماء الله	إياس بن عبد الله	٦١٦-٦١٧
لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم		٤٨٨
لا تعينوا الشيطان عليه		٥٦٥

لا تغضب		٥٠١
لا تفضلوا بين أنبياء الله	أبو هريرة	٤٣٢
لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها		٢٢٢
لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله	المقداد بن عمرو الكندي	٢٢٣
لا تقل عليك السلام	جابر بن سليم	١٢٤
لا تقولون للمنافق سيد	بريدة	٤٥٠
لا تمار أخاك ولا تمازحه	ابن عباس	٥١٥
لا تملوا الناس	ابن مسعود	٥٢
لا تملوا الناس		٧١٧
لا تمنع العلم من أهله فتأثم	عيسى ابن مريم	٥٢، ١١٨
لا تنام الليل: خذوا من العمل ما تطيقون	عائشة	٤٦
لا تواصلوا.. إني لست مثلكم	أبو هريرة	٣٩، ٤٥
لا حسد إلا في اثنتين		٥٠١
لا عدوى		٤٦٦
لا فضل لعربي على أعجمي		٤٦٢
لا قدست أمة لا تأخذ لضعيفها حقه	جابر بن عبد الله	٢٧٥

لا قدست أمة لا تأخذ لضعيفها حقه	جابر بن عبد الله	٢٧٥
لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه		٧٣٦
لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله		٢٢٠
لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله		٤٠٠-٤٠١
لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم		٤٩٦
لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر		٢٨٩
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر		١٢٤
لا يدخل الجنة نمام		٣٨٣
لا يدخل رجل مع مغيبة	عبد الله بن عمرو	٥٥٠
لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق	أبو ذر	١٢٣
لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر	أبو ذر	٢٨٩
لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله	معاوية	١٠١
لا يزال ناس من أمتي ظاهرين	المغيرة بن شعبة	١٠١
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن		٧٢
لا يسب أحدكم الدهر		٣٠٨
لا يعدل بالرعة	جابر	٤٧
لا يقولون أحدكم، عبدي فكلكم عبيد الله	أبو هريرة	٢٤٢
لا يكن أحدكم أمعة		٥١١

لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين		٣٦٤
لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق	أبو سعيد الخدري	٥٠٣
لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه	حذيفة	٦٩٠
لا، أيها الناس إن دين الله عز وجل في يسر	أبو عروة	٣٤
لا، حلوه ليصل أحدكم نشاطه	أنس	٣٥، ٤٦
لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه		٨١
لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله		٤٦٣
لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح على يديه		٧٠٠
لاهجرة بعد الفتح		٥١٩
لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر	أبو سعيد	٧١٠
لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر	ابن عباس	٨١٣
لتصل ما طاقت فإذا عجزت فلتقعد	عبد الرحمن بن أبي ليلى	٥٩
لتعلم يهود أن في ديننا فسحة	عائشة	٣٧
لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم	عبد الله بن عمرو	٢١٩
لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم		٢٧٢
لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي	أبو هريرة	٩٠، ٩٩
لقدكان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد		١٣٦

لقد لقيت من قومك ما لقيت	عائشة	٢١٣
لقد لقيت من قومك ما لقيت	عائشة	٢٧٠-٢٨٢، ٢٩٧
لكل نبي دعوة فأريد أن أختبئ دعوتي	أبو هريرة	٢٩٩
للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر		٤٨٢
لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه		٧٤
لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام	أبي بن كعب	٦٣
لم يبعث الله تعالى نبياً إلا بلغة قومه		٥٦٢، ٥٧٣
لم يكذب إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم قط إلا ثلاث كذبات	أبو هريرة	٧٢١-٧٢٢
لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سباباً ولا فحاشاً	أنس	٣٠٠
لما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه وسلم أناساً	عبد الله بن مسعود	٥٩٨
لما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه وسلم أناساً في القسمة		٨٠٠
لمن هذا؟ لتصل ما طاقت		٦٦٣، ٦٦٤
لن يبرح هذا الدين قائما	جابر بن سمرة	٣٠
الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله	ربعي بن عامر	٢٤١
الله أكبر (ثلاثا) لا إله إلا الله وحده لا شريك له	أنس	٢٦١

اللهم اشدد وطأتك على مضر		٦٣٨
اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون	سهل بن سعد	٢١٤
اللهم أكثر ماله وولده		٥٣١
اللهم العن بني لحيان ورعلاً وذكوان		٧٢٢
اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة		٧٩٠
اللهم إنما أنا بشر فأيما رجل من المسلمين	أبو هريرة	٢٩٩
اللهم إني أسالك الثبات في الأمر		٢٦
اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم		٣٩٥
اللهم أهد ثقيفا		٦٣٨
اللهم اهد دوساً وائت بهم		٢٩٧
اللهم أهد دوساً وائت بهم	أبو هريرة	٦٣٨
اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام	ابن مسعود	٧٩١
اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا		٥٣٩
اللهم من رفق بأمتي فارفق به	عائشة	٦١٢
اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها		٣٢٨
لو آمن بي عشرة من اليهود		٥٩٦
لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن اليهود		٧٩٩
لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح	سعد بن عبادة	٤٨٤

لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي	أبو سعيد الخدري	١٢٢
لو سترته بثوبك كان خيراً لك		٢٢٣–٢٣٥
لو شاء الله لقال: أنتم خير أمة فكنا كلنا	عمر	٦٣، ٩٠
لو كنت أنا لقتلتهم	ابن عباس	٤٠١
لو لم تفعلوا لصلح	أنس	١٨٩
لو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندعها	عائشة	٥٤٢
لو وجدت أعوانا لناديت يا أيها الناس النار النار	مالك بن دينار	٢٩٩
لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يصلوها	ابن عباس	٤٤
لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك	أبو هريرة	٣٨، ٤٤
لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر	عائشة	٩١
لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية		٧٨٢
لولا أن يتحزن لذلك نساؤنا لتركنا حمزة بالعراء	عبد الله بن جعفر	٤٩٢
لولا أن يحزن لذلك ناس لتركنا حمزة		٤٩٣
ليؤتين برجال يوم القيامة ليسوا بأنبياء	أنس	٢٥١
ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار	تميم الداري	٣٠
ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا	شداد بن أوس	٨١٢
ليس الخبر كالمعاينة		٤١٨
ليس الشديد بالصرعة	أبو هريرة	٥٠٢

ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً		٧٢٢
ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا		١٥٣
ليس منا من دعا إلى عصبية	جبير بن مطعم	٢٧٣
ليس منا من لم يرحم صغيرنا	أنس	١١٥
ليس منا من لم يرحم صغيرنا		٢٩١
المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم	أنس	٧٠٦
ما أبقيت لأهلك	زيد بن أسلم	٦٠٣
ما أحب أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا	عون بن عبد الله	٦٤٠
ما أحل الله في كتابه فهو حلال	أبو الدرداء	٦٧-٦٨
ما أحل الله في كتابه فهو حلال	أبو الدرداء	٧١٨
ما أطيبك وأطيب ريحك!	عبد الله بن عمرو	٢١٩
ما أنت بمحدث قوماً حديثاً	ابن مسعود	٦٦٧
ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم	ابن مسعود	٣٤٩
ما أنت محدث قوماً حديثاً	ابن مسعود	٦٠٩
ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط	عائشة	٣٨٧
ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع أمامه		٧٤٩
ما بال أقوام قالوا كذا وكذا		٧٥٠

ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء		٤٧٩
ما بال رجال يقولون كذا وكذا لكني أصوم وأفطر		٤٧٠
ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم		٣٦٣
ما تصدق عبد بصدقة من كسب طيب	أبو هريرة	٣٨٤
ما حجبني النبي صلى الله عليه وسلم ولا رآني إلا تبسم في وجهي	جرير بن عبد الله	٦٣٣
ما خلا يهودي بمسلم		٤٢٩
ما خلا يهوديان بمسلم	أبو هريرة	٤٢٩
ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم		٥٣٠
ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم	زيد بن ثابت	٤٨٨
ما زال جبريل يوصيني بالجار	عبد الله بن عمرو	٨٥
ما زال جبريل يوصيني بهم		٦٠٤
ما شأنك؟ أخذتك بجريرة حلفائك	عمران بن حصين	٣٢٧
ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً	أنس	٥٢٨
ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه	أبو أمامة	٣٨٥
ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم طعاماً قط إن اشتهاه أكله	أبو هريرة	٦٣٣
ما عندك يا ثمامة		٣١٥

ما عنفني أحد منذ فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم	أبو برزة الأسلمي	٦٤
ما كل ساعة أحلب فأشرب	سعيد بن جبير	١١٥
ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً	عائشة	٦٠
ما له ترب جبينه	أنس	٣٠٠
ما لهذه المرأة؟	أم سلمة	٣٢
ما لي أرى عليك حلية أهل النار		٦٨٩
ما لي كلما جعلتك حذائي خنست		٣٧٩
ما ملئ آدمي وعاء شراً من بطنه		٥٢٤-٥٢٥
ما من أحد من بني آدم إلا أخطأ أو هم بخطيئة		٢٨٦
ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً عن موطن تنتهك		١٢٣
ما من امرئ يخذل امرأ مسلماً عند موطن	جابر وأبو طلحة	٢٩٠
ما من امرئ يخذل مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه	جابر وأبو أيوب	٨١٣
ما من أمير يلي أمر المسلمين	معقل	٣٠٧
ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع		٦١٠
ما من مسلم يفعل خصلة من هؤلاء إلا أخذت بيده	أبو ذر	٣٨٢
ما من مولود إلا يولد على الفطرة	أبو هريرة	٢٠٢
ما من مولود إلا يولد على الفطرة		٣٦٧، ٤١٣
ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له	ابن مسعود	٢٥٧

ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار	عائشة	١٠٦
ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان		٦٠٥
ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم	بريدة	٨١٤
ما نهيتكم عنه فاجتنبوه	أبو هريرة	٨
ما هذا الحبل؟	أنس	٣٥
ما وجدته في سوق المسلمين	عمر بن الخطاب	٤٠
ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب		٤٧٤
مالي لا أسمع الناس يلبون	ابن عباس	١١٨
مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا		٧٣٩
مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين	ابن عمر	٤٥٥
مثلي كمثل رجل استوقد نارًا	أبو هريرة	٥
مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها	أبو هريرة	٢٧٦
مخيريق سابق اليهود		١٥٥–١٥٦
مداراة الناس صدقة		٥٠٤
مداراة الناس صدقة	جابر	٦١٧
مداراة الناس صدقة	جابر	٦٤٢
المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل		٧٣٧
مرحباً بالقوم أو بالوفد		٥١٦

مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى		٧٥٣
مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله	أبو هريرة	٢٥٢
مم تضحكون؟ من جاهل يسال عالماً	عبد الله بن عمرو	١٢٥-١٢٦
مم تضحكون؟ والذي نفسي بيده لهما أثقل	ابن مسعود	١٢٥
مم تضحكون؟ والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان		٢٩٠
من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا		٥١
من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه	أنس	٥١٨
من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل		٣٢٤
من أشار إلى أخيه		٣٢٢
من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة	أبو هريرة	٢٢٣
من أكرم امرءاً مسلماً		٣٠٨
من أمرك أن تعذب نفسك	أبو السليل	٣٦
من أمرك أن تعذب نفسك		٤٧٠
من بدل دينه فاقتلوه		٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١
من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم	أبو هريرة	٢٢٢
من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب		٦٠٥
من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط	أبو هريرة	٣٨٥

من خلع يداً من طاعة لقي الله	ابن عمر	٦١٨
من دخل دار أبي سفيان فهو آمن		٣٧٧
من دعا إلى هدى كان له من الأجر		٧٥٨
من رأى منكم منكراً فغيره بيده فقد برئ		٣٨٢
من رأى منكم منكراً فليغيره بيده		٣٤٧، ٣٨٢
من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة	أبو الدرداء	٢٣٨
من سلم المسلمون من لسانه ويده	عبد الله بن عمرو	١٢٣
من سلم المسلمون من لسانه ويده	أبو موسى	٢٨٩
من سن في الإسلام سنة حسنة	جرير بن عبد الله	١١٧
من سيدكم		٤٥٠
من سيدكم يا بني سلمة	كعب بن مالك	٥٩٩
من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة	سلمة بن الأكوع	٥٥
من عال جاريتين حتى تبلغا	أنس	٥٧٨
من فارق الجماعة شبراً فكأنما خلع ربقة الإسلام		٦١٩
من فر من اثنين فقد فر، ومن فر من ثلاثة لم يفر	ابن عباس	٢٥٢
من فقه الرجل رفقه في معيشته	أبو الدرداء	٥٩
من فقه الرجل رفقه في معيشته	أبو الدرداء	٦٦٤

من قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه		٤٠٧
من قتل دون ماله فهو شهيد		٢٣٢
من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه		٢٢١
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر	جرير بن عبد الله	٣١٨
من كان يريد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ	عمر	٢٨٨
من كظم غيظاً وهو قادر	معاذ	٧٦٩
من لقي الله وهو لا يشرك به شيئاً دخل الجنة	جابر	٣٩٤
من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي		٣٨٤
من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار	ابن مسعود	٣٩٤
من مثل به أو حرق بالنار فهو حر		٢٧١
من محمد رسول الله إلى صاحب الروم: إني أدعوك إلى الإسلام		١٣٨
من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عظيم الروم		٥٩٧
من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عظيم الروم		٨٠٠
من هذه؟ مه عليكم بما تطيقون	عائشة	٦٠
من يؤويني؟ من ينصرني؟	جرير بن عبد الله	٤٨٦–٤٨٧
من يحرم الرفق يحرم الخير		٣٠١
من يحرم الرفق يحرم الخير	جرير بن عبد الله	٤٨٦

من يحرم الرفق يحرم الخير		٥٠٣
من يرد الله به خيراً يصب منه		٦١٢
من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين	معاوية	٣٠
من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين	ابن عباس	٣٥١
من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين		٧٤٦
مهلاً يا عائشة إن الله يحب الرفق	عائشة	٦٦٦
مهلاً يا عائشة عليك بالرفق	عائشة	٤٠٨
نحن أحق بالشك من إبراهيم	أبو هريرة	٤١٩
نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس		٣٤٩
نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم		٦٦٧
نحن معاشر الأنبياء أولاد علات		٤٣٦
نزلت رسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة	ابن عباس	٨٢١
نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة	ابن عباس	٦٠، ٩٠، ١٠٦
النصر مع الصبر		٧٤١
النصر مع الصبر	ابن عباس	٧٠٢
نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه		٥٤٢

نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل		٤٦٣
نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله	أنس	٦٣
نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن		٣٧٧
نها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان	ابن عمر	٨٠
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تضرب الصور		٢١٥
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحنتم والدباء	ابن عمر	٥٧٠
هات يدك أبايعك على الإسلام	ابن عباس	٣١٧
هذان سيدا كهول أهل الجنة	علي	٣٢٤
هل بقي منكم من أحد	عروة بن محمد بن عطية	٥٧٣
هل تدرون ماذا قال ربكم؟	زيد بن خالد الجهني	٤٢٣
هل تستطيع أن تعتق رقبة	سعيد بن المسيب	٣٢
هل لك من إبل؟	أبو هريرة	٢٣٦
هل لكم إلى خير مما جئتم له؟		٤٦٥
هل من رجل يحملني إلى قومه		٦٠٦-٦٠٧
هل من رجل يحملني إلى قومه		٦٤٩
هلك المتنطعون		٣٩

هون عليك فإني لست بملك	ابن مسعود	٣٠٢
وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون		٤٦٧
وإذا خاصم فجر		٤٥٣
وإذا لقي ربه فرح بصومه		٤٨٣
واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء		٤٩٦
واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك		٤٩٦
والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى	أنس	٦١٧
والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف		٣٨٠
والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر	حذيفة بن اليمان	٢٧٥
والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم	أبو هريرة	٥٠٠
والله إني لأسمع بكاء الصبي	أنس	٤٧٣
والله كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه	ابن عباس	١٣٦
والله لا يؤمن والله لا يؤمن		٧٢٢-٧٢٣
والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحاً منك	أنس	٤٤٧
وأمر بالمعروف صدقة		٢٥٧
وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا		٦
وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة		٥٩٥

وإني خلقت عبادي حنفاء		٣٦٧
وصَّى علي بن أبي طالب أولاده		٦٠٤
وفي بضع أحدكم صدقة		٤٩٧
وكان النبي يبعث في قومه خاصة		٤٣٥
ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه	زيد بن عمرو بن نفيل	٣٦٧
ولا تحقرن شيئاً من المعروف	جابر بن سليم	٢٩٠
وما يدريك أنها رقية		٤٦٨
وهل من نبي إلا قد رعاها		٣٦٣
ويحك وما يضرك؟	عائشة	٨٢٠.٨١٩
يئس أهل مكة أن ترجعوا إلى دينهم عبدة الأوثان	ابن عباس	٣١
يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله	عقبة بن عمرو	٦٠٢
يا أبا ذر اعقل ما أقول لك	أبو ذر	٣٣٥-٣٣٤
يا أبا ذر اكتم هذا الأمر		٤٩٠-٤٨٩
يا أبا عمير ما فعل النغير	أنس	٣٠٢
يا أبا عمير ما فعل النغير		٤٦٦
يا ابن الأكوع ملكت فاسجح		٤٨٧
يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس	عمر	٣٨٤-٣٨٣

يا أخا تنوخ هل لك في الإسلام		٨٧، ٩٥
يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار	أبو هريرة	٤٣٩-٤٤٠
يا آل عبد منافاه إني نذير	قبيصة بن مخارقب	١١٣
يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد		٢٧٣
يا أيها الناس بأمثال هؤلاء فارموا		٤٨٨
يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون	عائشة	٣٤
يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا		٥٣٩
يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله	طارق بن عبد الله المحاربي	٥٥١
يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو		٣٣
يا بلال أرحنا بالصلاة		٣٠٧
يا بني عبد مناف إن الله بعثني أن أنذر عشيرتك الأقربين		٦١٩-٦٢٠
يا بني فهر يا بني عدي	ابن عباس	٣١٦
يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك	أبو هريرة	٤٦١
يا صاحب الميزاب لا تخبرنا	عمر بن الخطاب	٣٩
يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق	عائشة	٣٠١
يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق	عائشة	٤٨٦

يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم بكفر		٣٤٩-٣٥٠
يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي	أبو ذر	١٢٠
يا عثمان أرغبت عن سنتي	عائشة	٣٦
يا عثمان إني لم أؤمر بالرهبانية	سعد بن أبي وقاص	٦٦٤
يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها		٣٢٨
يا فديك أقم الصلاة واهجر السوء	صالح بن بشير بن فديك	٥٥٠
يا معاذ أفتان أنت		٣٩
يا معاذ هل تدري ما حق الله على العباد	معاذ بن جبل	٣٩٧
يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده	معاذ	٦٠٩
يا معشر النساء تصدقن	أبو سعيد الخدري	٤٥٩
يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله	أنس	١٥٠
يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه	ابن عمر	٢٧٢-٢٧٤
يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه	ابن عمر	٤٤٨
يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه	ابن عمر	٢٣٥
يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا		٤٢٩-٤٣٠

يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك	أنس	٦٣
يا نساء المؤمنات لا تحقرن إحداكن لجارتها		٤٦١
ياسعد ارم فداك أبي وأمي		١٥٥
يجزيء عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم	علي	٢٨٨
يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك	أنس	١٨٢
يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك	عائشة	١٢٤، ٢٤٢
يسر ولا تعسر		٧٠٣
يسرا ولا تعسرا	أبو بردة	٣٨، ١٠٨
يسرا ولا تعسرا	أبو بردة	٤٠٠
يسروا ولا تعسروا	أنس	٣٢
يسروا ولا تعسروا	أنس	٣٠٨
يعجب ربك من راعي غنم في رأس شظية		٤٦٩
يعجب ربك من راعي غنم في رأس شظية	عقبة بن عامر	٥٤٨
يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض	عائشة	٧٣٩
يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان		٣٩١
يقول الله تعالى: من عمل عملاً أشرك فيه غيري		٤٢٣
يقول الله عز وجل يوم القيامة يا ابن آدم حملتك على الخيل	أبو هريرة	١٩٥

يقول الله عز وجل: يا ابن آدم أنى تعجزني؟	بسر بن جحاش	١٩١
يكون اثنا عشر أميراً كلهم من قريش	جابر بن سمرة	٨٨
يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية		٣٩١

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

ابن مخلوف	٣١٣
أبو العالية الرياحي	٥٦٩
أبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي البزاز	٦٣٤
أبو عبيدة عامر بن عبد الله	٣٢٤
أبو محجن الثقفي	٢٧٤
أبي بن كعب	٣٢٤
أحمد بن محمد النوري البغدادي	٣١
الأزرق بن قيس الحارثي	٣٠٨
أسامة بن شريك الثعلبي	١٢٥
إسماعيل بن حماد	٣١٩
أشجع بن عبد القيس	١٥٤
بديل بن ورقاء	٧٨١
ثابت بن قيس بن شماس	٣١١
ثمامة بن أثال	٣١٥
جابر بن سليم (ويقال: سليم بن جابر) أبو جري	١٢٤
جبلة بن الأيهم الغساني الجفني	٨٢

جرثومة بن الأشق (ثعلبة)	٢١٦
جهجاه الغفاري	٥٤٠
حبيب بن مري النجار	٢٠١
حكيم بن قيس المنقري	٢٩١
حكيم بن قيس بن عاصم التميمي	١١٥
الحولاء بنت تويت القرشية الأسدية	٤٦
خالد بن دينار	٥٦٨
خباب بن الأرت	١٣٦
ربعي بن عامر	٢٤١
زاذان الكندي	٥٦٩
سالم بن عبيد بن ربيعة	٣٢٥
سعيد بن أبي راشد	٨٦
سفيان بن هانئ بن جبير (أبو سالم الجيشاني)	١٥٨
ضماد بن ثعلبة	٣١٦
طعمة بن أبيرق	٢٢٨
عبد الله بن المبارك	٢٥٠
عبد الله بن أم مكتوم	٢٦٥
عبد الله بن حبيب بن ربيعة (أبو عبد الرحمن السلمي)	١٠٥
عبد الله بن سعيد التنوخي	٣٠٤
عبيد الله بن عدي بن الخيار	٢٢٣
عياض بن حمار التميمي المجاشعي	٢٠٢

قيس بن عاصم المنقري	٢٩١
كثير بن مرة (أبو شجرة الحضرمي الرهاوي)	١١٨
كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس الأنصاري	١١٤
مالك بن دينار	٢٩٩
محمد بن محمد بن محمد بن حسين الهاشمي (جلال الدين الرومي)	١٩٢
مخيريق النضري	١٥٥
المسور بن مخرمة	٣٠٤
المقداد بن عمرو الكندي	٢٢٣
مكرز بن حفص القرشي العامري	٧٨٠
نضلة بن عبيد (أبو برزة الأسلمي)	٦٤
النعمان بن عمرو بن رفاعة البدري (يقال له: نعيمان)	٥٦
الهرمزان الفارسي	٣١٧
هزال بن يزيد بن ذئاب الأسلمي	٢٣٤

رابعا: فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة

اجتالتهم	٢٠٣
أحفوه	٢٣٩
الاستحسان	٦٨
الاستصلاح	٦٩
الأسقف	١٤٣
الأصحم	١٥٧
أفتات	٩٥
الأميين	١٥٠
الأناة	٧٦٥
الانتباذ	٥٧٠
البابا	١٤٣
البرنس	٩٤
البطارقة	٩٤
البطرك	١٤٣
تأشبوا	٤٨١
التبليغ	١١٩
تذفيف	٢٢٤

التلبيس	١٤١
التمثيل	٢٢١
تنسح	٥٧٠
ثبت	٢٤
جوامع الكلم	٥٦٣
الحقوق الخمسة	٢١٢
الحلم	٧٦٦
الخراج	٩٤
الخطابة	١٠٣
خطب	٢٤٦
الخلط	٦٦٥
الدباء	٥٧٠
الدرمك	٦١٦
دهديت الحجر	١٧٩
الذات	١٦٣
رحض	٢١٦
رضمة	١١٣
الرعة	٤٧

الرفق واللين	٧٧٠
زبد	٦٩٢
سنا	٥٧١
شرع	٢٥
الصبر	٧٥٩
الضبط	٦٢٧
العرف	٦٩
العزائم	٧٢
العقل	١٧٢
علات	٢٧
الفطرة	٢٠٢
الفظ الغليظ	٧١٩
القسيس	١٤٣
القياس	٦٨
قيصر	١٥٨
كخ	٥٧١
الكردينال	١٤٣
كظم الغيظ	٧٦٧

لاحى	٢٣٩
متراخ	٦٤
المداراة	٧٧٠
المدر	٣٠
المراعاة	٦٢٥
مرملون	٩٥
مرن	٢٤
المزفت	٥٧٠
المطران	١٤٣
مقلاة	١٤٧
المقير	٥٧٠
المكن	١٢٩
المنبت	٣٥
المنهج	٦٢٩
الموضوع	٦٢٩
النجاشي	١٥٧
النخير	٩٤
نزرة	١٤٧

نفهت نفسك	٣٥
النقير	٥٧٠
النوازل	٦٦
هجمت عينك	٣٥
الوبر	٣٠
يربأ	١١٣
يكنني	١٩٦

خامساً: فهرس الأشعار

البيت		الشاعر	الصفحة
إذا نطق السفيه فلا تجبه	فخير من إجابته السكوت		٧٦٩
ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه	لشيء نحته عن يديه المقادر		٨٠٥
إن الوفاء على الكريم فريضة	واللؤم مقرون بذيء الإخلاق		٧٧٠
أنا ابن الأكوع	واليوم يوم الرضع	سلمة بن الأكوع	٤٨٧
أنحنا إليها كورة بعد كورة	نقصهم حتى احتوينا المناهلا	ربعي بن عامر	٢٤١
تطاول هذا الليل واسود جانبه	وطال عليَّ ألا خليل ألاعبه		٢٣٥
جهلت قومه عليه فأغض	وأخو الحلم دأبه الإغضاء		٢٩٧
سليم العرض من حذر الجوابا	ومن دارى الرجال فقد أصابا		٦٥٧
على عهد ذي القرنين كانت سيوفنا	صوارم يفرقن الحديد المذكرا	ذو مهدم	٥٩٣
فلا تنكرن قيامي له	فإن الكريم يجل الكراما	أبو العباس	٣١٩
فمن كان يعمى عن أبيه فإننا	وجدنا أبانا العذملي المذكرا	ذو مهدم	٥٩٣
فوالله لولا خشية الله وحده	لحرك من هذا السرير جوانبه		٢٣٥
اللهم لا خير إلا خير الآخرة	فاغفر للأنصار والمهاجرة		٥١٤
وإني رأيت في الأيام تجربة	للصبر على عاقبة محمودة الأثر	أبو يعلى الموصلي	٧٦٥
وسع العالمين علما وحلما	فهو بحر لم تعيه الأعباء		٢٩٨
وفي الحلم ردع للسفيه عن الأذى	وفي الخرق إغراء فلا تك أخرقا		٧٧٠
وقل من جد في أمر يحاوله	واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر	أبو يعلى الموصلي	٧٦٥
وللكف عن شتم اللئيم تكرماً	أخر له من شتمه حين يشتم		٧٧٠

ولما بصرنا به طالعاً		حللنا الحبى وابتدرنا القياما	أبو العباس	٣١٩
ومن هاب الرجال تهيبوه		ومن حقر الرجال فلن يهابا		٦٥٧
وهذا أبونا سيد الناس كلهم		وفي زمن الأحقاف عزا ومفخرا	ذو مهدم	٥٩٣
وهل أفسد الدين إلا الملوك		وأحبار سوء ورهبانها	عبد الله بن المبارك	٦٠٢
ويخزهم وينصركم عليهم		ويشف صدور قوم مؤمنينا		٦٣٩

فهرس المراجـع والمصادر

حرف (الألف)

١. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبدالجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٧هـ.

٢. الإبداع في مضار الابتداع، علي محفوظ، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٧٥هـ.

٣. الإبهاج في شرح المنهاج، علي بن عبدالكافي السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٤. الإتقان، محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل محمد العربي، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٥. أثر الشبهات في درء الحدود، د. سعيد بن مسفر الوادعي، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١٨هـ.

٦. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٧. الأحاديث المختارة، أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي، تحقيق: د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، دار خضر، بيروت، ١٤٢١هـ.

٨. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، أبو الفتح تقي الدين محمد بن علي بن وهب القشيري، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٩. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٠. أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

١١. أحكام القرآن، محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي أبو بكر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، ١٣٧٦هـ.

١٢. أحكام النساء، أبو الفرج بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٣. أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف أحمد البكري وشاكر توفيق العارودي، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٨هـ.

١٤. الإحكام بين مراحل العمل الدعوي في دعوة النبي ﷺ، د. يوسف محيي الدين أبو هلالة، دار العاصمة، الرياض، ١٤١١هـ.

١٥. الأحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٤هـ

١٦. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي أبو الحسن، تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٧. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

١٨. أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، تحقيق: رشدي الصالح، دار الأندلس للنشر، بيروت، ١٤١٦هـ.

١٩. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني، دار القلم، دمشق، ١٤١٧هـ.

٢٠. أخلاق اليهود وأثرها في حياتهم المعاصرة، وفاء صادق، دار الفرقان، عمَّان، ١٤٠٨هـ.

٢١. الآداب الشرعية والمنح المرعية، أبو عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ.

٢٢. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٣. الأدب المفرد، الإمام البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.

٢٤. آراء ابن قدامة حول الإعاقة، عبدالإله بن عثمان الشايع، دار الصميعي، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٢٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٢٦. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتاب العربي ودار الفكر، بيروت، ١٤١٩هـ.

٢٧. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢٨. أساليب الدعوة والإرشاد، د. محمد أمين حسن محمد بني عامر، جامعة اليرموك، أربد، ١٩٩٩م.

٢٩. أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي، عبدالله بن محمد آل موسى، عالم الكتب، الرياض، بدون تاريخ الطبعة.

٣٠. الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.

٣١. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، د. قاسم السامرائي، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ.

٣٢. الاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ.

٣٣. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

٣٤. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير الجزري، تحقيق: عادل الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ

٣٥. الأسرة في ضوء الكتاب والسنة، د. السيد أحمد فرج، دار الوفاء، المنصورة، ١٤٠٧هـ.

٣٦. الأسس النظرية لنظريات الإعلام، د. جيهان رشتي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

٣٧. الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، د. فؤاد البهي السيد، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.

٣٨. بدون تاريخ الطبعة الإسلام مقاصده وخصائصه، د. محمد عقله، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان، ١٤١١هـ.

٣٩. الإسلام والبيئة، عبدالواحد إسماعيل القاضي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٩١م.

٤٠. الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين في عصور التاريخ الإسلامي وفي العصر الحديث، د. عبدالمنعم أحمد بركة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤١٠هـ.

٤١. الإسلام وبناء الشخصية، د. أحمد عمر هاشم، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٧هـ.

٤٢. الإسلام وبناء المجتمع الفاضل، د. يوسف عبدالهادي الشال، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، ١٩٧٢م.

٤٣. الإسلام وحاجة الإنسانية إليه، د. محمد يوسف موسى، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٠هـ.

٤٤. الإسلام وعالمنا المعاصر، دراسة في الدعوة والدعاة، د. صابر طعيمة، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠١هـ.

٤٥. الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، خالد بن عبدالكريم الخياط، دار المجتمع، جدة، ١٤١٢هـ.

٤٦. الأشباه والنظائر، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٤٧. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

٤٨. أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٤هـ.

٤٩. أصول البحث الاجتماعي، د. عبدالباسط محمد حسن، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٥هـ.

٥٠. أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر، وكالة الكويت، المطبوعات، ١٩٨٤م.

٥١. أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، جمعية الأماني، بغداد، ١٣٩٦هـ.

٥٢. أصول السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٢هـ.

٥٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٥٤. إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، أبوبكر السيد البكري بن السيد محمد شطا الدمياطي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٥٥. الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

٥٦. اعتقاد أهل السنة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

٥٧. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف، أحمد بن الحسين البيهقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١هـ.

٥٨. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر ١٩٩٧م.

٥٩. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، أبو حفص عمر بن علي بن موسى البزار، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٦٠. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

٦١. أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٦٢. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، دار التراث العربي، القاهرة، ١٣٩٨هـ.

٦٣. إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان، ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٦٤. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ.

٦٥. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٦٩هـ.

٦٦. الإكراه في الشريعة الإسلامية، د. فخري أبو صفية، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ١٤٠٢هـ.

٦٧. الإلقاء الخطابي في الدعوة إلى الله تعالى، د. خالد بن عبدالرحمن القرشي، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٢هـ.

٦٨. إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد المقريزي، تحقيق: محمد عبدالحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٦٩. أمثال الحديث المروية عن النبي ﷺ، أبو الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الرامهرمزي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٩ هـ.

٧٠. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد جميل غازي، مكتبة المدني، جدة، بدون تاريخ الطبعة.

٧١. الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٧٢. الإنسان في الإسلام، د. أمير عبدالعزيز مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٧٣. الإنسان في القرآن الكريم، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٧٤. الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، د. عبدالرحمن بن إبراهيم المطرودي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٠هـ.

٧٥. الانفعالات التشخيصية والعلاج من المنظور الإسلامي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي، دار الهدى النبوي ودار الفضيلة، الرياض، ١٤٢٢هـ.

٧٦. إيثار الحق على الخلق، محمد بن إبراهيم المرتضى بن المفضل القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٧٧. أيقاظ همم أولي الأبصار، صالح بن محمد بن نوح العمري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

حرف (الباء)

٧٨. البحث العلمي مفهومه، أدواته، أساليبه، د. ذوقان عبيدات وزميليه، دار الفكر للنشر، عمان، ١٩٨٨م.

٧٩. البحث العلمي، صياغة جديدة، د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، دار الشروق، جده، ١٤١٢هـ.

٨٠. بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: يسرى السيد محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٤هـ.

٨١. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م.

٨٢. بدائع الفوائد، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق: هشام عطا وزميليه، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ.

٨٣. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٠م.

٨٤. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، شيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٨هـ.

٨٥. بنوا إسرائيل في القرآن الكريم، د. محمد عبدالسلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٠هـ.

٨٦. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ١٣٩٢هـ.

٨٧. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٣٦٧هـ.

٨٨. البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، إبراهيم بن محمد الحسيني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١ هـ.

حرف (التاء والثاء)

٨٩. تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٩٠. تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٩١. تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، د. جميل عبدالله المصري، مكتبة المدينة المنورة، ١٤٠٧هـ.

٩٢. تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، د. أحمد فؤاد سيد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٤هـ.

٩٣. تاريخ الدعوة بين الأمس واليوم، آدم عبدالله الألودي، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٤٠٨هـ.

٩٤. تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٩٥. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٩٦. تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٩٧. تاريخ جرجان، أبو القاسم حمزة بن يوسف الجرجاني، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠١ هـ.

٩٨. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبدالرحمن بن حسن الجبرتي، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٩٩. تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، محمد بن عبدالله بن أحمد بن سليمان الربعي، تحقيق: د. عبدالله بن أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٠هـ.

١٠٠. التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، ١٤٠٣هـ.

١٠١. التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، المؤسسة السعيدية، الرياض، بدون تاريخ الطبعة.

١٠٢. التبيان في تفسير غريب القرآن، أحمد بن محمد الهائم المصري، دار الصحابة للتراث، القاهرة، ١٩٩٢م.

١٠٣. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

١٠٤. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.

١٠٥. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

١٠٦. التحفة المدنية في العقيدة السلفية، حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر، دار العاصمة، الرياض، ١٩٩٢م.

١٠٧. تحفة المودود بأحكام المولود، ابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الرياض، ١٤١٤هـ.

١٠٨. التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار البيان، دمشق، ١٣٩٩هـ.

١٠٩. التدرج في دعوة النبي ﷺ ، د. إبراهيم المطلق، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٧هـ.

١١٠. التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، دار اللواء، الرياض، بدون تاريخ الطبعة.

١١١. الترغيب والترهيب، أبو محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

١١٢. الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم، ناصر بن عبدالله العمار، مكتبة الساعي، الرياض، بدون تاريخ الطبعة.

١١٣. التشريع الجنائي الإسلامي، عبدالقادر عودة.

١١٤. التصور الإسلامي والحياة والإنسان، عثمان جمعه ضميرية، دار الأرقم، الكويت، بدون تاريخ الطبعة.

١١٥. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ.

١١٦. تعظيم قدر الصلاة، أبو عبدالله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٦هـ.

١١٧. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

١١٨. تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

١١٩. تفسير البيضاوي، البيضاوي، تحقيق: عبدالقادر عرفات حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ.

١٢٠. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

١٢١. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣هـ.

١٢٢. التفسير الكبير، ابن تيمية، تحقيق: د. عبدالرحمن عميره، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

١٢٣. التفسير الكبير، الفخر الرازي، تحقيق ونشر: مكتب دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ.

١٢٤. تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، تحقيق: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٢٥. تفسير المنار، السيد محمد رشيد رضا.

١٢٦. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ١٤١٨هـ.

١٢٧. تفسير النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

١٢٨. تقريب التهذيب، ابن حجر، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦هـ.

١٢٩. تقييد العلم، الخطيب البغدادي، دار إحياء السنة النبوية، بدون تاريخ الطبعة.

١٣٠. تكريم الإسلام للإنسان، د. فاروق مساهل، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

١٣١. تكريم الخالق للإنسان، محمد سعيد غيبة، دار المكتبي، دمشق، ١٤٢٠هـ.

١٣٢. تكملة الإكمال، أبو بكر محمد بن عبدالغني البغدادي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ.

١٣٣. تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر، تحقيق: السيد عبدالله هاشم اليماني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ.

١٣٤. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري، تحقيق: مصطفى ابن أحمد العلوي ومحمد عبدالكبير البكري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

١٣٥. تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين، أحمد بن إبراهيم ابن النحاس الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٣٦. تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٨٩هـ.

١٣٧. تهذيب الكمال، أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠ هـ.

١٣٨. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

١٣٩. توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ.

١٤٠. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ.

١٤١. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٠هـ.

١٤٢. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، بدون تاريخ الطبعة.

١٤٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرؤوف سعد، مكتبة الأوس، المدينة المنورة، بدون تاريخ الطبعة.

١٤٤. الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، د. عابد بن محمد السفياني، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ.

١٤٥. الثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥هـ.

١٤٦. الثقات، محمد بن حبان بن أحمد البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥هـ.

حرف (الجيم)

١٤٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٤٨. جامع الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، بيت الأفكار الدولية، عمان، مؤسسة المؤتمن للتوزيع، الرياض، بدون تاريخ الطبعة.

١٤٩. الجامع الصحيح سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

١٥٠. الجامع الصغير، وشرحه النافع الكبير، أبو عبدالله محمد بن الحسين الشيباني، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ.

١٥١. جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٥٢. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ.

١٥٣. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.

١٥٤. جريدة العالم الإسلامي.

١٥٥. جريدة المسلمون.

١٥٦. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام، ابن قيم الجوزية، دار العروبة، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٥٧. الجهاد ميادينه وأساليبه، د. محمد نعيم ياسين، مكتبة الأقصى، عمان الأردن، ١٤٠١هـ.

١٥٨. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

١٥٩. جوامع السيرة، ابن حزم الأندلسي، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٦٠. جوانب من عظمة الإسلام، د. إسماعيل عبدالكافي، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ.

١٦١. جواهر الحسان في تفسير القرآن، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

١٦٢. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، أبو محمد عبدالقادر بن أبي الوفاء القرشي، مير محمد كتب خانة، كراتشي، بدون تاريخ الطبعة.

حرف (الحاء)

١٦٣. حاشية ابن عابدين، محمد أمين، دار الفكر، بيروت، ١٣٨٦ هـ.

١٦٤. حاشية السندي على النسائي، أبو الحسن نور الدين بن عبدالهادي السندي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ.

١٦٥. حجاب المرأة، العفة والأمانة والحياء، عبدالله جمال الدين أفندي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٢هـ.

١٦٦. الحسبة في الإسلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد زهري النجار، المؤسسة السعيدية، الرياض، بدون تاريخ الطبعة.

١٦٧. حقائق عن النصرانية والتبشير، إبراهيم السلمان الجبهان، الناشر بدون، الرياض، ١٣٩٦هـ.

١٦٨. حقوق الإنسان في الإسلام منظومة حضارية شاملة، ندوة علمية منشورة بجريدة العالم الإسلامي، في العدد الصادر بتاريخ ٨.١١.١٤٢٠هـ.

١٦٩. حقوق الإنسان في الإسلام، د. علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٣٩٨هـ.

١٧٠. حقوق الإنسان في الإسلام، سيف الدين حسين شاهين، مطبعة سفير، الرياض، ١٤١٣هـ.

١٧١. حقوق المعاقين، د. علي بن إبراهيم الزهراني، دار البخاري، المدينة، ١٤١٨هـ.

١٧٢. حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية، أبو الأعلى المودودي، دار الفكر، دمشق، بدون تاريخ الطبعة.

١٧٣. حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة، محمد الصالح العثيمين، مطابع القصيم، الرياض، بدون تاريخ الطبعة.

١٧٤. حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، د. سعيد إسماعيل صيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٧٥. الحكمة في التشريع الإسلامي، مجلة البحوث، العدد ٢٤، سنة ١٤١٢هـ.

١٧٦. الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد بن وهف القحطاني، مؤسسة الجريسي، الرياض، ١٤١٢هـ.
١٧٧. الحلال والحرام، د. يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩هـ.
١٧٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
١٧٩. الحوار مع أهل الكتاب، خالد بن عبدالله القاسم، دار المسلم، الرياض، ١٤١٤هـ.
١٨٠. حولية كلية الدعوة الإسلامية بمصر.

حرف (الخاء)

١٨١. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، الإتحاد الإسلامي العالمي، الكويت، ١٣٩٨هـ.
١٨٢. خصائص الدعوة الإسلامية، محمد أمين حسن، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٤٠٣هـ.
١٨٣. خصائص الشريعة الإسلامية، د. عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٦هـ.
١٨٤. الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، الدار البيضاء، دار المعرفة، ١٣٩٧هـ.
١٨٥. خصائص القرآن الكريم، د. فهد بن عبدالرحمن الرومي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٧هـ.
١٨٦. الخصائص الكبرى لحقوق الإنسان في الإسلام ودعائم الديمقراطية الإسلامية، د. وهبة الزحيلي، دار المكتبي، دمشق، ١٤١٦هـ.
١٨٧. الخصائص الكبرى، أبو الفضل عبدالرحمن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
١٨٨. خصائص مدرسة النبوة، د. كمال محمد عيسى، دار الشروق، جدة، ١٤٠٤ هـ.
١٨٩. خطر التبرج والاختلاط، عبدالباقي رمضون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٤هـ.
١٩٠. الخلق الكامل، محمد أحمد جاد المولى بك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.

حرف (الدال)

١٩١. الدر المنثور في التفسير المأثور، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
١٩٢. درء العقوبات بالشبهات دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون في المملكة وبعض الدول العربية، د. محمد المحيذيف، ١٤١٣هـ.
١٩٣. درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠١هـ.
١٩٤. دراسات في النفس الإنسانية، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٩٥. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام، جمع عبدالرحمن بن محمد القاسم، الرياض، ١٤١٣هـ.

١٩٦. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن محمد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، ١٩٧٢م.

١٩٧. الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوي، دار العربية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

١٩٨. الدعوة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، حسني محمد إبراهيم غيطاس، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ.

١٩٩. الدعوة الإسلامية والإعلام الديني، د. عبدالله شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨م.

٢٠٠. الدعوة الإسلامية، سير توماس وأرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وزملاؤه، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م.

٢٠١. دعوة الفطرة، د. يوسف محيي الدين أبو هلاله، دار العاصمة، الرياض ١٤٠٨هـ.

٢٠٢. دعوة الملأ إلى الإسلام في الكتاب والسنة، د. عبدالله المجلي، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود، غير منشورة.

٢٠٣. الدعوة إلى الله تعالى على ضوء الكتاب والسنة، حسن مسعود الطوير، دار قتيبة، بيروت، ١٤١٣هـ.

٢٠٤. دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، مطابع الحميضي، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٢٠٥. الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبدالعزيز، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٠٩هـ.

٢٠٦. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، ابن تيمية، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٤هـ.

٢٠٧. دلائل النبوة، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٢٠٨. دوافع الاستجابة للدعوة في الكتاب والسنة، د. سعد بن عبدالرحمن الجريد، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود، غير منشورة.

٢٠٩. دوافع إنكار دعوة الحق، د. عبدالرحمن بن يوسف الملاحي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٤هـ.

٢١٠. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٢١١. الديباج على صحيح مسلم، أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبي إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان، الخبر، ١٤١٦هـ.

٢١٢. الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ، علي بن جرير الطبري.

٢١٣. الدين والمجتمع، د. أحمد الشرباصي، المطبعة العربية، القاهرة، ١٩٧٠م.

حرف (الراء والزاي)

٢١٤. رجال صحيح مسلم، أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني، تحقيق: عبدالله الليثي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢١٥. رجحان الكفة في أحوال أهل الصفة، السخاوي.

٢١٦. رحمة للعالمين، محمد سليمان سلمان المنصور، دار السلام، الرياض، ١٤١٨هـ.

٢١٧. الرد على المخالف من أصول الإسلام، د. بكر بن عبدالله أبو زيد، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الدمام، ١٤١١هـ.

٢١٨. الرد على المنطقيين، ابن تيمية، إدارة ترجمان السنة، لاهور، ١٣٩٧هـ.

٢١٩. رسالة الحجاب، محمد بن صالح العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٣هـ.

٢٢٠. الرسالة، أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٣٥٨هـ.

٢٢١. الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم، عبدالفتاح أبوغدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤١٧هـ.

٢٢٢. ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان، ١٤٢٥هـ.

٢٢٣. روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طباره، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م.

٢٢٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٢٥. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ.

٢٢٦. روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٢٧. الروضة الندية شرح الدرر البهية، صديق حسن خان، تحقيق: علي الحلبي، دار ابن عفان، القاهرة، ١٩٩٩م.

٢٢٨. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ.

٢٢٩. الرياض النضرة في مناقب العشرة، أبوجعفر أحمد بن عبدالله الطبري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦م

٢٣٠. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٨٤هـ.

٢٣١. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

حرف (السين)

٢٣٢. سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٣٣. سُبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٣٤. سديد إرشاد الفحول، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٣٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، ١٤١٥هـ.

٢٣٦. سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، ١٤٠٦هـ.

٢٣٧. السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب، دار التراث العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ

٢٣٨. سنن ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٢٣٩. سنن ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار سحنون، تونس، مكتبة الوراق، الرياض، بدون تاريخ الطبعة.

٢٤٠. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، دار سحنون، تونس، مكتبة الوراق الرياض، بدون تاريخ الطبعة.

٢٤١. سنن البيهقي الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

٢٤٢. سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني البغدادي، دار المعرفة ودار الفكر، بيروت، ١٤١٨هـ.

٢٤٣. سنن الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، د. بدر الدين جتيه أر، موسوعة السنة، دار سحنون، تونس. توزيع، مكتبة الوراق الرياض.

٢٤٤. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٢٤٥. السنن الكبرى، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ.

٢٤٦. سنن النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، د. بد الدين جتيه أر، موسوعة السنة، دار سحنون، تونس، توزيع، مكتبة الوراق، الرياض.

٢٤٧. السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ.

٢٤٨. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، دار المعرفة.

٢٤٩. سير أعلام النبلاء، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ.

٢٥٠. سير الملوك، نظام الملك حسين الطوسي، دار الثقافة، قطر، ١٤٠٧هـ.

٢٥١. السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٢٥٢. السيرة النبوية، أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب المعافري، تحقيق: عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.

٢٥٣. سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، ابن الجوزي الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٤هـ.

٢٥٤. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

حرف (الشين)

٢٥٥. شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، د. محمد علي الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٢٥٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحي بن أحمد العكري الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٢٥٧. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة ، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

٢٥٨. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

٢٥٩. شرح السنة، أبو محمد الحسن بن علي البربهاري، تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٨هـ.

٢٦٠. شرح الشروط العمرية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. صبحي الصالح مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٣٨١هـ.

٢٦١. شرح العقيدة الأصفهانية، شيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥هـ.

٢٦٢. شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩١هـ.

٢٦٣. شرح الكرماني على صحيح البخاري، شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠١هـ.

٢٦٤. شرح سنن ابن ماجة، السيوطي وآخرون، قديمي كتب خانة، كراتشي، بدون تاريخ الطبعة.

٢٦٥. شرح معاني الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢٦٦. الشريعة، الإمام أبو بكر الآجري، تحقيق: د. عبدالله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ.

٢٦٧. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العربية، بيروت، ١٤١٠هـ.

٢٦٨. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، بدون تاريخ الطبعة.

٢٦٩. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

حرف (الصاد والضاد)

٢٧٠. الصارم المسلول على شاتم الرسول، شيخ الإسلام ابن تيمية، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٧هـ.

٢٧١. الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار القاسم، الرياض، ١٤١٦هـ.

٢٧٢. الصحوة الإسلامية، محمد بن صالح العثيمين، إعداد: علي بن حسين أبو لوز، دار القاسم، الرياض، ١٤١٦هـ.

٢٧٣. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٧٤. صحيح البخاري بشرح الكرماني، شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرماني البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠١هـ.

٢٧٥. صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ.

٢٧٦. صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٤٠٨هـ.

٢٧٧. صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني.

٢٧٨. صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٢٧٩. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، موسوعة السنة: الكتب الستة وشروحها، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار سحنون تونس. توزيع، مكتبة الوراق، الرياض، بدون تاريخ الطبعة.

٢٨٠. صفات الداعية، أ.د. حمد بن ناصر العمار، دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٧هـ.

٢٨١. صفة الصفوة، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: محمود فاخوري والدكتور محمد رواس قلعجي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢٨٢. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٨هـ.

٢٨٣. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق: د.علي الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٨هـ.

٢٨٤. صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، أبو عمر عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٢٨٥. صيد الخاطر، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق: د. عبدالرحمن البر، دار اليقين، المنصورة، ١٤١٦هـ.

٢٨٦. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٤١٠هـ.

٢٨٧. ضوابط العمل الدعوي في مجالات الموعظة، المجادلة، الحكم على الآخرين، أ د. حسين مجد خطاب، مطبعة الفجر الجديد، القاهرة، ١٤١٧هـ.

٢٨٨. ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، د.محمد سعيد رمضان البوطي مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

حرف (الطاء)

٢٨٩. طبقات القراء، ابن الجوزي، نشرة ج. براجستراسر، مطبعة السعادة، ١٣٥٢هـ.

٢٩٠. الطبقات الكبرى، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٢٩١. طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٩٢. طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٥٢م.

٢٩٣. الطبقات، خليفة بن خياط الليثي الصفري، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

٢٩٤. طرائق إقناع المدعو في دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام، أ د. حسين مجد خطاب، كلية أصول الدين، طنطا، ١٤١٦هـ.

٢٩٥. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، مطبعة المدني، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.

حرف (العين والغين)

٢٩٦. عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٩٧. عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبدالرحمن بن حسين الجبرتي، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٢٩٨. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٢٩٩. العرف وأثره في الشريعة والقانون، د.أحمد بن علي سير المباركي، الناشر بدون، ١٤١٤هـ.

٣٠٠. العقل والإيمان في الإسلام، د. صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٣٠١. العقل وفضله، عبدالله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا البغدادي، دار الراية، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٣٠٢. العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي بن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٣٠٣. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٠٤. علم النفس التكويني أسسه وتطبيقه من الولادة إلى الشيخوخة، د. عبدالحميد الهاشمي، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.

٣٠٥. علوم الحديث، عثمان بن عبدالرحمن الشهروزي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٣٠٦. عمدة الفقه، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، مكتبة الطرفين، الطائف، بدون تاريخ الطبعة.

٣٠٧. عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ١٤٠٦هـ.

٣٠٨. عودة الحجاب، محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة، الرياض، ١٤١٥هـ.

٣٠٩. عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٣١٠. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري، تحقيق: د. محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستور، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ.

٣١١. عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٣هـ.

٣١٢. الغرباء، محمد بن حسين الآجري، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٣هـ.

٣١٣. غريب الحديث، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: د. عبدالله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ.

حرف (الفاء)

٣١٤. فتاوى الشيخ محمد الصالح العثيمين، إعداد وترتيب: اشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١١هـ.

٣١٥. الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ.

٣١٦. فتاوى ومسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول، أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن الكردي الشهرزوري، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ.

٣١٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

٣١٨. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب صديق بن الحسين القنوجي البخاري، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٢هـ.

٣١٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٢٠. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

٣٢١. الفتن، أبو عبدالله نعيم بن حماد المروزي، مكتبة التوحيد، القاهرة، ١٤١٢ هـ.

٣٢٢. فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٢٣. فتوح الشام، أبو عبدالله بن عمر الواقدي، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٣٢٤. فتوح مصر وأخبارها، ابن عبدالحكم، تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ.

٣٢٥. الفروع، أبو عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: حازم القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

٣٢٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.

٣٢٧. الفصول في الأصول، علي بن عبدالكافي السبكي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٥هـ.

٣٢٨. الفصول في سيرة الرسول ﷺ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: د. محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستور، جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٣٢٩. الفصول في سيرة الرسول ﷺ، أبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: محمد الخطراوي، دار الكلم الطيب، دمشق، ١٤٢٠هـ.

٣٣٠. فضائل القرآن، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي، تحقيق: د. فاروق حماده، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٣هـ.

٣٣١. فقه التعامل مع المخالف، د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي، دار الوطن، الرياض، ١٤١٥هـ.

٣٣٢. فقه الدعوة الفردية في المنهج الإسلامي، د. السيد محمد نوح، دار الوفاء، القاهرة، ١٤١٦هـ.

٣٣٣. فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد، عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني، دار القلم، دمشق، ١٤١٧هـ.

٣٣٤. فقه الدعوة إلى الله، د علي عبدالحليم محمود، دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٢هـ.

٣٣٥. فقه السياسة الشرعية في ضوء القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة، خال بن علي العنبري، مطبعة سفير، الرياض، ١٤١٧هـ.

٣٣٦. فقه النظر في الإسلام، محمد أديب كلكل، مكتبة الإيمان، القاهرة، ١٩٨٣م.

٣٣٧. فقه النوازل، د. بكر بن عبدالله أبو زيد، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٧هـ.

٣٣٨. فقه الواقع مقوماته وأثاره ومصادره، د. ناصر بن سليمان العمر، دار الوطن، الرياض، ١٤١٢هـ.

٣٣٩. فن الإلقاء، عبدالحميد سليم، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، ١٩٧٧م.

٣٤٠. فن التعامل مع الناس، د. عبدالله الخاطر، كتاب المنتدى، لندن، ١٤١٣هـ.

٣٤١. فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً، د. محمد زين الهادي العرماني، دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٣٤٢. فهم القرآن ومعانيه، أبو عبدالله الحارث بن أسد بن عبدالله المحاسبي، دار الكندي ودار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٣٤٣. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

٣٤٤. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.

حرف (القاف)

٣٤٥. قاعدة في المحبة، شيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.

٣٤٦. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٣٤٧. قصص الأنبياء، إسماعيل بن كثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٣٤٨. قضاء الحوائج، أبوبكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا، مكتبة القرآن، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.

٣٤٩. قضايا ساخنة تؤكد أصالة الإسلام ديناً عالمياً يلبي رغبات الفطرة الإنسانية، د. محمد علي الهرفي، دار المعالم الثقافية، الإحساء، بدون تاريخ الطبعة.

٣٥٠. قضايا معاصرة وبيان وجه الإسلام فيها، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٩م.

٣٥١. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٣٥٢. قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري، مطابع ابن تيمية، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.

٣٥٣. القوانين الفقهية، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٣٥٤. القول السديد في مقاصد التوحيد، الشيخ عبدالرحمن السعدي، دار القبس، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٣٥٥. قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلدة الغرب، مصطفى صبري، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٤هـ.

حرف (الكاف)

٣٥٦. الكاشف في معرفة من راوية في الكتب الستة، حمد بن أحمد الذهبي الدمشقي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ١٤١٣هـ.

٣٥٧. الكامل، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٠م.

٣٥٨. كتاب الأم، الإمام محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٣هـ.

٣٥٩. كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ.

٣٦٠. كتاب التوحيد، محمد بن عبدالوهاب، تحقيق: عبدالعزيز بن زيد الرومي، مطابع الرياض، الرياض، بدون تاريخ الطبعة.

٣٦١. كتاب الجزية.

٣٦٢. كتاب الخراج، أبو يوسف، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٣٦٣. كتاب الخراج، يحيى بن آدم القرشي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٣٦٤. كتاب السنة، أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٣٦٥. كتاب العين، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.

٣٦٦. كتاب الغرباء، محمد بن حسين الآجري، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٣هـ.

٣٦٧. كتاب الكبائر، محمد بن عثمان الذهبي، دار الندوة الجديدة، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٣٦٨. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبوبكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ.

٣٦٩. الكسب، محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق: د. سهيل زكار، الناشر بدون، دمشق، ١٤٠٠هـ.

٣٧٠. كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٣٧١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٣٧٢. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٣٧٣. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفي بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٣٧٤. الكفاية في علم الرواية، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، بدون تاريخ الطبعة.

٣٧٥. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الهندي، تحقيق: محمود الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٣٧٦. كيف أنصف الإسلام المرأة، د. زيد بن عبدالكريم الزيد، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٢هـ.

٣٧٧. كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان، دار السلام للصحافة والنشر، القاهرة، ١٤٠٦هـ.

حرف (اللام والميم)

٣٧٨. اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، د. محمد عبدالعزيز عمرو، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٣٧٩. لسان العرب المحيط، ابن منظور، دار لسان العرب، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٣٨٠. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين بن رجب الحنبلي، دار ابن حزم ومؤسسة الريان، بيروت، ١٤١٧هـ.

٣٨١. لوامع الأنوار البهية، السفاريني.

٣٨٢. مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، محمد بن عبدالوهاب، جامعة الإمام، الرياض، بدون تاريخ الطبعة.

٣٨٣. المؤيدات الشرعية نظريات العقوبات، د. عبدالعزيز الخياط، دار السلام، القاهرة، ١٤٠٦هـ.

٣٨٤. ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير، إبراهيم السلمان الجبهان، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٣٩٦هـ.

٣٨٥. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار القلم، الكويت، ١٤٠٢هـ.

٣٨٦. المبدع في شرح الممتع، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبدالله مفلح الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٣٨٧. المبسوط، أبوبكر محمد بن أبي سهل السرخسي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٣٨٨. المتلاعبون بالعقول، هربرت. أ. شيللر، ترجمة عبدالسلام رضوان سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٤٠٧هـ.

٣٨٩. المجتبى من السنن، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ.
٣٩٠. مجلة الأزهر بمصر.
٣٩١. مجلة الأمة بقطر.
٣٩٢. مجلة الإنسان.
٣٩٣. مجلة الدعوة السعودية.
٣٩٤. مجلة الدعوة المصرية.
٣٩٥. مجلة العربي.
٣٩٦. المجلة العربية بالسعودية.
٣٩٧. مجلة الفيصل بالسعودية.
٣٩٨. مجلة المجتمع الكويتية.
٣٩٩. مجلة المنهل بالسعودية.
٤٠٠. مجلة الوعي الإسلامي الإماراتية.
٤٠١. مجلة حولية كلية الدعوة الإسلامية بمصر.
٤٠٢. مجلة دعوة الحق بالمغرب.
٤٠٣. مجلة رسالة الإسلام بمصر.
٤٠٤. مجلة نهج الإسلام.
٤٠٥. مجلة هذه سبيلي، قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٤٠٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، بيروت، والقاهرة ١٤٠٧هـ.
٤٠٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٦هـ.
٤٠٨. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط، ١٤٠١هـ.
٤٠٩. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، أشرف على جمعها عبدالسلام برجس، دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٩هـ.
٤١٠. محاسن الدين الإسلامي، عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي، المكتب التعاوني للدعوة بسلطانه، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٤١١. محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤ هـ.

٤١٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٤١٣. المحرر في الفقه، عبدالسلام بن عبدالله بن تيمية الحراني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٤هـ.

٤١٤. المحلى، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٤١٥. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق حمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.

٤١٦. مختصر رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبدالله الحميد، اختصار عبدالرحمن بن عبدالعزيز النشوان، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٦هـ.

٤١٧. مختصر زاد المعاد، لابن قيم الجوزية، محمد بن عبدالوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩١هـ.

٤١٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ.

٤١٩. مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة، عابد توفيق الهاشمي، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٢هـ.

٤٢٠. المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ.

٤٢١. المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، عبدالله عفيفي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.

٤٢٢. مراعاة أحوال المخاطبين، د. فضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٧هـ.

٤٢٣. مراعاة أحوال المدعوين في ضوء الكتاب والسنة، د. حسين محمد محمود عبدالمطلب، دار الهلال، أسيوط، ١٤١٩هـ.

٤٢٤. المرشد في كتاب الأبحاث، د. حلمي فوده ود. عبدالرحمن صالح، دار الشروق، جدة، ١٤١١هـ.

٤٢٥. المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٤٢٦. المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

٤٢٧. المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم، وفي ذيله تلخيص المستدرك للحافظ الذهبي، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، بدون تاريخ الطبعة.

٤٢٨. المستشرقون وشبهاتهم حول المصدر الأول للدعوة الإسلامية وتفنيدها، أ د. حسين مجد خطاب، مكتبة الأزهر الحديثة، طنطا، ١٩٩٦م.

٤٢٩. المستصفى في علم الأصول، أبو حامد محمد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ هـ.
٤٣٠. المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، د. عدنان على رضا النحوي، دار النحوي، الرياض، ١٤١٨هـ.
٤٣١. مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ.
٤٣٢. مسند الحميدي، أبو بكر عبدالله بن الزبير، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ.
٤٣٣. المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، موسوعة السنة، دار سحنون، تونس. توزيع، مكتبة الوراق، الرياض، بدون تاريخ الطبعة.
٤٣٤. المسودة في أصول الفقه، ابن تيمية، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المدني، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.
٤٣٥. مشاهير علماء الأمصار، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، تحقيق: م. فلا يشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م.
٤٣٦. مصادر التشريع الإسلامي فيما لانص فيه، عبدالوهاب خلاف، دار القلم، الكويت، ١٣٩٢هـ.
٤٣٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.
٤٣٨. مصنف عبدالرزاق، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٤٣٩. معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: خالد العزم ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٤٤٠. معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧هـ.
٤٤١. معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، عبدالوهاب بن لطف الديلمي، دار المجتمع، جدة، ١٤٠٦ هـ.
٤٤٢. معالم القربة، الشيزري.
٤٤٣. معاملة غير المسلمين في الإسلام، سلسلة أبحاث تحت عنوان: معاملة غير المسلمين في الإسلام، مجموعة من العلماء، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمّان، ١٤٠٩هـ.
٤٤٤. معاني القرآن الكريم، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.

٤٤٥. المعتصر من المختصر من الآثار، أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.

٤٤٦. المعتمد، أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

٤٤٧. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ.

٤٤٨. معجم البلدان، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٤٤٩. معجم الصحابة، أبو الحسين عبدالباقي بن قانع، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ.

٤٥٠. المعجم الصغير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد سليمان إبراهيم سمارة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٤٥١. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.

٤٥٢. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤هـ.

٤٥٣. المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، المكتبة الإسلامية، استنبول، بدون تاريخ الطبعة.

٤٥٤. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٤٥٥. معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث، أحمد بن عبدالله بن صالح العجلي الكوفي، تحقيق: عبدالعليم عبدالعظيم البشوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ.

٤٥٦. معرفة القراء الكبار، الذهبي.

٤٥٧. معرفة علوم الحديث، محمد بن عبدالله النيسابوري، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٣٩٧هـ.

٤٥٨. المعرفة في منهج القرآن الكريم، دراسة في الدعوة والدعاة، صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٤٥٩. مغازي رسول الله ﷺ، الواقدي.

٤٦٠. المغني، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٩هـ.

٤٦١. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٤٦٢. المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.

٤٦٣. المفهم في شرح ما أشكل من صحيح مسلم.

٤٦٤. مفهوم الحكمة في الدعوة، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٧.

٤٦٥. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٨م.

٤٦٦. مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٤٦٧. مقدمة في الفقه، أصوله، مصادره، مزاياه، المذاهب الفقهية الأربعة، د. سليمان بن عبدالله أبا الخيل، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٨هـ.

٤٦٨. المقدمة في علوم الحديث، ابن الصلاح.

٤٦٩. مقومات الداعية الناجح، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مؤسسة الجريسي، الرياض، ١٤١٥هـ.

٤٧٠. مقومات الداعية الناجح، د. علي بن عمر بادحدح، دار الأندلس الخضراء، جدة، ١٤١٧هـ.

٤٧١. مكفرات الذنوب، محمد يحيى بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٣هـ.

٤٧٢. ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، د. إبراهيم عكاشة علي، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٧هـ.

٤٧٣. الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٤٧٤. من أقوال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز في الدعوة، إعداد. زياد السعدون، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ.

٤٧٥. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: د. زينب إبراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ

٤٧٦. مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، د. صلاح مصطفى الفوال، مكتبة غريب، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.

٤٧٧. مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها في العصر الأموي، سعد بن أحمد الأحيدب، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٦هـ، غير منشورة.

٤٧٨. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ.

٤٧٩. منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ١٤٠٦هـ.

٤٨٠. منهاج الطالبين، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.
٤٨١. منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤١١هـ.
٤٨٢. منهج الحياة في القرآن والسنة، إصلاح إسماعيل أمين، دار الفكر العربي، بيروت ١٤٠٢هـ
٤٨٣. منهج القرآن في تربية الرجال، د. عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.
٤٨٤. منهج القرآن في تربية المجتمع، د عبدالفتاح عاشور، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.
٤٨٥. منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله، إبراهيم بن محمد الجنيدلي، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، شعبة الدعوة والتربية، ١٤١٠ هـ، غير منشورة.
٤٨٦. منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله بن رشيد الحوشاني، دار اشبيليا، الرياض، ١٤١٣هـ.
٤٨٧. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسين سليم أسد وعبده علي لوشك، دار الثقافة العربية، دمشق وبيروت، ١٤١١هـ.
٤٨٨. الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ الطبعة.
٤٨٩. مواقف الداعية التعبيرية، عبدالله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة، ١٤٠٥هـ.
٤٩٠. موسوعة فقه عمر بن الخطاب، د. محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٩هـ.
٤٩١. الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق:محمد فؤاد عبدالباقي، موسوعة السنة، دار سحنون، تونس، بدون تاريخ الطبعة.
٤٩٢. موقف الإسلام والكنيسة من العلم، عبدالله المشوخي، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٢هـ.

حرف (النون)

٤٩٣. الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٨هـ.
٤٩٤. النبوات، شيخ الإسلام ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦ هـ.
٤٩٥. نزهة الألباب في الألقاب، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٨٩م.
٤٩٦. نصب الراية، أبو محمد عبدالله بن يوسف الزيلعي، تحقيق: محمد يوسف البنوري، دار الحديث، القاهرة، ١٣٥٧هـ.
٤٩٧. نظام الإسلام في العقيدة والأخلاق والتشريع، د. مصطفى ديب البغا، دار الفكر، دمشق، ١٤١٨هـ.
٤٩٨. نظام الحسبة في الإسلام، عبدالعزيز بن محمد المرشد، الناشر، الرياض، بدون تاريخ الطبعة.
٤٩٩. نظرات في الإسلام، د. محمد عبدالله دراز، المكتب الفني للنشر، القاهرة، ١٩٨٥م.

٥٠٠. نظرية الظروف الطارئة، دراسة تاريخية ومقارنة للنظرية في الشريعة الإسلامية والشرائع الأوربية، د. عبدالسلام الترمانيني، دار الفكر، حلب، ١٩٧١م.

٥٠١. نفح الطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

٥٠٢. نقد القومية العربية، الشيخ عبدالعزيز بن باز، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٣هـ.

٥٠٣. النهاية في غريب الأثر، ابن الأثير المبارك محمد بن محمد بن عبدالكريم الجزري، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٥٠٤. النهاية في غريب الأثر، ابن الأثير محمد بن المحمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٥٠٥. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

حرف (الهاء والواو)

٥٠٦. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، بدون تاريخ الطبعة.

٥٠٧. الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، أحمد بن محمد بن الحسين البضاري، تحقيق: عبدالله الليثي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٥٠٨. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، بيروت، دار الشامية، دمشق، ١٤١٥هـ.

٥٠٩. وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم محمد باعبدالله، دار الراية، الرياض، ١٤١٥هـ.

٥١٠. الوسطية في الإسلام، مفهومها وضوابطها وتطبيقاتها، دراسة مقدمة من فريد محمد هادي يوسف، لنيل درجة الماجستير في قسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٤١١هـ، غير منشورة.

٥١١. وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، عالم الكتب، الرياض، ١٤١٠هـ.

٥١٢. وقفات دعوية في رحلة سفير الدعوة الأولى مصعب بن عمير إلى المدينة، د. زيد بن عبدالكريم الزيد، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٢هـ.

سابعاً: فهرس الموضوعات

الموضـوع	الصفحة
المقدمة	١
أولاً: التعريف بمفردات البحث	٥
ثانياً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره	٥
ثالثاً: الدراسات السابقة	١٠
رابعاً: المشكلة البحثية وتساؤلات الدراسة	١٥
خامساً: منهج الدراسة	١٦
سادساً: تقسيم الدراسة	١٨
سابعاً: شكر وتقدير	٢٠
مدخل للدراسة	٢١
أولاً: المرونة والثبات في الشريعة الإسلامية	٢٢
تمهيد	٢٣
المبحث الأول: المراد بالمرونة والثبات في الشريعة الإسلامية	٢٤
المطلب الأول: التعريف اللغوي للمرونة والثبات في الشريعة الإسلامية	٢٦
المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للمرونة والثبات في الشريعة الإسلامية	٢٦
المبحث الثاني: مظاهر المرونة والثبات في الشريعة الإسلامية	٢٨
تمهيد	٢٨
المطلب الأول: ركائز المرونة والثبات في الشريعة الإسلامية	٢٩
المطلب الثاني: المرونة والثبات في العقائد والعبادات والمعاملات	٧١

المبحث الثالث: مظاهر المرونة والثبات في الدعوة إلى الله تعالى	**٧٦**
تمهيد	**٧٦**
المطلب الأول: ركائز المرونة والثبات في الدعوة إلى الله	**٧٨**
المطلب الثاني: مظاهر المرونة والثبات في الدعوة إلى الله	**٩٣**
ثانياً: أركان الدعوة وأهمية المدعو فيها	**٩٧**
تمهيد	**٩٨**
المبحث الأول: الداعية	**٩٨**
المبحث الثاني: مضمون الدعوة	**١٠٤**
المبحث الثالث: الوسيلة والأسلوب	**١٠٧**
المبحث الرابع: المدعو	**١١٩**
الباب الأول: مكانة المدعو في ضوء الكتاب والسنة	**١٢٧**
التمهيد	**١٢٨**
المبحث الأول: المراد بمكانة المدعو	**١٢٩**
المبحث الثاني: مكانة المدعو في ظل الدعوات غير الإسلامية	**١٣٤**
المبحث الثالث: أهمية اعتبار المكانة في حياة الناس	**١٥٢**
الفصل الأول: مكانة المدعو باعتبار ذاته	**١٦٠**
مدخل	**١٦١**
المبحث الأول: المراد بذات المدعو	**١٦٣**
المبحث الثاني: التميز الخلقي للمدعو	**١٦٤**
المطلب الأول: التكوين الجسدي للمدعو	**١٦٧**
المطلب الثاني: التكوين العقلي أو الذهني للمدعو	**١٧٢**
المطلب الثالث: التكوين النفسي أو العاطفي للمدعو	**١٧٩**

المبحث الثالث: تميز المدعو في إنعام الله تعالى عليه	١٨١
المطلب الأول: إن الله عز وجل خلقه بيده ونفخ فيه من روحه	١٨١
المطلب الثاني: إسجاد الملائكة له	١٨٤
المطلب الثالث: الاستخلاف على الأرض وعمارتها	١٨٦
المطلب الرابع: تسخير ما في السموات والأرض للمدعو	١٩١
المطلب الخامس: الاصطفاء بالعبادة لله وحده	١٩٩
المطلب السادس: قيام حياة المدعو على شريعة سماوية محكمة	٢٠٧
المبحث الرابع: حقوق المدعو المتعلقة بذاته	٢٠٩
تمهيد	٢٠٩
المطلب الأول: تقرير حقوق غير المسلمين في الإسلام	٢١١
المطلب الثاني: حق المدعو في الحياة الكريمة والأمن فيها	٢١٨
المطلب الثالث: حق المدعو في المعرفة وإدراك الأشياء	٢٣٨
المطلب الرابع: حق المدعو في حرية الإرادة والاختيار	٢٤٠
الفصل الثاني: مكانة المدعو باعتباره المخاطب بالدعوة	٢٤٥
تمهيد	٢٤٦
المبحث الأول: قيام فريضة الدعوة ومتطلباتها لأجل المدعو	٢٤٨
المطلب الأول: فرض الدعوة إلى الله تعالى والإلزام بها	٢٤٨
المطلب الثاني: العناية بإعداد الداعية وتهيئته من أجل القيام بدعوته	٢٥٩
المطلب الثالث: القيام بدعوة المدعو حق ثابت له	٢٦٤
المطلب الرابع: إن للمدعو حقوقاً ثابتة لا تتأثر بموقفه من الدعوة	٢٦٩
المبحث الثاني: خصائص ومزايا المدعو باعتباره مخاطباً بالدعوة	٢٧٨
المطلب الأول: اتصاف المدعو بالتهيئ للتعرض للدعوة	٢٧٨

المطلب الثاني: المدعو هو المعنى بالدعوة باعتباره الإنسان الذي تتحقق بهدايته العبودية لله تعالى	٢٨٠
المطلب الثالث: تشريف المدعو حين خلقه الله تعالى لعبادته	٢٨٢
المطلب الرابع: تحمله لأمانة الاستخلاف في الأرض	٢٨٤
المطلب الخامس: تمتع المدعو بالفهم والإدراك لما يلقى عليه	٢٨٥
المبحث الثالث: إكرام المدعو والاحتفاء به	٢٨٨
المطلب الأول: استحقاق المدعو لحق الاحتفاء واحترامه	٢٨٨
المطلب الثاني: حق المدعو في الذهاب إليه ومباشرة دعوته	٢٩٢
المطلب الثالث: عدم التكبر على المدعو أو الترفع عنه	٢٩٤
المبحث الرابع: رحمة المدعو والإشفاق عليه ومعاملته بالرفق	٢٩٦
المطلب الأول: الإشفاق على المدعو والتعامل معه بالعطف	٢٩٦
المطلب الثاني: إلانة الجانب للمدعو وإكرامه	٣٠٠
المبحث الخامس: الحرص على سلامة المدعو وهدايته	٣٠٦
المطلب الأول: دعوته إلى الدين الذي يحقق الخير	٣٠٦
المطلب الثاني: الحرص على هداية المدعو وتحقيق الخير له	٣١٠
المبحث السادس: تلمس أحوال المدعو ومعرفتها سعياً لمراعاتها	٣١٤
المطلب الأول: ضرورة معرفة أحواله والاهتمام بها ومراعاتها	٣١٤
المطلب الثاني: الاحتراز عما يلحق الضرر والعنت به	٣٢١
المطلب الثالث: إنصاف المدعو حين دعوته والتعامل معه بالعدل	٣٢٣
المبحث السابع: التعامل مع المدعو بمبدأ الإقناع والرضى لا الإكراه	٣٢٦
المطلب الأول: الأصل في مخاطبته إعلامه بالحق ودعوته إليه	٣٢٦
المطلب الثاني: إعانة المدعو على معرفة الحق والأخذ بيده	٣٢٨
المطلب الثالث: قيام دعوته على ما يقيم في نفسه الثقة بالداعية	٣٣٠

المطلب الرابع: التعامل مع المدعو بمبدأ الإقناع وليس الإكراه	**٣٣٢**
المطلب الخامس: عدم تجريده من حريته في اتخاذ موقفه من الدعوة	**٣٣٤**
الباب الثاني: أصناف المدعو في الكتاب والسنة	**٣٣٧**
تمهيد	**٣٣٨**
المبحث الأول: المراد بأصناف المدعو	**٣٣٩**
المبحث الثاني: أهمية البصيرة بأصناف المدعو	**٣٤٢**
المطلب الأول: اهتمام الإسلام بأصناف الناس وأحوالهم	**٣٤٣**
المطلب الثاني: حاجة العمل الدعوي إلى البصيرة بأصناف المدعو	**٣٤٧**
المبحث الثالث: مصادر معرفة أصناف المدعو وأحواله	**٣٥٢**
المطلب الأول: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة	**٣٥٢**
المطلب الثاني: التأمل في الحياة الإنسانية وملاحظتها	**٣٦١**
المطلب الثالث: أهل الخبرة وتجاربهم	**٣٦٢**
الفصل الأول: المدعو باعتبار معتقده	**٣٦٥**
المبحث الأول: المطالب الفطرية للمدعو	**٣٦٦**
المطلب الأول: المراد بالمطالب الفطرية للمدعو	**٣٦٦**
المطلب الثاني: مراعاة المطالب الفطرية للمدعو في الدعوة إلى الله	**٣٧٣**
المبحث الثاني: المدعو المسلم	**٣٧٨**
المطلب الأول: أحوال المدعو المسلم صحيح العقيدة	**٣٨٨**
المطلب الثاني: أحوال المدعو المسلم منحرف العقيدة	**٣٨٨**
المبحث الثاني: المدعو غير المسلم	**٤٠٣**
تمهيد	**٤٠٣**
المطلب الأول: المدعو الملحد	**٤١٢**

المطلب الثاني: المدعو المشرك	**٤٢١**
المطلب الثالث: المدعو من أهل الكتاب	**٤٢٩**
المطلب الرابع: المدعو من أهل الديانات غير السماوية	**٤٣٩**
المبحث الرابع: المدعو المنافق	**٤٤٢**
المطلب الأول: أقسام المنافقين باعتبار نوع نفاقهم	**٤٤٩**
المطلب الثاني: أقسام المنافقين المرتبطة بصفاتهم	**٤٥٣**
الفصل الثاني: المدعو باعتبار ذاته	
المبحث الأول: المراد بذات المدعو وبيان الأحوال المتعلقة بها	**٤٥٩**
المطلب الأول: الصفات الشخصية الثابتة لدى المدعو	**٤٥٩**
المطلب الثاني: الصفات الشخصية المتغيرة لدى المدعو	**٤٦٣**
المطلب الثالث: الصفات الشخصية الطارئة على المدعو	**٤٧٤**
المبحث الثاني: الصفات العقلية للمدعو	**٤٧٦**
المطلب الأول: الصفات العقلية الإيجابية للمدعو	**٤٧٦**
المطلب الثاني: الصفات العقلية السلبية للمدعو	**٤٧٩**
المبحث الثالث: الصفات والخصائص النفسية للمدعو	**٤٨٢**
المطلب الأول: الصفات النفسية الإيجابية للمدعو	**٤٨٢**
المطلب الثاني: الصفات النفسية السلبية للمدعو	**٤٩٣**
المبحث الرابع: المطالب الجبلية للمدعو	**٥١٢**
المطلب الأول: المطالب المعنوية والنفسية للمدعو	**٥١٢**
المطلب الثاني: المطالب الجسدية للمدعو	**٥٢٣**
المطلب الثالث: المطالب الدنيوية للمدعو	**٥٢٩**
المبحث الخامس: موقف المدعو من الدعوة	**٥٣٣**

المطلب الأول: الاستجابة	٥٣٤
المطلب الثاني: الإعراض	٥٣٧
الفصل الثالث: المدعو باعتبار مجتمعه	٥٤٥
المبحث الأول: طبيعة مكان وزمان المدعو	٥٤٦
المطلب الأول: طبيعة مكان المدعو	٥٤٦
المطلب الثاني: طبيعة زمان المدعو	٥٥٢
المبحث الثاني: الرصيد المعرفي والثقافي للمدعو	٥٥٦
المطلب الأول: المستوى العلمي للمدعو	٥٥٦
المطلب الثاني: نوع وتوجه الرصيد المعرفي والثقافي للمدعو	٥٥٩
المبحث الثالث: لغة المدعو	٥٦٢
المطلب الأول: اللغة العربية	٥٦٣
المطلب الثاني: اللغات غير العربية	٥٦٨
المطلب الثالث: اللهجات المحلية أو العامية	٥٧٣
المطلب الرابع: لغات التفاهم غير الكلامية	٥٧٧
المبحث الرابع: العادات والأعراف والتقاليد في مجتمع المدعو	٥٨٠
المطلب الأول: العادات والأعراف والتقاليد الموافقة للشرع	٥٨٣
المطلب الثاني: العادات والأعراف والتقاليد المخالفة للشرع	٥٨٦
المبحث الخامس: مكانة المدعو في مجتمعه	٥٩٣
المطلب الأول: أصحاب المكانة الرفيعة (الملأ)	٥٩٤
المطلب الثاني: عامة الناس	٦٠٨
المطلب الثالث: أصحاب المكانة الوضيعة	٦١٠
المبحث السادس: الروابط والعلاقات الاجتماعية للمدعو	٦١٥

المطلب الأول: موقع وحالة المدعو في مجتمعه	٦١٥
المطلب الثاني: الأوضاع الاجتماعية الخاصة للمدعو	٦٢١
الباب الثالث: ضوابط مراعاة أحوال المدعو في ضوء الكتاب والسنة	٦٢٥
تمهيد	٦٢٥
المبحث الأول: أهمية مراعاة أحوال المدعو وضرورتها للعمل الدعوي	٦٢٥
المبحث الثاني: المراد بضوابط مراعاة أحوال المدعو	٦٢٧
المطلب الأول: المعنى اللغوي للضابط	٦٢٧
المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي لضوابط مراعاة أحوال المدعو	٦٢٧
المطلب الثالث: المراد بالموضوع والمنهج	٧٢٩
الفصل الأول: الضوابط المتعلقة بالموضوع	٦٣١
المبحث الأول: الاعتناء بمصداقية وأصالة مصدر التلقي	٦٣٢
المطلب الأول: معرفة من يعتد بقولهم من أئمة العلم والهدى	٦٣٢
المطلب الثاني: الاستفادة من خبرة وتجارب السابقين	٦٣٥
المطلب الثالث: الاعتماد في القبول على إنصاف المضمون بأنه الحق	٦٣٥
المبحث الثاني: التثبت عند توظيف النصوص وسياق معانيها	٦٣٧
المطلب الأول: فقه توظيف نصوص القرآن والسنة أثناء مخاطبة المدعو بها	٦٣٧
المطلب الثاني: الانتباه للمسائل التي هي موضع للخلاف المعتبر	٦٣٩
المبحث الثالث: خضوع المراعاة لقواعد الدين وأصوله	٦٤١
المطلب الأول: احترام الأحكام وحدود التعامل معها عند عرضها على المدعو	٦٤١
المطلب الثاني: معرفة أحكام الدين وما يتاح للدعاة من ذلك في باب الاجتهاد	٦٤٢
المبحث الرابع: المحافظة على مقام الدعوة وهيبتها	٦٤٦
المطلب الأول: القوة في عرض الحق والثقة في مضيه مع حال المدعو مهما كان مزريا	٦٤٦

المطلب الثاني: حاجة المراعاة لجانب قوة يتمها ويحافظ عليها ويحفز عليها	٦٤٩
المبحث الخامس: التحقق من إيجابية المراعاة وتحقيقها لمقاصد الدعوة	٦٥١
المبحث السادس: الانطلاق من القدرة على استيعاب كل حال للمدعو	٦٥٣
المطلب الأول: قيام الدعوة على معرفة كل فئات المدعوين ومراعاة أحوالهم	٦٥٣
المطلب الثاني: ارتباط المراعاة في دعوة الإسلام بكونها صالحة لكل زمان ومكان	٦٥٤
المطلب الثالث: تفاوت المدعويين من حيث حاجتهم لنوع ومدى المراعاة	٦٥٦
المبحث السابع: اعتماد المراعاة على ترتيب الأولويات والتدرج	٦٥٨
المطلب الأول: الترتيب في عرض الموضوعات حسب أهميتها	٦٥٨
المبحث الثامن: اعتماد مبدأ الاعتدال والتوسط في المراعاة	٦٦٢
المطلب الأول: الاعتدال والتوسط وعدم الإثقال على المدعو	٦٦٢
المبحث التاسع: التحقق من قدرة المدعو على فهم مضمون الدعوة وإدراكه	٦٦٥
المطلب الأول: استخدام اللغة الواضحة الدلالة الخالية من الغموض والإيهام	٦٦٥
المطلب الثاني: أهمية اعتبار قدرة المدعو على فهم مضمون الدعوة وإدراكه	٦٦٧
المبحث العاشر: ارتباط الحاجة للمضمون بدرجة الإيمان والاستقامة	٦٦٩
المبحث الحادي عشر: إدراك أن النفس الإنسانية موضع للصراع بين الخير والشر	٦٧٢
الفصل الثاني: الضوابط المتعلقة بالمنهج	٦٧٥
المبحث الأول: تحري الطرق الشرعية في تلمس أحوال المدعوين ومعرفتها	٦٧٦
المطلب الأول: الاحتراز مما حرمه الشرع عند استقصاء أحوال المدعو	٦٧٦
المطلب الثاني: الدقة في الحكم على المدعو وبيان حاله لتكون مراعاته في مكانها	٦٧٨
المبحث الثاني: قيام المراعاة على مبدأ عدم الإكراه	٦٨٤
المبحث الثالث: الموازنة بين المصالح والمفاسد	٦٨٦
المبحث الرابع: وضوح المراعاة وعدم الغموض فيها	٦٩٢

المبحث الخامس: الدراية بمتطلبات المراعاة والقدرات المطلوبة لها	**٦٩٥**
المطلب الأول: ارتباط تحقيق المراعاة بالقدرة عليها وحدود وجوبها	**٦٩٥**
المطلب الثاني: معرفة صلاحيات الداعية وحدود التعاطي مع المدعوين	**٦٩٩**
المطلب الثالث: الحذر من العوائق التي قد تثبط الداعية وتذهب دعوته	**٧٠٥**
المبحث السادس: إجادة التكيف وارتياد حياة الناس والتفاعل معها	**٧٠٨**
المبحث السابع: الحرص على نفع المدعو وتغليب جانب الإشفاق عليه	**٧١٣**
المطلب الأول: حب الخير للمدعو والحرص على نفعه	**٧١٣**
المطلب الثاني: تغليب جانب اللين والرحمة والإشفاق على المدعو	**٧١٧**
المبحث الثامن: العناية بحقوق المدعو وحفظ ما له من اعتبار ومكانة	**٧٢١**
المبحث التاسع: تقصي دوافع الإقبال والإعراض لدى المدعو	**٧٢٦**
المبحث العاشر: عدم المساس بأصول الدين وشريعته بحجة المراعاة	**٧٢٨**
الباب الرابع: نتائج مراعاة أحوال المدعو في الدعوة إلى الله تعالى	**٧٣٢**
تمهيد	**٧٣٣**
الفصل الأول: فوائد مراعاة أحوال المدعو	**٧٣٥**
المبحث الأول: فوائد تتعلق بالداعية	**٧٣٦**
المطلب الأول: اتساع أفق الداعية ونجاحه في عمله الدعوي	**٧٣٦**
المطلب الثاني: تحققه بالحكمة	**٧٤٥**
المبحث الثاني: فوائد تتعلق بموضوع الدعوة	**٧٥٩**
المطلب الأول: ظهور العنصر الأخلاقي	**٧٥٩**
المطلب الثاني:ترشيد جهد الداعية وتحقيق التكامل في البناء الدعوي	**٧٧٢**
المطلب الثالث: بيان واقعية الدعوة	**٧٧٦**
المبحث الثالث: فوائد تتعلق بالمدعو	**٧٨٤**

المطلب الأول: تحقيق التلاحم بين المدعو والداعية	**٧٨٤**
المطلب الثاني: التوظيف الأمثل لإمكانيات المدعو	**٧٨٦**
الفصل الثاني: مضار التقصير في مراعاة أحوال المدعو	**٨٠٢**
المبحث الأول: مضار تتعلق بالداعية	**٨٠٣**
المبحث الثاني: مضار تتعلق بالمدعو	**٨١٦**
المبحث الثالث: مضار تتعلق بالمضمون الدعوي	**٨٢٢**
الخاتمة	**٨٢٥**
الفهارس	**٨٣١**
فهرس الآيات القرآنية	**٨٣٢**
فهرس الأحاديث والآثار	**٨٦٠**
فهرس الأعلام المترجم لهم	**٨٩٦**
فهرس المصطلحات والغريب	**٨٩٨**
فهرس الأشعار	**٩٠٢**
فهرس المراجع	**٩٠٣**
فهرس الموضوعات	**٩٣٤**